

أَيْسَرُ التَّفَاسِيرِ

لكلام العليِّ الكبير

وبهامشه «نهر الخير على أيسر التفاسير»

المجلد الرابع

تأليف

أبي بكر جابر الجزائري
الواعظ بالمسجد النبوي الشريف

الطبعة الثالثة

طبعة مزينة ومنقحة ومصححة وبهامشها
نهر الخير

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

مصححة ومنقحة

وبهامشها

نهر الخير على أيسر التفاسير

يمنع منعاً باتاً نشره أو توزيعه أو إعادة تصميمه أو تجزئته أو
إعادة إخراجه أو الاقتباس منه أو اختصاره أو إعادة تصويره أو
طبعه داخل المملكة أو خارجها إلا بإذن خطي من :
راسم للدعاية والإعلان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النَّاسِ

مكية

وآياتها ثلاث وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تَلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

- طس : هذا أحد الحروف المقطعة، يقرأ: طا. سين .
تلك : أي الآيات المؤلفة من هذه الحروف آيات القرآن .
هدى وبشرى : أي أعلام هداية للصراف المستقيم، وبشارة للمهتدين .
زيننا لهم أعمالهم : أي حينئذ إليهم حسب سنتنا فيمن لا يؤمن بالبعث والجزاء .
فهم يعمهُون : في ضلال بعيد وحيرة لا تنتهي .
لهم سوء العذاب : أي في الدنيا بالأسر والقتل .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿طس﴾ لقد سبق أن ذكرنا أن السلف كانوا يقولون في مثل هذه الحروف المقطعة: الله أعلم بمراده بذلك، وهذه أسلم، وذكرنا أن هناك فائدة قد تقتنص من

الإشارة بتلك أو بذلك، وهي أن القرآن المعجز الذي تحدى به منزه عز وجل الإنس والجن قد تألف من مثل هذه الحروف العربية فألفوا أيها العرب مثله سورة فأكثر فإن عجزتم فآمنوا أنه كلام الله ووحيه واعملوا بما فيه ويدعو إليه .

وقوله ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي المؤلفه من مثل هذه الحروف آيات القرآن ﴿وكتاب مبين﴾ أي مبين لكل ما يحتاج إلى بيانه من الحق والشرع في كل شؤون الحياة .

وقوله : ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي هادٍ إلى الصراط المستقيم الذي يفضي بسالكه إلى السعادة والكمال في الدارين ، ﴿وبشرى﴾ أي بشارة عظيمة للمؤمنين أي بالله ولقائه والرسول وما جاء به ، ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ بأدائها في أوقاتها في بيوت الله تعالى مستوفاة الشروط والأركان والواجبات والسنن والآداب ﴿ويؤتون الزكاة﴾ عند وجوبها عليهم ﴿وهم بالآخرة﴾ أي بالدار الآخرة ﴿هم يوقنون﴾ بوجودها والمصير إليها، وبما فيها من حساب وجزاء .

وقوله تعالى : ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي بالبعث والجزاء ﴿زيننا لهم أعمالهم﴾ أي حبيناهم إليهم حتى يأتوها وهي أعمال شر وفساد، وذلك حسب سنتنا فيمن أنكر البعث وأصبح لا يرهب حساباً ولا يخاف عقاباً انغمس في الرذائل والشهوات وأصبح لا يرعوي عن قبيح ﴿فهم﴾ لذلك ﴿يعمهمون﴾ في سلوكهم يتخبطون لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا .
وقوله تعالى : ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ أي في الدنيا بالأسر والقتل، وهم في الآخرة ﴿هم الأكثر خساراً من سائر أهل النار أي أشد عذاباً﴾ .

(١) عَرَفَ الكتاب ونَكَرَ القرآن وهما في معنى المعرفة كما يقال : فلان رجل عاقل، وفلان الرجل العاقل، والكتاب هو القرآن

فُجِعَ له صفتان تفخيماً وتعظيماً فهو قرآن وهو كتاب، والكتاب : علم على القرآن بالغلبة، والقرآن علم بالنقل .

(٢) (مبين) إن كان من أبان اللازم فهو بمعنى بان أي : فهو ظاهر واضح بين في نفسه وفي هذا تنويه وتشريف له ، وإن كان من أبان المتعدي فهو مبين لما أريد منه من أركان العقيدة وأنواع العبادات وأحكام الشريعة وآدابها .

(٣) هدى وبشرى : حال، والاعراب مقدر اشارة إلى القرآن حال كونه هادياً ومبشراً للمؤمنين به العاملين بما فيه من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق .

(٤) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة الموصول وصلته وما عطف عليه نعت للمؤمنين وصف لهم بما تضمنه لفظ الهدى، وجملة : (وهم بالآخرة هم يوقنون) معطوفة على صلة الموصول فهي نعت ثانٍ للمؤمنين الذين هدوا بالقرآن .

(٥) قوله تعالى : (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأنها واقعة موقع جواب عن سؤال تقديرية : إذا كان القرآن هادياً ومبشراً فما للذين لا يؤمنون بالآخرة لم يهتدوا؟ فالجواب : إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زين الله لهم أعمالهم لذا فهم لا يهتدون، وتزيين الأعمال قائم على سنة من سنن الله تعالى وهي أن من رفض الحق وآثر الباطل عليه وأصر على اختيار الباطل يحرم الهداية فلا يقبلها ممن جاءه بها كالقرآن والرسول ﷺ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إعجاز القرآن إذ آياته مؤلفة من مثل طس، وحّم وعجز العرب عن تأليف مثله .
- ٢- بيان كَوْن القرآن، هدى وبشرى للمؤمنين الملتزمين بمتطلبات الإيمان .
- ٣- إنكار البعث والدار الآخرة يجعل صاحبه شر الخليقة وأسوأ حالاً من الكلاب والخنازير
- ٤- وجوب قتال الملاحدة وأخذهم أسراً وقتلاً حتى يؤمنوا بالله ولقائه لأنهم خطر على أنفسهم وعلى البشرية سواء .

وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْءَانَ مِنْ

لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاتِيَكُمْ

مِنْهَا بِخَبْرٍ أَوْءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا

جَاءَهَا نُورٌ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسِي إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَالْقِ عَصَاكَ

فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدِيرٌ وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسِي لَا تَخَفْ

إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حَسَنًا بَعْدَ

سُوِّ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- وإنك لتلقى : أي تلقنه وتحفظه وتعلمه .
- من لدن حكيم : أي من عند حكيم عليم هو الله جل جلاله .
- آنست ناراً : أي أبصرت ناراً من بعد حصل لي بها بعض الأنس .
- سأتيكم منها بخبر : أي عن الطريق حيث ضلوا طريقهم إلى مصر في الصحراء .
- بشهاب قبس : أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها .

- لعلكم تصطلون : أي تستدفثون .
 أن بورك من في النار : أي بارك الله جل جلاله من في النار وهو موسى عليه السلام
 إذ هو في البقعة المباركة التي نادى الله تعالى موسى منها .
 وسبحان الله رب : أي نزه الرب تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله من
 العالمين صفات المحدثين .
 يا موسى إنه أنا الله : أي الحال والشأن أنا الله العزيز الحكيم الذي ناداك
 وباركك .
 تهتز كأنها جان : أي تتحرك بسرعة كأنها حية خفيفة السرعة .
 ولم يعقب : أي ولم يرجع إليها خوفاً وفرعاً منها .
 ثم بدل حسناً بعد سوء : أي تاب فعمل صالحاً بعد الذي حصل منه من سوء .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة المحمدية فقوله تعالى ﴿وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم﴾ يخبر تعالى رسوله بأنه يلقن القرآن ويحفظه ويعلمه من لدن حكيم في تدبيره عليم بخلقه وهو الله جل جلاله وعظم سلطانه .
 وقوله تعالى ﴿إذ قال موسى﴾ اذكر لمنكري الوحي والمكذبين بنبوتك إذ قال موسى إلى آخر الحديث، هل مثل هذا يكون بغير التلقي من الله تعالى . والجواب : لا إذا فانت رسول الله حقاً وصدقاً ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ امرأته وأولاده ﴿إني آنست ناراً﴾ أي أبصرتها مستأنساً بها . ﴿سأتیکم منها بخبر أو آتیکم بشهاب قبس لعلکم تصطلون﴾ أي تستدفثون إذ كانوا في ليلة شاتية باردة وقد ضلوا طريقهم .

(١) قال القرطبي : هذه الآية بسط وتمهيد لما يريد أن يسوق من الأفاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه وهو كما قال .

(٢) ﴿إني آنست ناراً﴾ أي : أبصرتها من بعد قال الشاعر :

آنست نباءً وأفرز عنها القصاص عصراً وقد دنا الإمساء

(٣) قرأ عاصم (بشهاب قبس) بتنوين شهاب، وقرأ نافع (بشهاب) بلامتنوين مضاف إلى قبس، والاضافة للنوع كقرب خز وخاتم فضة .

(٤) الاصطلاح : الاستدفاء من البرد، قال الشاعر :

النار فأكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

وقوله تعالى ﴿فلما جاءها﴾ أي النار ﴿نودي﴾^(١) أي ناداه ربه تعالى قائلاً: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾ أي تقدس من في النار التي هي نور الله جل جلاله . وهو موسى عليه السلام ومن حولها من أرض القدس والشام ، والله أعلم بمراده من كلامه وأنا لنستغفره ونتوب إليه إن لم نوفق لمعرفة مراده من كلامه وخطابه فأغفر اللهم ذنبنا وارحم عجزنا وضعفنا إنك غفور رحيم ، وقوله تعالى ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾ نزه تعالى نفسه عما لا يليق بجلاله وكماله وقوله ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ أي الذي يناديك هو الله ذو الألوهية على خلقه العزيز الغالب الذي لا يحال بينه وبين مراده الحكيم في قضائه وتدبير وتصريف ملكه بعد أن عرفه بنفسه وأذهب عنه روع نفسه ، أمره أن يلقي العصا تمريناً له على استعمالها فقال ﴿وألقت عصاك﴾ فألقاها فاهتزت كأنها جان أي حية خفيفة السرعة ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان ولي^(٢) مدبراً﴾ أي رجع القهقري فزعاً وخوفاً ﴿ولم يعقب﴾ أي لم يرجع إليها خوفاً منها فناداه ربه تعالى ﴿يا موسى لا تخف﴾ من حية ولا من غيرها ﴿إني لا يخاف^(٣) لدي المرسلون﴾ ﴿إلا من ظلم﴾ أي نفسه باقتراف ذنب من الذنوب فهذا يخاف لكن إن هو تاب بعد الذنب ففعل حسنات بعد السيئات فإنه لا يخاف لأنني غفور رحيم فأغفر له وارحمه . طمأن تعالى نفس موسى بهذا لأن موسى كان شاعراً بأنه أذنب بقتل القبطي قبل نبوته ورسالته ، وإن كان القتل خطأ إلا أنه تجب فيه الكفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية .
- ٢- مشروعية السفر بالأهل والولد وجواز خطأ الطريق حتى على الأنبياء والأذكىاء .
- ٣- قيومية الرجل على النساء والأطفال .

(١) عن وهب بن منبه قال: فلما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرأها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة يقال لها: العليق فعجب منها . . . (ونودي أن بورك من في النار ومن حولها).

(٢) أي: خائفاً على عادة البشر.

(٣) الاستثناء منقطع أي: لكن يخاف من ظلم، ومن ظلم ثم تاب فلا يخاف أيضاً فإن الله غفور رحيم.

(٤) هذا مقول قول أي: يا موسى لا تخف.

(٥) الجملة تعليل للنهي في قوله: (يا موسى لا تخف).

٤- تجلي الرب تعالى لموسى في البقعة المباركة ومناجاته وتدريبه على العصا والسلاح الذي يقاوم به فرعون وملائه فيما بعد .

٥- الظلم يسبب الخوف والعقوبة إلا من تاب منه وأصلح فإن الله غفور رحيم .

وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ

مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ

﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

وَجحدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

- في جيبك : أي جيب ثوبك .
 من غير سوء : أي برص ونحوه بل هو (البياض) شعاع
 في تسع آيات : أي ضمن تسع آيات مرسلًا بها إلى فرعون .
 مبصرة : مضيئة واضحة مشرقة .
 وجحدوا بها : أي لم يقرؤا ولم يعترفوا بها .
 واستيقنتها أنفسهم : أي أيقنوا أنها من عند الله .
 ظلمًا وعلوًّا : أي ردوها لأنهم ظالمون مستكبرون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع موسى في حضرة ربه عز وجل بجانب الطور إنه لما أمره بإلقاء العصا فألقاها فاهترت وفزع موسى لذلك فولى مدبراً ولم يعقب خائفاً فطمأنه ربه تعالى بأنه لا يخاف لديه المرسلون أمره أن يدخل يده في جيبه فقال ﴿وادخل يدك في جيبك﴾ أي في جيب القميص ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي من غير برص بل هو

(١) هذا الكلام معطوف على قوله: (وَأَلْقِ عَصَاكَ) وما بينهما اعتراض.

(٢) هذه آية أخرى غير الأولى.

بياض إشراق يكاد يذهب بالأبصار في تسع آيات أي ضمن تسع آيات مرسلًا بها إلى فرعون وقومه، وبين تعالى علة ذلك الإرسال فقال: ﴿إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ أي خارجين عن الاعتدال إلى الغلو والإسراف في الشر والفساد وقوله تعالى: ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ يحملها موسى مبصرة مضيئة واضحة دالة على صدق موسى في دعوته، رفضوها فلم يؤمنوا بها، ﴿وقالوا هذا سحر مبين﴾، أي الذي جاء به موسى من الآيات هو سحر بين لا شك فيه قال تعالى ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أي جحدوا بالآيات وكذبوا وتيقنتها أنفسهم أنها آيات من عند الله دالة على رسالة موسى وصدق دعوته في المطالبة بيني إسرائيل وقوله ظلمًا وعلوا أي حملهم على التكذيب والإنكار مع العلم هو ظلمهم واستكبارهم فإنهم ظالمون مستكبرون. وقوله تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ أي انظر يا رسولنا محمدًا ﷺ كيف كان عاقبة المفسدين وهي إهلاكهم ودمارهم أجمعين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- آية اليد هي إحدى الآيات التسع التي أوتي موسى عليه السلام دليلاً على وجود الآيات التي كان الله تعالى يؤيد بها رسله فمن أنكرها فقد كفر.
- ٢- التنديد بالفسق واستحقاق أهله العذاب في الدارين.
- ٣- الكبر والعلو في الأرض صاحبهما يجحد الحق ولا يقربه وهو يعلم أنه حق.
- ٤- عاقبة الفساد في الأرض بالمعاصي سوء، والعياذ بالله تعالى.

وَلَقَدْ ءَايَنَّا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا

وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

(١) التسع آيات هي: العصا، واليد، والطوفان والجراد والقمل، والضفادع والدم، والقحط، وانفلاق البحر، وهو من أعظمها.

(٢) ﴿فلما جاءتهم﴾ الخ أوجز بقية القصة وانتقل إلى العبرة بتكذيب فرعون وقومه بالآيات ليعتبر بذلك كفار قريش المكذوبين بآيات الله ورسوله.

(٣) الخطاب لغير معين ويجوز أن يكون للنبي ﷺ تسلياً له وحملًا له على الصبر من تكذيب قومه له وإصرارهم على الكفر به.

وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْتُمْ أَنْتُمْ أَنَّ الْطَّيْرَ
 وَأَوْتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحَشَرَ
 لِسُلَيْمَنَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
 حَتَّى إِذَا تَوَّأَ عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
 مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
 ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
 نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
 تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- علمنا : هو علم ما لم يكن لغيرهم ك معرفة لغة الطير إلى جانب علم الشرع كالقضاء ونحوه .
 وقالوا الحمد لله : أي شكرأ له .
 على كثير من عباده المؤمنين: أي بالنبوة وتسخير الجن والانس والشياطين .
 وورث سليمان داوود : أي ورث أباه بعد موته في النبوة والملك والعلم دون باقي أولاده .
 علمنا منطلق الطير : أي فهم أصوات الطير وما تقوله إذا صفرت .
 وأوتينا من كل شيء : أوتيه غيرنا من الأنبياء والملوك .
 وحشر لسليمان : أي جمع له جنوده من الجن والانس والطير في مسير له .
 فهم يوزعون : أي يساقون ويرد أولهم إلى آخرهم ليسيروا في نظام .
 لا يحطمنكم سليمان : أي لا يكسرنكم ويقتلنكم .
 وهم لا يشعرون : أي بكم .

أوزعني أن أشكر : أي ألهمني ووفقني لأن أشكر نعمتك التي أنعمت علي .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص داوود وسليمان عليهما السلام ذكر بعد أن أخبر تعالى أنه يلقن رسوله محمداً ويعلمه من لدنه وهو العليم الحكيم ودل على ذلك بموجز قصة موسى عليه السلام ثم ذكر دليلاً آخر وهو قصة داوود وسليمان ، فقال تعالى ﴿ ولقد آتيناك أي أعطينا داوود وسليمان ﴾ علماء ﴿ أي الوالد والولد علماً خاصاً كعرفة منق الطير وصنع الدروع وإلانة الحديد زيادة على علم الشرع والقضاء ^(١) ، وقوله تعالى ﴿ وقال الحمد لله ﴾ أي شكرا ربهما بقولهما ﴿ الحمد لله ﴾ أي الشكر لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين بما آتاهما من الخصائص والفواضل . هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٤) وأما الآية الثانية (١٥) فقد أخبر تعالى فيها أنّ سليمان ورث أباه داوود وحده دون باقي أولاده وذلك في النبوة والملك ، لا في الدرهم والدينار والشاة والبعير ، لأن الأنبياء لا يورثون فما يتركونه هو صدقة ^(٢) . كما أخبر أن سليمان قال في الناس ﴿ يا أيها الناس علمنا منق الطير ﴾ ^(٣) فما يصفر طير الا علم ما يقوله في صفيه ، وأوتينا من كل شيء أوتي غيرنا من النبوة والملك والعلم والحكمة ﴿ إن هذا لهو الفضل المبين ﴾ أي فضل الله تعالى البين الظاهر . وقوله تعالى ﴿ وحشر لسليمان جنوده ﴾ أي جمع له جنوده ﴿ من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ هو إخبار عن مسير كان لسليمان مع جنده ﴿ فهم يوزعون ﴾ أي جنوده توزع تساق بانتظام . بحيث لا يتقدم بعضها بعضاً فيرد دائماً أولها إلى آخرها محافظة على النظام في السير ، وما زالوا سائرين كذلك حتى أتوا على واد النمل بالشام فقالت نملة من النمل ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنده وسم لا يشعرون ﴾ قالت هذا

(١) وآتى داود الزبور وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم ، وأن من أوتيها فقد أوتي فضلاً على كثير من المؤمنين .

(٢) قيل : إن داود كان له تسعة عشر ولداً فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو كان وارثه مال لكان جميع أولاده فيه سواء والزمن بين سليمان ونبينا كان قرابة ألف وثمانمائة سنة .

(٣) قوله ﷺ (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة) حديث صحيح .

(٤) أي : في بني اسرائيل قال هذا على جهة الشكر لنعم الله تعالى .

(٥) مما يؤثر عن سليمان عليه السلام في معرفة منق الطير : (لداو للموت وابنوا للخراب) «لورشان» نوع من الحمام البري أكدر (ليت هذا الخلق لم يخلقوا ولتيمهم إذ خلقوا عملوا لماذا خلقوا) «لفاخته» نوع من الحمام البري له طوق (من لا يرحم لا يرحم) «لهدهد» (استغفروا الله يا مذنبين) «لصرد» (قدموا خيراً تجدوه) «لخطافة» (اللهم العن العشار) «للغراب» (كل شيء هالك إلا وجهه) «للحداة» (من سكت سلم) «للغاة» (ويل لمن الدنيا همه) «للقطاة» (سبحان ربي القدوس) «للضفدع» (اذكروا الله يا غافلين) «للديك» .

رحمة وشفقة على بنات جنسها تعلم البشر الرحمة والشفقة والنصح لبني جنسهم لو كانوا يعلمون، واعتذرت لسليمان وجنده بقولها وهم لا يشعرون بكم وإلا لما داسوكم ومشوا عليكم حتى لا يحطمونكم. وما إن سمعها سليمان وفهم كلامها^(١) حتى تبسم ضاحكاً من قولها ﴿وقال رب﴾ أي يارب ﴿أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ أي ويسر لي عملاً صالحاً ترضاه مني، ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي في جملتهم في دار السلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الشكر على النعم.
- ٢- وراثة سليمان لداوود لم تكن في المال لأن الأنبياء لا يورثون وإنما كانت في النبوة والملك.
- ٣- آية تعليم الله تعالى سليمان منطق الطير وتسخير الجن والشياطين له.
- ٤- فضل النمل على كثير من المخلوقات ظهر في نصح النملة لأخواتها وشفقتها عليهن.
- ٥- ذكاء النمل وفطنته مما أضحك سليمان متعجباً منه.
- ٦- وجوب الشكر عند مشاهدة النعمة ورؤية الفضل من الله عز وجل.
- ٧- تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا الحديث لا يتأتى له إلا بالوحي الإلهي.

وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعَذَّبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ

(١) قد اختلف في هل كان سليمان يعلم غير منطق الطير من سائر الحيوان، والذي عليه الأكثر أنه كان يعلم أصوات سائر الحيوانات ومن ذلك النمل، قال ابن العربي: من قال إنه لا يعلم إلا منطق الطير فنقصان عظيم، وقد اتفق الناس على أنه كان يفهم كلام من لا يتكلم من النبات فكان الشجر يقول له: أنا شجر كذا أنفع من كذا وأضر من كذا فما ظنك بالحيوان؟

(٢) الوزع: الكف عما لا يراد، والوازع: الذي يكف غيره عما لا ينبغي، وفعله: وزع بزوعاً، فإذا زيدت فيه همزة السلب فقيل: أوزع أي: أزال الوزع الذي هو الكف، فقوله في الآية: (فهم يوزعون) أي: يكفون أفراد القوات عن التقدم والتأخر حتى يكون السير منتظماً. وقوله: (أوزعني أن أشكر نعمتك) أي: أبعد عني ما يمنعني من شكرك على نعمك. فصار أوزعني كألهمني وأغرني.

(٣) قال تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال بعضهم: النعمة وحشية فيدها بالشكر فإنها إذا شكرت قرّت وإذا كفرت قرّت، وقال آخر: من لم يشكر النعمة فقد عرضها لزلها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها.

أُولِيَاتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّاقِينَ ﴿٢٢﴾
 إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا
 عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
 فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- وتفقد الطير : أي تعهدا ونظر فيها .
 مالي لا أرى الهدهد : أعرض لي ما منعني من رؤيته أم كان من الغائبين؟
 لأعذبه عذاباً شديداً : أي بتف ريشه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام .
 بسطان ميين : أي بحجة واضحة على عذره في غيبته .
 فمكث غير بعيد : أي قليلاً من الزمن وجاء سليمان متواضعاً .
 أحطت بما لم تحط به : أي اطلعت على ما لم تطلع عليه .
 وجئتك من سبأ : سبأ قبيلة من قبائل اليمن .
 إني وجدت امرأة : هي بلقيس الملكة .
 ولها عرش عظيم : أي سرير كبير .
 فصدهم عن السبيل : أي طريق الحق والهدى .
 ألا يسجدوا لله : أصلها أن يسجدوا أي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله .
 وزيدت فيها «لا» وأدغمت فيها النون فصارت ألا نظيرها لثلاثا
 يعلم أهل الكتاب من آخر سورة الحديد .

يخرج الخبأ في السموات: أي المخبوء في السموات من الأمطار والأرض من النباتات والأرض

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصص سليمان عليه السلام قوله تعالى ﴿وتفقد الطير﴾^(١) أي تفقد سليمان جنده من الطير طالباً الهدهد لأمر عن له أي ظهر وهو يتهيأ لرحلة هامة، فلم يجده فقال ما أخبر تعالى به عنه: ﴿مالي لا أرى الهدهد﴾^(٢) ألعارض عرض له فلم أره، ﴿أم كان من الغائبين﴾ أي بل كان من الغائبين، ﴿لأعذبه عذاباً شديداً﴾ بأن يتنف ريشه ويتركه للهوام تأكله فلا يمتنع منها ﴿أو لأذبحنه﴾ بقطع حلقومه، ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ أي بحجة واضحة على سبب غيبته. قوله تعالى الآية (٢١) ﴿فمكث﴾ أي الهدهد ﴿غير بعيد﴾^(٣) أي زمنياً قليلاً، وجاء فقال في تواضع رافعاً عنقه مرخياً ذنبه وجناحيه ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وجئتك من سبأ نبأ يقين﴾^(٤) وسبأ قبيلة من قبائل اليمن، والنبأ اليقين الخبر الصادق الذي لا شك فيه. وأخذ يبين محتوى الخبر فقال ﴿إني وجدت امرأة﴾ هي بلقيس ﴿تملكهم وأوتيت من كل شيء﴾ من أسباب القوة ومظاهر الملك، ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي سرير ملكها الذي تجلس عليه وصفه بالعظمة لأنه مرصع بالجواهر والذهب، وقوله ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾^(٥) أخبر أولاً عن أحوالهم الدنيوية وأخبر ثانياً عن أحوالهم الدينية وقوله ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي الباطلة الشركية ﴿فصدهم﴾^(٦) بذلك ﴿عن السبيل﴾ أي سبيل الهدى والحق فهم لذلك لا يهتدون لأن يسجدوا لله الذي يخرج الخبء أي المخبوء فهو

(١) (تفقد) بمعنى بحث عن الفقد أي: عدم الوجود أو بحث عن سبب عدم الوجود.

(٢) من خواص الهدهد أنه يرى الماء من بعد ويحس به في باطن الأرض فإذا رفرق على موضع علم أن به ماء، ونهى النبي ﷺ عن قتله مع ثلاثة وهي: (الضفدع، والنحل، والصدرد) خرج أبو داود وصححه. ونهى عن قتل النمل إلا أن يضرب ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل.

(٣) (أم) هي المنقطعة التي بمعنى: بل، ولا تخلو من معنى الاستفهام إذ التقدير: بل أكان من الغائبين.

(٤) أي: مكث في غيابه زمنياً غير بعيد أو في مكان غير بعيد.

(٥) اسم رجل هو: غششمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان، لقب بسبأ لأنه أول من سبى في غزوه، وأطلق هنا سبأ على ديار قبيلة سبأ لأن من ابتدائية أي لا ابتداء الأمكنة غالباً.

(٦) (ألا يسجدوا) أصلها أن لا يسجدوا فأدغمت أن في لا النافية فصارت ألا، والمضارع منصوب بأن المدغمة في لا، ولذا تعين تقدير لام جرّ يتعلق بـ (فصدهم عن السبيل) أي: زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم لأجل أن لا يسجدوا. وما في التفسير من التقدير أوضح أيضاً.

(٧) الخبء: مصدر خبأ الشيء: إذا أخفاه، أطلق على اسم المفعول أي: المخبوء من أجل السالفة في الإخفاء.

من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول في السموات من أمطار والأرض من نباتات، ويعلم سبحانه وتعالى ما يخفون في نفوسهم، وما يعلنون عنه بألسنتهم الله لا إله هورب العرش العظيم. وصف الرب تعالى بالعرش العظيم ليقابل وصف بلقيس به، وأين عرش مخلوقة وإن كانت ملكة بنت ملك هو شراويل من عرش الله الخالق لكل شيء والمالك لكل شيء.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية استعراض الجيوش وتفقد أحوال الرعية .
- ٢- مشروعية التعزير لمن خالف أمر السلطان بلا عذر شرعي .
- ٣- مشروعية اتخاذ طائرات الاستشكاف ودراسة جغرافية العالم .
- ٤- تحقيق قول الرسول ﷺ لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة إذ لم يلبثوا أن غلب عليهم سليمان .
- ٥- بيان أن هناك من كانوا يعبدون الشمس إذ سجودهم لها عبادة .
- ٦- بيان أن الأحق بالعبادة الله الذي لا إله إلا هورب العرش العظيم .
- ٧- مشروعية السجود لمن تلا هذه الآية أو استمع إلى تلاوتها: ﴿الله لا إله إلا هورب العرش العظيم﴾ .

❖ قَالَ سَنَنْظُرُ

أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا
فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا
الْمَلَأُوا إِلَيَّ الْقِيَّ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين : أي بعد اختبارنا لك .

فألقه إليهم	: أي إلى رجال القصر وهم في مجلس الحكم .
ثم تول عنهم	: أي تنح جانباً متوارياً مستتراً عنهم .
فانظر ماذا يرجعون	: أي ماذا يقوله بعضهم لبعض في شأن الكتاب .
يا أيها الملأ	: أي يا أشرف البلاد وأعيانها وأهل الحل والعقد فيها .
ألقي إلي كتاب كريم	: أي ألقاه في حجرها الهدهد .
ألا تعلموا علي	: أي لا تتكبروا انقياداً للنفس والهوى .
واتتوني مسلمين	: أي منقادين خاضعين .

معنى الآيات :

﴿ قال سننظر ﴾^(١) أي قال سليمان للهدهد بعد أن أدلى الهدهد بحجته على غيبته سننظر باختبارنا لك ﴿ أصدقت ﴾ فيما ادعيت وقلت ﴿ أم كنت من الكاذبين ﴾ أي من جملتهم . وبدأ اختبارها فكتب كتاباً وختمه وقال له ﴿ اذهب بكتابي^(٢) هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم ﴾ أي تنح جانباً مختفياً عنهم ﴿ فانظر ماذا يرجعون ﴾ من القول في شأن الكتاب أي ما يقول بعضهم لبعض في شأنه، فعلاً ذهب الهدهد بالكتاب ودخل القصر من كوة فيه وألقى الكتاب في حجر الملكة بلقيس فارتاعت له وقرأته ثم قالت ﴿ يا أيها الملأ ﴾ مخاطبة أشرف قومها ﴿ إني ألقى إلي كتاب كريم ﴾ وصفته بالكرم لما حواه من عبارات كريمة، ولأنه مختوم وختم الكتاب كرمه ونصّ الكتاب كالتالي [من عبدالله سليمان بن داوود إلى

(١) من الجائز أن يكون سليمان قد خشي أن يكون الكلام الذي سمعه من الهدهد ألقى به الشيطان على الهدهد ليضل سليمان ويفتنه بالبحث عن مملكة موهومة، فلذا قال عليه السلام (سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين).

(٢) في الآية دليل على أن الحاكم يجب عليه أن يقلل عذر المواطن ويدراً العقوبة عنه بظاهر حاله وباطن غدره، وفي الصحيح : (ليس أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل) وللحاكم أن يمتحن المواطن المعتذر حتى يعرف عذره.

(٣) (أم كنت) بمعنى : أنت.

(٤) في الآية دليل على وجوب إرسال الكتب إلى المشركين ودعوتهم إلى الإسلام وتبليغهم دعوة الله عز وجل، وقد كتب النبي ﷺ إلى قيسر وكسرى والمقوقس وغيرهم.

بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي واثتوني مسلمين].

ومضمونه ما ذكرته الملكة بقولها: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَوْنَ عَلِيٍّ وَاثْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ومعنى إنه من سليمان أي صادر منه وأنه مكتوب ومرسل بسم الله الرحمن الرحيم أي بإذنه وشرعه ألا تعلوا علي أي لا تكبروا علي الحق فإني بسم الله أطلبكم واثتوني مسلمين أي خاضعين متقادين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية الاختبار وإجراء التحقيق مع المتهم.
- ٢- مشروعية استخدام السلطان أفراد رعيته لكفاية المستخدم.
- ٣- مشروعية إرسال العيون للتعرف على أحوال العدو وما يدور عنده. (٧)
- ٤- مشروعية كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في الرسائل والكتب الهامة ذات البال لدلالاتها على توحيد الله تعالى وأنه رحمن رحيم، وأن الكاتب يكتب بإذن الله تعالى له بذلك.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ لِلَّيْكَ
فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

(١) قال القرطبي: الأحسن اليوم بأن يقدم في الكتاب اسم المكتوب إليه قبل اسم الكاتب لأن البداية باسمه تعد استخفافاً بالمكتوب إليه وتكبراً عليه، ومراده أن يكتب الكاتب هكذا إلى حضرة فلان... من فلان... وتقديم اسم الكاتب هو ما عليه السلف الصالح.

(٢) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يرى رد الكتاب واجباً كرد السلام ولا يسقط إلا من عذر لا سيما إذا سلم صاحب الكتاب فإن رد السلام واجب بلا خلاف.

شرح الكلمات :

أفتوني في أمري : بينوا لي فيه وجه الصواب ، وما هو الواجب اتخاذه إزاءه .

ما كنت قاطعة أمراً : أي قاضيته .

حتى تشهدون : أي تحضروني وتبدوا رأيكم فيه .

وأولوا بأس شديد : أي أصحاب قوة هائلة مادية وأصحاب بأس شديد في الحروب .

إذا دخلوا قرية : أي مدينة وعاصمة ملك .

أفسدوها : أي خربوها إذا دخلوها عنوة بدون مصالحة .

وكذلك يفعلون : أي وكالذي ذكرت لكم يفعل مرسلو هذا الكتاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم عن حديث قصر الملكة بلقيس وها هي ذي تقول لرجال دولتها ما حكاه تعالى عنها بقوله ﴿قالت يا أيها الملأ افتنوني في أمري﴾^(١) أي أشيروا علي بما ترونه صالحاً ﴿ما كنت قاطعة أمراً﴾ أي قاضية بآنة^(٢) فيه ﴿حتى تشهدون﴾ أي تحضروني وتبدوا فيه وجهة نظركم . فأجابها رجالها بما أخبر تعالى به عنهم ﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾ عسكرية من سلاح وعتاد وخبرة ﴿وأولوا بأس شديد﴾ عند خوضنا المعارك ﴿والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ به فأمرني ننفذ إنا طوع يدك .

فأجابتهم بما حكاه الله تعالى عنها ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾ أي مدينة عنوة بدون صلح . ﴿أفسدوها﴾ أي خربوا معالمها وبدلوا وغيروا فيها ، ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بضربهم وإهانتهم وخلعهم من مناصبهم^(٣) . ﴿وكذلك﴾ أصحاب هذا الكتاب ﴿يفعلون﴾ ﴿واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ أي الذين نرسلهم من

(١) الإفتاء: الإخبار بالفتوى وهي: إزالة مشكل يعرض، والأمر: الحال المهم وإضافته إلى نفسها، لأنها المخاطبة في كتاب سليمان، ولأنها المضطلة بشؤون الدولة ولذا يقال للحاكم وعالم الدين: ولي الأمر.

(٢) قاطعة أمراً) عاملة عملاً لا تردد فيه بالعزم على أن تجيب به سليمان.

(٣) حذف ياء المتكلم منه تخفيفاً، وحذفت نون الرفع للناصب وبقيت نون الوقاية والمراد من شهودهم: موافقتهم لها على ما تعزم عليه إزاء الكتاب.

(٤) البأس: الشدة على العدو، ومنه (وحين البأس) أي: في مواقع القتال في جوابهم هذا تصريح بأنهم مستعدون للحرب دفاعاً عن مملكتهم.

(٥) فوضوا الأمر إليها لثقتهم بأصالة رأيها وخبرتها السياسية.

(٦) دبرت أن تتفادى الحرب بطريقة المصانعة والتزلف إلى سليمان بالهدية مصحوبة بكتاب ووفد، وعلى ضوء عودة الوفد تتصرف في الأمر.

قبول الهدية ورفضها وعلى ضوء ذلك نتصرف فإنهم إن قبلوا الهدية المالية فهم أصحاب دنيا، وإن رفضوها فهم أصحاب دين، وعندها نتخذ ما يلزم حيالهم، ولا شك أن هذه الهدية كانت فاخرة وثرينة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير مبدأ الشورى في الحكم .
- ٢- مشروعية إبداء الرأي بصدق ونزاهة ثم ترك الأمر لأهله .
- ٣- مشروعية إعداد العدة وتوفير السلاح وتدريب الرجال على حملته واستعماله .
- ٤- دخول العدو المحارب الغالب البلاد عنوة ذو خطورة فلذا يتلافى الأمر بالمصالحة .
- ٥- بيان حسن سياسة الملكة بلقيس وفطنتها وذكاؤها ولذا ورثت عرش أبيها .

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَتِمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا
 ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
 بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ
 يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَاءَ أَيُّكُمْ بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكِ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَاءَ أَيُّكُمْ
 بِهِ ۚ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا
 مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۚ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ
 لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

فلما جاء سليمان : أي رسول الملكة يحمل الهدية ومعه أتباعه .

- فما آتاني الله خير مما آتاكم : إنه أعطاني النبوة والملك وذلك خير مما أعطاكم من المال فقط .
 بهديتكم تفرحون : لحبكم للدنيا ورغبتكم في زخارفها .
 إرجع إليهم : أي بما أتيت به من الهدية .
 بجنود لا قبل لهم بها : أي لا طاقة لهم بقتالها .
 ولنخرجنهم منها : أي من مدينتهم سبأ المسماة باسم رجل يقال له سبأ .
 أذلة وهم صاغرون : أي إن لم يأتوني مسلمين أي منقادين خاضعين .
 قبل أن يأتوني مسلمين : فإن لي أخذه قبل مجيئهم مسلمين لا بعده .
 قال عفريت من الجن : أي جني قوي إذ القوي الشديد من الجن يقال له عفريت .
 قبل أن تقوم من مقامك : أي من مجلس قضائك وهو من الصبح إلى الظهر .
 وإني عليه لقوي أمين : أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر وغيرها .
 وقال الذي عنده علم من الكتاب : أي سليمان عليه السلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع سليمان وملكة سبأ إنه لما بعثت بهديتها تختبر بها سليمان هل هو رجل دنيا يقبل المال أو رجل دين ، لتتصرف على ضوء ما تعرف من اتجاه سليمان عليه السلام ، فلما جاء سليمان ، جاءه سفير الملكة ومعه رجال يحملون الهدية قال لهم ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ قال أتمدوني^(١) بمال ؟ فما آتاني الله خير مما آتاكم ﴾^(٢) آتاني النبوة والعلم والحكم والملك فهو خير مما آتاكم من المال ﴿ بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ وذلك لحبكم الدنيا ورغبتكم في زخارفها . وقال لرسول الملكة ﴿ إرجع إليهم ﴾ أي بما أتيت به من الهدية ، وعلمهم أنهم إن لم يأتوا إلي مسلمين ﴿ فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ﴾^(٣) أي لا قدرة لهم على قتالهم ، ﴿ ولنخرجنهم منها ﴾ أي من مدينتهم سبأ ﴿ أذلة وهم صاغرون ﴾ أي خاضعون منقادون . ثم قال سليمان عليه السلام لأشرف دولته

(١) الهدية : منها ما هو حرام ومنها ما هو مكروه ومنها ما هو مباح أو مندوب ، فالهدية الحرام : التي تُهدى للحكام والقضاة ليحكموا لصاحبها والهدية المكروهة : هدية الكافر والهدية المباحة أو المندوب إليها : هدية المؤمن لأخيه المؤمن للمودة والحب ، لحديث مالك وفيه : قال رسول الله ﷺ : (تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء) الشحناء العدواة والبغضاء .

(٢) أي : أتريدوني إلى ما تشاهدونه من أموالي ، والاستفهام للإنكار وقرأ الجمهور : (أتمدوني) بنونين . وقرأ بعض بنون واحدة مشددة .

(٣) (بل) للاضراب الانتقالي من الإنكار عليهم إلى رد هديتهم إليهم .

(٤) الضمير في (بها) عائد على الجنود والضمير في (منها) عائد إلى مدينتهم وهي مأرب أو سبأ على مراحل قليلة من صنعاء .

وأعيان بلاده ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ فإني لا آخذه إلا قبل مجيئهم مسلمين لا بعده . فنطق عفريت من الجن قائلاً بما أخبر تعالى عنه به ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي مجلس قضائك والذي ينتهي عادة بنصف النهار، ﴿وإني عليه لقوي أمين﴾ أي قادر على حمله والإتيان به في هذا الوقت الذي حددت لكم وأمين على ما فيه من جواهر وذهب لا يضيع منه شيء . وهنا ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾^(١) وهو سليمان عليه السلام ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ فافتح عينيك وانظر فلا يعود إليك طرفك إلا والعرش بين يديك، وسأل ربه باسمه الأعظم الذي ما دعي به إلا أجاب وإذا العرش بين يديه ﴿فلما رآه مستقراً﴾ بين يديه لهج قائلاً ﴿هذا من فضل ربي﴾ أي علي فلم يكن لي به يد أبداً ﴿ليلبوني﴾ بذلك ﴿أشكر﴾ نعمته علي ﴿أم أكفرها﴾ ﴿ومن شكر﴾ فلنفسه أي عائد الشكر يعود عليه بحفظ النعمة ونمائها ومن كفر أي النعمة ﴿فإن ربي غني﴾ أي عن شكره وليس مفتقراً إليه، كريم قد يكرم الكافر للنعمة فلا يسلبها كلها منه أو يقيها له على كفره .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- أهل الآخرة لا يفرحون بالدنيا، وأهل الدنيا لا يفرحون بالآخرة .
- ٢- استعمال أسلوب الإرهاب والتخويف مع القدرة على إنفاذه مع العدو أليق .
- ٣- تقرير أن سليمان كان يستخدم الجن وأنهم يخدمونه في أصعب الأمور .
- ٤- استجابة الله تعالى لسليمان فأحضر له العرش من مسافة شهرين أي من اليمن إلى الشام قبل ارتداد طرف الناظر إذا فتح عينه ينظر .
- ٥- وجوب رد الفضل إلى أهله فسليمان قال ﴿هذا من فضل ربي﴾ والجهال يقولون بثورتنا الخلافة، وأبطالنا البواسل .
- ٦- وجوب الشكر، وعائده تعود على الشاكر فقط، ولكرم الله تعالى قد لا يسلب النعمة فور عدم شكرها وذلك لحلمه تعالى وكرمه .

(١) هذا استئناف ابتدائي أي : كلام غير مرتبط بما سبقه بنوع من الارتباط قريب .

(٢) قال القرطبي : جمهور المفسرين : أن الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا وقيل : هو سليمان عليه السلام ، بقرينة قوله : هذا من فضل ربي ، قال ابن عطية وقالت فرقة وهو سليمان عليه السلام . والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وكان سليمان استبطاً ذلك فقال له على وجه التحقير أنا آتيك به . . . الخ . قيل : يا حي يا قيوم : هو الاسم الأعظم .

(٣) الشكر: قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة .

قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا

نَظُرًا أَنْتَهَدِي أَمْرًا تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ
 أَهْكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ
 ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ
 ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ
 سَاقِيهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

قال نكروا لها عرشها	: أي غيروا هيأته وشكله حتى لا يعرف إلا بصعوبة .
أنتهدي	: أي إلى معرفته
أهكذا عرشك	: شبهوا عليها إذ لو قالوا هذا عرشك لقلت نعم .
قالت كأنه هو	: فشبهت عليه فقالت كأنه هو .
وصدها ما كانت تعبد	: أي صرفها عن عبادة الله مع علمها وذكائها ما كانت تعبد من دون الله .
ادخلي الصرح	: أي بهو الصرح إذ الصرح القصر العالي وفي بهوه بركة ماء كبيرة مغطاة بسقف زجاجي يرى وكأنه ماء .
فكشفت عن ساقها	: ظانة أنها تدخل ماء تمشي عليه فرفعت ثيابها .
حسبته لجة	: أي من ماء غمر يجري .
صرح ممرد من قوارير	: أي مملس من زجاج .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما دار من أحاديث بين سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ لقد خرجت هي في موكبها الملكي بعد أن احتاطت لعرشها أيما احتياط . إلا أن العرش وصل قبلها بدعوة الذي عنده علم من الكتاب ، وقبل وصولها أراد سليمان أن يختبر عقلها من حيث الحصافة أو الضعف فأمر رجاله أن يغيروا عرشها بزيادة ونقصان فيه حتى لا يعرف إلا بصعوبة كما قال عليه السلام ﴿ ننظر أتهتدي ﴾ إلى معرفته ﴿ أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ لضعف عقولهم . فلما جاءت ﴿ قيل لها أهكذا عرشك ﴾ فشبها عليها في التغيير وفي التعبير، إذ المفروض أن يقال لها هذا عرشك ومن هنا فطنت لتشبيهم ﴿ فقالت : كأنه هو ﴾ إذ لو قالت : هو لقالوا كيف يكون هو والمسافة مسيرة شهرين ولو قالت ليس هو لقليل لها كيف تجهلين سريرك فكانت ذات ذكاء ودهاء ومن هنا قال سليمان لما أعجب بذكائها ﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ فحمد الله وأثنى عليه ضمن العبارة التي قالها . وقوله ﴿ وصددها ما كانت تعبد من دون الله ﴾ اتباعاً لقومها إذ كانوا يعبدون الشمس من دون الله . ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ فهذا سبب عدم إيمانها وتوحيدها وهو ما كان عليه قومها، وجلس سليمان في بهو صرحه وكان البهو تحته بركة ماء عظيمة فيها أسماك كثيرة وللماء موج، وسقف البركة مملس من زجاج، ومع سليمان جنوده من الإنس والجن يحوطون به ويحفونه من كل جانب وأمرت أن تدخل الصرح^(٤) لأن سليمان الملك يدعوها ﴿ فلما رآته حسبته لجة ﴾ ماء ﴿ فكشفت عن ساقها ﴾ فقال لها سليمان ﴿ إنه صرح ممرد ﴾ أي مملس ﴿ من قوارير ﴾ زجاجية وهنا وقد بهرها الموقف وعرفت أنها كانت ضالة وظالمة نطقت قائلة ﴿ رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ وبهذا أصبحت مسلمة سالحة . ولم يذكر القرآن عنها بعد شيئاً

(١) قيل : إن الجن قالوا لسليمان : إنها ضعيفة العقل فلذا أمر بتكثير عرشها ليختبر عقلها، وقالوا له : إن رجلاً كرجل حمار فلذا امتحنها بدخول بهو الصرح لتكشف عن ساقها فيعرف ما قالت الجن عنها .

(٢) الاستفهام للتقرير مع الاختبار وهو المقصود .

(٣) اختلف هل قول : (وأوتينا العلم) من قول سليمان أو أحد رجاله أو هو من قول بلقيس ، والراجح أنه من قول سليمان عليه السلام .

(٤) (الصرح) البناء العالي : تقدم أن الجن هم الذين قالوا لسليمان إن رجل بلقيس رجل حمار وطلبوا اختبارها وهم الذين صنعوا بركة الماء في بهو الصرح .

(٥) ذكر القرطبي هنا حكايات أكثرها منقول عن أهل الكتاب منها : أن الجن أول من صنعوا النورة لإزالة شعر الجسم ، وأن سليمان عليه السلام أول من صنع الحمامات ، وهذا يرفع إلى النبي ﷺ وذكر قولين أحدهما أن سليمان تزوج بلقيس وآخر : لم يتزوجها .

فلنسكت عما سكت عنه القرآن .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- جواز اختبار الأفراد إذا أريد إسناد أمر لهم لمعرفة قدرتهم العقلية والبدنية .
- ٢- بيان حصافة عقل بلقيس ولذا أسلمت ظهر ذلك في قولها ﴿كأنه هو﴾ .
- ٣- مضار التقليد وما يترتب عليه من التنكر للعقل والمنطق .
- حرمة كشف المرأة ساقها حتى ولو كانت كافرة فكيف بها إذا كانت مسلمة .
- ٥- فضيلة الإلتساء بالصالحين كما اتستت بلقيس بسليمان في قولها ﴿وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِیرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

أن أعبدوا الله : أي بأن اعبدوا الله .

فريقان يختصمون : أي طائفتان مؤمنة موحدة وكافرة مشركة يختصمون .

تستعجلون بالسيئة : أي تطالبون بالعذاب قبل الرحمة .

- لولا تستغفرون الله : أي هلا تطلبون المغفرة من ربكم بتوبتكم إليه .
قالوا اطيرنا بك : أي تشاء منا بك وبمن معك من المؤمنين .
قال طائرهم عند الله : أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه .
بل أنتم قوم تفتنون : أي تختبرون بالخير والشر .
تسعة رهط : أي تسعة رجال ظلمة .
تقاسموا بالله : أي تحالفوا بالله أي طلب كل واحد من الثاني أن يحلف له .
لنبيته وأهله : أي لقتلته والمؤمنين به ليلاً .
ما شهدنا مهلك أهله : أي ما حضرنا قتله ولا قتل أهله .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا﴾ هذا بداية قصص صالح عليه السلام مع قومه ثمود لما ذكر تعالى قصص سليمان مع بلقيس ذكر قصص صالح مع ثمود وذلك تقريراً لنبوة رسوله محمد ﷺ ووضع المشركين من قريش أمام أحداث تاريخية تمثل حالهم مع نبيهم لعلهم يذكرون فيؤمنوا قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾ أي قبيلة ثمود ﴿أخاهم﴾ أي في النسب ﴿صالحاً أن اعبدوا﴾ أي قال لهم اعبدوا الله أي وحدوه ﴿فإذا هم فريقان﴾ موحدون ومشركون ﴿يختصمون﴾^(١) فريق يدعو إلى عبادة الله وحده وفريق يدعو إلى عبادة الأوثان مع الله وشأن التعارض أن يحدث التخاصم كل فريق يريد أن يخصم الفريق الآخر . وطالبوا صالحاً بالآيات ﴿وقالوا اثنا بما تعدنا﴾ أي من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أنك رسول إلينا مثل الرسل فرد عليهم وقال ﴿يا قوم لم تستعجلون^(٢) بالسيئة﴾ أي تطالبوني بعذابكم ﴿قبل الحسنة﴾ فالمفروض أن تطالبوا بالحسنة التي هي الرحمة لا السيئة التي هي العذاب . إن كفركم ومعاصيكم هي سبيل عذابكم ، كما أن إيمانكم وطاعتكم هي سبيل نجاتكم وسعادتكم فبادروا بالإيمان والطاعة طلباً لحسنة الدنيا والآخرة . إنكم بكفركم ومعاصيكم تستعجلون عذابكم ﴿لولا﴾ أي هلا

(١) من الخصومة ما قصه الله تعالى في سورة الأعراف في قوله : (أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون).

(٢) الاستفهام إنكاري ، و(السيئة كالحسنة) صفة لمحذوف ، والتقدير لم تستعجلون بالحال السيئة قبل الحال الحسنة؟

(٣) (هلا) أداة تحضيض حضمهم نبيهم على التوبة بالاستغفار والاقلاع عن الشرك والمعاصي رجاء أن يرحمهم الله تعالى فلا يعذبهم في الدنيا ولا في الآخرة .

﴿تستغفرون الله﴾ بترككم الشرك والمعاصي ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي كي ترحموا بعد هذا الوعظ والإرشاد. كان جواب القوم ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾ أي تشاء منا بك وبأتباعك المؤمنين لك، فرد عليهم بقوله ﴿طائرکم عند الله﴾ أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه وهو كائن لا محالة، وليست القضية تشاؤماً ولا تيامناً ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ وقوله تعالى ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾ أي مدينة الحجر حجر ثمود تسعة رجال ﴿يفسدون في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي ﴿ولا يصلحون﴾ وهم الذين تماثلوا على عقر الناقة ومن بينهم قُرَارُ بن سالف الذي تولى عقر الناقة. هؤلاء التسعة نفر قالوا لبعضهم بعضاً في اجتماع خاص ﴿تقاسموا بالله﴾ أي ليقسم كل واحد منكم قائلاً والله ﴿لنبيته﴾ أي صالحاً ﴿وأهله﴾ أي أتباعه، أي لأنبتهم ليلاً فنقتلهم، ثم في الصباح ﴿نقول لوليه﴾ أي لولي دم صالح من أقربائه، والله ﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾ ولا مهلكه ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما نقسم عليه من أنا لم نشهد مهلك صالح ولا مهلك أصحابه.

هداية الآيات

هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٢- تقرير حقيقة أن الصراع بين الحق والباطل لا ينتهي إلا بانتهاء الباطل.
- ٣- حرمة التشاؤم والتيامن كذلك، ولم يجز الشارع إلا التفاؤل لا غير.
- ٤- العمل بمعاصي الله تعالى هو الفساد في الأرض، والعمل بطاعته هو الإصلاح في الأرض.
- ٥- تقرير أن المشركين يؤمنون بالله ولذا يحلفون به، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لشركهم في عبادة الله تعالى غيره من مخلوقاته.

(١) كانت العرب أكثر الناس تطيرا (واطيرنا) في الآية أصلها: تطيرنا فقلبت التاء طاء لقرب مخرجها من الطاء وأدغمت في الطاء، وجيء بهمزة الوصل للتوصل إلى النطق بالسكن، والتطير معناه: التشاؤم وهو مأخوذ من الطير تطير يميناً أو شمالاً فيتمنون بذلك أو يتشاءمون.

(٢) الأرض: أرض ثمود وأل فيها: للعهد والرهط: العدد من الثلاثة إلى العشر كالنفر ومن بين هؤلاء: قدار بن سالف: عاقر الناقة.

(٣) قرأ الجمهور (مهلك) بضم الميم، وقرأ حفص (مهلك) بفتحها، والمهلك: مصدر ميمي من الرباعي أهلك، أي: ما شهدنا إهلاك من أهلكهم والمراد من وليه: ولي الدم من عصبته. قرأ الجمهور: لنبيته وأهله ثم لنقولن، وقرأ خلاف الجمهور: (لنبيته) (ولتقولن) بناء الخطاب وهو قول الماكرين لبعضهم البعض، والمعنى لا يختلف.

وَمَكْرُوا مَكْرًا

وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَتَادِرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنْ فِي ذَلِكَ

لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

- ومكروا مكرًا : أي دبوا بطريقة خفية لقتل صالح والمؤمنين .
 ومكرنا مكرًا : أي ودبرنا طريقة خفية لنجاة صالح والمؤمنين وإهلاك الظالمين .
 وهم لا يشعرون : بأننا ندبر لهم طريق هلاكهم .
 بيوتهم خاوية : أي فارغة ليس فيها أحد .
 بما ظلموا : أي بسبب ظلمهم وهو الشرك والمعاصي .
 لآية : أي عبرة .
 وأنجينا الذين آمنوا : أي صالحاً والمؤمنين .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ومكروا مكرًا﴾^(١) هذا نهاية قصص صالح مع ثمود تقدم أن تسعة رهط من قوم صالح تقاسموا على تبييت صالح والمؤمنين وقتلهم ليلاً ليحولوا في نظرهم دون وقوع العذاب الذي واعدهم به صالح وأنه نازل بهم بعد ثلاثة أيام ، وهذا مكرهم وطريقة تنفيذه أنهم أتوا صالحاً وهو يصلي في مسجد له تحت الجبل فسقطت عليهم صخرة من الجبل فأهلكتهم أجمعين وهكذا مكر الله بهم وهم لا يشعرون به ، ثم أهلك الله القوم كلهم

(١) أكد كل من مكر الله تعالى ومكرهم بالمصدر إشارة إلى تعظيم كل من المكربين والمكر: التبييت الخفي لإرادة السوء بالمكربور به فعاملهم الله تعالى بما عزموا على فعله مع صالح وأهله .

بالصيحة فأصبحوا في ديارهم جائمين . وهو معنى قوله تعالى ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ أي انظر يا رسولنا كيف كانت نهاية ذلك المكر وعاقبته ﴿أنا دمرناهم﴾^(١) وقومهم أجمعين ﴿فتلك بيوتهم﴾^(٢) خاوية بما ظلموا ﴿أي بسبب ظلمهم أنفسهم بالشرك وظلمهم صالحاً والمؤمنين . وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي الإهلاك للرهط التسعة ولشمود قاطبة ﴿آية﴾ أي علامة على قدرة الله وعلمه وحسن تدبيره ﴿لقوم يعلمون﴾ إذ هم الذين يرون الآية ويدركونها .

وقوله تعالى : ﴿وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾^(٣) يريد صالحاً والمؤمنين الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً وبصالح نبياً ورسولاً . وكانوا طوال حياتهم يتقون عقاب الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الأمر والنهي .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير قاعدة: (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .
- ٢- تقرير أن ديار الظالمين مآلها الخراب فالظلم يذر الديار بلا قع .
- ٣- تقرير أن الإيمان والتقوى هما سبب النجاة لأن ولاية الله للعبد تتم بهما .

وَلَوْ طَآئِفًا لِقَوْمِهِ

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيَنْتُمْ لَتَأْتُونَ

الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

ولوط : أي واذكر لقومك لوطاً إذ قال لقومه .

(١) النظر هنا : قلبي ليس بصرياً لعدم وجود الهلكى بين يدي الناظر .
 (٢) قرىء (إننا) بكسر الهمزة على الاستثناف البياني ، وقرىء : (أنا) بفتح الهمزة ، فمن فتح الهمزة لا يحسن له الوقف على مكرهم ، ومن كسر الهمزة جاز له الوقف على مكرهم .
 (٣) بيوتهم المنحوتة من الجبال ما زالت إلى اليوم ، وقد وقفنا عليها وهي عجب في فن البناء والنحت .
 (٤) زيادة كان في قوله : (وكانوا يتقون) للدلالة على أنهم كانوا متمكنين من التقوى التي هي فعل المأمور واجتناب الشرك والمنهي عنه من اعتقاد وقول وعمل وصفة .

- لقومه : هم سكان مدن عمورية وسدوم .
 الفاحشة : أي الخصلة القبيحة الشديدة القبح وهي اللواط .
 وأنتم تبصرون : إذ كانوا يأتونها في أندية عياناً بلا ستر ولا حجاب .
 قوم تجهلون : أي قبح ما تأتون وما يترتب عليه من خزي وعذاب .

معنى الآيتين :

هذا بداية قصص لوط عليه السلام مع قومه اللوطيين فقال تعالى ﴿ولوطاً﴾^(١) أي واذكر كما ذكرت صالحاً وقومه اذكر لوطاً ﴿إذ قال لقومه﴾ منكرأ عليهم موبخاً مؤنباً لهم على فعلتهم الشنعاء ﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾ أي قبحها وشنعائها ببصائرهم وبأبصاركم حيث كانوا يأتونها علناً وعياناً وهم ينظرون وقوله ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ أي لا للعفة والإحصان ولا للولد والإنجاب بل لقضاء الشهوة البهيمية فشانكم شأن البهائم لا غير . وفي نفس الوقت أذيتهم نساءكم حيث تركتم إتيانهم فهضمتهم حقوقهن . وقوله تعالى ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ أي قال لهم لوط عليه السلام أي ما كان ذلك الشر والفساد منكم إلا لأنكم قوم سوء جهلة بما يجب عليكم لربكم من الإيمان والطاعة وما يترتب على الكفر والعصيان من العقاب والعذاب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان عليه قوم لوط من الفساد والهبوط العقلي والخلقي .
- ٢- تحريم فاحشة اللواط وأنها أقيح شيء وأن فاعلها أحط من البهائم .
- ٣- بيان أن الجهل بالله تعالى وما يجب له من الطاعة، وبما لديه من عذاب وما عنده من نعيم مقيم هو سبب كل شر في الأرض وفساد . ولذا كان الطريق إلى إصلاح البشر هو

(١) أي : اذكر لوطاً أو: أرسلنا لوطاً، الكل محتمل وجائز.

(٢) هم أهل سدوم وعمورية .

(٣) أعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعائها، والاستفهام للإنكار والتوبيخ لفعلتهم الشنعاء .

(٤) (تجهلون) : إما أمر التحريم أو العقوبة، ووصفهم بالجهل، وهو اسم جامع لأحوال أفن الرأي وقساوة القلب وعماء، ووصفهم في الأعراف بالإسراف وذلك نظراً إلى تعدد مواقف الوعظ والإرشاد .

النمل

تعريفهم بالله تعالى حتى إذا عرفوه وآمنوا به أمكنهم أن يستقيموا في الحياة على منهج الإصلاح المهيب للسعادة والكمال.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءً مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي لم يكن لهم من جواب إلا قولهم أخرجوا آل لوط : هم لوط عليه السلام وامرأته المؤمنة وابنتاه .
من قريبتكم : أي مدينتكم سدوم .
يتطهرون : أي يتنزّهون عن الأقدار والأوساخ .
قدرناها من الغابرين : أي حكمنا عليها أن تكون من الهالكين .
فساء مطر المنذرين : أي قبح مطر المنذرين من أهل الجرائم أنه حجارة من سجيل .

معنى الآيات :

هذه بقية قصص لوط عليه السلام إنه بعد أن أنكر لوط عليه السلام على قومه فاحشة اللواط وأنبهم عليها، وقبح فعلهم لها أجابوه مهددين له بالطرد والإبعاد من القرية كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ . وعللوا لقولهم هذا بقولهم ﴿إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَنْطَهُرُونَ﴾ . أي يتنزّهون عن الفواحش . قالوا هذا تهكماً، لا إقراراً منهم على أن الفاحشة قدر يجب التنزه عنه . ولما بلغ بهم الحد إلى تهديد نبي الله لوط عليه السلام بالطرد والسخرية منه أهلكهم الله تعالى وأنجى لوطاً وأهله إلا إحدى امرأته وكانت عجوزاً كافرة وهو معنى قوله تعالى في الآية ﴿٥٧﴾ ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ حكمنا ببقائها مع الكافرين لتهلك معهم . وقوله تعالى في الآية ﴿٥٨﴾ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ هو بيان لكيفية إهلاك قوم لوط بأن

(١) أي : عن أدبار الرجال استهزاء منهم : قاله مجاهد، وقال قتادة : عابوهم والله بغير عيب بأنهم يتطهرون من أعمال السوء .

(٢) (من الغابرين) قال ابن كثير: أي من الهالكين مع قومها لأنها كانت رداء لهم على دينهم وعلى طريقتهم في رضاها بأنعالهم الفبيحة، فكانت تدل قومها على ضيقان لوط ليأتوا إليهم .

(١) أمطر عليهم حجارة من سجيل منضود فأهلكهم. ﴿فساء مطر المنذرين﴾ أي قبح هذا المطر من مطر المنذرين الذين كذبوا بما أنذروا به وأصروا على الكفر والمعاصي. وهذا المطر كان بعد أن جعل الله عاليي بلادهم سافلها، أردف خسفها بمطرٍ من حجارة لتصيب من كان بعيداً عن المُدُن.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة أن الظلمة إذا أعتيمت الحجج والبراهين يفزعون إلى القوة.
- ٢ - بيان سنة أن المرء إذا أذمن على قبح قول أو عمل يصبح غير قبيح عنده.
- ٣ - سنة إنجاء الله أوليائه وإهلاكه أعداءه بعد إصرار المنذرين على الكفر والمعاصي.

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ

عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾
 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ
 أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾
 أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا
 رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ
 أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ
 اللَّهُ بِمَا نَدَّكَرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي
 ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

(١) الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم.

رَحْمَتِهِ ۖ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ

أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَا تُوَابِرُهُنَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

اصطفى	: أي اختارهم لحمل رسالته وإبلاغ دعوته .
آله خير	: أي لمن يعبده .
حدائق ذات بهجة	: أي بساتين ذات منظر حسن لخضرتها وأزهارها .
يعدلون	: أي يربهم غيره من الأصنام والأوثان .
جعل الأرض قراراً	: أي قارة ثابتة لا تتحرك ولا تضطرب بسكانها .
وجعل خلالها أنهاراً	: أي جعل الأنهار العذبة تتخللها للشرب والسقي .
وجعل لها رواسي	: أي جبالاً أرساها بها حتى لا تتحرك ولا تميل .
بين البحرين حاجزاً	: أي فاصلاً لا يختلط أحدهما بالآخر .
ويكشف السوء	: أي الضر، المرض وغيره .
قليلاً ما تذكرون	: أي ماتعظون إلا قليلاً .
بشراً بين يدي رحمته	: أي مبشرة بين يدي المطر إذ الرياح تتقدم ثم باقي المطر .

أمن يبدأ الخلق ثم يعيده أي : يبدؤه في الأرحام ، ثم يعيده يوم القيامة .
هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين : أي حججتكم إن كنتم صادقين أن مع الله لها آخر فعل ماذكر .

معنى الآيات :

لما أخبر الله تعالى رسوله بإهلاك المجرمين ونجاة المؤمنين أمر تعالى رسوله أن يحمده على ذلك تعليماً له ولأمته إذا تجددت لهم نعمة أن يحمداوا الله تعالى عليها ليكون ذلك من شكرها قال تعالى : ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ (١) أي الوصف بالجميل لله استحقاقاً .

(١) قال بعضهم : المأمور بالحمد هنا : لوط عليه السلام ورد وهو الحق أن المأمور به هو رسول الله ﷺ .

(١) ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ (٢) الله لرسالته وإبلاغ دعوته إلى عباده ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا على ذلك في الحياتين .

وقوله تعالى : ﴿أالله خير أمأ يشركون﴾ (٣) أي آ الله الخالق الرازق المدبر القوى المنتقم من أعدائه المكرم لأوليائه؛ عبادته خير لمن يعبده بها أم عبادة من يشركون . فقوله ﴿أمن﴾ (٤) خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء﴾ أي لحاجتكم إليه غسلأ وشربأ وسقيا ﴿فأنبتنا به حدائق﴾ أي بساتين محدقة بالجدران والحواجز ﴿ذات بهجة﴾ أي حسن وجمال ، ﴿ماكان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي لم يكن فى استطاعتكم أن تنبتوا شجرها ﴿أإله مع الله﴾ لا والله ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ أي يشركون بربهم أصنامأ وسؤونها به فى العبادات . وقوله تعالى : ﴿أمن جعل الأرض قرارأ﴾ (٥) أي قارة ثابتة لا تتحرك بسكانها ولا تضطرب بهم فيهلكوا . ﴿وجعل خلالها أنهارأ﴾ أي فيما بينها . ﴿وجعل لها رواسى﴾ أي جبأأ تثبتها ، ﴿وجعل بين البحرين﴾ العذب والملح ﴿حاجزأ﴾ (٦) حتى لا يختلط الملح بالعذب فيفسده .

﴿أإله مع الله؟﴾ والجواب : لا والله . ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ولو علموا لما أشركوا

(١) أصل السلام : السلامة والأمن ثابتان لمن يسلم عليه عند ملاقاته إذ قد يكون بينهما إحن فكان لفظ السلام كالعهد بالأمان ، وقيل : السلام عليكم : كانت تحية البشر فى عهد آدم عليه السلام .

(٢) قال بعضهم : الذين اصطفوا هم أمة محمد ﷺ ، وقيل : هم الصحابة ورد هذا بما هو الحق وهو (أن الذين اصطفوا) هم : رسل الله عليهم السلام وفى الآية تعليم أدب رفيع وهو أن من افتتح كلامه مذكراً أو واعظأ أو معلماً دارساً يفتتح كلامه بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ .

(٣) (أالله) الاستفهام تقريرى وهو الإجراء المخاطب إلى الإقرار ، وخير هنا : ليست بمعنى أفضل ، إذ لا خير البتة فى آلهة المشركين وإنما من باب إيهام الخصم بأنه يعترف له بما يعتقد من خير فى إلهه ، حتى يُضنى ويسمع ويتأمل عله يهتدي أو هو مثل قول الشاعر :

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء

(٤) (أما) أصلها : أم المعادلة للهمزة وما : الموصولية أذغمت فيها أم فصارت أما والعائد محذوف تقديره : تشركونها ، أي ألتهتم بالله تعالى .

(٥) (أم) المنقطعة بمعنى بل للاضراب الانتقالي من الاستفهام التهكمى للاستفهام التقريرى أي : الذى خلق السموات وما عطف عليها خير وأحق بالعبادة .

(٦) هذا استثناء كالنتيجة للكلام قبلها لأن إثبات الخلق والرزق لله تعالى لا دليل لا يسعهم إلا الإقرار به ينتج أنه لا إله معه ، والاستفهام إنكاري أي : إنكار وجود إله مع الله الخالق الرازق والجواب : لا إله مع الله .

(٧) القرار : مصدر قرير قرأ الشيء : إذا سكن وثبت ، وصفت الأرض بالقرار مبالغة فى سكونها وثباتها حيث لا تتحرك ولا تضطرب بأهلها على مدى الحياة فى حين أنها سابحة فى الفضاء متحركة فى كل لحظة فسبحان الله العلي القدير العزيز الحكيم .

(٨) إن هذا الحاجز ليس جسماً غير الماء إنما هو تفاوت الثقل النسبى لاختلاف أجزاء الماء المركب منها الماء المالح والماء العذب ، فالحاجز حاجز من طعميهما وليس جسماً آخر فاصلاً بينهما .

(١) بالله مخلوقاته . وقوله تعالى : ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ أي ليكشف ضره ﴿ويكشف السوء﴾ أي يبعده والسوء هو مايسوء المرء من مرض وجوع وعطش وقحط وجذب . ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ جعل جيلاً يخلف جيلاً وهكذا الموجود خلف لمن سلف وسيكون سلفاً لمن خلف ﴿أإله مع الله والجواب لا إله مع الله قليلاً ماذكرون﴾ أي ماتتظنون إلا قليلاً بما تسمعون وترون من آيات الله .

وقوله تعالى : ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ في الليل بالنجوم وفي النهار بالعلامات الدالة والهادية إلى مقاصدكم ﴿ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ أي من يثير الرياح ويرسلها تتقدم المطر وتبشر به؟ لا أحد غير الله إذا . . أإله مع الله . والجواب : لا ، لا . . الله وحده الإله الحق وماعداه فباطل .

وقوله تعالى : ﴿تعالى الله عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين أصناماً لا تبدىء ولا تعيد ولا تخلق ولا ترزق ولا تعطي ولا تمنع . وقوله تعالى : ﴿أمن يبدأ الخلق﴾ أي نطقاً في الأرحام ، ثم بعد حياته يميته ، ثم يعيده وهو معنى ﴿ثم يعيده﴾ .

﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر ﴿والأرض﴾ بالنبات . والجواب : الله إذا ﴿أإله مع الله﴾ والجواب : لا ، لا وإن قلتم هناك آلهة مع الله ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أي حججكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن غير الله يفعل شيئاً مما ذكر في هذا السياق الكريم .

هداية الآيات :

- ١ - وجوب حمد الله وشكره عند تجدد الشكر، والحمد لله رأس الشكر.
- ٢ - مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام .
- ٣ - التنديد بالشرك والمشركين .
- ٤ - تقرير التوحيد بأدلته الباهرة العديدة .
- ٥ - تقرير عقيدة البعث الآخر وإثباتها بالاستنباط من الأدلة المذكورة .
- ٦ - لا تثبت الأحكام إلا بالأدلة النقلية والعقلية .

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ

(١) قال ابن عباس: المضطر هو: ذو الضرورة المجهد، والضرورة هي: الحال المحوجة إلى الأشياء العسرة الحصول كالجوع والمرض والخوف ونحوهما من العزوبة وقلة ذات اليد.

(٢) الاستفهام توبيخي إنكاري أي: إنكار أن يكون مع الله إله آخر لما قام على ذلك من الأدلة والحجج المذكورة، وإله مرفوع بما تعلق به الظرف أو بإضمار يفعل ذلك أي: أإله مع الله يفعل ذلك.

فِي شَكِّ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 آءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاءُنَا آيَاتًا لَّمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا
 هَذَا نَحْنُ وَّآبَاءُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

من في السموات والأرض : الملائكة والناس .

الغيب إلا الله : أي ما غاب عنهم ومن ذلك متى قيام الساعة إلا الله فإنه يعلمه .

أيان يبعثون : أي متى يبعثون .

بل ادارك علمهم في : أي تلاحق وهو ما منهم أحد إلا يظن فقط فلا علم لهم بالآخرة
 الآخرة بالمرة .

بل هم منها عمون : أي في عمى كامل لا يبصرون شيئاً من حقائقها .

أئنا لمخرجون : أي أحياء من قبورنا .

لقد وعدنا هذا : أي البعث أحياء من القبور .

أساطير الأولين : أي أكاذيبهم التي سطروها في كتبهم .

كيف كان عاقبة : أي المكذبين بالبعث كانت دماراً وهلاكاً وديارهم الخاوية شاهدة

المجرمين بذلك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ لما سأل المشركون من قريش النبي ﷺ عن الساعة أمره تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب ﴿قل لا يعلم﴾ الخ . . . والساعة من جملة الغيب بل هي أعظمه . ﴿من في السموات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الناس ﴿إلا الله﴾ أي لكن

(١) أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قولها : من زعم أن محمداً يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ وذكر القرطبي ما خلاصته : أن منجماً أتى به إلى الحجاج فاعتقله ثم أخذ حصيات فعدها وقال للمنجم : كم من حصيات في يدي فأخبره بعددها ، ثم أخذ أخرى ولم يعدها وسأل المنجم عنها فلم يعرف عددها وكرر هذا ثلاث مرات فلم يعرف المنجم فسأله كيف عرفت في الأولى ولم تعرف في غيرها؟ قال : لأنك لما عدتها خرجت من الغيب فعلمتها أما الغيب فلا يعلمه إلا الله .

الله تعالى يعلم غيب السموات والأرض أما غيره فلا يعلم إلا ما علمه الله علام الغيوب .
 وقوله تعالى : ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أي وما يشعر أهل السموات وأهل الأرض متى
 يبعث الأموات من قبورهم للحساب والجزاء وهذا كقوله تعالى في سورة الأعراف .
 ﴿يسألونك عن الساعة قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات
 والأرض لآثاتكم إلا بغتة﴾ .

وقوله تعالى : ﴿بل أدارك علمهم في الآخرة﴾ قرء ﴿بل أدرك علمهم في الآخرة﴾ أي
 بلغ حقيقته يوم القيامة إذ يصبح الإيمان بها الذي كان غيباً شهادة ولكن لا ينفع صاحبه
 يومئذ . وقرء ﴿بل ادرك علمهم﴾ أي علم المشركين بالآخرة . أي تلاحق وأدرك بعضه
 بعضاً وهو أنه لا علم لهم بها بالمره . ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿بل هم في شك منها
 بل هم منها عمون﴾ أي لا يرون شيئاً من دلائلها ، ولا حقائقها بالمره ويدل على هذا ما أخبر
 به تعالى عنهم من أنهم لا يؤمنون بالساعة بالمره في قوله ﴿وقال الذين كفروا أنذا كنا تراباً
 وآبائنا أئنا لمخرجون﴾ أي من قبورنا أحياء . والاستفهام للانكار الشديد ويؤكدون إنكارهم
 هذا بقولهم :

لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل أي من قبل أن يعدنا محمد . ﴿إن هذا﴾ أي الوعد
 بالبعث والجزاء ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أي أكاذيبهم وحكاياتهم التي يسطرونها في الكتب
 ويقرأونها على الناس . وقوله تعالى في آخر آية من هذا السياق (٦٩) ﴿قل سيروا في الأرض﴾
 أي قل لهم يارسلنا سيروا في الأرض جنوباً أو شمالاً أو غرباً ﴿فانظروا كيف كان عاقبة
 المجرمين﴾ أي أهلكتناهم لما كذبوا بالبعث كما كذبتهم ، فالقادر على خلقهم ثم إمامتهم قادر
 قطعاً على بعثهم وإحيائهم لمحاسبتهم وجزائهم بكسبهم . فالبعث إذاً ضروري لا ينكره ذو
 عقل راجح أبداً .

(١) أصل : (أدارك) : تدارك فسكنت التاء وأدغمت في الدال وجلبت همزة الوصل فصارت : أدارك .

(٢) (عمون) أصلها : عميون : حذف الياء وضمت الميم تخفيفاً ، والمفرد عم .

(٣) قر نافع : (إذا كنا) بدون همزة استفهام ، وبتسهيل همزة أينا ، وقرأ حفص بهمزتين محقتين إذا وأئنا .

(٤) جنوباً حيث ديار عاد ، وشمالاً حيث ديار ثمود ، وغرباً حيث مدين والمؤتفكات .

هداية الآيات :

من هدية الآيات :

- ١ - حصر علم الغيب في الرب تبارك وتعالى . فمن ادعى أنه يعلم ما في غد فقد كذب .^(١)
- ٢ - تساوي علم أهل السماء والأرض في الجهل بوقت قيام الساعة .
- ٣ - المكذبون يوم القيامة سيوقنون به في الآخرة ولكن لا ينفعهم ذلك .
- ٤ - إهلاك الله الأمم المكذبة بالبعث بعد خلقهم ورزقهم دليل على قدرته تعالى على بعثهم لحسابهم وجزائهم .

وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
 وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى
 أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
 لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ
 رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

- ولا تحزن عليهم . الآية : المراد به تسليية الرسول ﷺ .
 مما يمكرون : أي بك إذ حاولوا قتله ولم يفلحوا .
 متى هذا الوعد : أي بعدابنا .
 بعض الذي تستعجلون : وقد حصل لهم في بدر .
 إن الله لذو فضل على الناس : أي في خلقهم ورزقهم وحفظهم وعدم إنزال العذاب بهم .
 ماتكن صدورهم : أي ماتخفيه وتستره صدورهم .
 وما من غائبة : أي ما من حادثة غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين
 هو اللوح المحفوظ مدونة فيه مكتوبة .

(١) شاهده حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها وقد تقدم انفا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة المشركين إلى التوحيد والإيمان بالنبوة والبعث الآخر ولقد تقدم تقرير كل من عقيدة التوحيد بأدلة لأترد، وكذا تقرير عقيدة البعث والجزاء ولكن المشركين مازالوا يعارضون ويمانعون بل ويمكرون فلذا نهى الله تعالى رسوله عن الحزن على المشركين في عدم إيمانهم كما نهاه عن ضيق صدره مما يمكرون ويكيدون له ولدعوة الحق التي يدعو إليها. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٧٠) وأما الآية الثانية والثالثة فإنه تعالى يخبر رسوله بما يقول أعداؤه ويلقنه الجواب. فقال تعالى : (٧١) ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ - أي بالعذاب - ﴿إن كنتم صادقين﴾ - فيما تقولون وتعدون - ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾ أي اقترب منكم ودنا وهو ما حصل لهم في بدر من الأسر والقتل هذا ما دلت عليه الآيتان (٧١ و ٧٢).

وقوله تعالى : ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ مؤمنهم وكافرهم إذ خلقهم ورزقهم وعافاهم ولم يهلكهم بذنوبهم ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ فهاهم أولاً يستعجلون العذاب ويطالبون به ومع هذا يمهلهم لعلهم يتوبون، وهذا أعظم فضل. وقوله تعالى : ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ أي لا يخفى عليه من أمرهم شيء وسيحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ ووعيد لهم وتهديد وقوله تعالى : ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ . وهو اللوح المحفوظ أي إن علم ربك أحاط بكل شيء ولا يعزب عنه شيء وهذا مظهر من مظاهر العلم الإلهي المستلزم للبعث والجزاء، إذ لو قل علمه بالخلق لكان من الجائز أن يترك بعضاً لا يبعثهم ولا يحاسبهم ولا يجزيهم .

(١) الضيق : بفتح الضاد وكسرهما قرأه الجمهور بالفتح، وقرأ غيرهم بالكسر وحقيقة الضيق : عدم اتساع المكان أو الوعاء لما يراد إدخاله فيه، والمراد به هنا الحالة الحرجة التي تعرض للنفس عند كراهية شيء فيحس بضيق في صدره.

(٢) ومن أعظم مكرهم به ﷺ حكمهم الجائر بقتله في مكة لولا أن الله أنجاه منهم .

(٣) الاستفهام للإنكار والاستبعاد، والآية نزلت في المستهزئين الذين هلكوا بيدر.

(٤) هذا تفسير لـ(ردف لكم) يقال : ردفه وأردفه : إذا تبعه كتبعه واتبعه وردفه وردد له بمعنى قال الشاعر:

عاد السواد بياضاً في مفارقه لا مرحباً ببياض الشيب إذ ردف

والشاهد في ردف وأردف : إذا تبع، وقال آخر:

إذا الجزاء أردفت الثرىا ظننت بأل فاطمة الظنوننا

(٥) في إدرار الرزق وتأخير العقوبة .

(٦) قرىء : تكن من كن الشيء يكنه إذا ستره، وقرأ الجمهور (تكن) من أكن الشيء إذا ستره أيضاً.

(٧) قال الحسن : الغائبة هنا : القيامة، وهو حق ولكن اللفظ أعم إذ هو يشمل كل غيب وهو ما غاب عن الخلق في الأرض أو في السماء، فالله تعالى يعلمه وكيف لا، وقد كتبه في كتاب المقادير والغائبة : اسم للشيء الغائب، والناء فيه للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالتاء في الفاتحة، والعاقبة، والمراد ما غاب عن علم الناس، واشتقاقه من الغيب ضد الحضور.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تسلية الرسول ﷺ لأنه يعاني شدة من ظلم المشركين وإعراضهم .

٢ - بيان تعنت المشركين وعنادهم .

٣ - تحقق وعد الله للمشركين حيث نزل بهم بعض العذاب الذي يستعجلون .

٤ - بيان فضل الله تعالى على الناس مع ترك أكثرهم لشكره سبحانه وتعالى .

٥ - بيان إحاطة علم الله بكل شيء .

٦ - إثبات وتقرير كتاب المقادير، وهو اللوح المحفوظ .

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

يَقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ

بِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ

الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمُوتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ

إِذَا وُلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۗ إِنْ

تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

يقص على بنى إسرائيل : أي يذكر أثناء آياته كثيراً مما اختلف فيه بنو إسرائيل .

لهدى ورحمة للمؤمنين : أي به تتم هداية المؤمنين ورحمتهم .

يقضى بينهم بحكمه : أي يحكم بين بنى إسرائيل بحكمه العادل .

وهو العزيز العليم : الغالب على أمره، العليم بخلقه .

فتوكل على الله : أي ثق فيه وفوض أمرك إليه .

إنك لا تسمع الموتى : أي لو أردت أن تسمعهم لأنهم موتى .

ولا تسمع الصم الدعاء : أي ولا تقدر على إسماع كلامك الصم الذين فقدوا حاسة السمع.

إذا ولوا مدبرين : أي إذا رجعوا مدبرين عنك غير ملتفتين إليك .
إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا: أي ماتسمع إلا من يؤمن بآيات الله .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إن هذا القرآن﴾ الكريم الذي أنزل على محمد ﷺ [يقصص على بني إسرائيل] المعاصرين لنزوله (أكثر الذي هم فيه يختلفون) كاختلافهم في عيسى عليه السلام ووالدته، إذ غلا فيهما البعض وأفرطوا فألهوهما وفرط فيهما البعض فقالوا في عيسى ساحر، وفي مريم عاهرة لعنهم الله، وكاختلافهم في صفات الله تعالى وفي حقيقة المعاد، وكاختلافهم في مسائل شرعية وأخرى تاريخية . وقوله تعالى : ﴿وإنه لهدى ورحمة﴾ أي وإن القرآن الكريم لهدى، أي لهاد لمن آمن به إلى سبيل السلام ورحمة شاملة ﴿للمؤمنين﴾ به، العاملين بما فيه من الشرائع والآداب والأخلاق . وقوله تعالى : ﴿إن ربك﴾ أي أيها الرسول ﴿يقضي بينهم﴾ أي بين الناس من وثنيين وأهل كتاب يوم القيامة بحكمه العادل الرحيم، وهو العزيز ﴿الغالب الذي ينفذ حكمه فيمن حكم له أو عليه﴾ العليم ﴿بالمحقين من المبطلين من عباده فلذا يكون حكمه أعدل وأرحم ولذا﴾ فتوكل على الله ﴿أيها الرسول بالثقة فيه وتفويض أمرك إليه فإنه كافيك . وقوله : ﴿إنك على الحق المبين﴾ أي إنك يارسلنا على الدين الحق الذي هو الإسلام وخصومك على الباطل فالعاقبة الحسنى لك، لا محالة . وقوله تعالى : ﴿إنك لاتسمع الموتى﴾ والكفار موتى بعدم وجود روح الإيوان في أجسامهم والميت

(١) هذا الكلام مستأنفاً استئنافاً بيانياً إذ هو جواب لكل شك في توحيد الله وفي البعث الآخر وفي نبوة رسوله محمد ﷺ فمن قال: كيف يكون لا إله إلا الله وكيف يكون البعث وكيف يكون محمد رسولاً؟ فالجواب: أن هذا القرآن العظيم أكبر برهان وأعظم دليل على صدق تلك القضايا الثلاث: التوحيد، والبعث، والنبوة.

(٢) هذا التوكيد بأن في المواطن الثلاثة: (إن هذا القرآن) و(إنه لهدى) (إن ربك يقضي) تطلبه الابتداء من جهة وشأن الاخبار من جهة أخرى . لأن عادة الإنسان إذا أخبر بخبر ذي شأن يتساءل في نفسه عن صحته وعدمها فيتعين التأكيد له .

(٣) خصّ المؤمنون بالذكر دون الكافرين لأنهم هم المنتفعون به .

(٤) جائز أن يكون المراد من الحكم: الحكمة، أي: يحكم بينهم بالحكمة التي تضع كل شيء في موضعه فلا يحدث حيف ولا جور . وإطلاق الحكم على الحكمة كثير في القرآن منه: (وأتيناه الحكم صبياً) ويجوز أن يكون الحكم على ظاهره أو يحكم بينهم بحكمه المعروف بالعدل والنزاهة من الحيف والجور والخطأ .

(٥) الفاء تفرعية أي: فبناء على عزة الله وعلمه فتوكل عليه ولا تخف فإنه لعزته وعلمه لا يضيعك ولا يهمل شأنك .

لا يسمع فلذا لا تقدر على إسماع هؤلاء الكافرين الأموات^(١)، كما أنك ﴿لاتسمع الصم﴾ أي الفاقدين لحاسة السمع ﴿الدعاء﴾ أي دعاءك ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ أي إذا رجعوا مدبرين غير ملتفتين إليك. ﴿وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم﴾ التي يعيشون عليها فهون على نفسك ولا تكرب ولا تحزن ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا﴾ أي ماتسمع إسماع تفهم وقبول إلا المؤمنين بآيات الله، ﴿فهم مسلمون﴾ أي فهم من أجل إيمانهم مسلمون أي منقادون خاضعون لشرع الله وأحكامه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - شرف القرآن وفضله .

٢ - لن ينتهي خلاف اليهود والنصارى إلا بالإسلام فإذا أسلموا اهدوا للحق وانتهى كل خلاف بينهم .

٣ - كل خلاف بين الناس اليوم سيحكم الله تعالى بين أهله يوم القيامة بحكمه العادل ويوفى كلامه أو عليه وهو العزيز العليم .

٤ - الكفار أموات لخلو أبدانهم من روح الإيـان فلذا هم لا يسمعون الهدى ولا يبصرون الآيات مهما كانت واضحات .

فعلى داعيهم أن يعرف هذا فيهم وليصبر على دعوتهم ودعوايهم .

﴿وَإِذَا

وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ
النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ
قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلِمْنَا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(١) احتجت عائشة رضي الله عنها بهذه الآية على عدم إسماع النبي ﷺ موتي بدر لما قيل لها في ذلك ورد عليها قولها إذ استعملت القياس العقلي مع وجود النص ولا قياس مع النص فقد صح أنه ﷺ ناداهم وهم في القلب وقال لهم (أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً. فقيل: يا رسول الله: ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ فقال النبي ﷺ (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما وقد خصصت هذه الآية بإسماع أهل القبور. سلام من سلم عليهم.

﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلَ الْيَلِ لَيْسَ كُنُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

شرح الكلمات :

- وقع القول عليهم : أي حق عليهم العذاب .
 دابة من الأرض : حيوان يدب على الأرض لم يرد وصفها في حديث صحيح يعول عليه ويقال به (١).
 تكلم الناس : بلسان يفهمونه لأنها آية من الآيات .
 أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون : أي بسبب أن الناس أصبحوا لا يؤمنون بآيات الله وشرائعه أي كفروا فيبلون بهذه الدابة .
 ويوم نحشر : أي اذكر يوم نحشر أي نجمع .
 من كل أمة فوجاً : أي طائفة وهم الرؤساء المتبوعون في الدنيا .
 فهم يوزعون : أي يجمعون برد أولهم على آخرهم .
 حتى إذا جاءوا : أي الموقف مكان الحساب .
 وقع القول عليهم : أي حق عليهم العذاب .
 بما ظلموا : أي بسبب الظلم الذي هو شركهم بالله تعالى .
 فهم لا ينطقون : أي لاحجة لهم .
 والنهار مبصراً : أي يبصر فيه من أجل التصرف في الأعمال .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي حق العذاب على الكافرين حيث لم يبق في

(١) مثل تلك الأحاديث : حديث حذافة ونصه : كما رواه أبو داود الطيالسي قال : (ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - مكة - ثم تكمن زماناً ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشوا ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة . قال رسول الله ﷺ ثم بينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس منها شتى ومعاً وثبتت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله فبدأت بهم فجعلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرّي ، وولت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق فتتميز الكافر من المؤمن) .

الأرض من يأمر بمعروف ولا من ينهى عن منكر ﴿أخرجنا لهم﴾ لفتنتهم ﴿دابة من الأرض﴾ حيوان أرضى ليس بسماوي ﴿تكلمهم﴾ أي بلسان يفهمونه، ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ هذه علة تكليمهم وهي بأن الناس كفروا وما أصبحوا يوقنون بآيات الله وشرائعه فيخرج الله تعالى هذه الدابة ليحكم منها: أن بها يتميز المؤمن من الكافر. وقوله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ أي واذكر يارسولنا ﴿يوم نحشر من كل أمة﴾ من الأمم البشرية ﴿فوجاً﴾ أي جماعة ﴿من يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ بأن يرد أولهم على آخرهم لينتظم سيرهم ﴿حتى إذا جاءوا﴾ الموقف موضع الحساب يقول الله تعالى لهم: ﴿أكذبتم بآياتي﴾ وما اشتملت عليه من أدلة وحجج وشرائع وأحكام ﴿ولم تحيطوا بها علماً﴾، وهذا تقريع لهم وتوبيخ. إذ كون الانسان لم يحط علماً بشيء لا يجوز له أن يكذب به لمجرد أنه ما عرفه. وقوله: ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ أي ما الذي كنتم تعملون في آياتي من تصديق وتكذيب. قال تعالى ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي وجب العذاب ﴿بما ظلموا﴾ أي بسبب ظلمهم^(١) ﴿فهم لا ينطقون﴾. أي بعجزهم عن الدفاع عن أنفسهم لأنهم ظلموا مشركون. وقوله تعالى: ﴿الم يروا﴾ أي ألم يبصر أولئك المشركون المكذبون بالبعث والجزاء أن الله تعالى جعل ﴿الليل ليسكنوا فيه﴾ وسكونهم هو موتهم على فرشهم بالنوم فيه ﴿والنهار﴾ أي وجعل ﴿النهار مبصراً﴾ أي يبصر فيه ليتصرفوا فيه بالعمل لحياتهم، فنوم الليل شبيه بالموت وانبعاث النهار شبيه بالحياة، فهي عملية موت وحياة متكررة طوال الدهر فكيف ينكر العقلاء البعث الآخر وله صورة متكررة طوال الحياة، ولذا قال تعالى: ﴿إن في ذلك﴾ أي في ذلك العمل المتكرر للموت والحياة كل يوم وليلة ﴿آيات﴾ أي براهين وحجج قاطعة على وجود بعث وحياة بعد هذا الموت والحياة. وخص المؤمنين بالذكر وبالوصول على البرهان المطلوب من عملية الليل والنهار لأن المؤمنين أحياء يسمعون ويبصرون ويفكرون والكافرين أموات والميت لا يسمع ولا يبصر ولا يعي ولا يفكر.

(١) قرأ نافع بكسر إن، والجملة تعليلية لما قبلها، وقرأ حفص بفتحها على تقدير حرف جر قبلها بأن أو لأن للسببية أو التعليل.

(٢) أي: بشرتهم إذ الشرك أعظم أنواع الظلم وهو المرجب لدخول النار والخلود فيها.

(٣) الاستفهام هنا للتعجب من حالهم كيف لا يبصرون آيات الله في الكون فتهدبهم إلى توحيد الله تعالى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تأكيد آية الدابة والتي تخرج من صدع من الصفا وقد وجد الصدع الآن فيما يبدو وهي الأنفاق التي فتحت في جبل الصفا وأصبحت طرقاً عظيمة للحجاج، وعماً قريب تخرج، وذلك يوم لا يبقى من يأمر بالمعروف ولا من ينهى عن المنكر فيحق العذاب على الكافرين.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر وصف لها.
- ٣ - ويل لرؤساء الضلالة والشر والشرك والباطل إذ يؤث بهم ويسألون.
- ٤ - في آية الليل والنهار ما يدل بوضوح على عقيدة البعث الآخر والحساب والجزاء.

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ
 مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ
 دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ
 صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ لِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾
 مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَرَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ
 إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

شرح الكلمات :

- ويوم ينفخ في الصور : أي يوم ينفخ إسرافيل في البوق نفخة الفزع والقيام من القبور.
- وكل أتوه داخرين : أي وكل من أهل السماء والأرض أتوا الله عز وجل داخرين أي أذلاء صاغرين.
- وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب : أي تظنها في نظر العين جامدة.
- إلا ما كنتم تعملون : وذلك لسرعة تسييرها.

- من جاء بالحسنة : وهي الإيثار والتوحيد وسائر الصالحات .
 فله خير منها : أي الجنة .
 ومن جاء بالسيئة : أي الشرك والمعاصي فله النار يكب وجهه فيها .
 وهم من فزع يومئذ آمنون : أي أصحاب حسنات التوحيد والعمل الصالح آمنون من فزع هول يوم القيامة .
 ومن جاء بالسيئة فكبت : أي جاء بالسيئة كالشرك وأكل الربا، وقتل النفس، فكبت وجوههم في النار والعياذ بالله أي القوافيها على وجوههم هل تجزون إلا ماكنتم تعملون : أي ما تجزون إلا بعملكم ، ولا تجزون بعمل غيركم .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث القيامة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي هي الباعث على الاستقامة في الحياة . فقال تعالى ﴿ ويوم ينفخ في الصور ﴾ أي ونفخ إسرافيل بإذن ربه في الصور الذي هو القرن أو البوق ﴿ ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ﴾ وهي نفخة الفزع فتفزع لها الخلائق إلا من استثنى الله تعالى وهم الشهداء فلا يفزعون وهي نفخة الفناء أيضاً إذ بها يفنى كل شيء ، وقوله تعالى ﴿ وكل أتوه ﴾ أي أتوا الله تعالى ﴿ داخرين ﴾ أي صاغرين ذليلين أتوه إلى المحشر وساحة فصل القضاء وقوله ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة ﴾ أي لا تتحرك وهي في نفس الواقع تسير سير السحاب ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ أي أوثق صنعه وأحكمه ﴿ إنه خبير بما تفعلون ﴾ وسيجزيكم أيها الناس بحسب علمه ﴿ من جاء بالحسنة ﴾ وهي الإيمان والعمل الصالح ﴿ فله خير منها ﴾ ألا وهي الجنة ﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ وهي الشرك والمعاصي ﴿ فكبت وجوههم في النار ﴾ فذلك

(١) العامل في الظرف محذوف للعلم به أي : واذكر يوم ينفخ في الصور، والنافخ هو اسرافيل عليه السلام .
 (٢) للفزع معنيان، وكلاهما صالح لدلالة هذا اللفظ عليه، الأول: الفزع بمعنى الإسراع: لنداء الداعي، والثاني الخوف والهلع.

(٣) قرأ حفص (وكل أتوه) بالفعل الماضي، وقرأ نافع (أتوه) باسم الفاعل أي: أتون إليه جمع أت. .
 (٤) قيل: إن قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) هو خطاب للنبي ﷺ خاصة أطلعته فيه على سر من أسرار الكون ولم يبع به لعجز الناس عن إدراكه في ذلك الزمن وحقيقته: أن الأرض تدور حول الشمس دورة في كل يوم وليلة، ودورتها هي تسير معها الجبال فيها قطعاً فيرى المرء الجبال يحسبها جامدة وهي تمر مع الأرض مر السحاب والمرور غير السير فالسير يوم الفناء أما المرور يقال: مر بفلان يحمله معه ولا يقال سار به. ورشح هذا المعنى قوله بعد: (صنع الله الذي أتقن كل شيء).

(٥) الصنع مصدر صنع الشيء يصنعه صنعا.

جزاء من جاء بالسيئة .

وقوله تعالى : ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي لا تجزون إلا ما كنتم تعملونه في الدنيا من خير وشر وقد تم الجزاء بمقتضى ذلك فقوم دخلوا الجنة وآخرون كبت وجوههم في النار .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها مفصلة .
- ٢ - بيان كيفية خراب العوالم وفناء الأكوان .
- ٣ - فضل الشهداء حيث لا يحزنهم الفزع الأكبر وهم آمنون .
- ٤ - تقرير مبدأ الجزاء وهو الحسنه والسيئة ، حسنة التوحيد وسيئة الشرك .

إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ
الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ
لِلَّهِ سِيرِيكُمْ أَيَّنَّهُ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-----------------|---|
| هذه البلدة | : أي مكة المكرمة والاضافة للتشريف . |
| الذي حرمها | : أي الله الذي حرم مكة فلا يحتل خلاها ولا ينفر صيدها ولا يقاتل فيها . |
| من المسلمين | : المؤمنين المتقادين له ظاهراً وباطناً وهم أشرف الخلق . |
| وأن أتلو القرآن | : أي أمرني أن أقرأ القرآن إنذاراً وتعليماً وتعبداً . |

(١) الاستفهام للنفي كما في التفسير .

سيريكم آياته : أي مدلول آيات الوعيد فيعرفون ذلك وقد أراهموه في بدر وسيرونه عند الموت .

وماربك بغافل عما يعملون : أي وماربك أيها الرسول بغافل عما يعمل الناس وسيجزئهم بعملهم .

معنى الآيات :

إنه بعد ذلك العرض الهائل لأحداث القيامة والذي المفروض فيه أن يؤمن كل من شاهده ولكن القوم ما آمن أكثرهم ومن هنا ناسب بيان موقف الرسول ﷺ وهو أنه عبد مأمور بعبادة ربه لا غير ربه الذي هورب هذه البلدة الذي حرماها فلا يقاتل فيها ولا يصاد صيدها ولا يختلئ خلاها ولا تلتقط لقطتها إلا لمن يعرفها، وله كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً فليس لغيره معه شيء في العوالم كلها علويتها وسفليتها وقوله : ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي وأمرني ربي أن أكون في جملة المسلمين أي المنقادين لله والخاضعين له وهم صالحو عباده من الأنبياء والمرسلين . وقوله : ﴿وأن أتلو القرآن﴾ أي وأمرني أن أتلو القرآن تلاوة إنذار وتعليم وتعبداً وتقرباً إليه تعالى وبعد تلاوتي فمن اهتدى عليها فعرف طريق الهدى وسلكه فنتائج الهداية وعائدها عائد عليه هو الذي ينتفع بها . ومن ضل فلم يقبل الهدى وأقام على ضلالته فليس علي هدايته لأن ربي قال لي قل لمن ضل ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ لا من واهبي الإيمان والهداية إنما يهب الهداية ويمن بها الله الذي بيده كل شيء ﴿وقل الحمد لله﴾ وأمرني أن أحمده على كل ما وهبني من نعم لاتعد ولا تحصى ومن أجلها إكرامه لي بالرسالة التي شرفني بها على سائر الناس فالحمد لله والمنة له وقوله ﴿سيريكم آياته فتعرفونها﴾ أي وأعلم هؤلاء المشركين أن الله ربي سيريكم آياته في مستقبل أيامكم وقد أراهم أول آية في بدر وثاني آية في الفتح وآخر آية عند الموت يوم تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وتقول لهم «ذوقوا عذاب الحريق» وقوله تعالى ﴿وماربك بغافل عما تعملون﴾ أي وماربك الذي أكرمك وفضلك أيها الرسول ﴿بغافل عما تعملون﴾ أيها الناس مؤمنين وكافرين وصالحين وفاسدين وسيجزى كلًا بعمله وذلك يوم ترجعون إليه ففي الآية وعد ووعيد .

(١) قرأ ابن عباس رضي الله عنهما : (رب هذه البلدة التي حرماها) نعتاً للبلدة . وقرأ الجمهور الذي وهو في موضع نصب نعت لرب .

(٢) أي : في أنفسكم وفي غيركم كما قال تعالى : (سنزيهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) من سورة فصلت .

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور ببناء الخطاب ، وقرأ غيرهم ببناء الغيبة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- بيان وظيفة الرسول ﷺ وأنها عبادة الله والإسلام له ، وتلاوة القرآن إنذاراً وإعذاراً وتعليماً وتعبداً به وتقرباً إلى منزله عز وجل .

٢ - بيان وتقرير حرمة مكة المكرمة والحرم .

٣ - الندب إلى حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة ولاسيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها .

٤ - بيان أن عوائد الكسب عائدة على الكاسب خيراً كانت أو شراً .

٥ - بيان معجزة القرآن الكريم إذ ما أعلم به المشركين أنهم سيرونها قد رأوه فعلاً وهو غيب ، فظهر كما أخبر .

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية

واياتها ثمان وثمانون اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ
مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

وَمِمَّنْ لَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

- طسم : هذه إحدى الحروف المقطعة تكتب طسم وتقرأ : طاء، سين، ميم .
تلك : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات القرآن الكريم .
نتلو عليك : أي نقرأ عليك قاصين شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبرهما .
لقوم يؤمنون : أي لأجل المؤمنين ليزدادوا إيماناً ويوقنوا بالنصر وحسن العاقبة .
علا في الأرض : أي تكبر وظلم فادعى الربوبية وظلم بني إسرائيل ظلماً فظيماً .
شيعاً : أي طوائف بعضهم عدو لبعض من باب فَرَّقَ تَسُدُّ .
ويستحي نساءهم : أي يبقي على النساء لا يذبح البنات لأنه لا يخاف منهن ويذبح الأولاد لخوفه مستقبلاً على ملكه منهم .
ونريد أن نمن : أي ننعيم على الذين استضعفوا فنجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين .
ما كانوا يحذرون : من المولود الذي يولد في بني إسرائيل ويذهب بملكهم .

معنى الآيات :

«طسم» : هذا اللفظ الله أعلم بمراده منه ، وقد أفاد فائدتين عظيمتين الأولى هي إعجاز القرآن الموجب للإيمان به وبمنزلة من أنزل عليه القرآن وهو محمد ﷺ وذلك أن هذا القرآن الذي أعجز العرب أن يأتوا بسورة مثله قد تألف من مثل هذه الحروف المقطعة فدل ذلك على أنه كلام الله ووحيه .

والثانية أنه لما خاف المشركون من تأثير القرآن على نفوس السامعين له وأمروا باجتنب سماعه واستعملوا وسائل شتى لمنع الناس في مكة من سماعه كانت هذه الحروف تضطرهم إلى السماع لغرابتها عندهم فإذا قرأ القارئ طسم وجد احدهم نفسه مضطراً إلى السماع ، فإذا ألقى سمعه نفذ القرآن إلى قلبه فاهتدى به إن شاء الله تعالى له الهداية كما حصل لكثيرين منهم .

وقوله تعالى : ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب المبين أي القرآن المبين

للهدى من الضلال والخير من الشر والحق من الباطل ، وقوله ﴿نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق﴾ أي نقرأ قاصين عليك أيها الرسول شيئاً من نبأ موسى وفرعون أي من خبر موسى^(١) وفرعون وقوله ﴿لقوم يؤمنون﴾^(٢) باعتبارهم أنهم هم الذين ينتفعون بها يسمعون في حياتهم ولأنهم في ظرف صعب يحتاجون معه إلى سماع مثل هذا القصص ليثبتوا على إيمانهم حتى ينصرهم الله كما نصر الذين من قبلهم بعد ضعف كان أشد من ضعفهم وقوله تعالى : ﴿إن فرعون . . .﴾ إلى آخر الآية هذا بيان لما أخبر أنه يقصه للمؤمنين ، يخبر تعالى فيقول : ﴿إن فرعون . . .﴾ إلى آخر الآية إن فرعون الحاكم المصري المسمى بالوليد بن الريان الطاغية المدعى الربوبية والألوهية ﴿علا في الأرض﴾ أي أرض البلاد المصرية ومعنى علا طغى وتكبر وتسلط^(٣) وقوله ﴿وجعل أهلها﴾ أي أهل تلك البلاد المصرية ﴿شيعاً﴾ أي طوائف فرق بينها إبقاء على ملكه على قاعدة فرق تسد المذهب السياسي القائم الآن في بلاد الكفر والظلم وقوله ﴿يستضعف طائفة﴾ من تلك الطوائف وهي طائفة بني إسرائيل وكيفية استضعافهم أنه يذبح أبناءهم ساعة ولادتهم ﴿ويستحي نساءهم﴾ أي بناتهم ليكبرن للخدمة وتذبيح الأولاد سببه ان كهانه وسياسييه أعلموه أن ملكه مهدد بوجود بني إسرائيل أقوياء كثر في البلاد فاستعمل طريقة تقليدهم والحد من كثرتهم بذيح الأولاد الذكور منهم وإبقاء الإناث منهم وهي سياسة تشبه تحديد النسل اليوم التي يستعملها الهالكون اليوم وهم لا يشعرون .

وقوله ﴿إنه كان من المفسدين﴾ هذا تعليل لعلو فرعون وطغيانه فذكر أن سبب ذلك الذي يرتكبه من السياسة العمياء الظالمة أنه ﴿من المفسدين﴾ أي في الأرض بارتكاب الجرائم العظام التي لا توصف .

وقوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ أي ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون﴾ أي من بعض خبرهما أنا نريد أي أردنا أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض أرض مصر وهم بنو إسرائيل ، نمن عليهم بإيمانهم وتخليصهم من حكم فرعون وتسلطه ونجعلهم قادة في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ لحكم البلاد وسياستها بعد إهلاك فرعون وجنوده وهو معنى قوله :

(١) مفعول (نتلوا) محذوف تقديره نتلوا عليك كلاماً من نبأ موسى .

(٢) وقارون أيضاً حيث ذكر خبره في آخر هذه السورة .

(٣) اللام في (القوم) للتعليل أي : نتلو عليك لأجل قوم يؤمنون .

(٤) وحسبه أن ادعى الألوهية والربوبية وأنه ابن الشمس .

﴿ونمكن لهم في الأرض﴾^(١) . وقوله ﴿ونري فرعون﴾ أي من جملة ما نلتو عليك أنا أردنا أن نري فرعون وهامان وجنودهما منهم ﴿أي من بني إسرائيل ما كانوا يحذرونه من مولود يولد في بني إسرائيل فيذهب بملك فرعون وذلك بما سيذكر تعالى من أسباب وترتيبات هي عجب !

تبتدىء من قوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى . . .﴾ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير إعجاز القرآن الذي هو آية أنه كتاب الله حقاً .
- ٢ - تقرير النبوة المحمدية بهذا الوحي الالهي .
- ٣ - التحذير من الظلم والاستطالة على الناس والفساد في الأرض .
- ٤ - المؤمنون هم الذين ينتفعون بما يتلى عليهم لحياة قلوبهم .
- ٥ - تقرير قاعدة لاحذر مع القدر .
- ٦ - تحريم تحديد النسل بإلزام المواطن بان لا يزيد على عدد معين من الأطفال .

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ

أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾
فَالنَّقْطَةُ دَاءٌ أَلْفِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾
وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَانْقَلَبُوهُ عَسَىٰ

(١) المراد من الأرض أرض الشام حيث ورثهم أرض الكنعانيين وهم الذين كانوا يعرفون بالجبابة . أما أرض مصر فإن بني إسرائيل لم يرجعوا إليها بعد أن خرجوا منها هكذا يرى بعضهم وأكثر المفسرين أن بني إسرائيل عادوا إلى أرض مصر وملكوها وسادوا أهلها، والله أعلم .

(٢) قرأ الجمهور (ونري) بنون العظمة والتكلم، وقرأ بعض (ويرى) بياء الغيبة أي : ويرى فرعون وجنوده .

(٣) الجنود : جمع جند، والجنند لفظ دال على جمع ولا واحد له ومعناه : الجماعة من الناس تجتمع على أمر تتبعه .

أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُمْ وُلْدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ
 فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرْعَانًا ۖ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ
 رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ
 لِأُخْتِهِ قُصِّيهٖ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

وأوحينا إلى أم موسى : أعلمناها أن ترضع ولدها الرضعات الأولى التي لا بد منها
 ثم تضعه في تابوت ثم تلقيه في اليم .
 في اليم : أي في البحر وهو نهر النيل .
 ولا تخافي ولا تخزني : أي لا تخافي أن يهلك ولا تخزني على فراقه ، إن أرادوه إليك .
 فالتقطه آل فرعون : أي أعوانه ورجاله .
 ليكون لهم عدواً وحزناً : أي في عاقبة الأمر ، فاللام للعاقبة والصيرورة .
 قرة عين لي ولك : أي تقربه عيني وعينك فنفرح به ونُسّر .
 وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً : أي من كل شيء إلا منه عليه السلام أي لا تفكر في شيء
 إلا فيه .
 إن كادت لتبدي به : أي قاربت بأن تصرخ أنه ولدها وتظهر ذلك .
 وقالت لأخته قصيه : أي اتبعي أثره حتى تعرفي أين هو .
 فبصرت به عن جنب : أي لاحظته وهي محتفيه تتبعه من مكان بعيد .

معنى الآيات :

هذه بداية قصة موسى مع فرعون وهو طفل رضيع إلى نهاية هلاك فرعون في ظرف طويل
 بلغ عشرات السنين . بدأ تعالى بقوله تعالى : ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾^(١) أي أعلمناها من
 طريق الإلقاء في القلب ﴿أن أرضعيه فإذا خفت عليه﴾ آل فرعون الذين يقتلون مواليد بني
 إسرائيل الذكور في هذه السنة ﴿فألقيه في اليم﴾ أي بعد أن تجعله في تابوت أي صندوق

(١) اختلف هل كان هذا الوحي إلهاماً أو كان مناماً أو اتاهماً ملك؟ والأقرب أنها اتاهها ملك مع الإجماع أنها لم تكن نبيّة وإنما
 أرسل إليها الملك فكلما على نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في حديث الصحيحين ، ولم يعرف لها اسم
 على الصحيح ، وقال السهيلي اسمها يارخت .

القصص

خشب مطلي بالقار، ﴿ولانخاف﴾ عليه الهلاك ﴿ولانخزي﴾ على فراقك له ﴿إنا رادوه إليك﴾^(١) لترضعيه ﴿وجاعلوه من المرسلين﴾ ونرسله إلى عدوكم فرعون وملائه. قال تعالى : ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ أي فعلت ما أمرها الله تعالى به بأن جعلته في تابوت وألقته في اليم أي النيل ﴿فالتقطه آل فرعون﴾ حيث وجدوه لقطه فأخذوه وأعطوه لآسية بنت مزاحم عليها السلام امرأة فرعون. وقوله تعالى : ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ هذا باعتبار ما يؤول إليه الأمر فهم ما التقطوه لذلك ولكن شاء الله ذلك فكان لهم ﴿عدواً وحزناً﴾ فعاداهم وأحزנם.

وقوله تعالى : ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي آثمين بالكفر والظلم ولذا يكون موسى لهم عدواً وحزناً. وقوله تعالى : ﴿وقالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ قالت هذا حين هم فرعون يقتله لما تنف موسى لحيته وهو رضيع تعلق به فأخذ شعرات من لحيته فتشاءم فرعون وأمر بقتله فاعتذرت آسية له فقالت هو ﴿قرّة عين لي ولك لا تقتلوه﴾ فقال فرعون قرّة عين لك أما أنا فلا وقلها «عسى أن ينفعنا» في حياتنا بالخدمة ونحوها «أو نتخذه ولداً» وذلك بالتبني وهذا الذي حصل ، فكان موسى إلى الثلاثين من عمره يعرف بإبن فرعون وقوله ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي بما سيكون من أمره وأن هلاك فرعون وجنوده سيكون على يده.

وقوله تعالى : ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ أي من أي شيء إلا من موسى وذلك بعد أن ألقته في اليم.

وقوله ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أي لتصرخ بأنه ولدها وتظهر ذلك من شدة الحزن لكن الله تعالى ربط على قلبها فصبرت لتكون بذلك من المؤمنين بوعد الله تعالى لها بأن يرده إليها ويجعله من المرسلين.

وقوله تعالى : ﴿وقالت لأخته قصيه﴾^(٤) أي تبغي أثره وذلك عندما ألقته في اليم وقوله

(١) حكى الأصمعي أنه سمع جارية اعرابية تنشد وتقول :

استغفر الله لذنبي كله قَبِلْتُ إنساناً بغير جَلَّة

مثل الغزال ناعماً في دَلِّهِ فانتصف الليل ولم أصله

فقلت لها : قاتلك الله ما أفصحك ! فقالت : أو يُعَدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى) إلى (إنا رادوه إليك) أي : جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

(٢) هذه اللام تسمى لام العاقبة والصبورية على حد قول الشاعر :

وللمنايا تربي كل مرضعة ودورنا لخراب الدهر نبيها

(٣) الحَزَن : محرّك الوسط كالحزن بإسكانها وضم الحاء مثل الرَشْد والرُّشْد والعَدْم والعُدْم والسَّقْم والسَّقْم لغات.

(٤) اسمها مريم بنت عمران فاتحدت معها مريم أم عيسى في اسمها واسم أبيها عليهم السلام وقيل اسمها كندم في رواية مرفوعة ضعيفة.

﴿فبصرت به عن جنب﴾^(١) أي رآته من بُعد فكانت تمشي على شاطئ النهر وتلاحقه النظر من بعد حتى رآته انتهى إلى فرع الماء الذي دخل إلى قصر فرعون فعلمت أنه قد دخل القصر. وقوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي لا يشعرون أنها أخته لما كانت تلاحقه النظر وتتعرف إليه من بعد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان تدبير الله تعالى لأوليائه وصالحى عباده وتجلي ذلك فى الوحي إلى أم موسى بارضاعه وإلقائه فى البحر والتقاط آل فرعون له ليتربى فى بيت الملك عزيزاً مكرماً.
- ٢ - بيان سوء الخطيئة وآثارها السيئة وعواقبها المدمرة وتجلي ذلك فىما حل بفرعون وهامان وجنودهما.
- ٣ - فضيلة الرجاء تجلت فى قول آسية «قرة عين لى ولك» فقال فرعون : أمالى فلا . فكان موسى قرة عين لآسية ولم يكن لفرعون .
- ٤ - بيان عاطفة الأمومة حيث أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إلا من موسى .
- ٥ - بيان عناية الله بأوليائه حيث ربط على قلب أم موسى فصبرت ولم تبده لهم وتقول هو ولدى ليمضى وعد الله تعالى كما أخبرها . والحمد له رب العالمين .

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٣﴾﴾
 فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
 أَبُوعَدَّ اللَّهُ حَقُّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾
 وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَايَنَّا هُكُمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ عَدُوِّ هَذَا

(١) (عن جنب) أي : من مكان جنب أي : جانب وناحية قال قتادة : تنظر إليه بناحية كأنها لا تريده .

فَأَسْتَعْتَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى
فَقَضَى عَلَيْهِ قَالاً هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ
﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

- وحرمانا عليه المراضع : أي منعه من قبول ثدي أئمة مرضعة .
من قبل : أي من قبل رده إلى أمه .
فأقلت هل أدلكم على : أي قالت أخت موسى .
أهل بيت يكفلونه لكم : يضمونه إليهم ، يرضعونه ويربونه لكم .
وهم له ناصحون : أي لموسى ناصحون ، فلما قالوا لها إذا كنت أنت تعرفينه ،
قالت لا ، إنما أعني أنهم ناصحون للملك لا للولد .
فرددناه إلى أمه : أي رددنا موسى إلى أمه أي قبلوا اقتراح أخته .
ولتعلم أن وعد الله حق : إذ أوحى إليها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين .
ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أكثر الناس لا يعلمون وعد الله لأم موسى ولا يعلمون أن
الفتاة أخته وأن أمها أمه .
ولما بلغ أشده واستوى : أي ثلاثين سنة من عمره فأنتهى شبابه وكمل عقله .
آتيناه حكماً وعلماً : أي وهبناه الحكمة من القول والعمل والعلم بالدين الإسلامي
الذي كان عليه بنو إسرائيل وهذا قبل أن ينبأ ويرسل .
ودخل المدينة : مدينة فرعون وهي مُنْفُ بعد أن غاب عنها مدة .
على حين غفلة من أهلها : لأن الوقت كان وقت القيلولة .
هذا من شيعته : أي على دينه الإسلامي .
وهذا من عدوه : على دين فرعون والأقباط .
فوكزه موسى ففضى عليه : أي ضربه بجمع كفه ففضى عليه أي قتله .
هذا من عمل الشيطان : أي هذا الفعل من عمل الشيطان لأنه المهيج غضبي .
إنه عدو مضل مبين : أي الشيطان عدو لابن آدم مضل له عن الهدى ، مبين ظاهر
الإضلال .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص موسى مع فرعون : إنه بعد أن التقط آل فرعون موسى من النيل وهو رضيع قدموا له المراضع فرفضهن مرضعة بعد أخرى ، فاختار آل فرعون لحبهم لموسى لأن الله تعالى ألقى عليه محبة منه فما رآه أحد إلا أحبه وهذا معنى قوله تعالى في الآية (١٢) ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ أي قبل رده إلى أمه . وقوله : ﴿فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ هذه أخته وقد أمرتها أمها أن تقص آثار موسى وتتبع أخباره فلما علمت أن أخاها لم يقبل المراضع وأن القصر في قلق من جراء عدم رضاع موسى تقدمت وقالت ما أخبر الله تعالى به عنها في قوله : ﴿فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ ويرضعونه ويحفظونه حتى تنتهي مدة رضاعته ﴿وهم له ناصحون﴾ وهنا ارتابوا في أمرها واستنطقوها واتهموها بأنها تعرفه فقالت : لا أعرفه ، إنما عنيت ﴿وهم له ناصحون﴾ أن أهل هذا البيت ناصحون للملك وهنا استجابوا لها فأنت به أمه فما إن رآها حتى رمى نفسه عليها وأخذ ثديها يمتصه فقالوا لها : ما سر قبوله هذه المرأة فأجابت : بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذنوا لها في إرضاعه في بيتها فعادت به وهو معنى قوله تعالى ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ أي تفرح وتسر ولا تحزن على فراقه ، ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ إذ وعدها بأنه راده إليها . وقوله تعالى : ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنها أمه ولا أن الله وعدها بأن يرده إليها . وقوله تعالى : ﴿ولما بلغ﴾ أي موسى ﴿أشدّه﴾ أي اكتمال شبابه وهو ثلاثين سنة . ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ أي حكمة وهي الإصابة في الأمور ﴿وعلماً﴾ فقهاً في الدين الإسلامي الذي كان عليه بنو إسرائيل . وقوله تعالى ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما جزينا أم موسى وولدها موسى نجزي المحسنين وقوله

(١) هذا التحريم ليس التحريم الشرعي وإنما هو بمعنى المنع فقط لعدم تكليف الطفل وشاهده قول امرئ القيس :

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري إني امرؤ صرعي عليك حرام

والمراضع : جمع مرضع بدون تاء إذ ليس في الذكور من يرضع فيفرق بينهما بالتاء .

(٢) الجملة في محل نصب حالية .

(٣) الفاء للعطف والتفريع ، إذ قوله تعالى : (فرددناه إلى أمه) متفرع من قوله (هل أدلكم على أهل بيت) إلى قوله (ناصرين) .

(٤) قال مالك وربيعة شيخه : الأشد : الحلم لقوله تعالى : (حتى إذا بلغوا النكاح) وهو أول الأشد وأقصاه أربع وثلاثون سنة . واستوى : أي : بلغ أربعين سنة .

(٥) جزاها على استسلامها لأمر ربها وصبرها على فراق ولدها إذ ألقته في اليم وعلى تصديقها بوعد ربها ، ومما جزاها به رده ولدها إليها مصحوباً بالتحف والظرف وهي أمانة ووهب ولدها الحكمة والعلم والنبوة .

تعالى : ﴿ودخل المدينة﴾ أي موسى دخل مدينة مُثَفُ التي هي مدينة فرعون وكان غائباً فتسرة . ﴿على حين غفلة من أهلها﴾ لأن الوقت كان وقت القيلولة . ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ على دين موسى وبني إسرائيل وهو الإسلام ﴿وهذا من عدوه﴾ لأنه على دين فرعون والأقباط وهو الكفر . ﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾ أي طلب غوثه على الذي من عدوه ﴿فوكزه موسى﴾ أي ضربه بجمع كفه ﴿فقضى عليه﴾ أي فقتله ودفنه في الرمال . وقوله تعالى : ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ أي هذا قول موسى عليه السلام اعترف بأن ضربه القبطي كان من تهيج الشيطان لغضبه فقال : ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو﴾ للإنسان ﴿مضل﴾ له عن طريق الخير والهدى ﴿مبين﴾ أي ظاهر العداوة للإنسان والإضلال .

وقوله تعالى : ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ أي دعا موسى ربه معترفاً بخطئه أولاً فقال : ﴿رب﴾ أي يارب ﴿إني ظلمت نفسي﴾ أي بقتلي القبطي ﴿فاغفر لي﴾ هذا الخطأ ، فاستجاب الله تعالى وغفر له ، إنه تعالى هو الغفور لذنوب عباده التائبين له الرحيم بهم فلا يعذبهم بذنب تابوا منه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حسن تدبير الله تعالى في منع موسى من سائر المرضعات حتى يرده إلى أمه .
- ٢ - بيان حسن رد الفتاة على التهمة التي وجهت إليها وذلك من ولاية الله لها وتوفيقه .
- ٣ - تقرير أن وعد الله حق ، وأنه تعالى لا يخلف الوعد ولا الميعاد .
- ٤ - بيان إنعام الله على موسى بالحكمة والعلم قبل النبوة والرسالة .
- ٥ - مشروعية إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم .
- ٦ - وجوب التوبة بعد الوقوع في الزلل ، وأول التوبة الاعتراف بالذنب .

(١) وقيل : منفيس : قاعدة مصر الشمالية ، وقوله : ﴿ودخل المدينة﴾ هذا عطف جزء القصة على جزئها السابق وهو من قوله : ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ وأين كان موسى ؟ قطعاً كان غائباً عن المدينة لأمر من الأمور اقتضى غيابه .

(٢) لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها ، وفرض في جميع الشرائع .

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
 ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرُمُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ
 مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ
 يَمْوَسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا
 أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾
 وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ ابْنَ الْمَلَأَ
 يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجَ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

- بما أنعمت على : بإنعامك على بمغفرة ذنبي .
 فلن أكون ظهيراً للمجرمين : أي معيناً لأهل الإجمام .
 خائفاً يترقب : ماذا يحدث من خير أو غيره بعد القتل .
 استنصره بالأمس : أي طلب نصرته فنصره .
 يستصرخه : أي يستغيث به على قبضي آخر .
 إنك لغوي مبين : أي لذو غواية وضلال ظاهر .
 أن يبطش بالذي هو عدو لهما : أي أن يأخذ الذي هو عدو لموسى والقبطي معاً .
 إن تريد إلا أن تكون جباراً : أي ماتريد إلا أن تكون جباراً تضرب وتقتل ولا تبالي بالعواقب .
 من المصلحين : أي الذين يصلحون بين الناس إذا اختلفوا أو تخاصموا .

وجاء رجل من أقصى المدينة : أي مؤمن آل فرعون أتى من أبعد نواحي المدينة .
 إن الملائم يأترون بك : أي يتشاورون ويطلب بعضهم أمر بعض ليقتلوك .
 فاخرج إني لك من الناصحين : أي اخرج من هذه البلاد إلى أخرى .
 فخرج منها خائفاً يترقب : خائف من القتل يترقب ما يحدث له .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن موسى عليه السلام قد قتل قبطياً بطريق الخطأ وأنه اعترف لربه تعالى بخطئه واستغفره، وأن الله تعالى غفر له وأعلمه بذلك بما شاء من وسائله، ولما علم موسى بمغفرة الله تعالى له عاهدته بأن لا يكون ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ مستقبلاً ومن ذلك أن يعتزل فرعون وملائته لأنهم ظالمون مجرمون فقال :

﴿رب بما أنعمت علي﴾ أي بمغفرتك لي خطيائي وذلك بالنظر إلى إنعامك علي بالمغفرة عاهدك أن لا أكون ﴿ظهيراً للمجرمين﴾ هذا مادلت عليه الآية (١٧) أي الأولى في هذا السياق وهي قوله تعالى : ﴿قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ وقوله تعالى : ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾ أي فأصبح موسى في مدينة (مُنتف) عاصمة المملكة الفرعونية «خائفاً» مما قد يترتب على قتله القبطي «يترقب» الأحداث ماذا تسفر عنه؟ فإذا الذي يستنصره بالأمس وهو الإسرائيلي الذي طلب نصرته أمس ﴿يستصرخه﴾ أي يستغيثه بأعلى صوته فنظر إليه موسى وأقبل عليه ليخلصه قائلاً : ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي لذو غواية بينة والغواية الفساد في الخلق والدين لأنك أمس قاتلت واليوم تقاتل أيضاً . ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾ أي موسى ﴿بالذي هو عدو لهما﴾ وهو القبطي قال الإسرائيلي ﴿أتريد

(١) يرى بعضهم أن موسى لم يعلم بمغفرة الله تعالى له لأنه لم يكن قد نُبئ بعد وجعل جملة (فغفر له) معترضة وقوله : (ربما أنعمت علي) بالهداية والحكمة والعلم لا بالمغفرة لأنه لم يعلم بها . وما في التفسير أظهر وأولى بالسياق .

(٢) إن قتل موسى للقبطي كان قطعاً خطأ، روى مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال : يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة لما سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الفتنة تجيء من ها هنا - و أوما بيده نحو المشرق - من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم بعضكم يضرب رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله عز وجل : (وقتل نفساً فتجنيبناك من الغم وفتناك فتونا) .

(٣) قال ابن عباس : لم يستثن فابتلى من ثاني يوم . هذا إن قلنا : إن كلامه كان خبراً لأدعاء إذ الدعاء لا يجوز الاستثناء فيه لا يقال : ارحمني إن شئت .

أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض ﴿ أي تضرب وتقتل كما تشاء ولا تخاف عقوبة ذلك ﴾ وماتريد أن تكون من المصلحين ﴿ الذين يصلحون بين المتخاصمين قال الإسرائيلي هذا لأنه جبان وخاف من هجمة موسى ظاناً أنه يريد ههولما قدم له من القول ﴾ إنك لغوي ميين ﴿ فلما سمع القبطي ما قال مقاتله الإسرائيلي نقلها إلى القصر وكان من عماله فاجتمع رجال القصر برئاسة فرعون يتداولون القضية وينظرون إلى ظروفها ونتائجها وما يترتب عليها وكان من جملة رجال المؤتمر مؤمن آل فرعون (حزقيل) وكان مؤمناً يكتنم لإيانه فأتمى موسى سراً ليخبره بما يتم حياله وينصح له بالخروج من البلاد وهو ماجاء في قوله تعالى في الآية (٢٠) من هذا السياق ﴿ وجاء رجل من أقصا المدينة ﴾ من بعدها فان قصر الملك كان في طرف المدينة وهي مدينة فرعون (مُنْفُ) ﴿ يسعى ﴾ فمشي بسرعة وجد وانتهى إلى موسى فقال ﴿ يا موسى إن الملائماتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين ﴾ قال تعالى : ﴿ فخرج منها ﴾ أي من بلاد فرعون ﴿ خائفاً يترقب ﴾ خائفاً من القتل يترقب الطلب وماذا سيحدث له من نجاة أو خلافة ودعا ربه عز وجل قائلاً :

﴿ رب نجني من القوم الظالمين ﴾ أي من فرعون وملائه أولاً ومن كل ظالم ثانياً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - شكر النعم ، فموسى لما غفر الله تعالى له شكره بأن تعهد له أن لا يقف إلى جنب مجرم أبداً .
- ٢ - سوء صحبة الأحمق الغوى فإن الإسرائيلي لغوايته وحمقه هو الذي سبب متاعب موسى .
- ٣ - لزوم إبلاغ الدولة عن أهل الفساد والشر في البلاد لحمايتها .
- ٤ - وجوب النصح وبذل النصيحة فمؤمن آل فرعون يعلم سلامة موسى من العيب ومن الجريمة فتعين له أن ينصح موسى بمغادرة البلاد لينجو إن شاء الله وليس هذا من باب خيانة البلاد والدولة ، لأن موسى من أهل الكمال وما حدث عنه كان من باب الخطأ فرفده ومد إليه اليد إنقاذاً من موت متعين .

(١) وقيل : اسمه شمعان ، وقال الدارقطني : لا يعرف شمعان بالشين إلا مؤمن آل فرعون ، قال الثعلبي : كان ابن عم فرعون .
 (٢) روي عن عطاء ، قيل له : إن أخاً لي يأخذ بقلمه وإنما يحسب ما يدخل وما يخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وأدان فقال : من الرأس ؟ قال : خالد بن عبدالله القسري : قال : أما نقرأ ما قال العبد الصالح : (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين) وقال عطاء : فلا يحل لأحد أن يعين ظالماً ولا يكتب له ولا يصحبه ، وإنه إن فعل شيئاً من ذلك فقد صار معيماً للظالمين ، وفي الحديث : (ينادي مناد يوم القيامة : أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم) لاق الدواة : أصلحها .

٥ - الخوف الطبيعي لا يلام عليه فموسى عليه السلام قد خاف^(١) خوفاً أدى به إلى الالتجاء إلى ربه بالدعاء فدعاه واستجاب له والله الحمد والمنة .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ
السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ
النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا
شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيجْزِيكَ
أَجْرًا سَقَيْتَ لَنَا

شرح الكلمات :

ولما توجه تلقاء مدين	: أقبل بوجهه جهة مدين التي هي مدينة شعيب .
عسى ربي أن يهديني سواء السبيل	: أرجو ربي أن يهديني وسط الطريق حتى لا أضل فأهلك فاستجاب الله له وهداه إلى سواء السبيل ووصل مدين .
ولما ورد ماء مدين	: انتهى إلى بئر يسقى منها أهل مدين .
يسقون	: أي مواشيهم من بقر وابل وغنم .
تذودان	: أي أغنامهما منعاً لهما من الماء حتى تخلو الساحة لهما خوف الاختلاط بالرجال الأجانب لغير ضرورة .
قال ماخطبكما	: قال موسى للمرأتين اللتين تذودان ماخطبكما أي ماشأنكما .

(١) من قوله : (فأصبح في المدينة خائفاً يترقب) .

حتى يصدر الرعاء : لانسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء ويبقى لنا الماء
 وحدنا .
 ثم تولى إلى الظل : أي بعد أن سقى لهما رجع إلى ظل الشجرة التي كان
 جالساً تحتها .^(١)
 لما أنزلت إلي من خير فقير : أي من طعام محتاج إليه لشدة جوعه عليه السلام .
 تمشى على استحياء : أي واضعة كم درعها على وجهها حياء منه .
 معنى الآيات :

ما زال لسياق في شأن موسى عليه السلام بعد حادثة القتل والنصح له بمغادرة بلاد مصر إلى
 بلاد مدين^(٢) مدينة شعيب عليه السلام قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ ولما توجه تلقاء مدين ﴾ أي ولما
 توجه موسى عملاً بنصيحة مؤمن آل فرعون تلقاء مدين أي نحوها وجهتها ولم يكن له علم
 بالطريق الصحراوي والمسافة مسيرة ثمانية أيام قال : ﴿ عسى أن يهتدي ربي سوا السبيل ﴾
 أي ترجى ربه سبحانه وتعالى أن يهديه الطريق السوي حتى لا يضل فيهلك ، واستجاب الله له
 فهداه الطريق حتى وصل إلى بلاد مدين وقوله تعالى في الآية الثانية من هذا السياق (٢٣)
 ﴿ ولما ورد ماء مدين ﴾ أي وحين ورد ماء مدين وهو يترسقي منها الناس مواشيهم ﴿ وجد عليه ﴾
 أي على الماء ﴿ أمة من الناس ﴾ أي جماعة كبيرة يسقون أنعامهم ومواشيهم ﴿ ووجد من دونهم
 أمرأتين ﴾ وهما بنتا شعيب عليه السلام ﴿ تزدودان ﴾ أي تمنعان ماشيتهما من الاختلاط بمواشي
 الناس . فسألها لا تطفلاً وإنما حالهما دعاه إلى سؤالها لأنه رأى الناس يسقون مواشيها
 ويصدرون فوجاً بعد فوج والمرأتان قائمتان على ماشيتهما تزدودانها عن الحوض حتى لا تختلط
 ولا تشرب فسألها لذلك قائلاً : ﴿ ما خطبكما ﴾ أي ماشانكما فأجابته قائلتين : ﴿ لانسقي
 حتى يصدر الرعاء ﴾ لضعفنا وعدم رغبتنا في الاختلاط بالرجال ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ لا يقوي
 على سقي هذه الماشية بنفسه فنحن نسقيها ولكن بعد أن يصدر الرعاء ويبقى في الحوض ماء

(١) من طعام تفسير لقوله من خير، ومحتاج تفسير لقوله : (فقير).

(٢) لأن بها العبد الصالح شعيب، وقيل : لأجل النسب الذي بينه وبينهم لأن مدين من ولد إبراهيم، وموسى من ولد يعقوب
 بن اسحق بن إبراهيم.

(٣) روي أن الله تعالى بعث إليه ملكاً ركباً فرساً فقال : اتبعني فاتبعه فهداه إلى الطريق وكان ملك مدين لغير فرعون .

(٤) أي : بلغها ووصل إليها ومنه قول زهير :

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

نسقي به ، فلما علم عذرها سقى لهما ما شيتهما ﴿ ثم تولى إلى الظل ﴾ الذي كان جالساً تحته وهو ظل شجرة وهو شجر صحراوي معروف يقال له السمر ، ولما تولى إلى الظل سأل ربه الطعام لشدة جوعه إذ خرج من مصر بلا زاد ولا دليل ولولا حسن ظنه في ربه لما خرج هذا الخروج فقال : ﴿ رب إنى لما أنزلت إلي من خير ﴾ أي طعام ﴿ فقير ﴾ أي محتاج إليه أشد الاحتياج . وفي أقرب ساعة وصلت البنتان إلى والدهما فسألتهما عن سبب عودتهما بسرعة فأخبرتاها ، فقال لإحدهما إذهبي إليه وقولي له ﴿ إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿ فجاءته إحداهما ﴾ استجابة الله له ﴿ تمشي على استحياء ﴾ واضعة كم درعها على وجهها حياء . وقد قال فيها عمر رضي الله عنه إنها ليست سلفعاً من النساء خراجة ولأجة ، وبلغت الرسالة المختصرة وكأنها بريقه ونصها ما أخبر تعالى به في قوله : ﴿ إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾!! وقد ورد أنها لما كانت تمشي أمامه تدله على الطريق هبت الريح فكشفت ساقها قال لها موسى : إمشي ورائي ودليني على الطريق بحصى ترميها نحو الطريق وهذا الذي دلها على أمانته لما وصفته لأبيها بأنه ﴿ قوي أمين ﴾ كما سيأتي فيما بعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب حسن الظن بالله تعالى وقوة الرجاء فيه عز وجل والتوكل عليه
- ٢ - بيان فضل الحياء وشرف المؤمنات اللاتي يتعففن عن الاختلاط بالرجال .
- ٣ - بيان مروءة موسى في سقيه للمرأتين .
- ٤ - فضل الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه .
- ٥ - ستر الوجه عن الأجانب سنة المؤمنات من عهد قديم وليس كما يقول المبطلون هو عادة جاهلية ، فبتنا شعيب نشأتا في دار النبوة والطهر والعفاف وغطت إحداهما وجهها عن موسى حياةً وتقوى .

فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ

لَا تَحْفَظْنَ نَجْوَتَهُنَّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا

(١) وتوكله على ربه عز وجل .
 (٢) لفظ الخير يطلق عدة إطلاقات فقد أطلق على الطعام كما هنا وأطلق على العبادة كما في قوله : (فعل الخيرات) وعلى القوة في قوله : (أهم خير أم قوم تبع) وعلى المال في قوله : (وانه لحب الخير لشديد) .
 (٣) السلفع من النساء : الجريئة على الرجال .

يَتَأَبَّتِ أَسْتَجْرُهُ إِبْرَاهِيمَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ
 ﴿٤٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ
 تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
 وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
 الصَّالِحِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ
 قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات :

وقص عليه القصاص

: أخبره بشأنه كله من قتله القبطي وطلب السلطة
 له ونصح المؤمن له بمغادرة البلاد ووصوله إلى
 ماء مدين .

: أي من فرعون وملكه إذ لاسلطان لهم على بلاد
 مدين .

لا تخف نجوت من القوم الظالمين

يا أبت استأجره

: أي اتخذه أجيراً يرعى لنا الغنم بدلنا .

القوي الأمين

: ذكرت له كفاءته وهي القوة البدنية والأمانة .

على أن تأجرني

: أي تكون أجيراً لي في رعي غنمي .

ثماني حجج

: أي ثماني سنوات إذ الحججة عام والجمع حجج .

فإن أتممت عشراً فمن عندك

: أي جعلت الثانية عشرأ فرغبت عشراً فهذا من

كرمك .

قال ستجدني إن شاء الله من الصالحين : أي الذين يوفون ولا ينقضون ولا ينقصون .

ذلك بيني وبينك

: أنا أفي بشرطي وأنت نفي بشرطك .

أيما الأجلين قضيت

: أي الأجلين الثانية أو العشرة أتممت .

فلا عدوان على

: وذلك بطلب الزيادة فوق الثانية أو فوق

العشرة .

والله على ما نقول وكيل
: أي وكيل وحفيظ أي أشهد الله على العقد
بشطريه أي النكاح ورعي الغنم وبذلك تم
العقد.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ما تم بين موسى وابنتي شعيب من السقي لهما ومجيء إحداهما
تبلغه رسالة والدها ومشيه معها وقوله تعالى ﴿ فلما جاءه ﴾ أي جاء موسى شعبياً ﴿ وقص عليه
القصص ﴾^(١) أي أخبره بشأنه كله من قتله القبطي خطأ وطلب السلطات له ونصح مؤمن آل
فرعون له بالخروج من البلاد، ووصوله إلى ماء مدين قال له شعيب عندئذ ﴿ لا تخف نجوت
من القوم الظالمين ﴾ يعني فرعون وحكومته وهذا ما يعرف الآن باللجوء السياسي فأمنه على
نفسه لأن فرعون لا سلطان له على هذه البلاد.

وقال له شعيب: اجلس تعش معنا فقال موسى أخاف أن يكون عوضاً عما سقيت
لابنتيك ماشيتها وإني لمن أهل بيت لا يطلبون على عمل الخير عوضاً فقال له شعيب لا ليس
هذا بأجر على سقيك وإنما عادتنا أن نقرى الضيف ونطعم الطعام فأكل ولم ير بذلك بأساً.
وقوله تعالى ﴿ قالت إحداهما يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ يروى
أنها لما قالت ﴿ إن خير ﴾^(٢) من استأجرت القوي الأمين ﴿ أثارت حفيظته بهذه الكلمة فسأها:
كيف علمت ذلك فذكرت له عن القوة في سقيه لهما وعن الأمانة في غض بصره عن النظر
إليها، فصدقها شعيب وقال لموسى : ﴿ إني أريد أن أنكحك ﴾ أي أزوجه ﴿ إحدى ابنتي
هاتين ﴾^(٣) ﴿ على أن تأجرني ثمانين ﴾^(٤) حجج ﴿ أي سنين جمع حجة وهي السنه وقوله ﴿ فإن أتممت
عشرًا فمن عندك ﴾ أي احساناً منك وكرماً، ﴿ وما أريد أن أشق عليك ﴾ بطلب العشرة

(١) التعريف في : (القصص) عوضاً عن المضاف إليه أو هي للعهد أي : القصص المذكور آنفاً.

(٢) إذا السلطان للكنعانيين وهم أهل بأس وشدة ونجدة.

(٣) الجملة تعليلية لجملة الإشارة عليه بالاستئجار.

(٤) قال بعض أهل العلم : وصفته بالقوة لأنه زاحم الرعاء وغلبيهم وهم يزدحمون على الماء حتى سقى، وقيل : كانت على
البر صخرة لا يرفعها إلا العدد من الناس فرفعها موسى وحده.

(٥) الإشارة إلى المرأتين اللتين سقى لهما سواء كانتا حاضرتين في المجلس أو في ذهن موسى.

(٦) هذا جمع عقد النكاح مع عقد الإجارة. والمشهور عند الفقهاء أن الشرط المقارن لعقد النكاح إن كان مما ينافي عقد
النكاح فهو باطل ويفسخ النكاح قبل البناء ويثبت بعده ويلغى الشرط المنافي للنكاح، وأما الشرط غير المنافي للنكاح فهو جائز
ولا حرج فيه لقوله ﷺ في الصحيح : (أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج).

(٧) مشتقة من اسم الحج، لأن الحج يقع كل سنة، وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة.

﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ أي الذين يوفون بعهودهم فقال موسى رداً على كلامه ﴿ذلك بيني وبينك﴾ أنا عليّ أن أفي بما اشترطت عليّ وأنت عليك أن تفي بما اشترطت لي على نفسك ﴿أيما الأجلين﴾^(١) الثمانية أو العشرة ﴿قضيت﴾ أي وفيت وأديت ﴿فلا عدوان عليّ﴾ أي بطلب الزيادة على الثمانية ولا على العشرة. فقال شعيب : نعم ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ فأشهد الله تعالى على صحة العقد وبذلك أصبح موسى زوجاً لابنة شعيب التي عيّناله والغالب أنها الكبرى التي شهدت له بالأمانة والقوة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تجلّى كرم شعيب ومرورته وشهامته في تطمين موسى وإكرامه وإيوائه .
- ٢ - بيان أن الكفاءة شرط في العمل ولا أفضل من القوة وهي القدرة البدنية والعلمية والأمانة .
- ٣ - مشروعية عرض الرجل ابنته على من يرى صدقه وأمانته ليزوجه بها .
- ٤ - مشروعية إشهاد الله تعالى على العقود بمثل ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ .
- ٥ - فضيلة موسى عليه السلام بإيجار نفسه على شيع بطنه وإحصان فرجه .

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُقَ إِفْتٍ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا

(١) (أيما) أي : اسم موصول مبهم : وهو منصوب بـ (قضيت) وزيدت بعده (ما) لتأكيد الكلام ، ولتصير أي شبيهة باسم الشرط ولذا أُجيب بجملة (فلا عدوان علي) وهي مقرونة بالفاء .

(٢) اكتفى شعيب وموسى بإشهاد الله تعالى فهل يصح في الإسلام النكاح بدون إشهاد؟ الجمهور على عدم صحته بل لا بد من الإشهاد عليه وهو كذلك .

جَانُّوْا وَلِيَّ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
 مِنَ الْأَمْنِيْنَ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
 غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ
 بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ إِنَّهُمْ كَانُوا
 قَوْمًا فَاسِقِيْنَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- قضى موسى الأجل : أتم المدة المتفق عليها وهي ثمان أو عشر سنوات .
 أنس : أبصر .
 أوجدوة من النار : عود غليظ في رأسه نار .
 لعلكم تصطلون : أي تستدفئون .
 نودي : أي ناداه الله تعالى بقوله يا موسى إني أنا الله رب العالمين .
 في البقعة المباركة : قطعة الأرض التي عليها الشجرة الكائنة بشاطئ الوادي .
 تهتز كأنها جانٌ : تضطرب وتتحرك بسرعة كأنها حية من حيات البيوت .
 ولي مدبراً ولم يعقب : رجع هارباً ولم يعقب لخوفه وفزعه منها .
 اسلك يدك في جيبك : أدخلها في جيب قميصك .
 من غير سوء : أي عيب كبرص ونحوه .
 واضمم إليك جناحك من الرهب : اضمم إليك يدك بأن تضعها على صدرك ليذهب روعك .
 فذانك برهانان : أي آيتان من ربك على صدق رسالتك .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصص موسى وهو في طريقه بتدبير الله تعالى إلى مصر، إنه لما

قضى الأجل الذي تعاقد عليه مع صهره شعيب وقد أتم خير الأجلين وأوفاهما وهو العشر حجج قفل^(١) ماشياً بأهله وزوجته وولده في طريقه إلى مصر لزيارة والدته وإخوته حدث أن ضل الطريق ليلاً، وكان الفصل شتاء والبرد شديد فإذا به يأنس ﴿من جانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿ناراً﴾ فقال لأهله امكثوا هنا ﴿إني آنست﴾ أي أبصرت ﴿ناراً﴾ سأذهب إليها ﴿لعلني آتيكم منها بخبر﴾ إذ قد أجد عندها من يدلنا على الطريق أو آتيكم بجذوة من النار أي خشبة في رأسها نار مشتعلة ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي من أجل اصطلائكم بها أي استفائكم بها، هذا ما دلت عليه الآية (٢٩) وقوله تعالى في الآية الثانية ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى النار ﴿نودي﴾ أي ناداه مناد ﴿من شاطيء الواد الأيمن﴾ في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى ﴿أي ناداه ربه﴾ ياموسى إني أنا الله رب العالمين ﴿وأن ألق عصاك﴾ فآلقاها فاهتزت واضطربت وتحركت بسرعة ﴿كأنها جان﴾ أي حية عظيمة من الحيات المعروفة بالجتان ﴿ولى مدبراً ولم يعقب﴾ أي فزع منها فرجع من الفزع إلى الوراء ﴿ولم يعقب﴾ أي ولم يرجع إليها من الرعب، فقال له ربه تعالى ﴿أقبل﴾ أي على العصا ﴿ولا تخف إنك من الأمنين﴾ أي الذين آمنهم ربهم فلا يخافون شيئاً.

وقال له بعد أن رجع ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ أي أدخل يدك في جيب قميصك وهو الشق الذي يدخل معه الرأس في الثوب ليلبس وقوله ﴿تخرج﴾ أي اليد ﴿بيضاء﴾ كالنور ﴿من غير سوء﴾ أي برص أو نحوه ﴿واضمم إليك جناحك﴾ أي يدك مع العضد إلى صدرك ﴿من الرهب﴾ أي الخوف فإن يذهب عنك بحيث تعود يدك عادية لانور فيها كما كانت من قبل إدخالها في جيبك أولاً.

ثم قال تعالى له ﴿فذانك﴾ أي العصا واليد البيضاء. ﴿برهانان من ربك﴾ أي آيتان

(١) يقال: قفل راجعاً أي: من سفره إلى أهله: والقافلة: الجماعة العائدة من السفر: ويقال لها القافلة وهي في بدء سفرها تفتأ بالعودة السليمة لها وموسى عليه السلام قفل عائداً من رحلته إلى بلاده.

(٢) الجذوة مثلثة الجيم ضمّاً وفتحاً وكسراً: الجمرة الملتهية، والجمع جذأ مثلثة الجيم أيضاً.

(٣) (من) ابتدائية وكذا من الشجرة إذ من الشجرة بدل اشتمال من قوله (من شاطيء الوادي) وشاطيء الوادي وشطه جانبه، والجمع: شطآن وشواطىء.

(٤) (الأيمن) أي: عن يمين موسى، والبقعة والجمع بقع: المكان من الأرض وإن فتحت باؤها جمعت على بقاع كجفنة وجفان وأما بالضم فهي كغرفة وغرف، و(من الشجرة) أي: من ناحيتها، وهل الشجرة من سمر أو عقيق: (عوسج) الله أعلم.

(٥) قرأ الجمهور: (الرهب) يفتح الراء والهاء وقرأ بعض يضم الراء وسكون الهاء: (الرُهب) وقرأ عاصم بفتح الراء وسكون الهاء (الرُهب).

(٦) (فذانك) بتخفيف النون لغة قريش وبتشديدها مع مدها وتخفيفها مع مدها (فذانيك) لغة هذيل.

تدلان على رسالتك المرسل بها إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله حيث كفروا به وعبدوا غيره وظلموا عباده، لتدعوهم إلى الإيمان بالله وعبادته وإرسال بني إسرائيل معك لتذهب بهم إلى أرض المعاد أي فلسطين ومآحلها من أرض الشام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - الأنبياء أوفياء فموسى قضى أوفى الأجلين وأتمهما وهو العشر.
- ٢ - مشروعية السفر بالأهل وقد يحصل للمرء أنه يضل الطريق أو يحتاج إلى شيء ويصبر.
- ٣ - فضل تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وهي من جبل الطور.
- ٤ - مشروعية حمل العصا لاسيما للمسافر وراعي ماشية أو سائقها.
- ٥ - مشروعية التدريب على السلاح قبل استعماله.
- ٦ - لا يلام على الخوف الطبيعي.
- ٧ - آية العصا واليد.
- ٨ - من خاف، وضع يده على صدره زال خوفه إن شاء الله تعالى.
- ٩ - التنديد بالفسق وأهله.

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
 أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا
 فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾
 قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَنَا فَلَا
 يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾
 فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
 مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ

مُوسَى رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ۖ وَمَنْ تَكُونُ
لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات :

إني قتلت منهم نفساً	: أي نفس القبطي الذي قتله خطأ قبل هجرته من مصر.
أفصح مني لساناً	: أي أبين مني قولاً.
ردءاً	: أي معيناً لي.
سنشد عضدك بأخيك	: أي ندعمك به ونقويك بأخيك هارون.
ونجعل لكما سلطاناً	: أي حجة قوية يكون لكما بها الغلب.
فلا يصلون إليكم	: أي بسوء.
بآياتنا	: أي اذهبا بآياتنا.
فلما جاءهم موسى بآياتنا	: أي العصا واليد وغيرها من الآيات التسع.
بينات	: أي واضحات.
سحر مفترى	: أي مختلق مكذوب.
عاقبة الدار	: أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.
إنه لا يفلح الظالمون	: أي المشركون الكافرون.

معنى الآيات :

لما كلف الله تعالى موسى بالذهاب إلى فرعون وحمله رسالته إليه قال موسى كالمشترط لنفسه ﴿رب إني قتلت منهم نفساً﴾ يريد نفس القبطي الذي قتله خطأ أيام كان شاباً بمصر ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ أي يقتلونني به إن لم أبين لهم وأفهمهم حجتي ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ أي أبين مني قولاً وأكثر إفهاماً لفرعون وملئه ﴿فأرسله معي^(١) ردءاً﴾ أي عوناً ﴿يصدقني﴾ أي يخلص قولي ويحرره لهم فيكون ذلك تصديقاً منه لي ، لا مجرد أني إذا قلت قال صدق موسى . وقوله ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ فيما جنتهم به . فأجابه الرب تعالى قائلاً ﴿سنشد عضدك

(١) قرأ نافع (ردءاً) متون غير مهموز. وقرأ حفص (ردءاً) مهموزاً.

(٢) قرأ نافع (يصدقني) بالجزم لأنه في جواب الطلب الذي هو: (فأرسله معي) وقرأ حفص بالرفع (يصدقني) على أن الجملة حال من الهاء في (أرسله).

بأخيك ﴿ أي نفويك به ونعينك ﴾ ونجعل لكما سلطاناً ﴿ أي برهاناً وحجة قوية يكون لكما الغلب بذلك . وقوله ﴿ فلا يصلون إليكما ﴾ أي بسوء أبدأً وقوله ﴿ بآياتنا ﴾^(١) أي اذهباً بآياتنا أو يكون لفظ آياتنا متصلًا بسلطاناً أي سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً بآياتنا ﴿ أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾ وعلى هذا فلا نحتاج إلى تقدير فاذها وقوله تعالى ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا ﴾ العصا واليد وغيرهما ﴿ بينات ﴾ أي واضحات ﴿ قالوا ما هذا ﴾ أي الذي جاء به موسى من الآيات ﴿ إلا سحر مفترى ﴾^(٢) أي مكذوب مختلق ﴿ وما سمعنا بهذا ﴾ أي الذي جئت به ياموسى في ﴿ آياتنا الأولين ﴾ أي في أيامهم وعلى عهدهم . وهنا رد موسى على فرعون بأحسن رد وهو ما أخبر تعالى به عنه بقوله : ﴿ وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ أي من عند الرب تعالى ﴿ ومن تكون له عاقبة الدار ﴾ أي العاقبة المحمودة يوم القيامة^(٣) . ولم يقل له اسكت يا ضال ياكافر إنك من أهل النار بل تلتطف معه غاية اللطف امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله ﴿ وقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ وقوله ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ أي الكافرون والمشركون بربهم هذا من جملة قول موسى لفرعون الذي تلتطف فيه وألانه غاية اللين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن القصص كان معروفاً معمولاً به عند أقدم الأمم ، وجاءت الحضارة الغربية فأنكرته فتجرأ الناس على سفك الدماء وإزهاق الأرواح بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية ولذلك صح أن تسمى الخسارة البشرية بدل الحضارة الغربية .
- ٢ - مشروعية طلب العون عند التكليف بما يشق ويصعب من المسؤولين المكلفين .
- ٣ - مشروعية التلطف في خطاب الجبابة وإلانة القول لهم ، بل هو مشروع مع كل من يدعى إلى الحق من أجل أن يتفهم القول ولا يُغلق عليه بالإغلاظ له .

(١) قوله تعالى : (بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) يجوز أن يكون (بآياتنا) متعلقاً بمحذوف تقديره : اذهباً بآياتنا . ويجوز أن يتعلق بنجعل لكما سلطاناً بآياتنا فتكون رهبتهم منكما آية ويجوز أن يتعلق بـ (لا يصلون إليكما) أي : يصرفون عنكما صرفاً بسبب آياتنا كقول الرسول ﷺ : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ويجوز تعليقها أيضاً بـ(الغالبون) أي : بآياتنا .

(٢) هذا شأن المحجوج المغلوب إذا أعيته الحججة يفرغ إلى التلفيق والانتهايات الباطلة دعفاً للمعرة .

(٣) كان مقتضى الكلام في سياق الحوار أن يقال : قال موسى بدون واو العطف إلا أنه خولف هنا وأتى بالواو : (وقال موسى) وهي قراءة الجمهور والمقصود منها هو ذكر التوازن بين حجة فرعون وحجة موسى ليظهر للسامع التفاوت بينهما بخلاف لو حذفت الواو كما قرأ ابن كثير فإنها مجرد حكاية قول موسى عليه السلام فليس فيها ما يلفت النظر .

(٤) (عاقبة الدار) قد يفهم منها فرعون : ما ينتهي إليه الخصام مع موسى إذا كان لا يؤمن بالمعاد وإن كان يؤمن بالمعاد فالأمر واضح .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ
 لِي يَهْمَنَّ عَلَى الْطِينِ فَأَجْعَلَ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى
 إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ
 هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا
 لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي
 الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾
 وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى التَّكْوِينِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
 لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى
 بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات

ما علمت لكم من إله غيري : أي ربا يطاع وينذل له ويعظم غيري لعنة الله عليه
 ما أكذبه .

يا هامان : أحد وزراء فرعون، لعله وزير الصناعة أو العمل
 والعمال

فأوقد لي يا هامان على الطين : أي اطبخ لي الأجر وهو اللبن المشوي .

فاجعل لي صرحاً : أي بناءً عالياً، قصرًا أو غيره .

لعلني أطلع إلى إله موسى : أي أقف عليه وأنظر إليه .

وإني لأظنه من الكاذبين	: أي موسى في ادعائه أن له إلهاً غيري .
فنبذناهم في اليم	: أي طرحناهم في البحر غرقى هالكين .
وجعلناهم أئمة	: أي رؤساء يُقتدى بهم في الباطل .
يدعون إلى النار	: أي إلى الكفر والشرك والمعاصي الموجبة للنار .
في هذه الدنيا لعنة	: أي خزياً وبعداً عن الخير .
هم من المقبوحين	: أي المبعدين من كل خير المشوّهي الخلقة .
القرون الأولى	: قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم .
بصائر للناس	: أي فيه من النور ما يهدي كما تهدي الأبصار .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وقال فرعون﴾ إن فرعون لما سمع كلام موسى عليه السلام المصدق بكلام هارون عليه السلام وكان الكلام في غاية اللين، مؤثراً خاف فرعون من الهزيمة، ناور وراوغ فقال في الحاضرين ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ أي كما ادعى موسى ولكن سأبحث وأتعرف على الحقيقة إن كان هناك إله آخر غيري، فنأدى وزيره هامان وأمره أن يعد اللبن المشوي لأنه قوي ويقوم ببناء صرح عال يصل إلى عنان السماء ليبحث بنفسه عن إله موسى إن كان حسب دعواه وإني لأظن موسى كاذباً في دعوى وجود إله له ولكم غيري هذا معنى قوله تعالى في الآية الأولى (٣٨) ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾^(١) يعنى في ادعائه أن هناك إلهاً آخر غيري .

قوله تعالى : ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض﴾ أي أرض مصر ﴿بغير الحق﴾ الذي يحق

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان بين قوله: ما علمت لكم من إله غيري وبين قوله أنا ربكم الأعلى أربعون سنة، وكذب عدو الله بل علم أن له رباً هو خالقه وخالق قومه .

(٢) كني عن البناء بمقدماته، وفعلاً دارت رحى العمل على أشد ما تكون وفرعون يعلم أنه مجرد تمويه على العامة وشغل لأذهانهم عن معرفة الحق الذي دعا إليه موسى: وهل بني الصرح؟ روي أنه قبل أن يتم سقط فقتل خلقاً كثيراً من العمال والبنائين، ولعل في قوله تعالى: (وما كيد فرعون إلا في تيات) من سورة المؤمن، إشارة إلى سقوطه وهلاك القائمين ببنائه .

(٣) (بغير الحق) أي: الموجب لهم الاستكبار ولا يوجد حق يوجب الاستكبار قط .

(٤) نسب موسى إلى جماعة الكذب وهو يعلم أنه صادق تمويهاً على الرعية، ودفعاً للحق الذي بهره نوره فما أطاقه فهو يبحث عن المخرج .

لهم الاستكبار ﴿وظنوا أنهم إنا لا يرجعون﴾^(١) أي كذبوا بالبعث الآخر. قال تعالى : ﴿فأخذناه وجنوده﴾ أي بسبب استكبارهم وكفرهم وتكذيبهم بآيات الله ﴿فنبذناهم في اليم﴾ أي في البحر وقال لرسوله ﷺ ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ إنها كانت وبالاً عليهم وخساراً لهم . وقوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي جعلنا فرعون وملاه أئمة في الكفر تقتدي بهم العتاة والطغاة في كل زمان ومكان ﴿يدعون إلى النار﴾ بالكفر والشرك والمعاصي وهي موجبات النار . ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾ بل يضاعف لهم العذاب ويخذلون ويهانون لأن من دعا إلى سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء .

وقوله تعالى : ﴿وأتبعناهم﴾ أي آل فرعون ﴿في هذه الدنيا لعنة﴾ إنتهت بهم إلى الفرق الكامل والخسران التام ، ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ أي المبعدين من رحمة الله الثاوين في جهنم ولبس مشى المتكبرين وقوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي التوراة وذلك بعد إهلاك الظالمين وقوله ﴿من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ أي قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم إبراهيم وقوله ﴿بصائر﴾ أي الكتاب بما يحمل من الهدى والنور ﴿بصائر﴾ أي ضياء للناس من بني إسرائيل يبصرون على ضوئه كل ما يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم ﴿وهدى ورحمة﴾ أي وبيانا لهم ورحمة لمن يعمل به منهم . وقوله ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي وجود الكتاب بصائر وهدى ورحمة بين أيديهم حال تدعوهم إلى أن يتذكروا دائماً نعم الله عليهم فيشكروه بالإيمان به وبرسله وبطاعته وطاعة رسله عليهم السلام .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن فرعون كان على علم بأنه عبد مربوب لله وأن الله هو رب العالمين .
- ٢ - تقرير صفة العلو والاستكبار لفرعون وأنه كان من العالين .
- ٣ - بيان كيف تكون عاقبة الظلمة دماراً وفساداً .

(١) يطلق الظن ويراد به اليقين ويكون على بابه وهو هنا كفر ولو كان على بابه لأن الشك في العقائد كفر.

(٢) قبل من هلك مع فرعون من جند كانوا مليوناً وستمائة ألف .

(٣) ناحية بحر القلزم في موضع منه يقال له بطن عريرة .

(٤) المشوهمي الخلقة المسودي الوجوه زرق العيون فما أقبجهم وما أقبج ما كانوا يصنعون!! يقال: قبجه وقبجه مشدداً ومخففاً أي: نحاه من كل خير، أو جملة قبيحاً. قال الشاعر:

ألا قبج الله البراجم كلها وقبح يربوعاً وقبح دارما

٤ - دعاة الدعارة والخنأ والضلالة والشرك أئمة أهل النار يدعون إليها وهم لا يشعرون .
٥ - بيان إفضال الله تعالى على بني إسرائيل بإنزال التوراة فيهم كتاباً كله بصائر وهدى ورحمة .

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ
الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّا أَنتَهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا
رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

وماكنت بجانب الغربي

: أي لم تكن يارسولنا حاضرأ بالجانب الغربي من

موسى .

إذ قضينا إلى موسى الأمر

: أي بالرسالة إلى فرعون وقومه .

وماكنت من الشاهدين

: حتى تعلمه وتخبر به .

ولكننا أنشأنا قرونأ فتطاول عليهم العمر : أي غير أننا أنشأنا بعد موسى أمأ طالت أعمارهم

فنسوا العهد واندرست العلوم وانقطع الوحي

فجئنا بك رسولأ وأوحينا إليك خبر موسى وغيره .

وماكنت ثاويأ في أهل مدين

: أي ولم تكن يارسولنا مقبياً في أهل مدين فتعرف

قصتهم .

وماكنت بجانب الطور إذ نادينا : أي لم تكن بجانب الطور أي جبل الطور إذ نادينا موسى وأوحينا إليه ما أوحينا حتى تخبر بذلك .

ما أتاهم من نذير من قبلك : أي أهل مكة والعرب كافة .
ولولا أن نصيبهم مصيبة الخ : أي فيقولوا لولا أي هلا أرسلت إلينا رسولاً لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولاً .

معنى الآيات

بعد انتهاء قصص موسى مع فرعون وإنزال التوراة ﴿بصائر للناس وهدى ورحمة لعلمهم يتذكرون﴾ وكان القصص كله شاهداً على نبوة الرسول محمد ﷺ خاطب الله تعالى رسوله فقال : ﴿وماكنت﴾ أي حاضراً ﴿بجانب الغربي﴾ أي بالجبل الغربي من موسى ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ بإرساله رسولاً إلى فرعون وملئه ﴿وماكنت من الشاهدين﴾ أي الحاضرين إذا فكيف علمت هذا وتتحدث به لولا أنك رسول حق !؟

وقوله : ﴿ولكننا أنشأنا قروناً﴾ أي أمماً بعد موسى ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ أي طال بهم الحياة وامتدت فسنوا العهود واندرست العلوم الشرعية وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره وقوله : ﴿وماكنت ثاوياً﴾ أي مقيماً ﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ فكيف عرفت حديثهم وعرفت إقامة موسى بينهم عشر سنين لولا أنك رسول حق يوحى إليك نبأ الأولين وهو معنى قوله تعالى ﴿ولكننا كنا مرسلين﴾ فأرسلناك رسولاً وأوحينا إليك أخبار الغابرين .

وقوله : ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ أي جبل الطور ﴿إذ نادينا﴾ موسى وأمرناه بما أمرناه وأخبرناه بما أخبرنا به ، فكيف عرفت ذلك وأخبرت به لولا أنك رسول حق يوحى إليك . قوله تعالى ﴿ولكن رحمة من ربك﴾ أي أرسلناك رحمة من ربك للعالمين ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم

(١) إذ كلّفناه أمرنا ونهينا وألزمناه عهدنا .

(٢) (ولكننا أنشأنا) الخ وجه هذا الاستدراك أنّ المشركين لما تعجبوا من رسالة محمد ﷺ حين لم يسبقها رسالة إلى آباؤهم فأعلمهم أن الله تعالى أرسل موسى بعد فترة من الرسل كذلك ولكن لطول الزمن ومضي القرون نسوا رسالة موسى عليه السلام حتى قالوا: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة .

(٣) أي : ما كان علمك بذلك لحضورك ولكن كان علمك رحمة من ربك فرحمة : منصوب في الآية على تقدير كون محذوف أي : كان علمك رحمة . ويصح النصب على المفعول المطلق أي : ولكن رحمتك رحمة فعلمتك ذلك بواسطة إباحتنا إليك .

من نذير من قبلك ﴿ وهم أهل مكة والعرب أجمعون ﴿ لعلهم يتذكرون ﴿ أي كفى يتعظوا فيؤمنوا ويهتدوا فينجوا ويسعدوا .

وقوله تعالى : ﴿ ولولا أن تصيبهم مصيبة ﴿ أي عقوبة ﴿ بما قدمت أيديهم ﴿ أي من الشرك والمعاصي ﴿ فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ﴿ أي هلا أرسلت إلينا رسولا ﴿ فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين ﴿ أي لولا قولهم هذا لعاجلناهم ﴿ بالعذاب ﴿ ولما أرسلناك إليهم رسولا إذا فهم لا يؤمنون ويشكرون ؟؟ !

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بأقوى الأدلة العقلية .
- ٢ - بعثة الرسول محمد ﷺ جاءت في أوانها واشتداد الحاجة إليها .
- ٣ - البعثة المحمدية كانت عبارة عن رحمة إلهية رحم الله بها العالمين .
- ٤ - جواب ﴿ لولا ﴾ في قوله ﴿ ولولا أن تصيبهم ﴾ . محذوف وقد ذكرناه وهو لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا .

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا
لَوْلَا أَوْتِيَتْ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَاتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ
هُدًىٍ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿٥١﴾ وَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

(١) (لولا) هنا حرف امتناع لوجود، امتنع إنزال العذاب بهم لوجود قولهم (لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك) أما لولا الثانية فهي أداة تحضيض .

(٢) في الآية معنى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

شرح الكلمات :

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى كالتوراة .

أي محمد ﷺ رسولاً مبيناً .

أي هلا أعطي مثل ما أعطي موسى من الآيات المعجزات من العصا واليد أو كتاباً جملة واحدة كالتوراة .

أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل موسى وقد كفروا بما أوتي موسى من قبل لما أخبرهم اليهود أنهم يجدون نعت محمد في التوراة كفروا بهذا الخبر ولم يقبلوه .

وقالوا سحران تظاهرا بعضاً أي قواه .

أي التوراة والقرآن كلاهما سحر ظاهر بعضهما

فإن لم يستجيبوا لك التوراة والقرآن .

أي بالإتيان بالكتاب الذي هو أهدى من

فاعلم أنها يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه

في كفرهم ليس غير، فلا عقل ولا كتاب منير .

أي لا أضل منه قط .

ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون : أي بأخبار الأولين وما أحللنا بهم من نعمتنا لما كذبوا رسلنا وأنكروا توحيدنا ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون .

معنى الآيات :

لما قرر تعالى نبوة رسوله محمد ﷺ بأدلته التي لا أقوى منها ولا أوضح وبين حاجة العالم إليها لاسيما العرب وذكر أنه لولا كراهة قولهم : ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ لما أرسل إليهم رسوله . ذكر هنا ما واجه به المشركون تلك الرحمة المهداة فقال عنهم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ أي محمد النبي ﷺ قالوا : ﴿لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ أي من الآيات كالعصا واليد البيضاء حتى نؤمن به ونصدق رسالته قال

(١) ولاخذهم بالعذاب جزاء كفرهم وشركهم وفسادهم .
 (٢) هذه الفاء هي الفصيحة أفصحت عن جواب طلب متقدم وهو قول المشركين . لولا أرسلت إلينا رسولاً أي : هلا أرسلت إلينا رسولاً مطالبين بذلك بإلحاح .

تعالى : ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ؟ قالوا سحران تظاهرا﴾^(١) . وقالوا : ﴿إنا بكل كافرون﴾ وذلك أن قريشاً لما كثرت المؤمنين وهالهم الموقف بعثوا إلى يهود المدينة يسألونهم بوصفهم أهل الكتاب الأول عن مدى صدق محمد ﷺ فيما يقوله فأجابهم اليهود بأنهم يجدون نعوت النبي الأمي في التوراة وأنه رسول حق وليس بكذاب ولا دجال فما كان من المشركين من قريش إلا أن أعلنوا كفرهم بالتوراة وقالوا : التوراة والقرآن ﴿سحران﴾^(٢) تعاونا فلا نؤمن بهما ولا نصدق من جاء بهما وقرىء ﴿ساحران﴾ أي موسى ومحمد عليهما السلام فلا نؤمن بهما .

هذا معنى قوله تعالى ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون﴾ أي بكل منهما كافرون فكيف لا ينجحون اليوم ويطالبون محمداً أن يعطى مثل الذي أعطي موسى من الآيات باللعجب أين يذهب بعقول المشركين !!؟

وقوله تعالى : ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أي قل يارسولنا هؤلاء المشركين الذين كفروا بالتوراة والقرآن ﴿فأتوا بكتاب من عند الله﴾ أنزله بعلمه يكون أكثر هداية من التوراة والقرآن . . أتبعه ! ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم بأن الفرقان والتوراة سحران تظاهرا . وقوله تعالى : ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ بالإتيان بكتاب من عند الله تعالى هو أهدى من الفرقان والتوراة ومن أين لهم بذلك . . إنه المستحيل ! إذاً فاعلم أنهم إنما يتبعون أهواءهم فيما يقولون ويدعون فلا عقل ولا نقل عندهم ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾؟! اللهم إنه لا أضل منه . والنتيجة أنه لا أضل من هؤلاء المشركين من قريش وقوله تعالى ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾^(٣) هذا بيان لسنة الله تعالى في الظالمين الذين أكثروا من الظلم وتوغلوا فيه عقيدة بالشرك وعملاً بالمعاصي فإنه يحرمهم الهداية فلا يهتدون أبداً .

وقوله تعالى : ﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ أي لقد وصلنا أي هؤلاء المشركين

(١) أي : موسى ومحمد تعاونا على السحر .

(٢) قرأ نافع (ساحران تظاهرا) وقرأ حفص : (سحران) إخبار بالمصدر .

(٣) المراد بالظالمين : الكاملون في الظلم وهو يظلم الأنفس وظلم الناس وظلم الشرك وهو أعظمها . (إن الشرك لظلم عظيم) وكذا إتيان الفواحش .

(٤) التوصيل مبالغة في الوصل وهو : ضم شيء إلى شيء وربطه به ، والقول القرآن ألفاظه وصل بعضها ببعض إذ نزل منجما كلما نزل أي وصل بالآخر حتى اكتمل ، ووصلت معانيه بعضها ببعض بإحكام وإتقان لم يُعهدا في كتاب غيره وصل وعده بوعيده وترغيبه بترهيبه .

من قومك يارسلنا أي وصلنا لهم القول بأخبار الماضين، وما أحللتنا بهم من بأسنا ونقمنا وعظيم عقوباتنا لما كفروا كما كفر هؤلاء وكذبوا بما كذب به هؤلاء وصلنا لهم القول مبيناً واضحاً موصولاً أوله بآخره رجاء أن يتذكروا فيذكروا فيؤمنوا ويوحدوا فينجوا من العذاب ويرحموا بدخول الجنة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان تناقض المشركين وكل من يتبع الهوى ويترك الهدى الإلهي .
- ٢ - بيان تحدي المشركين بالإتيان بكتاب من عند الله وعجزهم عن ذلك فبان بذلك أنهم يتبعون أهواءهم وأنه لا أضل منهم اليوم .
- ٣ - بيان سنة الله في حرمان المتوغلين في الظلم من الهداية الإلهية .
- ٤ - بيان أن الله عز وجل وصل القول لأهل مكة مفصلاً مبيناً لهدايتهم فله الحمد وله المنة وعلى الكافرين اللعنة في جهنم .

الَّذِينَ

ءَايَنَتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ أُنزِلَتْ عَلَيْهِمْ
قَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ
أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ
لَا نَبْنِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

- الذين آتيناهم الكتاب من قبله : أي التوراة والإنجيل من قبل القرآن الكريم .
وإذا يتلى عليهم : أي القرآن .
إنا كنا من قبله مسلمين : أي منقادين لله مطيعين لأمره ونهيه .

أجرهم مرتين : أي يضاعف لهم الثواب لأنهم آمنوا بموسى وعيسى
وأمنوا بمحمد ﷺ

ويدرءون بالحسنة السيئة : أي يدفعون بالحسنة من القول أو الفعل السيئة منها .
وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه : أي الكلام اللاغبي الذي لا يقبل ولا يقر عليه لأنه لا يحقق
درهماً للمعاش ولا حسنة للمعاد .

سلام عليكم : هذا سلام المتاركة أي قالوا قولاً يسلمون به .
لانتبغي الجاهلين : أي لا نطلب صحبة أهل الجهل لما فيها من الأذى .

معنى الآيات :

إن قوله تعالى : ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ يشمل أيضاً اليهود والنصارى من أهل
الكتاب إذ هم كالعرب فيما بين لهم من أخبار الماضين وفصل من أبناء إهلاك الأمم السابقة
وما أنزل من بأساء وعذاب بالمكذبين ، إذ الجميع مطالبون بالإيمان والعمل الصالح والتخلي
عن الشرك والكفر والمعاصي للنجاة والسعادة فذكر تعالى هنا أن فريقاً من أهل الكتاب
يؤمنون بالنبي محمد لأنه الحق من ربهم . فقال تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون ﴾ ﴿ وإذا يتلى عليهم ﴾ أي القرآن ﴿ قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله ﴾
أي من قبل نزول القرآن ﴿ مسلمين ﴾ أي موحدين منقادين نعبد الله بما شرع على لسان
موسى وعيسى عليها السلام هذه الآية تعني مجموعة من آمن من أهل الكتاب على عهد
رسول الله ونزول القرآن منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما . وقوله تعالى :
﴿ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ أي مضاعفاً لأنهم آمنوا برسولهم وعملوا بما جاء به من الحق
وأمنوا بمحمد ﷺ وما جاء به من الهدى وقوله ﴿ ويدرءون ﴾ أي يدفعون ﴿ بالحسنة ﴾ وهي
الصفح والعتف ﴿ السيئة ﴾ وهي الأذى من سب وشتم . وقوله ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ أي

(١) ذكر عدة أقوال في هؤلاء الذين نزلت فيهم هذه الآية منها وهو أقربها لأن السورة مكية أنها نزلت في النجاشي وأصحابه
إذ وجّه باثني عشر رجلاً فجلسوا إلى النبي ﷺ وكان أبو جهل وأصحابه قريباً منهم فأمنوا بالنبي ﷺ فلما قاموا من عنده تبعهم
أبو جهل ومن معه فقال لهم . خيبكم الله من ركب وقبحكم من وفد لم تلبثوا أن صدقتموه وما رأينا ركباً أحق منكم ولا أجهل .
فقالوا : سلام عليكم لم نأل أنفسنا رشداً لنا أعمالنا ولكم أعمالكم .

(٢) ومن قبل محمد ﷺ كذلك .

(٣) ثبت في الصحيح (أن ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقته
فله أجران وعبد مملوك أدى حق الله عز وجل وحق سيده فله أجران ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غداءها ثم أذبحها فأحسن
أذبحها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران) قال الشعبي : خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا إلى
المدينة .

(٤) شاهده حديث معاذ : (أتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

(٥) هذا الإنفاق عام في المال والعلم والجاه إذ كل ذلك من رزق الله والكل يُنفق منه في سبيل الله .

يتصدقون بفضول أموالهم حيث تنبغي الصدقة .

وقوله ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ أي وإذا سمع أولئك المؤمنون من أهل الكتابين اللغو من سفهاء الناس أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه ولا إلى قائله وأجابوا قائلين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ أي نتائجها حيث نجزي بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ حيث تجزون بها ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي اتركونا، إنا لا نبتغي^(١) محبة الجاهلين، لما في ذلك من الأذى والضرر الناتج عن سلوك أهل الجهل بالله تعالى ومحابه ومكارهه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان فضل أهل الكتاب إذا آمنوا بالنبي الأمي وكتابه وأسلموا لله رب العالمين .
- ٢ - فضيلة من يدرء بالحسنة السيئة، وينفق مما رزقه الله .
- ٣ - فضيلة من يعرض عن اللغو وأهل الجهالات، ويقول ما يسلم به من القول، وهذه إحدى صفات عباد الرحمن ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ أي قولاً يسلمون به . وهذا السلام ليس سلام تحية وإنما هو سلام متاركة .

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ
 اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنْ
 نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ
 حَرَمَاءَ آمِنًا يُجَبِّيٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبٍ
 بِطَرْتِ مَعِيشَتِهَا فَنِلَّكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِمْ
 إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ

(١) أي : لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة والمخاصمة .

الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا
كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

إنك لاتهدي من أحببت : أي هدايته كأبي طالب بأن يسلم ويحسن إسلامه .
وقالوا : أي مشركو قريش .

إن نتبع الهدى معك : أي إن نتبعك على ماجئت به وندعو إليه وهو الإسلام .
نتخطف من أرضنا : أي تتجراً علينا قبائل العرب وبأخذوننا .
يجبي إليها ثمرات كل شيء : أي يحمل ويساق إليه ثمرات كل شيء من كل ناحية .
رزقاً من لدنا : أي رزقاً لكم من عندنا يا أهل الحرم بمكة .
بطرت معيشتها : أي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في الذنوب وطغت في المعاصي .

يبعث في أممها رسولاً : أي في أعظم مدنها . وهي العاصمة .
إلا وأهلها ظالمون : بالتكذيب للرسول والإصرار على الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿إنك لاتهدي .. بالمهتدين﴾ هذه الآية نزلت في شأن أبي طالب عم الرسول ﷺ إذ كان النبي ﷺ يرغب في إسلامه لما له من سالفة في الوقوف إلى جنب النبي ﷺ بحميه ويدافع عنه فلما حضرته الوفاة زاره النبي ﷺ وعرض عليه الشهادتين فكان يقول له : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيامة وكان حوله عواده من كفار قريش ، ومشائخها فكانوا يnehونه عن ذلك حتى قالوا له : أترغب عن دين أبائك ؟ أترغب عن ملة عبد المطلب أبيك حتى قال هو على ملة عبد المطلب ومات . فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فنهاه الله فلم يستغفر له بعد ونزلت هذه الآية كالعزاء له ﷺ فقال تعالى : ﴿إنك لاتهدي من أحببت﴾ هدايته يانبينا ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ هدايته لعلمه أنه يطلب الهداية ولا يرغب عنها كما يرغب عنها أبو طالب وأبو لهب وغيرهما ،

(١) روى البخاري سبب نزول هذه الآية وأنها نزلت في أبي طالب عم الرسول ﷺ .

﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي بالذين سبق في علمه تعالى أنهم يهتدون .

وقوله تعالى : ﴿إن تتبع الهدي معك نتخطف من أرضنا﴾ هذا اعتذار اعتذر به بعض رجالات قريش^(١) فقالوا نحن نعرف أن ماجئت به حق ولكننا نخشى إن آمننا بك واتبعناك يتألب علينا العرب ويرموننا عن قوس واحدة ونصبح نتخطف من قبل المغيرين كما هو حاصل لغيرنا، وبذلك نحرم هذا الأمن والرخاء وتسوء أحوالنا، لهذا نعتذر عن متابعتك فيما جئت به وأنت تدعو إليه من الكفر بآلهتنا وهدمها والتخلي عنها . فقال تعالى في الرد على هذا الاعتذار الساقط البارد ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً^(٢) يجيبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا﴾ أي لم يوطئ لهم أرض بلد حرمانه فلا يسفك فيه دم ، ولا يصاد فيه صيد ، ولا يؤخذ فيه أحد بجريرة ، أليس هذا كافياً في أن يعلموا أن الذي جعل لهم حرماً آمناً قادر على أن يؤمنهم إذا آمنوا وأسلموا، ومن باب أولى . ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ فهذه علة اصرارهم على الشرك والكفر . إنها الجهل بالله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته . ومعنى يجيبى أو تجيبى إليه ثمرات كل شيء أي يحمل إليه ويساق من أنحاء البلاد ثمرات كل شيء من أنواع الأرزاق وكان ذلك رزقاً منه تعالى لأهل الحرم . أفلا يشكرون .

وقوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ أي وكثيراً من أهل القرى أهلكتناهم (بظرت معيشتها) لما بطروا عيشتهم فلم يشكروا نعمة الله عليهم فأسرفوا في الظلم والمعاصي فأهلكناهم ﴿فتلك مساكنهم﴾ أي ديارهم ﴿لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾^(٣) كديار عاد وثمود والمؤتفكات . ﴿وكننا نحن الوارثين﴾ لها، فلم نورثها غيرهم وتركتناها خاوية خالية لم تسكن . أما يذكرون هذا فيعلموا بذلك قدرتنا فيتقوا فينا ويتوكلوا علينا ويؤمنوا ويوحدوا ويستقيموا على منهج الحق الذي جئت يارسولنا به .

وقوله : ﴿وما كان ربك﴾ يأبها الرسول ﴿مهلك القرى﴾ أي أهل المدن والخواضر ﴿حتى يبعث في أمها رسولاً﴾ كما بعثك في أم القرى مكة ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ أي لم يكن

(١) من القائلين هذا القول من قريش الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف القرشي وكان هذا القول من تمللهم فاجاب تعالى عما اعتل به هؤلاء فقال : (أولم نمكن لهم حرماً آمناً . الخ .

(٢) الاستهتام للإنتكار عليهم أن يكون الله تعالى لم يمكّن لهم حرماً آمناً

(٣) قرأ نافع تجيبى بالياء، وقرأ حفص بالياء، والجبى : الجمع، والجلب، ومنه جباية الزكاة أي جمع أموالها، وجباية الحوض ما يجمع فيها الماء من البشر.

(٤) هذا الاستدراك لذكر علة تجاهلهم حماية الله تعالى لهم بتمكين الحرم لهم فهم فيه آمنون مطمئنون ألا وهي الجهل فهو علتهم الحاملة لهم على الإصرار على الشرك .

(٥) بطرت : جهلت شكر معيشتها .

(٦) (إلا قليلاً) أي : كالمسافرين الذين يمرون بها وينزلون بها ساعات ويغادرون .

(٧) الجملة في محل نصب صفة لـ (رسولاً) .

من سنة الله تعالى هذا بل لا يهلك أمة حتى يبعث في أم بلادها رسولا يتلو عليهم آيات الله المبينة للحق من الباطل والخير من الشر وجزاء ذلك وقوله تعالى : ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ أي ولم يكن من سنة الله تعالى في عبادة أن يهلك القرى إلا بعد ظلم أهلها .

فلإ هلاك شرطان :

الأول : أن يبعث الرسول يتلو آياته فيكذب ويكفر به وبما جاء به .

والثاني : أن يظلم أهل القرى ويعتدوا وذلك باظهار الباطل والمنكر وإشاعة الشر والفساد في البلاد وهذا من عدل الله تعالى ورحمته بعباده إنه لأرحم بهم من أنفسهم ، وكيف ومن أسائه وصفاته الرحمن الرحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - تقرير مبدأ لاهادي إلا الله . الهداية المنفية هي ائارة قلب العبد وتوفيق العبد للإيمان وعمل الصالحات ، وترك الشرك والمعاصي . والهداية المثبتة ، يقول الله تعالى وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . تلك هداية الدعوة والوعظ والارشاد ، ومنه ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي يدعوهم إلى الهدى .

٢ - مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته فيما ألقاه في قلوب العرب المشركين الجاهلين من تعظيم الحرم وأهله ليهيء بذلك لسكان حرمه أمناً وعيشاً كما قال تعالى ﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ قريش (٢-٤) .

٣ - من رحمة الله وعدله أن لا يهلك أمة من الأمم إلا إذا توفر لها كلها شرطان :

١ - أن يبعث فيهم رسولا يتلو عليهم آيات الله تحمل الهدى والنور .

٢ - أن يظلم أهلها بالتكذيب للرسول والكفر بما جاء به والاصرار على الكفر والمعاصي .

٤ - التاريخ يعيد نفسه كما يقولون فما اعتذر به المشركون عن قبول الإسلام بحجة تألب العرب عليهم وتعطيل تجارتهم يعتذر به اليوم كثير من المسؤولين ففعلوا الحدود وجاروا الغرب في فصل الدين عن الدولة وباحوا كباثر الاثم كالربا وشرب الخمر وترك الصلاة حتى لا يقال عنهم أنهم رجعيون متزمتون فيمنعهم المعونات ويحاصر ونهم اقتصادياً .

(١) أي : إلا بعد أن ظلموا بالشرك والمعاصي بارتكاب عظام الذنوب وكباثر الاثم ، وذلك لتتزه الرب تبارك وتعالى عن الظلم .

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا
 فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

وما أوتيتم من شيء	: أي وما أعطاكم الله من مال أو متاع .
فمتاع الحياة الدنيا وزينتها	: فهو ماتتمتعون به وتزينون ثم يزول ويفنى .
وما عند الله خير وأبقى	: أي وما عند الله من ثواب وهو الجنة خير وأبقى .
أفلا تعقلون	: لأن من يؤثر القليل الفاني على الكثير الباقي لا عقل له .
وعداً حسناً	: أي الجنة .
فهو لاقيه	: أي مصيبه وحاصل عليه وظافر به لا محالة .
من المحضرين	: أي في نار جهنم .

معنى الآيتين :

لقد سبق في هذا السياق أن المشركين اعتذروا عن الإسلام بعذر مادي بحت وهو وجود عداوة بينهم وبين سائر العرب . يترتب عليها حروب وتعطل التجارة إلى غير ذلك . فقوله تعالى هنا ﴿وما أوتيتم^(١) من شيء﴾ فمتاع الحياة الدنيا ﴿هو خطاب لهم ولكل من يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة فيستحل المحرمات ويعطل الأحكام ويضيع الفرائض والواجبات لتعارضها في نظره مع جمع المال والتمتع بالحياة الدنيا . وقوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي من مال ومتاع وإن كثر ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ أي فهو متاع الحياة الدنيا ﴿وزينتها﴾ أي تتمتعون وتزينون به أياماً أو أعواماً ثم ينفذ ويزول ، أو تموتون عنه وتتركونه ﴿وما عند الله﴾

(١) في هذه الآية الكريمة تذكرة لقريش التي آثرت الدنيا على الآخرة فردت الإسلام مخافة أن يؤثر على حياتها الاقتصادية والأمنية في تصورهما الهابط المتهالك وهي أيضاً تذكرة لكل الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة .
 (٢) (من) بيانية فقوله : (من شيء) بيان لما في قوله : (وما أوتيتم) والمتاع ما يتمتع به زماناً ثم يزول ، والزينة تطلق على ما يحسن الأجسام .

من نعيم الجنة ﴿خير وأبقى﴾ خير في نوعه وأبقى في مدته، فالأول رديء وتصحبه المنغصات ويعقبه الكدر. والثاني جيد صالح خال من المنغصات والكدورات وباق لا يبلى ولا يفسى ولا يزول ولا يموت صاحبه ويخلفه وراءه. ﴿أفلا تعقلون﴾ يامن تؤثرون الفاني على الباقي والردىء على الجيد والخبث على الطيب. وقوله تعالى: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو المؤمن الصادق في إيمانه المؤكد له بصالح عمله، ﴿وعدناه وعداً حسناً﴾ وهو الجنة دار السلام فهو لاقية ﴿أي لاق موعده بإذن الله بمجرد أن يلفظ أنفاسه وتخرج إلى السماء روحه. ﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ فهو يأكل ويشرب وينكح كالبهائم ﴿ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ في جهنم في دار العذاب والهوان، والجواب: لا يستويان أبداً وشتان ما بينهما، فالأول وهو المؤمن الصالح الموعود بدار السلام لا يقارن بالكافر المهالك على الدنيا ثم يتركها فجأة ويجد نفسه مع أهل الكفر والإجرام في عذاب وهون لا يفارقه ولا يخرج منه أبداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - فائدة العقل أن يعقل صاحبه دون ما يضره، ويبعثه على ما ينفعه فإن لم يعقله دون ما يضره ولم يبعثه على ما ينفعه فلا وجود له، ووجوده كعدمه.
- ٢ - بيان فضل الآخرة على الدنيا.
- ٣ - وعد الله للمؤمن بالجنة خير مما يؤتاه الكافر من مال ومتاع وزينة في الحياة الدنيا.

وَيَوْمَ يناديهم فيقول أين شركاءى الذين
 كنتم تزعمون ﴿٦٢﴾ قال الذين حق عليهم القول ربنا هلولاء
 الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا
 يعبدون ﴿٦٣﴾ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا

(١) الاستفهام إنكاري ينكر فيه تعالى التسوية فضلاً عن المفاضلة بين مؤمن وعده ربه النعيم المقيم في الآخرة وكافر متعه اليوم بمتع زائلة فانية عما قريب تنتهي وتزول ويؤول أمره إلى دار الشقاء والعذاب الأبدي وهي دار البوار.

(٢) جملة (فهو لاقية) معترضة بين طرفي المقابلة في المفاضلة.

لَهُمْ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ ينادِيهِمْ
 فيقول ما ذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ
 يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

ويوم يناديهم	: أي الرب سبحانه وتعالى .
كنتم تزعمون	: أي أنهم شركاء لي فعبدتوهم معي .
حق عليهم القول	: أي بالعذاب في النار وهم أئمة الضلال .
أغويناهم	: أي فغَوُوا ولم نكرههم على الغي .
تبرأنا إليك	: أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم .
وقيل ادعوا شركاءكم	: أي نادوهم ليخلصوكم مما أنتم فيه .
لو أنهم كانوا يهتدون	: أي لما رأوا العذاب ودُّوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين .
ويوم يناديهم	: أي الله تبارك وتعالى .
فعميت عليهم الأنباء	: أي فخفيت عليهم الأنباء التي يمكنهم أن يحتجوا بها .
فهم لا يتساءلون	: أي انقطعوا عن الكلام .
فأما من تاب وآمن	: أي آمن بالله ورسوله وتاب من الشرك .
وعمل صالحاً	: أدى الفرائض والواجبات .
فعسى أن يكون من المفlichen	: أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة ، وعسى من الله تعالى لاتفيد مجرد الرجاء بل هي لتحقق الموعد به .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله واذكر يوم ينادي^(١) ربك هؤلاء المشركين وقد ماتوا على شركهم فيقول لهم

(١) بعد تقرير النبوة انتقل الكلام إلى تقرير ركني العقيدة: التوحيد والبعث، فيوم معمول لمحذوف تقديره: أذكر يا رسولنا يوم ينادي الجبار أولئك المحضرين في جهنم يناديهم للتوبيخ والتقريع.

﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أي أنهم شركائي هذا سؤال تقريع وتأييب والتقريع والتأييب ضرب من العذاب الروحي الذي هو أشد من العذاب الجسدي . وقوله تعالى ﴿قال الذين^(١) حق عليهم القول﴾ أي نطق الرؤساء من أئمة الضلال وهم الذين حق عليهم العذاب في نار جهنم ﴿ربنا هؤلاء^(٢) الذين أغوينا﴾ ﴿أغويناهم﴾ فغوا ﴿كما غوينا﴾ أي ما أكرهناهم على الغواية، ﴿تبرأنا إليك﴾ أي منهم . ﴿ماكانوا إيانا يعبدون﴾ أي بل كانوا يعبدون أهواءهم لاغير . وقوله : ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ أي يقال للمشركين تهكماً بهم واستهزاء ، ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أي لينصروكم ويخلصوكم مما أنتم فيه من الذل والهوان .

قال تعالى : ﴿فدعوهم﴾ بالفعل نادوا ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ إذا لا يقدر واحد من الإنس أو الجن أن يقول هذا كان يعبدني، بل كل معبود يتبرأ من عبده كما قالوا في الآية قبل ذي تبرأنا إليك أي منهم ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون أهواءهم وقوله تعالى : ﴿ورأوا العذاب﴾ بأعينهم فاشتدت حسرتهم وودوا لو أنهم كانوا في الدنيا من المهتدين . وقوله تعالى : ﴿ويوم يناديهم﴾ أي ربهم قائلاً ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾ ؟ أخبرونا كيف كان موقفكم مع من أرسلنا إليكم ؟ هل أنتم بهم واتبعتموهم أم كذبتموهم وحرابتموهم قال تعالى : ﴿فعميت^(٣) عليهم الأنبياء يومئذ﴾ أي فخفيت عليهم الأخبار التي يمكنهم أن يحتجوا بها فلم يجدوا حجة واحدة ولذا ﴿فهم لايتساءلون﴾ أي لايسأل بعضهم بعضاً لأنه سقط في أيديهم وعلموا أنهم صالو الجحيم لا محالة . وقوله تعالى : ﴿فأما من تاب﴾ من هؤلاء المشركين اليوم من الشرك وآمن بالله ولقائه ورسوله وعمل صالحاً فأدى الفرائض والواجبات ﴿فعمى أن يكون من المفلحين﴾ أي الفائزين بالنجاة من النار ودخول الجنة، فهذه دعوة سخية لكل مشرك وكافر وفساق أن يتخلى عن الباطل المتلبس به ويؤمن بالإيمان الصحيح ويعمل صالحاً بأداء الفرائض فإنه ينجو من النار ويدخل الجنة دار الأبرار فهل من تائب؟! .

(١) لم تعطف جملة . (قال الذين) بالواو أو بالفاء لأنها في صورة حوار.

(٢) هذا النداء المراد به الاستعطاف والاسترحام .

(٣) أي : أضللناهم كما كنا ضالين، وذلك أنهم دعوهم إلى عبادتهم فعبدوهم، ولذا قال قتادة : هؤلاء هم الشياطين، وقيل : هم الرؤساء، والكل صحيح .

(٤) (تبرأنا) أي : تبرأ الشياطين والرؤساء ممن عبدوهم أو عبدوا غير الله بدعوتهم وتزيينهم، وأنكروا أنهم كانوا يعبدونهم .

(٥) خفيت الأنبياء على جميع المسؤولين فسكتوا كلهم إذا لم يروا جواباً ينفع في هذا الموقف الرهيب .

(٦) هذه الفاء الفصيحة كأن سائلاً قال بعد أن عرف حال المشركين في النار: وما حال غيرهم يا ترى؟ فأجيب بأن من تاب من الشرك وعمل صالحاً بأداء الفرائض ففلاحه العظيم واجب له متأكد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بالشرك والمشركين .
- ٢ - براءة الرؤساء في الضلالة من الرؤوسين .
- ٣ - التحذير من الغواية وهي الضلال والانغماس في الذنوب والآثام .
- ٤ - خذلان المعبودين عابديهم يوم القيامة وتبرؤهم منهم .
- ٥ - باب التوبة مفتوح لكل عبد مهما كانت ذنوبه ولا يهلك على الله إلا هالك .

وَرَبِّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ
 الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

يخلق ما يشاء	: أي من خلقه .
ويختار	: أي من يشاء لنبوته وطاعته .
ما كان لهم	: أي للمشركين .
الخيرة	: أي الاختيار في شيء .
سبحان الله	: أي تنزيها لله عن الشرك .
يعلم ما تكن صدورهم	: أي ماتسر وتخفي من الكفر وغيره .
له الحمد في الأولى	: أي في الدنيا لأنه مولى كل نعمة .
وفي الآخرة	: أي في الجنة .
وله الحكم	: أي القضاء النافذ .
وإليه ترجعون	: بعد النشور وذلك يوم القيامة .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآيات قبل هذه التنديد بالشرك وتوبيخ المشركين وتحديهم بدعاء شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه من الذل والعذاب، وكان شركهم باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة إذ تبرأ منهم من اختاروهم آلهة مع الله فعبدوهم معه. وفي هذه الآية يكشف تعالى عن خطئهم في الاختيار، وذلك من وجهين : الأول أنه لاحق لهم في الاختيار. إذ الاختيار لخالق المخلوقات فيختار منها ما يشاء لنبوته أو طاعته أما الذي يُخَلَقُ ولا يُخَلَقُ فيصح منه اختيار. والثاني بحكم أنهم مخلوقون مربوبون لله تعالى وهم يعلمون هذا إذ لو سألهم أحد : من خلقكم؟ لقالوا : الله؛ كان المفروض فيهم والمطلوب منهم أن يطلبوا من الله تعالى خالقهم أن يختار لهم ما يعبدون وبين لهم كيف يعبدون، إذ هو مولاهم الحق ولا مولى لهم سواه أما أن يركبوا رؤوسهم ويختاروا بأنفسهم ما يعبدون فهذا ظلم منهم كبير استوجبوا به اللوم في الدنيا والعذاب في الآخرة. قال تعالى : (٦٨) ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ . . أي وربك يا محمد يخلق ما يشاء ممن يريد خلقهم ويختار من يشاء لما يشاء ممن يشاء من عباده لما يشاء من كمال أو نقصان. أما عبده فليس لهم حق الاختيار وإنما عليهم السمع والطاعة قال تعالى : ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي حق الاختيار بل الذي يختاره الله هو الذي يجب أن يختاره العبد. وقد كان النبي ﷺ يدعو ويقول : «اللهم خِر لي واختر لي» وكان يعلم أصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، ويحضهم على أن يختاروا في الأمر الواحد سبع مرات. وقوله تعالى : ﴿سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾ نزه تعالى نفسه عن شرك المشركين وباطل المبطلين وقوله ﴿وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تَكْنُ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ وهذا برهان أن الخيرة له وليس لغيره إذ الذي يعلم الظواهر والبواطن والبدايات والنهايات قبل البدء والمنتهى صاحب هذا العلم هو الذي يختار. أما الذي لا يعلم ما يكتنه أخوه في صدره بل ولا ما يظهره آخر إلى جنبه أي لا يعلم عاقبته فكيف يصح منه الاختيار أو تكون له خيرة في شيء : وفوق ذلك أنه سبحانه وتعالى وهو الله الذي لا إله إلا هو أي المعبود الذي لا معبود بحق سواه الذي له الحمد

(١) قيل نزلت ردأ على الوليد بن المغيرة حين قال : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. كما هي ردة على اختيارهم الشركاء ليشفعوا لهم يوم القيامة.

(٢) جازئ أن يكون (ما) موصولاً مفعولاً به لفعل : يختار، والعائد محذوف أي : ويختار الذي لهم فيه خيرة، كما أن الخلق من خصائصه، إذ قال (وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) فكذلك الاختيار له دون غيره، وجزائئ أن يكون الوقف التام على (ويختار)، وجملة (ما كان لهم الخيرة) مستأنفة لغرض تأكيد القصر على الله تعالى هو الخالق وحده وهو الذي يختار وحده وليس لأحد من الخلق الخلق والاختيار.

(٣) الخيرة : اسم مصدر الاختيار كالطيرة اسم مصدر التطير ولا نظير لهذه الصيغة في الأسماء (الطيرة والخيرة).

في الدنيا إذ كل مافي الدنيا هو خلقه وفضله وإنعامه، وله الحمد في الآخرة، يحمده أهل الجنة إذ قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن بل الحياة الدنيا كالأخرة. تختتم بالحمد لله . قال تعالى ﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ﴿وله الحكم وإليه ترجعون﴾ أي وله الحكم أي القضاء في الدنيا والآخرة ﴿وإليه ترجعون﴾ فكما أن الحكم خاص به فكذلك الرجوع إليه، ويوم يرجعون إليه يحكم بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير مبدأ «ليس من حق العبد أن يختار إلا ما اختار الله له» .
- ٢ - تعين طلب الاختيار في الأمر كله من الله تعالى بقول العبد «اللهم خر لي واختر لي» .
- ٣ - تأكيد سنة الاستخارة وهي إذا هم العبد بالأمر يصلي ركعتين في وقت لا تكره فيه صلاة النافلة، ثم يدعو بدعاء الاستخارة كما ورد في الصحيح وهو «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وفي عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به» . ويسمي حاجته التي همَّ بها من سفر أو زواج أو بناء أو تجارة أو غراسة .
- ٤ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد .
- ٥ - وجوب حمد الله وشكره على كل حال وذلك لتجدد النعمة في كل آن .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
 مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى
 يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ
 فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ
 وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ الَّذِينَ كُنْتُمْ
تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

أرأيتم	: أي أخبروني .
سرمداً	: أي دائماً، ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار .
بضياء	: أي ضوء كضوء النهار .
ليل تسكنون فيه	: أي تنامون فتسكن جوارحكم فتستريح من تعب الحياة .
لتسكنوا فيه	: أي في الليل .
ولتبتغوا من فضله	: أي تطلبوا الرزق من فضل الله في النهار .
ولعلكم تشكرون	: أي كي تشكروا ربكم بطاعته كالصلاة والصيام والصدقة .
ونزعنا من كل أمة شهيداً	: أي أحضرنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيها عليه السلام .
فقلنا هاتوا برهانكم	: أي حججكم على صحة الشرك الذي أنذرتكم رسلنا عواقبه فما قبلتم النذارة ولا البشارة .
فعلموا أن الحق لله	: أي تبين لهم أن العبادة والدين الحق لله لالسواه .
وضل عنهم ما كانوا يفترون	: أي وغاب عنهم ما كانوا يكذبونه من الأقوال الباطلة التي كانوا يردون بها على الرسل عليهم السلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد وهو حول أنداد الله تعالى من مخلوقاته فقال تعالى لرسوله محمد ﷺ، قل لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله أنداداً وهو

خالقهم ورازقهم ومدبر أمر حياتهم ﴿أرأيتم﴾^(١) أي أخبروني ﴿إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ أي دائماً ليلاً واحداً متصلاً لا يعقبه نهار ﴿إلى يوم القيامة﴾ أخبروني هل هناك ﴿إله غير الله يأتيكم بضياء﴾ كضياء النهار، والجواب لا أحد وإذاً فكيف تشركون به أصناماً. ﴿أفلا تسمعون﴾ ما يقال لكم. وقل لهم أيضاً ﴿أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي دائماً متصلاً لا يخلفه ليل أبداً ﴿إلى يوم القيامة﴾ إلى إنقراض هذا الكون وانتهاء هذه الحياة وقيام الناس لرحمهم من قبورهم يوم القيامة ﴿من إله غير الله﴾ أي أيُّ إله غير الله ﴿يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ فتخلدون إلى الراحة بالنوم والسكون وعدم الحركة فيه، وإذا قلتُم لا أحد يأتينا بليل نسكن فيه إذاً فما لكم لا تبصرون هذه الآيات ولا تسمعون ماتحملة من الأدلة والحجج القاطعة بأنة لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه. وقوله تعالى : ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾ إذ ليس واجباً عليه ذلك وإنما هو فضل منه ورحمة فالليل تسكنون فيه والنهار تتحركون فتبتغون رزقكم من فضل الله، وبذلك تهيؤون للشكر إذا أكلتم أو شربتم أو ركبتم أو نزلتم قلتُم الحمد لله، والحمد لله رأس الشكر، كما أن الليل والنهار ظرف للعبادة التي هي الشكر، فالعبادات لا تقع إلا في الليل والنهار، فالصيام في النهار والقيام بالليل والصلاة والصدقات فيهما. وقوله تعالى : ﴿ويوم يناديهم﴾ أي اذكر يارسولنا لهم تنبيهاً وتعليماً يوم يناديهم الرب تبارك وتعالى فيقول لهم : ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ أنهم شركاء لي فعبدموهم، وهل يرجى أن يجيبوا لا، وإنما هذا السؤال ونظائره هو سؤال تبيكيت وتأنيب وتوبيخ وهو نوع من العذاب النفسي الذي هو أشد من العذاب الجسمي. وقوله تعالى : ﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ أي وأذكر لهم هذا الموقف من مواقف القيامة الصعبة ﴿ونزعنا﴾ أي أحضرنا ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يشهد عليها وهو

(١) حقق الهمزة من (أرأيتم) حفص، وخففها ورش فقلها ألفاً تخفيفاً (أرأيتم).

(٢) (سرمداً) أي : دائماً. قال طرفة بن العبد.

لعمرك ما أمري عليّ بعمّة نهاري ولا ليبي عليّ بسرمد

(٣) أي : بنهار تبصرون فيه معاشكم ويصلح فيه ثماركم ونباتاتكم.

(٤) فيه تصريح بأن الليل بما يحصل فيه من سكون وراحة للأبدان والعقول من الهم والتفكير، والنهار بما يحصل فيه من عمل ونشاط للكسب وتحصيل الرزق نعمة الله على العباد اقتضتها رحمته بهم فله الحمد وله المنّة.

(٥) أعيد هذا الموقف مرة أخرى ليذكر فيه حالاً لم تذكر في الأول وهي : إشهد الأنبياء على أممهم، وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية إذ هذه الآية كآية (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً).

نبيها، ويشهد الرسول أنه بلغ ونصح وأنذر، ويقال لهم : ﴿هاتوا برهانكم﴾^(١) على صحة ما كنتم تعبدون وتدعون. قال تعالى : ﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أي تبين لهم أن الحق لله أي الدين الحق لله فهو المستحق لتأليه المؤهين وطاعة المطيعين وقربات المتقربين لا إله غيره ولا رب سواه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - اشارة علمية إلى أن السماع يكون مع السكون وقلة الضجيج ، وأن الإبصار يكون مع الضوء ، ولا يتم مع الظلام بحال من الأحوال .
- ٢ - البرهنة القوية على وجوب توحيد الله إذ لارب يدبر الكون سواه .
- ٣ - كون النهار والليل طرفان للسكون وطلب العيش هما من رحمة الله تعالى أمر يقتضي شكر الله تعالى بحمده والاعتراف بنعمته وطاعته بصرف النعمة فيما يرضيه ولا يسخطه .
- ٤ - بيان أهوال القيامة ، بذكر بعض المواقف الصعبة فيها .
- ٥ - إذا كان يوم القيامة بطل كل كذب وقول ولم يبق إلا قول الحق والصدق .

﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾

﴿وَأَيْنَانَهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُورٍ بِالْعَصْبَةِ
أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ
﴿٧٦﴾ وَأَبْتَغِ فِي مَاءِ آتِكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ
﴿٧٧﴾ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ
مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا

(١) (هاتوا) أحضروا، والأمر مستعمل هنا للتعجيز إذ هم عاجزون عن الاتيان بأدنى حجة عن صحة شركهم وكفرهم بقاء ربهم، فعاب عليهم ما كانوا يكذبونه من الادعاءات الفارغة من أن أصنامهم تشفع لهم.

وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

إن قارون كان من قوم موسى : أي ابن عم موسى عليه السلام .
فبغى عليهم : أي ظلمهم واستطال عليهم .
ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة : أي أعطاه الله من المال ما ينقل عن الجماعة حمل مفاتيح خزائنه .

لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين : أي لا تفرح فرح البطر والأشر .
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة : أي اطلب في المال الذي أوتيته الدار الآخرة بفعل الخيرات .
على علم عندي : أي لعلم الله تعالى بأني أهل لذلك .
وأكثر جمعاً : أي للمال .
ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون : أي لعلم الله تعالى بهم فيدخلون النار بدون حساب .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص قارون الباغي ، وهو قارون ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ابن اسحق بن إبراهيم عليه السلام . فهو ابن عم موسى بن عمران وابن خالته أيضاً وكان يلقب المنور لحسن صورته ، ووافق كما وافق السامري المطرود . قال تعالى في ذكر خبره ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ أي إسرائيلي ابن عم موسى بن عمران الرسول . ﴿فبغى عليهم﴾ أي على بني إسرائيل أي ظلمهم وطفى عليهم ، ولعل فرعون كان قد أسند إليه إمارة على بني إسرائيل فأطعته وملك أموالاً كثيرة ففرته وأهته . وقوله تعالى : ﴿وَأْتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ . وهذا الخبر الإلهي دليل على ما كان للطاغية

(١) هذا استئناف ابتدائي لذكر قصة لها مغزاها ونتائجها من الموعظة والذكرى .

(٢) ومعزى هذا القصص أولاً : تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا لا يقصه غير من يوحى إليه بحال . ثانياً : تضمن القصص الرد على المعجبين بالمال ومتاع الحياة الدنيا وبيان نهايتهم المؤلمة ، وثالثاً : عرض مشابه لموقف أصحاب الرسول ﷺ مع أغنياء مكة وهم يتطاولون عليهم بالمال والجاه . كما كان قارون مع ضعفة بني إسرائيل وفي ذلك عظة للمؤمنين وذكرى للكافرين .

(٣) (ما إن مفاتحه) الأكثرون على أن (ما) موصول ، وصلتها جملة : (إن مفاتيحه) وأنكر بعض أن تتبدى الصلة بحرف إن فقالوا : (ما) موصوفة وما بعدها في محل الصفة ، والمفاتيح : جمع مفتاح بكسر الميم : اسم آلة الفتح .

(٤) (تنوء) : من ناء بالشيء ينوء ثقل عليه ، والباء : في (بالعصبة) للمصاحبة ، وليست للسببية ، إذ هي كما في قول امرئ القيس :

وأردف أعجازاً وناء بكلل

والعصبة : الجماعة من الخمسة إلى العشرة فأكثر .

قارون من أموال بحيث أن المفاتيح تثقل كاهل العصابة أي الجماعة من الرجال لو حملوها كلها وذلك لثقلها. وقوله تعالى : ﴿إِذ قَالَ لَهُ قَوْمَهُ ﴿ أَي من بني إسرائيل واعظين له مذكّرين ﴿لاتفرح﴾ أي بأموالك فرح الأشر البطر، ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ أي الأشرين البطرين الذين يختالون ويتفاخرون ويتكبرون. ﴿وابتغ﴾ أي اطلب ﴿فميا آتاك الله﴾ من أموال ﴿الدار الآخرة﴾ بأن تصدّق منها وأنفق في سبيل الله كبناء مسجد أو مدرسة أو ميثم أو ملجأ إلى غير ذلك من أوجه البر والإحسان. ﴿ولاتنس نصيبك﴾ من الدنيا ﴿فكل واشرب والبس واركب واسكن ولكن في غير اسراف ولا تخيله، ﴿وأحسن﴾ عبادة الله تعالى وطاعته وأحسن إلى عباده بالقول والعمل ﴿كما أحسن﴾ أي الله تعالى إليك ﴿ولاتبغ الفساد في﴾ الأرض ﴿بترك الفرائض وارتكاب المحرمات. ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ ومن لم يجب الله أبغضه ومن أبغضه عذبه في الدنيا والآخرة فبعد هذه الموعظة من قومه الصالحين أهل العلم والبصيرة ردّ هذا الطاغية قارون بما أخبره تعالى عنه في قوله في الآية (٧٨) ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ أي لا تهدوني ولا تخوفوني بسلب مالي عني إن أنا لم أحسن فإن هذا المال ﴿قد أوتيته﴾ أي آتانيه الله على علم منه بأنني أهل له ولذا أعطاني وزاد عطائي وأكثره قال تعالى في الرد عليه في زعمه هذا ﴿أو لم يعلم﴾ أي يقول ما يقول من الزعم الكاذب ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً، كعاد وثمود وقوم إبراهيم فلو كان كثرة المال دليلاً على حب الله ورضاه عن أهله، ما أهلك عاداً وثموداً وقوم نوح من قبل وكانوا أشد قوة وأكثر مالاً ورجالاً وقوله تعالى : ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ أي إذا أكثر العبد من الإجرام بالشرك والمعاصي حق عليه كلمة العذاب وأن أوان عذابه لا يسأل عن ذنوبه بل يؤخذ فجأة كما أن هؤلاء المجرمين سيدخلون النار بغير حساب فلا يسألون ولا يحاسبون. قال تعالى : ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ أي ويرمّون في جهنم ويقال لهم : ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾.

(١) أشار ابن عمر إلى هذا القول في قوله : احرت لندنيك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. ومن تأولها بالعمل للآخرة فقط شاهده قول الشاعر:

مما تجمع الدهر كله رداء ان تلوي فيهما وحنوط

(٢) الفساد في الأرض يكون بفعل المعاصي الجامعة لترك الفرائض وإتيان الكبائر.

(٣) وقال ابن زيد : لعلم الله تعالى بفضلني ورضاه عني أي : إنني أوتيتها باستحقاقي.

(٤) أي : لا يسأل سؤال استعتاب ليتوب أما سؤال التقرع والتوبيخ فلا مانع منه، وذلك كقوله تعالى : (ولا يستعيبون) وقوله (وما هم بمعيبين).

(٥) (سيماهم) إنهم سود الوجوه زرق العيون.

(٦) المجرمون : هم الذين أجزموا على أنفسهم أي : خبئوها بكثرة ما يرتكبون من الجرائم كالكفر والظلم وكبائر الذنوب، كالقتل ظلماً وأكل الربا وتعاطي الخمر والزنى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - المال والمنصب العالي عرضة لإفساد المرء إلا من رحم الله عز وجل وقليل ما هم .
- ٢ - حرمة الفرح بالمال والإمارة إذا كان الفرح فرح بطر وفخر واعتزاز وكبر وخيلاء .
- ٣ - من فضل الله على الأمة أن يوجد فيها عاملون ينصحون ويرشدون ويوجهون .
- ٤ - من الحزم للمرء أن يطلب من المال والجاه والمنصب أعلى الدرجات في الجنة .
- ٥ - حلية الأكل من الطيب والشرب من الطيب واللبس والركوب والسكن من غير إسراف ولا خيلاء ولا كبر .
- ٦ - العافية والمال وعز السلطان يصاب صاحبها بالاغترار إلا من رحم الله

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ

فِي زِينَتِهِ ^ط قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْلَتَ لَنَا
 مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ
 وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا
 بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا
 مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ^ط
 وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- في زيبته
يأليت لنا مثل ما أوتي قارون
- : أي لباس الأعياد والحفلات الرسمية .
: أي تمنوا أن لو أعطوا من المال والزينة ما أعطي قارون .
- إنه لذو وحظ عظيم
- : أي إنه لذو بخت ونصيب وهبه الله إياه في كتاب المقادير .
- وقال الذين أوتوا العلم
- : أي اعطوا العلم الديني بمعرفة الله والدار الآخرة وموجبات السعادة والشقاء .
- ويلكم
- : أي حضر ويلكم وهلاككم بتمنيكم المال وزخرف الدنيا .
- ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً : أي ما عند الله من جزاء للمؤمنين العاملين الصالحات وهو الجنة خير من حطام الدنيا الفاني .
- ولا يلقاها إلا الصابرون
- : أي ولا يوفق لقول هذه الكلمة وهي ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً إلا الصابرون على الإيوان والتقوى .
- فخسفنا به وبداره الأرض
- : أي أسخنا الأرض من تحته فساخنت به وبداره وكل من كان معه فيها من أهل البغي والإجرام .
- تمنوا مكانه بالأمس
- : أي الذين قالوا يأليت لنا مثل ما أوتي قارون فالمراد من المكان المكانة وما عليه قارون من الامارة والزينة والمال والجاه .
- ويكأن الله يبسط
- : أي أعجبُ عالماً أن الله يبسط الرزق لمن يشاء .
- ويقدر
- : أي يضيق .
- ويكأنه لا يفلح الكافرون
- : أي أعجبُ عالماً أنه لا يفلح الكافرون أي أنهم لا يفوزون بالنجاة من النار ودخول الجنان كما يفوز المؤمنون .

معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص قارون الباغي قال تعالى ﴿فخرج على قومه﴾^(١) أي قارون في يوم عيد أو مناسبة خرج على قومه وهم يشاهدون موكبه ﴿في زينته﴾ الخاصة من الثياب والمراكب . قوله تعالى : ﴿قال الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ أي من قوم موسى وهم المفتونون بالدنيا وزخرفها من أهل الغفلة عن الآخرة وما أكثرهم اليوم وقبل وبعد اليوم قالوا ما أخبر الله تعالى به عنهم : ﴿يأليت لنا مثل ما أوتي قارون﴾ تمنوا أن يكون لهم مثل الذي أوتي قارون من المال والزينة ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ أي بخت ونصيب ورزق ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أي الشرعي^(٢) الديني العالمون بالدنيا والآخرة . وأسباب السعادة والشقاء في كل منهما قالوا ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ أي ويحكمم هلكتم إن كنتم تؤثرون هذا الفاني على الباقي ﴿ثواب الله﴾ وهو الجنة خير من هذا الزخرف الفاني ﴿لمن آمن وعمل صالحاً﴾ ولازم ذلك أنه ترك الشرك والمعاصي ، وقوله تعالى : ﴿ولا يلقاها﴾ أي^(٣) هذه الجملة من الكلام : ﴿ثواب الله خير لمن آمن﴾ بربه ﴿وعمل صالحاً﴾ في حياته بأداء الفرائض والنوافل وترك المحرمات والرذائل أي ولا يلقى هذه الكلمة ﴿إلا الصابرون﴾ من أهل الإيمان والتقوى هم الذين يلقنهم الله إياها فيقولونها لصفاء أرواحهم وزكاة أنفسهم وقوله تعالى في الآية (٨١) ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ يخبر تعالى أنه خسف بقارون وبداره الأرض انتقاماً منه لكفره ونفاقه وبغيه وكبريائه . وقوله تعالى ﴿فما كان له من فئة﴾ أي جماعة ﴿ينصرونه من دون الله﴾ لما أراد الله خذلانه بخسف الأرض به وبداره ومن فيها من أعوانه الظلمة والمجرمين . ﴿وما كان من المنتصرين﴾ أي لنفسه فنجأها مما حل بها من الخسف في باطن الأرض التي ما زال يتجلجل فيها إلى يوم القيامة . وقوله تعالى : ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾^(٤) يخبر تعالى

(١) لم تؤثر فيه موعظة واعظيه ولم ينتفع منها بشيء لظلمة نفسه وقساوة قلبه لما ران عليه من الذنوب فخرج في مظهر الكبرياء والتحدي .

(٢) الحظ : القسم الذي يُعطاه المقسوم له .

(٣) في الآية دليل قوي على أن المجهل بالله وشرائعه ووعده ووعيدته هو سبب كل شر وفساد في الأرض ، وأن العلم بذلك هو سبيل الإصلاح في الأرض .

(٤) (يلقاها) الضمير عائد على ما دل عليه قولهم : (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً) وهو هذه الموعظة ، ولا يلهمها وتلقى في روعه وينطق بها إلا أهل الصبر على الطاعات وعن المعاصي تنصفو لذلك نفوسهم فيلهمون مثل هذه الموعظة .

(٥) الفاء هنا : للترتيب والتعقيب فقد خسف به يوم خروجه في زينته .

(٦) أي : تمنوا منزلته بين الناس ، وهي منزلة المال والترف والجاه والرفعة ومعنى : مكانه : ما كان عليه من منزلة العلو والرفعة .

القصص

عن الذين قالوا يوم خرج عليهم قارون في زينته ياليت لنا مثل ما أوتي قارون يخبر تعالى عنهم أنهم لما شاهدوا الخسف الذي حل بقارون وبداره قالوا ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء أي نعجب عالمين، أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي على من يشاء فالبسط والقبض كله لله ويبد الله فما لنا لا نفرع إلى الله نطلب رضاه ولا نتمنى ماتمنياته وقد أصبح ذاهباً لا يرى بعين ولا يلمس بيدين، ﴿لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكانه لا يفلح الكافرون﴾ أي نعجب أيضاً عالمين بأنه لا يفلح الكافرون كقارون وفرعون وهامان أي لا يفوز الكافرون لا بالنجاة من العذاب ولا بدخول الجنان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن الفتنة أسرع إلى قلوب الماديين أبناء الدنيا والعياذ بالله تعالى
- ٢ - بيان موقف أهل العلم الديني وأنهم رُشد أي حكماء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- ٣ - بيان أن البغي يؤخذ به البغاة في الدنيا ويعذبون به في الآخرة.
- ٤ - بيان أن وجود الإيمان خير من عدمه وإن قل وأن ذا الإيمان أقرب إلى التوبة ممن لا إيمان له.

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَأَلْعَاقِبَةُ لِلْمُنْفِقِينَ
﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(١) (ويكان الله) قيل : ويكان : مركبة من وي وهو اسم فعل بمعنى أعجب وكاف الخطاب وأن الناصبة، ومعنى الكلام :

أعجب يا هذا من بسط الرزق لمن شاء، قال عنترة، والشاهد في قوله : ويك، قال :

ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عترة أقدم

وذهب بعض إلى أن أصل ويك : ويك أعلم أنه كذا فحذفت اللام والفعل، فصارت ويك.

(٢) أي : يضيق الرزق ولا يوسع.

(٣) أي : لولا أن من الله فعافانا مما ابتلى قارون به من المال والظلم والطغيان لحل بنا ما حل به من الخسف والخسران.

شرح الكلمات :

تلك الدار الآخرة	: أي الجنة، دار الأبرار.
لا يريدون علواً في الأرض ولا يفساداً	: أي بغياً ولا استطالة على الناس.
والعاقبة	: أي ولا يريدون فساداً بعمل المعاصي.
للمتقين	: أي المحمودة في الدنيا والآخرة.
من جاء بالحسنة	: الذين يتقون مساخط الله فلا يعتقدون ولا يقولون ولا يعملون مالا يرضى به الله تعالى.
فله خير منها	: أي يوم القيامة والحسنة: أثر طاعة الله تعالى يجزى به المؤمن.
ومن جاء بالسيئة	: أي تضاعف له عشرة أضعاف.
	: السيئة أثر معصية الله تعالى يعاقب به العبد إذا لم يعف الله تعالى عنه.

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق أن ثواب الله وهو الجنة خير لمن آمن وعمل صالحاً فأشار إليه تعالى بقوله ﴿تلك الدار الآخرة﴾ التي هي الجنة إذ هي آخر دار يسكنها المتقون فلا يخرجون منها. نجعلها، هذا هو الخبر عن قوله تلك الدار الآخرة فأخبر تعالى أنه يجعلها مأوى ومسكناً للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، لا يريدون استطالة على الناس وتعالياً وتكبراً عليهم وبغياً، ولا فساداً بارتكاب المعاصي كالقتل والزنا والسرقة وشرب الخمر، وقوله تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل الإيمان والتقوى وهم المؤمنون الذين يتقون مساخط الله عز وجل، وذلك بفعل المأمورات واجتناب المنهيات. وقوله تعالى: ﴿من جاء﴾ أي يوم القيامة ﴿بالحسنة﴾ وهي الطاعات لله ورسوله ﴿فله﴾ جزء مضاعف الحسنة بعشر أمثالها وقد تضاعف إلى أكثر بشرط أن لا تكون حسنة أعطيت له من حسنات ظالم في الدنيا فهذه لا تتضاعف. إذ تضاعف الحسنة التي باشرها، كما

(١) الجملة ابتدائية وهو بدء مشوق، قرأ الفضل بن عياض هذه الآية ثم قال: ذهب الأمامي ها هنا أي: أمانى الذين يزعمون أنه لا يضر مع الإيمان شيء وأن المؤمنين كلهم ناجون من العقاب.

(٢) روى سفيان بن عيينة أن علياً بن الحسين وهو راكب مرّ على مساكين يأكلون كسراً لهم فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم فتلا هذه الآية: (تلك الدار الآخرة...) إلى (فساداً) ثم نزل وأكل معهم.

(٣) الجملة تذييلية تقرر حقيقة أخرى وهي الإشارة بالتقوى والعاقبة المحمودة في الدارين لأهل التقوى.

لاتضاعف حسنة من هم بحسنة ولم يعملها فإنها تكتب له حسنة ولا تضاعف لعدم مباشرته إياها وقوله ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي يوم القيامة. والسيئة أثر معصية الله تعالى ورسوله في نفسه ﴿فلا يجزى﴾ إلا مثلها أي لاتضاعف عليه وذلك لعدالة الله تعالى ورأفته بعباده، وهو معنى قوله تعالى ﴿فلا يجزى الذين عملوا السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿إلا ما كانوا يعملون﴾ أي في الدنيا إذ هي دار العمل والآخرة دار الجزاء.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة التكبر والاستطالة على الناس، والعمل بالمعاصي، وأنه الفساد في الأرض.
- ٢ - بيان فضل الله ورحمته وعدله بين عباده بمضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات.
- ٣ - العقابة الحسنى وهي الجنة لأهل الإيثار والتقوى.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّيَ
 أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ
 تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ
 فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ
 اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

إن الذي فرض عليك القرآن : أي الله الذي أنزل عليك القرآن وفرض عليك قراءته والعمل بما فيه وتبليغه

: أي لمرجعك إلى مكة فاتحاً إذ معاد الرجل بلده الذي يعود إليه .

لرأدك إلى معاد

وماكنت ترجو	: أي تأمل أن ينزل عليك القرآن ويوحى به إليك .
إلا رحمة من ربك	: لكن برحمة من الله وفضل أنزله عليك .
فلا تكونن ظهيراً	: أي فمن شكر هذه النعمة أن لا تكون معيناً للكافرين .
ولا يصدنك	: أي لا يصرفنك عن العمل بآيات الله بعد أن شرفك الله بإنزائها عليك .
وادع إلى ربك	: أي ادع الناس إلى الإيمان بالله وعبادته وترك الشرك به .
ولا تدع مع الله إلهاً آخر	: أي لا تعبد مع الله إلهاً آخر بدعائه والذبح والنذر له .
كل شيء هالك	: أي فإن .
إلا وجهه	: أي إلا الله سبحانه وتعالى فلا يهلك كما يهلك ما عداه .
معنى الآيات :	

تقدم في السياق الكريم الدعوة إلى أصول الدين الثلاثة : التوحيد، النبوة، البعث والجزاء وهذه خاتمة ذلك في هذه السورة الكريمة فقال تعالى : ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن ﴾ أي أنزله عليك وفرض عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ، ﴿ لرادك ﴾ أي لمرجعك ^(١) ﴿ إلى معاد ﴾ وهو العودة إلى مكة بعد خروجك منها واشتياقك إلى العودة إليها وإلى الجنة بعد وفاتك لأنك دخلتها ليلة عُرج بك إلى السماء وفي هذا تقرير لنبوته ﷺ بالوحي إليه ، وقوله تعالى : ﴿ قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين ﴾ فإنه تعليم له ﷺ بما يرد به على المشركين الذين اتهموه بأنه ضال في دعوته وخروجه عن دين آبائه وأجداده علمه أن يقول لهم ربي أعلم بمن جاء بالهدى وهو أنا، رسول الله ، ومن هو في ضلال مبين وهو أنتم أيها المشركون . وقوله ﴿ وماكنت ترجو أن يلقي إليك الكتاب ﴾ أي وما كنت يا محمد تأمل أن ينزل عليك القرآن، وذلك قبل بعثته ﷺ ، وقوله ﴿ إلا رحمة من ربك ﴾ أي لكن رحمة ربك عليك اقتضت إنزاله عليك لتكون رسول الله للعالمين، وهي نعمة كبيرة وإفضال عظيم فاشكره بما يلي :

(١) ﴿ فلا تكونن ظهيراً للكافرين ﴾ أي عوناً لهم بحال من الأحوال .

(١) ختمت هذه السورة المكية بخاتمة نزلت بالمدينة، وهي بشرى له ﷺ بأن مرده إلى مكة فاتحاً قاهراً غالباً وحقق الله تعالى له ذلك فبعد ثمان سنوات من هجرته ظهر مصداق هذه البشرى .

(٢) مرجعك : اسم فاعل من أرجعه الرباعي فهو مرجع له .

(٣) وفسر المعاد بالجنة لأنه دخلها ليلة المعراج، وأخرج منها وبقيت نفسه ملتصقة بها فبشر بأن الله تعالى سيرده إليها .

(٤) الاستثناء منقطع لذا فسر بلكن .

(٢) ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ فتترك تلاوتها وإبلاغها والعمل بها . وفي هذا تقرير للنبوة المحمدية .

(٣) ﴿وادع إلى ربك﴾ ادع الناس إلى توحيد ربك والعمل بشرعه .

(٤) ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ أي فتبرأ منهم ولا ترضى بشركهم وادعهم إلى خلافه وهو التوحيد .

(٥) ﴿ولا تدع مع الله الهاً آخر﴾ أي لا تعبد مع الله الهاً آخر لا بالدعاء ولا بالنذر والذبح ولا بتقديم أي قربان أو طاعة لغير الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا تقرير للتوحيد وقوله ﴿لا إله إلا هو﴾ تقرير للتوحيد بإبطال أن يكون هناك إله مع الله .

وقوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ يخبر تعالى أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل ذاهب بلا مثوبة عليه . كما أن كل شيء سوى الله عز وجل فإن لم يبق إلا الله سبحانه وتعالى كقوله ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ﴿وله الحكم﴾ أي القضاء العادل بين عباده وقوله ﴿والإله ترجعون﴾ أي بعد الموت للحساب والجزاء يوم بعثكم وحشركم إليه عز وجل ، وفي هذا تقرير للبعث والجزاء . والحمد لله أولاً وآخراً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - معجزة القرآن في وقوع الغيب بعد الإخبار به وذلك حيث عاد الرسول ﷺ إلى مكة بعد الخروج منها .
- ٢ - مشروعية الملاينة في الجدل والمناظرة أثناء الدعوة باستعمال أسلوب التشكيك .
- ٣ - حرمة معاونة الكفار ومناصرتهم لاسيما ضد المؤمنين .
- ٤ - وجوب الثبات والصبر على الدعوة حتى نجاحها ببلوغها الناس واستجابتهم لها .
- ٥ - تقرير التوحيد والبعث والنبوة المحمدية .
- ٦ - فناء كل شيء إلا الله تعالى إلا ماورد الدليل بعدم فئائه وعدُّ منه ثمانية نظمها بعضهم بقوله :

هي العرش والكرسي نار وجنة
وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(١) قال مجاهد: معناه إلا هو، وقال سفيان، وأبو العالية: إلا ما أريد به وجهه أي: ما يفعل من الطاعات لأجله، كما قال الشاعر:

استغفر الله ذنباً لست مُحصيه ربّ العباد إليه الوجه والعمل

سُورَةُ الْجِنِّ كِتَابُ مَكَّةَ

(١) مكية

وآياتها تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُوا
لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ
جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦)
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧)

شرح الكلمات :

الم : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب الم وتقرأ ألف لام ميم .

وهم لا يفتنون : أي لا يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم من التكاليف ومنها الصبر على الأذى .

ولقد فتنا الذين من قبلهم : أي اختبرنا من قبلهم إذ هي سنة جارية في الناس .

فليعلمن الله الذين صدقوا : أي في إيمانهم ، وليعلمن الذين كذبوا فيه بما يظهر من

أعمالهم .

أن يسبقونا : أي يفوتونا فلا ننتقم منهم .

(١) روي أن الآيات الأولى منها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة ، وقال علي بن أبي طالب : نزلت بين مكة والمدينة .

سَاء مَا يَحْكُمُونَ : أي بشس الحكم هذا الذي يحكمون به ، وهو حسابانهم أنهم يفوتون الله تعالى ولم يقدر على الانتقام منهم .
 من كان يرجو لقاء الله : أي من كان يؤمن بلقاء الله وينتظر وقوعه فليعلم أن أجله لآت فليستعد له بالإيمان وصالح الأعمال .
 ومن جاهد : أي بذل الجهد في حرب الكفار أو النفس .
 فإنها يجاهد لنفسه : أي منفعة الجهاد من الأجر عائدة على نفسه .
 ولنجزينهم أحسن : أي ولنجزينهم على أعمالهم بأحسن عمل كانوا عملوه .

معنى الآيات :

آلم : الله أعلم بمراده به وهذا هو مذهب السلف في هذه الحروف وهو تفويض علمها إلى منزلها عز وجل وقوله ﴿أحسب الناس﴾ أي أظن الناس ﴿أن يقولوا آمناً﴾ فيكتفى منهم بذلك و﴿وهم لا يفتنون﴾ أي ولا يختبرون بل لا بد من اختبار بالتكاليف الشاقة كالهجرة والجهاد والصلاة والصيام والزكاة وترك الشهوات والصبر على الأذى . والآية وإن نزلت في مثل عمار بن ياسر وبلال وعياش فإنها عامة إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، واللفظ عام هنا ، لأن اسم الجنس إذا دخلت عليه «ال» أفادت استغراق جميع أفرادها . وقوله تعالى : ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ من الأمم السابقة فهي إذ أسنة ماضية في الناس لا تتخلف . وقوله تعالى ﴿فليعلمن﴾ الله الذين صدقوا ﴿في إيمانهم﴾ أي يظهر ذلك ويعلمه مشاهدة بعد أن علمه قبل إخراجهم إلى الوجود حيث قدر ذلك وكتبه في كتاب المقادير وذلك بتكليفهم وقيامهم بما كلفوا به من

(١) قال مجاهد وغيره : نزلت هذه الآية مسلية للمعذبين بمكة المتخلفين عن الهجرة وهم : سلمة بن هشام ، وعياش بن ربيعة ، والوليد بن الوليد ، وعمار بن ياسر ، وياسر أبوه وسمية أمه إذ كانت صدورهم تضيق بالعذاب وربما استنكر أن يمكن الله الكفار من المؤمنين .

(٢) روى البخاري عن خباب بن الارت قال : (شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون) وروى ابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال : (الأنبياء ثم الأمتل فالأمتل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلأ أشد بلاءه وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة!!).

(٣) وفي الحديث : (من أسر سريرة البسه الله رداءها) أي : أظهرها عليه .

شاق الأفعال وشاق التروك، إذ الهجرة والجهاد والزكاة أفعال، وترك الربا والزنا والخمر تروك ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ حيث ادّعوا الإيمان ولما ابتلوا بالتكاليف لم يقوموا بها، فبان بذلك عدم صدقهم وإنهم كاذبون في دعواهم أنهم مؤمنون. وقوله تعالى: ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ أي أظن ﴿الذين يعملون السيئات﴾ من الشرك والمعاصي ﴿أن يسبقونا﴾ أي يفوتونا فلم نأخذهم بالعذاب. ﴿ساء ما يحكمون﴾ به لأنفسهم أي قبح حكمهم هذا من حكم لفساده، إذ أقاموه على ظن منهم أن الله تعالى لا يقدر عليهم وهو على كل شيء قدير وأنه لا يعلمهم وهو بكل شيء عليم. وقوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ أي ﴿من كان﴾ يؤمن ويؤمل لقاء الله وذلك يوم القيامة فليعلم أن أجل الله المضروب لذلك لآت قطعاً وعليه فليستعد للقاءه بما يناسبه وهو الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والعمل الفاسد، ومن هنا دعوى المرء أنه يرجو لقاء ربه ولم يعمل صالحاً يثاب عليه، دعوى لاتضح قال تعالى في سورة الكهف: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (١١٠) وقوله ﴿وهو السميع العليم﴾ أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بنياتهم وأعمالهم، فدعوى الإيمان ظاهرة من العبد أو باطنة لقيمة لها مالم يقم صاحبها الدليل عليها وذلك بالإيمان والجهاد للعدو الظاهر والباطن. وقوله تعالى: ﴿ومن جاهد فإننا يجاهد لنفسه﴾ أي منفعة هذه العبادة عائدة على العبد نفسه أما الله عز وجل فهو في غنى عن عمل عباده غنى مطلقاً وهذا ما دل عليه قوله: ﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ الملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات إذ كل ما سوى الله تعالى عالم ويجمع على عوالم وعالمين^(٤) وقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم﴾ هذا وعد من الله تعالى لمن آمن من عباده وذلك على إيمانه وصالح عمله فعلاً وتركاً بأنه يكفر عنه سيئاته التي عملها قبل الإسلام وبعده. ومعنى يكفرها عنهم يغطيها ويسترها ولم يطالبهم بها كأنهم لم يفعلوها. وقوله ﴿ولنجزيهم﴾ أي على أعمالهم الصالحة ﴿أحسن﴾ أي بأحسن عمل عملوه فتكون أعظم ماتكون مضاعفة. وهذا من تكرمه على عباده الصالحين ليجزي بالحسنة أضعافها مئآت المرات.

(١) قال ابن عباس: المراد بهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل والأسود بن العاص بن هشام وشيبة وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وحنظلة بن أبي سفيان والعاص بن وائل.

(٢) قال القرطبي: أجمع أهل التفسير على أن المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملاً صالحاً فإنه لا بد أن يأتيه.

(٣) المراد بجهاد العدو الظاهر الكفار والباطن النفسي.

(٤) جمع ملحق بمذكر سالم نحو: الحمد لله رب العالمين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة أن الإيمان يصدق بالأعمال أو يكذب .
- ٢ - بيان ضرورة التكليف لما يشق على النفس فعله أو تركه ولكن ليس بهالا يطاق .
- ٣ - تحذير المغترين من العقوبة وإن تأخرت زمناً ما فإنها واقعة لا محالة .
- ٤ - ثمرة الجهاد عائدة على المجاهد نفسه . فلذا لا ينبغي أن يمنها على الله تعالى بأن يقول فعلت وفعلت .
- ٥ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الوعد للذين آمنوا وعملوا الصالحات بتكفير السيئات والجزاء الأحسن أي هذا يتم يوم البعث .

وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا

(١) يصح إعراب (حسناً) على أنه منصوب على نزع الخافض أي: بالحسن، نحو: وصيته خيراً، أي: بالخير، ويصح أيضاً أن يكون العامل محذوفاً تقديره ووصينا الإنسان بوالديه أن يفعل بهما حسناً، كما قال الشاعر:
عجبت من دهماه إذ تشكونا ومن أبي دهماه إذ يوصينا
خيراً بها كأنما خافونا

أي يوصينا أن نفعل بها خيراً

وَلَنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

ووصينا الانسان : أي عهدنا إليه بطريق الوحي المنزل على رسولنا .

بوالديه حسناً : أي إيذاءً ذا حسن ، وذلك ببرهما وعدم عقوبتهما .

وإن جاهداك : أي بذلا الجهد في حملك على أن تشرك .

لندخلنهم في الصالحين : أي لندخلنهم مدخلهم في الجنة .

فتنة الناس : أي أذاهم له .

كعذاب الله : أي في الخوف منه فيطيعهم فيناقق .

إنا كنا معكم : أي في الإيمان وإنما أكرهنا على ماقلنا بالسنتنا .

إتبعوا سبيلنا : أي ديننا ومانحن عليه .

ولنحمل خطاياكم : أي ليكن منكم اتباع لسبيلنا وليكن منا حمل لخطاياكم ، فالكلام

خبر وليس إنشاء .

وليحملن أثقالهم : أي أوزارهم ، والأوزار الذنوب .

وأثقالاً مع أثقالهم : أي من أجل قولهم للمؤمنين إتبعوا سبيلنا .

عما كانوا يفترون : أي يكذبون .

معنى الآيات :

(١)

هذه الآيات نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص لما أسلم قالت له أمه حمنة بنت أبي سفيان ماهذا الدين الذي أحدثت والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ماكنت عليه أو أموت فتصير بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه ، ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم

(١) روى مسلم وغيره عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : نزلت في أربع آيات فذكر قصته قال : قالت أم سعد : أليس الله قد أمرك بالبر؟ والله لا أطمع طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر ، قال : فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهما فنزلت هذه الآية .

تستظل فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال : يا أماء لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني فكلي إن شئت وإن شئت فلا تأكلي ، فلما أيست منه أسلمت وأكلت وشربت فأنزل الله هذه الآية ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أي عهدنا إليه بواسطة الرسل إيصاءً ذا حسن وهو برهما بطاعتهما في المعروف وترك أذاهما ولو قل ، وإيصال الخير بهما من كل ما هو خير قولاً كان أو فعلاً . وقوله تعالى : ﴿وإن جاهدك﴾ أي بذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي شيئاً من الشرك أو الشركاء فلا تطعهما كما فعل سعد بن أبي وقاص مع والدته في عدم إطاعتها . وقوله ﴿إلي مرجعكم﴾ أولاداً ووالدين ﴿فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ وأجزيتكم به فلذا قدموا طاعتي على طاعة الوالدين ، فإني أنا الذي أحاسبكم وأجزيتكم بعملكم أنتم وإياهم على حد سواء . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا﴾ أي بالله ورسوله ﴿وعملوا الصالحات﴾ التي هي العبادات التي تعبد الله تعالى بها عباده المؤمنين، فشرعها لهم وبينها رسوله ﷺ كالذكر وقراءة القرآن والصلاة والصيام والصدقات والجهاد والحج وما إلى ذلك . هؤلاء الذين جمعوا بين الإيمان الحق والعمل الصالح الخالي من الشرك والرياء . يقسم الله تعالى أنه يدخلهم في مدخل الصالحين وهم الأنبياء والأولياء في الجنة دار السلام . وقوله تعالى : ﴿ومن الناس﴾^(١) من يقول آمنا بالله ﴿الآية هذه نزلت في أناس كانوا بمكة وآمنوا وأعلنوا عن إيمانهم فاضطهدهم المشركون فكانوا ينافقون فأخبر تعالى عنهم بقوله : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله﴾ أي آذاه المشركون نافق وارتد ﴿جعل فتنة الناس﴾ أي آذاهم له وتعذيبهم إياه ﴿كعذاب الله﴾ يوم القيامة فوافق المشركين على الكفر . وقوله تعالى : ﴿ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان وإنما كنا مكرهين وهذه نزلت فيمن خرجوا من مكة إلى بدر مع المشركين لما انهزم المشركون وانتصر المسلمون وأسروا قالوا ﴿إنا كنا معكم﴾ أي على الإيمان فرد تعالى دعواهم بقوله ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي الناس . وقوله تعالى : ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ تقرير لما سبق في الآية قبل وليترتب عليه الجزاء على الإيمان وعلى النفاق . فعلمه تعالى يستلزم الجزاء العادل فأهل الإيمان يجزيهم بالنعيم المقيم وأهل النفاق بالعذاب المهين . أولئك في دار السلام وهؤلاء في دار البوار . وقوله تعالى : ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا﴾ أي ديننا

(١) قال الضحاك هذه الآية نزلت في ناس من المنافقين في مكة كانوا يؤمنون فإذا أؤذوا رجعوا إلى الشرك .

(٢) الاستفهام للتقرير فلذا يجاب بيلي .

وما نحن عليه ﴿ولنحمل خطاياكم﴾^(١) أي قال رؤساء قريش لبعض المؤمنين اتركوا سبيل محمد ودينه واتبعوا سبيلنا وديننا، وإن كان هناك بعث وجزاء كما يقول محمد ﷺ - نحن مستعدون أن نتحمل خطاياكم ونجازي بها دونكم فأكذبهم الله تعالى بقوله : ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ و ﴿إنهم لكاذبون﴾ في قولهم ولنحمل خطاياكم . وقال تعالى مقسماً بعزته وجلاله : ﴿وليحملن أثقاهم﴾ أي أوزارهم ﴿وأثقالاً مع أثقاهم﴾ أي وأوزاراً أي ذنوباً مع أوزارهم التي هي ذنوبهم وذلك من أجل ما قالوا لهم . ﴿وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ أي يكذبون من أنهم يحملون خطايا المؤمنين يوم القيامة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب بر الوالدين في المعروف وعدم طاعتها فيما هو منكر كالشرك والمعاصي .
- ٢ - بشرى المؤمنين العاملين للصالحات بإدخالهم الجنة مع النبيين والصديقين .
- ٣ - ذم النفاق وكفر المنافقين وإن ادعوا الإيثار فيما هم بمؤمنين .
- ٤ - بيان ما كان عليه غلاة الكفر في مكة من العتو والطغيان .
- ٥ - تقرير مبدأ من سن سنة سيئة فعلية وزررها ووزر من عمل بها كما في الحديث الصحيح^(١) .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ

إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

(١) جزم الفعل (ولنحمل) على الأمر، قال القرآء والزجاج : هو في تأويل الشرط والجزاء أي : أن تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم، كما قال : مدار بن شيبان الضمري .

تقول خليلتي لما اشتكتنا سيدركنا بنو القرم الهجان
فقلت ادعي وأدع فإن أندى لصوت أن ينادى داعيان

أي : إن دعوت دعوت .

(٢) نص الحديث كما هو في الصحيح : (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً) وفي الصحيح أيضاً (ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل) .

شرح الكلمات :

ولقد أرسلنا نوحاً :

: أي نوحاً بن لَمَك بن مُتَوْشَلُخ بن ادريس من ولد
شيث بن آدم، بينه وبين آدم ألف سنة .

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً : أي فمكث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى تسعمائة
وخمسين سنة .

فأخذهم الطوفان :

: أي الماء الكثير الذي طاف بهم وعلاهم
فأغرقهم .

وهم ظالمون

: أي مشركون .

وجعلناها آية للعالمين

: أي عبرة للناس يعتبرون بها فلا يشركون

ولا يعصون .

معنى الآيتين :

لما ذكر تعالى ما كان يلاقيه رسوله والمؤمنون من مشركي قريش ذكر تعالى نوحاً وإبراهيم
وكلاهما قد عانى ولاقى مالم يلاقه محمد ﷺ وأصحابه ليكون ذلك تسلياً لهم وتخفيفاً عنهم
فقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾^(١) وقوم نوح يومئذ هم البشرية جمعاء . إذ لم يكن
غيرهم ﴿ فلبث فيهم ﴾ أي مكث يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده فيها وترك الأصنام
الخمسة التي كانت لهم وهي ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكان هؤلاء الخمسة رجالاً
صالحين فلما ماتوا بنوا على قبورهم ووضعوا لهم تماثيل بحجة أنها تذكرهم بالله فيرغبوا في
الطاعة والعمل الصالح ثم زين لهم الشيطان عبادتهم فعبدوهم فبعث الله تعالى إليهم نوحاً
رسولاً فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة هؤلاء ﴿ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴾^(٢)
يدعوهم فلم يستجيبوا له ﴿ فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ﴾ فاستجاب الله له فأنجاه
وأصحاب السفينة وهم المؤمنون وهلك في الطوفان زوجته وولده كنعان وسائر البشر إلا نوحاً

(١) روى أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (أول نبي أرسل واختلف في سني عمره : فروى عن أنس أن النبي ﷺ
قال : لما بعث الله نوحاً إلى قومه وبعثه وهو ابن لخمسين ومائتي سنة فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وبقي بعد الطوفان
خمسين ومائتي سنة فلما أتاه ملك الموت قال : يا نوح يا أكبر الأنبياء وياطول العمر ويا مجاب الدعوة كيف رأيت الدنيا؟
قال مثل رجل بنى له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الآخر) .

(٢) العدول عن السنة إلى العام حتى لا يحصل تكرار في لفظ السنة وهو من بلاغة الكلام .

ومن معه في السفينة ، وكانوا قرابة الثمانين نسمة ، وخلف نوحاً ثلاثة أولاد هم سام وهو أبو العرب وفارس والروم وهم الجنس السامي وحام وهو أبو القبط والسودان والبربر ويافث وهو أبو الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ، هذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ أي لأنفسهم بالشرك . ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ ﴾^(١) ومن بين ما فيها أبناؤه الثلاثة^(٢) سام وحام ويافث ومنهم عمر الكون بالبشر شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً وقوله ﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي حادثة الطوفان ومنها السفينة ومكث تلك المدة الطويلة مع قلة المستجيبين ﴿ آيَةً ﴾ أي عبرة ﴿ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي للناس ليعتبروا بها فلا يعصوا رسلهم ولا يشركون بهم هذا إذا اعتبروا وقليل من يعتبر .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- ١ - بيان سنة الله تعالى في ارسال الرسل هداية الخلق .
- ٢ - بيان قلة من استجاب لنوح مع المدة الطويلة فيكون هذا تسلياً لرسول الله ﷺ والدعاة من بعده .
- ٣ - بيان اهلاك الله تعالى الظالمين وإنجائه المؤمنين وهي عبرة للمعتبرين .

وَإِذْ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ لِيَبْدُوَ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنَّ اللَّهَ سَرِيمٌ وَقَدْ جِئْتُمْ فِيهَا وَالْغُلُقُوتُ أَثْقَالٌ وَقَدْ حُمِّلَ الْكَلْبُ لَنْفُسِكُمْ فَذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ

وَإِذْ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ لِيَبْدُوَ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنَّ اللَّهَ سَرِيمٌ وَقَدْ جِئْتُمْ فِيهَا وَالْغُلُقُوتُ أَثْقَالٌ وَقَدْ حُمِّلَ الْكَلْبُ لَنْفُسِكُمْ فَذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ

وَإِذْ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ لِيَبْدُوَ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنَّ اللَّهَ سَرِيمٌ وَقَدْ جِئْتُمْ فِيهَا وَالْغُلُقُوتُ أَثْقَالٌ وَقَدْ حُمِّلَ الْكَلْبُ لَنْفُسِكُمْ فَذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ

وَإِذْ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ لِيَبْدُوَ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنَّ اللَّهَ سَرِيمٌ وَقَدْ جِئْتُمْ فِيهَا وَالْغُلُقُوتُ أَثْقَالٌ وَقَدْ حُمِّلَ الْكَلْبُ لَنْفُسِكُمْ فَذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ

وَإِذْ نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُمْ لِيَبْدُوَ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنَّ اللَّهَ سَرِيمٌ وَقَدْ جِئْتُمْ فِيهَا وَالْغُلُقُوتُ أَثْقَالٌ وَقَدْ حُمِّلَ الْكَلْبُ لَنْفُسِكُمْ فَذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ

(١) الطوفان : مأخوذ من أطف بالشيء يطف وهو كطاف يطفو طوفاً وطوفاناً قال النحاس يقال : لكل كثير مطيف بالجميع . من مطر أو قتل أو موت طوفان .

(٢) في البخاري أن قتادة قال : بقيت السفينة على الجودي حتى نظرتها أوائل هذه الأمة . وقيل : إنها دامت إلى أوائل الدولة العباسية ثم غمرتها الثلوج ، وكان الجودي الذي رست فوقه قرب (بقردي) وهي قرية من جزيرة بن عمر بالموصل شرقي دجلة .

(٣) الضمير في : (وجعلناها) عائد إلى السفينة ، وما في التفسير أعم وأشمل .

فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمِيثُ

شرح الكلمات :

- وإبراهيم
- أي واذكر إبراهيم على قراءة النصب لإبراهيم ، وعلى قراءة الرفع : ومن المرسلين إبراهيم .
- اعبدوا الله واتقوه
- أي آمنوا به ووجدوه في عبادته واتقوا أن تشركوا به وتعصوه .
- أوثاناً
- أصناماً وأحجاراً وصُوراً وتمائيل .
- وتخلقون إفكاً
- أي تحتلقون الكذب فتقولون في الأصنام والأوثان آلهة وتعبدونها .
- فابتغوا عند الله الرزق
- أي اطلبوا الرزق من الله الخلاق العليم لا من الأصنام والتماثيل المصنوعة المنحوتة بأيدي الرجال بالمعاول والفؤوس .
- واعبدوه
- أي بالإيمان به وتوحيده واشكروه بطاعته .
- وإن تكذبوا
- أي يا أهل مكة بعد هذا الذي عرضنا عليكم من الآيات والعبر فقد كذب أمم من قبلكم .
- وما على الرسول
- أي محمد ﷺ .
- إلا البلاغ المبين
- وقد بلغ وبين فبرئت ذمته وأنتم المكذبون ستحل بكم نعمة الله .

معنى الآيات :

هذا القصص معطوف على قصص نوح لتسليبة الرسول ﷺ والمؤمنين ولتذكير قريش بأنها في إصرارها على الشرك والتكذيب للرسول ﷺ صائرة إلى مآصار إليه المكذبون من قبل إن لم تنب إلى الله وترجع إليه بالإيمان والطاعة وترك الشرك والمعاصي قال تعالى : ﴿ وإبراهيم ﴾ أي^(١) واذكر يارسولنا إبراهيم خليلنا ﴿ إذ قال لقومه ﴾ البابليين ومن بينهم والده آزر يا قوم ﴿ اعبدوا الله ﴾ أي بتوحيده في عبادته ﴿ واتقوه ﴾ بترك الشرك والعصيان وإلا حلت بكم عقوبته ونزل بكم عذابه وقوله ﴿ ذلكم خير لكم ﴾ أي الإيمان والتوحيد والطاعة خير لكم من الكفر والشرك والعصيان . إذ الأول يجلب الخير والثاني يجلب الشر ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ الخير

(١) ويجوز أن يكون منصوباً بـ (أنجينا) معطوفاً على الهاء .

والشر وتفرقون بينها وقوله عليه السلام ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾^(١) يخبرهم معرفاً لهم بخطئهم فيقول ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَثَانًا﴾ أي أصناماً وتمائيل وعبادة الأصنام والأوثان عبادة باطلة لا تجلب لكم نفعاً ولا تدفع عنكم ضرراً. إن الذي يجب أن يعبد الله الخالق الرازق الضار النافع المحيي المميت السميع البصير. أما الأوثان فلا شيء في عبادتها إلا الضلال واتباع الهوى. وقوله لهم ﴿وتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي وتصنعون كذباً تحتلقونه اختلاقاً عندما تقولون في التمائيل والأصنام إنها آلهة. وقوله عليه السلام لقومه ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ يخبرهم عليه السلام معرفاً لهم بحقيقة هم عنها غافلون وهي أن الذين يعبدونهم من دون الله لا يملكون لهم رزقاً لأنهم لا يقدر على ذلك فما الفائدة إذاً من عبادتهم وما الحاجة الداعية إليها لولا الغفلة والجهل، ولما أبطل لهم عبادة الأصنام أرشدهم إلى عبادة الله الواحد القهار فقال ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ﴾ إن كنتم عبدتم الأصنام لذلك فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاطلبوا عنده الرزق فإنه مالكة والقادر على إعطائه ﴿واعبدوه﴾ بالإيمان به وبرسوله وبتوحيده ﴿واشكروا له﴾ يرزقكم ويحفظ عليكم الرزق وقوله ﴿إليه ترجعون﴾ ذكرهم بعلّة غفلتهم ومصدّر جهلهم وهي كفرهم بالبعث فأعلمهم أنهم إليه تعالى لا إلى غيره يرجعون. إذاً فليتعرفوا إليه ويعبدوه طلباً لرضاه وإكرامهم يوم يلقونه. وقوله تعالى ﴿وإن تكذبوا﴾ أي يا أهل مكة رسولنا وتنكروا وحيننا وتكفروا بلقائنا فلستم وحدكم في ذلك. ﴿فقد كذب أمم من قبلكم﴾ قوم نوح وعاد وفرعون وقوم إبراهيم وأصحاب مدين وغيرهم ﴿وما على الرسول﴾ أي رسولنا محمد ﷺ إلا البلاغ المبين وقد بلغكم وأنتم الآن بين خيارين لا ثالث لهما: الأول أن تتعظوا بما أسمعناكم وأرناكم من آياتنا فتؤمنوا وتوحدوا وتطيعوا فتكملوا وتسعدوا وإما أن تبقوا على إصراركم على الشرك والكفر والعصيان فسوف يحل بكم ما حل بأمثالكم، إذ كفاركم ليسوا بخير من كفار أولئك الذين انتقم الله منهم وأذاقهم سوء العذاب. هذا ما دلت عليه الآية (١٨) وهي معترضة بين الآيات التي اشتملت على قصص

(١) إنما: ما: كافة أوثاناً منصوب بـ (تعبدون).

(٢) قال أبو عبيدة: الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس والوثن ما اتخذ من حصى أو حجارة.

(٣) سلك إبراهيم في دعوة قومه هذه سبيل الاستدلال بالنعم الحسية لأن إثباتها أقرب إلى أذهان العوام، وعدى الشكر باللام لما تفيده اللام من الاختصاص أي: الاستحقاق.

(٤) القصد من هذه الجملة: (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) إعلام المخاطبين بأن تكذيبهم لا يلحقه منه ما فيه نكايته به أو تشف منه، فإن كان من خطاب الله تعالى لقريش فالمراد من الرسول محمد ﷺ، وإن كان من كلام إبراهيم، فالمراد به إبراهيم نفسه سلك فيه مسلك الإظهار في مقام الإضمار تنوعاً للأسلوب.

(٥) أي: والثاني: أن تبقوا على إصراركم أعني الخيار الثاني بعد الأول.

إبراهيم عليه السلام . وسر الاعتراض هو وجود فرصة في سياق الكلام قد تلفت أنظار القوم وتأخذ بقلوبهم إذ الآيات كلها مسوقة لهدايتهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - وجوب عبادة الله وتقواه طلباً للنجاة من الخسران في الدارين .

٢ - بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادة الله عن طريق الأدلة العقلية .

٣ - ما عبد الناس الأوثان إلا من جهلهم وفقرهم فلذا يجب أن يعلموا أن الله هو ربهم

المستحق لعبادتهم وأن الله تعالى هو الذي يسد فقرهم ويرزقهم ومن عداه لا يملك ذلك لهم

٤ - وجوب شكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته وصراف النعم فيما من أجله أنعم بها

على عبده .

٥ - تسلية الرسول ﷺ وتأنيب المشركين من أهل مكة .

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ

يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ

فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ

مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۗ

أُولَٰئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

أولم يروا

: أي ينظروا بأبصارهم فيعلموا بقلوبهم .

يبدىء الله الخلق
ثم يعيده

: أي كيف يخلق المخلوق ابتداء .

: أي ثم هو تعالى يعيده بعد بدئه وإفناؤه
يعيده لأن الإعادة أهون من البدء وقد بدأ
وأفنى فهو بالضرورة قادر على الإعادة .

إن ذلك

: أي أن الخلق الأول والثاني هو الاعادة .
: أي سهل لاصعوبة فيه ، فكيف إذا ينكر
المشركون البعث .

على الله يسير

قل سيروا في الأرض

: أي قل يارسولنا لقومك المكذبين بالبعث
سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الله الخلق
وأنشأه ، تستدلون بذلك على قدرته عل
البعث الآخر .

ثم الله ينشئ النشأة الآخرة

: أي يحيي الناس بعد موتهم وهو البعث
الآخر الذي أنكره الجاهلون .

وإليه تعلقون

: أي ترجعون إليه لا إلى غيره أحياء كما كنتم
فيحاسبكم ويميزكم بأعمالكم ، الحسنة بخير
منها والسيئة بمثلها جزاء عادلاً .

وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء : أي بغالبيين ولا فائتين بالهروب فإن الله
غالبكم .

ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير : ليس لكم من ولي يتولاكم ولا نصير
ينصركم من الله تعالى .

يشسوا من رحمتي : أي من دخول الجنة لأنهم كافرون أعظم
كفر وهو التكذيب بالقرآن والبعث الآخر .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث وقد قررت الآيات السابقة
أصلي التوحيد والنبوة المحمدية وفي هذه الآيات تقرير الأصل الثالث وهو البعث والجزاء في

(١) الدار الآخرة. قال: ﴿أولم يروا﴾ أي أولئك المنكرون للبعث، أي كاذبون؟، ولم ينظروا كيف يبدىء الله الخلق أي خلق الإنسان، فإن ذلك دال على إعادته متى أراد الله الخالق ذلك، ثم هو تعالى يعيده متى شاء، ﴿إن ذلك﴾ أي الخلق والإعادة بعد الفناء والبلل ﴿على الله يسير﴾ سهل لا يتعذر عليه أبداً.

وقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ أي قل يارسولنا للمكذبين بالبعث الآخر ﴿سيروا في الأرض﴾ شرقاً وغرباً ﴿فانظروا كيف بدأ﴾ تعالى خلق تلك المخلوقات التي تشاهدونها من أرض، وسماء، وانهار، وأشجار، وحيوان، وإنسان، إنها كلها كانت عدماً فأنشأها الله تعالى ثم هو سيفنيها ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ وذلك بأن يعيد حياة الانسان ليحاسبه على كسبه في الدنيا ويجزيه به خيراً أو شراً، ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ إذا فلا يستنكر عليه إعادة الناس أحياء بعد نهاية هذه الحياة الدنيا ليحاسبهم ويجزيهم بما كانوا يعملون. وقوله تعالى: ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾ هذه فائدة وحكمة البعث الآخرة وهي المجازاة على العمل في هذه الحياة فيعذب أهل الكفر به وبرسوله والذين لم يزكوا أنفسهم بالإيمان وصالح الأعمال فيدخلهم جهنم دار الشقاء والعذاب ويرحم أهل الإيمان والتقوى الذين زكوا أنفسهم بالإيمان والصالحات. وقوله: ﴿ولإليه تقلبون﴾ أي إلى الله ربكم ترجعون بعد الموت والفناء وإنشاء النشأة الآخرة وقوله ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي الله تعالى ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ بل أنتم مقهورون له خاضعون لسلطانه لا يمكنكم الهرب منه ولا الخلاص بحال من الأحوال. وليس لكم من دونه تعالى ولي يتولاكم فيدفع عنكم العذاب ولا نصير ينصركم فلا تغلبون ولا تعذبون وقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾ التي جاءت بها

(١) الاستهزام للإنكار والتوبيخ لهم على عدم استعمال عقولهم إذ ينكرون البعث وأمامهم صَوْر منه دالة عليه فهو يبدىء الشمار فتحيا ثم تموت ثم يعيدها أبداً ويخلق المرء ثم يميتة بعد أن يخلق منه ولداً ويخلق من الولد ولداً، وهكذا تتكرر عملية البعث أمامهم فما لهم لا يرونها!؟

(٢) هذا الأمر للإرشاد والتوجيه والنصح لو كانوا يعقلون.

(٣) أظهر اسم الجلالة بعد تقديم ذكر ضميره في قوله: (كيف بدأ الخلق) ليحرك ضمائرهم باسم الجلالة ويدفع بنفوسهم إلى التسليم بالنشأة الآخرة بعد التسليم بالنشأة الأولى وهي بدء الخلق.

(٤) الجملة تذييلية أعلن فيها عن قدرة الله الذي لا يعجزه شيء إرادته: البدء كالإعادة سواء.

(٥) المعجز: هو الذي يجعل غيره عاجزاً عن فعل ما وهو هنا كناية عن الغلبة والانقلاب، قرّر بهذه الجملة عجزهم التام في الأرض التي هم يسكنونها، وحتى في السماء لو فرض أنهم يرقونها وما هم بأهل لذلك كما قال الأعشى.

فلو كنت في جبّ ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم

رسله ﴿ولقائه﴾ وهو البعث الآخر الموجب للوقوف بين يدي الله للسؤال والحساب والجزاء هذا إن كان للعبد ما يحاسب عليه من الخير، أما إن لم يكن له حسنات فإنه يُلقى في جهنم بلا حساب ولا وزن إذ ليس له من الصالحات ما يوزن له ويحاسب به، ولذا قال تعالى : ﴿أولئك﴾ أي المكذبون بآيات الله ولقائه ﴿يسئوا من رحمتي﴾ إذ تكذيبهم بالقرآن مانع من الإيمان والعمل الصالح وتكذيبهم بيوم القيامة مانع لهم أن يتخلوا عن الشرك والمعاصي، أو يعملوا صالحاً من الصالحات لتكذيبهم بالجزاء، فهم يائسون من الجنة. ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾ أي موجع وهو عذاب النار في جهنم والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب استعمال العقل للاستدلال على الغائب بالحاضر وعلى المعدوم بالموجود.
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء وذكر أدلتها التفصيلية .
- ٣ - تقرير عجز الانسان التام وأنه لا مهرب له من الله تعالى ربه ومالكة وهي حال تستدعي الفرار إلى الله اليوم بالإيمان والتقوى .
- ٤ - إنذار المكذبين بأنهم إن ماتوا على التكذيب بالبعث لا يدخلون الجنة بحال، وسيعذبون في نار جهنم أشد العذاب .

فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنْجَحَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

(١) المراد بآيات الله: القرآن الكريم: المشتمل على الأدلة والبراهين والحجج الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته والمفصلة لأنواع عباداته.

(٢) أخبر عن ياسهم بالفعل الماضي تنبيها على تحقيق وقوعه وإن كان المعنى أنهم سيئسون من رحمة الله التي هي الجنة لا محالة.

شرح الكلمات :

فما كان جواب قومه : أي قوم إبراهيم عليه السلام .
 إلا أن قالوا اقتلوه : أي إلا قولهم اقتلوه أو حرقوه .
 إن في ذلك لآيات : أي في كون النار لم تحرق الخليل ويخرج منها سالماً .
 لقوم يؤمنون : لأن المؤمنين هم الذين ينتفعون بالآيات حياة قلوبهم .
 أوثاناً مودة بينكم : أي اتخذتم أوثانكم آلهة تتوادون من أجل عبادتها وتتحابون لذلك .
 في الحياة الدنيا : أي هذا التوادد والتحاب على الآلهة في الحياة الدنيا فقط أما الآخرة فلا .

يكفر بعضكم ببعض : أي يكفر المتبعون بأبتاعهم ويتبرأون منهم .
 ويلعن بعضكم بعضاً : يلعن الأتباع القادة الذين اتبعوهم في الباطل .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في قصص إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه لما أفرغهم بالحجة وبين لهم باطلهم وكشف لهم عن جهلهم وضلالهم لجأوا كعادة الطغاة من أهل الكفر والباطل إلى التهديد بالقوة فقالوا ما أخبر به تعالى عنهم : أي ﴿فما كان جواب قومه﴾ ﴿فما كان جوابهم أي عما سمعوا من الحجج والبراهين على بطلان الشرك وصحة التوحيد﴾ إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه ﴿أي إلا قولهم اقتلوا إبراهيم بالسيف ونحوه أو حرقوه بالنار، ونفذوا جريمتهم بالفعل وأوقدوا النار وألقوه فيها، وقال الله جل جلاله للنار ﴿يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ فكانت كما أمرت وخرج إبراهيم سالماً لم تحرق النار سوى كتابه الذي شد به يده ورجلاه . وهو ما دل عليه قوله تعالى ﴿فأنجاه الله من النار﴾ وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي في كون النار لم تحرق إبراهيم فيتخلف طبعها وتصبح برداً وسلاماً على إبراهيم فلم تحرقه، (آيات) أي دلائل قدرة الله تعالى ورحمته وحكمته ولكن تلك الآيات لا ينتفع بها غير المؤمنين ، لأنهم أموات لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون . أما المؤمنون فهم أحياء فينتفعون بما يسمعون ويبصرون لأن الإيمان بمثابة

(١) عاد السياق الكريم إلى الحديث عن قصة إبراهيم بعد تلك الجمل الاعتراضية التي تخللت القصة بقصد إثارة شعور قريش وتحريك ضمائرهم رجاء أن تطلب الهداية فتحصل عليها إذ هي المقصودة من سوق القصة .
 (٢) ثم اتفقوا على تحريقه ونفذوا ما اتفقوا عليه فآلقوه في النار ونجاه الله له الحمد وله المنة .

الروح في البدن فإن وجد في القلب حيي الجسم وان فارقه فالجسم ميت فلا العين تبصر الأحداث ولا الأذن تسمع الآيات. وقوله : ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾ هذا من جملة قول إبراهيم لقومه وهو يعظهم ويرشدهم فأخبرهم بحقيقة يتجاهلونونها وهي أنهم ما اتخذوا تلك الأوثان آلهة يعبدونها إلا لأجل التعارف عليها والتوادد والتحاب من أجلها، فيقيمون الأعياد لها ويجمعون حولها فيأكلون ويشربون لا أنهم حقيقة يعتقدون أنها آلهة وهي أحجار نحتوها بأيديهم ونصبوها تماثيل في سوح دورهم وأمام منازلهم (ويوم القيامة) أي في الآخرة فالعكس هو الذي سيحدث لهم حيث (يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً) أي يكفر المتبوعون وهم الرؤساء بمن اتبعوهم وهم الأتباع من الدهماء وعوام الناس، ﴿ويلعن بعضهم بعضاً﴾ كل من الأتباع والمتبوعين يطلب بعد الآخر عنه، وعدم الاعتراف به وذلك عند معاناة العذاب ولم تبق تلك الروابط والصلات التي كانت لهم في هذه الحياة !! وقوله : ﴿وما واكم النار﴾ أي ومقرمك الذي يؤويكم جميعاً فتستقرون فيه هو النار ﴿وما لكم من ناصرين﴾ بعد أن أذلكم الله الذي أشركتم به أوثاناً، فجعلتموها مودة بينكم في الحياة الدنيا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير أن الظلمة سنتهم أنهم إذا أعيتهم الحجج يلجأون إلى استعمال القوة.
- ٢ - في عدم إحراق النار دليل على أن الله تعالى قادر على إبطال السنن إذا شاء ذلك، ومن هنا تكون الكرامات والمعجزات إذ هي خوارق للعادات.
- ٣ - بيان أن الخرافيين في اجتماعهم على البدع لم يكن ذلك عن علم بنفع البدعة وإنما لعنصر التوادد والتعارف والتلاقي على الأكل والشرب كما قال إبراهيم لقومه ﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا﴾.

(١) قرأ نافع (مودة) بالتونين منصوباً، وقرأ حفص بدون تنوين منصوباً مضافاً إلى الظرف، وقرأ ابن كثير وغيره (مودة) بالرفع مضاف إلى (بينكم) على أنه خبر إن وما : اسمها.

(٢) قال القرطبي : معنى الآية : جعلتم الأوثان تتحابون عليها في الحياة الدنيا.

(٣) قال القرطبي : تنبراً الأوثان من عبادها، والرؤساء من السفلة كما قال الله عز وجل : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين).

(٤) قيل : يحشرون في النار الرؤساء والأتباع والأوثان كقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقوله : (وقودها الناس والحجارة) وهي الأوثان التي كانت تُعبد من دون الله عز وجل.

﴿ فَاَمِنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ ﴾

﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿٦٦﴾ وَوَهَبْنَا

لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

﴿ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾

شرح الكلمات :

فأمن له لوط : أي آمن بإبراهيم لوط وهو ابن أخيه هاران ولم يؤمن من قومه سواه .

مهاجر إلى ربي : أي إلى حيث أعبد ربي فلا أفتن في ديني .

وهبنا له إسحق ويعقوب : أي هاجر لأجلنا فأكرمناه في دار هجرته فوهبنا له ذرية هم اسحق الابن ويعقوب الحفيد .

في ذريته النبوة والكتاب : فكل الأنبياء بعده من ذريته وكل الكتب التي أنزلت بعده فهي في ذريته .

وآتيناه أجره في الدنيا : وذلك بالرزق الحسن والثناء الحسن على السنة كافة الناس من أهل الأديان الإلهية .

وإنه في الآخرة لمن الصالحين : أي هو أحدهم ، فيكرم كما يكرمون بالدرجات العلاء ، والصالحون هم أنبياء الله ورسله وأوليائه وصالحو عباده .

معنى الآيات :

هذا آخر قصص إبراهيم الخليل في هذا السياق الكريم فأخبر تعالى أن إبراهيم بعد الجهاد الطويل في الدعوة إلى عبادة الرحمن الرحيم لم يؤمن له ولم يتابعه على الحق الذي دعا إليه إلا لوط بن هاران أخيه فقال تعالى : ﴿ فَاَمِنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ ﴾ أي إبراهيم ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ فترك بلاد قومه من سواد العراق وارتحل إلى أرض الشام فأكرمه الله تعالى جزاء

(١) المهاجرة : مفاعلة من الهجر الذي هو الترك لما كان ملازماً له وحرف إلى الأصل فيه الانتهاء ، وهي هنا أفادت التعليل : أي لأجل ربي إذ هو الذي أمره بها من أجل أن يعبد في دار هجرته هو وأهله .

(٢) من قرية كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ، ومعه ابن أخيه لوط بن تارخ ، وامراته سارة ، وهو أول من هاجر في سبيل الله وأول من هاجر من أمة محمد ﷺ في سبيل الله تعالى : عثمان بن عفان مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة .

(١) هجرته إلى ربه عز وجل بها أخبر به في هذا السياق حيث قال : ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وهبه أي أعطاه ولده إسحق بن سارة وولد اسحق وهو يعقوب، وجعل كافة الأنبياء من ذريته وجعل الكتاب فيهم أيضاً فالتوراة أنزلت على موسى، والزبور على داود، والانجيل على عيسى وهم من ذرية إبراهيم، والقرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ وهو من ذرية إسماعيل بن إبراهيم وقول إبراهيم هو كما قال : ﴿إني مهاجر إلى ربي﴾ وصف ربه بالعزة والحكمة. فقال : ﴿إنه هو العزيز الحكيم﴾ أي الغالب القاهر ﴿الحكيم﴾ الذي وضع كل شيء في موضعه، ودلائل العزة ان أنجى إبراهيم من أيدي الظلمة الطغاة ومن مظاهر الحكمة أن نقله من أرض لاخير فيها إلى أرض كلها خير وأكرمه فيها بما ذكر في قوله ﴿ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾ وقوله تعالى : ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ حيث رزقه أطيب الأرزاق في دار هجرته ورزقه الثناء الحسن من كل أهل الأديان الإلهية كاليهودية والنصرانية، والإسلام وهو خاتم الأديان هذا في الدنيا أما في الآخرة فإنه من الصالحين ذوي الدرجات العلا والمنازل العالية في مواكب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حصيلة دعوة إبراهيم كذا سنة وأنها كانت إيمان واحد بها وهو لوط عليه السلام وفي هذا تسلية للرسول الكريم ﷺ .
- ٢ - بيان إكرام الله تعالى لمن يهاجر إليه ويترك أهله وداره .
- ٣ - بيان ما أكرم الله تعالى به إبراهيم من خير الدنيا والآخرة جزاء صبره على دعوة الله تعالى .

وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتُونَ الْفَحِشَةَ
مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَيْنَكُمْ لَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ

(١) هذه الهبة كان قبلها هبة اسماعيل إذ وُلد قبل اسحق عليهم السلام.

(٢) هذه الجملة واقعة موقع التعليل لمضمون جملة (إني مهاجر إلى ربي) لأن من كان عزيزاً يعتز به جاره، ومن كان حكيماً لا يأمر بغير ما هو خير للمأمور الممتثل لأمره.

فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا
 أَنْ قَالُوا أَأَتَيْنَا بَعْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ
 ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

ولوطاً إذا قال لقومه : أي واذكر إذ قال لوط بن هاران لقومه أهل سدّوم .
 أنتم لتأتون الفاحشة : أي الخصلة القبيحة وهي إتيان الذكران في أدبارهم .
 ماسبقكم بها من أحدٍ : أي لم تعرف البشرية قبل قوم لوط إتيان الذكران في أدبارهم .
 وتقطعون السبيل : أي باعتدائكم على المارة في السبيل فامتنع الناس من المرور خوفاً منكم .

وتأتون في ناديكم المنكر : أي مجالس أحاديثكم تأتون المنكر كالضراط وحل الإزار والفاحشة أي اللواط .

فما كان جواب قومه : أي إلا قوهم اتنا بعداب الله إن كنت من الصادقين .

معنى الآيات :

هذا بداية قصص لوط عليه السلام مع قومه أهل سدّوم وعموريّة والغرض من سياقه تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذه القصص لا يتم لأحد إلا من طريق الوحي ، وتسلية الرسول من أجل ما يلاقي من عناد المشركين ومطالبتهم بالآيات والعذاب قال تعالى : واذكر يارسولنا لقومك لوطاً ^(١) إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ﴿ وهي الفعلة القبيحة ويزيدها قبحاً أن الناس قبل قوم لوط لم تحدث فيهم هذه الخصلة ولم يعرفها أحد من العالمين ، ثم يواصل لوط إنكاره وتشنيعه عليهم فيقول : ﴿ ائنكم لتأتون الرجال ﴾ أي في أدبارهم ﴿ وتقطعون السبيل ﴾ وذلك أنهم كانوا يعتدون على المارة بعمل الفاحشة معهم قسراً وبسلب أموالهم وبذلك امتنع الناس من المرور فانقطعت السبيل ، كما أنهم بإتيانهم الذكران عطلوا النسل

(١) (لوطاً) منصوب إمّا على تقدير اذكر كما في التفسير أو على تقدير وأرسلنا أو أنجينا كما تقدم في قوله تعالى :

(وابراهيم . . .)

(٢) الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقرير على جريمتهم التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين .

بقطع سبيل الولادة، وزاد لوط في تأنيبهم والإنكار عليهم والتوبيخ لهم فقال ﴿وتأتون في ناديتكم المنكر﴾ والنادي محل اجتماعهم وتحديثهم وإتيان المنكر فيه كان بارتكاب الفاحشة مع بعضهم بعضاً، وبالتضارط فيه، وحل الإزار، والقذف بالحصى وما إلى ذلك^(١) مما يؤثر عنهم من سوء وقبح. قال تعالى: ﴿فما كان جواب قومه﴾ بعد أن أنبهم ووبخهم ناهياً لهم عن مثل هذه الفواحش ﴿إلا أن قالوا إئتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين﴾ أي ما كان جوابهم إلا المطالبة بعذاب الله، وهذه طريقة الغلاة المفسدين والظلمة المتكبرين، إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى القوة يستعملونها أو يطالبون بها. وقوله تعالى: ﴿قال رب انصرني على القوم المفسدين﴾ أي لما طالبوه بالعذاب، وقد أعياهم أمرهم لجأ إلى ربه يطلب نصره على قومه الذين كانوا شر قوم وجدوا على وجه الأرض واستجاب الله تعالى له ونصره وسيأتي بيان ذلك في الآيات بعد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بذكر قصص لا يتم إلا عن طريق الوحي .
- ٢ - تسلية الرسول ﷺ من أجل ما يعاني من المشركين من كفر وعناد ومطالبة بالعذاب .
- ٣ - قبح الفاحشة وحرمتها وأسوأها فاحشة اللواط .
- ٤ - وجوب إقامة الحد على اللوطي الفاعل والمفعول لأن الله تعالى سماها فاحشة وسمى الزنا فاحشة ووضع حداً للزنى فاللوطية تقاس عليه، وقد صرحت السنة بذلك فلا حاجة إلى القياس .
- ٥ - التحذير من العبث والباطل قولاً أو عملاً وخاصة في الأندية والمجمعات .

(١) من ذلك: أنهم كانوا يناطحون بين الكباش ويناقرون بين الديوك، والصغير وتطريف الأصابع بالحناء وفرقتها، ويحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم، روى هذا الترمذي وحسنه.

(٢) هذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم قطعاً.

(٣) الإفساد في الأرض: هو العمل بمعاصي الله ورسوله ﷺ فكل عامل بالمعاصي فهو مفسد في الأرض، إذ فعل المعاصي يورث الفقر والخوف وهما شر ما يتقى.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِنِّي فِيهَا لِوَطْأٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ
 كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- بالبشرى : أي إسحق ويعقوب بعده .
 هذه القرية : أي قرية لوط وهي سدوم .
 قالوا نحن أعلم بمن فيها : أي قالت الرسل نحن أعلم بمن فيها .
 كانت من الغابرين : أي كانت في علم الله وحكمه من الباقين في العذاب .
 سيء بهم : أي حصلت لهم مساءة وغم بسبب مخافة أن يتصددهم قومه بسوء .
 وضاق بهم ذرعاً : أي عجز عن احتمال الأمر لخوفه من قومه أن ينالوا ضيفه بسوء .
 رجزاً : أي عذاباً من السماء .
 بما كانوا يفسقون : أي بسبب فسقهم وهو إتيان الفاحشة .

ولقد تركنا منها آية : أي تركنا من قرية سدوم التي دمرناها آية بينة وهي خرابها ودمارها وتحولها إلى بحر ميت لاحتيا فيه .
لقوم يعقلون : أي يعلمون الأسباب والنتائج إذا تدبروا .

معنى الآيات :

مازال السياق في قصص لوط عليه السلام، إنه بعد أن ذكرهم وخوفهم عذاب الله قالوا كعادة المكذبين الهالكين فائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين وأنه عليه السلام استنصر ربه تعالى عليهم، واستجاب الله تعالى له وفي هذه الآية بيان ذلك بكيفيته، قال تعالى : ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم الخليل عم لوط بالبشرى﴾^(١) التي هي ولادة ولد له هو إسحق ومن بعده يعقوب ولد إسحق عليه السلام كما قال تعالى : ﴿وبشرناه بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب﴾ . ﴿قالوا﴾ أي قالت الملائكة لإبراهيم ﴿إنا مهلكوا أهل هذه القرية﴾ يريدون قرية قوم لوط وهي سدوم وعللوا لذلك بقولهم ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ أي لأنفسهم بغشيان الذنوب وإتيان الفواحش، ولغيرهم إذ كانوا يقطعون السبيل وهنا قال لهم إبراهيم : ﴿إن فيها لوطاً﴾ ليس من الظالمين بل هو من عباد الله الصالحين فأجابته الملائكة فقالوا : ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ منك يا إبراهيم . ﴿لننجينه وأهله﴾^(٢) من الهلاك ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ وذلك لطول عمرها فسوف تهلك معهم لكفرها ومآلاتها للظالمين . وقوله تعالى : ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطاً﴾ أي ولما وصلت الملائكة لوطاً قادمين من عند إبراهيم من فلسطين ﴿سيء بهم وضاق بهم ذرعاً﴾ أي استاء بهم وأصابه غم وهم خوفاً من قومه أن يسيئوا إليهم، وهم ضيوفه نازلون عليه ولما رأت ذلك الملائكة منه طمأنوه بما أخبر به تعالى في قوله : ﴿وقالوا لا تخف﴾ أي علينا ﴿ولا تحزن﴾ على من سيهلك من أهلك مع قومك الظالمين . ﴿إنا منجوك﴾ من العذاب أنت وأهلك أي زوجتك المؤمنة وبنتك، ﴿إلا امرأتك﴾ أي العجوز الظالمة فإنها ﴿من الغابرين﴾ الذين طالت أعمارهم واستهلك مع الهالكين . وقوله تعالى في الآية (٣٤) : ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجلاً من السماء

(١) (لما) حرف وجود لوجود نحو: لما جاء الحق ذهب الباطل . وهي أداة تدل على التوقيت كما هي ظرف ملازم للاضافة إلى جملة بعدها .

(٢) البُشرى : اسم للبشارة التي هي : الإخبار بما يسر المخبر .

(٣) الجملة تعليلية لما تقدمها من الإهلاك .

(٤) قرأ الجمهور نافع وحفص : (لمنجوك) بتشديد الجيم ، وقرأ ابن كثير (منجوك) بتخفيفها من : أنجاه ينجي ، ونجي وأنجي بمعنى .

بما كانوا يفسقون ﴿ أي أخبرت الملائكة لوطاً بما هم فاعلون لقومه وهو قولهم ﴿ إنا منزلون على أهل هذه القرية ﴿ أي مدينة سدوم ﴿ رجزاً ﴾ أي عذاباً من السماء وهي الحجارة بسبب فسقهم بإتيانهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين . قال تعالى : ﴿ ولقد تركنا منها ﴿ أي من تلك القرية ﴿ آية بيّنة ﴾ ، ﴿ أي عظة وعبرة ، وعلامة واضحة على قدرتنا على إهلاك الظالمين والفاسقين . وقوله تعالى : ﴿ لقوم يعقلون ﴾ إذ هم الذين يتدبرون في الأمور ويستخلصون أسبابها وعواملها ونتائجها وآثارها أما غير العقلاء فلا حظ لهم في ذلك ولا نصيب فهم كالبهائم التي تنساق إلى المجزرة وهي لاتدري وفي هذا تعريض بمشركي مكة وماهم عليه من الحماقة والغفلة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - حلم إبراهيم ورحمته تجلياً في دفاعه عن لوط وأهله .
- ٢ - تقرير مبدأ : من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، حيث العلاقة الزوجية بين لوط وامراته العجوز لم تنفعها وهلكت لأنها كانت مع الظالمين بقلبها وسلوكها .
- ٣ - مشروعية الضيافة وتأكدها في الإسلام لحديث الصحيح « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .
- ٤ - التنديد بالفسق عن طاعة الله وهو سبب هلاك الأمم والشعوب .
- ٥ - فضيلة العقل إذا استعمله صاحبه في التعرف إلى الحق والباطل والخير والشر .

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا
 اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
 ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي
 دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾

(١) المعنى : ولقد تركنا من القرية آثاراً دالة عليها ، وهي بقايا القرية المغمورة بماء بحيرة لوط تلوح من تحت المياه ، مع بقايا لون الكبريت والمعادن التي رجمت بها قريتهم .

شرح الكلمات :

وإلى مدين : أي وأرسلنا إلى قبيلة مدين، ومدين أبو القبيلة فسميت باسمه .

أخاهم شعيباً : أي أخاهم في النسب .

اعبدوا الله : أي اعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً .

وارجوا اليوم الآخر : أي آمنوا به وتوقعوا مجيئه وما يحدث فيه .

ولا تعثوا في الأرض مفسدين : أي ولا تعيشوا في الأرض فساداً بأن تنشروا فيها الفساد وهو العمل بالمعاصي فيها .

فأخذتهم الرجفة : الهزة العنيفة والزلزلة الشديدة .

في دارهم جائثين : لاصقين بالأرض أمواتاً لا يتحركون .

معنى الآيتين :

هذا موجز لقصة شعيب عليه السلام مع قومه أهل مدين ، والعبرة منه إهلاك تلك الأمة لما كذبت رسولها واستمرت على الشرك والمعاصي لعل قريشاً تعتبر بما أصاب هذه الأمة من هلاك ودمار من أجل تكذيبها لرسولها وعصيانها لربها قال تعالى ﴿ وإلى مدين ﴾^(١) أي وأرسلنا إلى مدين ﴿ أخاهم شعيباً ﴾ وهو نبي عربي فلما انتهى إليهم برسالته قال ﴿ يا قوم اعبدوا الله ﴾ أي وحدوه في عبادته وأطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه من التطفيف في الكيل والوزن ، ﴿ وارجوا اليوم الآخر ﴾ ، أي آمنوا بيوم القيامة وتوقعوا دائماً مجيئه وخافوا مافيه من أهواله وأحواله فإن ذلك يساعدكم على التقوى وقوله : ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ وذلك أنهم ينقصون الكيل والوزن ويبخسون الناس أشياءهم ويفسدون في الأرض بالمعاصي . وقوله تعالى : ﴿ فكذبوه ﴾ أي كذب أصحاب مدين نبيهم شعيباً فيما أخبرهم به ودعاهم إليه ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾^(٢) أي رجفة الهلاك من تحتهم فأصبحوا في دارهم جائثين على الركب

(١) هذه القصة معطوفة على سابقتها : قصة نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام

(٢) إن طلبت المناسبة بين قصة لوط وقصة أصحاب مدين فإنها في كون مدين من أبناء إبراهيم وكون لوط من الأسرة الإبراهيمية وأوضح من هذا السبب قرب الديار من بعضها ، فمدين غير بعيدة من قرى لوط .

(٣) أمره إياهم برجاء اليوم الآخر دال على أنهم ما كانوا يؤمنون باليوم الآخر أو ذكروهم به لغفلتهم عنه بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

(٤) العثر : بالواو كالدنو والعثر بالياء كالعصي : أشد الفساد، وفعله : عثا يعثر، وعثر كرضي يعثر كيرضي بمعنى واحد .

(٥) الفاء للسببية ، (والرجفة) الزلزال الشديد الذي ترجف منه الأرض والقلوب وكانت هذه الزلازل مصحوبة بصيحة شديدة انخلت منها القلوب .

هلكى وماظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ - تقرير التوحيد والنبوة والبعث الآخر .

٢ - حرمة الفساد في الأرض وذلك بارتكاب المعاصي وغشيان الذنوب .

٣ - بيان نقمة الله تعالى على المكذبين والظالمين والفاسقين .

وَعَادَا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ

لَكُمْ مِّن مَّسْكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ

بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ

﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا

وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ

الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ

وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

وعاداً وثموداً

: أي وأهلكنا عاداً القبيلة وثمود القبيلة كذلك .

وقد تبين لكم من مساكنهم

: أي تبين لكم إهلاكهم من مساكنهم الخالية منهم بالحجر شمال الحجاز والشحر جنوب اليمن .

عن السبيل

: أي سبيل الهدى والحق التي بينتها لهم رسلهم .

كانوا مستبصرين

: أي ذوي بصائر لما علمتهم رسلهم .

وقارون وفرعون وهامان

: أي وأهلكنا قارون بالخسف وفرعون وهامان بالغرق .

فاستكبروا : أي عن عبادة الله تعالى وطاعته وطاعة رسله .
 وما كانوا سابقين : أي فائتين عذاب الله أي فارين منه ، بل أدركهم .
 فكلاً أخذنا بذنبه : أي فكل واحد من المذكورين أخذناه بذنبه ولم يفلت منا .
 ومنهم من أرسلنا عليه حاصباً : أي ريحاً شديدة ، كعاد
 ومنهم من أخذته الصيحة : أي ثمود .
 ومنهم من خسفنا به الأرض : أي كقارون .
 ومنهم من أغرقنا : كقوم نوح وفرعون .
 معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات قبل ذي إهلاكه لقوم لوط وقوم شعيب وقوم نوح من قبل لما ردوا
 دعوته وكذبوا رسله ذكر بقية الأقسام الذين كذبوا بآيات الله ورسله فأهلكهم ، فقال عز
 وجل : ﴿وعاداً وثموداً﴾^(١) أي وأهلكنا كذلك عاداً قوم هود ، وثمود قوم صالح ! وقوله
 تعالى : ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ أي وقد تبين لكم يامعشر كفار مكة ومشركي قريش
 من مساكنهم بالحجر^(٢) والشجر^(٣) من حضرموت ما يؤكد لكم إهلاكنا لهم ، إذ مساكنهم الخاوية
 دالة على ذلك دلالة عين . وقوله تعالى : ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي وقد زين لهم
 الشيطان أعمالهم من الشرك والشر والظلم والفساد وصددهم بذلك التزين عن السبيل ،
 سبيل الإيمان والتقوى المورثة للسعادة في الدنيا والآخرة . وقوله : ﴿وكانوا مستبصرين﴾^(٤) أي
 ذوي بصائر أي معرفة بالحق والباطل والخير والشر لما علمتهم الرسل ولكن آثروا أهواءهم
 على عقولهم فهلكوا . وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين . وقوله تعالى : ﴿وقارون
 وفرعون وهامان﴾ أي أهلكنا قارون الإسرائيلي ابن عم موسى عليه السلام ، أهلكناه ببغيه
 وكفره ، فخسفنا به الأرض وبيداره أيضاً ، وفرعون وهامان اغرقناهما في اليم بكفرهما وطغيانهما

(١) وجه المناسبة ظاهر بين هذه الآيات وسابقتها وهي إتمام ذكر كل من قص تعالى في كتابه قصصهم مفصلة في الاعراف وهود والشعراء
 والنمل والقصص ، فذكر بإيجاز من لم يذكرهم في هذا العرض من هذه السورة ، فذكر عاداً وثموداً وقارون وفرعون وهامان .

(٢) وعاداً جائز أن يكون منصوباً بفعل مقدر ، وأهلكنا عاداً أو اذكر عاداً .

(٣) الجملة حالية .

(٤) مدائن صالح .

(٥) منازل عاد .

(٦) الاستبصار: البصارة بالأمور، والسين والثناء للتأكيد كالاستحباب بمعنى الحب، والمراد أنهم أهل بصائر ومعرفة بالأمور لما لهم من
 عقول صالحة للنظر والإدراك، وما في التفسير وجه أحسن من هذا .

وظلمهما واستعلاتهما وذلك بعدما جاءهم موسى بالبينات من الآيات والحجج الواضحات التي لم تُبق لهم عذراً في التخلف عن الإيمان والتقوى ولكن ﴿فاستكبروا في الأرض﴾^(١)، أرض مصر وديارها فرفضوا الإيمان والتقوى ﴿وما كانوا سابقين﴾ ولا فائتين فأحلَّ الله تعالى بهم . نقمته وأنزل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم الظالمين . ثم في الآية الأربعين من هذا السياق بين تعالى أنواع العذاب الذي أهلك به هؤلاء الأقسام، فقال : ﴿فكلاً﴾^(٢) أي فكل واحد من هؤلاء المكذبين ﴿أخذنا بذنبه فمنهم﴾^(٣) من أرسلنا عليه حاصباً ﴿أي ريحاً شديدة كعاد . ومنهم من أخذته الصيحة﴾ كشمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ كقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ كفرعون، وقوله تعالى . ﴿وما كان الله ليضلمهم﴾ أي لم يكن من شأن الله تعالى الظلم فيظلمهم ، ﴿ولكن كانوا﴾ أي أولئك الأقسام ﴿أنفسهم يظلمون﴾ بالشرك والكفر والتكذيب والمعاصي فأهلكوها بذلك ، فكانوا هم الظالمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن الشيطان هو سبب هلاك الأقسام وذلك بتزيينه لهم الشر والقبيح كالشرك والباطل والشر والفساد .
- ٢ - بيان أن الاستكبار كالظلم عاقبتها الهلاك والخسران .
- ٣ - بيان أن الله تعالى ما أهلك أمة حتى يبين لها ما يجب أن تتقيه من أسباب الهلاك والدمار فإذا أبت إلا ذاك أوردتها الله مواده .

مَثَلُ الَّذِينَ

أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ

(١) إن فرعون وهامان وقارون شأنهم شأن أبي جهل والعاص بن وائل والنضر بن الحارث ما حملهم على الكفر والعناد إلا الاستكبار في البلاد .

(٢) (فكلاً) : الفاء للتفريع على ما سبق : قوله تعالى : (وعاداً) إذ التنوين عوض عن كلمة أي : فكل واحد ممن ذكروا من عاد إلى قارون أخذ الله أي : أهلك بذنبه ، ولم يظلمهم الله تعالى بإهلاكه إياهم .

(٣) الفاء للتفريع إذ هذا التفصيل بعد الفاء متفرع عن ذلك الإجمال المذكور في قوله : (فكلاً أخذنا بذنبه) .

(٤) شاهده في قول الله تعالى من سورة التوبة : (وما كان الله ليضلَّ قوماً حتى يبين لهم ما يتقون) والإضلال سبيل الهلاك وطريقه .

أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ
 لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
 دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
 الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
 ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

- مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء : أي صفة وحال الذين اتخذوا أصناماً يرجون نفعها .
 كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً : أي لنفسها تأوي إليه .
 أوهين البيوت : أضعف البيوت وأقلها جدوى .
 يعلم ما يدعون من دونه من شيء : أي من الأوثان والأصنام وغيرها .
 وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في تدبير أمور خلقه .
 وما يعقلها إلا العالمون : أي العالمون بالله وآياته وأحكام شرعه وأسراره .
 خلق الله السموات والأرض بالحق : أي من أجل أن يعبد لا لله ولا لباطل .
 أتلى ما أوحى إليك من الكتاب : اقرأ يا رسولنا ما أنزل إليك من القرآن .
 وأقم الصلاة : بأدائها مقامة مراعى فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها .
 تنهى عن الفحشاء والمنكر : أي الصلاة بما توجهه من نور في قلب العبد يصبح به لا يقدر على فعل فاحشة ولا إتيان منكر .
 ولذكر الله أكبر : أي ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد ربه كما ان ذكر

الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة
وغيرهما.

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى نعمته على أعدائه الذين كفروا به وأشركوا غيره في عبادته وكذبوا رسله وكان ذلك تنبيهاً وتعليماً للمشركين والكافرين المعاصرين لنزول القرآن لعلهم يستجيبيون للدعوة المحمدية فيؤمنوا ويوحّدوا ويسلموا فيسلموا من العذاب والخسران . ذكر هنا في هذه الآيات مثلاً لعبادة الأوثان في عدم نفعها لعبادتها والقصد هو تقرير التوحيد، وإبطال الشرك العائق عن كمال الإنسان وسعادته وقال تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله ﴿ شركاء وهي الأصنام والأوثان يعبدونها راجين نفعها وشفاعتها لهم عند الله تعالى ﴾ كمثل العنكبوت^(١) اتخذت بيتاً ﴾ لتأوي إليه قصد وقايتها مما تخاف من جراء برد أو اعتداء حشرة عليها، ﴿ وإن أوهن^(٢) البيوت لبيت العنكبوت ﴾ والحال أن أوهن البيوت أي أضعفها وأحقرها شأنها وأقلها مناعة هو بيت العنكبوت فهذه حال المشركين الذين اتخذوا من دون الله ﴿ أولياء ﴾ أي اصناماً يرجون النفع، ودفع الضر بها فهم واهمون في ذلك غالطون، مخطئون، إنه لا ينفع ولا يضر إلا الله فليعبده وحده وليتركوا ما سواه . وقوله : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أي لو كان المشركون يعلمون أن حالهم في عبادتهم غير الله في عدم الانتفاع بها كحال العنكبوت في عدم الانتفاع ببيتها الواهي لما رضوا بعبادة غير الله وتركوا عبادة الله الذي بيده كل شيء وإليه مصير كل شيء . وقوله تعالى : ﴿ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ﴾ فيه تهديد للمشركين المصرين على الشرك بأنه لا يخفى عليه ما هم عليه من دعاء غيره، ولو شاء لأهلكهم كما أهلك من قبلهم ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الغالب على أمره ﴿ الحكيم ﴾ في تدبير خلقه ولذا يعجل العقوبة لمن يعجل الحكمة ويؤخرها لمن يؤخرها عنه لحكمة فلا يغتر المشركون بتأخير العذاب، ولا يستدلون به على رضا الله تعالى بعبادتهم، وكيف يرضاها وقد أهلك أمماً بها وأنزل كتابه وبعث رسوله لإبطالها والقضاء عليها وقوله

(١) العنكبوت : صنف من الحشرات ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف : منها صنف يسمى لبيث العنكبوت، وهو الذي يفترس الذباب وكلها تتخذ لنفسها نسيجاً تنسجه من لعابها يكون خيوطاً مشدودة بين طرفين من الشجر أو الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر خيوطاً فتحتجب فيه ويسمى بيتاً لشبهه بالخيمة لأنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر، وجملة : (اتخذت بيتاً) حال من العنكبوت ويصغر على العنكبوت ويجمع على : عنكابت .
(٢) (وإن أوهن البيوت . .) هذه الجملة معترضة مبيّنة لوجه الشبه وتجري هذه الجملة مجرى المثل يضرب للشيء إذا قلت فائدته وجدواه .

(١)

تعالى : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي وهذه الأمثال نضربها للناس لأجل إيقاظهم وتبصيرهم وهدايتهم ، وما ﴿يعقلها إلا العالمون﴾ أي وما يدرك مغزاها وماتهدف إليه من التنفير من الشرك العائق عن كل كمال وإسعاد في الدارين ﴿إلا العالمون﴾ أي بالله وشرائعه وأسرار كلامه وماتهدي إليه آياته . وقوله تعالى : ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ إخبار بأنه تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وهي مظاهر قدرته وعلمه وحكمته موجبة لعبادته بتعظيمه وطاعته ومحبته والإنابة إليه والخوف منه . وخلقها بالحق لا بالباطل وذلك من أجل أن يذكر فيها ويشكر فمن كفر به فترك ذكره وشكره كان كمن عبث بالسموات والأرض وأفسدها ، لذا يعذب نظراً إلى عظم جرمه عذاباً دائماً أبداً . وقوله : ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي إن في خلق السموات والأرض بالحق ﴿آية﴾ أي علامة بارزة على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ، وهذه موجبات ألوهيته على سائر عبادته فهو الإله الحق الذي لا رب غيره . ولا إله سواه وبعد هذا البيان والبرهان لم يبق عذر لمعتذر ، وعليه ف ﴿اتل﴾ أيها الرسول ﴿ما أوحى إليك من الكتاب﴾ تعليماً وتذكيراً وتعبداً وتقرباً ﴿وأقم الصلاة﴾ طرفي النهار وزلفاً من الليل فإن في ذلك عوناً كبيراً لك على الصبر والثبات وزاداً عظيماً لرحلتك إلى الملكوت الأعلى . وقوله تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى^(٥) عن الفحشاء والمنكر﴾ تعليل للأمر بإقام الصلاة فإن الصلاة بما توجهه من إشراقات النفس والقلب والعقل حال تحول بين العبد وبين التلوث بقاذورات الفواحش ومفاسد المنكر وذلك يفيد إقامتها لا مجرد أدائها والإتيان بها . وإقامة الصلاة تتمثل في الإخلاص فيها لله تعالى أولاً ثم بطهارة القلب من الالتفات إلى غير الرب تعالى أثناء أدائها ثانياً ، ثم بأدائها في أوقاتها المحددة لها وفي المساجد بيوت الله ، ومع جماعة المسلمين عباد الله وأوليائه ، ثم بمراعاة أركانها من قراءة الفاتحة والركوع والطمأنينة فيه والاعتدال والطمأنينة فيه ، والسجود على الجبهة والأنف والطمأنينة فيه ، وآخر أركانها الخشوع وهو السكون ولين القلب وذرف الدمع . هذه هي الصلاة التي

(١) (وتلك الأمثال) مبتدأ والخبر: جملة (نضربها للناس).

(٢) عنه ﷺ أنه قال: (العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.)

(٣) لفظ السموات والأرض: يشمل ذاتهما والموجودات المظروفة فيهما.

(٤) المراد من: (اتل): مداومة تلاوة ما أوحى إليه وهو القرآن الكريم.

(٥) قيل لابن عطية: إن حماداً وابن جريج والكلبي يقولون: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام العبد فيها. قال: هذه عجمة أي: نسبهم إلى قلة الفهم وهو كذلك للحديث وهو قوله ﷺ: (من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له) وقال له أحد الصحابة: إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق. فقال: سينهاه ما تقول. يعني صلته.

توجد طاقة النور التي تحول دون الانغماس في الشهوات والذنوب وإتيان الفاحشة وارتكاب المنكر. وقوله تعالى : ﴿ولذكر الله أكبر﴾ أي أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من إقامة الصلاة لأن الصلاة أثناء أدائها مانعة عاصمة لكن إذا خرج منها، قد يضعف تأثيرها، أما ذكر الله بالقلب واللسان في كل الأحيان فهو عاصم مانع من الوقوع في الفحشاء والمنكر وفي اللفظ معنى آخر وهو أن ذكر الله للعبد في الملكوت الأعلى أكبر من ذكر العبد للرب في ملكوت الأرض ويدل عليه قوله : «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه» كما في الحديث الصحيح . وقطعاً والله لذكر الرب العبد الضعيف أكبر من ذكر العبد الضعيف الرب العظيم . اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين لا الأثك . وقوله : ﴿والله يعلم ماتصنعون﴾^(١) فيه وعد وعيد، فإن علمه يترتب عليه الجزاء فمن كان يصنع المعروف جزاه به، ومن كان يصنع السوء جزاه به . اللهم ارزقنا صنائع المعروف وأبعد عنا صنائع السوء آمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأفهام .
- ٢ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد .
- ٣ - فضل العلماء على غيرهم ، العلماء بالله ، بصفاته وأسمائه وآياته ، وشرائعه ، وأسرارها .
- ٤ - وجوب تلاوة القرآن ، وإقامة الصلاة ، وذكر الله ، إذ هي غذاء الروح وزاد العروج إلى الملكوت الأعلى .
- ٥ - بيان فائدة إقام الصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

(١) في الآية وازع المراقبة، وعليه فتلاوة القرآن وإقام الصلاة وذكر الله تعالى ومراقبته . هذه الأربعة تمثل سبيل السلام إلى دار السلام من سلكه نجا ومن تنكب هلك، والعباد بالله العليم الحكيم .

الجزء الواحد والعشرون

❁ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
 الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ
 إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾
 وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۗ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا
 إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
 وَلَا تَخِطُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذَا لَأَزْتَابُ الْمُبْطُلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ
 آيَاتٌ مُبِينَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ۗ وَمَا يَجْحَدُ
 بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

- ولا تجادلوا أهل الكتاب : أي لا تحاجوا ولا تناظروا اليهود ولا النصارى .
- إلا بالتي هي أحسن : أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن وهي الدعوة إلى الله بآياته والتنبيه على حججه .
- إلا الذين ظلموا منهم : أي الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين بدفع الجزية وبقوا حربا على المسلمين .
- وكذلك أنزلنا إليك الكتاب : أي وكانزلنا الكتاب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك الكتاب .
- فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون : أي كعبد الله بن سلام وإخوانه الذين آمنوا بالرسول به وكتابه .
- ومن هؤلاء من يؤمن به : أي ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به وفعلا آمن به كثيرون .

ولا تخطه يمينك	: أي تكتب بيدك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب.
لارتاب المبطلون	: أي لشك اليهود في نبوتك ونزول القرآن إليك.
بل هو آيات بينات	: أي محمد صلى الله عليه وسلم نعوته وصفاته آيات بينات في التوراة والانجيل محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.
وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون	: أي وما يجحد بآيات الله الحاملة لنعوت الرسول الأمي وصفاته إلا الذين ظلموا أنفسهم بكتمان الحق والاستمرار على الباطل.

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل لكتاب﴾ هذا تعليم للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يأخذون به مستقبلاً عندما يتصلون بأهل الكتاب ويحتكون بهم فقال عز وجل مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من أمته ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ الذين هم اليهود والنصارى فنهاهم عن مجادلتهم وهي خصامهم ومحاجتهم ومناظرتهم ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ أي إلا بالمجادلة التي هي أحسن^(١) وذلك بدعوتهم إلى الله تعالى ليؤمنوا برسوله ويدخلوا في دينه الإسلام والتنبية على حجج الله وأدلة وحيه وكتابه . وقوله ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ وهم الذين لم يدخلوا في ذمة المسلمين ولم يؤدوا الجزية وناصبوا المسلمين الحرب والعداء فهؤلاء لا يجادلون ولكن يُحَكِّم فيهم السيف فيقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقوله تعالى : ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلّٰهنا وإلّٰهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ . هذا تعليم آخر للمؤمنين وهو : إن أخبرهم أهل الكتاب بشيء لا يوجد في الإسلام ما يشبهه ولا ما ينفيه وأدعواهم أنه في كتابهم في هذه الحال فقولوا ما أُرشدنا الله تعالى إلى قوله وهو : ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا﴾

(١) ذكر القرطبي الخلاف في هل هذه الآية منسوخة أو محكمة ، ورجح قول مجاهد وهي أنها محكمة ، وما في التفسير على هذا وهو الصواب .

(٢) الجدل والمجادلة مصدران لجادل ، والمراد بالمجادلة : إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره . والجدل : شدة الخصومة وهو مأخوذ من الجدل الذي هو القتل للحبل . ونحوه إذا قواه ، والمجادل يقوي رأيه بما يراه ويورده من حجج .

(٣) وجه المجادلة بالحسنى لأهل الكتاب لأنهم أهل علم متأهلون للفهم وقبول الحق متى اتضح لهم بخلاف جهال المشركين فإن تهجين عبادتهم وتفضيع طريقتهم قد يكون أنجع فيهم .

إلى آخر الآية حتى لا نكون قد كذبتنا بحق ولا آمناً بباطل ، وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم^(١) ، وقولوا ﴿آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ .

وقوله تعالى ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي وكإنزلنا الكتب السابقة على رسل سبقوا كموسى وداود وعيسى عليهم السلام أنزلنا إليك أنت يا محمد الكتاب أي القرآن وقوله تعالى : ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به . ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ . فهذا إخبار بغيب فكما علم الله تعالى المؤمنين كيف يكونون مع أهل الكتاب عندما يتصلون بهم ويعيشون معهم في المدينة وغيرها أخبر أن الذين آتاهم الكتاب أي التوراة والانجيل وهم الراسخون في العلم يؤمنون أي بالقرآن وقد آمن عبدالله بن سلام وكثير من أبحار أهل الكتاب ، وآمن من المشركين كثيرون فكان الأمر كما أخبر . وقوله تعالى : ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ فهو كما أخبر لا يجحد بالآيات القرآنية ويكذب بها إلا كافر مظلم النفس خبيثها وقوله تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ هو كما قال عز وجل لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قبل القرآن أي كتاب ، ولا كان يخط بيمينه أي كتاب لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب أي فلو كان قبل نزول القرآن عليه يقرأ ويكتب لكان للمبطلين^(٢) مجال للشك في صحة دعوى النبوة المحمدية ونزول القرآن عليه ، ولكن لم يكن قبل القرآن يقرأ أي كتاب ، ولم يكن يخط بيمينه أي خط ولا كتاب فلم يبق إذاً للمشركين ما يحتجون به أبداً . وقوله تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور^(٣) الذين أوتوا العلم﴾ أي بل الرسول ونعوته وصفاته ومنها وصف الأمة آيات في التوراة والانجيل محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . . . وقوله تعالى : ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ في التوراة والانجيل والقرآن ﴿إلا الظالمون﴾ أنفسهم^(٤) من الماديين اليهود والنصارى الذين يأكلون وترأسون على حساب الحق والعياذ بالله تعالى .

(١) نقره به البخاري رحمه الله تعالى .

(٢) قال مجاهد : كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً ﷺ لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية .

(٣) أي : ليس هو كما يقول المبطلون من أنه سحر أو شعر ولكنه علامات ودلائل يعرف بها دين الله وأحكامه وكذلك في صدور الذين أوتوا العلم ، وهم أصحاب محمد ﷺ ، والمؤمنون به ، وهذا لا يتنافى مع ما في التفسير ، إذ الوجهان صحيحان ، وقال كعب في صفة هذه الأمة : إنهم حكماء علماء وهم في الفقه أنبياء .

(٤) والمشركون كاليهود والنصارى في هذا أي : الجحود بالآيات .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- (١) مشروعية مجادلة أهل الكتاب من أهل الذمّة بالتي هي أحسن .
- (٢) حرمة سؤال أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل » .
- (٣) منع تصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم إذا أخبروا بشيء ووجوب قول : ﴿ آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ .
- (٤) إخبار القرآن بالغيب قبل وقوعه فيقع كما أخبر فيكون ذلك آية على أنه وحى الله تعالى .
- (٥) تقرير صفة الأمية في النبي صلى الله عليه وسلم كما هي في الكتب السابقة .

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ

آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

يَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا

يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

لولا أنزل عليه آيات : أي قال كفار قريش هلاً أنزل على محمد آيات من ربه كناقصة صالح ، وعصا موسى .

(١) رواه ابن جرير عن عبدالله بن مسعود قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتابية المال .

قل إنما الآيات عند الله : أي قل لهم يارسلونا الآيات عند الله ينزلها متى شاء .
 أو لم يكفهم أنا أنزلنا : أي أو لم يكفهم فيما طلبوا من الآيات إنزالنا الكتاب عليك الكتاب
 إن في ذلك لرحمة وذكرى : أي في القرآن رحمة وموعظة للمؤمنين فهو خير من ناقة صالح .
 والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله .
 وكفروا بالله : وهو الإله الحق .
 أولئك هم الخاسرون : أي حيث استبدلوا الكفر بالإيمان .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير النبوة المحمدية فقله تعالى : ﴿وقالوا﴾ أي أهل مكة ﴿لولا أنزل عليه آيات من ربه﴾ أي هلاً أنزل على محمد آيات من ربه كناية صالحة وعصا موسى ومائدة عيسى إذ هذا الذي يعنون بالآيات أي معجزات خارقة للعادة . قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم قل يارسلونا لقومك المطالبين بالآيات دليلاً على صدق نُبُوتك قل لهم : أولاً : الآيات التي تطالبون بها هي عند الله وليست عندي فهو تعالى ينزلها متى شاء وعلى من شاء . وثانياً ﴿إنما أنا نذير مبين﴾ أي وظيفتي التي أقوم بها هي إنذار أهل الظلم من عاقبة ظلمهم وهي عذاب النار فلذا لا معنى بمطالبتني بالآيات . وثالثاً أو لم يكفهم آية أن الله تعالى أنزل عليّ كتابه فأنا أتلوه عليكم صباح مساء فأي آية أعظم من كتاب من أمي لا يقرأ ولا يكتب تُتلى آياته تحمل الهدى والنور وهو في الوقت نفسه رحمة وذكرى أي موعظة لقوم يؤمنون فهي معجزة ثابتة قائمة باقية يجد فيها المؤمنون الرحمة فيتراحمون بها ويجدون فيها الموعظة فهم يتعظون بها ، فأين هذا من معجزة تبقى ساعة ثم تذهب وتروح كمائدة عيسى أو عصا موسى . ورابعاً : شهادة الله برسالتي كافية لا يُطلب معها دليل آخر على نبوتي ورسالتي ، فقد قال لي ربي : ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم﴾^(١)

(١) قرأ ابن كثير وحزمة : (آية) بالافراد ، وقرأ الجمهور ونافع وحفص بالجمع (آيات).

(٢) أخرج الدارمي في سننه أن النبي ﷺ أتى بكف فيه كتاب فقال (كفى بقوم ثلاثة : أن يرغبوا عما جاءهم به نبئهم إلى ما جاء به نبي غير نبئهم أو كتاب غير كتابهم فأنزل الله تعالى هذه الآية : (أو لم يكفهم).

شهِدًا^(١) . ربي الذي يعلم ما في السموات والأرض من كل غيب ومن ذلك علمه بأنبي رسوله فشهد لي بذلك بإنزاله عليّ هذا الكتاب وأخيراً وبعد هذا البيان يقول تعالى ﴿والذين آمنوا بالباطل^(٢) وهو تأليه المخلوقات من دون الله ﴿وكفروا﴾ بأولوية الله الحق ﴿أولئك﴾ البعداء في الفساد العقلي وسوء الفهم ﴿هم الخاسرون﴾ في صفتهم حين اشتروا الكفر بالإيمان واستبدلوا الضلالة بالهدى .
هذا ما دلت عليه الآيات الثلاث فلتعد تلاوتها بالتأني والتدبر .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) تقرير النبوة المحمدية بالأدلة القاطعة التي لا ترد ، وهي أربع كما ذكر آنفاً .

(٢) بيان أكبر معجزة لإثبات النبوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي نزول القرآن الكريم عليه وفي ذلك قال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري^(٣) : «ما من نبي إلا أوتي ما على مثله آمن البشر ، وكان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فإنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة» .

(٣) القرآن الكريم رحمة وذكرى أي عبرة وعظة للمؤمنين به وبمن نزل عليه .

(٤) تقرير خسران المشركين في الدارين لاستبدالهم الباطل بالحق والعياذ بالله تعالى .

وَسْتَـعْـجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ



(١) (شهِدًا) أي : يشهد لي بالصدق فيما أدعيه من أني رسول وأن هذا كتابه .

(٢) قال يحيى بن سلام : الباطل هنا : إبليس وهو شامل لإبليس ولعبادة الأوثان وما في التفسير أعم ، إذ اللفظ يشمل عبادة غير الله مطلقاً وهو الباطل .

(٣) أخرجه ابن كثير بهذا اللفظ : (وما من الأنبياء من نبي إلا قد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وقال : أخرجاه من حديث الليث .

شرح الكلمات :

- ويستعجلونك بالعذاب : أي يطلبون منك تعجيل العذاب لهم .
 ولولا أجل مسمى : أي وقت محدد للعذاب لا يتقدمه ولا يتأخر عنه لجاءهم .
 وليأتينهم بغتة : فجأة من حيث لا يخطر لهم على بال .
 وإن جهنم لمحيطة بالكافرين : أي من كل جانب وهم فيها وذلك يوم يغشاهم .
 يوم يغشاهم العذاب : أي من فوقهم ومن تحت أرجلهم .
 ذوقوا ما كنتم تعملون : أي ويقول لهم الجبار ذوقوا ما كنتم تعملون أي من الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآيات القريبة أن المكذبين بالرسالة المحمدية طالبوا بالعذاب تحدياً منهم للرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : إئتنا بالعذاب إن كنت من الصادقين في أنك نبي ورسول إلينا وفي هذه الآية يعجب تعالى رسوله أي يحمله على أن يتعجب من حمق المشركين وطيشهم وضلالهم إذ يطلبون بالعذاب فيقول له ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى﴾ للعذاب أي وقت محدد له لا يتقدمه ولا يتأخره ﴿لجاءهم العذاب﴾ . ثم أخبر تعالى رسوله مؤكداً خبره فقال ﴿وليأتينهم﴾ أي العذاب ﴿بغتة﴾ لا محالة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بوقت مجيئه ، ثم كرر تعالى حمل رسوله على التعجب من سخف المشركين الذين لا يطيقون لسعة عقرب ولا نهشة أفعى يطلبون بالعذاب فقال ﴿يستعجلونك بالعذاب ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ لا محالة كقوله ﴿أتى أمر الله﴾ ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾ أي يغطيهم ويغمرهم فيكون ﴿من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ وجهنم محيطة بهم

(١) من بين المطالبين بالعذاب: أبو جهل، والنضر بن الحارث إذ قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقالوا ربنا عجل لنا قننا قبل يوم الحساب وفيهم نزل: (سأل سائل بعذاب واقع للكافرين...).

(٢) المعنى: لولا الأجل المعين لحلول العذاب بهم لجاءهم العذاب عاجلاً لأن كفرهم يستحق تعجيل عقابهم، ولكن الله أراد تأخير الحكم يعلمها منها: إمهالهم ليؤمن من يؤمن منهم، ومنها ليعلموا أن الله لا يستقره استعجالهم ومنه إظهار رحمته بعباده وحلمه عليهم.

(٣) حكى استعجالهم العذاب بصيغة المضارع لاستحضار حال استعجالهم لإفادة التعجب منها كما في قوله تعالى: (بجادلنا في قوم لوط).

(٤) (من فوقهم) حال مؤكدة، إذ غشيان العذاب لا يكون إلا من فوق، وقوله (ومن تحتهم) احتراس عما قد يوهمه الغشيان من الفوقية خاصة.

(١) ويقول الجبار تبارك وتعالى موبخاً لهم ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ من الشرك والمعاصي .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) مشروعية التعجب إذا وجدت أسبابه الحاملة عليه .

(٢) بيان مدى حُقم وجهل وسفه الكافرين والمشركين بخاصة .

(٣) بيان أن تأخير العذاب لم يكن عن عجز وإنما هو لنظام دقيق إذ كل شيء له أجل محدد لا يتقدم ولا يتأخر .

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا أَرْضِي وَسِعَةً فَيَأْتِي فَأَعْبُدُونِ
 ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
 صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ
 رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات :

إن أرضي واسعة : أي هاجروا من بلاد لم تتمكنوا من العبادة فيها فإن أرض الله واسعة .

فإياي فاعبدون : فاعبدوني وحدي ولا تعبدوا معي غيري كما يريد منكم المشركون .

كل نفس ذائقة الموت : أي لا يمتنعكم الخوف من الموت أن لاتهاجروا في سبيل الله فإن الموت لا بد منه للمهاجر ولمن ترك الهجرة .

(١) وحكم عالية تقدم بعضها إزاء رقم أربعة قبل ذا .

(٢) قرأ بعضهم (وتقول) بنون التكلم والتعظيم .

ثم إلینا ترجعون : أي بعد موتكم ترجعون إلى الله فمن مات في سبیل مرضاته أكرمه وأسعده ، ومن مات في معصيته أذاقه عذابه .
 لنبوئتهم : أي لننزلنهم من الجنة غرماً تجرى من تحتها الأنهار .
 الذين صبروا : أي صبروا على الإيمان والهجرة متوكلين على الله تعالى .
 وكآین من دابة لاتحمل : أي لا تطیق جمعه ولا حملة لضعفها ، والله یرزقها فلا رزقها
 عذر لمن ترك الهجرة خوفا من الجوع والخصاصة .
 وهو السميع العليم : أي السميع لأقوال عباده العليم ببنیاتهم وأحوالهم وأعمالهم .

معنى الآيات :

لا شك أنه بعد ذلك التأنيب الإلهي للمشركين وتهديدهم بالعذاب وتوعددهم بعذاب جهنم وتوبيخهم فيها على شركهم وباطلهم لا شك أن رد الفعل من المشركين هو الضغط على المؤمنين المستضعفين في مكة فأرشدهم الله تعالى إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ليتمكنوا من عبادة الله تعالى ، فناداهم بقوله عز وجل : ﴿ياعبادي^(١) الذين آمنوا﴾ أي بي وبرسولي ولقائي ﴿إن أرضي واسعة﴾ فهاجروا فيها ، ولا ترضوا بالبقاء مع الكفر تهانون وتلزمون بعبادة غيري من آلهة المشركين ، ﴿فإياي فاعبدون﴾ لا تعبدوا معي غيري . وعليه فهاجروا في سبيل مرضاتي ولا تخشوا موتاً ولا فقراً فإن كل نفس ذائقة الموت هاجر صاحبها أو لم يهاجر ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقوله : ﴿ثم إلینا ترجعون﴾ ، لا محالة فمن رجع إلینا وهو مؤمن مطیع منفذ لأوامرنا مجتنب نواهينا أسعدناه ، ومن رجع إلینا وهو كافر بنا عاص لنا مهممل أوامرنا مرتكب نواهينا أشقينا . وقوله تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئتهم من الجنة غرماً﴾ أي لننزلنهم من الجنة دار الإسعاد ﴿غرماً

(١) قال القرطبي هذه الآية نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة وهو كذلك إلا أنها عامة في كل من منع من عبادة الله تعالى في أرض عليه أن يهاجر إلى أخرى يعبد الله تعالى فيها إذ العبادة هي علة خلقه ووجوده لقوله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

(٢) قرأ الجمهور: (ترجعون) وقرأ البعض بالياء (يرجعون).

(٣) روى مسلم: (أن أهل الجنة لیتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق أو من المغرب لتفاضل ما بينهم ، وقيل له ﷺ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ! قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين).

تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴿ أي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها . هذا بيان لمن مات وهو مؤمن عامل بالصالحات ومنها الهجرة في سبيل الله . وقوله ﴿ نعم أجر العاملين ﴾ أي ذلك الإنزال في الغرف في الجنان هو الإسعاد المترتب على الإيمان والهجرة والعمل الصالح فالإيمان والهجرة والعمل الصالح عملٌ والجنة وما فيها من النعيم أجر ذلك العمل . وأثنى الله تعالى على الجنة فقال : ﴿ نعم أجر العاملين ﴾ ووصفهم بقوله ﴿ الذين صبروا ﴾ أي على الإيمان والهجرة والطاعة ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فخرجوا من ديارهم تاركين أموالهم لا يحملون معهم زاداً كل ذلك توكلوا على ربهم وقوله تعالى : ﴿ وكأين ^(١) من دابة لا تحمل رزقها ﴾ لضعفها وعجزها أي وكثير من الدواب من الإنسان والحيوان من يعجز حتى عن حمل طعامه أو شرابه لضعفه والله عز وجل يرزقه بما يسخر له من أسباب وما يهيء له من فرص فيطعم ويشرب كالأقوياء والقادرين ، وعليه فلا يمنعكم عن الهجرة مخافة الفاقة والفقير فالله تعالى تكفل برزقكم ورزق سائر مخلوقاته . (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) ببواطنكم وظواهركم وأعمالكم وأحوالكم فارهبوه ولا ترهبوا سواه فإن في طاعته السعادة والكمال وفي معصيته الشقاء والخسران .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) لا عذر لأحد في ترك عبادة الله وتوحيده فيها لأنه إن منع منها في بلد وجب عليه أن يهاجر إلى بلد آخر .

(٢) لا معنى للخوف من الموت إذا وجب العمل كالهجرة والجهد لأن الموت حق ولا بد منه .

(٣) بيان جزاء أهل الصبر والتوكل من أهل الإيمان والهجرة والتقوى .

(٤) لا يمنعن المؤمن من الهجرة خوفه من الجوع في دار هجرته إذ تكفل الله برزقه .

(١) وكأين : أصلها أي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم ، والتقدير : أي كشيء كثير من العدد من دابة قال ابن عباس : الدواب هي كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفأر .
(٢) وهو السميع لدعائكم العليم بما في نفوسكم من إخلاص لله تعالى في أعمالكم وتوكلكم ورجائكم من الرزق .

وَلَيْنَ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَإِنِّي يُؤْفِكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ
 مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
 لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
 وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ
 لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

- ولئن سألتهم : أي المشركين .
 وسخر الشمس والقمر : أي ذللها يسيران الدهر كله لا يملان ولا يفتران .
 فإني يؤفكون : أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته لهم . وهو
 أن الخالق المدبر هو الإله الحق الذي يجب توحيده في
 عبادته .
 الله يبسط الرزق لمن يشاء : أي يوسع الرزق على من يشاء من عباده امتحانا للعباد .
 هل يشكر الله أو يكفر نعمه .
 ويقدر له : أي ويضيق عليه ابتلاء ليرى هل يصبر أو يسخط .
 ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد
 موتها ليقولن الله : إذا كيف يشركون به أصناماً لا تنفع ولا تضر؟ .
 قل الحمد لله : أي قل لهم الحمد لله على ثبوت الحجة عليكم .
 بل أكثرهم لا يعقلون : أي أنهم متناقضون في فهمهم وجوابهم .

وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب
 أي بالنظر إلى العمل لها والعيش فيها فهي لهو يتلهى بها
 الإنسان ولعب يخرج منه بلا طائل ولا فائدة .
 وإن الدار الآخرة لهي
 أي الحياة الكاملة الخالدة ، ولذا العمل لها أفضل من
 الحيوان العمل للدنيا .
 لو كانوا يعلمون
 أي لو علم المشركون هذا لما آثروا الدنيا الفانية على
 الآخرة الباقية .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتنديد بالشرك وتذكير المشركين لعلمهم بوحودون . يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين الذين يؤذون المؤمنين ويضطهدونهم من أجل توحيدهم لله تعالى لو سألتهم ﴿ من خلق السموات والأرض ﴾ أي من أوجدهما من العدم ، ومن سخر الشمس والقمر في فلكيهما يسيران الحياة كلها ليجيبك قائلين الله . ﴿ فأنى يؤفكون ﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته إنها حال تستدعي التعجب وقوله تعالى : ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ هذا مظهر من مظاهر الحكمة الإلهية والتدبير الحكيم وهو موجب له الألوهية ناف لها عما سواه . فهذا يبسط الرزق له فيوسع عليه في طعامه وشرابه وكسائه ومركوبه ومسكنه ، وهذا يضيق عليه في ذلك لماذا؟! والجواب إنه يوسع امتحانا للعبد هل يشكر أو يكفر ، ويضيق ابتلاء للعبد هل يصبر أو يسخط . ولذا فلا حجة للمشركين في غناهم وفقر المؤمنين فالغنى لا يدل على رضا الله على العبد ولا على سخطه . والفقر كذلك لا يدل على سخط ولا على رضا . وقوله تعالى ﴿ إن الله بكل شئ عليم ﴾ تقرير لحكمته ورحمته وعدله وتدبيره فهو يوسع لحكمة ويضيق لحكمة لعلمه بعباده وما يصلحهم وما يفسدهم إذ من الناس من يصلحه الغنى ، ومنهم من يصلحه الفقر ، والإفساد كذلك وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ﴾ أي ولئن سألت يارسولنا هؤلاء المشركين فقلت من نزل من السماء

(١) الاستفهام للإنكار والتعجب .

(٢) نزلت الآية رداً على المشركين الذين غيروا المؤمنين بالفقر وقالوا لهم : لو كنتم على الحق لم تكونوا فقراء ، وهذا تمويه منهم إذ في الكافرين فقراء أيضاً .

(٣) هذه الجملة تذييلية لإفادة أن ذلك كله جار على حكمة لا يطلع عليها .

ماء المطر فأحيا به الأرض بعد موتها بالقحط والجذب لأجابوك قائلين : الله إذا قل لهم : الحمد لله على اعترافكم بالحق لو أنكم تعملون بمقتضاه فما دام الله هو الذي ينزل الماء ويحيى الأرض بعد موتها فالعبادة إذا لا تنبغي إلا له فلم إذا تعبدون معه آلهة أخرى لا تنزل ماء ولا تحيي أرضاً ولا غيرها ، ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ إذ لو عقلوا ما أشركوا بربهم أحجاراً وأصناماً ولا ما تناقضوا هذا التناقض في أقوالهم وأفعالهم يعترفون بالله رباً خالقاً رازقاً مديراً ويعكفون على الأصنام يستغيثون بها ويدعونها ويعادون بل ويحاربون من ينهاهم عن ذلك .

وقوله تعالى : ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ أي التي أعمت الناس عن الآخرة وصرفتهم عن التزود لها ما هي ﴿إلا لهو ولعب﴾^(١) إذ يتشاغل بها الكافر ويعمل لها الليل والنهار ثم يموت ويخرج منها صفر اليدين كالأطفال يلعبون طوال النهار ثم يعودون بلا شيء سوى ما نالهم من التعب فالواجب أن تحول إلى عمل صالح مشمر يتزود به العبد إلى آخرته إذ الآخرة هي الحيوان أي الحياة الكاملة الخالدة فلها يعمل العاملون ، وفي عملها يتنافس المتنافسون . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿وإن الآخرة﴾ أي الدار الآخرة ﴿لهي الحيوان﴾^(٢) أي الحياة التي يجب أن تعمل لها لبقائها وخيريتها ، وقوله : ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي نعم إذ لو علموا أن الآخرة خير لما أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الآخرة ، ولكن جهلهم هو سبب إعراضهم ، فدواؤهم العلم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) التعجب من تناقض المشركين الذين يؤمنون بربوبية الله ويجحدون ألوهيته .
- (٢) بيان حقيقة وهي أن الغنى والفقر لا يدلان على رضا الرب ولا على سخطه ، وإنما يدلان على علم الله وحكمته وحسن تدبيره .
- (٣) بيان حقارة الدنيا وتفاهتها وعظمة الآخرة وعلو قيمتها . فلذا أحق الناس وأشدهم سفاهة من يعمى عن الآخرة ويكفر بها ويبصر الدنيا ويؤمن بها .

(١) (الحمد لله) أي : على ما أوضح من الحجج والبراهين على قدرته على كل شيء أراد .

(٢) اللهو : ما يلهو به الناس أي : يشتغلون به عن الأمور المكثرة أو يعمرن به أوقاتهم الخلية عن الأعمال .

(٣) الحيوان : يقع على كل شيء حي ، وحيوان : عين في الجنة ، وقيل : أصل الحيوان حيوان فأبدلت إحداهما وأراد لاجتماع المثليين .

فَإِذَا رَكِبُوا فِي

الْفُلْكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

شرح الكلمات :

في الفلك

: أي في السفينة .

مخلصين له الدين

: أي دعوا الله وحده فلم يذكروا معه غيره من الآلهة .

إذا هم يشركون

: أي يفاجئونك بالشرك وهو دعاء غير الله تعالى .

ليكفروا بما آتيناهم

: أي بنعمة الإنجاء من الغرق وغيرها من النعم .

فسوف يعلمون

: أي سوف يعلمون عاقبة كفرهم إذا القوا في جهنم .

ويتخطف الناس من حولهم

: أي يُسبون ويُقتلون في ديار جزيرتهم .

أفبالباطل يؤمنون

: أي يؤمنون بالأصنام وهي الباطل ، ينكر تعالى عليهم

ذلك .

والذين جاهدوا فينا

: أي بذلوا جهدهم في تصحيح عقائدهم وتزكية نفوسهم

وتهذيب أخلاقهم ثم بقتال أعداء الله من أهل الكفر

المحاربين للإسلام والمسلمين .

لنهديهم سبلنا

: أي لنوفقنهم إلى معرفة ما يوصل إلى محبتنا ورضانا

ونعينهم على تحصيله .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في التنديد بالمشركين وشركهم فقد تقدم في السياق أنهم يعترفون بربوبية الله تعالى إذ لو سُئلوا عن خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر لقالوا الله ولو سُئلوا عن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها لقالوا الله . ومع هذا هم يشركون بالله آلهة أوثاناً ، وكما يعترفون بربوبية الله ثم يشركون به الأصنام ، فإنهم إذا ركبوا في الفلك أي في سفينة من السفن وجاءهم موج واضطربت بهم وخافوا الغرق دعوا الله تعالى ﴿مخلصين له الدين﴾ أي الدعاء فسألوه وحده دون آلهتهم أن ينجيهم من الغرق . ﴿فلما نجاهم إلى البر﴾ ونزلوا سالمين من الغرق إذا هم يشركون يفاجئونك بالشرك فهذا التناقض منهم كالتناقض في اعترافهم بربوبية الله تعالى ثم بالإشراك به . ومردُّ هذا إلى الجهل والتقليد والعناد والمجاهدة والمكابرة . هذا ما دلت عليه الآية الأولى من هذا السياق وهي قوله ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾^(١) .

وقوله تعالى في الآية (٦٦) : ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي عودتهم إلى الشرك بعد نجاتهم من الغرق ونزولهم في البر كان كأنه من أجل أن يكفروا بنعمة الله تعالى بإنجائهم من الغرق ، إذ لو لم يكفروها لاستمروا على الاخلاص لله بدعائه وعبادته وحده دون الآلهة التي تركوها عند حلول الشدة ومعاناة البلاء . وقوله تعالى : ﴿وليتمتعوا﴾ قرىء بسكون اللام ورجح ابن جرير هذه القراءة فيكون المعنى : وليتمتعوا في دنياهم بما آتاهم الله من متاع الحياة الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة ذلك بعد موتهم وهي عذاب الآخرة ، والأمر حينئذ في قوله وليتمتعوا للتهديد والوعيد .

أما على قراءة جر اللام ولتتبعوا فالجملة معطوفة على قوله ليكفروا أي أخلصوا في الشدة وأشركوا في الرخاء ليكفروا ولتتبعوا بما أوتوا في الحياة ، ولم يكن ذلك بنافعهم ولا بمغن عنهم من الله شيئاً فسوف يعلمون ما يحل بهم من عذاب وما ينزل بهم من بلاء وشقاء .

(١) قال القرطبي : يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطاناً . وقيل : إشراكهم أن يقول قائلهم لولا الله والرئيس والملاح لغرقنا ، وهو كما قال ، وإنما هو عند المسلمين من الشرك الأصغر لا الأكبر كقول الرجل : لولا الطبيب لمات فلان ، ولولا الكلب لسرقنا .

(٢) (ليكفروا) هذه اللام هي لام كي ، والظاهر أنها للعاقبة وما يؤول إليه الأمر ، وقيل هي لام الأمر ، وإن كانت كذلك فهو للتهديد والوعيد ، ويقوي هذا الوجه قراءة من قرأها من القراء السبعة بسكون اللام (وليتتبعوا) .

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٦٧) ﴿أولم يروا أننا جعلنا حراماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾ أي ألم ير أولئك المشركون الكافرون بنعمة الله في الإنجاء من الغرق نعمة أخرى، وهي أن جعل الله تعالى لهم حراماً آمناً يسكنونه آمنين من غارات الأعداء وحروب الظالمين المعتدين، لا يعتدي عليهم في حرمهم ولا يظلمون في حين أن الناس من حولهم في أطراف جزيرتهم وأوساطها يتخطفون فتشاً عليهم الغارات ويقتلون ويؤسرون في كل وقت وحين، أليست هذه نعمة من أعظم النعم تستوجب شكرهم لله تعالى بعبادته وترك عبادة ما سواه. ولذا قال تعالى عاتباً عليهم مندداً بسلوكهم: ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ أي بالشرك وعبادة الأصنام يصدقون ويعترفون ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ أي يجحدون إنعام ربهم عليهم فلا يشكرونه بعبادته وتوحيده فيها. وقوله تعالى في الآية الرابعة (٦٨) ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه﴾ وصفهم بالظلم الفظيع في حالتين الأولى في كذبهم على الله بتحريم ما أحل وتحليل ما حرم واتخاذ شركاء لله زاعمين أنها تشفع لهم عند الله عز وجل والثانية في تكذيبهم للحق الذي جاءهم به رسول الله وهو الدين الإسلامي بعقائده وشرائعه حيث كذبوا بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم. وبعد هذا التسجيل لأكبر ظلم عليهم قال تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾؟ والاستفهام للتقرير أي إن في جهنم مثوى أي مسكناً للكافرين من أمثالهم وهم كافرون ظالمون وذلك جزاؤهم ولبس الجزاء جهنم

وقوله تعالى في الآية الخامسة (٦٩) ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ في هذه الآية بشرى سارة ووعد صدق كريم، وذلك أن من جاهد في سبيل الله أي طلباً لمرضاة الله بالعمل على إعلاء كلمته بأن يعبد ولا يعبد معه سواه فقاتل

(١) هو مكة والحرم حولها.

(٢) الخطف: الأخذ بسرعة. قال الضحاك يتخطف الناس من حولهم: أي يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فذكرهم الله تعالى بهذه النعمة لعلهم يذعنون له بالطاعة.

(٣) الاستفهام للانكار والتعجب أيضاً.

(٤) المثوى المستقر الدائم، والمثوى كالمأوى وزناً ومعنى والاستفهام هنا للتقرير.

(٥) جاهدوا الكفار والفساق والشيطان والنفس أما جهاد الكفار فلم يؤذن فيه في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية إلا أنه لا مانع أن ينزل الحكم قبل أن يشرع العمل. ولكنه منتظر، وأما جهاد النفس فهو لازم لا يفارق وكذا جهاد الشيطان عليه لعائن الله.

(٦) المعية هنا: معية إعانة وتسديد ونصرة على الأعداء المحاربيين من الكفار والشياطين والنفس.

المشركين يوم يؤذن له في قتالهم يهديه الله تعالى أي يوفقه إلى سبيل النجاة من المرهوب والفوز بالمحجوب ، وكل من جاهد في ذات الله نفسه وهواه والشيطان وأولياءه فإن هذه البشرى تناله وهذا الوعد ينجز له وذلك أن الله مع المحسنين بعونه ونصره وتأييده على من جاهدهم في سبيل الله ، والمراد من المحسنين الذين يحسنون نياتهم وأعمالهم وأقوالهم فتكون صالحة مثمرة لزكاة نفوسهم وطهارة أرواحهم . اللهم اجعلنا منهم وآتنا ما وعدتهم إنك جواد كريم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١) بيان أن مشركي العرب لم يكونوا ملاحدة لا يؤمنون بالله تعالى وتقرير أنهم كانوا موحدين توحيد الربوبية مشركين في توحيد الألوهية أي العبادة .
- ٢) إيقاظ ضمائر المشركين بتنبههم بنعم الله تعالى عليهم لعلهم يشكرون .
- ٣) لا ظلم أعظم من ظلم من افتري على الله الكذب ، وكذَّب بالحق لما جاءه وانتهى إليه وعرفه فانصرف عنه مؤثرا دنياه متبعا لهواه .
- ٤) بشرى الله لمن جاهد المشركين وجاهد نفسه والهوى والشياطين بالهداية إلى سبيل الفوز والنجاة في الحياة الدنيا والآخرة .
- ٥) فضل الإحسان وهو إخلاص العبادة لله تعالى وأداؤها متقنة مُجَوِّدة كما شرعها الله تعالى ، وبيان هذا الفضل للإحسان بكون الله تعالى مع المحسنين بنصرهم وتأييدهم والإنعام عليهم وإكرامهم في جواره الكريم .

سُورَةُ الرُّومِ

مكية

وآياتها ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝١ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ
 غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
 مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤
 بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥
 وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ
 ۝٧

شرح الكلمات :

الْم : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب آلم ، وتقرأ ألف ،

لام ، ميم

: أي غلبت فارس الروم .

غلبت

: إسم رجل هوروم بن عيصوبن اسحق بن ابراهيم سميت

الروم

به قبيلة لأنه جدها .

: أي أقرب أرض الروم إلى فارس وهي أرض يقال لها

في أدنى الأرض

الجزيرة «بين دجلة والفرات» .

وهم من بعد غلبهم سيغلبون: أي وهم أي الروم من بعد غلب فارس لهم سيغلبونها .

: أي في فترة ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنين .

في بضع سنين

: أي الأمر في ذلك أي في غلب فارس أولاً ثم في غلب

الله الأمر من قبل ومن بعد

الروم أخيراً لله وحده إذ ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن .

ويومئذ يفرح المؤمنون : أي ويوم تغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بنصر أهل الكتاب على المشركين عبدة النار ، وينصرهم هم على المشركين في بدر.

وعد الله : أي وعدهم الله تعالى وعداً وأنجزه لهم .
لا يخلف الله وعده : أي ليس من شأن الله خلف الوعد وذلك لكمال قدرته وعلمه .

ولكن أكثر الناس لا يعلمون : كمال الله في قدرته وعلمه المستلزم لإنجاز وعده .
يعلمون ظاهراً من الحياة : أي لا يعلمون حقائق الإيمان وأسرار الشرع وإنما الدنيا يعلمون ما ظهر من الحياة الدنيا كطلب المعاش من تجارة وزراعة وصناعة .

وهم عن الآخرة هم غافلون : أي عن الحياة الآخرة ، وما فيها من نعيم وجحيم وما يؤدي إلى ذلك من عقائد وأفعال وتروك .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الْم﴾ : أحسن أوجه التفسير لمثل هذه الحروف القول بأن الله أعلم بمراده به ، مع الإشارة إلى أنه أفاد فائدتين الأولى أن هذا القرآن المؤلف من مثل هذه الحروف المقطعة قد أعجز العرب على تأليف مثله فدل ذلك على أنه وحي الله وتزييله ، وأن من نزل عليه نبي الله ورسوله وأن ما يحمل من تشريع هو حاجة البشرية ولا تصلح ولا تكمل ولا تسعد إلا به وعليه ، والثانية أنها لما كان المشركون يمتنعون من سماع القرآن مخافة تأثيره على المستمع له جاء تعالى بمثل هذه الفواتح للعديد من سور كتابه فكانت تضطروهم إلى الاستماع إليه لأن هذه الحروف لم تكن معهودة في مخاطباتهم .
وقوله تعالى : ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ : (١) أي غلبت فارس الروم في ﴿أدنى الأرض﴾ أي أرض الشام الأقرب إلى بلاد فارس وذلك في أرض الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات

(١) هذا الخبر المقصود منه لازم الفائدة ، إذ الله يعلم ذلك ، وإنما المراد نحن نعلم ذلك فلا يهتكم أيها المشركون ذلك ولا تتناولوا به على رسولنا وأوليائنا فإننا نعلم أنهم سيغلبون من غلبهم في بضع سنين لا يُعد الغلب في مثله غلباً .
(٢) اختلف في أدنى الأرض هل هذا الإدناء إلى أرض الروم أو إلى أرض الفرس كما في التفسير أو أدنى الأرض إلى أرض الروم أو إلى أرض العرب ، وهذا الخلاف سببه الخلاف في تحديد موقع المعركة فإن كانت بالجزيرة فأدنى الأرض هو بالنسبة إلى أرض فارس وإن كانت الواقعة بالأردن فهي أقرب إلى أرض الروم وإن كانت الواقعة بأدراعات جنوب الشام فهي أقرب إلى ديار العرب الحجاز وما حوله والراجع الأول كما في التفسير .

وقوله : ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ أي وهم من بعد غلب فارس الروم ستغلب الروم فارساً وقوله : ﴿في بضع سنين﴾ : أي في فترة زمنية ما بين الثلاث سنوات إلى تسع سنوات وقوله ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾^(١) أي الأمر في ذلك لله تعالى من قبل الغلب ومن بعده إذ هو المتصرف في خلقه . وقوله ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ أي ويوم يَغلب الروم فارساً يفرح المؤمنون بانتصار الروم على فارس لأن الروم أهل كتاب وفارساً مشركون يعبدون النار ، كما يفرح المؤمنون أيضاً بانتصارهم على المشركين في بدر إذ كان الوقت الذي انتصرت فيه الروم هو وقت انتصر فيه المؤمنون على المشركين في بدر . وهذا من الغيب الذي أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فأكد بذلك أن الإسلام وكتابه ورسوله حق . وقوله تعالى : ﴿ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ أي ينصر تعالى من يشاء نصره من عباده وقد شاء نصر المؤمنين والروم فنصرهم في وقت واحد منجزاً بذلك وعده الذي واعد به منذ بضع سنين^(٢) ، وهو العزيز أي الغالب على أمره القادر على إنجاز وعده الرحيم بأوليائه وصالحى عباده . وقوله ولكن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ كتدبير الله وقدرته وعزته وفوائده شرعه وأسرار دينه ، ولكن يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا كتدبير معاشهم من زراعة وصناعة وتجارة ، وفي نفس الوقت هم عن الحياة الآخرة غافلون عما يجب عليهم فعله وتركه ليسعدوا فيها بالنجاة من النار وسكان الجنان في جوار الرحمن سبحانه وتعالى .

(١) قبل ، وبعد : مبينان على الضم لحذف المضاف إليه وثية معناه أي : من قبل الغلب وبعده .
 (٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب ، وذكر أن أبا بكر راهن قريباً في كلام طويل ، وقال الترمذي فيه حديث حسن صحيح غريب نقله القرطبي .
 (٣) وقيل كان النصر يوم صلح الحديبية لأن صلح الحديبية كان في واقع الأمر نصراً للمؤمنين ، وما في التفسير أصح لحديث الترمذي وقد حسنه وصححه وقال فيه غريب .
 (٤) قال الحسن بلغ - والله - من علم أحدهم بالدنيا أنه يتقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي وفي هذا قال بعضهم شعراً :

ومن البلية أن ترى لك صاحباً في صورة الرجل السميع المبصر
 فطن بكسل مصيبة في ماله وإذا يصاب بدينه لم يشعر

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير صحة الاسلام وأنه الدين الحق بِصِدْقٍ ما يخبر به كتابه من الغيوب .
- (٢) بيان أن أهل الكتاب من يهود ونصارى أقرب إلى المسلمين من المشركين والملاحدة من بلاشفة شيوعيين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر .
- (٣) بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ما يسعدهم في الآخرة ويكملهم من العقائد الصحيحة والشرائع الحكيمة الرحيمة التي لا يكمل الإنسان ولا يسعد إلا عليها ، ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا كتدبير المعاش من زراعة وصناعة وتجارة ، اما عن سر الحياة الدنيا ولماذا كانت فهم لا يعلمون شيئاً كما هم عن الحياة الآخرة غافلون بالمرّة فلا يبحثون عما يسعد فيها ولا عما يشقى . والعياذ بالله تعالى من الغفلة عن دار البقاء في السعادة أو الشقاء .

أولم ينفكروا في أنفسهم^ط ما خلق الله السموات والأرض
وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى^ط وإن كثيرا من الناس
يلقاي ربهم لَكفرون ﴿٨﴾ أولم يسيروا في الأرض فينظروا
كيف كان عقبه الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة
وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم
رسلهم بالبينات^ط فما كانوا الله ليظلمهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون ﴿٩﴾ ثم كان عقبه الذين استنوا السوأت
أن كذبوا بعائنت الله وكانوا بها يستهزئون ﴿١٠﴾

شرح الكلمات
في أنفسهم

: أي كيف خُلِقوا ولم يكونوا شيئاً ، ثم كيف أصبحوا رجالاً .

إلا بالحق : أي لم يخلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق الذي هو العدل .

وأجل مسمى : وهو نهاية هذه الحياة لتكون الحياة الثانية حياة الجزاء العادل .

بلقاء ربهم لكافرون : أي بالبعث والوقوف بين يدي الله ليسألهم ويحاسبهم ويجزيهم .

وأثأروا الأرض وعمروها : قلبوها للحرث والفرس والإنشاء والتعمير .
: أي عمروا الأرض عمارة أكثر مما عمرها هؤلاء المشركون .

وجاءت رسلهم بالبينات ولكن كانوا أنفسهم يظلمون : أي بتكذيبهم وشركهم ومعاصيهم فعرضوا أنفسهم للهلاك .

أساءوا السوائى : أي بالتكذيب والشرك والمعاصى والسوءى هي الحالة الأسوأ .

أن كذبوا بآيات الله : أي بتكذيبهم بآيات الله القرآنية واستهزائهم بها .
معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المنكرين للبعث الآخر إلى الإيمان به من طريق ذكر الأدلة العقلية التي تحملها الآيات القرآنية فقله تعالى ﴿ أو لم يتفكروا في أنفسهم ﴾ أي أينكرون البعث ولم يتفكروا في أنفسهم كيف كانوا عدماً ثم وجدوا أطفالاً ثم شباباً ثم رجالاً كهولاً وشيوخاً ثم يموتون أليس القادر على خلقهم وتربيتهم ثم إمامتهم قادر على بعثهم وحسابهم ومجازاتهم على كسبهم في هذه الحياة الدنيا وقوله تعالى ﴿ ما خلق الله

(١) (في أنفسهم) ظرف للتفكر، وليس مفعولاً لفعل يتفكروا لأنهم لم يؤمروا أن يتفكروا في خلق أنفسهم بل في خلق السموات والأرض وما بينهما.

السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق^(١) وأجل مسمى ﴿ أي لم يخلقهما عبثاً بل خلقهما ليذكر ويشكر، ثم إذا تم الأجل المحدد لهما افناهما ثم بعث عباده ليحاسبهم هل ذكروا وشكروا أو تركوا ونسوا و كفروا ثم يجزيهم بحسب إيمانهم وطاعتهم أو كفرهم وعصيانهم .

وقوله تعالى ﴿ وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾ يخبر تعالى أنه مع ظهور الأدلة وقوة الحجج على صحة عقيدة البعث والجزاء فإن كثيراً من الناس كافرون بالبعث والجزاء وقوله تعالى في الآية (٩) ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ أي أيكذب أولئك المشركون بالبعث والجزاء ولم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوباً فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هلاكاً ودماراً ، ﴿ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض ﴾ بالإنشاء والتعمير والزراعة والفلاحة ﴿ وعمروها ﴾ عمارة أكثر مما عمّرها هؤلاء ، ﴿ وجاءتهم رسلهم بالبينات ﴾ ، ولما أهلكهم لم يكن ظالماً لهم بل كانوا هم الظالمين لأنفسهم . أليس في هذا دليلاً على حكمة الله وعلمه وقدرته فكيف ينكر عليه بعثه لعباده يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم؟

وقوله تعالى ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا ﴾ أي الأعمال فلم يصلحوها حيث كذبوا برسول الله وشرائعه . وقوله : ﴿ السوأى ﴾ أي عاقبة الذين أساءوا والسوأى أي العاقبة السوأى وهو خسرانهم وهلاكهم ، وقوله ﴿ أن كذبوا بآيات الله ﴾ أي من أجل أنهم كذبوا بآيات الله ﴿ وكانوا بها يستهزئون ﴾ وأصروا على ذلك ولم يتوبوا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية المثبتة لها .

٢) كفر أكثر الناس^(٥) بالبعث مع كثرة الأدلة وقوتها .

(١) جائز أن يكون (إلا بالحق) معناه : إلا للحق أو لإقامة الحق أو بالحكمة وما في التفسير أولى وكل ما ذكر يشمله ويدل عليه . والأجل المسمى : المراد به أن كل المخلوقات حدد لها أجل فئاتها ، وهذا التقرير للقاء مستلزم للحياة الآخرة .
(٢) فينظروا بأبصارهم وبصائرهم فلما كذبوا أهلكهم الله وما كان ظالماً لهم بل هم الظالمون لأنفسهم بالشرك والمعاصي .
(٣) أي : بالمعجزات والأحكام الشرعية .

(٤) السوءى : تأنيث الأسوأ ، كالحسنى تأنيث الأحسن ، والأسوأ . الأقبح من الأفعال والأقوال والمعتقدات ، وجائز أن يكون المراد بالسوءى هنا جهنم كما أن المراد بالحسنى الجنة في قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى) أي الجنة .

(٥) العلة أنهم لا يفكرون أي : لا يعملون خواطرهم في النظر والتأمل هذا هو سرّ عدم إيمانهم إذ لو نسب المفكرون إلى غيرهم لما كانت النسبة واحداً إلى مليون :

ولم أر كرجال تفاوتاً لدى الفكر حتى عد ألف بواحد

٣) مشروعية السير في الأرض للاعتبار مع اشتراط عدم حصول إثم في ذلك بترك واجب أو بفعل محرم .

٤) بيان جزاء الله العادل في أن عاقبة الإساءة السوأى^(١).

٥) كفر الاستهزاء بالشرع وأحكامه والقرآن وآياته .

اللَّهُ

بَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ
شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ
تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُونَ الْبُذُرَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ
فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

ثم إليه ترجعون : أي بعد إعادة الخلق وبعث الناس .

يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ : أي يياسوا من النجاة وتنقطع حجتهم فلا يتكلمون .

وكانوا بشركائهم كافرين : أي يتبرءون منهم ولا يعترفون بهم

يتفرقون : أي ينقسمون إلى سعداء أصحاب الجنة وأشقياء أصحاب النار .

في روضة يحبرون : أي في روضة من رياض الجنة يُسَرُّون ويفرحون .

في العذاب محضرون : أي مُدْخَلُونَ فِيهِ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ .

(١) أي : عاقبة الشرك والمعاصي وهما السوء والإساءة عاقبتهما السوءى أي : أشد العقوبات وانكاهها في الدنيا وفي الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض صور حية صادقة لما يتم بعد البعث من جزاء، فقوله تعالى ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده، ثم إليه ترجعون﴾ إعلان واضح صريح قاطع للشك مزيلٌ للبس بأن الله ربُّ السموات والأرض وما بينهما هو الذي بدأ الخلق فخلق ما شاء ثم يميتُه ثم يعيده، وإليه لا إلى غيره ترجع الخليقة كلها راضية أو ساخطة محبةً أو كارهة، هكذا قرر تعالى عقيدة البعث والجزاء مُدللًا عليها بأقوى دليل وهو وجوده تعالى وقدرته التي لا تُحد وعلمه الذي أحاط بكل شيء وحكمته التي لا يخلو منها عمل، فقال ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون﴾.

وقوله عز وجل في الآية الثانية عشر (١٢) ﴿ويوم تقوم الساعة يُبلسُ المجرمون﴾ هذا عرض لما بعد البعث فذكر أنه لما تقوم الساعة ويُبعث الناس يُبلس المجرمون أي يياسون من الرحمة وينقطعون عن الكلام لعدم وجود حجة يحتجون بها. وقوله ﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء﴾ أي ولم يكن لهم من يشفع لهم من شركائهم الذين عبدوهم بحجة أنهم يشفعون لهم عند الله، فأيسوا من شفاعتهم وكفروا بهم أيضاً أي أنكروا أنهم كانوا يعبدونهم خوفاً من زيادة العذاب. هذه حال المجرمين الذين أجزموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي، الحامل عليها تكذيبهم بآيات الله ولقائه. وقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ هذا عرض آخر يخبر تعالى أنه إذا قامت الساعة تفرق الناس على أنفسهم فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير، وبين ذلك مقرّونا بعلله فقال: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي صدّقوا بالله رباً وإلهاً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً لا دين يقبل غيره وبالبعث والجزاء حقاً. ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي عبدوا الله تعالى بما شرع لهم من العبادات إذ الصالحات هي المشروع من الطاعات القولية والفعلية فهؤلاء المؤمنون

(١) يقال: أبلس بيلس إبلاساً: إذا سكت متحيراً وانقطعت حجته وأيس أن تكون له حجة، قال الشاعر:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه وأبلسا

والمكرس: الذي بعرت فيه الإبل وبولت فركب بعضه بعضاً

(٢) قيل في: (فأما) أن معناها: دع ما كنا فيه ونخذ في غيره، وقيل معناها: مهما كنا في شيء فخذ في غير ما كنا فيه، والمعنى متقارب، والحقيقة أنها أداة شرط وتفصيل، تفصيل لما أجمل في الكلام السابق عليها وشرط ولذا قرن جوابها بالفاء.

العاملون للصالحات ﴿فهم في روضة﴾^(١) من رياض الجنة ﴿يجبرون﴾ أي يُسْرُونَ ويفرحون بما لا قُوَّةَ من الرضوان والنعيم المقيم، وذلك بفضل الله تعالى عليهم وبما هداهم إليه من الإيمان، وما وفقهم إليه من عمل الصالحات. وقوله: ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون﴾ فقد أخبر عن جزائهم مقروناً بعلّة ذلك الجزاء وهو الكفر بتوحيد الله تعالى، والتكذيب بالآيات القرآنية وما تحمله من حجج وشرائع وأحكام، وبلقاء الآخرة وهو لقاء الله تعالى بعد البعث للحساب والجزاء، فجزاؤهم أن يحضروا في العذاب دائماً وأبداً لا يغيّبون عنه، ولا يفتر عنهم، وهم فيه خالدون

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة وعرض مشاهد القيامة.
- (٢) تقرير عقيدة أن لا شفاعة لمشرك ولا كافر يوم القيامة، وبطلان ما يعتقد المبتطلون من وجود من يشفع لأهل الشرك والكفر.
- (٣) تقرير مبدأ السعادة والشقاء يوم القيامة فأهل الإيمان والتقوى في روضة يجبرون، وأهل الشرك والمعاصي في العذاب محضرون.

فَسَبَّحْنَاهُ لَمَّا تَلَوْتُمُور

وَحِينَ تَصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ

الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ

﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ

(١) الروضة : كل أرض ذات أشجار وماء وأزهار قال الأعشى :

وما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل

(٢) (يجبرون) : ينعمون ويكرمون ويسرون بالحبور والسرور وأثر النعيم يقال: فلان حسن السبر والحبير، وفي الحديث :

(يخرج رجل من النار ذهب حبره وسيره).

تَنْتَشِرُونَ ﴿١٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
 أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

فسبحان الله	: أي سبحوا الله أي صلوا .
حين تمسون	: أي تدخلون في المساء وفي هذا الوقت صلاة المغرب وصلاة العشاء .
وحين تصبحون	: وتدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح .
وله الحمد في السموات والأرض	: أي وهو المحمود دون سواه في السموات والأرض .
وعشيا	: أي حين تدخلون في العشي وفيه صلاة العصر .
وحين تظهرون	: أي تدخلون في الظهر وفيه صلاة الظهر .
يخرج الحي من الميت	: أي يخرج الإنسان الحي من النطفة وهي ميتة .
ويخرج الميت من الحي	: أي يخرج النطفة من الإنسان الحي والبيضة الميتة من الدجاجة الحية .
ويحي الأرض بعد موتها	: أي يحييها بالمطر فتحيا بالنبات بعدما كانت يابسة ميتة .
وكذلك تخرجون	: أي من قبوركم أحياء بعدما كنتم ميتين .
ومن آياته	: أي ومن أدلة قدرته وعلمه وحكمته المقتضية لبعثكم بعد موتكم .
أن خلقكم من تراب	: أي خلقه إياكم من تراب ، وذلك بخلق آدم الأب الأول .
تنتشرون	: أي في الأرض بشراً تعمرونها .
لتسكنوا إليها	: أي لتسكن نفوسكم إلى بعضكم بعضاً بحكم التجانس في البشرية .
وجعل بينكم مودة	: أي محبة ورحمة أي شفقة إذ كل من الزوجين يحب الآخر ويرحمه .

معنى الآيات :

قوله سبحانه وتعالى في هذه السياق: ﴿فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ.....﴾ الآية^(١) لما بين تعالى بدء الخلق ونهايته باستقرار أهل الجنة وأهل النار في النار وهذا عمل يستوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بجلاله وكماله كما يستلزم حمده، ولما كانت الصلوات الخمس تشتمل على ذلك أمر بإقامتها في المساء والصباح والظهرية والعشي فقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ﴾ أي سبحوا الله ﴿حين تمسون﴾ أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح. وقوله تعالى ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ يخبر تعالى أن له الحمد مستحقاً له دون سائر خلقه في السموات والأرض. وقوله ﴿وعشياً﴾ معطوف على قوله ﴿حين تصبحون﴾ أي وسبحوه في العشي. وهي صلاة العصر ﴿وحين تظهرون﴾ أي وسبحوه حين تدخلون في الظهرية وهي صلاة الظهر.

وقوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ أي ومن مظاهر الجلال والكمال الموجبة لحمده وطاعته والمقتضية لقدرته على بعث عباده ومحاسبتهم ومجازاتهم أنه يخرج الحيّ كالإنسان من النطفة والطيور من البيضة والمؤمن من الكافر ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ كالنطفة من الإنسان والبيضة من الدجاجة وسائر الطيور التي تبيض. وقوله ﴿ويحيي الأرض بعد موتها﴾ أي ومن مظاهر وجوده وقدرته وعلمه ورحمته أيضاً أنه يحيي الأرض أي بالمطر بعد موتها بالجذب والقحط فإذا هي رابية تهتز بأنواع النباتات والزرور وقوله: ﴿وكذلك تخرجون﴾ أي وكإخراج الحي من الميت والميت من الحي وكإحيائه الأرض^(٥)

(١) في هذه الآية الكريمة: (فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ) يأمر تعالى عباده المؤمنين بعبادته في الأوقات المذكورة في الآية، وأعظم العبادات الصلاة لأنها مشتملة على ذكره وشكره.

(٢) هذه الفاء للتفريع إذ هذا الأمر متفرع عما قبله إذ بين تعالى أن الإيمان والعمل الصالح منج لصاحبه فبناء على ذلك فأتيموا الصلاة.

(٣) العشي والعشية من صلاة العصر إلى غروب الشمس حسب دلالة الآية لتدخل صلاة العصر والإساء: تدخل فيه صلاة المغرب والعشاء والصبح في الإصباح والظهر في الظهرية.

(٤) كون النطفة تحمل حيوانات منوية لا يتنافى مع إطلاق الموت عليها إذ المراد من الموت الذي يوصف به الشيء كما وصفت الأرض بالموت إذا يبست ولم يكن بها نبات، وحية البر والشعير بالموت إذ الحياة تحدث للأرض بعد نزول المطر عليها والحية بعد تفاعلها مع التربة الثرية وكذا النطفة تحمل مادة الحياة كالأرض والحية ولا تظهر فيها إلا بعد تفاعلها الخاص في الرحم.

(٥) في هذه الآية دليل على مشروعية القياس وصحته، وجه القياس في الآية هو قياس المعاد على الخلق الأول والإيجاد.

بعد موتها: يُحييكم ويخرجكم من قبوركم للحساب والجزاء إذ القادر على الأول قادر على الثاني. ولا فرق.

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أي ومن آياته الدالة على وجوده وعلمه وقدرته المستوجبة لعبادته وحده والمقررة لقدرته على البعث والجزاء خَلَقَهُ للبشرية من تراب^(١) إذ خلق أباهما الأول آدم عليه السلام من تراب، وخلق حواء زوجه من ضلعه ثم خلق باقي البشرية بطريقة التناسل. فإذا هي كما قال سبحانه وتعالى: بشر ينتشرون^(٢) في الأرض متفرقين في أقطارها يعمرونها بإذنه تعالى. وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ أي ومن آياته أي حججه وأدلتها الدالة على وجوده وعلمه ورحمته المستوجبة لعبادته وتوحيده فيها والدالة أيضاً على قدرته على البعث والجزاء خلقه لكم أيها الناس من أنفسكم أي من جنسكم الأدمي أزواجا أي زوجات لتسكنوا إليها بعامل التجانس، إذ كل جنس من المخلوقات يطمئن إلى جنسه ويسكن إليه، وقوله ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ أي جعل بين الزوجين مودة أي محبة ورحمة أي شفقة إلا إذا ظلم أحدهما الآخر فإن تلك المودة وتلك الرحمة قد ترتفع حتى يرتفع الظلم ويسود العدل والحق. وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي دلائل وحجج واضحة ﴿لقوم يتفكرون﴾ باستعمال عقولهم في النظر والفكر فإنهم يجدون تلك الأدلة على قدرة الله وعلمه ورحمته وكلها مقتضية لتوحيد الله ومحبته وطاعته بفعل محابه وترك مساخطه، مع تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المجرمون المكذبون.

(١) ووجه آخر للمخلوق من تراب وهو أن النطف التي هي أصل خلق الإنسان بعد الأبوين آدم وحواء قد تكونت من الغذاء، وأن الغذاء قد تكون من نبات الأرض، وأن نبات الأرض مشتمل على الأجزاء الترابية التي أنبتته فهذا كان تكوين الإنسان من تراب فكان آية وأمر آخر هو أن التراب بارد يابس، وهو طبع الموت وطبع الحياة الحرارة والرطوبة، فمن ذلك البارد اليابس ينشأ المخلوق الحي الرطب فسبحان الخلاق العليم.

(٢) الانتشار الظهور والتفرق هنا وهناك في البلاد والأقطار تعملون سامعين مبصرين منكم الصالح ومنكم خلافة وهو الفاسد. (٣) ضمن لتسكنوا لتميلوا لذا عُدِّي باللام وفي الآية دليل على عدم تزوج الأدمي بغير الأدمية كالجنية إذ لا يحصل الأنس إلا بالجنس والآية ترمي إلى أن أول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غلبان القوة وذلك أن الختانين إذا التقيا هيجا ماء الصلب فإذا نزل حصل السكون ووقف الهيجان كما هو معروف.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله .
- (٢) وجوب حمد الله على آلائه وإنعامه .
- (٣) وجوب إقام الصلاة .
- (٤) بيان أوقات الصلوات الخمس ^(١)
- (٥) بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه ورحمته المقتضية لتوحيده والمقررة لعقيدة البعث والجزاء .

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنْدِ كُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ

فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ

خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ

بَعْدَ مَوْتِهَا ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ؕ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ

دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

(١) روى عن ابن عباس أنه سئل هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال نعم : وقرأ هذه الآية ومنها أخذ الإمام الشافعي أوقات الصلوات الخمس وأخذها مالك من آية الإسراء (أتم الصلاة لدلوك الشمس) الآية .

شرح الكلمات :

ومن آياته : أي حججه وبراهينه الدالة على قدرته على البعث والجزاء .

واختلاف ألسنتكم : أي لغاتكم من عربية وعجمية والعجمية بينها اختلاف كثير .

وألوانكم : أي من أبيض وأصفر وأحمر وأسود والكل أبناء رجل واحد وامرأة واحدة .

للعالمين : أي للعقلاء على قراءة للعالمين^(١) بفتح اللام، ولأولي العلم على قراءة كسر اللام .

وابتغاؤكم من فضله : أي طلبكم الرزق باحضار أسبابه من زراعة وتجارة وصناعة وعمل .

لقوم يسمعون : أي سماع تدبر وفهم وإدراك لا مجرد سماع الأصوات .
يريكم البرق خوفاً وطمعاً : أي إراءته إياكم البرق خوفاً من الصواعق والظوفان وطمعاً في المطر .

أن تقوم السماء والأرض بأمره : أي قيام السماء والأرض على ما هما عليه منذ نشأتها بقدرته وتدبيره .

دعوة من الأرض : أي دعوة واحدة لا تتكرر وهي نفخة اسرافيل .

إذا أنتم تخرجون : أي من قبوركم أحياء للحساب والجزاء .

معنى الآيات

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بذكر الأدلة والبراهين العقلية فقولته تعالى : ﴿ومن آياته﴾ أي حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء وعلى وجوب توحيده ﴿خلق السموات والأرض﴾ فخلق بمعنى إيجاد السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من أكبر الأدلة وأقواها على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته وكلها موجبة لتوحيده ومثبتة لقدرته على البعث والجزاء، مقررة له، وقوله : ﴿واختلاف ألسنتكم﴾ أي

(١) بالفتح قرأ نافع وبالكسر قرأ حفص ولكل منهما متابع على ما قرأ والمعنى واحد إذ لا يكون العالم عالماً بدون عقل فكل عالم عاقل والعاقل يهديه عقله إلى أن يعلم فيعلم أيضاً .

(٢) قال القرطبي اللسان في الفم وفيه اختلاف اللغات من العربية والعجمية والتركية والرومية واختلاف الألوان في الصورة من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النظفة ولا من فعل الأبوين، فلا بد من فاعل فعلم أن الفاعل هو الله تعالى فهذا من أدل الدليل على الباري سبحانه وتعالى .

لغاتكم من عربية وعجمية ولهجاتكم بحيث لكل ناطق لهجة تخصه يتميز بها إذا سمع صوته عرف بها من بين بلايين البشر، ﴿وألوانكم﴾ واختلاف ألوانكم أيها البشر من أبيض إلى أسود ومن أحمر إلى أصفر مع اختلاف الملامح والسمات بحيث لا يوجد اثنان من ملايين البشر لا يختلف بعضهما عن بعض حتى لا يتميز أحدهما عن الآخر إن في هذا وذاك ﴿آيات للعالمين﴾ أي لحججا ظاهرة وبراهين قاطعة بعضها للعالمين وذلك البياض والسواد وبعضها للعلماء كاختلاف اللهجات ولامح الوجوه والسمات المميزة الدقيقة والكل أدلة على قدرة الله وعلمه ووجوب عبادته وتوحيده في ذلك مع تقرير عقيدة البعث والجزاء

وقوله ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواؤكم من فضله﴾ أي ومن آياته الدالة على قدرته على البعث والجزاء منامكم بالليل فالنوم كالموت والانتشار في النهار لطلب الرزق كالبعث بعد الموت فهذه عملية للبعث بعد الموت تتكرر كل يوم وليلة في هذه الحياة الدنيا، وقوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أي في ذلك المذكور من النوم والانتشار لطلب الرزق لدلائل وحجج على قدرة الله على البعث لقوم يسمعون نداء الحق والعقل يدعوهم إلى الإيمان بالبعث والجزاء فيؤمنون فيصبحون يعملون للقاء ربهم ويستجيبيون لكل من يدعوهم إلى ربهم ليعبدوه ويتقربوا إليه.

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٢٤) ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ أي ومن حججه تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي مقتضيات توحيده والإيمان ببقائه إرأته^(٥) أيآكم أيها الناس البرق خوفاً للمسافرين من الأمطار الغزيرة ومن الصواعق

(١) ذكر العالمين والعلماء في التفسير إشارة إلى القراءتين إذ قرأ نافع والجمهور للعالمين بفتح اللام وقرأ حفص بكسر العين للعالمين وهم العلماء.

(٢) المنام مصدر ميمي وهو من الأعراض لا من الذوات و امره عجيب إذ لو قيل لانسان نم ولك مكافاة أعظم مكافاة لا يقدر على أن ينام إلا على سنة النوم وهو الاسترخاء والاضطجاع وإغماض العينين فترة حتى ينام، ولو شاء الله ما نام كما لو شاء ما هب من نومه.

(٣) اختيار لفظ السماع مع آية النوم فيه إشارة إلى أن النائم يفقد السماع حال نومه بدون إرادته ولا اختياره.

(٤) جائز أن يكون الخوف للمسافر والطمع للمقيم.

(٥) التعبير بالمصدر «إرأته» إشارة إلى أن من أهل التفسير من يقول إن «أن» المصدرية محذوفة نحو قول الشاعر:

ألا أيها اللاتمي احضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

إذ التقدير أن احضر فحذف أن، ويصح أن يكون المعنى ومن آياته أنه يريكم فحذف أن واسمها وبقي الخبر وهو جملة يريكم والكل واسع وجائز.

الشديدة أن تصيبهم ، وطمعاً في المطر الذي تحيا به مزارعكم وتنتب به أرضكم فيتوفر لكم أسباب رزقكم، وقوله: ﴿وينزل من السماء ماءً وهو ماء المطر فيحيي به الأرض بعد موتها﴾ أي ومن آياته تنزيله تعالى من السماء ماءً وهو ماء المطر فيحيي به الأرض بالنباتات والزرع بعد أن كانت ميتة لا حياة فيها لا زرع ولا نبت إن في ذلك المذكور من إنزال الماء وإحياء الأرض بعد إراءته عباده البرق خوفاً وطمعاً لآيات دلائل وحجج على قدرته على البعث والجزاء ولكن يرى تلك الدلائل ويعقل ويفهم تلك الحجج قوم يعقلون أي لهم عقول سليمة يستعملونها في النظر والاستدلال فيفهمون ويؤمنون .

وقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ أي ومن آياته تعالى الدالة على قدرته وعلمه وحكمته والموجبة لتوحيده والمقررة لنبوة نبيه ولقائه للحساب والجزاء قيام السماء والأرض منذ خلقهما فلا السماء تسقط، ولا أرض تغور فهما قائمتان منذ خلقهما بأمره تعالى ليس في ذلك أكبر دليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس بعد موتهم أحياء لحسابهم على كسبهم ومجازاتهم .

وقوله تعالى: ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ أي أقام السماء والأرض للحياة الدنيا يحيي فيهما ويميت حتى تنتهي المدة المحددة للحياة فيهلك الكل ويفنيه ﴿ثم إذا دعاكم دعوة﴾ ينفخ اسرافيل في الصور ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ من الأرض استجابة لتلك الدعوة، وذلك للحساب والجزاء العادل على العمل في هذه الحياة الدنيا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لعبادته وحده وترك عبادة من سواه .

(٢) مشروعية طلب الرزق بالمشي في الأرض واستعمال الوسائل المشروعة لذلك .

(٣) تقرير أن الذين يتنفعون بأسماعهم وعقولهم هم أهل حياة الإيمان إذ الإيمان روح متى دخلت جسماً حياً وأصبح صاحبه يسمع ويبصر ويفكر ويعقل .

(٤) تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح البشري بعد عقيدة الإيمان بالله رباً وإلهاً .

(١) إذا الأولى شرطية والثانية فجائية سادة مسد فاء الجواب وصيغة الدعاء كما ذكرها القرطبي : يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كقوله تعالى : ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ .

وَلَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَانِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ
 ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ
 أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي
 مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
 أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
 بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي
 مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

وله من في السموات والأرض: أي خلقا وملكا وتصرفا وعبيدا.

كل له قانتون^(١) : أي كل من في السموات والأرض من الملائكة والإنس والجن منقادون له تجري عليهم أحكامه كما أرادها فلا يتعطل منها حكم.

وهو أهون عليه : أي أيسر وأسهل نظراً إلى أن الاعادة أسهل من البداية .
 وله المثل الأعلى : أي الوصف الأعلى في كل كمال فصفاته كلها عليا ومنها الوجدانية .

وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في قضاائه وتصرفه .
 ضرب لكم مثلاً : أي جعل لكم مثلاً .
 من أنفسكم : أي منتزعا من أموالكم وما تعرفونه من أنفسكم .

(١) القنوت الطاعة وهي الانقياد والخلايق كلها متقادة مطيعة لما أراد الله منها فلا يتخلف قضاؤه تعالى وحكمه فيها بحال من الأحوال.

كخيفتكم
 نفضل الآيات : أي نخوفكم من بعضكم بعضاً أيها الأحرار.
 أي نبينها بتنوع الأسلوب وإيراد الحجج وضرب
 الأمثال.
 بل اتبع الذين ظلموا : أي ليس الأمر قصوراً في البيان حتى لم يؤمن المشركون
 أهواءهم وإنما العلة اتباع المشركين لأهوائهم وتجاهل عقولهم.
 فمن يهدي من أضل الله؟ : أي لا أحد فالاستفهام للنفي.

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره المشركون بذكر الأدلة العقلية وتصريف الآيات فقال تعالى ﴿وله﴾ أي الله المحي المميت الوارث الباعث سبحانه وتعالى ﴿من في السموات والأرض﴾ أي من ملائكة وجان وإنسان فهو خلقهم وهو يملكهم ويتصرف فيهم. وقوله: ﴿كل له قانتون﴾ أي مطيعون منقادون فالملائكة لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والجن والإنس منقادون لما أَرَادَهُ منهم من حياة وموت ونشور وأما عصيانهم في العبادات فهو غير مقصود لأنه التكليف الذي هو علة الحياة كلها ومع هذا فهم منقادون باختيارهم وإراداتهم الحرة ما كتبه عليهم أزلاً والله أكبر والله الحمد وقوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ أي هو الله الذي يبدأ خلق ما أراد خلقه في كل يوم وساعة من غير شيء ويهبه الحياة ثم يسلبها منه في آجال سماها ثم يعيده يوم القيامة أحب الناس أم كرهوا. وقوله ﴿وهو أهون عليه﴾ أي الإعادة أيسر وأسهل عليه فليس على الله شيء صعب ولا شاق ولا عزيز ممتنع، وإنما خرج الخطاب على أسلوب المتعجبين من إعادة الخلق بعد فنائه فأعلمهم أن المتعارف عليه عندهم أن الإعادة أسهل من البداء ليفهموا ويقنعوا، وإلا فلا شيء صعب على الله تعالى ولا شاق ولا عسير، إذ هو يقول للشيء متى أَرَادَهُ كن فيكون. وقوله تعالى ﴿وله المثل الأعلى﴾ في

- (١) ذكر القرطبي لتفسير كلمة (قانتون) تفاسير عدة عن السلف منها مطيعون طاعة انقياد، مقرون بالعبودية إما قالة وإما دلالة مصلون قائمون يوم القيامة مخلصون.
 (٢) قال القرطبي: أما بدء خلقه فيلوقه في الرحم قبل ولادته وأما إعادته فاحياؤه بعد الموت في النسخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتداء خلقه دليلاً على ما يخفى من إعادته استدلالاً بالشاهد على الغائب.
 (٣) أهون بمعنى هين، لقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيراً، والعرب تطلق أفعل على فاعل قال الشاعر:
 إن الذي شمل السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول
 (٤) أي ثبت له واستحق الشأن الأتم الذي لا يقاس بشؤون الناس المتعارفة وإنما بقصد التقريب لأفهامكم والأعلى الأعظم البالغ نهاية العظمة والقوة.

السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿ وله أي الله سبحانه وتعالى الوصف الأكمل في السموات والأرض وهو الألوهية والوحدانية فهو الرب الذي لا إله إلا هو المعبود في السماء والأرض لا إله إلا هو فيهما ولا ربَّ غيره لهما وهو العزيز الغالب المنتقم ممن كفر به وعصاه الحكيم في تدبيره وتصريفه لشؤون خلقه . وقوله تعالى ﴿ ضرب لكم مثلاً من أنفسكم ﴾ أي جعل لكم مثلاً مأخوذاً منتزعا من أنفسكم وهو: ﴿ هل لكم ^(١) من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء ﴾ أي انه ليس لكم من ممالئكم وعبيدكم شريك منهم يشارككم في أموالكم إذ لا ترضون بذلك ولا تقرونه ابداً، إذا فكذلك الله تعالى لا يرضى أن يكون من عبيده من هو شريك له في عبادته التي خلق كل شيء من أجلها . . وقوله ﴿ تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ﴾ أي تخافون عبيدكم كما تخافون بعضكم بعضاً أيها الأحرار، أي لا يكون هذا منكم ولا ترضون به إذا فالله - وله المثل الأعلى - كذلك لا يرضى أبداً أن يكون مخلوق من مخلوقاته ملكاً كان أو نبياً أو وثناً أو صنماً شريكاً له في عبادته . ، وقوله: ﴿ كذلك نفصل الآيات ﴾ أي نبينها بتنوع الأساليب وضرب الأمثال ﴿ لقوم يعقلون ﴾ إذ هم الذين يفهمون معاني الكلام وما يراد من أخباره وقصصه وأمثاله وأوامره ونواهيهِ . ، وقوله تعالى ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ﴾ أي ليس الأمر قصوراً في الأدلة ولا عدم وضوح في الحجج وإنما الظالمون اتبعوا أهواءهم أي ما يهوونه ويشتهونه بغير علم من نفعه وجدواه لهم فضلوا لذلك . فمن يهديهم، وقد أضلهم الله حسب سنته في الإضلال . وهو معنى قوله تعالى: ﴿ فمن يهدي من أضل الله ﴾؟ أي لا أحد وقوله ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ أي يهدونهم بعد أن أضلهم الله، والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) تقرير عقيدة البعث والتوحيد بذكر الأدلة وضرب الأمثال وتفصيل الآيات .

(١) ضرب المثل إيقاعه ووضعه، واللام في لكم للتعليل أي لاجلكم .

(٢) من في قوله مثلاً من أنفسكم للابتداء وفي قوله من أنفسكم للتبويض وفي قوله من شركاء زائدة . قال قتادة هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين والمعنى هل يرضى أحدكم أن يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فإن لم ترضوا بهذا لأنفسكم فكيف جعلتم لله شركاء .

(٣) المراد به القرطبي إذ قال عند تفسير هذه الآية : وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لاتصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك .

٢) تَفَرَّدُ الرَّبُّ تَعَالَى بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى فِي كُلِّ جَلالٍ وَكَمالٍ .

٣) اسْتِحسان ضَرْبِ الْأَمْثالِ لِتَقْرِيبِ الْمَعْنَى إِلَى الْأَفْهَامِ .

٤) عَظْمُ فَائِدَةِ هَذَا الْمَثَلِ «ضَرْبَ لَكُمْ مِثْلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ الْآيَةَ» حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: فَهَمْ هَذَا الْمَثَلُ أَفْضَلُ مِنْ حَفْظِ كَذَا مَسْأَلَةَ فَهَيْتَةَ .

٥) عِلَّةُ ضلالِ النَّاسِ اتِّبَاعُهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَبِانْصِرَافِهِمْ عَنِ الْهُدَى بِالِاسْتِرْسالِ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَى .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ

حَنِيفًا فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُبِينِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا

دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا: أَي سَدِّدْ وَجْهَكَ يَارَسُولُنَا لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ بِحَيْثُ لَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْهِ .

حَنِيفًا : أَي مائِلًا عَنِ سائِرِ الْأَدْيَانِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ بِمَعْنَى مَقْبَلًا عَلَيْهِ .

فِطْرَةَ اللَّهِ : أَي صِنْعَةَ اللَّهِ الَّتِي صَنَعَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانَ وَهِيَ قَابِلِيَّتُهُ لِلْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى .

لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ : أَي لَا تَعْمَلُوا عَلَى تَغْيِيرِ تِلْكَ الْقَابِلِيَّةِ لِلْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ فَالْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ لِفِطْرَةِ اللَّهِ مَعْنَى .

الدِّينِ الْقَيِّمِ : أَي الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي لَا يَضِلُّ الْأَخْذُ بِهِ .

مُبِينِينَ إِلَيْهِ : أَي راجِعِينَ إِلَيْهِ تَعَالَى بِفِعْلِ مُحَابَاهِ وَتَرْكِ مَكَارِهِهِ .

(١) لَمَّا أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ بِاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَتَقْلِيدِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ .

وكانوا شيعا : أي طوائف وأحزاباً كل فرقة فرحة بما هي عليه من حق وباطل .

معنى الآيات

لما قرر تعالى عقيدة التوحيد والبعث والجزاء بالأدلة وضمن ذلك عقيدة النبوة وإثباتها للنبي صلى الله عليه وسلم أمر رسوله والمؤمنون تبع له فقال ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾^(١) أي أنصبوا وجوهكم أيها الرسول والمؤمنون للدين الحق دين الإسلام القائم على مبدأ التوحيد والعمل الصالح ، فلا تلتفتوا إلى غيره من الأديان المنحرفة الباطلة . وقوله ﴿ فَطَرَهُ ﴾^(٢) الله التي فطر الناس عليها ﴿ أَي أَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ لِلدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي فَطَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ تِلْكَ الْفِطْرَةَ الَّتِي هِيَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ قَابِلًا لِلْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ . وقوله : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ ﴾ أي لا تبدلوا تلك الخلقة ولا تغييروها بل نموها وبرزوها بالتربية حتى ينشأ الطفل على الإيمان والتوحيد . فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى نحو فهل أنتم متتهون فهي بمعنى انتهوا وهي أبلغ من انتهوا فكذا : لا تبديل أبلغ من لا تبدلوا . وقوله : ﴿ ذَلِكَ الدِّينَ الْقِيمَ ﴾^(٣) أي لزوم ما فطر عليه المرء من الإيمان بالله وتوحيده . . وابرار ذلك في الواقع بالإيمان بالله وبما أمر بالإيمان به من أركان الإيمان وعبادة الله تعالى وهي طاعته بفعل ما يأمر به وينهى عنه مخلصاً له ذلك لا يشاركه فيه غيره من سائر مخلوقاته هو الدين القيم الذي يجب أن يكون عليه الإنسان وقوله : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يخبر تعالى بأن ما قرره من الدين القيم كما بيّنه في الآيات أكثر الناس لا يعلمونه ولا يعرفونه وهو كما أخبر سبحانه

(١) فأقم وجهك : هذه الفاء هي الفاء الفصيحة إذ هي مفصحة عن جواب سؤال مقدر تقديره هنا إذا علمت أحوال المعرضين عن الحق بعد ظهور دلائله فأقم وجهك والمراد من الأمر دوام إقامة الوجه والاستمرار عليه .

(٢) حنيفاً منصوب على الحال أي حال كونك متديلاً مائلاً عن جميع الأديان المنحرفة الباطلة إلى دين الله الحق الذي لم يبدل ولم يُغيّر وهو الإسلام .

(٣) فطرة : جائز أن يكون منصوباً على المفعولية المطلقة أي فطر الله تعالى الإنسان على ذلك فطرة ، وجائز أن يكون منصوباً على أنه مفعول به أي واتبع فطرة الله والتقدير : فأقم وجهك للدين حنيفاً واتبع فطرة الله .

(٤) قيم كهيمن ولين مفيد قوة الاتصاف بمصدره أي الدين البالغ قوة القيام أي الاستقامة والبعد عن الاعوجاج . يقال عود مستقيم وقيم من تشبيه المعقول بالمحسوس .

(٥) في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول الرسول ﷺ مقررًا حقيقة أن الإسلام هو دين الفطرة : يقول ما من مولود يولد إلا على الفطرة فإبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . . الجمعاء أي جامعة لأعضائها لا تنقص فيها والجدعاء التي يجدها أي يقطع منها عضو كالذليل أو الأذن .

وتعالى . وقوله ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي أقيموا وجوهكم للدين القيم حال كونكم راجعين إليه تعالى تائبين إليه من كل دين غير هذا الدين ، ومن كل طاعة غير طاعته تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي . وقوله : ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي خافوه تعالى إذ عذابه شديد فلا تتركوا دينه لأي دين ولا طاعته لأي مطاع غير الله تعالى ورسوله وقوله : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي حافظوا عليها في أوقاتها وأدوها كما شرعها كمّية وكيفية فإنها سقيا الإيمان ومُنمية الخشية والمحبة لله تعالى . وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا﴾ ينهى تعالى المؤمنين أهل الدين القيم الذي هو الإسلام أن يكونوا من المشركين في شيء من ضروب الشرك عقيدة أو قولاً أو عملاً . فكل ملة غير ملة الإسلام أهلها مشركون كافرون سواء كانوا مجوساً أو يهوداً أو نصارى أو بوذة أو هندوكاً أو بلاشفة شيوخيين إذ جميعهم فرقوا دينهم الذي يجب أن يكونوا عليه وهو دين الفطرة وهو الإسلام وكانوا شيعاً أي فرقاً وأحزاباً كل فرقة تنتصر لما هي عليه وتتنحزب له . فأصبح كل حزب منهم بما لديهم من دين فرحين به ظناً منهم أنه الدين الحق وهو الباطل قطعاً ، لأنه ليس دين الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان وهو الإسلام القائم على توحيد الله تعالى وعبادته بما شرع لعباده أن يعبدوه به لِيَكْمُلُوا على ذلك ويسعدوا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١) وجوب الإقبال على الله تعالى بعبادته والاخلاص له فيها .
- ٢) الإسلام دين الله الذي خلق الإنسان متأهلاً له ولا يقبل منه دين غيره .
- ٣) وجوب الإنابة إلى الله تعالى والرجوع إليه في كل حال .
- ٤) وجوب تقوى الله عز وجل وإقام الصلاة .
- ٥) البراءة من الشرك والمشركين .
- ٦) حرمة الافتراق في الدين الإسلامي ووجوب الاتحاد فيه عقيدة وعبادة وقضاء .

(١) شاهد الانابة بمعنى التوبة في قول الشاعر :

فإن تابوا فإن بني سليم وقومهم هوازن قد انابوا

ومنيبي حال من أقم وجهك وجمع لأن الأمة مخاطبة معه ﷺ .

(٢) قرأ الجمهور فرقوا وقرأ حمزة والكسائي فارقوا ، والشيع جمع شيعة وهي الجماعة التي تتشعب أي توافق رأياً وتجمع عليه والحزب الجماعة الذين رأيتهم ونزعتم واحدة .

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ
 مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
 آٰنٰذَنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
 سُلْطٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا آذَقْنَا
 النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
 إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات

- وإذا مس الناس ضر : أي إذا مس المشركين ضر أي شدة من مرض أو فقر أو قحط .
- منيبين إليه : أي راجعين بالضراعة والدعاء إليه تعالى دون غيره .
- رحمة : يكشف ضر أو إنزال غيث وإصابة رخاء وسعة رزق .
- يشركون : أي بربهم فيعبدون معه غيره بالذبح للآلهة والنذر وغيره .
- ليكفروا بما آتيناهم : أي ليكون شكرهم لله كفرا بنعمه والعياذ بالله .
- أم أنزلنا عليهم سلطانا : أي حجة من كتاب وغيره ينطق بشركهم ويقرره لهم ويأمرهم به .
- بما قدمت أيديهم : أي بذنوبهم وخروجهم عن سنن الله تعالى في نظام الحياة .
- إذا هم يقنطون : أي يياسون من الفرج بزوال الشدة .
- يبسط الرزق لمن يشاء : أي يوسعه امتحانا له .
- ويقدر : أي يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء .

معنى الآيات :

لما أمر تعالى رسوله والمؤمنين بإقامة الدين ونهاهم أن يكونوا من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أخبر تعالى عن المشركين أنهم إذا مسهم الضر وهو المرض والشدة كالحط والغلاء ونحوها دعوا ربهم تعالى منيبين إليه أي راجعين إليه بالدعاء والضراعة لا يدعون غيره. وهو قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرًّا دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ وقوله : ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ أصابهم برحمة من عنده وهي الصحة والرخاء والخصب ونحوه ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ أي كثير ﴿بِرَبِّهِمْ يَشْرِكُونَ﴾ فيعبدون الأصنام والأوثان بأنواع العبادات، وقوله ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أي أشركوا بالله بعد إنعامه عليهم ليكفروا بما آتاهم من نعمة كشف الضر عنهم إذا ﴿فَتَمْتَعُوا﴾ أي الكافرون بما خولكم الله من نعمة فسوف تعلمون عاقبة كفركم لنعم الله وشرككم به يوم تردون عليه حفاة عراة لا ولي لكم من دونه تعالى ولا نصير

وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾ أي ما الذي شجعهم على الشرك وجعلهم يصرون عليه حتى إذا تركوه ساعة الشدة عادوا إليه ساعة الرخاء أنزلنا عليهم سلطاناً أي حجة من كتاب ونحوه فهو ينطق بشركهم ويقره لهم ويأمرهم به اللهم لا ، لا ، وإنما هو الجهل والتقليد والعناد وقوله ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ هذه حال أهل الشرك والكفر والجهل من الناس إذا أذاقهم الله رحمة من خصب ورخاء وصحة فرحوا بها فرح البطر والأشر ﴿وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَيِّئَةٌ﴾ من جذب وقحط ومرض وفقر، ﴿بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الذنوب والمعاصي ومنها مخالفة سنن الله في الكون ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ أي ييأسون من الفرج وذلك لكفرهم بالله وجهلهم بأسمائه

(١) الضَّرُّ بضم الضاد سوء الحال في البدن أو العيش أو المال وهذه الجملة الخبرية تحمل السامع على التعجب من حال المشركين كيف يخلصون لله تعالى الدعاء في الشدة ويشركون به في الرخاء يا للعجب !!

(٢) هذه لام التعليل في ظاهرها ولكنها آلت لمعنى العاقبة في واقعها .

(٣) الأمر للتهديد والتوعد على كفران النعم واستبدال شكرها بالكفر بالمنعم عز وجل والشرك به .

(٤) أم أنزلنا : أم للاضراب الانتقالي فهي بمعنى بل ، وحرف الاستفهام مقدر أي أنزلنا عليهم الخ . وهو انكاري أن الله تعالى لم ينزل عليهم حجة تبيح لهم الشرك وتقرره .

(٥) هذه الصفة وإن كان المراد بها المشركون فإنها قد يتصف بها بعض المؤمنين فتجد أحدهم يصاب بالبطر عند حلول النعم ويترك الشكر ويقتط عند حلول النعم والشدة وينسى الدعاء والتضرع إلى الله تعالى فهو كما قال الشاعر :

كحمار السوء إن اعلفته رمح الناس وإن جاع نهق

وصفاته .

وقوله تعالى ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي ألم يروا بأعينهم أن الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء امتحانا له أي شكر أم يكفر، ﴿ويقدر﴾ أي يضيق الرزق على من يشاء ابتلاء أي صبر أم يضجر ويسخط . إذ لو كانت لهم عيون يبصرون بها وقلوب يفقهون بها لما أيسوا من رحمة الله وفرجه ولا ما قنطوا . وقوله تعالى ﴿إن في ذلك﴾ أي المذكور من تدبير الله في خلقه بالإعطاء والمنع ﴿آيات﴾ أي حججا ودلائل تدل المؤمنين على قدرة الله ولطفه ورحمته وحكمته في تدبير ملكه وملكوته فسبحانه من إله عظيم ورب غفور رحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) بيان جهل المشركين وضلال عقولهم بما ذكر تعالى من صفاتهم وأحوالهم .
- (٢) بيان تهديد الله تعالى للمصرين على الشرك والكفر بعذاب يوم القيامة .
- (٣) بيان حال أهل الشرك والكفر والجهل في فرحهم بالنعمة فرح البطر والأشر وبأسهم وقنوطهم عند نزول البلاء بهم والشدة .
- (٤) مظهر حكمة الله وتدبيره في الرزق توسعة وتقديرا وإدراك ذلك خاص بالمؤمنين لأنهم أحياء يبصرون ويفهمون بخلاف الكافرين فهم أموات لا إبصار ولا إدراك لهم .

فَاتِذَا الْقُرْآنُ

حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ
 وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءٌ أَنْتُمْ مِنْ رَبِّا
 لَيْرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءٌ أَنْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ
 تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ

شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- فَات ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ
وَالْمَسْكِينِ
وَابْنِ السَّبِيلِ
ذَلِكَ خَيْرٌ
وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا
لِّرَبْوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ
فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ
هَلْ مِّنْ شُرَكَائِكُمْ
مَن يَفْعَلُ مِّنْ ذَٰلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ :
سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ :
- : أَيِ أَعْطَا ذَا الْقُرْبَاةِ حَقَّهُ مِنَ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ .
: أَيِ الْمَعْدَمِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ أَعْطَاهُ حَقَّهُ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
وَالكِسَاءِ .
: أَيِ اعْطَا ابْنَ السَّبِيلِ أَيِ الْمَسَافِرِ حَقَّهُ فِي الْإِبْوَاءِ
وَالطَّعَامِ .
: أَيِ ذَلِكَ الْإِنْفَاقِ خَيْرٌ مِّنْ عَدَمِهِ لِلَّذِينَ يَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَىٰ إِذْ يَتَّبِعُهُمْ رَبُّهُمْ أَحْسَنَ ثَوَابٍ .
: أَيِ مِّنْ هَدِيَّةٍ أَوْ هِبَةٍ وَسُمِّيَتْ رَبًّا لِأَنَّهُمْ يَقْصِدُونَ بِهَا زِيَادَةَ
أَمْوَالِهِمْ .
: أَيِ لِيَكْثُرَ بِسَبَبِ مَا يَرُدُّهُ عَلَيْكُمْ مِّنْ أَهْدِيْتُمُوهُ الْقَلِيلَ لِيَرِدَ
عَلَيْكُمْ الْكَثِيرَ .
: أَيِ لَا يَبَارِكُهُ اللَّهُ وَلَا يَضَاعِفُ أَجْرَهُ .
: أَيِ الَّذِينَ يُؤْتُونَ أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً يَرِيدُونَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ
فَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ يَضَاعِفُ لَهُمُ الْأَجْرَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً .
: أَيِ مِّنْ أَصْنَامِكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا .
: وَالْجَوَابُ لَا أَحَدٌ ، إِذَا بَطَلَتْ أَلُوهُيْتَهَا وَحَرَمَتْ عِبَادَتَهَا .
: أَيِ تَنَزَّهُ الرَّبُّ عَنِ الشَّرْكِ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .

معنى الآيات

لما بيّن تعالى في الآية السابقة لهذه انه ييسط الرزق لمن يشاء امتحانا ويقدر على من يشاء ابتلاء أمر رسوله وامته التابعة له بإيتاء ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ، إذ منع

الحقوق الواجبة لا يزيد في سعة الرزق ولا في تضييقه، إذ توسعة الرزق وتضييقه مرده إلى تدبير الله تعالى الحكيم العليم هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فَأْتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ أي من البر والصلة ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ وهو من لا يملك قوته ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وهو المسافر ينزل البلد لا يعرف فيها أحداً، وحقهما : إيواءهما وإطعامهما وكسوتهما وقوله تعالى ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي ذلك الإيتاء من الحقوق خير حالا ومآلاً للذين يريدون وجه الله تعالى وما عنده من ثواب. وقوله : ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ﴾ أي الفائزون بالنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، وبدخول الجنة يوم القيامة وقوله تعالى : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبَا لِيُرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي وما أعطيتم من هبات وهدايا تريدون بها أن يُرَدَّ عليكم بأكثر مما أعطيتم فهذا العطاء لا يربو عند الله ولا يضاعف أجره بل ولا يؤجر عليه وقوله : ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ أي صدقات تريدون بها وجه الله ليرضى عنكم ويغفر لكم ويرحمكم ، ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي هؤلاء الذين ينفقون ابتغاء وجه الله ﴿هُمُ الْمَضْعَفُونَ﴾ أي الذين يضاعف لهم الأجر والثواب.

وقوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يخبر تعالى المشركين من عباده موبخاً لهم على شركهم مقرعاً : الله لا غيره هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً ثم رزقكم بما تنموا به أجسادكم وتحفظ به حياتكم من أنواع الأغذية ثم يميتكم عند نهاية آجالكم، ثم يحييكم يوم القيامة للحساب والجزاء على الكسب في هذه الدنيا ثم يقول لهم ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ مَا تَعْبُدُونَ﴾ المذكور من الخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ ؟ والجواب لا وإذاً فلم تعبدونهم من دون الله، فأين يذهب بعقولكم أيها المشركون. ثم نزه تعالى نفسه عن الشرك، وتعالى عن المشركين فقال ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٤)

(١) الخطاب وإن كان موجهاً للنبي ﷺ فأمته تابعة له في هذا كله وابن السبيل إن استضاف مؤمناً وجب عليه ضيافته لقوله ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه في الصحيح.

(٢) استئناف لتقرير عقيدة التوحيد وإبطال التنديد والتوبيخ والتقريع على الشرك الذي هو أعظم أنواع الظلم وصاحبه أخط الناس قدراً وأفسدهم ذوقاً وعقلاً.

(٣) الاستهتام انكاري مشبوه بالنفي لقريئة من المؤكدة لنفي الجنس والاشارة في قوله من ذلكم إلى ما ذلك من الخلق والرزق والامانة والاحياء.

(٤) قرأ الجمهور بالياء وقرأ غيرهم ببناء الخطاب بدون النغات من الغيبة إلى الخطاب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب اعطاء ذوى القربى حقوقهم من البر والصلة .
- (٢) وجوب كفاية الفقراء وابناء السبيل في المجتمع الإسلامي .
- (٣) جواز هدية الثواب^(١) الدنيوي كأن يهدي رجل شيئاً يريد أن يُردّ عليه أكثر منه ولكن لا ثواب فيه في الآخرة، وتسمى هذه الهدية : هدية الثواب وهي للرسول محرمة لقوله تعالى له : ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ .
- (٤) بيان مضاعفة الصدقات التي يراد بها وجه الله تعالى .
- (٥) ابطال الشرك والتنديد بالمشركين وبيان جهلهم وضلال عقولهم .

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ
 كَانُوا أَكْثَرَهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَجَهُمْ لِدِينِ الْقِيَمِ مِنْ
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ
 كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
 لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

(١) الهبة ثلاث أنواع الأول هبة يريد بها صاحبها وجه الله تعالى كأن يهب عبداً صالحاً هبة إكراماً له واسعاداً فهذه جائزة ويشيب عليها الله تعالى والثانية هبة يريد بها صاحبها رد أكثر منها كأن يهدي فقير لغني أو مأمور لأمير فهذه ثوابها ما يعطيه له من أهداه ولا اجر له عند الله . وله أن يطالب من أهداه للثواب ولم يشبهه والثالثة الصدقات تعطى للفقراء فهي هبة لله والله يشيب عليها إن خلعت من الربا فإذا شابها رياء فلا ثواب فيها .

شرح الكلمات :

ظهر الفساد في البر والبحر : أي ظهرت المعاصي في البر والبحر وتبعها الشر والفساد.

بما كسبت أيدي الناس : أي بسبب ما كسبته أيدي الناس من ظلم واعتداء .

ليذيقهم بعض الذي عملوا : أي تم ذلك وحصل ليذيقهم الله العذاب ببعض ذنوبهم .

لعلهم يرجعون : كي يرجعوا عن المعاصي إلى الطاعة والاستقامة .

قل سيروا في الأرض : أي قل يا رسولنا لأهل مكة المكذبين بك والمشركين بالله سيروا .

عاقبة الذين من قبل : أي كيف كانت نهاية تكذيبهم لرسولهم وشركهم بربهم إنها هلاكهم .

فأقم وجهك للدين القيم : أي استقم على طاعة ربك عابداً له مبلغاً عنه منفذاً لأحكامه .

لا مرد له من الله : أي لا يرده الله تعالى لأنه قضى بإتيانه وهو يوم القيامة .

يصدعون : أي يتفرقون فرقتين .

يمهدون : أي يوطئون ويفرشون لأنفسهم في منازل الجنة بإيمانهم وصالح أعمالهم .

معنى الآيات :

تقدم في السياق الكريم إبطال الشرك بالدليل العقلي إلا أن المشركين مصرون على الشرك وبذلك سيحصل فساد في الأرض لا محالة فأخبر تعالى عنه بقوله في هذه الآية الكريمة (٤١) فقال ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ أي انتشرت المعاصي في البر والبحر وفي الجو اليوم فعبء غير الله واستبيحت محارمه وأوذى الناس في أموالهم وأبدانهم وأعراضهم وذلك نتيجة الإعراض عن دين الله وإهمال شرائعه وعدم تنفيذ أحكامه . وقوله ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ أي بظلمهم وكفرهم وفسقهم وفجورهم . وقوله : ليذيقهم بعض الذي عملوا أي فما يصيبهم من جذب وقحط وغلاء وحروب وقتن إنما أصابهم الله به ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ من الشرك والمعاصي لا بكل ما فعلوا إذ لو أصابهم

(١) ذكر للفساد في البر والبحر تأويلات وما في التفسير أصحابها وأولها بفهم الآية الكريمة وانفعها لأهل القرآن المتدبرين به العاملين بما فيه .

(٢) قرأ الجمهور ليذيقهم بالياء وقرأ البعض بالنون .

بكل ذنوبهم لأنهي حياتهم وقضى على وجودهم^(١)، ولكنه الرحمن الرحيم بعباده اللطيف بهم. وقوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ قل يارسلونا لكفار قريش المكذبين لك المشركين بربهم: سيروا في الأرض شمالاً أو جنوباً أو غرباً فانظروا بأعينكم كيف كان عاقبة الذين كذبوا رسلهم وكفروا بربهم من قبلكم إنها كانت دماراً وهلاكاً فهل ترضون أن تكونوا مثلهم. وقوله ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي كان أكثر أولئك الأقوام الهالكين مشركين فالشرك والتكذيب الذي انتم عليه هو سبب هلاكهم وخسرانهم وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ أي استقم يارسلونا أنت والمؤمنون معك على الدين الإسلامي إذ لا دين يقبل سواه فاعتقدوا عقائده وامثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وتادبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه وأقيموا حدوده وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وادعوا إليه وعلموه الناس أجمعين، واصبروا على ذلك فإن العاقبة للمتقين وقوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أي افعلوا ذلك الذي أمرتكم به قبل مجيء يوم القيامة حيث لم يكن عمل وإنما جزاء، وقوله ﴿لا مرد له من الله﴾ أي إنه لا يرده الله إذا جاء ميعاده لأنه قضى بإتيانه لا محالة من أجل الجزاء على العمل في الدنيا. وقوله ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يوم يأتي اليوم الذي لا مرد له يصدعون أي يتفرقون فرقتين كما يتصدع الجدار فرقتين فريق في الجنة وفريق في النار. وقوله: ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾ أي من كفر اليوم فعائده كفره عليه يوم القيامة، ﴿ومن عمل صالحاً﴾ أي اليوم ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون فرشهم في الجنة إذ عائدة عملهم الصالح تعود عليهم لا على غيرهم، وقوله ﴿ليجزى﴾ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله ﴿أي يصدعون فرقتين من أجل أن يجزي الله تعالى أوليائه المؤمنين العاملين للصالحات من فضله إذ أعمالهم حسبها انها زكت نفوسهم فتأهلوا لدخول الجنة أما النعيم المقيم فيها فهو من فضل الله فقط، وقوله ﴿إنه﴾ لا يحب الكافرين ﴿هذه الجملة علة لجملة محذوفة إذ التقدير، ويجزي الكافرين بعدله وهو سوء العذاب لأنه لا يحب الكافرين.

(١) شاهده قوله تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً (فاطر).

(٢) شاهده قول الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

جذيمة الأبرشي كان ملكاً ونديماه هما مالك وعقيل نادماه أربعين سنة ثم ماتوا وندماني في البيت تننية ندمان

(٣) شاهده قوله تعالى من سورة الشورى (وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير).

(٤) اللام لام التعليل وهو واضح في التفسير.

(٥) علة الحذف طلب الإيجاز مع ظهور المعنى بدلالة السياق عليه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١) ظهور الفساد بالجدب والغلاء أو بالحرب والأمراض يسبقه حسب سنة الله تعالى ظهور فساد في العقائد بالشرك، وفي الأعمال بالفسق والمعاصي .
- ٢) وجوب الاستقامة على الدين الإسلامي عقيدة وعبادة وقضاء وحكماً .
- ٣) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثه ووقائعه
- ٤) بيان أن الله تعالى يحب المتقين ويكره الكافرين

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ
 مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
 تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَوْكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

شرح الكلمات :

- ومن آياته أن يرسل الرياح : أي ومن حججه الدالة على قدرته على البعث والجزاء
 والموجبة لعبادته وحده .
 مبشرات : أي تبشر العباد بالمطر وقربه .
 وليذيقكم من رحمته : أي بالغيث والخصب والرخاء وسعة الرزق .
 ولتبتغوا من فضله : أي لتطلبوا الرزق من فضله الواسع بواسطة التجارة في
 البحر .
 ولعلكم تشكرون : أي كي تشكروا هذه النعم فتؤمنوا وتوحدوا ربكم .
 رسلا إلى قومهم : أي كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم
 السلام .
 فجاءهم بالبينات : أي بالحجج والمعجزات .
 الذين أجزموا : أي أفسدوا نفوسهم فخبثوها بآثار الشرك والمعاصي .

حقاً علينا نصر المؤمنين : أي ونصر المؤمنين أحققناه حقاً وأوجبناه علينا فهو كائن
لامحالة .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير ألوهية الله تعالى وعدله ورحمته، فقال تعالى ﴿ومن آياته﴾ أي ومن آياتنا الدالة على ألوهيتنا وعدلنا في خلقنا ورحمتنا بعبادنا إرسالنا الرياح مبشرات^(١) بعبادنا بقرب المطر الذي به حياة البلاد والعباد فأرسال الرياح أمر لا يقدر عليه إلا الله، وتدبير يقصر دونه كل تدبير ورحمة تملو كل رحمة . وقوله: ﴿وليديقمكم من رحمته﴾ أي بإنزال المطر المترتب عليه الخصب والرخاء، وقوله: ﴿ولتجري الفلك﴾ أي السفن في البحر إذ الرياح كانت قبل اكتشاف البخار هي المسيرة للسفن في البحر صغيرها وكبيرها . وقوله ﴿بأمره﴾^(٢) أي بإذنه وإرادته وتدبيره الحكيم، وقوله: ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي لتطلبوا الرزق بالتجارة في البحر من إقليم إلى آخر تحملون البضائع لبيعها وشرائها وقوله: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي فعل الله تعالى بكم ذلك فسخره لكم وأقدركم عليه رجاء أن تشكروا ربكم بالإيمان به وبطاعته وتوحيده في عبادته . فهل أنتم يا عباد الله شاكرون؟ ، وقوله: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ يارسولنا ﴿رسلاً إلى قومهم﴾ كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام فجاءوا أقوامهم بالبينات والحجج النيرات كما جئت أنت قومك فكذبت تلك الأقوام رسلهم ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ فأهلكناهم، ونجينا الذين آمنوا ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ألا فلتعتبر قريش بهذا وإلا فستحل بها نقمة الله فيهلك الله المجرمين وينجي رسوله والمؤمنين كما هي سنته في الأولين والحمد لله رب العالمين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) تقرير الربوبية لله المستلزمة لألوهيته بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والعدل .

(١) قيل في الرياح مبشرات لأنها تتقدم المطر فهي كالمبشرة بمجيئه .

(٢) قال يأمره لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فيتعين إرساء السفن والاحتياط على حبسها إذ ربما عصفت بها الرياح فاغرقتها فمن هنا قال بأمره والا فالرياح وحدها لن تفرق السفن وتعوقها عند السير .

(٣) حقاً هذه الكلمة من صيغ الالتزام يقال فلان محفوف بكذا أي لازم له شاهده في قول الأعشى :

لمحفوظة أن تستجيبى لصوته

حقاً خبر كان مقدم على اسمها وهو نصر المؤمنين ولا التفات إلى من رأى الوقف على (حقاً) .

(٢) بيان أن الله تعالى ينعم على عباده من أجل أن يشكروه بعبادته وتوحيده فيها فإذا كفروا تلك النعم ولم يشكروا الله تعالى عليها عذبهم بما يشاء وكيف يشاء ومتى يشاء .
(٣) بيان أن الله منتقم من المجرمين وإن طال الزمن ، وناصر المؤمنين كذلك .

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيُبْسِطُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودق يخرج من
خلده فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون
﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ
﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ
﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا
مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------|---|
| فتشير سحاباً | : أي تحركه وتهيجه فيسير وينتشر . |
| ويجعله كسفا | : أي قطعاً متفرقة في السماء هنا وهناك . |
| فترى الودق | : أي المطر يخرج من خلال السحاب . |
| إذا هم يستبشرون | : أي فرحون بالمطر النازل لسقياهم . |
| لمبلسين | : أي قنطين آيسين من إنزاله عليهم . |
| إن ذلك لمحيي الموتى | : أي القادر على إنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وهو الله تعالى . |

فراوه مصفرا : أي رأوا النبات والزرع مصفراً للجائحة التي أصابته وهي ريح الدبور المحرقة .

لظلوا من بعده يكفرون : أي أقاموا بعد هلاك زروعهم ونباتهم يكفرون نعم الله عليهم السابقة

ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا: أي ما تسمع إلا المؤمنين بآيات الله .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مظاهر قدرة الله تعالى في الكون قال تعالى : ﴿ الله الذي يرسل الرياح ﴾^(١) أي ينشئها ويبعث بها من أماكن وجودها فتثير تلك الرياح سحباً أي تزعجه وتحركه فيسطه تعالى في السماء كيف يشاء من كثافة وخفة وكثرة وقلة ، ﴿ ويجعله كسفاً ﴾^(٢) أي قطعاً فترى أيها الرائي الودق أي المطر يخرج من خلاله أي من بين أجزاء السحاب . وقوله ﴿ فإذا أصاب به ﴾ أي بالمطر ﴿ من يشاء من عباده إذا هم ﴾ أي المصابون بالمطر في أرضهم . ﴿ يستبشرون ﴾ أي يفرحون . ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم ﴾ أي المطر ﴿ من قبله لمبلسين ﴾^(٣) أي مكتئبين حزينين قانطين وقوله تعالى ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾ أي فانظر يارسلنا إلى آثار رحمة الله أي إلى آثار المطر كيف ترى الأرض قد اخضرت بعد يس وحيتت بعد موت . فإذا رأيت ذلك علمت أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى من قبورهم وذلك يوم القيامة وقوله ﴿ إنظروا ﴾^(٤) على كل شيء قدير ﴿ لتعليل لعظم قدرته وأنه قادر على إحياء الموتى وعلى فعل كل شيء أراده . وقوله ﴿ ولئن أرسلنا ريحا ﴾ أي وعزتنا وجلالنا لئن أرسلنا ريحافيه إعصار فيه نار فأحرقت تلك النباتات وأبيستها فرأها أولئك الذين هم بالأمس فرحون فرح بطر بالغيث ﴿ يكفرون ﴾ بربهم أي يقولون : ما هو كفر من الفاظ السخط وعدم الرضا وذلك لجهلهم

(١) استئناف مبدوء باسم الله الأعظم الدال على قدرته وواسع علمه فهو الذي يرسل الرياح وينزل من السماء ماء ويحيي به الأرض هو الله الرب القادر على إحياء الناس بعد موتهم والمستحق لعبادتهم دون سواه والرياح قرأ بها الجمهور وقرأ بعض الریح بالإفراد ومما عرف بالعادة أن الرياح للإمطار والريح للدمار .

(٢) الكسْف جمع كسفه أي قطعة والمراد أن الله تعالى يرسل الرياح فتثير السحاب ويكون عاما مجللا للسماء كافة ويكون منه قطعاً قطعاً لحكمة تتطلب ذلك والكسف بكسر الكاف وسكون السين كالكسف بكسر الكاف وفتح السين كلاهما جمع كسفه كسده وسدر وقرىء من خلله وجائز أن يكون جمع خلال أيضاً .

(٣) وفسر بأيسين أي قانطين ازلين كما في الحديث أي في ضيق وشده وفسر بيئسين والكل صحيح .

(١) وكفرهم . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴾ أي انك يا رسولنا لا تقدر على هداية هؤلاء الكافرين لأنهم صم لا يسمعون وعمي لا يبصرون لما ران على قلوبهم من الذنوب فعطل حواسهم وأنت بحكم بشريتك وقدرتك المحدودة لا تستطيع اسماع الموتى كلامك فيفهموه ويعملوا به كما لا تستطيع اسماع الصم نداءك إذا هم ولُّوا مدبرين إذ لو كانوا مقبلين عليك قد تفهمهم ولو بالإشارة أما إذا ولُّوا مدبرين عنك فلا يمكن إسماعهم . إذا فهون على نفسك ولا تحزن عليهم . وقوله : ﴿ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ أي إنك ما تسمع سماع قبول وانقياد وإدراك إلا من يؤمن بآياتنا أي إلا المؤمنين الذين آمنوا بآيات الله وعرفوا حججه فآمنوا به ووحدوه فهم مسلمون أي منقادون خاضعون مطيعون فهؤلاء في امكانك إسماعهم وهدايتهم بإذن الله إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدارين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة والحجج العقلية .
- (٢) بيان كيفية إنشاء السحاب ونزول المطر وهو مظهر من مظاهر القدرة والعلم الإلهي .
- (٣) بيان حال الكافر في أيام الرخاء وأيام الشدة فهو في الشدة يقنط وفي الرخاء يكفر، وذلك لفساد قلبه بالجهل بالله تعالى وآياته .
- (٤) الاستدلال بالمحسوس الحاضر على المحسوس الغيبي .
- (٥) بيان ان الكفار أموات ، ولذا هم لا يسمعون ولا يبصرون وأن المؤمنين أحياء لأنهم يسمعون ويبصرون، إذ الحياة لها آثارها في الجسم الحي والموت كذلك .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ

مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

(١) قال القرطبي . أي وضحت الحجج يا محمد لكنهم لإفهم تقليد الأسلاف في الكفر ماتت قلوبهم وعميت بصائرهم فلا يتهيأ لك إسماعيل وهدايتهم وقرأ الجمهور تسمع بالتاء وقرأ ابن كثير يسمع ورفع الصم على أنه فاعل وقرأ الجمهور هادي وقرأ ابن كثير تهدي .

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ
كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ
لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَالْكَفَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مُعْذِرَتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات

الله الذي خلقكم من ضعف : أي من نطفة وهي ماء مهين .

ثم جعل من بعد ضعف قوة : أي من بعد ضعف الطفولة قوة الشباب .

ثم جعل من بعد قوة ضعفاً : أي من بعد قوة الشباب والكهولة ضعف الكبر والشيب

وشيبة : أي الهرم

كذلك كانوا يؤفكون : أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث كانوا يصرفون

في الدنيا عن الإيمان بالبعث والجزاء في الآخرة فانصرفهم

عن الحق في الدنيا سبب لهم عدم معرفتهم لمدة لبثهم في

قبورهم .

لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم : أي في انكارهم للبعث والجزاء .

ولا هم يستعتبون : أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى ما يرضي الله

تعالى بالإيمان والعمل الصالح .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿الله الذي خلقكم﴾^(١)

وحده ﴿من ضعف﴾ أي من ماء مهين وهي النطفة ثم جعل من بعد ضعف أي ضعف الطفولة

(١) هذا الاستئناف كسابقه الاستدلال به علم قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته وعظيم تدبيره في خلقه وهي موجبة التوحيد له والنبوة لرسوله والبعث لعباده ليحاسبهم ويجزئهم برحمته وعدله .

(٢) قرأ نافع والجمهور من ضعف بضم الصاد في الألفاظ الثلاثة في هذه الآية وهي لغة الحجاز، وقرأ حفص بالفتح وهي لغة تميم ومن ابتدائية أي ابتداء خلقكم من ضعف وهي النطفة ولا أضعف منها .

﴿قوة﴾ وهي قوة الشباب ﴿ثم جعل من بعد قوة﴾ أي قوة الشباب والكهولة ﴿ضعفًا﴾ أي ضعف الكبر ﴿وشيبة﴾ أي الهرم وقوله تعالى ﴿يخلق ما يشاء وهو العليم﴾ بخلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء ويريده فهو تعالى قادر على احياء الأموات وبعثهم ، إذ القادر على إيجادهم من العدم قادر على بعثهم من الرّم. وقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ أي القيامة ﴿يقسم المجرمون﴾ أي يحلف المجرمون من أهل الشرك والمعاصي ﴿مالبثوا غير ساعة﴾ أي لم يلبثوا في قبورهم إلا ساعة من زمن. وقوله تعالى ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾ أي كما صرفوا عن معرفة الصدق في اللبث في القبر كانوا يصرفون في الدنيا عن الإيمان بالله تعالى ولقائه ، والصارف لهم ظلمة نفوسهم بسبب الشرك والمعاصي . وقوله تعالى : ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله﴾ أي في كتاب المقادير ﴿إلى يوم البعث﴾ وهو يوم القيامة ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾ لعدم إيمانكم بالله وبآياته والكتاب الذي أنزله

وقوله فيومئذ أي يوم إذ يأتي يوم البعث ﴿لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾ أي عن شركهم وكفرهم بلقاء ربهم ، ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي لا يطلب منهم العتبي أي الرجوع إلى ما يرضى الله تعالى من الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- ١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة العقلية التي لا ترد بحال .
- ٢) بيان اطوار خلق الإنسان من نطفة إلى شيخوخة وهرم .
- ٣) فضل العلم والإيمان وأهلها .
- ٤) بيان ان معذرة الظالمين لا تقبل منهم ، ولا يستعتبون فيرضون الله تعالى فيرضى عنهم .

(١) الشيبة اسم مصدر الشيب وعطف الشيبة على الضعف إشارة إلى عدم وجود قوة بعدها وإنما يأتي الفناء كما قيل الشيب نذير الموت وهو كذلك .

(٢) روى أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت اللهم أنتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي ﷺ لقد سألت الله تعالى لأجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سلبه أن يعيدك من عذاب جهنم وعذاب القبر في الصحيح .

(٣) يقال أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير . وأرض مأفوكة ممنوعة من المطر .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا

لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْنَ جِثَّتْهُمْ بَيَّاتَةٌ
لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ
يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخْفَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

شرح الكلمات

ولقد ضربنا للناس	: أي جعلنا للناس .
من كل مثل	: أي من كل صفة مستغربة تلفت الانتباه وتحرك الضمير كالأمثال لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحدوا .
ولئن جثتهم بآية	: أي ولئن أتيت هؤلاء المشركين بكل حجة خارقة .
إن أنتم إلا مبطلون	: أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون إلا مبطلون فيما تقولون وتدعون إليه من الإيمان بآيات الله ولقائه .
الذين لا يعلمون	: أي ما أنزل الله على رسوله وما أوحاه إليه من الآيات البينات .
فاصبر إن وعد الله حق	: أي اصبر يارسولنا على أذاهم فإن العاقبة لك إذ وعدك ربك بها ووعد الله حق .
ولا يستخفك الذين لا يوقنون	: أي لا يمحنتك هؤلاء المشركون المكذبون بلقاء الله على الخفة والطيش فترك دعوتك إلى ربك .

معنى الآيات

بعد إيراد العديد من الأدلة وسوق الكثير من الحجج وعرض مشاهد القيامة في الآيات السابقة تقريراً لعقيدة البعث والجزاء التي أنكرها المشركون من قريش قال تعالى : ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ (١) أي جعلنا للناس في هذا القرآن من أساليب

(١) قال القرطبي : أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل .

الكلام وضروب التشبيه، وعرض الأحداث بصور مثيرة للدهشة موقظة للحس، ومنبهة للضمير، كل ذلك لعلهم يذكرون فيؤمنوا فيهدتوا للحق فينجوا ويسعدوا، ولكن أكثرهم لم ينتفعوا بذلك، ﴿ولئن جثتهم^(١) بأية﴾ أي بحجة من معجزة وغيرها تدل على صدقك وصحة دعوتك وما جثت به ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ أي منهم^(٢) ﴿إن انتم﴾ أي ما أنتم أيها الرسول والمؤمنون ﴿إلا مبطلون﴾ أي من أهل الباطل فيما تقولون وتدعون إليه من الدين الحق والبعث الآخر. وقوله ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾ أي كذلك الطبع على قلوب الكافرين الذين لوجثتهم بكل آية لم يؤمنوا عليها لما ران على قلوبهم وما ختم به عليها، يطبع على قلوب الذين لا يعلمون^(٣)، إذ ظلمة الجهل كظلمة الشرك والكفر تحجب القلوب عن الفهم والإدراك فلا يحصل إيمان ولا استجابة لدعوة الحق وقوله ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يأمر تعالى رسوله أن يلتزم بالصبر على دعوته والثبات عليها في وجه هذا الكفر العنيد، حتى ينصره الله تعالى إذ واعدته بالنصر في غير ما آية ووعد الله حق فهو ناجز لا يتخلف. وقوله: ﴿ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾ أي اصبر ولا يحملنك عناد المشركين وإصرارهم على الكفر والتكذيب على الخفة والطيش والاستجهاال بترك الحلم والصبر. والمراد بالذين لا يوقنون كل من لا يؤمن بالله ولقائه إيمانا يقينيا إذ هذا الصنف من الناس هو الذي يستفز الإنسان ويحملة على أن يخرج عن اللياقة والأدب والعياذ بالله:

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

(١) اعذار الله تعالى إلى الناس بما ساقه تعالى في كتابه من أدلة الإيـان وحجج الهدى.

- (١) أي كآيات موسى من فلق البحر والعصا أو آيات عيسى كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص .
 (٢) أي من الناس لقوله ولقد ضربنا للناس وهو لفظ عام يشمل الكافر والمؤمن .
 (٣) في هذه الآية إنذار خطير للجهال وتنديد بالجهل، إذ أهله لا يفهمون عن الله ولا يهدتدون إلى سبيل الخير وطريق السعادة والكمال ولذا أوجب الرسول ﷺ طلب العلم على كل مسلم في قوله (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وما أصاب المسلمين ما أصابهم من خوف وهون ودون إلا نتيجة لجهلهم برهم ومحابه ومكارهه وضروب عباداته وكيفيات أدائها لتزكوا بها نفوسهم وتظهر أرواحهم وقلوبهم .
 (٤) وفسر بيستفزتك الذين في محل رفع فاعل وبعض العرب يعربونه إعراب جمع المذكر السالم فيقولون اللذون رفعاً والذين نصباً وجراً قال الشاعر:

نحن اللذون صبحوا الصباح يوم النخيل غارة ملحاحاً

- (٥) الاستخفاف: طلب خفة الشيء بفقد ثقله ورضانته فيغضب ويترك العمل . والذين لا يؤمنون هم المشركون كالنضر بن الحارث وابي جهل والمراد بنفي اليقين عنهم . اليقين بالأمر البديهيات اليقينية للناس لكون الله تعالى خلق كل شيء ورب كل شيء وقدرته على كل شيء إذ هذه يقينيات لدى عامة الناس .

- (٢) أسوأ أحوال الإنسان عندما يطبع على قلبه لكثرة ذنوبه فيصبح لا يفهم ولا يعقل شيئاً
وفي الخبر حبك الشيء يعمي ويصم .
- (٣) وجوب الصبر والتزام الحلم والأناة مهما جهل الجاهلون .

سُورَةُ الْقِسْمَانِ مكية^(١)

وآياتها أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

شرح الكلمات :

الم هذا أحد الحروف المقطعة التي تكتب ألم ، وتقرأ : ألف لام ميم .

تلك : أي الآيات المؤلفة من مثل هذه الحروف هي آيات الكتاب الحكيم .

الحكيم : أي المحكم الذي لا نسخ يطرأ عليه بعد تمام نزوله ، ولا خلل فيه ،

وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه فلا خلط ولا خبط فيما
يحمل من هدى وتشريع .

هدى ورحمة : أي هو هدى يهتدي به ورحمة يرحم بها .

للمحسينين : أي الذين يراقبون الله تعالى في كل شؤونهم إذ هم الذين يجدون الهدى

والرحمة في القرآن الكريم أما غيرهم من أهل الشرك والمعاصي فلا يجدون
ذلك .

(١) قال قتادة : غير آيتين أولهما ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وقال بن عباس غير ثلاث آيات أولهن : ولو أن ما في
الأرض من الخ . .

أولئك : أي المحسنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة .
 على هدى من ربهم : أي هم على هداية من الله تعالى فلا يضلون ولا يجهلون معها أبداً .
 المفلحون : أي الفائزون بالنجاة من كل مرهوب وبالظفر بكل مرغوب محبوب .

معنى الآيات

قوله تعالى : ﴿آلَم﴾ أحسن ما يفسر به مثل هذه الحروف المقطعة قول : الله أعلم بمراده به وقد أفادت هذه الحروف فائدة عظيمة ، وذلك من جهتين الأولى أنه لما كان المشركون يمنعون سماع القرآن خشية التأثير به فيهتدي إلى الحق من يحصل له ذلك ، وقالوا : ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ كانت هذه الحروف بنغمها الخاص ومُدودها العجيبة تضطر المشرك إلى الإصغاء والاستماع فحصل ضد مقصودهم وكفى بهذه فائدة . والثانية أنهم لما ادعوا أن القرآن سحر وكهانة وشعر وأساطير الأولين كأنما قيل لهم هذا القرآن الذي ادعيتم فيه كذا وكذا قد تألف من هذه الحروف ص ، ن ، ق ، يس ، طس ، آلَم فألفوا سورة مثله وأتوا بها للناس فيصبح لكم ما تدعون فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فآمنوا ووجدوا واستقيموا على ذلك تعزوا وتكرموا وتكملوا وتسعدوا .

وقوله : ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ أي هذه الآيات هي آيات القرآن الكريم الموصوف بالحكمة إذ هو لا يخلط ولا يغلط ولا يخبط بل يضع كل شيء في موضعه اللائق به في كل ما قال فيه وحكم به ، وأخبر عنه أو به من سائر المعارف والعلوم التي حواها كما هو حكيم بمعنى محكم لا نسخ يطرأ عليه بعد تمامه كما طرأ على الكتب السابقة ، ومحكم أيضا بمعنى لا خلل فيه ، ولا تناقض بين أخباره وأحكامه على كثرتها وتنوع أسبابها ومقتضيات نزولها ، وقوله : ﴿هدى﴾ ورحمة للمحسنين^(٣) أي هو بيان هداية ورحمة تنال المحسنين وهم الذين أحسنوا عبادتهم لربهم فخلصوها من الشرك والرياء وأتوا بها على

(١) تلك في محل رفع مبتدأ وآيات الكتاب الخبر.

(٢) هدى ورحمة نصباً على الحال على حد هذه ناقة الله لكم آية وقرء هدى ورحمة بالرفع على أن هدى خبر ثان ورحمة معطوف عليه وهي قراءة حمزة .

(٣) وجزاء أن يكون المحسنين الفاعلين للحنات والمحسنين إلى غيرهم كالوالدين وذوي القربى واليتامى والمساكين ومن ذكروا في آية الحقوق العشرة من سورة النساء وواعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً الخ . . .

الوجه المرضي لله تعالى وهو ما بينه رسوله صلى الله عليه وسلم من كيفية العبادات وبيان فعلها وأدائها عليه . وقوله ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي المحسنين الذين يقيمون الصلاة أي يؤدون الصلوات الخمس مُراعى فيها شروطها مستوفاة أركانها وسننها الواجبة منها والمستحبة ، ويؤتون الزكاة أي يخرجون زكاة أموالهم الصامئة كالذهب والفضة أو العَمَلِ القائمة مقامهما والحِث من تمر وزيتون ، وحبوب مقتاة مدخرة والناطقة من إبل وبقر وغنم وذلك إن حال الحول في الذهب والفضة والعمل وفي بهيمة الأنعام أما الحرث والغرس فيوم حصاده وجداده . وقوله : ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي والحال هم موقنون بما أعده الله من ثواب وجزاء على الإحسان والإيمان والإسلام الذي دلت عليه صفاتهم في هذا السياق الكريم وقوله : ﴿وأولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ يخبر تعالى عن المحسنين أصحاب الصفات الكريمة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر والإيقان بثواب الله تعالى فيه انهم على هدى أي طريق مستقيم وهو الإسلام هداهم الله تعالى إليه ومكنهم من السير عليه وبذلك أصبحوا من المفلحين الذين يفوزون بالنجاة من النار، ويدخول الجنة دار الأبرار . اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرةم انك برّ كريم تواب رحيم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) بيان إعجاز القرآن حيث أُلّف من مثل آلم، وصّ، وطسّ، ولم يستطع خصومه تحديده .
- (٢) بيان معنى الحكيم وفضل الحكمة .
- (٣) بيان أن القرآن بيان للهدى المنجي المسعد ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه .
- (٤) فضل الصلاة والزكاة واليقين .
- (٥) بيان مبني الدين : وهو الإيمان والإسلام والإحسان .^(١)

(١) شاهد هذا حديث جبريل في مسلم : إذ سأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان فدل ذلك على أن مبني الدين الإسلامي هذه الثلاثة (الإيمان والإسلام والإحسان) .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
 لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا
 كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
 خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوِنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن تَمِيدَ
 بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا
 مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
 خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

شرح الكلمات

- ومن الناس : أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث بن كلدة حليف قريش .
 لهو الحديث : أي الحديث الملهي عن الخير والمعروف وهو الغناء .
 ليضل عن سبيل الله : أي ليصرف الناس عن الإسلام ويبعدهم عنه فيضلوا .
 ويتخذها هزواً : أي ويتخذ الإسلام وشرائعه وكتابه هزواً أي مهزواً به مسخوراً منه .
 ولئى مستكبراً : أي رجع في كبرياء ولم يستمع إليها كفرأوعناداً وكبراً كأن لم يسمعها .
 في أذنيه وقراً : أي ثقل يمنع من السماع كالصمم .
 بغير عمد ترونها : أي بدون عمد مرئية لكم ترفعها حتى لا تقع على الأرض .
 رواسي : أي جبال راسية في الأرض بهاترسو الأرض أي تثبت حتى لا تميل .

(١) هذا عطف على جملة (تلك آيات الكتاب الحكيم) كأنما قال كانت تلك حال الكتاب الحكيم وهي حال تدعو إلى كل كمال وإن من الناس معرضين عنه يؤثرون لهو الحديث ففي الاخبار تعجب من حال هذا الإنسان الذي يعرض عن الهدى إلى الضلال وعن الخير إلى الشر.

وبث فيهما من كل دابة: أي وخلق ونشر فيها من صنوف الدواب وهي كل ما يدب في الأرض.

من كل زوج كريم : أي من كل صنف من النباتات جميل نافع لا ضرر فيه .
 هذا خلق الله : أي المذكور مخلوقه تعالى إذ هو الخالق لكل شيء .
 من دونه : أي من الآلهة المزعومة التي يعبدها الجاهلون .
 بل الظالمون : أي المشركون .

معنى الآيات

لما ذكر تعالى عباده المحسنين وأثنى عليهم بخير وبشرهم بالفلاح والفوز المبين ذكر صنفاً آخر على النقيض من الصنف الأول الكريم فقال: ﴿ومن الناس^(١) من يشتري لهو الحديث ليضل عن^(٢) سبيل الله بغير علم﴾ أي ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث الكلدي حليف قريش يشتري لهو الحديث أي الغناء إذ كان يشتري الجواري المغنيات ويفتح نادياً للهو والمجون ويدعو الناس إلى ذلك ليصرفهم عن الإسلام حتى لا يجلسوا إلى نبيّه ولا يقرأوا كتابه بغير علم منه بعاقبة صنيعه وما يكسبه من خزي وعار وعذاب النار. وقوله ﴿ويتخذها هزواً﴾ أي يتخذ سبيل الله التي هي الإسلام هزواً أي شيئاً مهزواً به مسخوراً منه بما في ذلك الرسول والمؤمنون والآيات الكلّ يهزأ به ويسخر منه لجهله وظلمة نفسه. قال تعالى ﴿أولئك﴾ لهم عذاب مهين أي أولئك البعداء وهم كل من يشتري الغناء يغني به نساء ورجال أو آلات ممن اتخذوا الإسلام وشرائعه هزواً وسخرية ليصدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله الموصلة إلى رضاه ومحبته وجنته. أولئك: مَنْ تِلْكَ صفتهم لهم عذاب مهين بكسر أنوفهم وبذلهم يوم القيامة وقوله تعالى: ﴿وإذا تتلى عليه

(١) معنى الكلام من الناس - يا للعجب - من يشغله لهو الحديث والولوع به عن الاهتداء بآيات الكتاب الحكيم، هذه الآية إحدى ثلاث آيات في القرآن الكريم تحرم الغناء والأولى آية بني إسرائيل وهي قوله تعالى واستغزز من استطعت منهم بصوتك والثالثة آية النجم: وأنتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بالحميرية يقال اسمد لنا أي غني لنا.

(٢) لهو الحديث هو الغناء، صح أن ابن مسعود رضي الله عنه سئل عن لهو الحديث فقال بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات إنه الغناء وقال ابن جرير الطبري قد اجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري وقد قال الرسول ﷺ وسلم عليكم بالسواد الأعظم، ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

(٣) قرأ الجمهور ليضل بضم الباء أي ليضل غيره فهو إذا ضال مضل وقرأ ابن كثير ليضل بفتح الياء أي ليزداد ضلالاً على ضلال.

(٤) قرأ نافع بالرفع عطفاً على يشتري وقرأ حفص بالفتح عطفاً على ليضل.

آياتنا ولي مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً^(١)

أي وإذا قُرئت على هذا الصنف من الناس آيات الله لتذكيره وهدايته رجع مستكبراً كأن لم يسمعها تتلى عليه وهي حالة من أقبح الحالات لدلالاتها على خبث هذا الصنف من الناس وكبرهم . وقوله ﴿كأن في أذنيه وقراً﴾^(٢) كأن به صمم لا يسمع القول وهنا عَجَّلَ الله له بما يحزنه ويخزيه فقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ والتبشير بما يضر ولا يسر يحمل معه التهكم وهذا النوع من الناس مستحق لذلك وقوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها﴾ هذا صنف آخر مقابل لما قبله وهم أهل الإيمان والعمل الصالح بشرهم ربهم بجنات النعيم والخلود فيها وقوله ﴿وعد الله حقاً﴾ أي وعدهم بذلك وعداً صادقاً لا يخلف وأحقه لهم حقاً لا يسقط . وهو العزيز ﴿أي الغالب الذي لا يُحال بينه وبين مُراد الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه .

وقوله ﴿خلق السموات بغير عمد ترونها﴾^(٤) أي من مظاهر قدرته وعزته وحكمته خلقه السموات ورفعها بغير عمد مرئية لكم وفي هذا التعبير إشارة إلى أن هناك أعمدة غير مرئية وهي سنة نظام الجاذبية التي خلقها بقدرته وجعل الأجرام السماوية متماسكة بها . وقوله : ﴿وألقي في الأرض رواسي﴾ أي من مظاهر قدرته وحكمته إلقاء الجبال الرواسي على الأرض لتحفظ توازنها حتى لا تميل بأهلها فيفسد ويسقط ما عليها وتندم الحياة عليها وهو معنى ﴿أن تميد بكم﴾ أي تميل ، وإذا مالت تصدع كل ما عليها وخرب وقوله : ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ وهذا مظهر آخر من مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة للإيمان بالله ولقائه والمستلزمة لتوحيده تعالى في عبادته ، فسائر أنواع الدواب على كثرتها واختلافها الله الذي خلقها وفرقها في الأرض تعمرها وتزيئها . وقوله ﴿وانزلنا من السماء ماء﴾ وهو ماء المطر ﴿فأنبت به من كل زوج﴾ أي صنف من أصناف الزروع والنباتات مما

(١) (ولي) هذا تمثيل للإعراض عن آيات الله التي تتلى عليه ومستكبراً حال مُبِينة وأن إعراضه كان لاعتداله أو تفريطه وإنما كان

عن كبره كأن لم يسمعها تكرار التشبيه لفائدة الإخبار بأنه مرة لم يسمعها مع وجود حاسة السمع وأخرى مع عدم وجودها .

(٢) قرأ نافع أذنيه بإسكان الذال تخفيفاً وقرأ الجمهور أذنيه بتحريك الذال مضمومة .

(٣) انتصاب وعد الله على المفعول المطلق وانتصاب حقاً على الحال .

(٤) ترونها في محل جر نعت لعمدٍ ومعنى هذا أن هناك عمداً غير مرئية ويجوز أن تكون في محل نصب على الحال من السموات .

(٥) أي كراهية أن تميد بكم أي تميل أو لتلا تميد والكل جائز .

هو نافع وصالح للإنسان هذا المذكور أيضاً مظهر من مظاهر القدرة الإلهية والعلم والحكمة الربانية الموجبة للإيمان بالله وآياته ولقائه وتوحيده في عباداته ومن هنا قال تعالى : ﴿ هذا خلق الله ^(١) ﴾ أي كل ما ذكر من المخلوقات في هذه الآيات هو مخلوق لله والله وحده خالقه فأروني أيها المشركون المكذبون ماذا خلق الذين تعبدونهم من دونه من سائر المخلوقات يتحداهم بذلك . فعجزوا . وقوله تعالى ﴿ بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ أي إنهم عبدوا غير الله وكذبوا بقاء الله لا عن علم لديهم أو شبهة كانت لهم بل الظالمون وهم المشركون في ضلال مبين فهم تائهون في أودية الضلال حيارى بجهلهم في حياتهم فدواؤهم العلم والإيمان فمتى آمنوا وعلموا لم يبق مجال لكفرهم وشركهم وعنادهم فلهذا فصلُ تعالى الآيات وعرض الأدلة والحجج عرضاً عجبياً لعلهم يذكرون فيؤمنوا ويوحّدوا فيكملوا ويسعدوا فضلاً منه ورحمة . وهو العزيز الرحيم

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) حرمة غناء النساء للرجال الأجانب .
- (٢) حرمة شراء الأغاني في الأشرطة والاسطوانات التي بها غناء العواهر والخليعين من الرجال .
- (٣) حرمة حفلات الرقص والغناء الشائعة اليوم في العالم كافره ومسلمه .
- (٤) دعوة الله تقوم على دعامتي الترهيب والترغيب والبشارة والندارة .
- (٥) بيان شتى مظاهر القدرة والعلم والعز والحكمة الموجب للإيمان والتوحيد .
- (٦) لا قصور في الأدلة والحجج الإلهية وإنما ضلال العقول بالشرك والمعاصي هو المانع من الاهتداء . والعياذ بالله تعالى .

وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

(١) خلق الله بمعنى مخلوقه .

(٢) بل للاضراب الانتقالي من المجادلة إلى تسجيل ضلالهم وهو اعتقادهم إلهية الأصنام كما يقول المناظر دع عنك هذا وانتقل إلى كذا .

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
 لُقْمَنُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يُعْطِيهِ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ
 لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
 وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
 إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ
 لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
 وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمَّارٍ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ
 بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

شرح الكلمات

ولقد آتينا لقمان الحكمة : أي أعطينا لقمان السوداني القاضي : أي الفقه في الدين
 والعقل والإصابة في الأمور.

أن اشكر الله : أي اشكر الله ما أنعم به عليك بطاعته وذكره .
 لابنه وهو يعظه : أي ابنه ثاران وهو يعظه أي يأمره وينهاه مرغباً له مرهباً .
 ووصينا الإنسان : أي عهدنا إليه ببرهما وهو كف الأذى عنهما والإحسان
 إليهما وطاعتهما .

وهنا على وهن : أي ضعفاً على ضعف وشدة على شدة وهي الحمل
 والولادة والإرضاع .

وفصاله في عامين : أي مدة رضاعه تنتهي في عامين ، وبذلك يفصل عن

(١) هذه الآية : وإن جاهدك والتي قبلها ووصينا الإنسان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص لما أسلم وإن أمة حَمَنَتْ بنت أبي
 سفيان بن أمية حلفت ألا تأكل حتى يكفر سعد أو تموت جوعاً وعطشاً حتى يعير بها مدى الحياة (باقتل أمه) إلا أنها لما آياها سعد
 أسلمت وأكلت وشربت .

(٢) هو لقمان بن باعوراء بن ناصور بن تارح وهو أزر أبو إبراهيم كذا نسبه ابن اسحق وقال السهيلي هو لقمان بن عتفاد بن
 سرون وكان نوبياً من أهل أيلة ، قال وهب كان ابن اخت أيوب أو ابن خالته عاش ألف سنة وأدركه داود عليه السلام وكان
 رجلاً حكيماً ولم يكن نبياً ومن حكمه قوله إن القلب واللسان إذا طابا فليس شيء أطيب منهما وإذا خبثا فليس شيء أخبث
 منهما وقوله وقد قيل له أي الناس شر؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً وقوله الصمت حكمة وقليل فاعله .

الرضاع .

وإن جاهداك : أي بذلا جهدهما في حملك على الشرك .
 وصاحبهما في الدنيا معروفا : أي واصحبهما في حياتهما بالمعروف وهو البر والإحسان
 وكف الأذى والطاعة في غير معصية الله .
 من أناب إليَّ : أي رجع إليَّ بتوحيدي وطاعتي وطاعة رسولي محمد
 صلى الله عليه وسلم .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والتنديد بالشرك والمشركين وهذه القصة اللقمانية اللطيفة مشوقة لذلك قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ أي أعطينا عبدنا لقمان الحكمة وهي الفقه في الدين والإصابة في الأمور ورأسها مخافة الله تعالى بذكره وشكره الذي هو طاعته في عبادته وتوحيده فيها . وقوله : ﴿ أن اشكر لله ﴾ أي وقلنا له اشكر الله خالقك ما أنعم به عليك بصرف تلك النعم فيما يرضيه عنك ولا يسخطه عليك . وقوله تعالى ﴿ ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ﴾ أي ومن شكر الله بطاعته فإن ثمره الشكر وعائده للشاكر نفسه بحفظ النعمة والزيادة فيها أما الله فإنه غني بذاته محمود بفعاله فلا يفتقر إلى خلقه في شيء إذ هم الفقراء إليه سبحانه وتعالى . وقوله تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان ﴾ أي واذكر يارسلنا لهؤلاء المشركين قول لقمان لابنه وأخص الناس به وهو ينهاه عن الشرك الذي نهيتكم أنا عنه فغضبتهم وأصررتهم عليه عناداً ومكابرة فقال له : بما اخبر به تعالى عنه في قوله : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴾ أي يأمره وينهاه مرغباً له في الخير مرهباً له من الشر : ﴿ يا بني لا تشرك بالله ﴾ أي في عبادته أحداً . وعلل لنهيه ليكون أوقع في نفسه فقال : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ والظلم وضع الشيء في غير موضعه ويترتب عليه الفساد والخسران الكبير، وعبادة غير الله وضع لها في غير موضعها إذ العبادة حق الله على عباده

(١) وجائز أن تكون أن التفسيرية أي مفسرة للفظ الحكمة بأنها الشكر لله تعالى وهي أقوال القيت إليه بإلهام ففي الحكمة معنى القول دون حروفه . كما فسرت (حاجة) في قول الشاعر لأنها بمعنى القول .

إن تحملاً حاجة لي خف محملاً تستوجباً مئة عندي بها ويدا
 أن تقرأن على أسماء ويحكما مني السلام وان لا تخبرا أحدا

(٢) قيل كان اسم ابنه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم والله أعلم .

(٣) روي مسلم أنه لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم .

(١)

مقابل خلقهم ورزقهم وكلاءهم في حياتهم وحفظهم وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أي عهدنا إلى الإنسان أمرين أي ببر والديه أي أمه وأبيه، وبرهما بذل المعروف لهما وكف الأذى عنهما وطاعتهما في المعروف، وقوله تعالى: ﴿حملته﴾ أي الإنسان أمه أي والدته ﴿وهنا على^(٢) وهن﴾ أي ضعفا على ضعف وشدة على أخرى وهي آلام وأتعب الحمل والطلق والولادة والإرضاع فلهذا تأكداً برهاً فوق برِّ الوالد مرتين لحديث الصحيح: [من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك] وقوله ﴿وفصاله في عامين﴾ أي فطام الولد من الرضاع في عامين فأول الرضاع ساعة الولادة وآخره تمام الحولين ويجوز فصله عن الرضاع خلال العامين، وقوله: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾ هذا الموصى به وهو أن يشكر الله تعالى وذلك بطاعته تعالى فيما أمره به وينهاه عنه، وذكره بقلبه ولسانه وقوله ﴿ولووالديك﴾ إذ هما قدما معروفًا وجميلًا فوجب شكرهما، وذلك ببرهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله ورسوله، لأن طاعة الله كشكره قبل طاعة الوالدين وشكرهما وقوله ﴿إلى المصير﴾ أي الرجوع بعد الموت وهذه الجملة مؤكدة لواجب شكر الله تعالى وبر الوالدين لما تحمله من الترغيب والترهيب فالمطيع إذا رجع إلى الله أكرمه والعاصي أهانه. وما دام الرجوع إليه تعالى حتمياً فطاعته بشكره وشكر الوالدين متأكدة متعيّنة. وقوله تعالى ﴿وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا﴾ أي وإن جاهدك أيها الإنسان والداك وبذلا جهدهما في حملك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم وهو عامة الشركاء إذ ما هناك من يصح إشراكه في عبادة الله قط. فلا تطعهما في ذلك أبداً، ﴿وصاحبهما في الدنيا﴾ أي في الحياة بالمعروف وهو برهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله تعالى ورسوله، وقوله: ﴿واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ أي اتبع طريق من أناب إليّ بتوحيدي وعبادتي والدعوة إليّ

(١) الراجع أن هاتين الآيتين وقعتا اعتراضاً بين كلام لقمان الأول والثاني وأنها نزلتا في شأن والدة سعد بن أبي وقاص وللاعتراض فائدة وهي التنوع في الأسلوب لإذهاب السامة وتجديد نشاط الذهن للحفظ والفهم وجائز أن يكون لاعتراض الآيتين من كلام لقمان.

(٢) روى أن الحسن قال لو منعت والدة ولدها من شهود صلاة العشاء شفقة عليه فلا يطعها.

(٣) الوهن بإسكان الهاء مصدر وهن يهن من باب ضرب ووهن بفتح الواو والهاء من باب وجل ويوجل ووجلا. والمعنى أي وهناً واقعاً على وهن كقولهم (عوداً على بدء) أي رجع عوداً على بدء.

(٤) معروفاً نعت لمصدر محذوف تقديره مصاحباً معروفاً. وفي الآية دليل على جواز بر الأم الكافرة أو الأب لحديث أسماء إذ قالت يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها؟ قال نعم، ووالدة أسماء هي قتيلة بنت عبد العزى والدة عائشة هي أم رومان قديمة الإسلام.

وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم والآية نزلت في سعد ابن أبي وقاص حيث أمرته أمه أن يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وذلك قبل إسلامها وبذلت جهداً كبيراً في مراودة ابنها سعد رضي الله عنهما وقوله ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي جميعاً فأنبئكم بما كنتم تعملون وأجزئكم بعملكم الخير بالخير والشر بالشر فاتقوني بطاعتي وتوحيدي والإنابة إليَّ في كل أموركم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير التوحيد والتنديد بالشرك .
- (٢) بيان الحكمة وهي شكر الله تعالى بطاعته وذكره إذ لا يشكر إلا عاقل فقيه .
- (٣) مشروعية الوعظ والإرشاد للكبير والصغير والقريب والبعيد .
- (٤) التهويل في شأن الشرك وإنه لظلم عظيم .
- (٥) بيان مدة الرضاع وهي في خلال العامين لا تزيد .
- (٦) وجوب بر الوالدين وصلتهما .
- (٧) تقرير مبدا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق بعدم طاعة الوالدين في غير المعروف .
- (٨) وجوب اتباع سبيل المؤمنين من أهل السنة والجماعة وحرمة اتباع سبيل أهل البدع والضلالة .

يَبْنِيْ اِيْتَاهَا اِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ

خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمٰوٰتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يٰٓاَيُّهَا

(١) الآية عامة في سائر المؤمنين فعلى كل مؤمن اتباع الصالحين في كل زمان ومكان والافتداء بهم وعليه مجانية أهل الضلال والفسق والمصيان وعدم اتباعهم في باطلهم وضلالهم وفسقهم وعصيانهم .

(٢) روى أن سفيان بن عيينة قال من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما .

(٣) صح الحديث بلفظ إنما الطاعة في المعروف ولفظ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقْمِرَ الصَّكْلَوَةَ وَأَمْرًا
بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ
مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- إنها إن تك مثقال حبة : أي توجد زنة حبة من خردل .
فتكن في صخرة : أي في داخل صخرة من الصخور لا يعلمها أحد .
لطيف خبير : أي لطيف باستخراج الحبة خبير بموضعها حيث كانت .
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر : أي أمر الناس بطاعة الله تعالى ، وانهم عن معصيته .
من عزم الأمور : أي مما أمر الله به عزمًا لا رخصة فيه .
ولا تصعر خدك للناس : أي ولا تعرض بوجهك عن تكلمه تكبراً .
مرحاً : أي مختالاً تمشي خيلاء .
مختال فخور : أي متبختر فخور كثير الفخر مما أعطاه الله ولا يشكر .
واقصد في مشيك : أي إئتد ولا تعجل في مشيتك ولا تستكبر .
واغضض من صوتك : أي اخفض من صوتك وهو الاقتصاد في الصوت .
إن أنكر الأصوات : أي أقبح الأصوات وأشدّها نكارة عند الناس لأن أوله زفير
وآخره شهيق .

معنى الآيات

ما زال السياق الكريم في قصص لقمان عليه السلام فقال تعالى مخبراً عن لقمان بقوله
لابنه ثاران ﴿يا بني﴾ إنها إن تك مثقال حبة من خردل ﴿١٦﴾ أي إن تك زنة حبة من خردل من

(١) تكرير النداء حكمته تجديد نشاط السماع وقرأ نافع مثقال بالرفع على انه فاعل تك وكان التي مضارعها تك تامة وقرأ
حفص مثقال بالفتح على أن كان ناقصة ومثقال خبرها وقوله انها أي القصة أو الحالة المسؤول عنها .
(٢) روي أن ناران بن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يقابلها الله؟ فقال لقمان يا بني إنها
إن تك مثقال حبة الخ . . فما زال ابنه يضطرب حتى مات قاله مقاتل رحمه الله .

خير أو شر من حسنة أو سيئة ﴿فتكن في صخرة^(١) أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ ويحاسب عليها ويجزي بها، ﴿إن الله لطيف﴾ أي باستخراجها ﴿خير﴾ بموضعها وعليه فاعمل الصالحات واجتنب السيئات وثق في جزاء الله العادل الرحيم هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٦) أما الآية الثانية (١٧) فقد تضمنت أمر ولده بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في ذلك فقال له ما أخبر تعالى به عنه في قوله : ﴿يا بني أتم الصلاة﴾ أي أدها بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، ﴿وأمر بالمعروف﴾ أي بطاعة الله تعالى فيما أوجب على عباده ﴿وانه عن المنكر﴾ أي عما حرم الله تعالى على عباده من اعتقاد أو قول أو عمل . ﴿واصبر على ما أصابك﴾ من أذى ممن تأمرهم وتنهاهم ، وقوله ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ أي إن إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في ذات الله من الأمور الواجبة التي هي عزائم وليست برخص . وقوله تعالى ﴿ولا تصغر خدك للناس﴾^(٢) هذا مما قاله لقمان لابنه نهاه فيه عن خصال ذميمة محرمة وهي التكبر على الناس بأن يخاطبهم وهو معرض عنهم بوجهه لا وعنقه، وهي مشية المرح والاختيال والتبختر، والفخر بالنعم مع عدم شكرها وقوله تعالى ﴿إن الله لا يحب كل مختال^(٣) فخور﴾ هذا مما قاله لقمان لابنه لما نهاه عن التكبر والاختيال والفخر أخبره أن الله تعالى لا يحب من هذه حاله حتى يتجنبها ولده الذي يعظه بها وبغيرها وقوله في الآية (١٩) ﴿واقصد في^(٤) مشيك﴾ أي إمش متثدأ في غير عجلة ولا إسراع إذ الاقتصاد ضد الإسراف . وقوله : ﴿واغضض من صوتك﴾ أمره أن يقتصد في صوته أيضاً فلا يرفع صوته إلا بقدر الحاجة . كالمقتصد لا يخرج درهمه إلا عند الحاجة ويقدرها وقوله ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ ذكر هذه الجملة لينفره من رفع صوته بغير حاجة فذكر له أن أقيح الأصوات صوت الحمير^(٥) لأنه عال مرتفع وأوله زفير وآخره

(١) قيل أن الصخرة تكون تحت الأرض السابعة لأنها ليست في السماء ولا في الأرض .

(٢) الصعر الميل ومنه قول الشاعر:

وكننا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ميله فتقوم

والصعر كالصبيد داء يصيب الإبل فتلوي منه أعناقها .

(٣) شاهده في الحديث الصحيح لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا . ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، فقوله ولا تدابروا يشمل تصغير الوجه أي ميله .

(٤) المختال ذو الخيلاء قال ﷺ من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة والفخور هو الذي يعدد ما أعطى ولا يشكر الله تعالى (قاله مجاهد) .

(٥) ما روى أن النبي ﷺ كان إذا مشى أسرع فإنما أريد به السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت المظهر للمسكنة والذلة .

(٦) بالحمار يضرب المثل في البلادة وينهى عن رفع الصوت لغير حاجة حتى لا يكون صوت المتكلم كصوت الحمار الممقوت والحمار إذا نهق فإنه رأى شيطاناً كما في الحديث ، وركبه النبي ﷺ تواضعاً ، وقيل نهيق الحمار دعاء عن الظلمة .

شهيق . هذا آخر ما قص تعالى من نبا لقمان العبد الصالح عليه السلام .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) وجوب مراقبة الله تعالى وعدم الاستخفاف بالحسنة والسيئة مهما قلت وصغرت .

(٢) وجوب إقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ما يلحق الأمر والناهي من أذى .

(٣) حرمة التكبر والاختيال في المشي ووجوب القصد في المشي والصوت فلا يسرع ولا يرفع صوته إلا على قدر الحاجة .

الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات

ألم تروا

: أي ألم تعلموا أيها الناس .

سخر لكم ما في السموات : أي من شمس وقمر وكواكب ورياح وأمطار لمنافعكم .

وما في الأرض : أي من أشجار وأنهار وجبال وبحار وغيرها .

وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة : أي أوسع وأتم عليكم نعمه ظاهرة وهي الصحة وكمال

الخلق وتسوية الأعضاء .

وباطنة

: أي المعرفة والعقل .

من يجادل في الله : أي يخاصم في توحيد الله مُنكراً له مكذباً به .

بغير علم : أي بدون علم عنده من وحي ولا هو مستفاد من دليل عقلي .

ولا هدى ولا كتاب منير : أي سنة من سنن الرسل ، ولا كتاب إلهي منير واضح بين .

أو لو كان الشيطان : أي يتبعونهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم إلى موجب عذاب السعير من الشرك والمعاصي .

معنى الآيات

عاد السياق بعد نهاية قصة لقمان إلى خطاب المشركين لهدايتهم فقال تعالى ﴿ ألم تروا ﴾ أيها الناس الكافرون بالله وقدرته ورحمته أي ألم تعلموا بمشاهدتكم ﴿ أن الله سخر لكم ﴾ أي من أجلكم ﴿ ما في السموات ﴾ من شمس وقمر وكواكب ومطر، وسخر لكم ما في الأرض من أشجار وأنهار وجبال ووهاد وبحار وشتى الحيوانات ومختلف المعادن كل ذلك لمنافعكم في مطاعمكم ومشاربكم وكل شؤون حياتكم، ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ﴾ أي أوسعها وأتمها نعم الإيجاد ونعم الإمداد حال كونها ظاهرة كحسن الصورة وتناسب الأعضاء وكمال الخلق ، وباطنة كالعقل والإدراك والعلم والمعرفة وغير ذلك مما لا يحصى ولا يعد، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ومع هذا البيان والإنعام والاستدلال على الخالق بالخلق وعلى المنعم بالنعم فإن ناساً يجادلون^(١) في توحيد الله وأسمائه وصفاته ووجوب طاعته واطاعة رسوله بغير علم من وحي ولا استدلال من عقل، ولا كتاب منير واضح بين يحتاجون به ويجادلون بأدلته .

وقوله تعالى ﴿ وإذا قيل ﴾ أي لأولئك المجادلين في الله بالجهل والباطل ﴿ اتبعوا ما أنزل الله ﴾ أي على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من هدى ، قالوا لا ، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عقائد وثنية وتقاليد جاهلية ، قال تعالى : ﴿ أو لو كان الشيطان يدعوهم ﴾ أي أتبعون آباءهم ولو كان الشيطان يدعو آباءهم ﴿ إلى عذاب السعير ﴾ أي النار المستعرة الملتهبة والجواب لا ، ولكن اتبعوهم فسوف يردون معهم النار وبئس المورد .

(١) ذكر نعم الله الموجبة لشكره بعبادته وحده وترك عبادة من سواه .

(٢) قرأ نافع وحفص نعمه بالجمع وقرأ آخرون بالإفراد نعمته وهي داله على الجمع لأنها اسم جنس دال على متعدد بدليل قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .

(٣) عن ابن عباس أن النعم الظاهرة الإسلام وما حسن من الخلق والباطنة ما ستر على العبد من سيء العمل وقيل النعم الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل .

(٤) قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم أي بغير حجة نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو فجاءت صاعقة فأخذته قاله مجاهد .

(٥) هذا عام في اليهودي السائل وفي المشركين الذين طالما سألوا وجادلوا النبي ﷺ بجهلهم وتقليد آباؤهم وهم من أجهل الناس .

هداية الآيات

من هداية الآيات

- (١) تعيين الاستدلال بالخلق على الخالق وبالنعمة على المنعم .
- (٢) وجوب ذكر النعم وشكرها لله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .
- (٣) حرمة الجدل بالجهل ودون علم .
- (٤) حرمة التقليد في الباطل والشر والفساد كتقليد بعض المسلمين اليوم للكفار في عاداتهم وأخلاقهم ومظاهر حياتهم .

❖ وَمَنْ يُسَلِّمْ

وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
وَالِىَ اللَّهُ عَقِبَةَ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنُكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- ومن يسلم وجهه إلى الله : أي أقبل على طاعته مخلصاً له العبادة لا يلتفت إلى غيره من سائر خلقه .
- وهو محسن : أي والحال انه محسن في طاعته اخلاصاً واتباعاً .
- فقد استمسك بالعروة الوثقى : أي تعلق بأوثق ما يتعلق به فلا يخاف انقطاعه بحال .
- والى الله عاقبة الأمور : أي مرجع كل الأمور إلى الله سبحانه وتعالى .
- نمتعهم قليلاً : أي متاعاً في هذه الدنيا قليلاً إي إلى نهاية آجالهم .
- ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ : أي ثم نلجئهم في الآخرة إلى عذاب النار والغليظ :

الثقيل .

قل الحمد لله : أي إحمد الله على ظهور الحجة بأن تقول الحمد لله .
لا يعلمون : أي من يستحق الحمد والشكر ومن لا يستحق لجهلهم .
معنى الآيات

بعد إقامة الحجة على المشركين في عبادتهم غير الله وتقليدهم لأبائهم في الشرك والشر والفساد قال تعالى مرغباً في النجاة داعياً إلى الإصلاح : ﴿ومن يُسلم وجهه إلى الله﴾^(١) أي يقبل بوجهه وقلبه على ربه يعبدُهُ مُتَذَلِّلاً له خاضعاً لأمره ونهيه . ﴿وهو محسن﴾ أي والحال أنه محسن في عبادته اخلاصاً فيها لله ، واتباعاً في أدائها لرسول الله ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي قد أخذ بالطرف الأوثق فلا يخاف انقطاعاً أبداً وقوله تعالى : ﴿والى الله عاقبة الأمور﴾ يخبر تعالى أن مردَّ الأمور كلها لله تعالى يقضي فيها بما يشاء فليفُوض العبد أموره كلها لله إذ هي عائدة إليه فيتخذ بذلك له يداً عند ربه ، وقوله لرسوله : ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾ أي أسلم وجهك لربك وفوض أمرك إليه متوكلاً عليه ومن كفر من الناس فلا يحزنك كفره أي فلا تكثر به ولا تحزن عليه ﴿إلينا مرجعهم﴾ أي فإن مردهم إلينا بعد موتهم ونشورهم ﴿فننصهم بما عملوا﴾ في هذا الدار من سوء وشر ونجزيمهم به . ﴿إن الله عليم بذات الصدور﴾ أي بما تكنه وتخفيه من اعتقادات ونيات وبذلك يكون الحساب دقيقاً والجزاء عادلاً . وقوله تعالى : ﴿نمتهم قليلاً﴾ أي نمهل هؤلاء المشركين فلا نعالجهم بالعقوبة فيمتعون مدة آجالهم وهو متاع قليل ﴿ثم نضطرهم﴾ بعد موتهم ونشرهم ﴿إلى عذاب غليظ﴾ أي نلجئهم إلى عذاب غليظ ثقيل لا يحتمل ولا يطاق وهو عذاب النار . نعوذ بالله منها ومن كل عمل يؤدي إليها وقوله تعالى في الآية (٢٥) ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ أي ولئن سألت يارسلونا هؤلاء المشركين قائلين لهم : من خلق السموات والأرض لبادرنا

(١) أسلم وسلم بمعنى ، إلا أن التضعيف للكثير وعدي باللام نحو قول أسلمت وجهي لله ، وعدي مرة بالى قال القرطبي معناه مع اللام أنه جعل وجهه وموالاته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له ومعناه مع إلى راجع إلى أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه والمراد التوكيل عليه والتفويض إليه .

(٢) قرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي يحزنك وقرأ حفص يحزنك بفتح الباء وضم الزاي يحزنك فالأولى مضارع احزنه يحزنه كأعلم يعلمه والثاني مضارع حزنه كنصره ينصره .

(٣) الجملة تعليلية لما سبقها من أحكام .

(٤) جملة نمتهم قليلاً مستأنفة استثنافاً بياناً كأن سائلاً يقول ما الذي يترتب على علمه تعالى بذات الصدور فالجواب أنه يمتهم قليلاً ثم يضطرهم إلى عذاب غليظ .

بالجواب قائلين الله إذا قل الحمد لله على إقامة الحجة عليكم باعترافكم، وما دام الله هو الخالق الرازق كيف يعبد غيره أو يعبد معه سواه أين عقول القوم؟ وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي لا يعلمون موجب الحمد ولا مقتضاه، ولا من يستحق الحمد ومن لا يستحقه لأنهم جهلة لا يعلمون شيئاً. وقوله تعالى: ﴿الله ما في السموات والأرض﴾ أي خلقا وملكا وعبيدا ولذا فهو غني عن المشركين وعبادتهم فلا تحزن عليهم ولا تبال بهم عبدوا أو لم يعبدوا ﴿إن الله هو الغني﴾ عن كل ماسواه ﴿الحميد﴾ أي المحمود بعظيم فعله وجميل صنعه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات

(١) بيان نجات أهل لا إله إلا الله وهم الذين عبدوا الله وحده بما شرع لهم على لسان رسوله محمد ﷺ

(٢) تقرير عقيدة البعث والجزاء.

(٣) بيان أن المشركين من العرب موحدون في الربوبية مشركون في العبادة كما هي حال الناس اليوم يعتقدون أن الله رب كل شيء ولا رب سواه ويذبحون وينذرون ويحلفون بغيره، ويخافون غيره ويرهبون سواه. والعياذ بالله.

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ

مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرِ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
 مَا نَفَدْتَ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ
 وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٤٨﴾

شرح الكلمات:

ولو أن ما في الأرض: أي من شجرة.

أقلام: أي يكتب بها.

والبحر: أي المحيط.

يمده سبعة أبحر: أي تمده

ما نفذت كلمات الله: أي ما انتهت ولا نقصت.

إن الله عزيز حكيم : أي عزيز في انتقامه غالب على ما أرادته حكيم في تدبير خلقه .
ما خلقكم ولا بعثكم : أي ما خلقكم ابتداءً ولا بعثكم من قبوركم إعادة لكم إلا كخلق
وبعث نفس واحدة .

معنى الآيتين

قوله تعالى ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ أي لو أن شجر الأرض كله قطعت
أغصانه شجرة شجرة حتى لم تبقى شجرة ورُيت أقلاماً، والبحر المحيط صار مداداً ومن
ورائه سبعة أبحر أخرى تحولت إلى مداد وتمد البحر الأول وكُتب بتلك الأقلام وذلك
المداد كلمات الله لنفد البحر والأقلام ولم تنفد كلمات الله ، وذلك لأن الأقلام والبحر
متناهية ، وكلمات الله غير متناهية فعلم الله وكلامه كذاته وصفاته لا تتناهى بحال، نزلت
هذه الآية رداً على اليهود لما قيل لهم ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قالوا وكيف هذا
وقد أوتينا التوراة فيها تبيان كل شيء . كما نزل رداً على أبي بن خلف قوله تعالى : ﴿ما
خلقكم﴾ ولا بعثكم إلا كنفس واحدة^(١) إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف يخلقنا الله
خلقاً جديداً في يوم واحد ليحاسبنا ويجزينا، ونحن خلقنا اطواراً وفي قرون عديدة فأنزل
تعالى قوله ﴿ما خلقكم ولا بعثكم﴾ إلا كخلق وبعث نفس واحدة ﴿إن الله سميع بصير﴾ فكما يسمع
المخلوقات ولا يشغله صوت عن صوت، وبُصيرهم ولا تحجبه ذات عن ذات كذلك هو يبعثهم
في وقت واحد ولو أراد خلقهم جملة واحدة لخلقهم لأنه يقول للشيء كن فيكون .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

- (١) بيان سعة علم الله تعالى وأنه تعالى متكلم وكلماته لا تنفد بحال من الأحوال .
- (٢) بيان أن ما أوتيته الإنسان من علوم ومعارف ما هو بشيء إلى علم الله تعالى .

(١) قيل في سبب هذه الآية المدنية على رأي ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود قالوا: يا محمد كيف عنتنا بهذا القول
(وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) ونحن قد أوتينا التوراة فيها كلام الله وأحكامه وعندك أنها تبيان كل شيء . فقال الرسول ﷺ
التوراة قليل من كثير ونزلت هذه الآية .

(٢) من شجرة من بيانية وفي التعبير بلو: دلالة على أن مضمون الكلام افتراضي ، ولكن لو كان المفترض لما يخرج عما
أخبر تعالى به وهو نفاد الأقلام والمداد وبقاء كلام الله تعالى لأن المراد من الكلمات كلام الله تعالى .

(٣) في الآية إيجاز بالحذف إذ التقدير ما خلقكم إلا كخلق نفس واحدة ولا بعثكم إلا كبعث نفس واحدة .

(٤) ما خلقكم فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب .

(٥) جملة إن الله سميع بصير صالحة لأن تكون تعليلية أو استثنائية بيانية .

- (٣) بيان قدرة الله تعالى وانها لا تحد ولا يعجزها شيء .
 (٤) إثبات صفات الله كالعزة والحكمة والسمع والبصر .

الْمَ تَرَأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ الْمَ تَرَأَنَّ
 الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ
 كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ
 فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ

﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- الم تر : أي ألم تعلم أيها المخاطب .
 ان الله يولج الليل في النهار : أي يدخل جزءاً منه في النهار، ويدخل جزءاً من النهار في الليل بحسب الفصول .
 وسخر الشمس والقمر : يسبحان في فلكيهما الدهر كله لا تكلان إلى يوم القيامة وهو الأجل المسمى لهما .
 ذلك بأن الله هو الحق : أي ذلك المذكور من الإيلاج والتسخير بسبب أن الله هو الإله الحق .

وأن ما يدعون من دونه الباطل : أي وأن ما يدعون من دونه من آلهة هي الباطل .
 بنعمت الله : أي بإفضاله على العباد وإحسانه إليهم حيث هيأ أسباب جريها .

لكل صبارٍ شكور	: أي صبار عن المعاصي شكور للنعم .
وإذا غشيهم موج	: أي علاهم وغطاهم من فوقهم .
كالظلل	: أي كالجبال التي تظلل من تحتها .
فمنهم مقتصد	: أي بين الكفر والإيمان بمعنى معتدل في ذلك ما آمن ولا كفر .
كل ختار كفور	: أي غدار كفور لنعم الله تعالى .

معنى الآيات

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال الشرك والكفر قال تعالى ﴿ألم تر﴾ ^(١) أي ألم تعلم أيها النبي أن الله ذا الألوهية على غيره ﴿يولج الليل في النهار﴾ بإدخال جزء منه في النهار ﴿ويولج النهار في الليل﴾ بإدخال جزء منه في الليل وذلك بحسب الفصول السنوية ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ^(٢) يسبحان في فلكيهما المنافع الناس إلى أجل مسمى أي إلى وقت محدد معين عنده سبحانه وتعالى وهو يوم القيامة، وأن الله تعالى بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم صالحها وفاسدها وسيجزيكم بها وقوله ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي ذلك الإيلاج لليل في النهار والنهار في الليل وتسخير الشمس والقمر، وعلم الله تعالى بأعمال العباد ومجازاتهم عليها قاطع لكل شك بأن الله هو إله الحق، وأن ما يدعون من دونه من أوثان هو الباطل ^(٣)، وقاطع بأن الله تعالى ذا الألوهية الحقة هو العلي الكبير أي ذو العلو المطلق الكبير الذي ليس شيء أكبر منه إذ هو رب كل شيء ومالكة والقاهر له والمتحكم فيه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله تعالى ﴿ألم تر﴾ يا محمد ﴿أن الفلك﴾ أي السفن ﴿تجري في البحر بنعمت الله﴾ تعالى على خلقه حيث يسر لها أسباب سيرها وجريها في البحر وهي تحمل السلع والبضائع

(١) ألم تر: الاستفهام تقريرى بالنسبة إلى الرسول ﷺ وهو إنكارى بالنسبة إلى غيره ينكر على أهل الغفلة غفلتهم وأهل الإعراض عن النظر إعراضهم إذ لو نظروا وفكروا لاهتدوا إلى توحيد الله وبعثه عباده للحساب والجزاء يوم القيامة .

(٢) قال القرطبي: ذللهما بالطلع والآنول تقديراً للاجال، وإتماماً للمنافع والآية في تقرير التوحيد بذكر مظاهر علم الله وقدرته وحكمته .

(٣) جائز أن يكون المراد بالباطل الشيطان إذ هو الذي زين عبادة الأصنام والأوثان وأمرهم بها فلذا أطلق لفظ الباطل عليه .

والأقوات من إقليم إلى إقليم وهي نعم كثيرة. سخر ذلك لكم ليرىكم^(١) من آياته الدالة على ربوبيته وألوهيته وهي كثيرة تتجلى في كل جزء من هذا الكون. وقوله ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي علامات ودلائل على قدرة الله ورحمته وحكمته وهي موجبات عبادته وتوحيده فيها، وقوله ﴿لكل صبار شكور﴾^(٢) أي فيها عبرة لكل عبد صبور على الطاعات صبور عن المعاصي صبور عما تجرى به الأقدار شكور لنعم الله تعالى جليلها وصغيرها أما غير الصبور الشكور فإنه لا يجد فيها عبرة ولا عظة.

وقوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالثقل﴾ أي إذا غشي المشركين موج وهم على ظهر السفينة فخافوا ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ أي دعوا الله وحده ولم يذكروا آلهتهم. فلما نجاهم بفضله ﴿إلى البر﴾ فلم يفرقوا ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي في إيمانه وكفره لا يُغالي في كفره ولا يعلن عن إيمانه. وقوله ﴿وما يجحد بآياتنا﴾^(٥) القرآنية والكونية وهي مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لألوهيته ﴿إلا كل ختار﴾ أي غدار بالعهود ﴿كفور﴾ للنعم لا خير فيه البتة والعياذ بالله تعالى من أهل الغدر والكفر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

(١) تقرير التوحيد وإبطال الشرك بذكر الأدلة المستفادة من مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته.

(٢) فضيلة الصبر والشكر والجمع بينهما خير من افتراقهما.

(٣) بيان أن المشركين أيام نزول القرآن كانوا يوحدون في الشدة ويشركون في الرخاء.

(١) من آياته من للتبعض من بعض آياته ما يشاهدون به مظاهر قدرة الله ولطفه ورحمته. قال الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الأرض الطرق ومفتاح السماء الدعاء.

(٢) صبار صيغة مبالغة كثر الصبر وشكور كذلك كثير الشكر قال بعضهم صبار لقضائه، شكور على نعمائه وما في التفسير أعم وأشمل روى أن الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر.

(٣) الظلل جمع ظلة وهو ما أظل من سحاب.

(٤) فسر هذا اللفظ بعدة تفسيرات منها مؤوف بما عاهد الله عليه في البحر قال الحسن مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة، وقال مجاهد مقتصد في القول مضمحل للكفر وقيل في الكلام حذف والمعنى فممنهم مقتصد ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله: وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور. وما في التفسير أشمل وأسلم.

(٥) قال القرطبي جحد الآيات إنكار أعينها والجدد بالآيات إنكار دلائلها.

(٦) الختر الغدر وجحود الفضل وفعله ختر كضرب يختر قال عمرو بن معد يكرب:

فإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وخر

وقال الأعشى

بالبلق الفردي من تيماء منزله حصن حصين وجار غير ختار

٤) شر الناس الختار أي الغدار الكفور.

٥) ذم الختر وهو أسوأ الغدر وذم الكفر بالنعم الإلهية.

يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ
عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ
الْفُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات

- اتقوا ربكم : أي خافوا فآمنوا به واعبدوه وحده تنجوا من عذابه .
واخشوا يوما : أي خافوا يوم الحساب وما يجري فيه .
لا يجزي والد عن ولده : أي لا يغني والد فيه عن ولده شيئا .
إن وعد الله حق : أي وعد الله بالحساب والجزاء حق ثابت لا محالة هو
كائن .
لا تغرنكم الحياة الدنيا : أي فلا تغتروا بالحياة الدنيا فإنها زائلة فأسلموا تسلموا .
ولا يغرنكم بالله الفرور : أي الشيطان يغتنم حلم الله عليكم وإمهاله لكم
فيجسركم على المعاصي ويسوفكم في التوبة .
وينزل الغيث : أي المطر .
ويعلم ما في الأرحام : أي من ذكر أو أنثى ولا يعلم ذلك سواه .
ماذا تكسب غدا : أي من خير أو شر والله يعلمه .

معنى الآيتين الكریمتین

هذا نداء عام لكل البشر يدعوهم فيه ربهم تعالى ناصحاً لهم بأن يتقوه بالإيمان به وبعبادته وحده لا شريك له وأن يخشوا يوماً عظيماً فيه من الأهوال والعظائم ما لا يقادر قدره بحيث لا يجزي فيه والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إذ كل واحد لا يريد إلا نجاة نفسه فيقول نفسي نفسي وهذا لشدة الهول يوم لا يغني أحد عن أحد شيئاً ولو كان أقرب قريب، وهو يوم أت لا محالة حيث وعد الله به الناس ووعد الله حق والله لا يخلف الميعاد، ويقول لهم بناءً على ذلك ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ بملاذها وزخارفها وطول العمر فيها، ﴿ولا يغرنكم بالله﴾ ذي الحلم والكرم ﴿الغرور﴾ أي الشيطان من الإنس أو الجن يحملكم على تأخير التوبة ومزاولة أنواع المعاصي بتزيينها لكم وترغيبكم فيها فانتبهوا فإن الموت لا بُد منه وقد يأتي فجأة فالتوبة التوبة يا عباد الله هذه نصيحة الرب تبارك وتعالى لعباده فهل من مستجيب؟ هذا ما دلّت عليه الآية الأولى (٣٣).

أما الآية الثانية (٣٤) فالله جل جلاله يخبر عباده بأنه استقل بعلم الساعة متى تأتي والقيامة متى تقوم وليس لأحد أن يعلم ذلك كائناً من كان وهذه حال تتطلب من العبد أن يعجل التوبة ولا يؤخرها، كما استقل تعالى بعلم وقت نزول المطر في يوم أو ليلة أو ساعة من ليل أو نهار، ويعلم ما في الأرحام الإناث من ذكر أو أنثى أو أبيض أو أحمر أو أسود ومن طول وقصر ومن إيمان أو كفر ولا يعلم ذلك سواه ويعلم ما يكسب كل إنسان في غده من خير أو شر أو غنى أو فقر، ويعلم أين تموت كل نفس من بقاع الأرض وديارها ولا

(١) فإن قيل لقد ثبت بالسنة ما ظاهره خلاف هذا فقد قال ﷺ من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحلة القسم، وقال من ابتلى بشيء من هذه البنات فأحسن إليهن كن له حجاً من النار فالجواب أن المراد بالآية أن الولد لا يحمل ذنب والده وأن الولد لا يحمل ذنب ولده، وأما موت الأولاد فأجر المصيبة مع الصبر والاحتساب هو الذي منع الوالد من دخول النار كما أن تربية البنات والإحسان إليهن جعل الله تعالى جزاءه النجاة من النار فليس في الحديث أن الولد يجزي عن والده ولا الوالد يجزي عن ولده.

(٢) ولا مولود: مبتدأ وهو ضمير فصل والخبر جاز مرفوع بضمّة مقدرة على حرف العلة المحذوف للتخفيف، وذكر الولد والوالد لأنهما أشد شفقة على بعضهما ورحمة وحمية من غيرهما.

(٣) الغرور بالفتح (الفعول) من أمثلة المبالغة أي كثير التفرير بالإنسان وهو الشيطان عليه لعائن الرحمن والغرور الخداع بما ظاهره حسن وباطنه ضرر.

(٤) قال مقاتل هذه الآية نزلت في رجل من أهل البادية اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة أتى النبي ﷺ فقال إن امرأتى حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ ولقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت؟ وقد علمت ما عملت اليوم فأخبرني ماذا أعمل غداً؟ وأخبرني متى تقوم الساعة؟ فأنزل الله تعالى الآية.

(٥) روى أن النبي ﷺ قال: إذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ الرسول ﷺ إن الله عنده علم الساعة الخ الآية.

(١) يعلم ذلك إلا الله ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [مفاتيح الغيب خمسة وقرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ «في الصحيح»
وقوله إن الله عليم أي بكل شيء وليس بهؤلاء الخمسة فقط خبير بكل شيء من دقيق أو جليل من ذوات وصفات وأحوال وبواطن الأمور كظواهرها وبهذا وجب أن يُعبد وحده بما شرع من أنواع العبادات التي هي سُلم النجاح ومرقى الكمال والإسعاد في الدارين

هداية الأيتين :

من هداية الأيتين :

- ١) وجوب تقوى الله عز وجل بالإيمان به وتوحيده في عبادته .
- ٢) تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٣) التحذير من الاغترار بالحياة الدنيا، والتحذير من الشيطان أي من اتباعه والاغترار بما يُزينه ويحسنه من المعاصي .
- ٤) بيان مفاتيح الغيب الخمسة واختصاص الرب تعالى بمعرفتها .
- ٥) كل مدع لمعرفة الغيب من الجن والإنس فهو طاغوت يجب لعنه ومعاداته .
- ٦) ما ادّعى اليوم من أنه بواسطة الآلات الحديثة قد عرف ما في رحم المرأة فهذه المعرفة ليست داخلية في قوله تعالى ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ لأنها بمثابة من فتح البطن ونظر ما فيه فقال هو كذا وذلك لوجود أشعة عاكسة أما المنفي عن كل حد إلا الله أن يقول المرء: إن في بطن امرأة فلان ذكراً أو أنثى ولا يقرب منها ولا يجربها في ولادتها السابقة، ولا يحاول أن يعرف ما في بطنها بأية محاولة .

(١) في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة) الآية وفي رواية أبي هريرة (وخمس لا يعلمهن إلا الله وعلّة تسميتها مفاتيح الغيب أنها من أمور الناس المغيبة عنهم فإذا وقعت كان وقوعها كفتح مغلقة بمفتاح فالإنسان قد يعرف متى يصلي متى يسافر متى يتزوج أما هذه الخمسة فلا علم له بها أبداً حتى يفتح الله بابها ويظهرها .

(٢) المفاتيح جمع مفتاح آلة الفتح والمعنى أن هذه الأمور الخمسة وهي متعلقة بالإنسان لا يظهرها إلى الوجود ولا يفتح مغلقتها الغيبية إلا الله جل جلاله إذ بيده مفاتيحها .

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكية^(١)

وآياتها ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأَرِيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
 مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا
 تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

شرح الكلمات
آلم

: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب آلم، ويقرأ ألف لام

ميم

: أي لا شك في أنه نزل من رب العالمين .	لا ريب فيه
: أي بل يقولون أي المشركون اختلقه وكذبه .	أم يقولون افتراه
: أي من زمن بعيد وهم قريش والعرب .	قوما ما أتاهم من نذير
: أي بعد ضلالهم إلى الحق الذي هو دين الإسلام .	لعلهم يهتدون
: هي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .	في ستة أيام

ثم استوى على العرش : أي استوى على عرشه يدير أمر خليقته .

(١) وتسمى سورة آلم السجدة، وتنزل السجدة وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان يصلي بها الصبح يوم الجمعة يقرأ في الركعة الأولى بالفاتحة والسجدة والثانية بالفاتحة وسورة الإنسان كما ورد أنه كان يقرأها مع سورة الملك عند النوم وفي كل منهما ثلاثون آية .

من ولي ولا شفيع : أي ليس لكم أيها المشركون من دون الله ولي يتولاكم ولا شفيع يشفع لكم .

أفلا تتذكرون : أي أفلا تتعظون بما تسمعون فتؤمنوا وتوحدوا .

معنى الآيات

قوله تعالى ﴿آلَمْ﴾ هذه الحروف المقطعة في فواتح عدة سور الأسلم أن لا تؤول ويكتفى فيها بقول الله أعلم بمراده بها . وقد اخترنا من أقاويل المفسرين أنها أفادت فائدتين : الأولى أنه لما كان المشركون من قريش في مكة ينعون سماع القرآن مخافة أن يتأثر السامع به فيؤمن ويوحّد فكانت هذه الحروف تستهويهم بنغمها الخاص فيستمعون فينجذبون ويؤمن من شاء الله إيمانه وهدايته والثانية بقريته ذكر الكتاب بعدها غالباً : أن هذا القرآن الكريم قد تألف من مثل هذه الحروف آلم ، طس ، حم ، ق فآلفوا أيها المكذبون سورة من مثله وآ فاعلموا أنه تنزيل من الله رب العالمين فلما عجزوا قامت عليهم الحجة ولم يبق شك في أنه تنزيل الله وكتابه أنزله على نبيه محمد ﷺ وقوله تعالى : ﴿تنزيل الكتاب﴾ أي القرآن الكريم ﴿لاريب فيه﴾ أي لا شك في أنه نزل من رب العالمين على محمد ﷺ . وليس بشعر ولا بسجع كهان ، ولا أساطير الأولين وقوله تعالى : ﴿أم يقولون افتراه﴾ أي بل يقولون افتراه محمد واختلقه وأتى به من تلقاء نفسه اللهم لا إنه لم يفتره ﴿بل هو الحق من ربك﴾ أي جاءك من ربك وحياً أوحاه إليك ، ﴿لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ وهم مشركوا العرب لتنذرهم بأس الله وعذابه إن بقوا على شركهم وكفرهم ، وقوله ﴿لعلهم يهتدون﴾ أي رجاء أن يؤمنوا ويوحّدوا فيهتدوا إلى الحق بعد ضلالهم فينجوا ويكملوا ويسعدوا وقوله : ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما﴾ أي من مخلوقات ﴿في ستة أيام﴾ من مثل أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة ولذا كانت الجمعة من أفضل الأيام ﴿ثم استوى على العرش﴾ عرشه سبحانه

(١) تنزيل مرفوع بالابتداء والخبر لا ريب فيه ، أو خبر على تقدير مبتدأ أي هذا تنزيل أو المتلو عليك تنزيل الكتاب ، ويكون لا ريب فيه محل نصب على الحال .

(٢) لا ريب فيه أي لما اشتمل من الإعجاز العلمي حيث عجز الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وعجز فصحاء العرب على الإتيان بسورة مثل سورة . ولما عرف به صاحبه الذي نزل عليه وجاء به وهو محمد ﷺ من الصدق الكامل حيث لم يكذب قط وقد أخبر أنه تنزيل الله رب العالمين .

(٣) أم هذه هي المنقطعة ولذا قدرت ببل والاستفهام في التفسير ، وصيغة المضارع (يقولون) لاستحضار الحالة الماضية إثارة للتعجب في نفس السامع .

(٤) النذير المعلم المخوف بعواقب الشرك والمعاصي والفساد والشرك ، والقوم الجماعة العظيمة الذين يجمعهم أمر يكون كالقوام لهم من نسب أو وطن أو غرض تجمعوا من أجله والمراد بهم عامة العرب في كل ديارهم شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً إذ فقدوا العلم الإلهي منذ قرون عدة .

(٥) سئل مالك رحمه الله تعالى عن الاستواء فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

وتعالى استوى استواء يليق به يدبر أمر مخلوقاته . الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما هو الذي أنزل الكتاب وأرسل الرسول وهو الإله الحق الذي لا إله غيره ولا رب سواه ما للعرب ولا للبشرية كلها من إله غيره ، وليس لها من غيره من ولي يتولاها بالنصر والإنجاء إن أراد الله خذلانها وإهلاكها ، وليس لها شفيع يشفع لها عنده إذا أراد الانتقام منها لشركها وشرها وفسادها وقوله : ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ فتعلموا أيها العرب المشركون أنه لا إله لكم إلا الله فتعبده وتوحدوه فتنجوا من عذابه وتكملوا وتسعدوا في دنياكم وآخرتكم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير النبوة المحمدية بتقرير أن القرآن تنزيل الله ووحيه أوحاه إلى رسوله .
- (٢) ابطال ما كان المشركون يقولون في القرآن بأنه شعر وسجع كهان وأساطير الأولين .
- (٣) بيان الحكمة من إنزال القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو الإنذار .
- (٤) بيان الزمان الذي خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما .
- (٥) إثبات صفة الاستواء على العرش لله تعالى .
- (٦) تقرير انه ما للبشرية من إله إلا الله وأنه ليس لها من دونه من ولي ولا شفيع فما عليها إلا أن تؤمن بالله وتعبده فتكمل وتسعد على عبادته .

يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ
عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ

(١) في نفي الشفيع رد على قول بعضهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله على تقدير انهم يبعثون يوم القيامة إذ قالوا : هؤلاء شفعاؤنا عند الله أو في قضاء حوائجهم في الدنيا .

مِنْ رُوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْتِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

شرح الكلمات :

- يدبر الأمر من السماء إلى الأرض: أي أمر المخلوقات طوال الحياة .
 ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره : أي يوم القيامة حيث تنتهي هذه الحياة وسائر شؤونها .
 ألف سنة مما تعدون : أي من أيام الدنيا .
 عالم الغيب والشهادة : أي ما غاب عن الناس ولم يروه وما شاهدوه ورأوه .
 بدأ خلق الإنسان من طين : أي بدأ خلق آدم عليه السلام من طين .
 من سلالة من ماء مهين : أي خلق ذرية آدم من علقة من ماء النطفة .
 ثم سواه ونفخ فيه من روحه : أي سوى الجنين في بطن أمه ونفخ فيه الروح فكان حياً .
 كما سوى آدم ايضاً ونفخ فيه من روحه فكان حياً .
 والأفتدة : أي القلوب .
 قليلاً ما تشكرون : أي ما تشكرون الله على نعمة الایجاد والامداد إلا شكراً قليلاً لا يوازي قدر النعمة .

معنى الآيات

ما زال السياق في تقرير التوحيد والتبوة والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة الإلهية ، فقوله تعالى ﴿يدبر الأمر﴾ أي أمر المخلوقات ﴿من السماء﴾ حيث العرش وكتاب المقادير ﴿إلى الأرض﴾ حيث تتم الحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع ، والغنى والفقر والحرب والسلم ، والعز والذل فالله تعالى من فوق عرشه يدبر أمر الخلائق كلها في عوالمها المختلفة ، وقوله ثم يعرج أي الأمر إليه في يوم كان مقداره ألف سنة^(١) مما يعد الناس اليوم من أيام هذه الدنيا . ومعنى ﴿يعرج إليه﴾ في يوم

(١) ورد في سورة الحج قوله تعالى ﴿وإن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون﴾ وفي هذه الآية ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ وفي سورة المعارج ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ، وقد كثرت أقوال أهل التفسير في تحديد هذه الأيام حتى قال ابن عباس أيام سماها الله سبحانه وما أدري ما هي ؟ فأكره أن أقول فيها مالا أعلم وأحسن ما يقال فيها أن اليوم الذي ذكر في سورة الحج هو عبارة عن الزمان وتقديره عند الله وأن يوم سورة المعارج هو يوم القيامة يوم الحساب وأن هذا اليوم هو آخر أيام الدنيا حيث ينتهي التدبير والتصرف لانقضاء الحياة الدنيا وهو كما ذكر تعالى .

القيامة أي يرد إليه حيث عم الكون الفناء ولم يبق ما يدبر في هذه الأرض لفنائها وفناء كل ما كان عليها. وقوله ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ أي ما غاب عن الناس وما حضر فشاهدوه أي العالم بكل شيء وقوله العزيز الرحيم: أي الغالب على مراده من خلقه الرحيم بالمؤمنين من عباده، وقوله ﴿الذي أحسن كل شي خلقه﴾ أي أحسن خلق كل مخلوق خلقه أي جود خلقه وأتقنه وحسنه. وقوله ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ أي وبدأ خلق آدم من طين وهو الإنسان الأول، ﴿ثم جعل نسله﴾ أي نسل الإنسان من ﴿سلالة﴾ وهي العلقة ﴿من ماء مهين﴾ وهو النطفة، وقوله ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ أي سوى آدم ونفخ فيه من روحه، كما سوى الإنسان في رحم أمه أي سوى خلقه ثم نفخ فيه من روحه فكان إنساناً حياً، وقوله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ أي القلوب أي لتسمعوا وتبصروا وتفقهوا لحاجتكم إلى ذلك لأن حياتكم تتطلب منكم مثل ذلك ومع هذه النعم الجليلة ﴿قليلاً ماتشكرون﴾ أي لا تشكرون إلا شكراً قليلاً.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- (١) بيان جلال الله وعظمته في تدبيره أمر الخلائق.
- (٢) بيان صفات الله تعالى من العلم والعزة والرحمة.
- (٣) بيان كيفية خلق الإنسان ومادة خلقه.
- (٤) شكر العباد - إن شكروا - لا يوازي نعم الله تعالى عليهم.
- (٥) وجوب شكر النعم بالاعتراف بها وذكرها وحمد الله تعالى عليها و صرفها في مرضاته.

وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي

خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوقَّكُمْ

مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

(١) ذلك اسم الإشارة عائد إلى اسم الجلالة أي ذلك الرب العظيم والإله الحكيم الذي خلق السموات والأرض وما بينهما المدبر للملكوت المتصرف في الموجودات هو عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم المستحق للعبادة والمحبة والخوف دون غيره من سائر المخلوقات.

(٢) قرأ نافع وحفص خلقه بصيغة الماضي وقرأ بعض خلقه بإسكان اللام على أنه مصدر خلق يخلق خلقاً وهو بدل اشتغال من كل شيء ومعنى أحسن أتقن وأحكم قال عكرمة: ليست أستاذ القرد بحسنة ولكنها متفنة محكمة.

(٣) المهين الممتن الذي لا يعاب به.

(٤) وجازت أن يكون المراد عدم شكرهم مطلقاً فهو كناية عن العدم توبيخاً لهم وتأنيباً.

شرح الكلمات

أثذا ضللنا في الأرض : أي غبنا فيها حيث فنيها وصرنا ترابا .
 أثنا لفي خلق جديد : أي أعود خلقاً جديداً بعد فنائنا واختلاطنا بالتراب .
 بل هم بقاء ربهم كافرون: أي لم يقف الأمر عند استبعادهم للبعث بل تعداه إلى كفرهم بقاء ربهم ، وهو الذي جعلهم ينكرون البعث .
 قل يتوفاكم ملك الموت : أي يقبض أرواحكم ملك الموت المكلف بقبض الأرواح .
 ثم إلى ربكم ترجعون : أي بعد الموت ، وما دمتم لا تمنعون أنفسكم من الموت سوف لا تمنعنها من الحياة فرجوعكم حتمي لا محالة .

معنى الآيتين

ما زال السياق في تقرير أصول العقيدة فأخبر تعالى عن منكري البعث فقال ﴿وقالوا﴾^(١) أي منكروا البعث الآخر ﴿أثذا ضللنا في الأرض﴾^(٢) أي غبنا فيها بحيث صرنا تراباً فيها ﴿أثنا لفي خلق جديد﴾ أي لعائدون في خلق جديد . وهذا منهم انكار للبعث واستبعاد له ، فقال تعالى مخبراً عن علة انكارهم للبعث وهي أنهم بقاء ربهم كافرون إذ لو كانوا يؤمنون بقاء الله الذي وعدهم به لما أنكروا البعث والحياة لذلك ، وقوله تعالى ﴿قل يتوفاكم﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء المنكرين للبعث ولقاء الرب تعالى : يتوفاكم عند نهاية آجالكم ﴿ملك الموت﴾ الذي وكله ربّه بقبض أرواحكم ، ﴿ثم إلى ربكم ترجعون﴾ بعد ذلك وما دمتم لا تدفعون الموت عن أنفسكم فكيف تدفعون الحياة عندما يريد الله منكم؟ وهل دفعتموها عندما كنتم عدماً فأوجدكم الله وأحياكم .

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١) تقرير عقيدة البعث والجزاء .

(١) الجملة استئناف لحكاية عقيدتهم في إنكار البعث والجزاء ليعلل لها بالعلة المناسبة ثم يقرر عقيدة البعث التي أنكروها وتعجبوا من حقيقتها بما هو لازم لها .

(٢) الاستفهام للتعجب والاستبعاد ، والضلال الدخول في الأرض والغياب فيها إذ كل ما غاب في شيء ولم يظهر له وجود يقال ضل فيه كما يضل الماء في اللبن والميت في القبر قال الحارث الغساني شعراً :

فأب مضلوه بعين جلية وغودر وبالجولان حزم ونائل

(مضلوه أي مغيبوه)

(٣) بل هم بقاء ربهم كافرون ، بل للإضراب عن كلامهم أي ليس إنكارهم البعث لاستبعاده واستحالاته لوجود الأدلة الواضحة على إمكانه بل وجوبه وإنما الباعث لهم على التكذيب به هو كفرهم التقليدي .

(٤) لم يرد اسم ملك الموت في القرآن غير أن أهل السنة على أن اسمه عزرائيل بمعنى عبد الله .

(٢) الذنب الذي هو سبب كل ذنب هو الكفر بقاء الله تعالى
 (٣) بيان أن لقبض الأرواح ملكاً وله أعوان من الملائكة وأن الأرض جعلت لملك الموت
 كالطست بين يديه يتناول منها ما يشاء .

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أُرُؤِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
 رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ
 ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىٰ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ
 مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾
 فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ
 وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

- إذ المجرمون : أي المشركون المكذبون بقاء ربهم .
 ناكسوا رؤوسهم : أي مطأطئوها من الحياء والذل والخزي .
 ربنا أبصرنا : أي ما كنا ننكر من البعث .
 وسمعنا : أي تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا .
 فارجعنا : أي إلى دار الدنيا .
 لاآتينا كل نفس هداها : أي لو أردنا هداية الناس قسراً بدون اختيار منهم لفعلنا .
 ولكن حق القول مني : أي وجب وهو لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين .
 إنا نسيناكم : أي تركناكم في العذاب .
 عذاب الخلد : أي العذاب الخالد الدائم .
 بما كنتم تعملون : من سيئات الكفر والتكذيب والشر والشرك .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحداثها وما يجري للمكذبين

(١) بها في الدار الآخرة قال تعالى: ﴿ولو ترى﴾ يارسولنا ﴿إذ المجرمون﴾ وهم الذين أجزموا على أنفسهم فدنسوها بالشرك والمعاصي الحامل عليها التكذيب بقاء الله، ﴿ناكسوا رؤوسهم﴾ أي مطكثوها خافضوها عند ربهم من الحياء والخزي الذي أصابهم عند البعث. لرأيت أمراً فظيماً لا نظير له. وقوله تعالى ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ هذا قول المجرمين وهم عند ربهم أي ياربنا لقد أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث والجزاء وسمعنا منك أي تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا. ﴿فارجعنا﴾ أي إلى دار الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾ أي عملاً صالحاً ﴿إنا موقنون﴾ أي الآن ولم يبق في نفوسنا شك بأنك الإله الحق، وبأن لقاءك حق، وقوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ وذلك لما طالب المجرمون بالعودة إلى الدنيا ليعملوا صالحاً فأخبر تعالى أنه ما هناك حاجة إلى ردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ويعملوا الصالحات، إذ لو شاء هدايتهم لهداهم قسراً منهم بدون اختيارهم، ولكن سبق أن قضى بدخولهم جهنم فلا بد لهم داخلوها وهو معنى قوله: ﴿ولكن حق القول مني﴾ أي وجب العذاب لهم وهو معنى قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة﴾ أي الجن والناس أجمعين ﴿أي من كفار ومجرمي الجن والإنس معاً. وقوله ﴿فذوقوا﴾ أي العذاب والخزي ﴿بما نسيتم﴾ أي بسبب نسيانكم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً إنا نسيناكم أي تركناكم في العذاب. ﴿وذوقوا عذاب﴾ الخلد بما كنتم تعملون ﴿من الشرك والمعاصي﴾ هذا يقال لهم وهم في جهنم تبيكيتاً لهم وتقريباً زيادة في عذابهم، والعياذ بالله من عذاب النار.

(١) الخطاب للرسول ﷺ لشرفه وأمه تابعة له والمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب العجاب من ذلتهم ونزيتهم/ وندامتهم.

(٢) هذا مقول قول محذوف بعد ناكسوا رؤوسهم يقولون أو قائلين ربنا الخ.

(٣) هذا كقولهم في آية: ﴿أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتبغ الرسل﴾.

(٤) هذه الجملة اعتراضية بين قوله أبصرنا وقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله ولو شئنا لآتينا الخ. رد عليهم حيث طلبوا العودة إلى الدنيا ليؤمنوا ويوحدا

(٥) النسيان يكون بمعناه الأصلي وهو عدم ورود الشيء بالخاطر النفسي ويكون بترك الشيء وعدم الالتفات إليه مع ذكره في النفس والآخر أولى بالأية.

(٦) قد يعبر بالذوق عما يطرا على النفس وإن لم يكن مطعوماً لاحتساسها به كاحتساسها بذوق المطعم قال الشاعر:

فلقد هجرها إن كنت تزعم أنها فساد ألا يا ربنا كذب الزعم

فاطلق الذوق على الهجر وهو غير مطعم ولكنه محسوس بالنفس.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١) التنديد بالإجرام والمجرمين وبيان حالهم يوم القيامة .
- ٢) بيان عدم نفع الإيمان عند معاينة العذاب .
- ٣) بيان حكم الله في امتلاء جهنم من كل من مجرمي الإنس والجن .
- ٤) تقرير حكم السبيبة فالأعمال سبب للجزاء خيراً كان أو شراً .

إِنَّمَا يُؤْمِنُ

بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يَنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|------------------|--|
| إذا ذكروا بها | : أي وعظوا بما فيها من أمر ونهي ووعد ووعيد . |
| خروا سجدا | : أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على الأرض . |
| وسبحوا بحمد ربهم | : أي نزهوه وقدسوه وهم ساجدون يقولون سبحان ربي الأعلى . |
| وهم لا يستكبرون | : أي عن عبادة ربهم في كل آحاينهم بل يأتونها خاشعين متذللين . |
| نتجافى جنوبهم | : أي تتباعد عن الفرش من أجل قيامهم للصلاة في جوف الليل . |
| خوفا وطمعا | : أي يسألونه النجاة من النار، ودخول الجنة . |

ما أخفي لهم من قرّة : أي لا تعلم نفس ما أخفى الله تعالى لهم وادخر لهم عنده أعين من النعيم الذي تقر به أعينهم أي تسر به وتفرح .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين وهم المكذبون بآيات الله ولقائه ذكر جزاء المؤمنين وهم الذين آمنوا بآيات الله ولقائه ذكرهم بأجمل صفاتهم فقال : ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾ حق الإيمان ﴿الذين إذا ذُكروا بها﴾ أي قرئت عليهم وكانت من الآيات التي فيها السجّدات ﴿خروا سجداً﴾ أي وقعوا على الأرض ساجدين بوضع جباههم وأنوفهم على التراب ، ﴿وسبحوا بحمد ربهم﴾ أي نزهوه وقدسوه اثناء سجودهم بقولهم سبحان ربي الأعلى ، والحال أنهم لا يستكبرون عن عبادة الله مطلقاً بل يأتونها متذللين خاشعين .

وقوله ﴿تتجافى﴾ جنوبهم عن المضاجع ﴿ هذه بعض صفاتهم أيضاً وهي أنهم يواعدون جنوبهم عن فرشهم في الليل لصلاة التهجد . وقوله ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ أي في حال صلاتهم وفي غيرها وهو دعاء تميّز بخوفهم من عذاب ربهم وطمعهم في رحمته فهم يسألون ربهم النجاة من النار ودخول الجنة . وقوله ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ هذا وصف آخر لهم وهو أنهم يتصدقون بفضول أموالهم زيادة على أداء الزكاة كتهجدهم بالليل زيادة على الصلوات الخمس .

وقوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين﴾ يخبر تعالى عن جزائهم عنده فيقول : فلا تعلم نفس ما خبأ الله تعالى لهم من النعيم المقيم الذي تقر به أعينهم أي

(١) في الآيات تسليّة للرسول ﷺ عما يجده من إعراض المشركين المكذّبين بالبعث والجزاء في الدار الآخرة والقائلين . أم يقولون افتراه فأعلمه إنما يؤمن من ذكرهم بصفاتهم ، والقصر اضافي والمراد من الآيات آيات القرآن الكريم .
(٢) الخور الهوي من علو إلى أسفل والسجود وضع الجبهة على الأرض إرادة التعظيم والخضوع .
(٣) الجملة حال من الموصول والتجافي التباعد والمشاركة ، والمضاجع جمع مضجع الفراش والجنب جمع جنب ، والمراد تباعدهم عن فرشهم لقيام الليل ، ومن صلى العشاء في جماعة والصبح في جماعة تناوله الوصف ، وشاهد التجافي قول عبدالله بن رواحة رضي الله عنه بمدح النبي ﷺ فيقول :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

(٤) هذا كقول الرجل : هذا لا يعلمه إلا الله ، وقرّة الأعين كناية عن السرور وعظيم الفرح .

(٥) قرأ الجمهور ما أخفي بصيغة الماضي المجهول ، وقرأ غيرهم أخفي بالمضارع المعلوم

تُسْر وتُفْرَح وقوله ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ أي جزاهم بذلك النعيم بعملهم الخيري الإسلامي الذي كانوا في الدنيا يعملونه وقد ذكر بعضه في الآيات قبل كالصلاة والصدقات .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) فضيلة التسبيح في الصلاة وهو سبحانه ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود .

(٢) ذم الاستكبار وأهله ومدح التواضع لله وأهله .

(٣) فضيلة قيام الليل وهو المعروف بالتهجد والدعاء خوفاً وطمعاً .

(٤) بشرى المؤمنين الصادقين من ذوي الصفات المذكورة في الآيات وهو انه تعالى [أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما جاء في الحديث أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت] الخ .

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا
لَا يَسْتَوِينَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ
جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا
فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ
لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَنُدَبِقَنَّهْم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ

(١) روى الترمذي بسند صحيح عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال لقد سألت عن عظيم وانه ليس على من يسره الله عليه، تعبد الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير، الصوم حنة والصدقة تطفئ الخطايا كما يطفىء الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ الآية .

(٢) في الصحيح قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى . أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

- أفمن كان مؤمناً : أي مصدقاً بالله ورسوله ولقاء ربّه
 كمن كان فاسقاً : أي كافراً لا يستون .
 جنات المأوى نزلاً : النزل ما يعد للضيف من قرى .
 من العذاب الأدنى : أي عذاب الدنيا من مصاب القحط والجذب والقتل والأسر .
 العذاب الأكبر : هو عذاب الآخرة في نار جهنم .
 لعلهم يرجعون : أي يصيبهم بالمصائب في الدنيا رجاء أن يؤمنوا ويوحّدوا .
 ومن أظلم ممن ذكر بآيات : لا أحد أظلم منه أبداً .
 ربه فأعرض عنها
 إنا من المجرمين منتقمون : أي من المشركين أي بتعذيبهم أشد أنواع العذاب .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً﴾ أي كافراً ينفي تعالى إستواء الكافر مع المؤمن فلذا بعد الاستفهام الإنكاري أجاب بقوله تعالى : ﴿لا يستون﴾ ثم بيّن تعالى جزاء الفريقين وبذلك تأكد بعد ما بينهما فقال ﴿أما الذين آمنوا﴾ بالله ربّاً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام شرعاً وديناً ﴿وعملوا الصالحات﴾ بأداء الفرائض والنوافل في الغالب بعد اجتنابهم الشرك والمحارم ﴿فلهم جنات المأوى نزلاً﴾ أي ضيافة لهم ﴿بما كانوا يعملون﴾ وأما الذين فسقوا عن أمر الله فلم يوحّدوا ولم يطيعوا فعاشوا على الشرك والمعاصي حتى ماتوا ﴿فمأواهم﴾ النار ﴿أي مقرهم ومحل مثواهم وإقامتهم لا يخرجون﴾ كلما أرادوا ﴿أي هموا أن يخرجوا منها أعيدها فيها من قبل الزبانية تدفعهم عن أبوابها،﴾ وقيل لهم ﴿إذلالاً لهم وإهانة﴾ ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ﴿إذ كانوا مكذبين بالبعث والجزاء وقالوا﴾ ﴿أنذا ضللنا في الأرض أننا لفي خلق جديد﴾ .

(١) الاستفهام انكاري وفيه معنى التعجب والمراد بالفاسق هنا الكافر لمقابلة المؤمن وفسقه بترك عبادة ربه وعبادة الأوثان والأصنام .

(٢) النزل بضم نين مشتق من النزول وهو ما يعد للضيف النازل بك من قرى وهو الطعام والشراب والفراش .

(٣) المأوى مكان الإيواء أي الرجوع إليه والاستقرار فيه .

وقوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ وهو عذاب الدنيا بالقحط والغلاء والقتل والأسر ﴿دون العذاب الأكبر﴾ وهو عذاب يوم القيامة ﴿لعلهم يرجعون﴾ يخبر تعالى أنه فاعل ذلك بكفار قريش لعلهم يتوبون إلى الإيمان والتوحيد فينجوا من العذاب وينعموا في الجنة وفعلاً قد تاب منهم كثيرون وقوله ﴿ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض﴾ عنها ﴿أي وعظ بها وخوف كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ عليهم القرآن وكان بعضهم يعرض عنها فلا يسمعها ويرجع وهو مستكبر والعباذ بالله فمثل هؤلاء لا أحد أشد منهم ظلماً وقوله تعالى ﴿إننا من المجرمين منتقمون﴾ يخبر تعالى أنه لا محالة منتقم من أهل الاجرام وهم أهل الشرك والمعاصي ، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر ثلاثة أصناف من أهل الإجمام الخاص وهم :

(١) من اعتقد «عقد» لواء في غير حق أي حمل راية الحرب على المسلمين وهو مبطل غير محق .

(٢) من عق والديه أي آذاهما بالضرب ونحوه ومنعهما برهما ولم يطعهما في معروف .

(٣) من مشى مع ظالم ينصره رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

(١) بيان خطأ من يسوي بين المؤمن والكافر والبار والفاجر والمطيع والفاسق .

(٢) بيان جزاء كل من المؤمنين والفاسقين .

(٣) بيان أن الله تعالى كان يأخذ قريشاً بالوان^(١) من المصائب لعلهم يتوبون .

(٤) بيان أنه لا أظلم ممن ذكر آيات الله فيعرض عنها مستكبراً جاحداً معانداً .

(١) الجملة استثنافاً بياني جواباً لمن قال لم يذيقهم العذاب الأدنى وهو عذاب الدنيا دون العذاب الأكبر؟ فكان الجواب : لعلهم يرجعون وهو تعليل للحكم السابق .

(٢) عطف الإعراض على التذكير بالآيات بُم للدلالة على التراخي بين زمن التذكير والإعراض كقول الشاعر :
لا يكشف الغماد إلا ابن حره يرى غمرات الموت ثم يزورها

(٣) الجملة مستأنفة استثنافاً بيانياً فهو جواب لمن تساءل عن جزاء صاحبه الإعراض بعد التذكير بالآيات وهو قوله تعالى إنا من المجرمين منتقمون .

(٤) من ذلك سنوات الجذب التي أكلوا فيها العهن وأصبح أحدهم يرى السماء وكأنها دخان من شدة الجوع .

وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ
بِأَمْرِنَا لِمَاصِرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ
﴿٢٦﴾

شرح الكلمات

ولقد آتينا موسى الكتاب : أي أنزلنا عليه التوراة .

فلا تكن في مرية من لقائه : أي فلا تشك في لقائك بموسى عليه السلام ليلة الإسراء
والمعراج .

وجعلناه هدى لبني اسرائيل : أي وجعلنا الكتاب «التوراة» هدى أي هادياً لبني اسرائيل .
وجعلنا منهم أمة يهدون : أي وجعلنا من بني اسرائيل أمة أي قادة هداة يهدون
الناس بأمرنا لهم بذلك وإذنا به .

وكانوا بآياتنا يوقنون : أي وكان أولئك الهداة يوقنون بآيات ربهم وحججه على
عباده وما تحمله الآيات من وعد ووعد .

إن ربك هو يفصل بينهم يوم
القيامة : أي بين الأنبياء وأممهم وبين المؤمنين والكافرين
والمشركين والموحدين .

فيما كانوا فيه يختلفون : من أمور الدين .

أو لم يهد لهم : أي أغفلوا ولم يتبين .

كم أهلكنا من قبلهم من
القرون : أي إهلكنا لكثير من أهل القرون من قبلهم بكفرهم
وشركهم وتكذيبهم لرسولهم .

يمشون في مساكنهم : أي يمرون ماشين بديارهم وهي في طريقهم إلى الشام
كمدائن صالح وبحيرة لوط ونحوهما .

إن في ذلك لآيات : أي دلائل وعلامات على قدرة الله تعالى وأليم عقابه .
أفلا يسمعون : أي أصموا فلا يسمعون هذه المواعظ والحجج .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ أي أعطينا موسى بن عمران أحد أنبياء بني إسرائيل الكتاب الكبير وهو التوراة . إذأ فلم ينكر عليك المشركون أن يؤتيك ربك القرآن كما أتى موسى التوراة، وفي هذا تقرير لأصل من أصول العقيدة وهي الوحي والنبوة المحمدية . وقوله ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ أي فلا تكن يامحمد في شك من لقائك موسى ليلة الإسراء والمعراج فقد لقيه وطلب إليه أن يراجع ربه في شأن الصلاة فراجع حتى أصبحت خمساً بعد أن كانت خمسين وقوله ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ أي الكتاب أو موسى كلاهما كان هادياً لبني إسرائيل إلى سبيل السلام والصرراط المستقيم . وقوله ﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ أي قادة هداة يهدون الناس إلى ربهم فيؤمنون به ويعبدونه وحده فيكملون على ذلك ويسعدون وذلك بأمره تعالى لهم بذلك . وقوله ﴿لما صبروا﴾ أي عن أذى أقوامهم^(١)، ﴿وكانوا بآياتنا﴾ الحاملة لأمرنا ونهينا، ووعدنا ووعيدنا ﴿يوقنون﴾ أي تأهلوا لحمل رسالة الدعوة بشيئين : الصبر على الأذى واليقين التام بصحة ما يدعون إليه ونفعه ونجاعته وقوله تعالى ﴿إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يخبر تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بأنه سبحانه وتعالى الذي يفصل بين المختلفين من الأنبياء وأممهم، وبين الموحدين والمشركين والسنيين والبدعيين فيحكم بإسعاد أهل الحق وإشقاء أهل الباطل وفي الآية تسلية للرسول وتخفيف عليه مما يجد في نفسه من خلاف قومه له .

(١) هذا الإخبار استطراد المراد به تسلية النبي ﷺ والفاء في قوله فلا تكن للتقرير .

(٢) وجائز أن يكون المعنى فلا تكن في شك من أنك لقيته ليلة الإسراء والمعراج وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول وقيل فلا تكن في شك من أنه سيلفك من الأذى والتكذيب ما لقيه موسى، وما في التفسير هو الحق .
(٣) المرية : الشك والتردد والمقصود من النهي التثبيت كقوله ﴿فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء﴾، وليس النهي لطلب ترك الشك إذ لم يكن شك قط .

(٤) لما صبروا لما بمعنى حين صبروا عن أذى أقوامهم، وقرأ خلاف الجمهور لما صبروا أي لاجل صبرهم جعلناهم أئمة، فما مصدرية واللام قبلها لام التعليل .

(٥) هو ضمير فصل ومعنى يفصل يقضي ويحكم .

وقوله ﴿أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ أي أعموا فلم يُبين لهم إهلاكنا لأمم كثيرة ﴿يمشون في مساكنهم﴾ مأرّين بهم في أسفارهم إلى الشام كمدائن صالح، وبلاد مدين، وبحيرة لوط أنا قادرون على إهلاكهم إن أصروا على الشرك والتكذيب كما أهلكنا القرون من قبلهم. وقوله ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي في إهلاكنا أهل القرون الأولى لما أشركوا وكذبوا دلالات وحججا وبراهين على قدرة الله وشدة انتقامه ممن كفر به وكذب رسوله وقوله ﴿أفلا يسمعون﴾ أي أصموا فلا يسمعون هذه المواعظ التي تتلى عليهم فيتوبوا من الشرك والتكذيب فينجوا ويسعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١) تقرير النبوة المحمدية وتأکید قصة الإسراء والمعراج .
- ٢) الكتاب والسنة كلاهما هادٍ للعباد إن طلبوا الهداية فيهما .
- ٣) بيان ما تُنال به الإمامة في الدين . وهو الصبر وصحة اليقين .
- ٤) كل خلاف كان في هذه الحياة سينتهي بحكم الله تعالى فيه يوم القيامة .
- ٥) في إهلاك الله تعالى للقرون السابقة أكبر واعظ لمن له قلب وسمع وبصيرة .

أولم يروا أناسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج
 به زرعاً تأكل منه أنعمهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴿٢٧﴾
 ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صديقين ﴿٢٨﴾
 قل يوم الفتح لا يفتح الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون
 ﴿٢٩﴾ فأعرض عنهم وأنظر إنهم منتظرون ﴿٣٠﴾

(١) هذا بناء على أن همزة الاستفهام داخله على محذوف والاستفهام للإنكار عليهم عدم رؤيتهم مصارع الهالكين من قبلهم وهي واضحة بينه فضمن يهد معنى يبين فلذا عُدي باللام ومثله (أولم يهد للذين يرتون الأرض من بعد أهلها) آية الاعراف .
 (٢) جملة يمشون في محل نصب على الحال .
 (٣) الاستفهام تقريرى مشوب بالتوبيخ واختير لفظ يسمعون لأن أخبار الأمم الهالكة كانت شائعة مستفيضة بينهم فلم لا يسمعونها سماع اتعاظ واعتبار .

شرح الكلمات

أو لم يروا أنا نسوق الماء : أي أغفلوا ولم يروا سوقنا للماء للإنبات والإخصاب فيدلهم ذلك على قدرتنا .

إلى الأرض الجرز : أي اليابسة التي لا نبات فيها .

تأكل منه أنعامهم : أي مواشيهم من إبل وبقر وغنم .

أفلا يبصرون : أي أعموا فلا يبصرون أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على البعث .

متى هذا الفتح : أي الفصل والحكم بيننا وبينكم يستعجلون العذاب .

ولا هم ينظرون : أي ولا هم يمهلون للتوبة أو الاعتذار .

وانتظر إنهم متظرون : أي وانتظر يارسولنا ما سيحل بهم من عذاب إن لم يتوبوا فإنهم متظرون بك موتاً أو قتلاً ليستريحوا منك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء التي عليها مدار الإصلاح الاجتماعي فيقول تعالى ﴿ أو لم يروا ﴾ أي أغفل أولئك المكذبون بالبعث والحياة الثانية ولم يروا ﴿ أنا نسوق الماء ﴾^(١) ماء الأمطار أو الأنهار ﴿ إلى الأرض الجرز ﴾^(٢) اليابسة التي مابها من نبات فنخرج بذلك الماء الذي سقناه إليما بتدابيرنا الخاصة ﴿ فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم ﴾ وهي إبلهم وأبقارهم وأغنامهم ﴿ وأنفسهم ﴾ فالأنعام تأكل الشعير والذرة وهم يأكلون البر والفول ونحوه ﴿ أفلا يبصرون ﴾ أي أعموا فلا يبصرون آثار قدرة الله على إحياء الموتى بعد الفناء والبلى كإحياء الأرض الجرز فيؤمنوا بالبعث الآخر وعليه يستقيموا في عقائدهم وكل سلوكهم . وقوله ﴿ ويقولون متى هذا الفتح ﴾^(٣) إن كنتم صادقين ﴿ حكى تعالى عنهم ما يقولونه للمؤمنين لما يخوفونهم بعذاب الله يقولون لهم متى هذا الفتح أي الحكم والفصل يستعجلونه لخفة أحلامهم وعدم إيمانهم .

(١) الرؤية هنا بصرية واختير المضارع نسوق لاستحضار الصورة المعجبية الدالة على قدرة الله تعالى ولطفه بعباده ورحمته بهم ، وسوق الماء هو بسوق السحاب ، والسوق هو أجزاء الماشي من ورائه .

(٢) الجرز وصف للأرض التي انقطع نباتها ، وهو مشتق من الجزر وهو انقطاع النبات والحشيش إما بسبب بيس الأرض أو بالرعي ، والجزر القطع ولذا سمي السيف القاطع جُرازاً قال الشاعر يصف أسنان ناقته :

تنخى على الشوك جُرازاً مقضبا والهرم تدرية إفراء عجباً

(٣) الفتح : النصر والقضاء كانوا إذا قال لهم المؤمنون سيحكم الله بيننا وبينكم يوم القيامة فيثب المؤمن ويعاقب الكافر يقولون لهم مستهزئين ساخرين متى هذا الفتح أو الحكم .

وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول لهم . فقال ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ أي إذا جاء يوم الفتح بيننا وبينكم لا ينفع نفساً كافرة إيمانها عند رؤية العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي يؤخرون ويمهلون ليتوبوا ويستغفروا فيتاب عليهم ويغفر لهم إذ سُنَّ الله أن من عاين العذاب لا تقبل توبته . وقوله تعالى ﴿فأعرض عنهم﴾ أي فأعرض يارسلنا عن هؤلاء المكذبين ﴿وانتظر﴾^(١) ما سينزل بهم من عذاب ﴿إنهم منتظرون﴾ ما قد يصيبك من مرض أو موت أو قتل ليستريحوا منك في نظرهم . كما هم منتظرون أيضاً عذاب الله عاجلاً أو آجلاً .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر الأدلة المقررة لها .
- (٢) استعجال الكافرين العذاب دال على جهلهم وطيشهم .
- (٣) بيان أن التوبة لا تقبل عند معاينة العذاب أو مشاهدة ملك الموت ساعة الاحتضار .

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

مدنية

وآياتها ثلاث وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

(١) هذا إجابة لهم ورد عليهم والفتح جائز أن يكون فتح مكة أو يوم بدر أو يوم القيامة إذ هو اليوم الذي يحكم الله تعالى فيه بين عباده .

(٢) الانتظار الترقب مشتق من النظر كأنه مضارع أنظره فانتظر وحذف مفعول «انتظره» للتحويل أي انتظر أياماً يكون لك النصر فيها، ويكون الخسران لأعدائك فيها، وفي الأمر بالانتظار إيماء بالشرى للمؤمنين والوعيد للكافرين .

(٣) جملة أنهم منتظرون لتعليل للأمر بالانتظار .

شرح الكلمات :

اتق الله : أي دم على تقواه بامتثالك أوامره واجتنابك نواهيه .
ولا تطع الكافرين : أي المشركين فيما يقترحون عليك .
والمنافقين : أي الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر بما يخوفونك به .

إن الله كان عليماً حكيماً : أي عليماً بخلقه ظاهراً وباطناً حكيماً في تدبيره وصنعه
واتبع ما يوحى إليك من ربك : أي تقيد بما يشرع لك من ربك ولا تلتفت إلى ما يقوله
خصومك لك من اقتراحات أو تهديدات .

وتوكل على الله : أي فوض أمرك إليه وامض في ما أمرك به غير مبالٍ
بشيء .

معنى الآيات :

لقد واصل المشركون اقتراحاتهم التي بدأوها بمكة حتى المدينة وهي عروض المصالحة
بينه وبينهم بالتخلي عن بعض^(١) دينه أو بطرد بعض أصحابه ، والمنافقون قاموا بدورهم
في المدينة بتهديده صلى الله عليه وسلم بالقتل غيلة إن لم يكف عن ذكر آلهة المشركين
في هذا الظرف بالذات نزل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي﴾ ناداه ربه تعالى بعنوان النبوة تقريراً
لها وتشريفاً له ولم يناده باسمه العلم كما نادى موسى وعيسى وغيرهما بأسمائهم فقال ﴿يا
أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين^(٢) والمنافقين^(٣) إن الله كان عليماً حكيماً﴾ أي اتق الله
فخفه فلا تقبل اقتراح المشركين ، ولا ترهب تهديد المنافقين بقتلك إن الله كان وما يزال
عليماً بكل خلقه وما يحدثون من تصرفات ظاهرة أو باطنة حكيماً في تدبيره وتصريفه أمور

(١) هذا من قوله تعالى في سورة الاسراء ﴿وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفtri علينا غيره، وإذا لاتخذوك خليلاً
ولولا أن نبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ .

(٢) نداءه تعالى نبيه ﷺ بعنوان النبوة تشريف له وتقدير لنبوته ونداه بعنوان الرسالة في موضعين من كتابه وذلك في سورة
المائدة . وأمره أن يخبر البشرية كلها بأنه رسول الله اليهم وحدث عنه فوصفه بالرسالة «محمد رسول الله» ولم يناده باسمه
العلم لشهرته وعدم الحاجة إليه وحتى لا يدعي أحد انه هو المعني بهذا الاسم وله ﷺ خمسة أسماء كما جاء
ذلك في حديث الموطأ : لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يخشر
الناس على قدمي ، وأنا العاقب .

(٣) الطاعة : العمل بما يأمر به الغير أو يشير به لأجل تحقيق غرض له صالحاً كان أو فاسداً .

(٤) سبب نزول هذه الآية أن وفداً جاء من مكة بعد غزوة أحد برئاسة أبي سفيان واجتمعوا بعد أن آمن رسول الله ﷺ دخولهم
المدينة بعدد من المنافقين على رأسهم ابن أبي ومعتب بن قشير وطعمة بن أبيرق فسألوا رسول الله ﷺ أن يترك ذكر آلهة قريش
كخطوة في المصالحة فغضب المسلمون ومم عمر بقتلهم فنزلت هذه الآية : ولا تطع الكافرين والمنافقين .

خلقه وعباده فهو تعالى لعلمه وحكمته لا يخذلك ولا يتركك، ولا يُمكن اعداءك وأعداءه منك بحال وقوله ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾ من تشريعات خاصة وعامة ولا تترك منها صغيرة ولا كبيرة إذ هي طريق فوزك وسُلم نجاحك أنت وامتك تابعة لك في كل ذلك، وقوله ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ هذه الجملة تعليلية تحمل الوعد والوعيد إذ علم الله بأعمال العباد صالحها وفاسدها يستلزم الجزاء عليها فمتى كانت سالحة كان الجزاء حسناً وفي هذا وعده ومتى كانت فاسدة كان الجزاء سوءاً وفي هذا الوعيد. وقوله ﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ أمر تعالى رسوله وأُمَّته تابعة له أن يتوكل على الله في أمره ويمضي في طريقه منفذاً أحكام ربه غير مبال بالكافرين ولا بالمنافقين، وأعلمه ضمناً أنه كافيه متى توكل عليه وكفى بالله كافياً ووكيلاً حافظاً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب تقوى الله تعالى بفعل المأمور به وترك المنهي عنه .
- (٢) حرمة طاعة الكافرين والمنافقين فيما يقترحون أو يهددون من أجله .
- (٣) وجوب اتباع الكتاب والسنة والتوكل على الله والمضي في ذلك بلا خوف ولا وجل .

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي

جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنهِنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ
 وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ
 يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعَوْهُمْ لِأَبَائِهِمْ
 هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ
 فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ
 بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا



شرح الكلمات :

ما جعل الله لرجل من قلبين : أي لم يخلق الله رجلاً بقلبين كما ادعى بعض المشركين .
في جوفه

تظاهرون منهن أمهاتكم : يقول الرجل لامرأته : أنت عليّ كظهر أمي .

وما جعل ادعاءكم أبناءكم : أي ولم يجعل الدعويّ ابناً لمن ادّعاه .

ذلكم قولكم بأفواهكم : أي مجرد قول باللسان لا حقيقة له في الخارج فلم تكن المرأة أمّاً ولا الدعوي ابناً .

هو أقسط عند الله : أي أعدل .

فإخوانكم في الدين ومواليكم : أي أخوة الإسلام وبنو عمكم فمن لم يعرف أبوه فقولوا له : يا أخي أو ابن عمي .

ليس عليكم جناح فيما أخطأتم : أي لا حرج ولا اثم في الخطأ، فمن قال للدعوي خطأ به
يا ابن فلان فلا إثم عليه .

ولكن ما تعمدت قلوبكم : أي الاثم والحرج في التعمد بأن ينسب الدعوي لمن ادّعاه .

وكان الله غفوراً رحيماً : ولذا لم يؤاخذكم بالخطأ ولكن بالتعمد .

معنى الآيات :

لما كان القلب محط العقل والإدراك كان وجود قلبين في جوف رجل واحد يحدث تعارضاً يؤدي إلى الفساد في حياة الإنسان ذي القلبين لم يجعل الله تعالى لرجل قلبين في جوفه كما ادعى بعض أهل مكة أن أبا معمر جميل بن معمر الفهري كان له قلبان لما شاهدوا من ذكائه ولباقته وحذقه وغره ذلك فقال إن لي قلبين أعقل بهما أفضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم فكانت الآية رداً عليه قال تعالى ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين^(١) في جوفه ﴾ وفيه إشارة إلى أنه لا يجمع بين حب الله تعالى وحب أعدائه وطاعة الله وطاعة

(١) يروى أنه لما انهزمت قريش يوم بدر رأى أبو سفيان جميل بن معمر المدعي أن له قلبين رآه منهزماً واحدى نعليه في رجله والأخرى في يده، فسأله أبو سفيان ما حال الناس؟ قال انهزموا فقال له ما بال أحد نعليك في يدك والأخرى في رجلك؟ قال: ما شعرت فانفضح في دعواه .

(٢) القلب بضمة لحم صغيرة على هيئة (صنوبرة) خلقها الله تعالى في الأدمي وجعلها محلاً للعلم، وهو بين لمتين لمة من الملك و لمة من الشيطان، وهو محل العلم ومحل الخطرات والوساوس ومحل الصدق واليقين ومحل الشك والكذب، ومحل الانزعاج والطمأنينة فسبحان الله الخلاق العليم .

أعدائه، وقوله، ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ أي لم يجعل الله تعالى المرأة المظاهر منها أمّاً لمن ظاهر منها كأن يقول لها أنت عليّ كظهر أمي وكان أهل الجاهلية يعدون الظهار محرماً للزوجة كالأم فأبطل الله تعالى ذلك وبيّن حكمه في سورة المجادلة، وأن من ظاهر من امرأته يجب عليه كفارة: عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً.

وقوله تعالى ﴿وما جعل ادعياءكم^(١) أبناءكم﴾ أي لم يجعل الله الدعيّ إبناً إذ كانوا في الجاهلية وفي صدر الإسلام يطلقون على المتبنيّ إبناً فيترتب على ذلك كامل حقوق البنوة من حرمة التزوج بامرأته إن طلقها أو مات عنها، وقوله ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ أي ما هو إلا نطق بالفم ولا حقيقة في الخارج له إذ قول الرجل للدعيّ أنت ولدي لم يُصيرهُ ولده وقول الزوج لزوجته انت كأمي لم تكن أمّاً له. وقوله تعالى ﴿والله يقول الحق﴾ فلا يطلق على المظاهر منها لفظ أم، ولا على الدعي لفظ ابن، ﴿وهو يهدي السبيل﴾ أي الأقوم والأرشد سبحانه لا إله إلا هو.

وقوله تعالى في الآية (٥) من هذا السياق ﴿ادعوهم لأبائهم﴾ أي ادعوا الأدياء لأبائهم أي انسبوهم لهم يافلان بن فلان. فإن دعوتهم إلى آبائهم أقسط وأعدل في حكم الله وشرعه. ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين﴾ فادعوهم باسم الإخوة الإسلامية فقولوا هذا أخي في الإسلام. ﴿ومواليكم﴾ أي بنو عمكم فادعوهم بذلك فقولوا يا بن عمي وإن كان الدعي ممن حررتموه فقولوا له مولاي ﴿وليس عليكم جناح﴾ أي إثم أو حرج ﴿فإنما أخطأتم به﴾^(٢) من قول أحدكم للدعي يا ابن فلان لمن ادعاه خطأ لسان بدون قصد، أو ظناً منكم أنه إبنه وهو في الواقع ليس إبنه ولكن الإثم في التعمد والقصد المتعمد، وقوله ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أي غفوراً لمن تاب رحيماً لم يعاجل بالعقوبة من عصي لعله يتوب ويرجع.

(١) هذه الآية نزلت في شأن زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ إذ تبناه رسول الله ﷺ قبل البعثة النبوية، إذ كان عبداً رقيقاً لخديجة فأهدته لرسول الله ﷺ ولما جاء أبوه وعرفه طلبه فخيره رسول الله ﷺ بين الذهاب مع والده والبقاء معه فاختار العبودية على الحرية فتبناه رسول الله ﷺ وأصبح من يومئذ يعرف بزيد بن محمد حتى نزلت هذه الآية فأبطلت التبني ففي هذا نسخ للسنن بالكتاب.

(٢) أخذ عطاء وكثير من العلماء من السلف أخذوا من هذه الآية انه لا مؤاخذه مع الخطأ من ذلك إذا حلف المرء الا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يظن أنه هو فإنه لا يحنث، أو حلف أن لا يفارق غريمه حتى يقضيه دينه فأعطاه دراهم فوجدتها زيوفاً لا يحنث، وروى البخاري من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام، كما روى «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر».

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) إبطال التحريم بالظهار الذي كان في الجاهلية .
- (٢) إبطال عادة التبني ، وما يترتب عليها من حرمة نكاح امرأة المتبنى .
- (٣) وجوب دعاء الدعي المتبنى بأبيه إن عُرف ولو كان حماراً .
- (٤) إن لم يعرف للمدعي أب دُعي بعنوان الإخوة الإسلامية ، أو العمومة أو المولوية
- (٥) رفع الحرج والإثم في الخطأ عموماً وفيما نزلت فيه الآية الكريمة خصوصاً وهو دعاء الدعي باسم مُدعيه سبق لسان بدون قصد ، أو بقصد لأنه يرى انه ابنه وهو ليس ابنه .

النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
 وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ
 مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾

لَيْسَ لَ الصَّدِيقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
 ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------------|--|
| النبي أولى بالمؤمنين من | : أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلب منهم هو أحق به |
| أنفسهم | : من أنفسهم . |
| وأزواجه أمهاتهم | : في الحرمة وسواء من طلقت أو مات عنها منهن رضى |
| | : الله عنهن . |

وأولوا الأرحام بعضهم أولى : أي في التوارث من المهاجرين والمتعاقدين المتحالفين .
ببعض

إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم : بأن توصوا لهم وصية جائزة وهي الثلث فأقل .

معروفا

كان ذلك في الكتاب مسطوراً: أي عدم التوارث بالإيمان والهجرة والحلف مكتوب في اللوح المحفوظ .

وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم : أي أذكر لقومك أخذنا من النبيين ميثاقهم على أن يعبدوا الله وحده ويدعوا إلى عبادته .

ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى: أي وأخذنا بخاصة منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، وقدم محمد صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفاً وتعظيماً له .

وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً : أي شديداً والميثاق: العهد المؤكد باليمين .

ليسأل الصادقين عن صدقهم : أي أخذ الميثاق من أجل أن يسأل الصادقين وهم الأنبياء عن صدقهم في تبليغ الرسالة تبيكيتاً للكافرين بهم .

وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً : أي فأناب المؤمنين وأعد للكافرين عذاباً أليماً أي موجعاً .

معنى الآيات :

لما أبطل الله تعالى عادة التبني وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بنى زيد بن حارثة الكلبي فكان يعرف بزید بن محمد صلى الله عليه وسلم وأصبح بذلك يدعى بزید بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم تعالى كافة المؤمنين أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وإن أزواجه أمهاتهم^(١) في الحرمة فلا تحل امرأة النبي لأحد بعده صلى الله عليه وسلم ، ومعنى أن ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾

(١) هذه الأمومة إنما هي في حرمة النكاح والبر والتعظيم والإجلال أما في الإرث فلا كما أنه لا تبيح النظر إليهن والخلوه بهن كالأمهات فلذا ضرب الله الحجاب عليهن وقال : وإذا سألتنوهن متاعاً فأسألوهن من وراء حجاب .

(٢) صح أنه ﷺ لا يصلي على ميت ترك ديناً ولم يترك سداداً فلما فتح الله عليه ، قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفي وعليه دين فعليّ قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وقال أيكم ترك ديناً أو ضياعاً فأنا مولاه ، فأكد ﷺ بالفعل والقول هذه الحقيقة .

أي فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ويطلبه منهم هو أحق به من أنفسهم، وبذلك أعطى الله تعالى رسوله من الرفعة وعلو الشأن ما لم يُعط أحداً غيره جزاء له على صبره على ما أخذ منه من بنوة زيد رضي الله عنه الذي كان يُدعى يزيد بن محمد فأصبح يعرف بزيد بن حارثة.

وقوله تعالى ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾^(١) يريد في الإرث فأبطل تعالى بهذه الآية التوارث بالإيمان والهجرة والحلف الذي كان في صدر الإسلام وأصبح التوارث بالنسب والمصاهرة والولاء لا غير. وقوله ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ التوارث بالأرحام أي بالقرابات مكتوب في اللوح المحفوظ وقوله ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً﴾ أي إلا أن توصوا بوصية جائزة وهي الثلث لأحد من المؤمنين والمهاجرين ومن حالتم فلا بأس فهي جائزة ولا حرمة فيها، وقوله ﴿كان ذلك﴾ أي المذكور من التوارث بالقرابات لا غير وجواز الوصية بالثلث لمن أبطل ارثهم بالإيمان والهجرة والمؤاخاة، في اللوح المحفوظ وهو كتاب المقادير مسطوراً أي مكتوباً مسطراً فلا يحل تبديله ولا تغييره. وقوله تعالى ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾ أي اذكر يارسولنا لقومك أخذنا الميثاق وهو العهد المؤكد باليمين من النبيين عامة بأن يعبدوا الله وحده ويدعوا أممهم إلى ذلك، ومن أولى العزم من الرسل خاصة وهم أنت يا محمد و نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقوله ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾^(٢) أعيد اللفظ تكراراً لتقريره، وليرتب عليه قوله ﴿ليسأل﴾ تعالى يوم القيامة ﴿الصادقين﴾ وهم الأنبياء ﴿عن صدقهم﴾ في تبليغ رسالتهم تقريراً لأممهم الذين كفروا وكذبوا. فأثاب المؤمنين ﴿وأعد للكافرين عذاباً أليماً﴾ أي موجعاً وهو عذاب النار

(١) أولى ببعض متعلق بالمؤمنين أي أولو الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين وذلك في كتاب الله المتضمن لشريعة وهو القرآن والمتضمن لقضائه وقدره وهو اللوح المحفوظ فبطل التوارث بالإسلام والهجرة والمعاقدة والتحالف وثبت بالولاء والنسب والمصاهرة لاغير.

(٢) اختلف في الوصية للكافر من يهودي أو نصراني والراجح أنها إن كانت مسودة له ومحبة فإنها لا تجوز إذ مودتهم محرمة وإن كانت لمعنى آخر كإحسان قدمه الكتابي للمسلم فرأى أن يكافئه عليه فأوصى له بشيء إذا مات فلا حرج.

(٣) قال القرطبي: أي عهدهم على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضاً وما في التفسير شامل لهذا وغيره مما ذكر فيه.

(٤) خص هؤلاء بالذكر تعظيماً لهم وتشريفاً لأنهم أصحاب شرائع وكتب وأولو العزم من الرسل.

(٥) جائز أن يراد بالصادقين الأنبياء عن تبليغهم ووفائهم بما عهد إليهم وهذا هو الأرجح وجائز أن يسأل الأنبياء عما أجابهم به أقوامهم من طاعة وإيمان أو كفر وعصيان، والحقيقة أن كلا من الرسل والمرسل إليهم يسألهم تعالى، فقد جاء في الأعراف قوله تعالى (فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين).

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب تقديم ما يريده الرسول من المؤمن على ما يريده المؤمن لنفسه .
- (٢) حرمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأنهن أمهات المؤمنين وهو صلى الله عليه وسلم كالأب لهم .
- (٣) بطلان التوارث بالمؤاخاة والهجرة والتحالف الذي كان في صدر الإسلام .
- (٤) جواز الوصية لغير الوارث بالثلث فأقل .
- (٥) وجوب توحيد الله تعالى في عبادته ودعوة الناس إلى ذلك .
- (٦) تقرير التوحيد بأخذ الميثاق به على كافة الأنبياء والمرسلين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
 جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
 مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
 وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
 زُلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
 مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ
 مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
 مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا
 فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ
 لَأَنزَلْنَاهُمْ مِنْهَا وَإِنْ يُسِيرُوا ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

أذكروا نعمة الله عليكم جنود	: أي اذكروا نعمة الله أي دفاعنا عنكم لشكروا ذلك .
ريحا وجنودا لم تروها	: أي جنود المشركين المتحزبين .
بما تعملون بصيرا	: هي جنود الملائكة والريح ريح الصبا وهي التي تهب من شرق .
إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار	: أي بصيراً بأعمالكم من حفر الخندق والاستعدادات للمعركة .
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ^(١) هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا يا أهل يثرب لا مقام لكم يا أهل المدينة لا مقام لكم حول الخندق فارجعوا إلى دياركم	: أي بنو أسد وغطفان أتوا من قبل نجد من شرق المدينة . : أي من غرب وهم قريش وكنانة . : أي مالت عن كل شيء إلا عن العدو تنظر إليه من شدة الفزع . : أي منتهى الحلقوم من شدة الخوف . : أي المختلفة من نصر وهزيمة ، ونجاة وهلاك . : أي ثم في الخندق وساحة المعركة أختبر المؤمنون . : أي حركوا حراكاً قويا من شدة الفزع . : أي شيء من النفاق لضعف عقيدتهم . : أي ما وعدنا من النصر ما هو إلا غرورا وباطلاً . : أي يا أهل المدينة لا مقام لكم حول الخندق فارجعوا إلى دياركم .
إن بيوتنا عورة إن يريدون إلا فرارا ولو دخلت عليهم ثم سئلوا الفتنة وما تلبثوا بها إلا يسيرا	: أي غير حصينة . : أي من القتال إذ بيوتهم حصينة . : أي المدينة أي دخلها العدو الغازي . : أي ثم طلب إليهم الردة إلى الشرك لآتوها أي اعطوها وفعلوها . : أي ما تريثوا ولا تمهلوا بل أسرعوا الإجابة وارتدوا .

(١) قرأ الجمهور الظنونا جمع ظن بالف بعد النون زيدت هذه النون لرعاية الفواصل في الوقف لأن الفواصل مثل الاسجاع . ومن القراء من أثبتها وفقاً وحذفها وصلا والكل جائز ومثلها في هذه السورة واطعنا الرسولاً ، وأضلونا السبيلاً .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ الآيات هذه قصة غزوة الخندق أو الأحزاب قصتها تبارك وتعالى على المؤمنين في معرض التذكير بنعمه تعالى عليهم ليشكروا بالإقياد والطاعة لله ورسوله وقبول كل ما يشرع لهم لإكمالهم وإسعادهم في الحياتين فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً وشرعاً ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بكم وهو اجتماع جيوش عدّة على غزوكم في عقر داركم وهم جيوش قريش وأسد وغطفان وبنو قريظة من اليهود ألّهم عليهم وحزب أحزابهم حُيي بن أخطب النضري يريد الانتقام من الرسول والمؤمنين إذ أجلوهم عن المدينة وأخرجوهم منها فالتحقوا بيهود خيبر وتيما، ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم أمر بحفر الخندق تحت سفح جبل سلع غربي المدينة، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه إذ كانت له خبرة حربية علمها من ديار قومه فارس .

وتم حفر الخندق في خلال شهر من الزمن وكان صلى الله عليه وسلم يعطي لكل عشرة أنفار أربعين ذراعاً أي عشرين متراً، وما إن فرغوا من حفره حتى نزلت جيوش المشركين وكانوا قرابة اثني عشر ألفاً ولما رأوا الرسول والمسلمين وراء الخندق تحت جبل سلع قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فتناوشوا بالنبال ورمى عمرو بن عبد ود القرشي بفرسه في الخندق فقتله علي رضي الله عنه ودام الحصار والمناوشة وكانت الأيام والليالي باردة والمجاعة ضاربة أطنابها قرابة الشهر. وتفصيل الأحداث للقصة فيما ذكره تعالى فيما يلي :

فقوله تعالى ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هي جنود المشركين من قريش ومن بني أسد وغطفان ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ لما جاءكم جنود المشركين وحاصروكم في

(١) إذ ظرف للزمان الماضي متعلق (بنعمة) لما فيها من معنى الإنعام أي اذكروا ما أنعم الله به عليكم وقت مجيء جنود العدو إليكم لقتالكم فهزمهم الله جل جلاله بما شاء من وسائل.

(٢) اختلف في السنة التي كانت فيها غزوة الأحزاب فقال قوم كانت سنة خمس وقال آخرون كانت سنة أربع وكانت في شوال، وسميت بغزوة الأحزاب لتحزب المشركين على قتال الرسول والمؤمنين فصاروا حزبا واحداً.

(٣) روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيتُه ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلده بطنه وكان كثير الشعر فرأيتُه يرتجز بكلمات ابن رواحه ويقول: اللهم لولا أنت ما اهدتينا ولا تصدقتنا ولا صلينا

فانزلن سكينتنا علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

(٤) هي جنود الملائكة الذين كانوا يلقون الرعب في قلوب المشركين حتى تخاذلوا وقرروا العودة إلى بلادهم.

سفع سلع أرسلنا عليهم ريحاً وهي ريح الصبا المباركة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا^(١) وأهلكت عاد بالدبور وهي الريح الغربية. وفعلت بهم الصبا الأفاعيل حيث لم تبق لهم ناراً إلا أطفأتها ولا قدراً على الأثافي إلا أراقت، ولا خيمة ولا فسطاطاً إلا أسقطته وأزالته حتى اضطروا إلى الرحيل وقوله ﴿وجنوداً لم تروها﴾ وهم الملائكة فأصابتهم بالفزع والرعب الأمر الذي أفقدهم كل رشدهم وصوابهم ورجعوا يجرون أذيال الخيبة والحمد لله وقوله تعالى ﴿وكان الله بما تعملون بصيراً﴾ أي بكل أعمالكم من حفر الخندق والمشادات والمنارات وما قاله وعمله المنافقون لم يغب عليه تعالى شيء وسيجزىكم به المحسن بالإحسان والمُسِيء بالإساءة.

وقوله تعالى: ﴿إذ جاءكم﴾ أي المشركون ﴿من فوقكم﴾ أي من الشرق وهم غطفان بقيادة عيينة بن حصن وأسد، ﴿ومن أسفل منكم﴾ وهم قريش وكنانة أي من الجنوب الغربي وهذا تحديد لساحة المعركة، وقوله ﴿وإذ زاغت الأبصار﴾ أي مالت عن كل شيء فلم تبق تنظر إلا إلى القوات الغازية من شدة الخوف، ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ أي ارتفعت بارتفاع الرثين فبلغت منتهى الحلقوم^(٢). وقوله ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ المختلفة من نصر وهزيمة وسلامة وعطب، وهذا تصوير للحال أبدع تصوير وهو كما ذكر تعالى حرفياً.

وقوله تعالى ﴿هنالك﴾ أي في ذلك المكان والزمان الذي حدق العدو بكم ﴿أبتلي المؤمنون﴾ أي اختبرهم ربهم ليرى الثابت على إيمانه الذي لا تزعجه الشدائد والفتن من السريع الانهزام والتحول لضعف عقيدته وقلة عزمه وصبره. وقوله تعالى ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ أي أزعجوا وحركوا حراكاً شديداً لعوامل قوة العدو وكثرة جنوده، وضعف المؤمنين وقلة عددهم، وعامل المجاعة والحصار، والبرد الشديد وما أظهره المنافقون من تخاذل وما كشفت عنه الحال من نقض بني قريظة عهدهم وانضمامهم إلى الأحزاب وقوله تعالى: ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ أي النفاق لضعف إيمانهم

(١) قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطلقني لنصرة النبي ﷺ وقالت الشمال ان مخوة لا تسري بالليل فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا وهي الريح الشرقية، (مخوة) من أسماء ريح الشمال لأنها تمحو السحاب.
(٢) وقيل هذا من باب المبالغة على إضمار كادت أي ارتفعت من أماكنها لشدة الخوف حتى كادت تبلغ الحناجر جمع حنجرة، قال الشاعر:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

أي كادت تقطر، والحنجرة والحنجور حرف الحلق أي طرفه.

(٣) من بين القائلين طعمة بن ابيرق ومعتب بن قشير وجماعة قالوا يوم الخندق كيف بعدنا كنوز كسرى وقصر ولا يستطيع أحد منا أن يتبرز.

﴿ما وعدنا الله ورسوله﴾ أي من النصر ﴿إلا غروراً﴾ أي باطلا: وذلك أنهم لما كانوا يحفرون في الخندق استعصت عليهم صخرة فأبت أن تنكسر فدعي لها الرسول صلى الله عليه وسلم فضربها بالمعول ضربة تصدعت لها ويرق منها بريقٌ أضاء الساحة كلها فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون، ثم ضربها ثانية فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير الفتح وكبر المسلمون وضرب ثالثة فكسرها وبرقت لها برقة كسابقتها وكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد سلمان فرقى من الخندق فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيته قط فالتفت رسول الله إلى القوم فقال هل رأيتم ما رأى سلمان؟ قالوا نعم يا رسول الله فأعلمهم أنه على ضوء ذلك البريق رأى قصور مدائن كسرى كأنياب الكلاب وإن جبريل أخبرني أن أمتي ظاهرة عليها كما رأيت في الضربة الثانية قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ورأيت في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا أبشروا أبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صدق. فلما طال الحصار واشتدت الأزمة واستبد الخوف بالرجال قال المنافقون وضعفاء الإيمان ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ إذ قال معتب^(١) بن قشير يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا وخوفاً ما هذا إلا وعد غرورا!!

وقوله ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ أي من المنافقين. وهو أويس بن قيطى أحد رؤساء المنافقين ﴿يا أهل يثرب﴾ أي المدينة قبل أن يبطل الرسول هذا الاسم لها ويسميتها بالمدينة ﴿لا مقام لكم﴾ أي في سفح سلع عند الخندق ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم داخل المدينة بحجة أنه لا فائدة في البقاء هنا دون قتال، وما قال ذلك إلا فراراً من القتال وهروباً من المواجهة، وقوله تعالى ﴿ويستأذن فريق منهم النبي﴾ أي يطلبون الإذن لهم بالعودة إلى منازلهم بالمدينة بدعوى أن بيوتهم عورة أي مكشوفة أمام العدو وهم لا يأمنون عليها

(١) تقدم انه من رواية النسائي «النهر».

(٢) لفظ الطائفة يطلق على الواحد فأكثر والمعنى أوس بن قيطي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه لشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

(٣) يثرب هي المدينة وسماها النبي ﷺ طيبة وطابه قال السهيلي سمي العرب في الجاهلية المدينة يثرب، لأن الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عميل بن قهلايل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن ارم.

(٤) قرأ نافع والجمهور لا مقام بفتح الميم وهو اسم لمكان القيام، وقرأ حفص بضم الميم المقام وهو اسم لمحل الإقامة.

وأكذبهم الله تعالى في قولهم فقال ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾ أي ما يريدون بهذا الاعتذار إلا الفرار من وجه العدو، وقال تعالى فيهم ومن أصدق من الله قيلاً. ﴿ولو دخلت عليهم﴾ المدينة ﴿من أقطارها﴾ أي من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب ثم ﴿سئلوا الفتنة﴾ أي ثم طلب منهم العدو الغازي الذي دخل عليهم المدينة الردة أي العودة إلى الشرك ﴿لأتوها﴾ أعطوها فوراً ﴿وماتلبثوا بها إلا يسيراً﴾ حتى يردوا عن الإسلام ويصبحوا كما كانوا مشركين والعياذ بالله من النفاق والمنافقين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- (١) مشروعية التذكير بالنعم ليشكرها المذكرون بها فتزاد طاعتهم لله ورسوله.
- (٢) عرض غزوة الأحزاب أو الخندق عرضاً صادقاً لا أمثل منه في عرض الأحداث للعبارة.
- (٣) بيان أن غزوة الخندق كانت من أشد الغزوات وأكثرها ألماً وتعباً على المسلمين.
- (٤) بيان أن حُسنَ الظن بالله ممدوح، وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق.
- (٥) بيان مواقف المنافقين الداعية إلى الهزيمة ليكون ذلك درساً للمؤمنين.
- (٦) تقرير النبوة المحمدية بإخبار الغيب التي أخبر بها رسول الله فكانت كما أخبر من فتح فارس والروم واليمن.

وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا

اللَّهِ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا ذُبُرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا

لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ

أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ

(١) نَمَّ العطف بها هنا للترتيب الزمني، إذ كان مقتضى الظاهر أن يكون العطف بالواو، لأن المذكور بعد حرف العطف داخل في فعل الشرط ووارد عليه جوابها فعدل عن الواو إلى ثم لأجل التنبيه على أن ما بعد ثم أهم من الذي قبلها أي أنهم مع ذلك يأتون الفتنة.

لَاخُونَهُمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْحَةً
 عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرون إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
 كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
 بِالْسِنَةِ جِدَارٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
 اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل : أي من قبل غزوة الخندق وذلك يوم أحد قالوا : والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولا نولي الأديبار.

وكان عهد الله مسؤلاً : أي صاحب العهد عن الوفاء به .

وإذا لا تمتعون إلا قليلا : أي وإذا فررتن من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلا وتموتون .

من ذا الذي يعصمكم من الله : أي من يجيركم ويحفظكم من الله .

إن أراد بكم سوءاً : أي عذابا تستاءون له وتكربون .

قد يعلم الله المعوقين منكم : أي المشبطين عن القتال المفشلين إخوانهم عنه حتى لا يقاتلوا مع رسول الله والمؤمنين .

هلم إلينا : أي تعالوا إلينا ولا تخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا يأتون البأس إلا قليلا : أي ولا يشهدون القتال إلا قليلا دفعاً عن أنفسهم تهمة النفاق .

أشحة عليكم : أي بخلاء لا ينفقون على مشاريعكم الخيرية كنفقة الجهاد وعلى الفقراء .

تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت : أي تدور أعينهم من شدة الخوف لجنهم كالمحتضر الذي يغشى عليه أي يغمى عليه من آلام سكرات الموت .

سلقوكم بالسنة حداد : أي آذوكم بالسنة ذربة حادة كأنها الحديد وذلك بكثرة

كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال .

أشحة على الخير : أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتى القول .

أولئك لم يؤمنوا : أي إنهم لم يؤمنوا بالإيمان الصحيح فلذا هم جنباء عند اللقاء بخلاء عند العطاء .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في عرض أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى : ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي ولقد عاهد أولئك المنافقون الله من قبل غزوة الأحزاب وذلك يوم فروا من غزوة أحد إذ كانت قبل غزوة الأحزاب بقرابة السنتين فقالوا والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولا نولي الأدبار، فذكرهم الله بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم ثم نكثوه، ﴿وكان عهد الله مستولاً﴾ أي يُسأل عنه صاحبه ويؤاخذ به . وقوله تعالى : ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ أي قل لهم يارسولنا إنه لن ينفعكم الفرار أي الهروب من الموت أو القتل لأن الأجل محددة ومن لم يمت بالسيف مات بغيره فلا معنى للفرار من القتال إذا وجب وقوله ﴿وإذا لا تمتعون إلا قليلاً﴾ أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلاً من الزمن ثم تموتون عند نهاية أعماركم وهي فترة قليلة، فالفرار لا يطيل أعماركم والقتال لا ينقصها، وقوله تعالى ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة﴾ أي قل لهم يارسولنا تبكيثا لهم وتأنيباً وتعلماً أيضاً : ﴿من ذا الذي يعصمكم أي يجيركم ويحفظكم من الله﴾ إن أراد بكم سوءاً﴾ أي ما يسوءكم من بلاء وقتل ونحوه ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أي سلامة وخيراً فليس هناك من يحول دون وصول ذلك إليكم لأن الله تعالى يجير ولا يُجار عليه وقوله تعالى ﴿ولا يجدون لهم من

(١) ذكر بعضهم أن هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة إذ هموا بالرجوع يوم أحد، وقيل هم من فاتهم وقعة بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وما في التفسير أرجح لدلالة السياق عليه .

(٢) المراد بعهد الله كل عهد يعاهد عليه العبد ربه فإنه يجب عليه الوفاء به وإن تركه سئل عنه وحوسب به يوم القيامة .

(٣) الأدبار جمع دبر والمراد به الظهر فالأدبار الظهور وتولية الأدبار كناية عن الفرار .

(٤) في الكلام محذوف تقديره أو يجرمكم أن أراد بكم رحمة وهذا يعرف بدلالة الاقتضاء إيجازاً للكلام كقول الراعي :

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيوناً

أي وكحلن العيون .

(٥) الاستفهام للنفي أي لا أحد يعصمهم مما أراد الله تعالى بهم .

دون الله ولياً ولا نصيراً^(١) أي ولا يجد المخالفون لأمر الله العصاة له ولرسوله من دون الله ولياً يتولاهم فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء، ولا نصيراً ينصرهم إذا أراد الله إذلالهم وخُذلانهم لسوء أفعالهم، وقوله تعالى في الآية (١٨) في هذا السياق ﴿قد يعلم الله^(٢) المعوقين منكم﴾ أخبرهم تعالى بأنه قد علم المعوقين أي المشبطين عن القتال والمخذلين بما يقولونه سرّاً في صفوف المؤمنين كالطابور الخامس في الحروب وهم أناس يذكرون في الخفاء عظمة العدو وقوته يرهبون منه ويخذلون عن قتاله . وقوله ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾ أي تعالوا إلينا إلى المدينة واتركوا محمداً وأصحابه يموتون وحدهم فإنهم لا يزيدون عن أكلة جزور . وقوله ﴿ولا يأتون البأس إلا قليلاً﴾ أي ولا يشهد القتال ويحضره أولئك المنافقون المشبطون والذين قالوا إن بيوتنا عورة إلا قليلاً إذ يتخلفون في أكثر الغزوات وإن حضروا مرة قتالا فإنما هم يدفعون به معرة التخلف ودفعاً لتهمة النفاق التي لصقت بهم .

وقوله تعالى ﴿أشحة عليكم﴾^(٣) وصفهم بالبخل بعد وصفهم بالجبن وهما شر صفات المرء أي الجبن والبخل أشحة عليكم أي بخلاء لا ينفقون معكم لا على الجهاد ولا على الفقراء والمحتاجين وقوله تعالى ﴿فإذا جاء الخوف﴾^(٤) أي بسبب هجوم العدو ﴿رأيتهم﴾ أيها الرسول ﴿ينظرون إليك﴾ لا تذين بك ﴿تدور أعينهم﴾ من الخوف ﴿كالذي يغشى عليه من الموت﴾ وهو المحتضر يُغشى عليه لما يعاني من سكرات الموت وهذا تصوير هائل لمدى ما عليه المنافقون من الجبن والخوف وعلّة هذا هو الكفر وعدم الإيمان بالقدر والبعث والجزاء

وقوله ﴿فإذا ذهب الخوف﴾ أي راحت أسبابه بانتهاء الحرب ﴿سلقوكم بالسنة﴾ أي سلقكم أولئك الجبناء عند اللقاء أي ضربوكم بالسنة ذربة حادة كالحديد بالمطالبة بالغنيمة أو بالتبجح الكاذب بأنهم فعلوا وفعلوا . وهذا حالهم إلى اليوم

(١) المراد بالولي من يتولى نفعهم والنصير من يتولى نصرهم في الحرب .

(٢) قد تفيد التحقيق فهي مؤكدة لمضمون الجملة لتطلب المقام ذلك لوجود شك لدى المخاطبين ، والمعوقين جمع معوق وهو من يكثر منه العوق وهو المنع من العمل والحيلولة دونه والصيغة صيغة مبالغة نحو طوّف وغلّف وسَمِع .

(٣) أشحة جمع شحيح والقياس أشحاء لكنهم عدلوا عنه فقالوا أشحة والضمير في عليكم يعود إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، والشح البخل بما في الوسع اعطاؤه .

(٤) الخوف هنا توقع القتال من الجيشين .

وقوله ﴿أشحة على الخير﴾ أي بخلاء على مشاريع الخير وما ينفق في سبيل الله فلا ينفقون لأنهم لا يؤمنون بالخلف ولا بالثواب والأجر وذلك لكفرهم بالله ولقائه. ولذا قال تعالى ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ فسجل عليهم وصف الكفر ورتب عليه نتائجه فقال ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ أي أبطلها فلا يثابون عليها لأنها أعمال مشرك وأعمال المشرك باطلة، وقوله ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي إبطال أعمالهم وتخيبهم فيها وحرمانهم من جزائها يسير على الله ليس بالعسير. ولذا هو واقع كما أخبر تعالى

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) وجوب الوفاء بالعهد إذ نقض العهد من علامات النفاق.
- (٢) ترك الجهاد خوفاً من القتل عمل غير صالح إذ القتال لا ينقص العمر وتركه لا يزيد فيه.
- (٣) الشح والجبن من صفات المنافقين وهما شر الصفات في الإنسان.
- (٤) الثرثرة وكثرة الكلام والتبجح بالأقوال من صفات أهل الجبن والنفاق.
- (٥) الكفر محبط للأعمال.

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ

لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوَأَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن

(١) أولئك أصحاب تلك الصفات الذميمة الصادرة عن قلوب لم يخالطها بشاشة الإيمان فلذا أحبط الله أعمالهم لأنها لم تكن ثمرة إيمان صحيح فلذا هي فاسدة لا تزكي النفس ولا يستحق صاحبها أجراً.

قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ
 اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ
 أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
 وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

يحسبون الأحزاب : أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الأحزاب وهم قريش
 وغطفان .

لم يذهبوا : أي لم يعودوا إلى بلادهم خائبين .

وإن يأت الأحزاب : أي مرة أخرى فرضاً

يودوا لو أنهم بادون في : أي من جنهم وخوفهم يتمنون أن لو كانوا في البداية مع
 الاعراب .

يسألون عن أنبائكم : أي إذا كانوا في البداية لو عاد الأحزاب يسألون عن
 أنبائكم أي أخباركم هل انهزمت أم انتصرتم .

ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً : أي ولو كانوا بينكم في الحاضرة ما قاتلوا معكم إلا قليلاً .

أسوة حسنة : أي قدوة صالحة تقتدون به صلى الله عليه وسلم في
 القتال والثبات في موطنه .

هذا ما وعدنا الله ورسوله : من الابتلاء والنصر .

وصدق الله ورسوله : في الوعد الذي وعد به .

وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً : أي تصديقاً بوعد الله وتسليماً لأمر الله .

صدقوا ما عاهدوا الله عليه : أي وفوا بوعدهم .

فمنهم من قضى نجبه : أي وفى بنذره فقاتل حتى استشهد .

ومنهم من ينتظر : أي ما زال يخوض المعارك مع رسول الله وهو ينتظر

القتل في سبيل الله .

وما بدلوا تبديلاً
ورد الله الذين كفروا بغيظهم : أي ورد الله الأحزاب خائبين لم يظفروا بالمؤمنين .
وكفى الله المؤمنين القتال : أي بالريح والملائكة

معنى الآيات :

ما زال السياق في سرد أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ أي يحسب أولئك المنافقون الجبناء الذين قالوا إن بيوتنا عورة وقالوا لإخوانهم هلم إلينا أي اتركوا محمداً في الواجهة وحده إنهم لجبنهم ظنوا أن الأحزاب لم يعودوا إلى بلادهم مع أنهم قد رحلوا وهذا منتهى الجبن والخوف وقوله تعالى ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ أي مرة أخرى على فرض وتقدير ﴿يودوا﴾ يوشك ﴿لو أنهم يادون في الأعراب﴾ أي خارج المدينة مع الأعراب في البادية لشدة خوفهم من الأحزاب الغزاة، وقوله تعالى ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ أي أخباركم هل ظفروا بكم الأحزاب أو لا، ﴿ولو كانوا فيكم﴾ أي بينكم ولم يكونوا في البادية ﴿ما قاتلوا إلا قليلاً﴾ وذلك لجبنهم وعدم إيمانهم بفائدة القتال لكفرهم بلقاء الله تعالى وما عنده من ثواب وعقاب هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٠)

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢١) ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ أي: لقد كان لكم أيها المسلمون أي : من مؤمنين صادقين ومنافقين كاذبين في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة أي قدوة صالحة فاقنوا به في جهاده وصبره وثباته، فقد جاع حتى شد بطنه بعصاة وقاتل حتى شج وجهه وكسرت رباعيته ومات عمه وحفر الخندق بيديه وثبت في سفح سلع أمام العدو قرابة شهر فأتسوا به في الصبر والجهاد والثبات إن كنتم ترجون الله أي تنظرون ما عنده من خير في مستقبل أيامكم في الدنيا والآخرة وترجون اليوم الآخر أي ترتقبونه وما فيه من سعادة

(١) قرئ: لو أنهم بُدئ جمع بادٍ كغزى، يقال بدأ فلان يبدو إذا خرج إلى البادية وهي البادية وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح .

(٢) أي هل هلك محمد وأصحابه، أم غلب أبو سفيان وأحزابه؟ أي يودون لو أنهم يادون سائلون عن أنبائكم من غير مشاهدة قتال لفرط جبنهم .

(٣) هذه الآية تحمل عتاباً شديداً للمتخلفين عن القتال والأسوة بضم الهمزة قراءة عاصم وبالكسر قراءة الجمهور وهي اسم لما يؤتسى به أي يقتدى به : ويعمل مثل عمله وجمع الاسوة أسى وأسى .

(٤) اختلف في الاتساء برسول الله ﷺ هل هو على الإيجاب أو النذب أو هو على الإيجاب . حتى يقوم دليل الاستجاب أو هو على العكس، والصواب أنه فيما هو واجب واجب وفيما هو مستحب مستحب .

وشقاء، ونعيم مقيم أو جحيم وعذاب أليم. وتذكرون الله تعالى كثيراً في كل حالاتكم وأوقاتكم، فاقصدوا بنبيكم فإن الاقتداء به واجب لا يسقط إلا عن عجز والله المستعان. وقوله تعالى في الآية الثالثة في هذا السياق (٢٢) ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ أي لما رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أحاطت بهم ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ بخلاف ما قاله المنافقون حيث قالوا ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ وقوله ﴿وما زادهم﴾ أي رؤيتهم للأحزاب على كثرتهم ﴿إلا إيماناً﴾ بصدق وعد الله ﴿وتسليماً﴾ لقضائه وحكمه، وهذا ثناء عطر على المؤمنين الصادقين من ربهم عز وجل.

وقوله تعالى ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ هذا ثناء آخر على بعض المؤمنين الذين لما تخلفوا عن بدر فتأسفوا ولما حصل انهزام لهم في أحد عاهدوا الله لئن أشهدهم الله قتالاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقاتلن حتى الاستشهاد فأخبر تعالى عنهم بقوله فمنهم من قضى نحبه أي وفي بنذره فقاتل حتى استشهد ومنهم من ينتظر القتل في سبيل الله، وقوله تعالى ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ أدنى تبديل في موقفهم فثبتوا على عهدهم بخلاف المعوقين من المنافقين فإنهم بدلوا وغيروا ما عاهدوا الله عليه وقوله تعالى ﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم﴾ أي أجرى تعالى تلك الأحداث فكانت كما قدرها في كتاب المقادير، ليجزي الصادقين بصدقهم فيكرمهم وينعمهم في جواره ويعذب المنافقين بناره إن شاء ذلك فيميتهم قبل توبتهم، أو يتوب عليهم فيؤمنوا ويوحدا ويدخلوا الجنة مع المؤمنين الصادقين وهو معنى قوله: ﴿ويعذب المنافقين إن شاء﴾ ذلك لهم قضاء وقدراً أو يتوب عليهم فيتوبوا فلا يعذبوا، وقوله ﴿إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ إخبار منه تعالى عن نفسه بأنه كان ذا ستر على ذنوب التائبين من عباده رحيماً بهم فلا يعاقبهم بعد توبتهم.

(١) المراد من الوعد الذي ذكره هو ما تضمنته آية البقرة ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ الآية أي قوله إلا إن نصر الله قريب كما أن الرسول ﷺ قد أخبرهم بقدوم الأحزاب عليهم وأن الله ناصرهم عليهم.

(٢) في هذه الجملة تعريض بالمنافقين الذين عاهدوا الله لا يولون الأديار ثم ولوا راجعين وعادوا إلى بيوتهم تاركين الرسول والمؤمنين في المواجهة.

(٣) الجملة تعليلية أي ثم الذي تم من الوفاء والغدر والصبر والجزع والهزيمة والنصر لعله أن يجزي الله الصادقين بما يناسب صدقهم وهو المغفرة ويجزي المنافقين بما يناسب نفاقهم.

وقوله تعالى في آخر هذا السياق (٢٥) ﴿ورد الله الذين كفروا﴾ وهم قريش وكنانة وأسد وغطفان ردهم بغيبهم أي بكر بهم وغمهم حيث لم يظفروا بالرسول والمؤمنين ولم يحققوا شيئاً مما أملوا تحقيقه، وكفى الله المؤمنين القتال حيث سلط على الأحزاب الريح والملائكة فانهزموا وفروا عائدين إلى ديارهم لم ينالوا خيراً. وكان الله قوياً على إيجاد ما يريد إيجاداً عزيزاً أي غالباً على أمره لا يمتنع منه شيء أرادته.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١) تقرير أن الكفر والنفاق صاحبهما لا يفارقه الجبن والخور والشح والبخل.
- ٢) وجوب الائتساء برسول الله في كل ما يطيقه العبد المسلم ويقدر عليه.
- ٣) ثناء الله تعالى على المؤمنين الصادقين لمواقفهم المشرفة ووفائهم بعهودهم.
- ٤) ذم الانهزاميين الناكثين لعهودهم الجبناء من المنافقين وضعاف الإيمان.
- ٥) بيان الحكمة في غزوة الأحزاب، ليجزي الصادقين الخ.

وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ مِّنْ صِيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ

فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْسَرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ

وَدَيَّرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

- ظاهروهم : أي ناصروهم ووقفوا وراءهم يشدون أزرهم .
- من صياصيصهم : أي من حصونهم والصياصي جمع صيصية وهي كل ما يمتنع به
- وقذف في قلوبهم الرعب : أي ألقى الخوف في نفوسهم فخافوا
- وأرضاً لم تطأوها : أي لم تطأوها بعد وهي خير إذ فتحت بعد غزوة الخندق .

(١) روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في قوله تعالى ﴿ورد الله الذين كفروا بغيبهم﴾ قالت: أبو سفيان بن حرب وعيينه بن بدر.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ^(١) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هذا شروع في ذكر غزوة بني قريظة إذ كانت بعيد غزوة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة في آخر شهر القعدة وخلاصة الحديث عن هذه الغزوة أنه لما ذهب الأحزاب وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة وكان بنو قريظة قد نقضوا عهدهم وانضموا إلى الأحزاب من المشركين عوناً لهم على رسول الله والمؤمنين فلما ذهب الأحزاب وانصرف الرسول والمؤمنون من الخندق إلى المدينة فما راع الناس إلا ومناذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي إلى بني قريظة فلا يصلين أحدكم العصر إلا ببني قريظة وهي على أميال من المدينة وذلك أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم فقال يارسول الله وضعت السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فقام رسول الله وأمرنانياً ينادي بالذهاب إلى بني قريظة وذهب رسول الله والمسلمون فحاصروهم قرابة خمس وعشرين ليلة وجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب فقال لهم رسول الله أتتزلون على حكمي فأبوا فقال أتتزلون على حكم سعد بن معاذ^(٢)؟ فقالوا نعم فحكمه فيهم فحكم بأن يُقتل الرجال وتسي الذراري والنساء وتقسم الأموال، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم مقررراً للحكم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات. فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار وخرج إلى سوق المدينة فحفر فيها خندقاً ثم جيء بهم وفيهم حبي بن أخطب الذي حزّب الأحزاب وكعب بن أسد رئيس بني قريظة، وأمر علياً والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم في ذلك الخندق.

وبذلك انتهى الوجود اليهودي المعادي بالمدينة النبوية. والحمد لله.

فقوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ﴾ أي الله تعالى بقدرته ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي ظاهروا الأحزاب وكانوا عوناً لهم على الرسول والمؤمنين وهم يهود بني قريظة ﴿مَنْ صِيَّاصِيهِمْ^(٣)﴾ أي أنزلهم من حصونهم الممتنعين بها، ﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ ولذا

(١) المظاهرون بفتح الهاء هم قريش وكنانة وغطفان والمظاهرون لهم هم بنو قريظة من أهل الكتاب.

(٢) كان سعد رضي الله عنه قد أصابه سهم في غزوة الخندق فوضعه رسول الله ﷺ في خيمة بالمسجد ليتمكن من زيارته وكان رضي الله عنه لما أصابه السهم دعا الله تعالى: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فابقي لها وإن كنت أنهيت الحرب بيننا وبينهم فافجرها، ولا تمنني حتى تفر عيني من بني قريظة فاستجاب الله تعالى له وحكمه رسول الله ﷺ فيهم فحكم عليهم بأن تقتل مقاتليهم وتسي نساؤهم وذريتهم.

(٣) الصياصي واحدها صيصة، والمراد حصونهم التي يتمنعون بها. قال الشاعر:

فجئت إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

والصيصة: شوكة الحائك وصياصي البقر قرونها لأنها تتمنع بها.

قبلوا التحكيم فحكّم فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأوس سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكّم فيهم بقتل المقاتلة من الرجال وسبي النساء والذراري وهو معنى قوله تعالى ﴿فريقا تقتلون﴾ وهم الرجال ﴿وتأسرون فريقا﴾ وهم النساء والأطفال، وقوله ﴿وأورثكم أرضهم﴾ الزراعية ﴿وديارهم﴾ السكنية ﴿وأموالهم﴾ الصامته والناطقة وقوله ﴿وأرضاً لم تطئوها﴾ أي أورثكم أرضاً لم تطئوها بعد وهي أرض خيبر^(١) حيث غزاهم رسول الله في السنة السادسة بعد صلح الحديبية وفتحها الله عليهم وقوله ﴿وكان الله على كل شيء قديراً﴾ تذييل المراد به تقرير ما أخبر تعالى به من نصر أوليائه وهزيمة أعدائه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- (١) بيان عاقبة الغدر فإن قريظة لما غدرت برسول الله انتقم منها فسلب عليها رسوله والمؤمنين فأبادوهم عن آخرهم ولم يبق إلا الذين لا ذنب لهم وهم النساء والأطفال .
- (٢) بيان صادق وعد الله إذ أورث المسلمين أرضاً لم يكونوا قد وطئوها وهي خيبر والشام والعراق وفارس وبلاد أخرى كبيرة وكثيرة .
- (٣) تقرير أن قدرة الله لا تحد أبداً فهو تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء .

يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكِ إِن كُنْتَن تَرِدْنَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
 سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتَن تَرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ
 الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

(١) وقال مقاتل هي خيبر إذ لم يكونوا قد نالوها بعد فوعدهم الله إياها وقال الحسن فارس والروم، وقال عكرمة كل أرض تفتح إلى يوم القيامة والكل صالح ومقبول، وما في التفسير أقرب لأنها أرض اليهود فالسياق ساعد على أنها أرض خيبر، وقال صاحب التحرير أنها أرض بني النضير لأنهم ما فتحوها عنوة فلم تظلموا حوافر الخيل ولا أقدم الأبطال .
 (٢) وفيه الإيحاء ببشرى فتوحات تعقب هذا الفتح .

يُنْسَاءُ النَّبِيَّ مِنْ يَأْتِ مِنْكَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

قل لأزواجك : أي اللاتي هن تحتة يومئذ وهن تسع طلبن منه التوسعة في النفقة عليهن ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوسع به عليهن .

فتعالين : أي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يومئذ قد اعتزلهن شهراً .
امتعلن : أي متعة الطلاق المشروعة على قدر حال المطلق سعة وضيقاً .

أسرحكن سراحاً جميلاً: أي اطلقكن طلاقاً من غير إضرار بكن .

تردن الله ورسوله والدار الآخرة : أي تردن رضا الله ورسوله والجنة .

فإن الله أعد للمحسنات: أي عشرة النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على الإحسان العام .

بفاحشة مبينة : أي بنشوز وسوء خلق يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يضعف لها العذاب ضعفين : أي مرتين على عذاب غيرهن ممن آذين أزواجهن .

وكان ذلك على الله يسيراً : أي مضاعفة العذاب يسيرة هيئة على الله تعالى .

معنى الآيات :

شاء الله تعالى أن يجتمع نساء الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأين نساء الأنصار

والمهاجرين قد وُسع عليهن في النفقة لوجود يسر وسعة رزق بين أهل المدينة، أن

يطالبن بالتوسعة في النفقة عليهن أسوة بغيرهن وكن يومئذ تسعا وهن عائشة بنت أبي بكر،

وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي

أمية، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجويرية بنت الحارث

المصطلقية، وصفية بنت حيي بن أخطب النضرية فأبلغت عائشة ذلك رسول الله صلى

الله عليه وسلم فتأثر لذلك، لعدم القدرة على ما طلب منه وقعد في مشربة له واعتزلهن شهراً كاملاً حتى أنزل الله تعالى آية التخيير وهي هذه ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها﴾ من لذيذ الطعام والشراب وجميل الثياب وحلي الزينة ووافر ذلك كله فتعالين إلى مقام الرسول الرفيع ﴿أمتعن﴾ المتعة المشروعة في الطلاق ﴿وأسرحكن﴾ أي أطلقكن^(١) ﴿سراحاً جميلاً﴾ أي لا إضرار معه، ﴿وإن كنتن تردن الله ورسوله﴾ أي رضاهما ﴿والدار الآخرة﴾ أي الجنة ﴿فإن الله أعد﴾ أي هيا وأحضر ﴿للمحسنات﴾ طاعة الله ورسوله ﴿منكناً أجراً عظيماً﴾ وهو المقامات العالية في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم في دار السلام.

وخيرهن صلى الله عليه وسلم امتثالاً لأمر الله في قوله ﴿قل لأزواجك﴾ وبدأ بعائشة فقال لها: إني أريد أن أذكر لك أمراً فلا تقضي فيه شيئاً حتى تستأمري أبويك أي تطلبين أمرهما في ذلك وقرأ عليها الآية فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة، وتتابعن على ذلك فما اختارت منهن امرأة غير الله ورسوله والدار الآخرة فأكرمهن الله لذلك وأنزل على رسوله: ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً﴾

وقوله تعالى ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ أي بخصلة قبيحة ظاهرة كسوء عشرة النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى ﴿يضاعف لها العذاب﴾ يوم القيامة لأن أذية رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبواب الكفر والعياذ بالله تعالى. ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي وكان تضعيف العذاب على من أتت بفاحشة مبينة شيئاً يسيراً على الله لا يعجزه حتى لا يفعله وهذا لأمرين الأول لأن أذية الرسول من أبواب الكفر والثاني لعلو مقامهن وشرفهن فإن ذا الشرف والمنزلة العالية يُستقبح منه القبيح أكثر مما يستقبح من غيره.

(١) عامة أهل السنة والجماعة على أن الرجل إذا خير زوجته فاخترت الطلاق كان طلاقاً أما إذا خيرها فاخترت عدم الطلاق فليس عليها شيء ولا يقع طلاق ما دامت لم تختره واختارت عدمه وهو البقاء.

(٢) معنى ارادة الحياة الدنيا يشارك ما في الحياة الدنيا من متع وترف على الاشتغال بالطاعات والزهد في زينة الحياة الدنيا ومظاهرها الساحرة الخلابة.

(٣) نص الحديث: يا عائشة اني أريد أن اعرض عليك امرأ أحب ألا تتعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلى عليها الآية. قالت أفيك يا رسول الله استشير أبوي! بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة.

(٤) ناداهن الله تعالى بعنوان نساء النبي اعلان عن شرفهن وكما لهن بعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

(٥) إذا اطلق لفظ الفاحشة معرفاً بال فهو الزنى، وإذا ورد نكره فهو المعصية كما في هذه الآية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١) مشروعية تخيير الزوجات فإن اخترن الطلاق تَطَلَّقْنَ وإن لم يخترنه فلا يقع الطلاق .
- ٢) كمال أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حيث اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الدنيا وزيتها .
- ٣) مشروعية المتعة بعد الطلاق وهي أن تعطى المرأة شيئاً من المال بحسب غنى المطلق وفقره لقوله تعالى ﴿على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾
- ٤) وجوب الإحسان العام والخاص، الخاص بالزوج والزوجة والعام في طاعة الله ورسوله .
- ٥) بيان أن سيئة العالم الشريف أسوأ من سيئة الجاهل الوضيع . ولذا قالوا حسنات الأبرار سيئات المقربين كمثل من الأمثال السائرة للعظة والاعتبار .

❖ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأذْكَرْتُ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

شرح الكلمات :

- ومن يقنت منكم لله ورسوله : أي ومن يطع منكم الله ورسوله .
 نؤتها أجرها مرتين : أي نضاعف لها أجر عملها الصالح حتى يكون ضعف عمل امرأة أخرى من غير نساء النبي .
 واعتدنا لها رزقا كريما : أي في الجنة .
 يا نساء النبي لستن كأحد من النساء : أي لستن في الفضل كجماعات النساء .
 إن اتقيتن : بل أنتن أشرف وأفضل بشرط تقواكن لله .
 فلا تخضعن بالقول : أي نظراً لشرفكن فلا ترققن العبارة .
 فيطمع الذي في قلبه مرض : أي مرض النفاق أو مرض الشهوة .
 وقلن قولا معروفا : أي جرت العادة أن يقال بصوت خشن لا رقة فيه .
 وقرن في بيوتكن : أي أقررن في بيوتكن ولا تخرجن منها إلا لحاجة .

ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى : أي ولا تتزين وتخرجن متبخترات متفنجات كفعل نساء الجاهلية الأولى قبل الاسلام .

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس : أي إنما أمركن بما أمركن به من العفة والحجاب ولزوم البيوت ليظهركن من الأدناس والردائل .
واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة : أي الكتاب والسنة لتشكرون الله على ذلك بطاعته وطاعة رسوله .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم مع أزواج النبي أمهات المؤمنين فبعد أن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة عن الحياة الدنيا وزينتها أصبحن ذوات رفعة وشأن عند الله تعالى ، وعند رسوله والمؤمنين . فأخبرهن الرب تبارك وتعالى بقوله : ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله﴾ أي تطع الله بفعل الأوامر وترك النواهي وتطع رسوله محمداً ﷺ فلا تعص له أمراً ولا تسىء إليه في عشرة ، وتعمل صالحاً من النوافل والخيرات نوتها أجرها مرتين أي نضاعف لها أجر عملها فيكون ضعف أجر عاملة أخرى من النساء غير أزواج الرسول ﷺ . وقوله : ﴿واعتدنا لها رزقا كريماً﴾ أي في الجنة فهذه بشارة بالجنة لنساء النبي أمهات المؤمنين التسع اللاتي نزلت هذه الآيات في شأنهن .

(٣) هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٣١) وقوله تعالى : ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ أي يا زوجات النبي أمهات المؤمنين إنكن لستن كجماعات النساء إن شرفكن أعظم ومقامكن أسمى وكيف واثنت أمهات المؤمنين وزوجات خاتم النبيين فاعرفن قدركن بزيادة الطاعة لله ولرسوله ، وقوله إن اتقيتن أي إن هذا الشرف حصل لكن بتقواكن لله فلازمن التقوى إنكن بدون تقوى لا شيء يذكر شأنكن شأن سائر النساء . وبناء عليه ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ أي لا تلين الكلمات وترققن الصوت إذا تكلمتن مع الأجانب من الرجال . وقوله تعالى : ﴿فيطمع الذي في

(١) التاء في اعتدنا بدل عن أحد الدالين من اعد لقرب مخرجها وقصد التخفيف .

(٢) أعيد خطابهن من قبل الله تعالى كما أعيد نداؤهن تشريفاً لهن وإظهاراً للاهتمام بالخبر . وأحد بمعنى واحد قلبت همزته وأوا .

(٣) هذا الشرط معتبر في التقوى ، إذ بين لهن أن هذا الشرف وهذه البشري بالجنة إنما كانت بشرط التقوى والتقوى اجتناب وامتنال .

(٤) قال ابن عباس : المرأة تندب إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في القول من غير رفع صوت فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام .

قلبه مرض ﴿ نفاق أو ضعف إيمان مع شهوة عارمة تجعله يتلذذ بالخطاب وقوله: ﴿وقلن قولاً﴾^(١) معروفاً وهو ما يؤدي المعنى المطلوب بدون زيادة ألفاظ وكلمات لا حاجة إليها. وقوله: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ أي اقررن فيها بمعنى اثبتن فيها ولا تخرجن الا لحاجة لا بد منها وقوله: ﴿ولا تبرجن﴾ أي إذا خرجتن لحاجة ﴿تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي قبل الإسلام إذ كانت المرأة تتجمل وتخرج متبخرة متكسرة متنججة في مشيتها وصوتها تفتن الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وأقمن الصلاة﴾ بأدائها مستوفاة الشروط والأركان والواجبات في أوقاتها مع الخشوع فيها ﴿وأتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله﴾ بفعل الأمر واجتناب النهي. أمرهن بقواعد الإسلام وأهم دعائمه. وقوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ أي إنما أمرناكن ونهيناكن إرادة إذهاب الدنس والإثم ابقاءً على طهركن يا أهل البيت النبوي.

وقوله تعالى: ﴿وطهركم تطهيراً﴾ أي كاملاً تاماً من كل ما يؤثم ويدسى النفس ويدنسها. وقوله تعالى ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ من الكتاب والسنة وهذا أمر لهن على جهة الموعظة وتعدد النعمة. وقوله تعالى: ﴿إن الله كان لطيفاً﴾ أي بكم يا أهل البيت خبيراً بأحوالكم ففقوا فيه وفوضوا الأمر إليه. والمراد من أهل البيت هنا أزواج النبي ﷺ^(٢) وفاطمة وأبنائها الحسن والحسين وعلي الصهر الكريم رضي الله عن آل بيت رسول الله أجمعين وعن صحابته أكتعين^(٣) أبتعين أبصعين . .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- لا شرف الا بالتقوى. ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

٢- بيان فضل نساء النبي وشرفهن .

(١) قرأ نافع وحفص وقرن بفتح القاف من قرر كعلم يقرر والأمر اقررن فحذفت الراء الأولى تخفيفاً والغيت حركتها على القاف، فسقطت همزة الوصل لعدم الحاجة إليها عندما تحركت القاف الساكنة فصارت وقرن، وقرأ الجمهور بكسر القاف.

(٢) المعنى العام للآية: ما يريد الله لكن مما أمركن به ونهاكن عنه إلا عصمتكن من النقائص وتحليتكن بالكلمات ودوام ذلك لكن فلم يرد بكن مقتاً ولا نكايه.

(٣) من جهل الرافضة وما وضع لهم من قواعد في دينهم لاخراجهم من الإسلام وإبعادهم عن جماعة المسلمين قصرهم هذه الآية على علي وفاطمة والحسين دون أزواج النبي ﷺ مع أن الخطاب في الآية لأزواج النبي ﷺ وحديث الكساء لا يتنافي ادخال سائر نساء النبي في أهل بيته إذ ليس فيه صيغة من صيغ القصر المعروفة في لغة القرآن ونصه في صحيح مسلم عن عائشة قالت خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

- ٣- حرمة تزيين المرأة صوتها وتليين عباراتها اذا تكلمت مع أجنبي .
 ٤- وجوب بقاء النساء في منازلهن ولا يخرجن إلا من حاجة لا بد منها .
 ٥- حرمة التبرج وهي أن تزين المرأة وتخرج بادية المحاسن متبخرة في مشيتها .
 ٦- على المسلم أن يذكر ما شرفه الله به من الإيمان والإسلام ليترفع عن الدنيا والرزائل .
 ٧- بيان أن الحكمة هي السنة النبوية الصحيحة .
 ٨- الإشارة الى وجود جاهلية ثانية وقد ظهرت منذ نصف قرن وهي تبرج النساء بالكشف عن الرأس والصدور والسيقان وحتى الأفخاذ .

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 وَالْقَنِينِ وَالْقَنِينَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
 وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَفِظِينَ
 فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
 وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- إن المسلمين والمسلمات : إن الذين أسلموا لله وجوههم فانقادوا لله ظاهراً وباطناً
 والمسلمات أيضاً .
 والمؤمنين والمؤمنات : أي المصدقين بالله رباً وإلهاً والنبي محمد نبياً ورسولاً
 والإسلام ديناً وشرعاً والمصدقات .
 والقانتين والقانتات : أي المطيعين لله ورسوله من الرجال والمطيعات من
 النساء .
 والصادقين والصادقات : أي الصادقين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات .
 والصابرين والصابرات : أي الحاسبين نفوسهم على الطاعات فلا يتركوها وعن
 المعاصي فلا يقربوها وعلى البلاء فلا يسخطوه ولا يشتكوا
 الله إلى عباده والحاسبات .

الخاصعين والخاصعات : أي المتذللين لله المخبتين له والخاصعات من النساء كذلك .

والمصدقين والمتصدقات : أي المؤدين الزكاة والفضل من أموالهم عند الحاجة إليه والمؤديات كذلك .

والحافظين فروجهم : أي عن الحرام والحافظات كذلك الا على أزواجهن أو ما ملكت أيماهم بالنسبة للرجال أما النساء فالحافظات فروجهن الا على أزواجهن فقط .

والذاكرين الله كثيراً والذاكرات : أي باللسن والقلوب فعلى أقل تقدير يذكرن الله ثلاثمائة مرة في اليوم واللييلة زيادة على ذكر الله في الصلوات الخمس .

أعد الله لهم مغفرة : أي لذنوبهم وذنوبهن .
وأجرأ عظيماً : أي الجنة دار الأبرار .

معنى الآيات :

هذه الآية وإن نزلت جواباً عن تساؤل بعض أزواج النبي ﷺ إذ قلن للنبي ﷺ : ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فانزل الله تعالى هذه الآية المباركة إن المسلمين والمسلمات ، فإن مناسبتها لما قبلها ظاهرة وهي أنه لما أثنى على آل البيت بخير فإن نفوس المسلمين والمسلمات تتشوق لخير لهم كالذي حصل لآل البيت الطاهرين فذكر تعالى أن المسلمين والمسلمات الذين انقادوا لأمر الله ورسوله وأسلموا وجوههم لله فلا يلتفتون إلى غيره ، كالمؤمنين والمؤمنات بالله رباً وإلهاً ومحمداً نبياً ورسولاً والإسلام ديناً وشرعاً ، كالقانتين أي المطيعين لله ورسوله والمطيعات في السراء والضراء والمنشط والمكروه في حدود الطاقة البشرية ، كالصادين في أقوالهم وأفعالهم والصادقات كالصابرين أي الحاسبين نفوسهم على الطاعات فعلاً ، وعن المحرمات تركاً ، وعلى البلاء رضاً وتسليماً والصابرات كالخاصعين في صلاتهم وسائر طاعاتهم والخاصعات لله تعالى كالمصدقين بأداء زكاة أموالهم وبفضولها عند الحاجة إليها والمتصدقات كالصائمين رمضان والنوافل كعاشوراء والصائمات ، كالحافظين فروجهم عما حرم الله تعالى عليهم من المناكح وعن

(١) روى الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء؟ فنزلت الآية ، وروى أحمد والنسائي وابن جرير عن أم سلمة أنها قالت قلت ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال فنزلت .

(٢) بديء بذكر الإسلام لأنه علم على الملة المحمدية وهو يعم الإيمان وعمل الجوارح ثم ذكر الإيمان لأنه كالطاقة المحركة والدافعة إلى القول الحق والطاعة لله ورسوله .

كشفها لغير الأزواج والحافظات، كالذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار ذكر القلب واللسان والذاكرات^(١) الكل الجميع أعد الله تعالى لهم مغفرة لذنوبهم إذ كانت لهم ذنوب، وأجرأ عظيماً أي جزاء عظيماً على طاعاتهم بعد إيمانهم وهو الجنة دار السلام جعلنا الله منهم ومن أهل الجنة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بشرى المسلمين والمسلمات بمغفرة ذنوبهم ودخول الجنة إن اتصفوا بتلك الصفات المذكورة في هذه الآية وهي عشر صفات أولها الإسلام وآخرها ذكر الله تعالى .
- ٢- فضل الصفات المذكورة إذ كانت سبباً في دخول الجنة بعد مغفرة الذنوب .
- ٣- تقرير مبدأ التساوي بين الرجال والنساء في العمل والجزاء في العمل الذي كلف الله تعالى به النساء والرجال معاً وأما ما خص به الرجال أو النساء فهو على خصوصيته للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن والله يقول الحق ويهدي السبيل .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي

(١) حذف من الآخر لدلالة الأول والمحذوف فروجهن، ولأن ذكر فروج النساء غير لائق ذكره وسماعه لما عرف به أهل هذه الملة من عدم الرضا بذكر النساء لصيانتهم عن الابتدال والمهانة.

(٢) وحذف المقابل في الذاكرات طلباً للإيجاز غير المخل لأن الذكر الآخر مع ذكر الأول مع العلم به إطناب لا داعي له قال الشاعر:

وَكَمْ تَأْمَدُ مَا كَانَ مَتُونَهَا جَرَى فَوْقَهَا وَاسْتَشْعَرَتْ لَوْنُ مُذْهَبِ

(٣) قال مجاهد: لا يكون العبد ذاكراً لله تعالى كثيراً حتى يذكره قائماً وجالساً ومضطجعاً، وقال أبو سعيد الخدري (من أيقظ أهله بالليل وصلياً أربع ركعات كانا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات).

أَزْوَاجَ أَدْعِيَاءِ يَهُودٍ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- ما كان لمؤمن ولا مؤمنة : أي لا ينبغي ولا يصلح لمؤمن ولا مؤمنة .
 أن يكون لهم الخيرة من أمرهم : أي حق الاختيار فيما حكم الله ورسوله فيه بالجواز أو المنع .
 فقد ضل ضلالاً مبيناً : أي أخطأ طريق النجاة والفلاح خطأ واضحاً .
 أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أي أنعم الله عليه بالإسلام ، وأنعمت عليه بالعتق وهو زيد بن حارثة .
 واتفق الله : أي في أمر زوجتك فلا تحاول طلاقها .
 وتخفى في نفسك : أي وتخفى في نفسك وهو علمك بأنك إذا طلق زيد زينب زوجها الله إبطالاً لما عليه الناس من حرمة الزواج من امرأة المتبنى .
 ما الله مبديه : أي مظهره حتماً وهو زواج الرسول من زينب بعد طلاقها .
 وتخشى الناس : أي يقولوا تزوج محمد مطلقة مولاه زيد .
 والله أحق أن تخشاه : وهو الذي أراد لك ذلك الزواج .
 فلما قضى زيد منها وطراً : أي حاجته منها ولم يبق له رغبة فيها لتعاليتها عليه بشرف نسبها ومحتد آبائها .

زوجناكها

: إذ تولى الله عقد نكاحها فدخل النبي ﷺ عليها بدون إذن من أحدٍ وذلك سنة خمس وأشبع الناس لحماً وخبزاً في وليمة عرسها.

كيلا يكون على المؤمنين حرج : أي إثم في تزوجهم من مطلقات أدعيائهم .

وكان أمر الله مفعولاً : أي وما قدره الله في اللوح المحفوظ لا بد كائن .

ولا يخشون أحداً إلا الله : أي يفعلون ما أذن لهم فيه ربهم ولا يباليون بقول الناس .

وكفى بالله حسيباً : أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسباً لهم عليها يوم الحساب .

ما كان محمدٌ أباً أحد من رجالكم : أي لم يكن أباً لزيد ولا لغيره من الرجال إذ مات أطفاله الذكور وهم صغار .

وخاتم النبيين : أي لم يبعث نبي بعده إذ لوجاء نبي بعده لكان ولده أهلاً للنبوّة

كما كان أولاد إبراهيم ويعقوب، وداود مثلاً .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾^(١) الآيات هذا شروع في قصة زواج زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش بنت عمّة النبي أميمة بنت عبدالمطلب إنه لما أبطل الله التبني وحرّمه بقوله : ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ وقوله : ﴿ادعوهم لأبائهم﴾ تبع ذلك أن لا يرث الدعى ممن ادعاه، وان لا تحرم مطلقته على من تبّناه وادعاه وهكذا بطلت الأحكام التي كانت لازمة للتبني، وكون هذا نزل به القرآن ليس من السهل على النفوس التي اعتادت هذه الأحكام في الجاهلية وصدر الإسلام أن تتقبلها وتدعن لها بسهولة فأراد الله تعالى أن يخرج ذلك لحيز الوجود فآلهم رسوله أن يخطب زينب لمولاه زيد، واستجابت زينب للخطبة فهماً منها أنها مخطوبة لرسول الله لتكون أمّاً للمؤمنين ولكن تبين لها بعد ليال أنها مخطوبة لزيد بن حارثة مولى رسول الله وليست كما فهمت وهنا أخذتها الحمية وقالت لن يكون هذا لن تتزوج شريفة مولى من موالى الناس ونصرها أخوها على ذلك وهو عبدالله بن جحش . فنزلت هذه الآية وما

(١) روى قتادة وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمته خطبها لمولاه زيد بن حارثة فظنت أن الخطبة له ﷺ فلما تبين أنها لمولاه زيد كرهت وأبت وامتنعت فنزلت الآية فاذنعت وقبلت .

كان لمؤمن^(١) ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الآية فما كان منها إلا أن قبلت عن رضى الزوج من زيد وتزوجها زيد وبحكم الطباع البشرية فان زينب لم تخف شرفها على زيد وأصبحت ترفع عليه الأمر الذي شعر معه زيد بعدم الفائدة من هذا الزواج فأخذ يستشير رسول الله مولاة ويستأذنه في طلاقها والرسول يأبى عليه ذلك علماً منه أنه إذا طلقها سيزوجه الله بها إنهاءً لقضية جعل أحكام الدّعى كأحكام الولد من الصُّلب فكان يقول له: اتق الله يا زيد لا تطلق بغير ضرورة ولا حاجة الى الطلاق واصبر على ما تجده من أمرك، وهنا عاتب رسول الله ﷺ ربه عز وجل إذ قال له: ﴿وإذ تقول^(٢) أي اذكر إذ تقول ﴿للذي أنعم الله عليه﴾ أي بنعمة الإسلام، ﴿وأنعمت عليه﴾ بأن عتقته ﴿أسك^(٣) عليك زوجك واتق الله، وتخفى في نفسك﴾ وهو أمر زواجك منها، ﴿مالله بُدِيه﴾ أي مظهره لا محالة من ذلك ﴿وتخشى^(٤) الناس﴾ أن يقولوا محمد تزوج امرأة ابنه زيد، ﴿والله أحق أن تخشاه﴾. وقد أراد منك الزواج من زينب بعد طلاقها وانقضاء عدتها هدماً وقضاء على الأحكام التي جعلت الدّعى كابن الصُّلب.

وقوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ أي حاجته منها بالزواج بها وطلقها ﴿زوجناكها﴾ إذ تولينا عقد نكاحها منك دون حاجة الي وليّ ولا إلى شهود ولا إلى مهر أو صداق وذلك من أجل أن لا يكون على المؤمنين حرج أي إثم في أزواج أديعتهم إذا قضوا منهن وطراً، وقوله تعالى: ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾ أي وما قضى به الله واقع لا محالة وقوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ أي من إثم أو تضيق في قول أو فعل شيء افترضه الله تعالى عليه والزمه به سنة الله في الذين خلوا من قبل من الأنبياء، وكان أمر الله أي مقضيه قدرماً مقدوراً أي واقعاً نافذاً لا محالة. وقوله: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ أي

(١) هذه الصيغة هي لنفي الحال والشأن فهي أبلغ من صيغ النهي أي أن مثل هذا القول والعمل مما لا يكون ولا ينبغي أن يكون نحو قوله تعالى: (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ) وفي الآية دليل على أن الكفاءة تعتبر في الأديان لافي الأنساب بل هي نص في هذا.

(٢) الخيرة اسم مصدر من تخير ومثلها الطيرة من تطير ولم يسمع على هذا الوزن غيرهما، ووقع لفظ مؤمن ومؤمنة نكرة في سياق النفي فافادنا العموم.

(٣) روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: لو كان رسول الله كاتماً شيئاً من الرحي لكتم هذه الآية (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه) الآية وكذا قالت في آية عبس وتولى وهو كما قالت رضي الله عنها وأرضاه.

(٤) جاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال: إن زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل! واني أريد أن أطلقها فقال له: أمسك عليك زوجك واتق الله الآية.

(٥) إن قيل كيف يأمر زيداً بعدم طلاق زينب وهو يعلم أنه سيطلقها ويزوجها الله تعالى بها؟ الجواب لا حرج في هذا ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان والإسلام وهو يعلم انه لا يؤمن، لان الأمر لاقامة الحجّة ومعرفة العقاب.

(٦) ما كان يخشاه هو إرجاف المنافقين واليهود قولهم: أبنهى عن نكاح زوجة الابن ويتزوج زوجة ابنه زيد.

(٧) روى أن زينب كانت تقول لرسول الله ﷺ اني لادل عليك بثلاث! ما من نسائك امرأة تدل بهن: أن جدى وجدك واحد، وأن الله انكحك اياي من السماء، وأن السفر في ذلك جبريل.

هؤلاء الأنبياء السابقون طريقتهم التي سنها الله لهم هي أنهم ينفذون أمر الله ولا يتلفتون إلى الناس يقولون ما يقولون، ويخشون ربهم فيما فرض عليهم ولا يخشون غيره، وكفى بالله حسيباً أي حافظاً لأعمال عباده ومحاسباً عليها ومُجازيها، وقوله تعالى في ختام السياق ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ لا زيد ولا غيره إذ لم يكن له ولد ذكر قد بلغ الحلم إذ مات الجميع صغاراً وهم أربعة ثلاثة من خديجة وهم القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وهو من مارية القبطية، فلذا لا يحرم عليه أن يتزوج مطلقة زيد لأنه ليس بابنه وإن كان يدعى زيد بن محمد قبل إنهاء النبي وأحكامه ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلا نبي بعده فلو كان له ولد ذكر رجلاً لكان يكون نبياً ورسولاً كما كان أولاد إبراهيم واسحق ويعقوب وداود، ولما أراد الله أن يختم الرسالات برسائه لم يأذن ببقاء أحد من أولاد نبيه بل توفاهم صغاراً، أما البنات فكبرن وتزوجن وأنجن ومتن حال حياته إلا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر وقوله تعالى: ﴿ وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ فما أخير به هو الحق وما حكم به هو العدل وما شرعه هو الخير فسلموا لله في قضائه وحكمه فإن ذلك خير وأنفع.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن المؤمن الحق لا خيرة عنده في أمر قضى فيه الله ورسوله بالجواز أو المنع.
- ٢- بيان أن من يعص الله ورسوله يخرج عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة.
- ٣- جواز عتاب الله تعالى لرسوله ﷺ.
- ٤- بيان شدة حياء الرسول ﷺ.
- ٥- بيان إكرام الله لزيد بأن جعل اسمه يقرأ على ألسنة المؤمنين إلى يوم الدين.
- ٦- بيان إفضال الله على زينب لما سلمت أمرها لله وتركت ما اختارته لما اختاره الله ورسوله فجعلها زوجة لرسول الله وتولى عقد نكاحها في السماء فكانت تفاخر نساءها بذلك.
- ٧- تقرير حديث ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه.
- ٨- إبطال أحكام التبني التي كانت في الجاهلية.
- ٩- تقرير نبوة الرسول ﷺ وكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِيِّحُوهُ بُكْرَةً
وَاصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً .

اذكروا الله ذكراً كثيراً : أي بقلوبكم وألسنتكم .

وسبحوه بكرة وأصيلاً : أي نزهوه بقول سبحان الله وبحمده صباحاً ومساءً .

هو الذي يصلي عليكم : أي يرحمكمكم .

وملائكته : أي يستغفرون لكم .

ليخرجكم من الظلمات : أي يرحمكمكم ليديم اخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

تحيتهم يوم يلقونه سلام : أي سلام عليكم فالملائكة تسلم عليهم .

وأعد لهم أجراً كريماً : أي وهباً لهم أجراً كريماً وهو الجنة .

معنى الآيات :

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم ، ويحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله فقال تعالى لهم ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ لا حذله ولا حصر إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية ، وسبحوه بكرة وأصيلاً بصلاة الصبح وصلاة العصر . ويقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة من الصلوات الخمس . وقوله تعالى : ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ وصلاته تعالى عليهم

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر واحد في ترك ذكر الله إلا من غلب عليه عقله وورد في فضل الذكر قوله ﷺ ﷺ إلا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل - وقوله وقد جاءه اعرابيان فقال احدهما يارسول الله أي الناس خير؟ قال : من طاب عمره وحسن عمله وقال الآخر إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أتشبه به . فقال ﷺ لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى .

(٢) يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل ، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده إذ ورد عنه ﷺ وصح من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ما تقدم من ذنبه .

(٣) الصلاة الدعاء والذكر بخير وهي من الله تعالى ثناؤه على العبد بين الملائكة قاله البخاري وقيل صلاة الله تعالى على العبد الرحمة ويكون على النبي الثناء عليه وعلى غير النبي الرحمة وهذا أولى ، ولا منافاة بين القولين لقوله تعالى : فاذكروني أذكركم . وهي من الملائكة دعاء واستغفار لقوله تعالى الذي يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا الآية من سورة المؤمن .

رحمته لهم، وصلاة ملائكته الاستغفار لهم وقوله ليخرجكم من الظلمات أي من ظلمات الكفر والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعات. فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي سبب الإخراج من الظلمات إلى النور. وقوله تعالى ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ وهذه علاوة أخرى زيادة على الإكرام الأول وهو الصلاة عليهم وإنه بالمؤمنين عامة رحيم فلا يعذبهم ولا يشقيهم. وقوله ﴿تحتهم يوم يلقونه سلاماً﴾ أي وتحتهم يوم القيامة في دار السلام السلام إذ الملائكة يدخلون عليهم من كل باب قائلين سلام عليكم أي أمان وأمنة لكم فلا خوف ولا حزن. وقوله ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ أي هياً لهم وأحضر أجراً كريماً وهي الجنة. فسبحان الله ما أكرمه وسبحان الله ما أسعد المؤمنين. فيا لفضيلة الإيمان وطاعة الرحمن طلب منهم أن يذكروه كثيراً وأن يسبحوه بكرة وأصيلاً وأعطاهم ما لا يقادر قدره فسبحان الله ما أكرم الله. والحمد لله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب ذكر الله تعالى كثيراً ليل نهار ووجوب تسيبته صباح مساء.
- ٢- بيان فضل الله على المؤمنين بصلاته عليهم وصلاة ملائكته ورحمته لهم.
- ٣- تقرير عقيدة البعث بذكر بعض ما يتم فيها من سلام الملائكة على أهل الجنة.
- ٤- بشرى المؤمنين الصادقين بالجنة.

يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

(١) ورد أن ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه وروي عن البراء بن عازب في قوله تعالى : تحتهم يوم يلقونه سلام قال فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه.

شرح الكلمات :

شاهدا
ومبشراً
ونذيراً
وداعياً إلى الله بإذنه
وسراجاً منيراً
أي على من أرسلناك إليهم .
أي من آمن وعمل صالحاً بالجنة .
أي لمن كفر وأشرك بالنار .
أي وداعياً إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته بأمره تعالى .
أي وجعلك كالسراج المنير يهتدي به من أراد الهداية إلى
سبيل الفلاح .

ولا تطع الكافرين والمنافقين : أي فيما يخالف أمر ربك وما شرعه لك ولأمتك .
ودع اذاهم
وتوكل على الله
أي أترك أذاهم فلا تقابله بأذى آخر حتى تأمر فيهم بأمر .
أي فوض أمرك إليه فإنه يكفيك .

معنى الآيات :

هذا نداء خاص بعد ذلك النداء العام فالأول كان للمؤمنين والرسول إمامهم على رأسهم .
وهذا نداء خاص لمزيد تكريم الرسول وتشريفه وتكليفه أيضاً فقال تعالى : ﴿يا أيها النبي﴾
محمد ﷺ ﴿إنا أرسلناك﴾ حال كونك شاهداً على^(١) من أرسلناك إليهم يوم القيامة تشهد على من
أجاب دعوتك ومن لم يجيبها، ومبشراً لمن استجاب لك فأمن وعمل صالحاً بالجنة، ونذيراً لمن
أعرض فلم يؤمن ولم يعمل خيراً بعذاب النار، وداعياً إلى الله تعالى عباده إليه ليؤمنوا به ويوحده
ويطيعوه بأمره تعالى لك بذلك، وسراجاً منيراً يهتدى بك من أراد الاستهداء إلى سبيل السعادة
والكمال .

وقوله تعالى : ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي أنظر بعد دعوتك إياهم، وبشر المؤمنين منهم أي الذين
استجابوا لك وآمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم من الله فضلاً كبيراً الأوهو مغفرة ذنوبهم وإدخالهم
الجنة دار النعيم المقيم والسلام التام . وقوله تعالى : ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ فيما

(١) قال القرطبي : هذه الآية فيها تأنيس للنبي ﷺ وللمؤمنين وتكريم لجميعهم .

(٢) قال قتادة شاهداً على أمته بالتبليغ إليهم وعلى سائر الأمم بتبليغ أنبيائهم .

(٣) ورد في الصحيح والموطأ ومسلم أن للرسول ﷺ خمسة أسماء وهي محمد وأحمد والمحي والحاشر والعاقب وهل
شاهد ومبشر ونذير وروؤف ورحيم أسماء؟ الظاهر أنها صفات ومن عدها أسماء فقد ذكر ابن العربي في أحكامه أن له ﷺ
سبعة وستين اسماً .

(٤) عن عكرمة وابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت ﴿يا أيها النبي﴾ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وقد كان أمر علياً ومعادياً
رضي الله عنهما ان يسيروا إلى اليمن فقال انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا إنه قد أنزل علي (يا أيها النبي) الآية .

يقترحون عليك من أمور تتنافى مع دعوتك ورسالتك، ودع أذاهم أي اترك أذيتهم واصبر عليهم حتى يأمرك ربك بما تقوم به نحوهم، وتوكل على الله في أمرك كله، فإنه يكفيك وكفى بالله وكياً أي حافظاً وعاصماً يعصمك من الناس.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان الكمال المحمدي الذي وهبه إياه ربه تبارك وتعالى .
- ٢- مشروعية الدعوة الى الله إذا كان الداعي متأهلاً بالعلم والحلم وهما الإذن .
- ٣- حرمة طاعة الكافرين والمنافقين والفجرة والظالمين فيما يتنافى مع مرضاة الله تعالى .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا
فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

- يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله وكتابه وشرعه .
إذا نكحتم المؤمنات^(١) : أي إذا عقدتم عليهن ولم تنبوا بهن .
من قبل أن تمسوهن : أي من قبل الخلوة بهن ووطئهن .
فما لكم عليهن من عدة : أي ليس لكم مطالبتهن بالعدة إذ العدة على المدخول بها .
فمتعوهن : أي أعطوهن شيئاً من المال يتمتعن به جبراً لحاظرهن .
وسرحوهن سراحاً جميلاً : أي اتركوهن يذهبن إلى أهلهن من غير إضرار بهن .

معنى الآية الكريمة :

ينادى الله تعالى عباده المؤمنين المسلمين فيقول لهم معلماً مشرعاً لهم : ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ

(١) بمناسبة طلاق زيد لزينب أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد خطبها رسول ﷺ وزوجه ربه بها وله الحمد ناسب ذكر

حكم المطلقة قبل البناء وأنها لا عدة عليها، وأنه لا مهر لها ولكن لها المتعة إن لم يكن قد سمى لها مهراً.

(٢) النكاح حقيقة في الوطء ويطلق ويراد به العقد كما في هذه الآية الكريمة ولم يرد في القرآن الكريم النكاح إلا والمراد منه العقد، لأنه في معنى الوطء، وهذا من أدب القرآن حيث يكفى عن الوطء بمثل المباشرة والملامسة والقربان والتنشي والإتيان.

المؤمنات ﴿ أي عقدتم عليهن ، ﴿ ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ أي من قبل الدخول عليهن الذي يتم بالخلوة في الفراش ، ﴿ فما لكم عليهن من عدة ﴾ تعتدونها عليهن لا بالاقراء ولا بالشهور إذ العدة لمعرفة ما في الرحم وغير المدخول بها معلومة أن رحمها خالية ، فإن سميت لهن مهراً فلهن نصف المُسمى والمتعة على سبيل الاستحباب ، وإن لم تسموا لهن مهراً فليس لهن غير المتعة وهي هنا واجبة لهن بحسب يسار المُطلق وإعساره وقوله : ﴿ وسرحوهن سراحاً جميلاً ﴾ أي خلوا سبيلهن يذهبن إلى ذويهن من غير إضرار بهن ولا أذى تلحقونه بهن .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة :

١- جواز الطلاق قبل البناء .

٢- ليس على المطلقة قبل الدخول بها عدة بل لها أن تتزوج ساعة ما تطلق .

٣- المطلقة قبل البناء إن سُمي لها صداق فلها نصفه ، وإن لم يسم لها صداق فلها المتعة واجبة يقدرها القاضي بحسب سعة المطلق وضيقة .

٤- حرمة أذية المطلقة بأي أذى ، ووجوب تخلية سبيلها تذهب حيث شاءت .

٥- مشروعية المتعة لكل مطلقة .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ

يَمِينُكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ

(١) استدلل بعض العلماء بقوله تعالى ثم طلقتموهن لما في ثم من المهلة على أن الطلاق لا يكون إلا بعد النكاح أي العقد ، وأن من طلق امرأة قبل العقد عليها طلاقه لاغ لا عبرة به ، وأن عيناها فانه لا يلزمه هذا مذهب نحو من ثلاثين صحابياً وتابعياً واماما سمي البخاري منهم اثنين وسبعين وفي الحديث لا طلاق قبل النكاح وقال الجمهور ان عيناها تطلق وان لم يعينها فلا طلاق عليه .

(٢) استدلل الظاهرية بهذه الآية على أن من طلق طلاقاً رجعيماً ثم راجع قبل أن تنقضي العدة ثم طلقها قبل أن يمساها انه ليس عليها أن تتم عدتها وليس عليها عدة أخرى قياساً على المطلقة قبل البناء والجمهور على انها تستقبل عدة أخرى وعليه مالك وجمهور فقهاء مكة والكوفة والمدينة .

وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةَ
 مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
 خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
 عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
 يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- آتيت أجورهن : أي أعطيت مهرهن .
 مما أفاء الله عليك : أي مما يسبى كصفية وجويرية .
 اللاتي هاجرن معك : أي بخلاف من لم تهاجر وبقيت في دار الكفر .
 وهبت نفسها للنبي : أي وأراد النبي ان يتزوجها . بغير صداق .
 خالصة لك من دون المؤمنين : أي بدون صداق .
 قد علمنا ما فرضنا عليهم : أي على المؤمنين .
 في أزواجهم : أي من الأحكام كأن لا يزيدوا على أربع ، وأن لا يتزوجوا الا
 بولي ومهر وشهود .
 وما ملكت أيمانهم : أي بشراء ونحوه وان تكون المملوكة كتابية ، وأن تستبرأ قبل
 الوطء .
 لكيلا يكون عليك حرج : أي ضيق في النكاح .

معنى الآية الكريمة :

هذا النداء الكريم لرسول رب العالمين يحمل لرسول الله ﷺ إجازة ربانية تخفف عنه أتعابه
 التي يعانها ﷺ لقد علم الله ما يعاني رسوله وما يعالج من أمور الدين والدنيا فمن عليه بالتخفيف

ورفع الحرج فقال ممتناً عليه ﴿يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ أي مهورهن وأحللتنا لك ﴿ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ من سبايا الجهاد كصفية بنت حبيب وجويرية بنت الحارث، ﴿وبنات عمك﴾^(١) وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ﴿من مكة إلى المدينة.

أما اللاتي لم تهاجر فلا تحلّ لك، وامرأة مؤمنة أي وأحللتنا لك امرأة مؤمنة لا كافرة إن وهبت نفسها للنبي بدون مهر وأراد النبي أن يستنكحها حال كون هذه الواهبة خالصة لك دون المؤمنين فالمؤمن لو وهبت له امرأة نفسها بدون مهر لم تحل له بل لا بد من المهر والولي والشهود.

وقوله تعالى ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي على المؤمنين في أزواجهم من أحكام كان لا يزيد الرجل على أربع، وأن لا يتزوج إلا بولي ومهر وشهود، والمملوكة لا بد أن تكون كتابية أو مسلمة، وأن لا يطأها قبل الاستبراء بحيضة قد علمنا كل هذا وأحللتنا لك ما أحللتنا خصوصية لك دون المؤمنين وذلك تخفيفاً عليك لكيلا يكون عليك حرج أي ضيق ومشقة وكان الله غفوراً لك ولمن تاب من المؤمنين رحيماً بك وبالمؤمنين.

هداية الآية

من هداية الآية :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لنبيه في التخفيف عليه رحمة به فأباح له أكثر من أربع، وقصر المؤمنين على أربع أباح له الواهبة نفسها أن يتزوجها بغير مهر ولا ولي ولم يبيح ذلك للمؤمنين فلا بد من مهر وولي وشهود.
- ٢- تقرير أحكام النكاح للمؤمنين وأنه لم يطرأ عليها نسخ بتخفيف ولا بتشديد.
- ٣- بيان سعة رحمة الله ومغفرته لعباده المؤمنين.

(١) هذه الآية من المتقدم في التلاوة المتأخر في النزول ونظيرها آيتي الوفاة في البقرة على رأى الجمهور. إذ مضمون هذه الآية التوسعة على الرسول ﷺ إكراماً له لما تحمله من نكاح زينب ثم قصره في الآيات بعد على من تحته من النساء إكراماً لهن أيضاً وذلك في قوله لا يحل لك النساء من بعد. ثم لم يقبض حتى رفع الله تعالى عنه الحظر إكراماً وإعلاء من شأنه إذ قالت عائشة. ما مات رسول الله ﷺ وسلم حتى أحل له النساء.

(٢) وحد العم والخال وجمع العمات والخالات لأن العم والخال استعمل استعمال أسماء الأجناس الدالة على متعدد واللفظ موحد كالإنسان واللفظ واحد وهو دال على كل إنسان من بني آدم.

(٣) المعية هنا «معك» هي الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة إذ أحل له من هاجرت سواء كانت في رفقة أو في رفقة أخرى، ولم يهاجر في رفقة امرأة قط.

(٤) من جملة خصائصه ﷺ أن فرض عليه أموراً لم تفرض على الأمة كقيام الليل مثلاً وأباح له أموراً لم يُنَّحَ للأمة كنكاح الواهبة بدون مهر، وحرّم عليه أموراً لم تحرم على الأمة كحرمة الصدقة ذكر هذه الخصائص القرطبي في تفسيره عند تفسير هذه الآية.

﴿ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَعَيْتَ
مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَأَ عَيْنَهُنَّ
وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ
النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حَسَنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا

﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

- ترجي من تشاء منهن : أي تؤخر من نسائك .
وتؤوي إليك من تشاء : أي وتضم إليك من نسائك من تشاء فتأتيها .
ومن ابتغيت : أي طلبت .
ممن عزلت : أي من القسمة .
فلا جناح عليك : أي لا حرج عليك في طلبها وضمها إليك خيره ربه في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه .
ذلك أدنى أن تقر أعينهن : أي ذلك التخيير لك في إيواء من تشاء وترك من تشاء أقرب إلى أن تقر أعينهن ولا يحزن .
ويرضين بما آتيتهن : أي مما أنت مخير فيه من القسم وتركه ، والعزل والايواء .
والله يعلم ما في قلوبكم : أي من حب النساء - أيها الفحول - والميل الى بعض دون بعض وإنما خير الله تعالى رسوله تيسيراً عليه لعظم مهامه .
وكان الله عليماً حلماً : أي عليماً بضعف خلقه حلماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل التوبة .
لا يحل لك النساء من بعد : أي لا يجوز لك أن تتزوج بعد هؤلاء التسعة اللاتي اخترتك إكراماً لهن وتخفيفاً عنك .

ولا أن تبدل بهن من أزواج: أي بأن تطلق منهن وتزوج أخرى بدل المطلقة لا . لا .
 ولو أعجبك حسنهن : ما ينبغي أن تطلق من هؤلاء التسع وتزوج من أعجبك حسنهن .
 الا ما ملكت يمينك : أي فالأمر في ذلك واسع فلا حرج عليك في التسرى بالمملوكة ،
 وقد تسرى ﷺ بمارية المهداة إليه من قبل ملك مصر وولدت له
 إبراهيم ومات في سن رضاعه عليه السلام .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في شأن التيسير على رسول الله ﷺ والتخفيف فقد تقدم أنه أحل له
 النساء يتزوج من شاء مما ذكر له وخصه بالواهبه نفسها يتزوجها بدون مهر ولا ولي وفي هذه الآية
 الكريمة (٥١) ﴿ترجى من تشاء منهن﴾ الآية وسع الله تعالى عليه بأن أذن له في أن يعتزل وطء
 من يشاء ، وأن يرجىء من يشاء ، وأن يؤوي إليه ويضم من يشاء وأن يطلب من اعتزلها إن شاء
 فلا حرج عليه في كل ذلك ، ومع هذا فكان يقسم بين نسائه ، ويقول اللهم هذا قسمي فيما أملك
 فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك اللهم إلا ما كان من سودة رضى الله عنها فإنها وهبت ليلتها لعائشة
 رضى الله عنها . هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء
 ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ وقوله ذلك أدنى أي ذلك التخيير لك في شأن نساءك
 أقرب أن تقر أعينهن أي يفرحن بك ، ولا يحزن عليك ، ويرضين بما تفضل به عليهن من إيواء
 ومباشرة .

وقوله تعالى ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾ أي أيها الناس من الرغبة في المخالطة ، وميل الرجل
 إلى بعض نسائه دون بعض ، وإنما خير الله رسوله هذا التخيير تيسيراً عليه وتخفيفاً لما له من
 مهام لا يطمع فيها عظماء الرجال ولو كان في القوة والتحمل كالجبال أو الجمال .
 وقوله تعالى ﴿وكان الله عليماً﴾ أي بخلقه وحاجاتهم . حليماً عليهم لا يعاجل بالعقوبة ويقبل
 ممن تاب التوبة .

(١) ترجى بدون همزة وترجىء مهموز لغتان فصيحتان من أرجى وأرجأ الأمر إذا أخره والآية تحمل التوسعة والتخفيف عنه
 ﷺ فاسقط عنه واحب القسم بين أزواجه ومع هذا فكان يقسم . لأن الآية تفيد التخيير والاذن لا غير .

(٢) الجناح الميل يقال جنحت السفينة إذا مالت إلى الأرض أي لا ميل عليك بلوم أو توبيخ أو عتاب . في الآية وجوب
 القسمة بين الزوجات والعدل بينهما فيعطى لكل زوجة يوماً وليلة فيقيم عندها في يومها ولو كانت مريضة أو نفساء أو حائضاً وإن
 مرض هو فكذلك إلا أن يأذن له بالتمريض عند إحداهن كما استأذن رسول الله ﷺ بأن يمرض في بيت عائشة رضى الله عنها
 فأذن له في ذلك .

(١)

وقوله تعالى في الآية (٥٢) ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ أي لا يحل لك يا رسولنا النساء بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترن الله واخترتك وأنت رسوله واخترن الدار الآخرة فاعترفا بمقامهن قصرك الله عليهن بعد الآن فلا تطلب امرأة أخرى ببدل أو بغير بدل، ومعنى ببدل: أن يطلق منهن واحدة أو أكثر ويتزوج بدلها. وهو معنى قوله تعالى: ﴿ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن﴾ وقوله ﴿إلا ما ملكت يميناك﴾ أي فلا بأس بأن تسرى بالجارية تملكها وقد تسرى بمارية القبطية التي أهداها له المقوقس ملك مصر مع بغلة بيضاء تسمى الدلدل وهي أول بغلة تدخل الحجاز، وقد أنجبت مارية إبراهيم ولد رسول الله ﷺ وتوفى في أيام رضاعه عليه وعلى والده ألف ألف سلام.

وقوله تعالى: ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾ أي حفيظاً عليهما فخافوه وراقبوه ولا تطلبوا رضا غيره برضاه فإنه إلهكم الذي لا إله لكم سواه به حياتكم وإليه مرجعكم بعد مماتكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله بالتيسير والتسهيل عليه لكثرة مهامه .
- ٢- ما خير الله فيه رسوله لا يصح لأحد من المسلمين اللهم إلا أن يقول الرجل للمرأة كبيرة السن أو المريضة أي فلانة إنني أريد أن أتزوج أحسن نفسي وأنت كما تعلمين عاجزه فإن شئت طلقتك، وإن شئت تنازلت عن ليلتك فإن اختارت البقاء مع التنازل عن حقها في الفراش فلا بأس بذلك .
- ٣- في تدبير الله لرسوله وزوجاته من الفوائد والمصالح مالا يقادر قدره .
- ٤- تقرير مبدأ (ما ترك أحد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه) تجلّى هذا في اختيار نساء رسول الله ﷺ لله ورسوله والدار الآخرة .
- ٥- وجوب مراقبة الله تعالى وعدم التفكير في الخروج عن طاعته بحال من الأحوال .

[تنبيه هام]

إذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالزواج بأكثر من أربع كان لحكم عالية، وكيف والمشرع هو الله العليم الحكيم من تلك الحكم العالية ما يلي :

(١) اختلف في أحكام هذه الآية ونسخها وهل نسخها بالكتاب أو السنة والمراجع أنها منسوخة بآية ترجى من تشاء وتزوي إليك من تشاء ورجع بعضهم نسخها بالسنة إذ قالت عائشة: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء.

- (١) اقتضاء التشريع الخاص بالنساء ومنه مالا يطلع عليه إلا الزوجان تَعَدُّ الزوجات ليروين الأحكام الخاصة بالنساء، ولصحة الرواية وقبولها في الأمة تعدد الطرق وكثرة الرواة والروايات.
- (٢) تَطَلَّب الدعوة الإسلامية في أيامها الأولى مناصرين لها أقوياء ولا أفضل من أصهار الرجل الداعي فإنهم بحكم العرف يقفون إلى جنب صهرهم محقاً أو مبطلاً كان.
- (٣) أن المؤمنين لا أحب إليهم من مصاهرة نبي الله ليظفروا بالدخول عليه في بيته والخلوة به وما أعزها. فأبي المؤمنين من لا يرغب أن تكون أمه أو أخته أو بنته أما لكل المؤمنين إني والله لا أحب إلي من أن أكون أنا وزوجتي وسائر أولادي خدماً في بيت رسول الله ﷺ. فلذا وسع الله على رسوله لِيَتَسَّعَ على الأقل للأرامل وربات الشرف حتى لا يندس شرفهن.
- (٤) قد يحتاج رسول الله ﷺ إلى مكافأة بعض من أحسن إليه ولم يجد ما يكافئه به ويراه راغباً في مصاهرته فيجيبه لذلك ومن هذا زواجه بكل من عائشة بنت الصديق وحفصة بنت الفاروق رضي الله عنهم أجمعين.
- (٥) قد زوجه ربه بزینب وهو كاره لذلك يتهرب منه خشية قالة الناس وما كانوا يعدونه منكراً وهو التزوج بامرأة الدعوى المتبنى بعد طلاقها أو موت زوجها هذه بعض الحكم التي اقتضت الإذن لرسول الله ﷺ في التزوج أكثر من أربع مع عامل آخر مهم وهو قدرة رسول الله ﷺ على العدل والكفاية الأمر الذي لن يكون لغيره أبداً.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ
يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ لِإِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ
فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا
يَسْتَحْيِيءُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ
وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ
لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ
مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

تُبَدُّوْا شَيْئًا أَوْ تُخَفَّوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾
 لِأَجْنَحَ عَلَيْهِنَّ فِيءَ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ
 إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
 ﴿٥٥﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا: أي يا من صدقوا بالله ووعده ووعيده وبالرسول وما جاء به .

إلا أن يؤذن لكم : أي في الدخول بأن يدعوكم إلى طعام .

غير ناظرين إناه : أي غير منتظرين وقت نضجه أي فلا تدخلوا قبل وقت إحضار الطعام وتقدم

المدعويين إليه بأن يستغل أحدكم الاذن بالدعوة للطعام فيأتي قبل الوقت

ويجلس في البيت فيضايق رسول الله ﷺ وأهله .

فاذا طعمتم فانتشروا : أي إذا أكلتم الطعام وفرغتم فانتشروا عائدين الي بيوتكم أو

أعمالكم ولا يبق منكم أحد .

ولا مستأنسين لحديث : أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضهم بعضاً .

إن ذلكم كان يؤذي النبي : أي ذلكم المكث في بيوت النبي كان يؤذي النبي ﷺ

فيستحي منكم : أي أن يخرجكم .

والله لا يستحي من الحق : أن يقوله ويأمر به ولذا أمركم أن تخرجوا .

من وراء حجاب : أي ستر كباب ورداء ونحوه .

أطهر لقلوبكم وقلوبهن : أي من الخواطر الفاسدة .

إن ذلكم كان عند الله عظيماً : أي إن أذاكم لرسول الله كان عند الله ذنباً عظيماً .

إن تبدوا شيئاً أو تخفوه : أي إن تظهروا رغبة في نكاح أزواج الرسول بعد وفاته أو تخفوه

في نفوسكم فسيجزىكم الله به شر الجزاء .

لا جناح عليهن في آباتهن . الخ : أي لا حرج على نساء الرسول في أن يظهرن لمحارمهن

المذكورين في الآية .

ولا نسائهن
ولا ما ملكت أيما نهن
: أي المؤمنات أما الكافرات فلا .
: أي من الإماء والعبيد في أن يرونهن ويكملونهن من دون حجاب .

واتقين الله : أي يا نساء النبي فيما أمرتن به من الحجاب وغيره .

معنى الآيات :

لما بين تعالى لرسوله ما ينبغي له مراعاته من شأن أزواجه أمهات المؤمنين بين تعالى بهذه الآية (٥٤) ما يجب على المؤمنين مراعاته أيضا نحو أزواج النبي أمهاتهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ حقا وصدقا ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ بالدخول إلى طعام تطعمونه غير ناظرين إناه أي وقته، وذلك أن هذه الآية والمعروفة بآية الحجاب نزلت في شأن نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لما أكلوا طعام الوليمة التي أقامها رسول الله لما زوجته الله بزيب بنت جحش رضى الله عنها، وكان الحجاب ما فرض بعد على النساء مكثوا بعد انصراف الناس يتحدثون فقام رسول الله ﷺ وخرج أمامهم لعلهم يخرجون فما خرجوا وتردد رسول الله على البيت فيدخل ويخرج رجاء أن يخرجوا معه فلم يخرجوا واستحى ﷺ أن يقول لهم هيا فاخرجوا . فأنزل الله تعالى هذه الآية فقوله تعالى غير ناظرين إناه يعني ذلك النفر ومن يريد أن يفعل فعلهم فإذا وجه إليه أخوه استدعاء لحضور وليمة بعد الظهر مثلاً أتى إلى المنزل من قبل الظهر يضابق أهل المنزل فهذا معنى غير ناظرين إناه أي وقته لأن الإنى هو الوقت .

وقوله ولكن إذا دعيتم فادخلوا أي فلا تدخلوا بدون دعوة أو إذن فاذا طعتم أي فرغتم من الأكل فانصرفوا منتشرين في الأرض فهذا إلى بيته وهذا إلى بيت ربه وهذا إلى عمله . وقوله : ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ أي ولا تمكثوا بعد الطعام يحدث بعضكم بعضاً مستأنسين بالحديث . حرم تعالى هذا عليكم أيها المؤمنون لأنه يؤذى رسوله . وإن كان الرسول لكمال أخلاقه لا يأمركم بالخروج حياءً منكم فالله لا يستحي من الحق فلذا أمركم بالخروج بعد الطعام

(١) غير ناظرين إناه غير منصوب على الحال والآية تضمنت الأدب في حال الجلوس والطعام كما تضمنت مشروعية الحجاب .

(٢) أي غير منتظرين وقت نضجه، وإناه مقصور، وفيه لغات إني بكسر الهمزة وأني بفتح الهمزة والتون وأنا بفتح الهمزة والمد قال الحطيطه :

وأخرت العشاء إلى سهيل أو الشعرى فطال بي الإناء
والفعل أنى يأتي أنى إذا حان وأدرك وفرغ .

(١) مراعاة لمقام رسوله محمد ﷺ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أي طلبتم شيئاً من الأمتعة التي توجد في البيت كإئناء ونحوه فاسألوهن من وراء حجاب أي باب وستر ونحوهما لا مواجهة لحرمة النظر إليهن. وقوله ذلكم أظهر لقلوبكم أنتم أيها الرجال وقلوبهن أيتها الأمهات أظهر أي من خواطر السوء الفاسدة التي لا يخلو منها قلب الإنسان إذا خاطب فحل أنثى أو خاطبت امرأة فحلا من الرجال.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي ما ينبغي ولا يصح أن تؤذوا رسول الله أي أذى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أي ولا أن تتزوجوا بعد وفاته نساءه فإنهن محرمات على الرجال تحريم الأمهات تحريماً مؤبداً لا يحل بحال، وقوله تعالى: ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ أي المذكور من أذى رسول الله والزواج من بعده بنسائه كان عند الله أي في حكمه وقضائه وشرعه ذنباً عظيماً لا يقادر قدره ولا يعرف مدى جزائه وعقوبته إلا الله.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٥٣) وقوله تعالى إن تبدوا شيئاً أي تظهروه أو تخفوه أي تستروه يريد من الرغبة في الزواج من نساء الرسول بعد موته ﷺ فإن الله كان بكل شيء عليماً وسيجزىكم بتلك الرغبة التي أظهرتموها أو أخفيتموها في نفوسكم شرّ الجزاء وأسوأه. فاتقوا الله وعظّموا ما عظم من حرّات رسوله ﷺ. هذا ما دلت عليه الآية (٥٤).

وقوله تعالى في الآية (٥٥) لا جناح عليهن أي لا تضيق ولا حرج ولا إثم على النساء المؤمنات من أزواج النبي ﷺ وغيرهن من نساء المؤمنين في أن يظهرن وجوههن ويكلمن بدون حجاب أي وجها لوجه آباءهن الأب والجد وان علا، وابناءهن الابن وابن الابن وان نزل وابن البنت كذلك وان نزل. واخوانهن وابناء اخوانهن وان نزلوا وأبناء اخواتهن وان نزلوا، ومما ليكنهن من إماء وعبيد.

(٤) وقوله تعالى ﴿وَآتَقِينَ اللَّهَ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أمر من الله لنساء النبي ونساء المؤمنين بتقوى الله فيما نهاهن عنه وحرّمه عليهن من ابداء الوجه للأجانب غير المحارم المذكورين في

(١) روى ابو داود عن أنس بن مالك قال عمر: وافقت ربي في أربع الحديث وفيه قلت يا رسول الله لو ضربت الحجاب على نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فأنزل الله عز وجل وإذا سألتموهن الآية.

(٢) روى أن رجلاً من المنافقين لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة قال: فما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه فأنزل الله تعالى هذه الآية، فحرم الله نكاح أزواجه من بعده وجعل لهم حكم الأمهات وقال ﷺ زوجاتي في الدنيا من زوجاتي في الآخرة وهذه علة من علة التحريم أيضاً.

(٣) روى انه لما نزلت آية الحجاب تسأل الآباء والأقارب: هل نحن أيضاً لا نكلمهن إلا من وراء حجاب؟ فنزلت هذه الآية لأجناح عليهن في آباتهن الخ.

(٤) لما ذكر تعالى الرخصة للمحارم أمر النساء بتقواه تعالى فامرهن بذلك حتى لا يتجاوز من أذن لهن بالنظر إليهم في المحارم إلى غيرهم وذلك لقلّة تحفظ النساء وكثرة استرسالهن.

الآية وتذكيرهم بشهود الله تعالى لكل شيء وإطلاعه على كل شيء ليكون ذلك مساعداً على التقوى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما ينبغي للمؤمنين ان يلتزموه من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت لحاجة الطعام ونحوه.
- ٢- بيان كمال الرسول ﷺ في خلقه في أنه ليستحي أن يقول لضيفه أخرج من البيت فقد انتهى الطعام.
- ٣- وصف الله تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق أن يقوله ويأمر به عباده.
- ٤- مشروعية مخاطبة الأجنبية من وراء حجاب ستر ونحوه.
- ٥- حرمة أذية رسول الله ﷺ وانها جريمة كبرى لا تعادل بأخرى.
- ٦- بيان أن الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا كلم المرأة ونظر إليها.
- ٧- حرمة نكاح ازواج الرسول بعد موته وحرمة الخاطر يخطر بذلك.
- ٨- بيان المحارم الذين للمسلمة أن تكشف وجهها امامهم وتخطبهم بدون حجاب.
- ٩- الأمر بالتقوى ووعيد الله لمن لا يتقه في محارمه.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
 مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
 عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَيْبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

شرح الكلمات :

يصلون على النبي : صلاة الله على النبي هي ثناؤه ورضوانه عليه، وصلاة

الملائكة دعاء واستغفار له، وصلاة العباد عليه تشریف وتعظيم لشأنه.

صلوا عليه وسلموا تسليماً : أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم تسليماً.

يؤذون الله ورسوله : أي بسب أو شتم أو طعن أو نقد.

يؤذون المؤمنين والمؤمنات

بغير ما اكتسبوا : أي يرمونهم بأمور يوجهونها إليهم تهماً باطلة لم يكتسبوا منها شيئاً.

فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً : أي تحملوا كذباً وذنوباً بيناً ظاهراً.

يدنين عليهم من جلايبهم : أي يرخين على وجههن الجلاب حتى لا يبدو من المرأة إلا عين واحدة تنظر بها الطريق إذا خرجت لحاجة.

ذلك أدنى أن يعرفن : أي ذلك الإذناء من طرف الجلاب على الوجه أقرب .

فلا يؤذين : أي يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون بالأذى.

وكان الله غفوراً رحيماً : أي غفوراً لمن تاب من ذنبه رحيماً به بقبول توبته وعدم تعذيبه بذنوبه تاب منه .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة ما يجب على المؤمنين من تعظيم نبيهم واحترامه حياً وميتاً أعلن في هذه الآية (٥٦) عن شرف نبيّه الذي لا يدانيه شرف وعن رفعة التي لا تدانيها رفعة فأخبر أنه هو سبحانه وتعالى يصلى عليه وأن ملائكته كذلك يصلون عليه^(١) وأمر المؤمنين كافة أن يصلوا عليه فقال: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ فكان واجباً على كل مؤمن ومؤمنة أن يصلى على النبي ﷺ ولو مرة في العمر يقول:

(١) اختلف في الضمير في يصلون على من يعود والصحيح انه عائذ على الله تعالى والملائكة معاً ولا حرج لانه قول الله تعالى والله أن يرفع من يشاء من عباده لجمع ضمير الملائكة مع ضميره، وليس هذا من باب ومن يعصهما الذي انكره رسول الله ﷺ إذ ذاك من قول خطيب وهذا قول الله تعالى وليس من حقا أن نعترض على الله تعالى وروى أن ابن عباس قرأ وملائكته بالرفع أي يصلون وعليه فانفصل الضمير وأصبح خاصاً بالله تعالى وهو وجه وما تقدم أولى لقراءة الكافة بالنصب.

اللهم صل على محمد وسلم وتسليماً. وقد بينت السنة أنواعاً من صيغ الصلاة والسلام على الرسول أعظمها أجراً الصلاة الإبراهيمية وهي واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة فريضة أو نافلة، وتستحب استحباباً مؤكداً عند ذكره ﷺ وفي مواطن أخرى. هذا ما دللت عليه الآية الأولى (٥٦) أما الآية الثانية (٥٧) فقد أخبر تعالى عباده أن الذين يؤذون الله بالكذب عليه أو انتقاصه بوصفه بالعجز أو نسبة الولد إليه أو الشريك وما إلى ذلك من تصوير الحيوان إذ الخلق اختص به الله فلا خالق الا هو فلا تجوز محاكاته في الخلق، ويؤذون رسول الله ﷺ بسب أو شتم أو انتقاص أو تعرض له أو لآل بيته أو أمته أو سنته أو دينه هؤلاء لعنهم الله في الدنيا والآخرة أي طردهم من رحمته، وأعد لهم أي هياً واحضر لهم عذاباً مهيناً لهم يذوقونه بعد موتهم ويوم بعثهم يوم القيامة. هذا ما دللت عليه الآية الثالثة (٥٨) أما الآية الرابعة (٥٩) فإنه لما كان المؤمنات يخرجن بالليل لقضاء الحاجة البشرية إذ لم يكن لهن مراحيض في البيوت وكان بعض سفهاء المنافقين يتعرضون لهن بالغمز والكلمة السفهية وهم يقصدون على عاداتهم الإمام لا الحرائر فتأذى بذلك المؤمنات وشكون إلى أزواجهن ما يلقين من تعرض بعض المنافقين لهن فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب هو الملاءة أو العباءة تكون فوق الدرع السابع الطويل، أي مرهن بأن يدنين من طرف الملاءة على الوجه حتى لا يبقى إلا عين واحدة ترى بها الطريق، وبذلك يعرفن انهن حرائر عفيفات فلا يؤذيهن بالتعرض لهن أولئك المنافقون السفهاء عليهم لعائن الله. وقوله تعالى ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ أخبر عباده أنه تعالى كان وما زال غفوراً لمن تاب من عباده رحيماً به فلا يعذبه بعد توبته.

(١) صيغة الصلاة الإبراهيمية هي: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل إبراهيم وعلى آل إبراهيم انك حميد مجيد.
(٢) غير ضار أن يقول المالكية الصلاة سنة مؤكدة في التشهد الأخير إذ السنة المؤكدة عند المالكية هي الواجب عند الشافعي وأحمد وإذا فلا فرق.

(٣) من هذه المواطن بدء الدعاء وختمه، وافتتاح الخطبة بعد حمد الله والثناء عليه ويوم الجمعة وليلتها ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ أحاديث منها، حديث مسلم من صلى عليّ مرة صلى الله بها عشراً وروى النسائي أن النبي ﷺ خرج عليهم يوماً والبشر يرى في وجهه فقالوا انا لنرى البشر في وجهك فقال: أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما برضيك انه لا يصلي عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً.

(٤) روى البخاري في صحيحه قال قال الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يقول الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر ألقب ليله ونهاره فإن شئت قبضتهما.

(٥) من أفضح أنواع الأذى الذي تعرض له رسول الله ﷺ أنه كان يوماً يصلي حول الكعبة فجاء عقبة بن أبي معيط بسلي جزور ووضع على ظهره بين كتفيه الشريفتين فجاءت فاطمة وهي جويرية صغيرة فألقته بعيداً عن ظهر أبيها ونالت من المشركين وانصرفت فرضى الله عنها وارضاهها.

(٦) تقدم ذكر أزواجه ﷺ وأما بناته ففاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان شرف الرسول محمد ﷺ ووجوب الصلاة والسلام عليه في التشهد الأخير في الصلاة .
- ٢- بيان ما يتعرض له من يؤذى الله ورسوله من غضب وعذاب .
- ٣- بيان مقدار ما يتحملة من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بالقول فينسب إليهم ما لم يقولوا أو لم يفعلوا أو يؤذيهم بالفعل بضرب جسم أو أخذ مال أو انتهاك عرض .
- ٤- وجوب تغطية المؤمنة وجهها إذا خرجت لحاجتها الا ما كان من عين ترى بها الطريق ، واليوم بوجود الأقمشة الرقيقة لا حاجة الى ابداء العين اذ تسبل قماشا على وجهها فيستر وجهها وترى معه الطريق واضحا والحمد لله .

لِّإِنَّ لَمْ يَنْدِهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
 فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ
 بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ
 أَيَّمَا أُنْقُضُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

- لئن لم يتته المنافقون : أي عن نفاقهم وهو إظهار الإيمان واخفاء الكفر .
 والذين في قلوبهم مرض : أي مرض حب الفجور وشهوة الزنا .
 والمرجفون في المدينة : أي الذين يأتون بالأخبار الكاذبة لتحريك النفوس وزعزعتها
 كقولهم العدو على مقربة من المدينة أو السرية الفلانية قتل
 أفرادها وما إلى ذلك .
 لنغرينك بهم : أي لنسلطنك عليهم ولنحرضنك بهم .
 ثم لا يجاورنك فيها الا قليلا : أي في المدينة الا قليلا من الأيام ثم يخرجوا منها أو يهلكوا .

ملعونين : أي مبعدين عن الرحمة .
 أينما ثقفوا أخذوا : أينما وجدوا أخذوا أسرى وقتلوا تقتيلاً .
 سنة الله في الذين من قبل : أي سن الله هذا سنة في الأمم الماضية أينما ثقف المنافقون والمرجفون أخذوا وقتلوا تقتيلاً .
 ولن تجد لسنة الله تبديلاً : أي منه تعالى إذ هي ليست أحكاماً يطرأ عليها التبديل والتغيير بل هي سر التشريع وحكمته .

معنى الآيات :

لقد تقدم أن بعض النسوة اشتكين ما يلقيهن من تعرض المنافقين لهن عند خروجهن ليلاً لقضاء الحاجة، وأن الله تعالى أمر نساء المؤمنين أن يدين من جلايبهن وعلة ذلك أن يعرفن أنهن حرائر فلا يتعرض لهن المنافقون وكان ذلك إجراءً وقائياً لا بد منه، ثم أقسم الجبار بقوله ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ أي وعزتي وجلالي لئن لم ينته هؤلاء المنافقون من نفاقهم وأعمالهم الاستفزازية والذين في قلوبهم مرض الشهوة وحب الفجور والمرجفون الذين يكذبون الأكاذيب المرجفة أي المحركة للنفوس كقولهم: العدو زاحف على المدينة والسرية الفلانية انهزمت أو قتل أكثر أفرادها لئن لم ينته هؤلاء لنفريتك بهم أي لنحرسنك بهم ثم لنسلطنك عليهم . ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة الا قليلاً، ثم يُخرجوا منها أو يهلكوا ملعونين أي يخرجون ملعونين أي مطرودين من الرحمة الإلهية التي تصيب سكان المدينة النبوية، وحينئذٍ أينما ثقفوا أي وجدوا وتمكن منهم أخذوا أي أسرى وقتلوا تقتيلاً حتى لا يبقى منهم أحد .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٦٠) ﴿لئن لم ينته المنافقون . . .﴾ والثانية (٦١) ﴿ملعونين . . .﴾ الخ . أما الآية الثالثة (٦٢) سنة الله في الذين خلوا من قبل، أي لقد سن الله تعالى هذا سنة في المنافقين من أنهم إذا لم ينتهوا يلعنون ثم يُسلط عليهم من يأخذهم ويقتلهم تقتيلاً، وقوله: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ يُخبر تعالى أن ما كان من قبل السنن كالطعام

(١) يرى الكثيرون أن الصفات الثلاث لجنس واحد وهم المنافقون فقد اجتمعت فيهم هذه الصفات الثلاث والواو مضممة وليست للعطف وشاهده قو الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

فهو رجل واحد بثلاث صفات .

(٢) لنفريتك اللام للقسم أي وعزتنا وجلالنا لنفريتك .

(٣) سنه منصوب على المصدر أي سنَّ الله تعالى ذلك سنة ثم أضيف المصدر إلى فاعله .

(٤) الجملة تذييلية المراد بها تأكيد العذاب الحائق بالمنافقين وأتباعهم إن لم ينتهوا أو يتوبوا والمعنى لن تجد لسنة الله مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلاً .

يشبع والماء يروى والنار تحرق والحديد يقطع لا يبدله تعالى بل يبقى كذلك لأنه مبني على أساس الحكم التشريعية .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التنديد بالمنافقين وتهديدهم بامضاء سنة الله تعالى فيهم إذا لم يتوبوا .
- ٢- مشروعية إبعاد أهل الفساد من المدن الإسلامية أو يتوبوا بترك الفساد والإفساد، وخاصة المدينة النبوية الشريفة .
- ٣- بيان ان ما كان من الأشياء من قبل السنن لا يتبدل بتبدل الأحوال والظروف بل يبقى كما هو لا يبدله الله تعالى ولا غيره .

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ^ط قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
 لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
 ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ
 وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا
 فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
 وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

يسألك الناس عن الساعة : أي يهود المدينة كما سأله أهل مكة فاليهود سألوه امتحاناً
 والمشركون تكذيباً بها واستعجالاً لها .

قل إنما علمها عند الله : أي أجب السائلين قائلاً إنما علمها عند ربي خاصة فلم
 يعلمها غيره .

وما يدريك : أي لا أحد يدريك أي يخبرك بها إذ علمها لله
 وحده .

لعل الساعة تكون قريباً : أي وما يشعرك أن الساعة قد تكون قريبة القيام .
 واعد لهم سعيراً : أي ناراً متسعة .
 خالددين فيها : أي مقدراً خلودهم فيها إذ الخلود يكون بعد دخولهم فيها .
 نقلب وجوههم في النار : أي تصرف من جهة إلى جهة كاللحم عند شيه يقلب في النار .

يا ليتنا اطعنا الله : أي يتمنون بأقوالهم لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول .
 وقالوا ربنا إنا اطعنا سادتنا : هذا قول الأتباع يشكون إلى الله سادتهم ورؤساءهم .
 فأضلونا السبيلاً : أي طريق الهدى الموصول إلى رضا الله عز وجل بطاعته .
 آتاهم ضعفين من العذاب : أي اجعل عذابهم ضعفي عذابنا لأنهم أضلونا .
 والعنهم لعناً كبيراً : أي أخزهم خزياً متعدد المرات في عذاب جهنم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾^(١) أي ميقات مجيئها والسائلون مشركون وأهل الكتاب فالمشركون يسألون عنها استبعاداً لها فسؤالهم سؤال استهزاء واليهود يسألون امتحاناً للرسول صلى الله عليه وسلم ، فأمره تعالى أن يجيب السائلين بجواب واحد وهو إنما علمها عند الله ، أي انحصر علمها في الله تعالى إذ أخفى الله تعالى أمرها عن الملائكة والمقربين منهم والأنبياء والمرسلين منهم كذلك فضلاً عن غيرهم فلا يعلم وقت مجيئها الا هو سبحانه وتعالى . وقوله تعالى : ﴿وما يدريك﴾ أي لا أحد يعلمك بها أيها الرسول ، وقوله ﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾ أي وما يشعرك يا رسولنا لعل الساعة تكون قريبة القيام وهي كذلك قال تعالى : ﴿اقترب الناس حسابهم﴾ وقال ﴿اقتربت الساعة﴾ فأعلمم بالقرب ولم يعلم بالوقت لحكم عالية منها استمرار الحياة كما هي^(٢) حتى آخر ساعة .

وقوله تعالى : ﴿إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً﴾ المكذبين بالساعة المنكرين لرسالتك الجاحدين بنبيوتك لعنهم فطردهم من رحمته أعد لهم ناراً مستعرة في جهنم خالددين فيها إذا دخلوها لم

(١) شاهد قريب الساعة في السنة قوله ﷺ في الصحيح بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى . وحذفت التاء من قريباً ذهاباً بالساعة إلى اليوم كما حذفت من قريب في قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ذهاباً بالرحمة إلى العفو .

(٢) من الحكم العالية لإخفاء الساعة أن يكون العبد مستعداً لها بالإيمان وصالح الأعمال في كل وقت وكذلك ساعة الفرد وهي الموت .

يخرجوا منها أبداً ﴿ لا يجدون ولياً ﴾ أي يتولاهم فيدفع العذاب عنهم ﴿ ولا نصيراً ﴾ أي ينصرهم ويخلصهم من محتتمهم في جهنم. وقوله: ﴿ يوم تقلب وجوههم في النار ﴾ تصرف من جهة إلى جهة كما يقلب اللحم عند شيه يقولون عند ذلك يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول يتحسرون متمنين لو أنهم أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا ولم يكونوا عصوا الله والرسول. وقوله تعالى: ﴿ وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا ﴾^(١) هذه شكوى منهم واعتذاراً واني لهم أن تقبل شكواهم وينفعهم اعتذارهم. اطعناهم فيما كانوا يأمرونا به من الكفر والشرك وفعل الشر فاضلونا السبيلا أي طريق الهدى فعشنا ضالين ومتنا كافرين وحشرنا مع المجرمين. ﴿ ربنا ﴾ أي يا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي ضاعف يا ربنا لسادتنا وكبراءنا الذين أضلونا ضاعف لهم العذاب فعذبهم ضعفي عذابنا، والعنهم أي واخزهم في العذاب خزياً كبيراً يتوالى عليهم دائماً وأبداً.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان أن علم الساعة استأثر الله به فلا يعلم وقت مجئها غيره.
- ٢- بيان أن الساعة قريبة القيام، ولا منافاة بين قربها وعدم علم قيامها.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر احوال الكافرين فيها.
- ٤- بيان أن طاعة السادة والكبراء في معاصي الله ورسوله يعود بالوبال على فاعليه.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ

لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ

(١) وجائز أن تقلب الوجوه أيضا من لفتح النار من الاسوداد إلى الاخضرار.

(٢) قرى ساداتنا بكسر التاء جمع سيد.

(٣) الضعف بكسر الضاد العدد المماثل للمعدود فالاربعة ضعف الاثنين وقرى كثيرا وكبيراً وكثيراً يناسب قولهم ضعفين.

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبِينْ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
 الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ
 عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من صدقوا بالله ورسوله ولقاء الله وما جاء به رسول الله .

لا تكونوا كالذين آذوا موسى : أي لا تكونوا مع نبيكم كما كان بنو اسرائيل مع موسى إذ آذوه بقولهم إنه ما يمنعه من الاغتسال معنا إلا أنه آدر .

فبرأه الله مما قالوا : أي أراهم أنه لم يكن به أدرة وهي انتفاخ احدى الخصيتين .

وكان عند الله وجيهاً : أي ذا جاهٍ عظيم عند الله فلا يُخَيَّبُ له مسعى ولا يرد له مطلباً .

وقولوا قولاً سديداً : أي صدقاً صائباً .

يصلح لكم أعمالكم : أي الدينية والدنيوية إذ على الصدق والموافقة للشرع نجاح الأعمال والفوز بشمارها .

فقد فاز فوزاً عظيماً : أي نال غاية مطلوبة وهو النجاة من النار ودخول الجنة .

إنا عرضنا الأمانة : أي ما ائتمن عليه الإنسان من سائر التكاليف الشرعية وما ائتمنه عليه أخوه من حفظ مال أو قول أو عرض أو عمل .

فأبين ان يحملنها وأشفقن منها : أي رفضن الالتزام بها وخفن عاقبة تضييعها .

وحملها الإنسان : أي آدم وذريته .

إنه كان ظلوما جهولاً : أي لأنه كان ظلوماً أي كثير الظلم لنفسه جهولاً بالعواقب .

ليعذب الله المنافقين : أي وتحملها الإنسان قضاءً وقدراً ليرتب الله تعالى على ذلك عذاب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب على المؤمنين والمؤمنات فيغفر لهم ويرحمهم وكان الله غفوراً رحيماً.

معنى الآيات :

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ينادى الله تعالى مؤمني هذه الأمة ناهياً لهم عن أذى نبيهم بأذى أذى، وأن لا يكونوا كبنى اسرائيل الذين آذوا موسى في غير موطن ومن ذلك ما ذكره ﷺ عنه في قوله من رواية مسلم^(١) أن بنى اسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى بعض، وكان موسى يغتسل وحده فقالوا: ما منعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر وأخذ يغتسل وإذا بالحجر يهرب بالثوب فيجرى موسى وراره حتى وقف به على جمع من بنى اسرائيل فرأوا أنه ليس به أدره ولا برص كما قالوا فهذا معنى فبرأه الله مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً أي ذا جاه عظيم .
ومما حصل لرسول الله ﷺ من أذى أذاه في إتهام زوجته بالفاحشة من قبل أصحاب الإفك وقول بعضهم له وقد قسم مالا هذه قسمة ما أريد به وجه الله .

وقول بعضهم اعدل فينا يا رسول الله فقال له ويحك إذا لم اعدل أنا فمن يعدل؟
وكان يقول يرحم الله موسى لقد أؤذي بأكثر من هذا فصبر!! هذا ما دلت عليه الآية الاولى (٦٩) أما الآية الثانية (٧٠) فقد نادى تعالى عباده المؤمنين الذين نهاهم عن أذية نبيهم وأن لا يكونوا في ذلك كقوم موسى بن عمران ناداهم ليأمرهم بأمرين الأول بتقواه عز وجل إذ قال ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله . ﴿اتقوا الله﴾ أي خافوا عقابه . فأدوا فرائضه واجتنبوا محارمه . والثاني بالتزام القول الحق الصائب السديد، ورتب على الأمرين صلاح أعمالهم ومغفرة ذنوبهم إذ قول الحق والتزام الصدق مما يجعل الأقوال والأعمال مثمرة نافعة، فتثمر زكاة النفس وطهارة الروح . ثم أخبرهم مبشراً بإياهم بقوله : ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في الأمر والنهي فقد فاز فوزاً عظيماً وهي سعادة الدارين : النجاة من كل مخوف والظفر بكل محبوب مرغوب ومن

(١) ورواه البخاري بمعناه أيضاً.

(٢) قال أهل العلم في وضع موسى ثوبه على حجر ودخوله الماء عرياناً دليل على جواز مثل هذا الصنيع وهو كذلك، وهذا الجواز لا يتنافى الاستحباب إذ التستر مستحب بلا خلاف .

(٣) القول السديد هو لا إله إلا الله وهو القصد الحق وهو الذي يوافق ظاهره باطنه، وهو ما أريد به وجه الله دون سواه فالقول السديد الصائب يشمل كل هذا الذي ذكر .

ذلك النجاة من النار ودخول الجنة . هذا ما تضمنه قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَبُذِيَ فَقَدِ افْتَرَىٰ بُرْهَانًا عَظِيمًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ يخبر تعالى منبهاً محذراً فيقول : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ ^(١) وهي شاملة للتكاليف الشرعية كلها ولكل ما أئتمن عليه الإنسان من شيء يحفظه لمن ائتمنه عليه حتى يرده إليه عرض الأمانة على السموات والأرض والجبال بعد أن خلق لها عقلاً ونطقاً فهمت الخطاب وردت الجواب فأبت تحملها بثوابها واشفقت وخافت من تبعتها، وعرضت على الإنسان آدم فحملها بتبعها من ثواب وعقاب لأنه كان ظلوماً لنفسه يوردها موارد السوء جهولاً بعواقب الأمور . هذا ما دلت عليه الآية الرابعة (٧٢) وهي قوله تعالى إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً ^(٢) جهولاً . وقوله تعالى : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ﴾ أي بتبعة النفاق والشرك، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي تمَّ عرضُ الأمانة وقبولُ آدم لها ليؤول الأمر إلى أن يكفر بعض أفراد الإنسان فيعذبوا بكفرهم الذي نجم عن تضييع الأمانة، ويؤمن بعض آخر فيفرط بعض التفريط ويتوب فيتوب الله عليه فيغفر له ويدخله الجنة وكان الله غفوراً رحيماً ومن آثار ذلك أن تاب الله على المؤمنين والمؤمنات وغفر لهم ورحمهم بإدخالهم الجنة فسبحان الله المدبر الحكيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب تقوى الله عز وجل بفعل الأوامر واجتناب المناهي .
- ٢- صلاح الأعمال لثمر للعاملين الزكاة للنفس ، وطيب الحياة متوقف على التزام الصدق في

(١) روى معمر عن الحسن أن الأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال قالت وما فيها؟ قيل لها إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه قال وما هي؟ قال إن أحسنت أجزتك وإن أسأت عذبتك قال فقد تحملتها يارب . قال مجاهد فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج من الجنة إلا قدر ما بين الظهر والعصر .

(٢) فكان الإنسان فريقين فريق ظلوم وفريق راشد عالم .

(٣) ليعذب اللام متعلقة بحمل أي حملها ليعذب العاصي وثاب المطيع فهي لام التعليل وتعديهم نتيجة إضاعتهم الأمانة، ورحمة المؤمنين والمؤمنات نتيجة محافظتهم على الأمانة برعايتهم لها وسر ذلك أن التكاليف عملها يزكى النفس ويطهرها فتأهل للجنة، وعدم عملها بتركها يسبب خبث النفس وهو يؤهل للنار وعذابها .

(٤) ذكر المنافقات والمشركات لأن المقام كمقام الإشهد يتطلب ذكر الشاهد إقامة للحجة وإظهاراً للعدالة ولأن الجزاء للعادي يتطلب التمييز على من يقضي له أو عليه .

القول والعمل وهو القول السديد المنافي للكذب والانحراف في القول والعمل .

٣- طاعة الله ورسوله سبيل الفوز والفلاح في الدارين .

٤- وجوب رعاية الأمانة وأدائها ، ولم يخل أحد من أمانة .

٥- وصف الإنسان بالظلم والجهل والكفر والمهانة والضعف في آيات أخرى يستلزم طلب علاج لهذه الصفات . وعلاجها جاء مبيناً في سورة المعارج في قوله ﴿الاصميين﴾ الى قوله ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ .

(١)

سُورَةُ سَبَأٍ
مَكِّيَّة

وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ
فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

شرح الكلمات :

الحمد لله : أي الوصف بالجميل واجب لله مستحق له .

الذي له ما في السموات وما في الأرض : أي خلقاً وملكاً وتصريفاً وتدبيراً .

وله الحمد في الآخرة : أي يحمده فيها أولياؤه وهم في رياض الجنان ، كما له الحمد في الدنيا .

وهو الحكيم الخبير : أي الحكيم في أفعاله الخبير بأحوال عباده .

يعلم ما يلبج في الأرض : أي ما يدخل فيها من مطر وأموات وكنوز .

وما يخرج منها : أي من نبات وعيون ومعادن .

وما ينزل من السماء : أي من ملائكة وأمطار وأرزاق ونحوها .

(١) هذه السورة «الحمد لله» هي إحدى خمس سور مفتحة بالحمد لله ومن كلهن مكيات أولهن الفاتحة وآخرهن فاطر.

وما يعرج فيها : أي وما يصعد فيها من ملائكة وأعمال العباد وأرواحهم بعد الموت .

وهو الرحيم الغفور : أي الرحيم بالمؤمنين الغفور للتائبين .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى عباده بأن له الحمد والشكر الكاملين التامين ، دون سائر خلقه ، فلا يحمد على الحقيقة إلا هو أما مخلوقاته فكل ما يُحمد له هو من عطاء الله تعالى لها وإفاضته عليها فلا يستحق الحمد على الحقيقة إلا الله ، كما أخبر تعالى بموجب حمده وشكره وهو أن له ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً وتصريفاً وليس لأحد سواه من ذلك شيء هذا في الدنيا ، ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ إذ يكرم أوليائه فينزلهم دار السلام فيحمدونه على ذلك ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء﴾ وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ في تصريف أمور عباده وسائر مخلوقاته وتدبيرها الخبير بأحوالها العليم بصفاتهما الظاهرة والباطنة .

وقوله ﴿يعلم ما يلج﴾ أي ما يدخل في الأرض من مطر وكنوز وأموات ، ﴿وما يخرج منها﴾ أي من الأرض من نبات ومعادن ومياه ، وما ينزل من السماء من أمطار وملائكة وأرزاق ، ﴿وما يعرج فيها﴾ أي يصعد من ملائكة وأعمال العباد . وهو مع هذه القدرة والجلال والكمال هو وحده الرحيم بعباده المؤمنين الغفور للتائبين . بهذه الصفات الثابتة للذات الإلهية وهي صفات جلال وجمال وكمال استحق الرب تعالى العبادة دون سواه فكل تأليه لغيره هو باطل ومنكر وزور يجب تركه والتخلي عنه ، والتنديد بفاعله حتى يتركه ويتخلى عنه .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- وجوب حمد الله تعالى وشكره بالقلب واللسان والجوارح والأركان .

(١) الحمد الكامل والثناء الشامل كله لله ، إذ النعم كلها منه وله الحمد في الأولى لأنه المالك وله الحمد في الآخرة كذلك .

(٢) الجملة عطف على الصلة أي والذي له الحمد في الآخرة ، وفيها إشارة إلى أنه مالك الأمر في الآخرة .

(٣) الذي يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها يعلم من باب أولى ما يدب على سطحها وما يزحف فوقها والذي يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعلم من باب أولى ما يجول في أرجائها ويعلم سير كواكبها .

(٤) وكذا من الثلوج والبرد والصواعق .

(٥) حمده تعالى نفسه دليل على أنه محب الحمد . ولذا كان الحمد رأس الشكر وشاهده قول الرسول ﷺ ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى أنه حمد نفسه .

٢- بيان أن الحمد لا يصح إلا مع مقتضيه من الجلال والجمال .

٣- لا يحمد في الآخرة إلا الله سبحانه وتعالى .

٤- بيان علم الله تعالى بالظواهر والبواطن في كل خلقه .

٥- تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ^١
 قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
 ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ
 وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
 كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ
 لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ
 الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

لا تأتينا الساعة

: أي القيامة .

لا يعزب عنه

: أي لا يغيب عنه .

مِثْقَالُ ذَرَّةٍ

: أي وزن ذرة : أصغر نملة .

- ولا أصغر من ذلك ولا أكبر : أصغر من الذرة ولا أكبر منها .
 إلا في كتاب مبين : أي موجود في اللوح المحفوظ مكتوب فيه .
 ليجزي الذين آمنوا : أي اثبتة في اللوح المحفوظ ليحاسب به ويجزي صاحبه .
 والذين سعوا في آياتنا معاجزين : أي عملوا على إبطالها وسعوا في ذلك جهدهم .
 ولا نحاسبهم ولا نجزيهم : أي مغالين لنا ظانين عجزنا عنهم ، وأنهم يفوتوننا فلا نبعثهم
 عذاب من رجز اليم : أي عذاب من أقيح العذاب وأسوأه .
 ويرى الذين اتوا العلم : أي ويعلم الذين اتوا العلم وهم علماء أهل الكتاب كعبدالله
 ابن سلام وأصحابه .
 الذي أنزل إليك من ربك هو الحق : أي القرآن هو الحق الموحى به من الله تعالى .
 ويهدي إلى صراط العزيز
 الحميد : أي القرآن يهدي إلى صراط الله الموصل الى رضاه وجواره
 الكريم وهو الإسلام . والعزیز ذو العزة والحمد المحمود .

معنى الآيات :

بعد ما قررت الآيات السابقة توحيد الله في ربوبيته وألوهيته ذكر تعالى في هذه الآيات تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى مخبراً بما قاله منكروا البعث والجزاء : ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾^(١) وهو انكار منهم للبعث إذ الساعة هي ساعة الفناء والبعث بعدها ، وأمر رسوله أن يقول لهم : ﴿بلى وربِّي لتأتينكم﴾ أي أقسم لهم بالله تعالى ربه ورب كل شيء لتأتينهم أحبوا أم كرهوا ثم أثني الرب تبارك وتعالى على نفسه بصفة العلم إذ البعث يتوقف على العلم كما يتوقف على القدرة والقدرة حاصلة، إذ خلقهم ورزقهم ويميتهم . فذكر تعالى أنه عالم الغيب وهو كل ما غاب في السموات وفي الأرض . وأخبر أنه لا يعزب أي لا يغيب عن علمه مثقال ذرة أي^(٢) وزن ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر أيضاً إلا في كتاب مبين أي

(١) روى أن أبا سفيان هو الذي قال هذه المقالة حيث قال لإخوانه من أهل الكفر بمكة واللات والعزى لتأتينا الساعة أبداً ولا نبعث فأمر الله تعالى رسوله أن يرد عليه دعواه بقوله (قل بلى وربِّي لتبعثن) الآية .
 (٢) الساعة علم بالغلبة في القرآن على يوم القيامة وساعة النشور والحشر .
 (٣) قرأ نافع وعنه ورش عالم بالرفع على الابتداء وقرأ حفص بالخفض نعت لاسم الجلالة .
 (٤) قال القرطبي مثقال ذرة أي قدر نملة صغيرة .

بَيْنَ وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل أحداث العالم فلا حركة ولا سكون وقع أو يقع في الكون الا وله صورته ووقته في اللوح المحفوظ .

هذا ما تضمنته الآية الثالثة وقوله تعالى في الآية (٤) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي إذ الحكمة من كتابة الأحداث صغيرها وكبيرها ومن البعث الآخر هي ليجزي تعالى الذين آمنوا أي صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات وهي أداء الفرائض والسنن بما ذكر من جزائهم في قوله: ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ أي لذنوبهم ﴿وزرزق كريم﴾ في الجنة وقوله في الآية (٥) ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ بَيْنَ فيه جزاء الكافرين بعد أن بين جزاء المؤمنين ذلك الجزء الذي هو حكمة وعلة البعث وكتابة الأعمال في اللوح المحفوظ فقال: ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ أي والذين عملوا جهدهم في إبطال آيات الله إذ قالوا فيها أنها من كلام الكهان وانها شعر وأساطير الأولين حتى لا يؤمنوا ولا يوحدوا أولئك البعداء في الخسّة والانحطاط لهم جزاء، عذاب من رجز أليم والرجز سيء العذاب وأشدّه ومعنى أليم أي ذي ألم وإيجاع شديد.

وقوله تعالى: في الآية (٦) ويرى الذين أوتوا العلم، أي ويعلم علماء أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه من مؤمني أهل الكتاب. الذي أنزل إليك من ربك وهو القرآن الكريم هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد، وعلم أهل الكتاب بأن القرآن حقٌ ناتج عن موافقته لما في كتاب الله التوراة من عقيدة القدر وكتابة الأعمال دقيقها وجليلها في اللوح المحفوظ ليجزي بها الله تعالى المؤمنين والكافرين يوم القيامة.

هذا ما دلت عليه الآية (٦) والأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿ويعلم﴾ أي ويعلم ﴿الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو الإسلام.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير توحيد الألوهية .
- ٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ .
- ٣- طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة للقرآن .
- ٤- تقرير النبوة إذ القرآن فرع نبوة الرسول ﷺ ودليلها المقرر لها .

(١) قال القرطبي أي في إبطال أدلتنا والتكذيب بآياتنا وما في التفسير أشمل وأوضح .
 (٢) قرأ نافع بجر أليم نعت لرجز وقرأ حفص برفع أليم نعت لعذاب المرفوع .
 (٣) على هذا التفسير أن الآية مدنية كما قال بعضهم حيث استثناها من آيات السورة وجائز أن يراد بالذين أوتوا العلم أبو بكر الصديق وعلي ابن أبي طالب والأصحاب رضوان الله عليهم إذ هم من أولى العلم .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ

يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْصِفْ بِهِمْ

الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ

لَّآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

- وقال الذين كفروا : أي قال بعضهم لبعض على جهة التعجيب .
 هل ندلكم على رجل : أي محمد صلى الله عليه وسلم .
 إذا مُزِقْتُمْ كل ممزق : أي قطعتم كل التقطيع .
 إنكم لفي خلق جديد : أي تبعثون خلقاً جديداً لم ينقص منكم شيء .
 أم به جنة : أي جنون تخيل له بذلك .

بل الذين لا يؤمنون بالآخرة

في العذاب والضلال البعيد : أي ليس الأمر كما يقول المشركون من افتراء الرسول أو

جنونه . بل الأمر الثابت والواقع أن الذين لا يؤمنون بالآخرة

في العذاب في الآخرة ، وفي الضلال البعيد في الدنيا .

أي ينظروا .

أفلم يروا

إلى ما بين أيديهم وما خلفهم : أي من أمامهم وورائهم وفوقهم وتحتهم إذ هم محاطون من

كل جهة من السماء والأرض .

أي قطعاً جمع كسفة أي قطعة .

أو نسقط عليهم كسفاً

أي علامة واضحة ودليلاً قاطعاً على قدرة الله عليهم .

إن في ذلك لآية

لكل عبد منيب : أي لكل مؤمن منيب إلى ربه رجّاع إليه في أمره كله .
معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء إنه لما قررها تعالى في الآيات قبل أورد هنا ما يتقوله المشركون بينهم في تهكم واستهزاء واستبعاد للحياة الآخرة . فقال تعالى حاكياً قولهم : ﴿وقال الذين كفروا﴾ وهم مشركو مكة أي بعضهم لبعض متعجبين ﴿هل ندلكم على رجل﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ينبئكم﴾ أي يخبركم بأنكم إذا متم وتمزقت لحومكم وتكسرت عظامكم وذهبت في الأرض تراباً تبعثون في خلق جديد بعد أن مزقت كل ممزق أي كل التمزيق فلم يبق شيء متصل ببعضه بعضاً . ﴿أفترى على الله كذباً﴾ أي محمد فكذب على الله هذا القول وزوره عنه وادعى أنه أخبره بوجود بعث جديد للناس بعد موتهم لحسابهم وجزائهم؟! أم به جنة أي به مس من جنون فهي تخيل له صور البعث وما يجري فيه وهو يخبر به ويدعو إلى الإيمان به؟ وهنا رد الله تعالى عليهم كذبهم وباطلهم فقال ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾ أي ليس الأمر كما يقولون من أن النبي افترى على الله كذباً، أو به جنون فتخيل له البعث وانما الأمر الثابت والواقع المقطوع به ان الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب يوم القيامة . وفي الضلال البعيد اليوم في الدنيا وشؤمهم أتاهم من تكذيبهم بالآخرة .

ثم قال تعالى مهدياً لهم لعلهم يرتدعون عن التهجم والتهكم بالنبي ﷺ ﴿أفلم يروا﴾ أي أعموا فلم يروا الي ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أفلم ينظروا كيف هم محاطون من فوقهم ومن تحتهم ومن أمامهم ومن ورائهم أي الأرض تحتهم والسماء فوقهم ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض﴾ فيعودون فيها ﴿أو نسقط عليهم كسفاً﴾ أي قطعاً من السماء فهلكهم عن آخرهم فلا يجدون مهرباً والجواب لا ، لأنهم مهما جروا هاربين لا تزال السماء فوقهم والأرض تحتهم والله قاهر لهم متى شاء خسف بهم أو أسقط السماء عليهم . وقوله تعالى ﴿إن في ذلك

(١) الاستفهام مستعمل في العرض مثل : (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي عرض عليه ما هو صالح له . والاستفهام في الآية وإن كان للعرض فهو مكثى به عن التعجب أي هل ندلكم على أعجوبة وهي رجل ينبئكم بهذا النبأ .

(٢) التمزق والتفرق والتشتت .

(٣) هذه الجملة (افترى) صفة ثانية لرجل والصفة الأولى هي قوله ينبئكم .

(٤) في الجملة إندماج يصف به حالهم في الآخرة مع وصف حالهم في الدنيا إذ أخبر أنهم في الآخرة في العذاب وفي الدنيا في الضلال البعيد .

(٥) المراد بما بين أيديهم هو ما يستقبله الإنسان من الكائنات السماوية والأرضية ، وبما خلفهم وهو ما وراء الإنسان من الكائنات الأرضية والسماوية .

(٦) قرأ نافع كسفاً بسكون السين وقرأ حفص بفتحها .

لاية لكل عبد منيب ﴿أي إن في ذلك المذكور من إحاطة السماء والأرض وقدرة الله على خسف من شاء خسف الأرض بهم وإسقاط كسْفٍ من السماء على من شاء ذلك لهم آية . وعلامة بارزة على قدرة الله على إهلاك من شاء ممن كفروا بالله وبرسوله وكذبوا بلفاقته . وكون المذكور آية لكل عبد منيب دون غيره لأن المنيب هو الرجاء إلى ربه كلما أذنب أب لخشيتته من ربه فالخائف الخاشي هو الذي يجد الآية واضحة أمامه في إحاطة الأرض والسماء بالإنسان وقدرة الله على خسف الأرض به أو إسقاط السماء كسفاً عليه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان ما كان المشركون عليه من استهزاء وتكذيب وسخرية بالنبي ﷺ .
- ٢- تقرير البعث وأن المكذبين به محكوم عليهم بالعذاب فيه .
- ٣- لفت الأنظار الى قدرة الله تعالى المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى ويرهبه فيؤمن به ويعبده ويوحده .
- ٤- فضل الإنابة إلى الله وشرف المنيب . والإنابة الرجوع الى التوبة بعد الذنب والمعصية ، والمنيب الذي رجع في كل شيء إلى ربه تعالى .

وَلَقَدْءَ أَنبَادَاؤُدَ مِنَّا فَضْلًا
يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّالَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
سَبِغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صِلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِيمَنَ الرِّيحِ غَدُوها شَهْرُورَ وَا حَهَا شَهْرُ
وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتِ أَعْمَلُوا أَلْ دَاؤُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي

الشُّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ
إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ
أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولقد آتينا داود منا فضلاً : أي نبوة وملكاً .

يا جبال أوبي معه

: أي: وقلنا يا جبال أوبي معه أي رجعي معه بالتسبيح .

والطير

: أي والطير تسبح أيضاً معه .

وأنأله الحديد

: أي جعلناه له في اللين كالعجينة يعجنها كما يشاء .

أن اعمل سابغات

: أي دروعاً طويلة تستر المقاتل وتقيه ضرب السيف .

وقدر في السرد

: أي اجعل المسامير مناسبة للحلقة ، فلا يكن غليظاً ولا

دقيقاً ، أي اجعل المسامير مقدرة على قدر الحلق لما

يترتب على عدم المناسبة من فساد الدرع وعدم الانتفاع بها .

ولسليمان الريح غدوها شهر

: أي وسخرنا لسليمان الريح غدوها أي سيرها من الغداة

ورواحها شهر

الى منتصف النهار مسيرة شهر ورواحها من منتصف

النهار الى الليل شهر كذلك أي مسافة شهر .

وأسلنا له عين القطر

: أي وأسلنا له عين النحاس .

ومن يزرغ منهم

: أي ومن يعدل عن طاعة سليمان فلم يطعه نذقه من

عذاب السعير .

من محاريب

: جمع محراب المقصورة تكون الى جوار المسجد

للتعبد فيها .

وجفان كالجواب

: أي وقصاع في الكبر كالحياض التي حول الابار يجبي

إليها الماء .

وقدور راسيات

: أي وقدور كبار ثابتات على الأثافي لكبرها لا تحول .

إلا دابة الأرض	: أي الأرضة .
تأكل منسأته	: أي عصاه بلغة الحبشة .
فلما خر	: أي سقط على الأرض ميتاً .
تبينت الجن	: أي انكشف لها فعرفت .
في العذاب المهين	: وهو خدمة سليمان في الأعمال الشاقة .

معنى الآيات :

يذكر تعالى في هذا السياق الكريم مظاهر قدرته وإنعامه على عباده المؤمنين ترغيباً في طاعته وترهيباً من معصيته فيقول: ﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾^(١) وهو النبوة والزبور «كتاب» والملك . وقلنا للجبال ﴿أوبي مع سليمان﴾ أي ارجعي صوت تسييحه والطيور أمرناها كذلك فكان إذا سيج ردد تسييحه الجبال والطيور . وهذا تسخير لا يقدر عليه الا الله . وقوله: ﴿وألنا له الحديد﴾^(٢) وهذا امتنان آخر وهو تسخير الحديد له وتليينه حتى لكأنه عجينة يتصرف فيها كما شاء ، وقلنا له اعمل دروعاً طويلة سابغات تستر بها في الحرب ، (وقدر في السرد) وقوله ﴿واعملوا صالحاً﴾ أي اعملوا بطاعتي وترك معصيتي فأدوا الفرائض والواجبات واتركوا الاثم والمحرمات . وقوله: ﴿إني بما تعملون بصير﴾ فيه وعدٌ ووعد إذ العلم بالأعمال يستلزم الثواب عليها إن كانت صالحة والعقاب عليها إن كانت فاسدة .

وقوله تعالى: ﴿ولسليمان الريح﴾ أي سخرننا لسليمان بن داود الريح ﴿عُذوها شهر ورواحها شهر﴾ أي تقطع مسافة شهر في الصباح ، وأخرى في المساء أي من منتصف النهار إلى الليل فتقطع مسيرة شهرين في يوم واحد ، وذلك أنه كان لسليمان مركب من خشب يحمل فيه الرجال والعتاد وترفعه الجان من الأرض فإذا ارتفع جاءت عاصفة فتحملها ثم تتحول الى رشاء فيوجه سليمان السفينة حيث شاء بكل ما تحمله وينزل بها كسفينة فضاء تماماً . وقوله تعالى ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ وهو النحاس فكما الآن لداود الحديد للصناعة أجرى لسليمان عين النحاس لصناعته فيصنع ما شاء من آلات وأدوات النحاس .

(١) بين تعالى بهذه الآية أن إرسال نبيه محمد ﷺ لم يكن أمراً خارقاً للعادة ولا منافياً لمقتضيات العقول إذا أرسل من قبله رسلاً وأتى داود من الإنعام ما قرر به رسالته وأثبت به نبوته وكذا ولده سليمان عليهما السلام .
(٢) والطيور منصوب بالمعطف على المنادى «ياجبال» . لأن المعطوف المعروف على المنادى يجوز نصبه ورفعته والنصب أولى .
(٣) الحديد تراب معدني إذا صهر بالنار امتزج بعضه ببعض ولان وأمك : تطريقه وتشكيله فإذا برد تصلب .
(٤) قدر الشيء جعله على قدر معين والسرد هو تركيب حلقها وساميرها بصورة مناسبة بحيث لا يعظم المسمار فيخلق الحلقة ، ولا يرق فلا تمسكه .
(٥) لما عدد عليه نعمه أمره بشكوه وهو العمل الصالح الشامل للحمد والشكر والطاعة والصبر .

وقوله تعالى ﴿ومن الجن﴾ أي وسخرنا من الجن من يعمل بين يديه أي أمامه وتحت رقابته يعمل له ما يريد عمله من أمور الدنيا. وذلك بإذن ربّه تعالى القادر على تسخير ما يشاء لمن يشاء. وقوله ﴿ومن يزغ منهم﴾ أي ومن يعدل من الجن ﴿عن أمرنا﴾ أي عما أمرناهم بعمله وكلفناهم به ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ وذلك يوم القيامة^(١). وقوله ﴿يعملون له ما يشاء﴾ بيان لما في قوله ﴿من يعمل بين يديه﴾ من محارِب قصور أو بيوت تكون ملاصقة للمسجد للتعبد فيها، وتمثيل أي صور من نحاس أو خشب إذ لم تكن محرمة في شريعتهم وجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة تتسع لعشرة من الأكلة، كالجواب أي في الكبر والجابية حوض يفرغ فيه ماء البثر ثم يسقى به الزرع أو قدور راسيات أي ويعملون له قدوراً ضخمة لا تتحول بل تبقى دائماً موضوعة على الأثافي ويطبخ فيها وهي في مكانها وذلك لكبرها ومعنى راسيات ثابتات على الأثافي.

وقوله تعالى ﴿اعملوا﴾ أي قلنا لهم اعملوا آل داود شكراً أي اعملوا الصالحات شكراً لله تعالى على هذا الإفضال والإنعام أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا ربكم في أمره ونهيه يكن ذلك منكم شكراً لله على نعمه. روى أنه لما أمروا بهذا الأمر قال داود عليه السلام لآله أيكم يكفيني النهار فإني أكفيكم الليل فصلوا لله شكراً فما شئت أن ترى في مسجدهم راکعاً أو ساجداً في أية ساعة من ليل أو نهار إلا رأيت. وكفى شاهداً أن سليمان مات وهو قائم يصلى في المحراب. وقوله تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ هذا إخبار بواقع وصدق الله العظيم الشاكرون لله على نعمه قليل وفي كل زمان ومكان وذلك لإستيلاء الغفلة على القلوب من جهة ولجهل الناس بربهم وإنعامه من جهة أخرى.

وقوله تعالى في الآية (١٤) ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أي توفينا: ما دلهم على موته الا دابة في الأرض أي الأرضة المعروفة تأكل منسأته فلما أكلتها خر على الأرض، وذلك أنه سأل ربّه أن يعمى خبر موته عن الجن، حتي يعلم الناس أن الجن لا يعلمون الغيب كما هم يدعون، فمات وهو متكئ على عصاه يصلى في محرابه، والجن يعملون لا يدرون بموته فلما مضت مدة من الزمن وأكلت الأرضة المنسأة وخر سليمان على الأرض علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت سليمان ولما أقاموا مدة طويلة في الخدمة والعمل الشاق وهم لا يدرون. هذا معنى

(١) وجائز أن يكون هناك ملك بيده سوط من نار أو شهاب يضرب به الشيطان إن عصى سليمان كما روى عن السلف.
(٢) قال الشاعر:

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

أي لامتلأها.

قوله تعالى ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خثر^(١) تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب﴾ - كما كان يدعى بعضهم - ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ أي الذي كان سليمان يصبه عليهم لعصيانهم وتمردهم على الطاعة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لآل داود وما وهب داود وسليمان من الآيات .
- ٢- فضيلة صنع السلاح وآلات الحرب لغرض الجهاد في سبيل الله .
- ٣- مركبة سليمان سبقت صنع الطائرات الحالية بآلاف السنين .
- ٤- شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خطأه الدليل كتحرير الصور والتماثيل علينا ولم تحرم عندهم .
- ٥- وجوب الشكر على النعم ، وأهم ما يكون به الشكر الصلاة والإكثار منها .
- ٦- تقرير أن علم الغيب لله وحده .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ
كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ
﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً
وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾

(١) الآية صريحة في أن من الجن من كان يدعي علم الغيب يضلل اخوانه من الجن والإنس به ، وإذ تبين للجن إن دعوى علم الغيب ممن ادعاه باطله علم كذلك الإنس أن الجن ما كانوا يعلمون الغيب إذ لو كانوا يعلمونه لعلموا بموت سليمان حين مات وتركوا العمل وفروا بعيدين .

(٢) لعن رسول الله ﷺ المصورين ولم يستثن فقال إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم . وفي البخاري أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون . وحديث الموطأ . إلا ما كان رقماً في ثوب فهو وإن خص جميع الصور فإن حديث عائشة رضي الله عنها دل على كراهيته إذ قال لها أخرجيه عني فهتكته والرخصة في لعب البنات لما في الصحيح على شرط أن لا تكون كأشباه التماثيل .

فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ

شُكُورٍ ١٩

شرح الكلمات :

- لقد كان لسبا في مسكنهم : أي لقد كان لقبيلة سبا اليمانية في مسكنهم .
آية : أي علامة على قدرة الله وهي جنتان عن يمين وشمال .
بلدة طيبة ورب غفور : أي طيبة المناخ بعيدة عن الأوباء وأسبابها ، والله رب غفور .
فأعرضوا : أي عن شكر الله وعبادته .
سيل العرم : أي سد السيل العرم .
ذواتي أكل خمط وأثل : أي صاحبتني أكل مَرَّبَشَعٍ وشجر الأثل .
ذلك : أي التبديل جزيناهم بكفرهم .
القرى التي باركنا فيها : هي قرى الشام مبارك فيها .
قرى ظاهرة : أي متواصلة من اليمن إلى الشام .
وقدرنا فيها السير : أي المسافات بينها مقدرة بحيث يقيلون في قرية ويبيتون في أخرى .
فجعلناهم أحاديث : أي لمن جاء بعدهم أي أهلكتناهم ولم يبق منهم إلا ذكرهم متداولاً بين الناس .
ومزقناهم كل ممزق : أي فرقناهم في البلاد كل التفرق .
إن في ذلك لآيات : أي إن في ذلك المذكور من النعم وسلبها لعبراً .
لكل صبار شكور : أي صبار على الطاعات وعن المعاصي شكور على النعم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى إنعامه على آل داود وشكرهم له وأخبر أنه قليل من عباده من يشكر إنعامه عليه ذكر أولاد سبا وأنه أنعم عليهم بنعم عظيمة وأنهم ما شكروها فأنزل بهم نعمته وسلبهم نعمته

وذلك جزاء لكل كفور. فقال تعالى ﴿لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال﴾^(١) أي لقد كان لأولاد سبأ وهم الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، ومن أنمار جنعم وبيجلة ومن أولاد سبأ أربعة سكنوا في الشام وهم لخم وجدام وغسان، وعاملة وأبوهم سبأ هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وقوله تعالى ﴿في مسكنهم﴾ أي في مساكنهم ﴿آية﴾ أي علامة على قدرة الله وإفضاله على عباده وهي جنتان عن يمين وشمال الوادي أي جنتان عن يمين الوادي وأخرى عن شماله كلها فواكه وخضر، تسقى بماء سد مأرب. كلوا من رزق ربكم أي قلنا لهم كلوا من رزق ربكم واشكروا له أي هذا الإنعام بالإيمان به ويرسله وطاعته وطاعة رسله. وقوله ﴿بلدة طيبة﴾ أي هذه بلدة طيبة وهي صنعاء اليمن مناخها طيب وتربتها طيبة لا يوجد بها وباء ولا هوام ولا حشرات كالعقارب ونحوها، ﴿ورب غفور﴾^(٢) يغفر ذنوبكم متى أذنبتم وتبتم واستغفرتهم. ولكن أبطرتهم هذه النعم فكفروها ولم يشكروا كما قال تعالى ﴿فأعرضوا﴾ بأن كذبوا رسل الله إليهم وعصوا الله ورسله فانتقم الله منهم لإعراضهم وعدم شكرهم كما هي سنته في عباده. قال تعالى ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وذلك بأن خرب السد، وذهبت المياه وماتت الأشجار وأمحلَّت الأرض، وتبدلت قال تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل خمط﴾ أي مُرٍ بشع وهو شجر الأراك وأثل وهو الطرفاء، وشيء من سدر قليل. هذا جزاء من أعرض عن ذكر الله وفسق عن أمره وخرج عن طاعته. قال تعالى ﴿ذلك﴾ أي الجزاء ﴿جزيناكم بما كفروا﴾ بسبب كفرهم وقوله: ﴿وهل نجازي إلا الكفور﴾ أي وهل نجازي بمثل هذا الجزاء وهو تحويل النعمة الي نعمة غير الكفور.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ وهي مدن الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أي مدناً ظاهرة على المرتفعات من الأرض، وذلك من صنعاء عاصمتهم إلى الشام قرابة أربعة آلاف وسبعمائة قرية أي مدينة، وقوله ﴿وقدرنا فيها السير﴾ أي يجعل المسافات بين كل مدينة ومدينة متقاربة بحيث يخرج المسافر بلا زاد من ماء أو طعام فلا يقيل إلا في مدينة ويخرج بعد

(١) قرأ نافع مساكنتهم بالجمع وقرأ حفص بالافراد مسكنهم وجمعه مساكين.

(٢) إذ لو اجتمعت البشرية كلها على اخراج شجرة من خشبة يابسة لما استطاعت فكيف بأنواع النوار وألوانه واختلاف طعموه وروائح وأزهاره.

(٣) في الآية إشارة إلى أن الذنب ملازم للإنسان لا يعصم منه إلا من أراد الله عصمته كآتيائه، ولذا أعلمهم أن المنعم بهذه النعم رب غفور يغفر ذنب عباده إذا تابوا إليه فدعاهم بهذا إلى التوبة وأن الذنب مع التوبة لا يسبب الهلاك العام أو سلب النعم ما دام هناك توبة تعقب الذنب.

(٤) قرأ حفص وهل نجازي بنون العظمة والبناء للفاعل والكفور مفعول به منصوب وقرأ نافع والجمهور وهل يجازي بياء الغيبة مضمومة والفعل مبني للمفعول والكفور نائب فاعل والمعنى ما يجازي ذلك الجزاء إلا الكفور أي الشديد الكفر عظيمه.

(٥) هذه الآية والتي بعدها ذكرنا تكميلاً للقصة.

القيلولة فلا ينام الا في مدينة أخرى حتى يصل الى الشام أو إلى المدينة التي يريد. وهذا كان لهم قبل هدم السد وتفرقهم وقوله تعالى: ﴿سَيُرَوُّ فِيهَا لِيَالِي وَأَيَامًا آمِنِينَ﴾ أي وقتنا لهم سيروا بين تلك المدن الليالي والأيام ذوات العدد آمينين من كل ما يخاف. وما كان منهم الا أنهم بطروا النعمة وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم. أي حملهم بطر النعمة على أن سألوا ربهم بلسان حالهم أو قالهم أن يباعد بين مسافات أسفارهم بإزالة تلك المدن حتى يحملوا الزاد ويركبوا الخيول ويذوقوا طعم التعب وهذا في الواقع هو حسد من الأغنياء للفقراء الذين لا طاقة لهم على السفر في المسافات البعيدة بدون زاد ولا راحل^(١). قال تعالى ﴿وظلموا أنفسهم﴾ إذ بإعراضهم وحسدهم وبطرحهم النعمة كانوا قد ظلموا أنفسهم فعرضوا لعذاب الحرمان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة، وقوله تعالى ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ أي لمن بعدهم يروون أخبارهم ويقصون قصصهم بعد أن هلكوا وبادوا. وقوله تعالى ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي فرقناهم في البلاد كل تفريق بحيث لا يرجى لهم عود اتصال أبداً فذهب الأوس والخزرج الى يثرب «المدينة النبوية» وهم الأنصار، وذهب غسان الى^(٢) الشام، والأزد الى عُمان، وخزاعة الى تهامة واصبحوا مضرب المثل يقال: ذهبوا شذر مذر. وتفرقوا أيادي سبأ، أي مذاهب سبأ وطرقها. وقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات﴾ أي إن في إنعام الله على ابناء سبأ ثم في نقمته عليهم لما بطروا النعمة وكفروا الطاعة لعبراً يعتبر بها كل صبور على الطاعات فعلاً وعن المعاصي تركاً، ﴿شكور﴾ أي كثير الشكر على النعم. اللهم اجعلنا لك من الشاكرين.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- التحذير من الإعراض عن دين الله فإنه متى حصل لأمة نزلت بها النقم وسلبها الله النعم. وكم هذه الحال مشاهدة هنا وهناك لا بين الأمم والشعوب فحسب بل حتى بين الأفراد.
- ٢- التحذير من كفر النعم بالاسراف فيها وصرافها في غير مرضاة الله واهبها عز وجل.
- ٣- خطر الحسد وانه داء لا دواء له، والعياذ بالله يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
- ٤- فضيلة الصبر والشكر وعلو شأن الصبور الشكور.

(١) قوله تعالى وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قرأ الجمهور باعد فعل أمر من باعد يباعد وقرأ بعض بقَد فعل أمر من بعد يبعد على وزن جند، وقرأ بعض آخر باعد فعلاً ماضياً.

(٢) قيل ان المسافة التي يقطعونها بين تلك المدن آمينين من الجوع والخوف مسيرة أربعة أشهر ذهاباً وإياباً وحالهم كحال بني اسرائيل كما قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض حيث ملوا أكل اللحم والعسل.

(٣) قال الشعبي فلحقت الأوس والخزرج (الأنصار) بيثرب (المدينة) وغسان وجماد ولخم بالشام والأزد بعمان وخزاعة بتهامة. فكانت العرب تضرب بهم المثل فتقول. تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ أي مذاهب سبأ وطرقها.

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
 فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ
 إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ
 اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي
 الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
 وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنِ
 قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ
 ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

ولقد صدق عليهم إبليس ظنه: أي صدق ظن إبليس فيهم أنه يستطيع إغواءهم.

فاتبعوه : في الكفر والضلال والإضلال.

الا فريقا منهم : أي من بني آدم وهم المؤمنون المسلمون فإنهم لم يتبعوه

وخاب ظنه فيهم زاده الله خيبة إلى يوم القيامة.

وما كان له عليهم من سلطان : أي ولم يكن لإبليس من تسلط منا عليهم لا بعصا ولا سيف

وإنما هو التزيين والإغراء بالشهوات.

إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة

ممن هو منها في شك : أي لكن أذننا له في إغوائهم - إن استطاع - بالتزيين والإغراء

لنعلم علم ظهور من يؤمن ويعمل صالحاً ممن يكفر ويعمل
 سوءاً.

وربك على كل شيء حفيظ : أي وربك يا محمد على كل شيء حفيظ وسيجزى الناس بما
 كسبوا.

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله : أي أنهم شركاء لله في ألوهيته .
لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض : أي ملكاً استقلالياً لا يشاركهم الله فيه .
وما لهم فيها من شرك : أي وليس لهم من شركة في السموات ولا في الأرض .
وماله منهم من ظهير : أي وليس لله تعالى من شركائكم الذين تدعونهم من معين
على شيء .

ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له : أي ولا تنفع الشفاعة أحداً عنده حتى يأذن هو له بها .
حتى إذا فرغ عن قلوبهم : أي ذهب الفرغ والخوف عنها بسماع كلام الرب تعالى .
قالوا : ماذا قال ربكم ؟ : أي قال بعضهم لبعض لبعض استبشاراً ماذا قال ربكم ؟ قالوا
الحق أي في الشفاعة .

وهو العليُّ الكبير : العلي فوق كل شيء علوُّ ذات وقهر وهو الكبير الذي كل شيء
دونه .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ما حدث لسبأ من تقلبات وكان عامل ذلك هو تزيين الشيطان وإغواؤه أخبر تعالى عن حال الناس
كل الناس فقال ﴿لقد صدق عليهم﴾ إبليس ظنه ﴿أي فيهم لما علم ضعفهم أمام الشهوات فاستعمل تزيينها كسلاح
لحربهم﴾ فاتبعوه ﴿فيما دعاهم إليه من الشرك والإسراف والمعاصي﴾ إلا فريقاً من المؤمنين ﴿وهم المؤمنون
الصادقون في إيمانهم الذين أسلموا لله وجوههم وهم عباد الله الذين ليس للشيطان عليهم سبيل لإغوائهم فإنهم
لم يتبعوه . هذا ما دللت عليه الآية (٢٠) وقوله تعالى : ﴿وما كان له﴾ أي للشيطان ﴿عليهم من سلطان إلا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ أي قوة مادية ولا معنوية من حجج وبراهين ،
وإنما أذن له في التحريش والوسواس والتزيين وهذا الإذن لعله وهي ظهور حال الناس ليعلم من
يؤمن بالآخرة وما فيها من جنات ونيران ، وقد حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات فالمؤمنون
بالآخرة يتحملون مشاق التكليف فينهضون بها ويتجنبون الشهوات فينجون من النار ويدخلون
الجنة ، والذين لا يؤمنون بالآخرة لا ينهضون بواجب ولا يتجنبون حراماً فيخسرون أنفسهم

(١) قرأ نافع والجمهور صدق بتخفيف الدال وقرأ حفص صدق بالتضعيف والجملة يبدو أنها معطوفة على قوله تعالى : وقال
الذين كفروا هل ندلكم وهو قول كفار مكة وما بين هذه الآيات وتلك اعتراض للعظة والاعتبار المقصود من هذه الآية تنبيه
المؤمنين إلى مكابد الشيطان وسوء عاقبة من يتبعه حتى يلعنوه ولا يتبعوه . قال الحسن لما ابيض آدم وحواء عليهما السلام من
الجنة إلى الأرض وهبط إبليس قال إبليس أما إذا أصبت من الأيوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف فكان ذلك ظناً من
إبليس فأنزل الله تعالى لقد صدق عليهم إبليس ظنه .

(٢) أي علم الشهادة والظهور الذي يتم به الثواب والعقاب فأما علم الغيب فقد علمه تبارك وتعالى فقوله تعالى ، (إلا لنعلم)
الخ . . . جواب لقوله وما كان له عليهم من سلطان .

وأهلهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين . وقوله تعالى ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ فهو يحصى أعمال عباده من خير وشر ويحاسبهم عليها ويجزيهم بها .

وقوله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ أي قل يا رسولنا بعد هذا العرض والبيان الشافي الذي تقدم في هذا السياق للمشركين من قومك ما دتم مصرين على الشرك بحجة أن شركاءكم ينفعون ويضررون وأنهم يشفعون لكم يوم تبعثون ادعوهم غير أن الحقيقة التي يجب أن تسمعوها وتعلموها - وأنتم بعد ذلك وما ترون وتهوون - هي أن الذين تدعونهم من دون الله وجعلتموهم لله شركاء لا يملكون مثقال ذرة أي وزن ذرة في السموات ولا في الأرض لا يملكونها استقلالاً ولا يملكونها شركة مع الله المالك الحق ، وهو معنى قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ ﴿وما لهم فيها﴾ أي في السموات والأرض من شرك بمعنى شركة ولو بأذن نسبة . وشيء آخر وهو أن شركاءكم الذين تدعونهم ليس لله تعالى منهم من ظهر أي معين حتى لا يقال بحكم حاجة الرب إليه ندعوه فيشفع لنا عنده ، وشيء آخر وهو أن الشفاعة عند الله لا تتم لأحد ولا تحصل له إلا إذا رضى الله تعالى بالشفاعة لمن أريد الشفاعة له ، وبعد أن يأذن أيضاً لمن أراد أن يشفع . فلم يبق إذاً أي طمع في شفاعة آلهتكم لكم لا في الدنيا ولا في الآخرة إذاً فكيف تصح عبادتهم وهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يشفعون لأحد في الدنيا ولا الآخرة . وقوله تعالى ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ إلى آخره بيان لكيفية الشفاعة يوم القيامة وهي أن الشافع المأذون له في الشفاعة عندما يسأل الله تعالى فيجيبه الرب تعالى فيصاب بخوف وفرع شديد ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ أي زال ذلك الفرع والخوف قالوا لبعضهم البعض ماذا قال ربكم؟ فيقولون مستبشرين قالوا: الحق أي أذن لنا في الشفاعة وهو العليّ الكبير أي العلى فوق خلقه بذاته وقهره وسلطانه الكبير الذي ليس مثله سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان أن إبليس صدق ظنه في بني آدم وأنهم سيتبعونه ويغويهم .

(١) هذا الأمر للتحدي والتوبيخ وهو خطاب للمشركين المؤهلين الأصنام بعد ما ساق من دلائل التوحيد فيما عرفوا من حياة داود وسليمان وأهل سبأ أمر رسوله أن يتحداهم ويوبخهم على شركهم وباطلهم .

(٢) الظاهر أن من طلبوا الشفاعة لما أذن الله تعالى لهم وأصابهم الفرع والخوف فلما ذهب ذلك من قلوبهم سألوا الملائكة عما قال الله تعالى فتجيبهم الملائكة قال الحق أي قبل شفاعتكم .

٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا يستحق العبادة سواه .

٣- بيان بطلان دعاء غير الله إذ المدعو كائن من كان لا يملك مثقال ذرة في الكون لا بالاستقلال ولا بالشركة، وليس لله تعالى من ظهير أي ولا معينين يمكن التوسل بهم، وأخيراً والشفاعة لا تتم إلا بإذنه ولمن رضى له بها. ولذلك بطل دعاء غير الله ومن دعا غير الله من ملك أو نبي أو ولي أو غيرهم فقد ضل الطريق وأشرك بالله في أعظم عبادة وهي الدعاء، والعياذ بالله تعالى .

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ
وَإِنَّا أَوْيَاتِكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ
لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَهَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

قل من يرزقكم من السموات والأرض: من السموات بإنزال المطر ومن الأرض بإنبات الزروع .
قل الله : أي إن لم يجيبوا فأجب انت فقل الله، إذ لا جواب عندهم سواه .

وإنا وإياكم لعلى هدى أو في

ضلال مبين : وأخبرهم بأنكم أنتم أيها المشركون أو إيانا لعلى هدى أو في

ضلال مبين، وقطعا فالموحدون هم الذين على هدى

والمشركون هم في الضلال المبين، وإنما شككهم تلطفاً بهم
لعلهم يفكرون فيهدتدون.

قل لا تسألون عما أجرمتنا : أي أنكم لا تسألون عن ذنوبنا.
ولا تسأل عما تعملون : أي ولا تسأل نحن عما تعملون. وهذا تلطفاً بهم أيضاً ليراجعوا
أمرهم، ولا يحملهم الكلام على العناد.

قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق : أي قل لهم سيجمع بيننا ربنا يوم القيامة ويفصل
بيننا بالحق وهذا أيضاً تطف بهم وهو الحق.

قل أروني الذين ألحقتم به : أي قل لهؤلاء المشركين أروني شركاءكم الذين عبدتموهم مع
شركاء الله فإن أروه إياهم أصناماً لا تسمع ولا تبصر قامت الحجة
عليهم. وقال لهم اتعبدون ما تنحتون وتتركون الله الذي خلقكم
وما تعملون؟! وما تعملون؟!!

كلا بل هو الله العزيز الحكيم: كلا: لن تكون الأصنام أهلاً للعبادة بل المعبود الحق الواجب
العبادة هو الله العزيز الحكيم.

كافة للناس : أي لجميع الناس أي عربهم وعجمهم.
بشيراً ونذيراً : بشيراً للمؤمنين بالجنة، ونذيراً للكافرين بعذاب النار
قل لكم ميعاد يوم : هو يوم القيامة.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تبيكيت المشركين وإقامة الحجج عليهم بتقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال
تعالى للرسول ﷺ سل قومك مبكثا لهم: ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض﴾^(١) بإنزال
الأمطار وإرسال الرياح لواقح وإنبات النباتات والزروع والثمار وتوفير الحيوان للحم واللبن
ومشتقاته؟ وإن تلعثموا في الجواب أو ترددوا خوف الهزيمة العقلية فأجب أنت قائلاً الله. إذ ليس
من جواب عندهم سواه.

وقوله ﴿وإننا أو إياكم لعلى^(٢) هدى أو في ضلال مبين﴾ هذا أسلوب التشكيك وحكمته التلطف

(١) لما أبطل بتلك الحجج آلهة المشركين حيث دعاؤها لا يجدي نفعاً للداعين لأنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الأرض ولا شفاعتها تنفع عابديها قرّر بهذه الآيات استحقاق الله تعالى للعبادة دون غيره، واستعمل أسلوب الجدال
لإقامة الحجة على الخصم فقال: قل من يرزقكم.

(٢) وإياكم معطوف على محل اسم إن المنصوب والجملة معطوفة على الاستفهام «قل من يرزقكم الخ» وهذا يقال له أسلوب
المنصف وهو أن لا يذكر المجادل لمن يجادله ما يغيظه أو يثير حفيظته رجاء هدايته إلى الحق.

بالخصم المعاند حتى لا يلج في العناد ولا يفكر في الأمر الذي يجادل فيه، وإلا فالرسول والمؤمنون هم الذين على هدى، والمشركون هم الذين في ضلال مبين وهو أمر مسلم لدى طرفي النزاع. وقوله تعالى ﴿قل لا تُسألون عما أجرنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ وهذا أيضاً من باب التلطف مع الخصم المعاند لتهدأ عاصفة عناده ويراجع نفسه عله يثوب إلى رشده ويعود إلى صوابه. فقوله: ﴿لا تُسألون عما أجرنا﴾ هو حق فإنهم لا يسألون عن ذنوب الرسول والمؤمنين، ولكن الرسول والمؤمنين لا ذنب لهم وإنما هو من باب التلطف في الخطاب، وأما المشركون فإن لهم أعمالاً من الشرك والباطل سيجزون بها والرسول والمؤمنون قطعاً لا يسألون عنها ولا يؤاخذون بها ما داموا قد بلغوا ونصحوا. وقوله: ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ أي يوم القيامة ﴿ثم يفتح بيننا﴾ أي يحكم ويفصل بيننا ﴿بالحق وهو الفتح﴾ أي الحاكم العليم بأحوال خلقه فأحكامه ستكون عادلة لعلمه بما يحكم فيه ظاهراً وباطناً. وفي هذا جذب لهم بلطف ودون عنف ليقروا بالبعث الآخر الذي ينكرونه بشدة. وقوله ﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾ أي قل يا رسولنا لهؤلاء المشركين أروني آلهتكم التي اشركتموها بالله والحقتموها به وقتلتم في تلبيتكم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك. الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وهكذا يتحداهم رسول الله بإذن الله أن يروه شركاء لله حقيقة يسمعون ويبصرون ينفعون ويضرون ولما كان من غير الممكن الإتيان بهم غير أصنام وتمائيل زجرهم بعنف لعلمهم يستفيقون من غفلتهم فقال: ﴿كلا، بل هو الله العزيز الحكيم﴾ أي ليست تلك الأصنام بآلهة تعبد مع الله بل المعبود الحق الواجب العبادة هو الله رب العالمين وإله الأولين والآخرين ﴿العزيز﴾ أي الغالب على أمره ومراده الحكيم في تدبير خلقه وشؤون عباده.

وقوله: ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ أي لم نرسلك يا رسولنا لمهمة غير البشارة والنذارة فلذا لا يحزنك إعراضهم وعدم استجابتهم فبشر من آمن بك واتبعك فيما جئت به، وأنذر من كفر بك ولم يتابعك على الهدى الذي تدعو إليه.

(١) وهذا أيضاً من الباب الأول وهو حمل الخصم على عدم اللجاج في الخصومة ليبقى قادراً على الفهم وقبول الحق متى ظهر له ولاج.

(٢) الأمر هنا للتعجيز لإقامة الحججة عند ثبوت عجز المخاصم، ولما ثبت عجزهم زجرهم بكلمة كلا وردعهم بها، وحملهم على الاعتراف ببطان آلهتهم.

(٣) ولما تقرّر مبدأ التوحيد عطف عليه تقرير النبوة المحمدية فقال وما أرسلناك. وبذلك ثبت رسالته.

(٤) في الكلام تقديم وتأخير إذ الأصل وما أرسلناك إلا للناس كافة أي عامة.

وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾^(١) فيه تعزية للرسول أيضاً إذ الواقع أن أكثر الناس لا يعلمون إذ لو علموا لما ترددوا في عبادة الله وتوحيده والتقرب إليه طمعاً فيما عنده وخوفاً مما لديه .
 وقوله: ﴿ويقولون﴾ أي أهل مكة من منكري البعث والجزاء ﴿متى هذا الوعد﴾^(٢) أي العذاب الذي تهددنا به وتخوفنا بنزوله بنا إن كنتم أيها المؤمنون صادقين فيما تقولون لنا وتعدونا به . وهنا أمر الله تعالى رسوله أن يرد على استهزائهم وتكذيبهم بقوله: ﴿قل لكم ميعاد﴾^(٣) يوم معين عندنا محدد لا تستأخرون عنه ساعة لو طلبتم ذلك لتتوبوا وتستغفروا ولا تستقدمون أخرى لو طلبتم تعجيلة إذ الأمر مبرم مُحكم لا يقبل النقص ولا الزيادة ولا التبديل ولا التغيير.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية التلطف مع الخصم فسحاً له في مجال التفكير لعله يثوب الى رشده .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء وتنويع الأسلوب الدعوى في ذلك .
- ٣- تقرير عقيدة النبوة المحمدية ، وعموم رسالة النبي ﷺ الى الناس كافة .
- ٤- يوم القيامة مقرر الساعة واليوم فلا يصح تقديمه ولا تأخيره بحال .

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا
 بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ
 اسْتُضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُّوا أَنْخُنْ صَدَدْنَاكُمْ
 عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ شُرَكَائِيْنَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ

(١) إذ كانوا يوم نزول هذه الآية أكثرية والمؤمنون أقلية وحتى اليوم أكثر الناس لا يعلمون جلال الله وجماله وأسماء وصفاته وما عنده وما لديه ، ولا محابة ولا مكارهه .

(٢) الاستفهام للاستبعاد مشوباً بالتعجب من كثرة سؤالهم عن هذا الوعد .

(٣) الميعاد مصدر ميمي وهو الوقت المعين لحدوث الشيء وهو هنا إما يوم القيامة أو حضور الموت وجائز أن يكون يوم هلاكهم وهو يوم بدر وإضافته بيانية .

أَسْتَضِعُّوهُمُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذِ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

ولا بالذي بين يديه : أي من الكتب السابقة وهي التوراة والإنجيل .
يرجع بعضهم إلى بعض القول: أي يقول الاتباع كذا ويرد عليهم المتبوعون بكذا وهو المبين
في الآيات .

أنحن صددناكم عن الهدى : أي ينكر المتكبرون وهم المتبوعون أن يكونوا صدوا التابعين
لهم عن الهدى بعد إذ جاءهم بواسطة رسوله .

بل كنتم مجرمين : أي ظلمة فاسدين مفسدين .
بل مكر الليل والنهار : أي ليس الأمر كما ادعيتم بل مكركم بنا بالليل والنهار هو الذي
جعلنا نكفر بالله

ونجعل له أنداداً : أي شركاء نعبدهم معه فنناده بهم .
وأسروا الندامة : أي اخفوها إذ لا فائدة منها أو أظهروها أي أظهروا الندم إذ أسر
الندامة له معنيان أخفى وأظهر .

وجعلنا الاغلال في أعناق : أي وجعلنا الأغلال جمع غل حديدة تجعل في عنق المجرم .
هل يجزون الا ما كانوا يعملون : أي ما يجزون الا ما كانوا يعملون .

معنى الآيات .

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء فيحخر تعالى فيقول : ﴿وقال الذين
كفروا﴾ أي من مشركي مكة قالوا للرسول والمؤمنين لن نؤمن^(١) بهذا القرآن الذي أنزل على
محمد، ولا بالذي أنزل على من تقدمه من الأنبياء كالتوراة والإنجيل، وذلك لما احتج عليهم

(١) القائل هذا هو أبو جهل بن هشام وذلك أن المشركين سألوا أهل الكتاب من اليهود فلما أعلمهم بما يوافق ما يقول
الرسول ويدعو إليه من التوحيد والبعث والجزاء والرسالة قالوا: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه أي من التوراة
والإنجيل .

بتقرير التوراة والإنجيل للتوحيد والنسب والبعث والجزاء قالوا لن نؤمن بالجميع عناداً ومكابرة .
 وجحوداً وظلماً . ولازم هذا أنهم ظلمة معاندون ومن باب دعوتهم إلى الهدى ستعرض الآيات
 لهم حالهم يوم القيامة فيقول تعالى لرسوله وهم يسمعون ولو ترى^(١) يا رسولنا إذ الظالمون موقوفون
 عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول^(٢) أي يتحاورون متلامين . يقول الذين استضعفوا وهم
 الفقراء المرءوسون الذين كانوا أتباعاً لكبرائهم وأغنيائهم ، يقولون للذين استكبروا عليهم في
 الدنيا : لولا أنتم أي صرفتمونا عن الإيمان واتباع الرسول لكننا مؤمنين فيرد عليهم الكبراء بما أخبر
 تعالى عنهم في قوله : ﴿ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد
 إذ جاءكم ﴾ أي ما صددناكم أبداً بل كنتم مجرمين أي أصحاب إجرام وفساد ويرد عليهم
 المستضعفون قائلين بما أخبر تعالى به عنهم ﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر^(٣)
 الليل والنهار ﴾ أي بل مكرهم بنا في الليل والنهار إذ تأمرونا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً . قال
 تعالى ﴿ وأسروا الندامة ﴾ أي أخفوها لما رأوا العذاب . قال تعالى : ﴿ وجعلنا الأغلال في أعناق
 الذين كفروا ﴾ أي شددت أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال وهي جمع غل حديدة يشد بها المحرم ،
 ثم أدخلوا الجحيم إذ كانوا في موقف خارج جهنم ، وقوله تعالى : ﴿ هل يجزون إلا ما كانوا
 يعملون ﴾ أي ما يُجزون إلا ما كانوا يعملون فالجزاء بحسب العمل إن كان خيراً فخير
 وإن كان شراً فشر ، وكانت أعمالهم كلها شر وظلم وباطل .

هذا وجواب لولا في أول السياق محذوف يُقدر بمثل : لرأيت أمراً فظيماً واكفني بالعرض
 لموقفهم عن ذكره فإنه أتم وأشمل .

(١) جواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيماً هائلاً مدهشاً ومحيراً .

(٢) الاستفهام إنكاري . أنكروا عليهم قولهم أنهم صدوا عن الإيمان .

(٣) المكر في اللغة الاحتيال والخديعة يقال مكر به يمكر فهو مكر ومكار .

(٤) مكر الليل والنهار الاضافة بمعنى في .

(٥) مكرهم مبتدأ والخبر محذوف تقديره صدنا وهو جملة فعلية .

(٦) الضمير في أسروا عائد على الجميع المستضعفين والمستكبرين والمعنى أنهم لما انكشف لهم العذاب المعد والمهيء
 لهم وذلك عقب المحاوراة التي دارت بينهم ، فعلموا أن حوارهم لبعضهم غير نافع لهم أسروا الندامة أي أخفوها لعدم
 جدواها .

(٧) الاستفهام إنكاري بقرينة الاستثناء بعده أي ما يجزون إلا ما كانوا يعملون أي من الشرك والظلم والشر والفساد إذ الجزاء
 من جنس العمل هو العدل المطلوب .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تشابه حال الظلمة والمجرمين فالعرب المشركون كانوا يركنون إلى أهل الكتاب يحتجون بما عندهم على الرسول والمؤمنين . ولما وجدوا التوراة والإنجيل يقرران عقيدة البعث والجزاء والنبوة تبرأوا منهما وقالوا لن نؤمن بالقرآن ولا بالتوراة والإنجيل .
- واليهود كانوا يحتجون بالتوراة على المسلمين ولما وجدوا التوراة تقرر ما يقرره القرآن تركوا الاحتجاج بالتوراة وأخذوا يحتجون بالسحر كما تقدم في البقرة في قول الله تعالى ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان﴾ .
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض كامل لموقف من مواقف يوم القيامة ، ومشهد من مشاهدته .
- ٣- بطلان احتجاج الناس بعمل العلماء أو الحكماء وأشرف الناس اذا كان غير موافق لشرع الله تعالى وما جاء به رسله من الحق والدين الصحيح .

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ

مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِن أَكْثَرُ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا

زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ

بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي

ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ

إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا

أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

- الاقال مترفوها : أي رؤساؤها المنعمون فيها من اهل المال والجاه .
نحن أكثر أموالاً وأولاداً : أي من المؤمنين .
يسسط الرزق لمن يشاء : امتحاناً أيشكر العبد أم يكفر .
ويقدر : أي يضيق ابتلاءً أيصبر المرء أم يسخط .
ولكن أكثر الناس لا يعلمون : أي الحكمة في التوسعة على البعض والتضييق على البعض .
تقربكم عندنا زلفي : أي قربي بمعنى تقريباً .
إلا من آمن وعمل صالحاً : أي لكن من آمن وعمل صالحاً هو الذي تقربه تقريباً .
وهم في الغرفات آمنون : أي من المرض والموت وكل مكروه .
والذين سعوا في آياتنا : أي عملوا على إبطال القرآن والإيمان به وتحكيمه .
معاجزين : أي مقدرين عجزنا وأنهم يفوقونا فلم نعاقبهم .
وما أنفقتم من شيء : أي من مال في الخير .
وهو خير الرازقين : أي المعطين الرزق . أما خلق الرزق فهو لله تعالى وحده .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير ﴾ هذا شروع في تسليمة الرسول ﷺ ببيان حال من سبق من الأمم وما واجهت به رسلها فقال تعالى ﴿ وما أرسلنا في قرية ﴾ أي مدينة من المدن ﴿ من نذير إلا قال ﴾^(١) مترفوها ﴿ أي أهل المال والثروة المتنعمون بألوان المطاعم والمشارب والملابس والمراكب . قالوا لرسول الله ﴿ إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ فردوا بذلك دعوتهم . ﴿ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً ﴾ فاعتزوا بقوتهم ، ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ كذبوا بالبعث والجزاء كما أن كلامهم مُشعر بأنهم مغترون بأن ما أعطاهم الله من مال وولد كان لرضاه عنهم وعدم سخطه عليهم . وقوله تعالى ﴿ قل إن ربي يسسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أي قل يا نبينا لأولئك المغترين بأن ما لديهم من مال وولد ناجم عن رضا الله عنهم قل لهم إن ربي جل جلاله يسسط الرزق لمن يشاء امتحاناً له لا لرضى عنه ولا لبغض له ، كما أنه يضيق الرزق على من يشاء ابتلاءً له لا لبغضه ولا لمحبتة ، ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾^(٢) ومن بينهم مشركو قريش لا يعلمون أن بسط الرزق

(١) المترفون الذين أعطاهم الله الترف وهو النعيم وسعة العيش في الدنيا وفي بناء المترفون للمجهول تعريض وتذكير لهم بالمنعم تعالى عليهم يذكرون فيشكرون .

(٢) بسط الرزق تيسيره وتكثيره مأخوذ من بسط الثوب وهو نشره ليتسع لصاحبه وتقدير الرزق معناه إعطاؤه مقدراً ، ويقابله ما يعطى بغير حساب .

(٣) مفعول لا يعلمون محذوف وقد ذكر في التفسير وهو أنهم لا يعلمون الحكمة في بسط الرزق وتضييقه .

كتضييقه عائد إلى تربية الناس بالسراء والضراء امتحاناً وابتلاء . وقوله تعالى : ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى﴾ يخبر تعالى المشركين المغترين بالمال والولد يقول لهم وما أموالكم ولا أولادكم بالحال التي تقرّبكم منا وتجعلنا نرضى عنكم وندنيكم منا زلفى أي قري .
﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ أي لكن من فعلوا الواجبات والمندوبات ﴿فأولئك﴾ أي المذكورون لهم جزاء الضعف^(١)، أي جزاء تضاعف لهم حسناتهم فيه ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ، وذلك بسبب عملهم الصالحات ﴿وهم في الغرفات﴾ أي غرفات الجنة آمنون من الموت ومن كل مكروه ومنغص لسعادتهم .

وقوله تعالى : ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ يخبر تعالى أن الذين يعملون بجد وحرص في إبطال آياتنا وإطفاء نور هدايتنا في كتابنا وقلوب عبادنا المؤمنين ويطنون أنهم معجزون لنا أي فائقون لا ندرّكهم ولا نعاقبهم هؤلاء المغرورون في العذاب محضرون أي كأنك بهم وهم محضرون في جهنم يعذبون فيها أبداً .

فقوله تعالى : ﴿قل إن ربي﴾ أي قل يا رسولنا مرة أخرى تقريراً لهذه الحقيقة العلمية التي خفيت على الناس وجهلها قومك وهي أن الله يسط الرزق لمن يشاء امتحاناً لا حياً فيه ولا بغضاً له . وإنما امتحاناً له هل يشكر أو يكفر فإن شكر زدناه وأكرمناه وان كفر سلبناه ما أعطيناه وعذبناه ، ﴿ويقدر له﴾ أي لمن شاء من عباده ابتلاء له لا بغضاً له ولا حياً فيه . وإنما لتنظر هل يصبر على الابتلاء أو يسخط ويضجر فتزيد في بلائه وشقائه . . وقوله تعالى : ﴿وما أنفقتم^(٢) من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ في هذا دعوة إلى الإنفاق في سبيل الله وتشجيع عليه بإعلام الناس أن الإنفاق لا ينقص المال والبخل به لا يزيده فإن التوسعة كالتضييق لحكمة فلا البخل يزيد في المال ولا الإنفاق في سبيل الله ينقص منه . وختم هذا بوعده الصادق وهو أن من أنفق في سبيل الله شيئاً أخلفه الله عليه وهو تعالى خير من قيل إنه يرزق ووصف به .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان سنة الله في الأمم والشعوب وأنهم ما آتاهم من رسول إلا كفر به الأغنياء والكبراء .
- ٢- بيان اغترار المترفين بما آتاهم الله من مال وولد ظانين ان ذلك من رضا الله تعالى عليهم .

(١) الضعف بمعنى المضاعف المكرر مرة وأكثر حتى يبلغ أضعافاً مضاعفة إلى سبعمائة ضعف وهي سنة الإنفاق في الجهاد .
(٢) من في قوله «من شيء» بيانية وجملة فهو يخلفه جواب الشرط وجملة وهو خير الرازقين تدليل للكلام يحمل معنى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله وفي الحديث الصحيح يا ابن آدم أنفق أنفق عليك ، وما من يوم تطلع فيه الشمس إلا وملكان يتزلان يقول أحدهما اللهم اعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر اللهم اعط ممسكاً تلفاً «في الصحيح» .

٣- بيان الحكمة في التوسعة على بعض والتضييق على بعض ، وانها الامتحان والابتلاء فلا تدل على حب الله ولا على بغضه للعبد .

٤- بيان ما يقرب الى الله ويدنى منه وهو الإيمان والعمل الصالح ومن ذلك الإنفاق في سبيل الله لا كثرة المال والولد كما يظن المغرورون المفتنون بالمال والولد .

٥- بيان حكم الله فيمن يحارب الإسلام ويريد إبطاله وأنه محض في جهنم لا محالة .

٦- بيان وعد الله تعالى بالخلف لكل من أنفق في سبيله مالا .

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا
 يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا
 يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
 بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
 النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

- ويوم نحشرهم جميعا : أي واذكر يوم نحشرهم جميعاً أي جميع المشركين .
 أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ : أي يقول تعالى هذا للملائكة تقرّباً للمشركين وتوبيخاً لهم .
 قالوا سبحانك : أي قالت الملائكة سبحانك أي تقدّساً لك عن الشرك وتنزيهاً .
 أنت ولينا من دونهم : أي لا موالاة بيننا وبينهم أي يتبرأوا منهم .
 بل كانوا يعبدون الجن : أي الشياطين التي كانت تتمثل لهم فيحسبونها ملائكة فيطيعونها فتلك عبادتهم لها .
 فالיום لا يملك بعضهم لبعض : أي لا يملك المعبودون للعابدين .
 نفعاً ولا ضراً : أي لا يملكون نفعهم فينفعونهم ولا ضرهم فيضرونهم .
 ونقول للذين ظلموا : أي أشركوا غير الله في عبادته من الملائكة والأنبياء أو الأولياء والصالحين .

عذاب النار التي كنتم بها

تكذبون في الدنيا تكذبون بالبعث والجزاء وهو الجنة أو النار.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء والتوحيد . قال تعالى لرسوله ﷺ واذكر ﴿يوم نحشرهم﴾ (١) أي المشركين ﴿جميعاً﴾ فلم نبق منهم أحداً، ثم نقول للملائكة وهم أمامهم تقريراً للمشركين وتأنياً: ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ فتتبرأ الملائكة من ذلك وينزهون الله تعالى عنه الشرك فيقولون: ﴿سبحانك﴾ أي تنزيهاً لك عن الشرك وتقديساً ﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أما هم فلا ولاية بيننا وبينهم ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ أي الشياطين ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ أي مصدقون فاطاعوهم في عبادة الأصنام وعصوك وعصوا رسلك فلم يعبدوك ولم يطيعوا رسلك .

وقوله تعالى ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعضكم نفعاً ولا ضرراً﴾ أي يقال لهم هذا القول تيسيراً وإيلاًساً أي قطعاً لرجائهم في أن يشفعوا لهم . وقوله تعالى ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ وهم المشركون ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ أي كنتم تكذبون بها في الدنيا فذوقوا اليوم عذابها . والعياذ بالله من عذاب النار .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير لعقيدة البعث والجزاء بذكر بعض أحوالها .
- ٢- أن من كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين إنما كانوا يعبدون الشياطين إذ هي التي زينت لهم الشرك . أما الملائكة والأنبياء والأولياء فلم يرضوا بذلك منهم فضلاً عن أن يأمرهم به .
- ٣- بيان توبيخ أهل النار بتكذيبهم في الدنيا بالآخرة وكفرهم بوجود نار يعذبون بها يوم القيامة .

(١) هذا الكلام متصل بما قبله وهو قوله تعالى ولو ترى إذ الظالمون موقفون إذ السياق كله في تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض أحوال أهل النار وما يجري لهم من أمور .

(٢) هذا كقوله تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله؟﴾ وهو سؤال تفرير وتوبيخ لا للمستول ولكن لعابديه من الإنس والجن .

(٣) روى أن بني مُلج من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم الملائكة وأنهم بنات الله ، وهو قوله تعالى في سورة الصافات ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ .

وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعْتِ
 قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ
 وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا
 جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَاءَ آيَاتِنَاهُمْ مِّنْ كُتُبٍ
 يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَرَ مَاءَ آيَاتِنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَجْدَةٍ أَنْ
 تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ
 مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

آياتنا بيّنات : أي آيات القرآن الكريم واضحات ظاهرة المعنى بيّنة الدلالة .
 قالوا ما هذا الا رجل : أي ما محمد الا رجل من الرجال .
 يريد أن يصدكم عما : أي يريد أن يصرفكم عن عبادتكم لألهتكم التي كان يعبدها
 كان يعبد آباؤكم : آباؤكم من قبل .
 إلا إفك مفترى : أي إلا كذب مختلق مزور .
 وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : أي قالوا للقرآن لما جاءهم به محمد ﷺ .
 إن هذا الا سحر مبين : أي ما هذا أي القرآن الا سحر مبين أي محمد ساحر والقرآن
 سحر .

من كتب يدرسونها : أي يقرأونها فأباحث لهم الشرك وأذنت لهم فيه .
 وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير : أي ولم نرسل إليهم قبلك من رسول فدعاهم الى الشرك .
 وما بلغوا معشار ما آتيناهم : أي ولم يبلغ أولئك الأمم الذين أهلكناهم معشار ما آتينا هؤلاء
 من الحجج والبيّنات (١) .

فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك والجواب كان واقعاً موقعه لم يخطئه بحال.

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض مواقف المشركين المخزية والتنديد بهم والوعيد الشديد لهم . قال تعالى ﴿ وإذ اتلوا عليهم ﴾ أي مشركي قريش وكفارها ﴿ آياتنا بينات ﴾ أي يتلوها رسولنا واضحات الدلالة بينات المعاني فيما تدعو اليه من الحق وتندد به من الباطل . كان جوابهم أن قالوا : ما هذا إلا رجلٌ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم . أي ما محمد إلا رجل أي ليس بملكٍ يريد أن يصدكم أي يصرفكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان والأحجار . فسبحان الله أين يذهب بعقول المشركين أما يخجلون لما يقولون عما كان يعبد آباؤكم من الأصنام والأوثان ، إنه يصدكم حقاً عن عبادة الأوثان ولكن إلى عبادة الرحمن . وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ وقالوا : ما هذا إلا إفك ﴾ أو كذب ﴿ أفترأه ﴾ أي اختلقه وتخرصه من نفسه أي قالوا في القرآن وما يحمل من تشريع وهدى ونور قالوا فيه إنه كذبه محمد ﷺ سبحان الله ما أشد سخف هؤلاء المشركين . وقالوا أيضاً ما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ أي قالوا في الرسول وما جاءهم به من الدعوة إلى التوحيد والإصلاح ﴿ إن هذا ﴾ أي ما هذا إلا سحر مبين ، وذلك لما رأوا من تأثير الرسول والقرآن في نفوسهم إذ كان يحرك نفوسهم ويهزها هزاً .

بعد هذا العرض لمواقف المشركين قال تعالى : ﴿ وما آتيناهم ﴾^(٢) أي مشركي قريش ﴿ من كتب يدرسونها ﴾ أي اصبروا على الشرك وما أعطيناهم من كتب يقرأونها فوجدوا فيها الإذن بالشرك أو مشروعيته فتمسكوا به ، ﴿ وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير ﴾ أي رسول فأجاز لهم الشرك أو سنه لهم فهم على سنته ، اللهم لا ذا ولا ذاك . فكيف إذاً هذا الإصرار على الشرك وهو باطل لم ينزل به كتاب ولم يبعث به رسول^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾^(٤) أي من الأمم البائدة ﴿ ولم يبلغوا ﴾ أي ولم يبلغ

(١) ما هذا يعنون القرآن الكريم وكذا قولهم إن هذا إلا سحر فإنهم يعنون القرآن الكريم أيضاً وإن بمعنى ما النافية والاستناد بعدها دال عليها .

(٢) الجملة حالية من ضمير قالوا ما هذا .

(٣) أي أنه ليس لهم ما يثبتون به من أقل دليل وأدنى شبهة كما هي الحال عند أهل الكتاب إذ قالوا عندنا كتابنا وجاءتنا رسولنا أما المشركون فليس لهم من ذلك شيء .

(٤) في الآية تسلية للرسول ﷺ في تكذيبهم له ﷺ وتهديد لهم . التسلية في قوله « وكذب الذين من قبلهم » والتهديد في « فكذبوا رسلي فكيف كان نكير » والفاء للتفريع أي في قوله فكذبوا رسلي .

(١) هؤلاء من القوة معشار ما كان لأولئك الأقوام الهالكين، ومع ذلك أهلكناهم، فكيف كان نكيري أي كيف كان إنكارى عليهم الشرك وتكذيب رسلى كان بإبادتهم واستئصالهم. أما يخاف هؤلاء الضعفاء أن تحل بهم عقوبتنا فنهلكهم عن آخرهم كما أهلكنا من قبلهم ولما لم يرد الله إبادتهم بعد أن استوجبوها بالتكذيب لرسوله والإصرار على الشرك والكفر قال لرسوله قل لهم ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ أي بخصلة واحدة وهي أن تقوموا لله أي متجردين من الهوى والتعصب ﴿منى﴾، أي اثنين اثنين، ﴿وفرادي﴾ أي واحداً واحداً، ثم تفكروا في حياة محمد ﷺ ومواقفة الخيرة معكم وبعده عن كل أذى وشر وفساد فإنكم تعلمون يقيناً أنه ما بصاحبكم محمد من جنة ولا جنون إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد، أي ما هو ﷺ إلا نذير لكم أمام عذاب شديد قد ينزل بكم وهو مشفق عليكم في ذلك خائف لا يريدكم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان عناد المشركين وسخف عقولهم وهبوطهم الفكرى.
- ٢- ضعف كفار قريش وتشدهم وعتوهم إذا قيسوا بالأمم السابقة فإنهم لا يملكون من القوة نسبة واحد إلى ألف إذ المعشار هو عشر عشر العشر.^(٢)
- ٣- تقرير النبوة المحمدية وإثباتها وذلك ينفي الجنة عنه ﷺ وإثبات أنه نذير.

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفِ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ

(١) المعشار العشر إذ هو الجزء العاشر كالمربع الذي يعطي لقائد الكتبية من الغنائم وهو ربعها.
(٢) هذا انتقال من حكاية أقوال المشركين والرد عليهم إلى دعوتهم للانصاف في النظر والتأمل في الحقائق ليتضح لهم خطاهم وهذا من باب الإعذار لهم في المجادلة ليهلك من يهلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة.
(٣) قال القرطبي: وقيل المعشار هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء قال الماوردي وهو أظهر لأن المراد به المبالغة في التقليل وما فسرت به الآية في التفسير أرجح وأوضح، وإن أريد به ما أتى الله هذه الأمة من العلم والبيان فهذا المعنى صحيح غير أنه لا يتلاءم مع سياق الآيات.

سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ
 مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ
 مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ
 بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
 كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

- قل إن ربي يقذف بالحق : أي يلقي بالسوي الحق إلى أنبيائه . ويقذف الباطل بالحق أيضا فيدمغه .
- وما يبدىء الباطل وما يعيد : أي وما يبدىء الباطل الذي هو الكفر، وما يعيد أي إنه لا أثر له .
- فإنما أضل على نفسي : أي إثم ضلالي على نفسي لا يحاسب ولا يعاقب به غيري .
- إنه سميع قريب : أي سميع لما أقول لكم قريب غير بعيد فلا يتعذر عليه مجازاة أحد من خلقه .
- إذ فزعوا فلا فوت : أي إذ فزعوا للبعث أي خافوا ونفروا فلا فوت لهم منا بل هم في قبضتنا .
- وأنى لهم التناوش من مكان : أي لما شاهدوا العذاب قالوا آمنا بالقرآن وكيف لهم ذلك وهم بعيدون إنهم في الآخرة والإيمان في الدنيا .
- بمعيد (التناوش) التناول من مكان بعيد .
- كما فعل بأشياءهم من قبل : أي فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم من أمم الكفر والباطل .
- في شك مريب : أي في شك بالغ من نفوسهم فأصبحوا به مضطربين لا يطمثون إلى شيء أبداً .

معنى الآيات :

لما لج المشركون في الخصومة والعناد ودعاهم الله تعالى الى أمثل حل وهو أن يقوموا متجردين لله تعالى من الهوى والتعصب يقوموا اثنين اثنين أو واحداً واحداً لأن الجماعة من شأنها أن تختلف مع الآراء ثم يتفكروا في حياة الرسول وما دعاهم إليه من الهدى والحق فإنكم تعلمون انه ليس كما اتهمتموه بالجنون وإنما هو نذير لكم بين يدي عذاب شديد يخاف وقوعه بكم ونزوله عليكم هنا أمره تعالى أن يقول لهم وكوني نذيراً لكم مما أخاف عليكم لا أسألكم على إنذاري لكم أجراً ﴿١﴾ إن أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد ﴿٢﴾ أي مطلع عليّ عالم بصدقي ويجزييني على إنذاري لكم إذ كلفني به فقمتم به طاعة له . وقوله تعالى ﴿قل ان ربي يقذف بالحق﴾ (١) أي قل لهم يارسلونا إن ربي يقذف بالحق أي يلقي بالوحي على من يشاء من عباده ﴿علام الغيوب﴾ أي وهو علام الغيوب يعلم من هو أهل للوحي إليه والإرسال فيوحي إليه ويرسله كما أوحى إليّ وارسلني إليكم نذيراً وبشيراً . وقوله تعالى : ﴿قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي قل لهم يارسلونا جاء الحق وهو الإسلام الدين الحق ، فلم يبق للباطل الذي هو الشرك والكفر مكان ولا مجال ، وما يبدىء الباطل وما يعيد؟ أي أنه كما لا يبدىء لا يعيد فهو ذاهب لا أثر له أبداً وقوله : ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ أي أعلمهم بأنك إن ضللت فيما أنت قائم عليه تدعو إليه فإنما عائد ضلالك عليك لا عليهم ، وإن اهتديت فهدايتك بفضل ما يوحي إليك ربك من الهدى والنور ﴿إنه سميع قريب﴾ سميع لأقوالك وأقوال غيرك غير بعيد فيتعذر عليه مجازاة عباده صاحب الإحسان بالإحسان وصاحب السوء بالسوء . وقوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ فرغوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ أي لرأيت أمراً قطعياً يقول تعالى لرسوله ولو ترى إذ فرغ المشركون في ساحات فصل القضاء يوم القيامة فرغوا من شدة الهول والخوف وقد أخذوا من مكان قريب والقوا في جهنم لرأيت أمراً فظيماً في غاية الفظاعة . وقوله ﴿فلا فوت

(١) أي جعلاً على تبليغ الرسالة فإن سألتكموه فهو لكم .

(٢) جائز أن يكون المعنى يقذف الباطل بالحق فيدمغه فإذا هو زهق كذا روي عن ابن عباس وقال قتادة بالحق أي بالوحي وعنه أن الحق القرآن والكل صحيح وما في التفسير أقرب وأوضح .

(٣) علام مرفوع على انه خير لمبتدأ محذوف أي هو علام الغيوب والغيب جمع غيب وقرأ الجمهور بضم الغين وكسرهما بعضهم كبيت إذ يجوز لها الضم والكسر والآية فيها معنى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفيها رد على المعترضين على الوحي إلى محمد ﷺ .

(٤) لما أفهمهم في الآيات السابقة وقطع طريق الاستدلال عليهم وتركهم في غيهم حيارى أمر رسوله أن يقول لهم تاركاً جدالهم لعدم الفائدة منه بعد وضوح الحق ﴿إن ضللت﴾ الآية فعل هذا إنهاء لجدال عقيم .

(٥) الخطاب للرسول ﷺ ولكل ذي أهلية وجواب لو محذوف كأن اللفظ لا يقدر على تصويره على حقيقته لفظاً وهو كذلك .

لهم ﴿ لا يفوتون الله تعالى ولا يهربون من قبضته . وقوله تعالى : ﴿وقالوا آمنا به﴾ ^(١) أي قالوا بعد ما بُعثوا وفزعوا من هول القيامة قالوا آمنا به أي بالله وكتابه ولقائه ورسوله ، قال تعالى ﴿وانى لهم﴾ ^(٢) التناوش ﴿ أي التناول للإيمان من مكان بعيد إذ هم في الآخرة والإيمان كان في الدنيا فكيف يتناولونه بهذه السهولة ويقبل منهم وينجون من العذاب هذا بعيد جداً ولن يكون أبداً وقد كفروا به من قبل أي لا سيما وأنهم قد عُرض عليهم الإيمان وهم قادرون عليه فرفضوه فكيف يمكنون منه الآن . وقوله ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ ^(٣) أي وها هم اليوم في الدنيا يقذفون بالغيب محمداً ﷺ بقواصم الظهر مرة يقسولون كاذب ومرة ساحر ومرة شاعر وأخرى مجنون وكل هذا رجما بالغيب لا شبهة لهم فيه ولا أدنى ريبة تدعوهم إليه وأخيراً قال تعالى : ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ وهو الإيمان المرجب للنجاة كما فعل بأشياءهم ^(٤) أي أشباههم وأنصارهم من أهل الكفر والتكذيب لما جاءهم العذاب قالوا آمنا ولم ينفعهم إيمانهم وأهلكوا فآلقوا في الجحيم ، وقوله ﴿إنهم كانوا في شك مريب﴾ أي مشركو قريش وكفارها أخبر تعالى أنهم كانوا في الدنيا في شك من توحيدنا ونبينا ولقائنا مريب أي موقع لهم في الريب والاضطراب فلم يؤمنوا فماتوا على الكفر والشرك وهذا جزاء من يموت على الشرك والكفر .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- دعوة الله تعالى ينبغي أن لا يأخذ الداعى عليها أجراً ، ويحتسب أجره على الله عز وجل .
- ٢- بيان صدق الله تعالى في قوله جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد إذ ما هو إلا سُنَيَات والإسلام ضارب بجرائنه في الجزيرة فلا دين فيها إلا الإسلام .
- ٣- الإيمان الاضطرابى لا ينفع صاحبه كإيمان من رأى العذاب .
- ٤- الشك كفر ولا إيمان مع رؤية العذاب .

(١) صالح أن يكون الضمير للوعيد أو ليوم البعث أو النبي ﷺ أو القرآن إذ الكل واجب الإيمان وقد كفروا بالكل وكذبوا .
(٢) أنى استفهام عن المكان وهو مستعمل هنا للإنكار والتناوش التناول السهل وأكثر وروده في شرب الإبل شرباً خفيفاً من الحوض ونحوه قال الشاعر:

باتت تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به تقطع اجواز الفلا

أي تتناول الماء من أعلاه ولا تغوص مشافرها فيه .

(٣) القذف الرمي باليد من بعد ويستعار للقول بدون ترو ولا دليل وهو كقولهم في الأصنام هم شفعاؤنا عند الله وكتكذيبهم بالبعث والتوحيد والنبوة .

(٤) الأشياخ : المتشابهون في النحلة وإن كانوا سالفين وأصل المشايخة المتابعة في العمل .

(٥) هذه الجملة تعليلية لكل ما سبق في تكذيبهم وعنادهم وجهلهم وضلالهم إذ الشك وعدم اليقين هو الذي يقع صاحبه في أودية الضلال والباطل .

سُورَةُ فَاطِرٍ

مكية

وآياتها خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَاقٌ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

شرح الكلمات :

الحمد لله : أي قولوا الحمد لله فإنه واجب الحمد ومقتضى الحمد ما ذكر

بعد .

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما على غير مثال سابق .

جاعل الملائكة رسلا : أي جعل منهم رسلا إلى الأنبياء كجبريل عليه السلام .

أولى أجنحة : أي ذوى أجنحة جمع جناح كجناح الطائر .

يزيد في الخلق ما يشاء : أي يزيد على الثلاثة ما يشاء فإن لجبريل ستمائة جناح .

وما يمسك : أي الله من الرحمة فلا أحد يرسلها غيره سبحانه وتعالى .

وهو العزيز الحكيم : أي الغالب على أمره الحكيم في تدبيره وصنعه .

اذكروا نعمة الله عليكم : أي اذكروا نعمه تعالى عليكم في خلقكم ورزقكم وتأمينكم

في حرمكم .

هل من خالق غير الله يرزقكم : أي لا خالق لكم غير الله ولا رازق لكم يرزقكم .

من السماء والأرض ؟ : أي بإنزال المطر من السماء وإنبات الزروع في الأرض .

لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق إلا هو إذا فاعبدوه ووحده .
فأني توفكون : أي كيف تصرفون عن توحيدك مع اعترافكم بأنه وحده الخالق
الرازق .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾^(١) أي الشكر الكامل والحمد التام لله استحقاقاً، والكلام خَرَجَ مَخْرَجَ الخبر ومعناه الإنشاء أي قولوا الحمد لله . واشكروه كما هو أيضاً إخبار منه تعالى بأن الحمد له ولا مستحقه غيره ومقتضى حمده . فطره السموات والأرض أي خلقه لهما على غير مثال سابق ولا نموذج حاكاه في خلقهما . وجعله الملائكة رُسُلًا إلى الأنبياء وإلى من يشاء من عباده بالإلهام والرؤيا الصالحة . وقوله ﴿ أولي أجنحة ﴾ صفة للملائكة أي أصحاب أجنحة مثني أي اثنين اثنين ، وثلاث أي ثلاثة ثلاثة ورباع أي أربعة أربعة . وقوله ﴿ يزيد في الخلق ﴾ أي خلق الأجنحة ما يشاء فقد خلق لجبريل عليه السلام ستمائة جناح كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحاح ويزيد في خلق ما يشاء من مخلوقاته وهو على كل شيء قدير .

وقوله تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ يخبر تعالى أن مفاتيح كل شيء بيده فما يفتح للناس من أرزاق وخيرات وبركات لا يمكن لأحد من خلقه أن يمسكها دونه وما يمسك من ذلك فلا يستطيع أحد من خلقه أن يرسله ، وهو وحده العزيز الغالب على أمره ومراده فلا مانع لما أعطى ولا راد لما قضى الحكيم في صنعه وتدبير خلقه . وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ هذا نداؤه تعالى لأهل مكة من قریش يأمرهم بعده بأن يذكروا نعمه تعالى عليهم حيث خلقهم ووسع أرزاقهم وجعل لهم حراماً آمناً والناس يتخطفون من

(١) يصح في فاطر الجر على التعت والرفع على القطع أي هو فاطر والنصب على المدح أي أمدح فاطر، والفظر: الشق يقال فطرته فانفطره وتفطر، وفطر ناب البعير إذا شق اللحم وطلع، والفاطر: الخالق، قال ابن عباس كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما أي أنا ابتدأتها والمراد بالسموات والأرض العالم كله .

(٢) المراد بالملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل «ملك الموت» وما شاء الله .

(٣) جائز أن يكون في ملاحظة العين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم، وفي الصوت الحسن والشعر الحسن والحظ الحسن كل هذا مذكور ودخل في العبارة فإنها عامة .

(٤) لفظ الرحمة نكرة دال على الكثرة والشيع فهو يتناول كل ما هو رحمة من النبوة والعلم إلى المطر والرزق إلى النصر والفوز .

(٥) أي بعد أن ناداهم أمرهم بأن يذكروا نعمه عليهم إذ نداء المأمور يلفت نظره ويحضر حواسه لاستقبال ما يلقي إليه ويؤمر به أو يحذر منه .

حولهم خائفون يأمرهم بذكر نعمه لأنهم إذا ذكروها وشكروها بالإيمان به وتوحيده . وقوله ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض؟﴾ والجواب لا أحد إذ لا خالق إلا هو ولا رازق سواه فهو الذي خلقهم ومن السماء والأرض رزقهم . السماء تُمطر والأرض تنبت بأمره . إذا فلا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا هو فكيف إذا تصرفون عن الحق بعد معرفته إن حالكم لعجب . هذا ما دل علي قوله تعالى ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فاني تؤفكون﴾ .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه .
- ٢- تقرير الرسالة والنبوة لمحمد ﷺ بإخباره أنه جاعل الملائكة رسلاً .
- ٣- وجوب اللجوء الى الله تعالى في طلب الخير ودفء الضر فإنه بيده خزائن كل شيء .
- ٤- وجوب ذكر النعم ليكون ذلك حافظاً على شكرها بطاعة الله ورسوله .
- ٥- تقرير التوحيد بالأدلة العقلية التي لا ترد .
- ٦- العجب من حال المشركين يقرون بانفراد الله تعالى بخلقهم ورزقهم ويعبدون معه غيره .

وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ
 ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ
 عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾

(١) قرىء غير الله بالجر وقرأ الجمهور غير بالرفع على محل خالق المرفوع محل في الآية دليل أن الخير والشر كلاهما من خلق الله تعالى .

شرح الكلمات :

وإن يكذبوك : أي يا رسولنا فيما جئت به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء ولم يؤمنوا بك .

فقد كذبت رسل من قبلك : أي فليست وحدك كذبت إذاً فلا تأس ولا تحزن واصبر كما صبر من قبلك .

وإلى الله ترجع الأمور : وسوف يجزى المكذبين بتكذيبهم والصابرين بصبرهم .

ولا يفرنكم بالله الغرور : أي ولا يفرنكم بالله أي في حلمه وإمهاله الغرور أي الشيطان .

فاتخذوه عدواً : أي فلا تطيعوه ولا تقبلوا ما يفركم به واطيعوا ربكم عز وجل .
انما يدعو حزبه : أي أتباعه في الباطل والكفر والشر والفساد .

ليكونوا من أصحاب السعير : أي ليؤزل أمرهم إلى أن يكونوا من أصحاب النار المستعرة .

لهم مغفرة وأجر كبير : أي لهم مغفرة لذنوبهم وأجر كبير في الجنة وذلك لإيمانهم وعملهم الصالحات .

معنى الآيات :

(١) لما أقام تعالى الحجة على المشركين في الآيات السابقة قال لرسوله ﷺ ﴿وإن يكذبوك﴾ بعدما أقيمت عليهم الحجة فليست وحدك المكذب فقد كذبت قبلك رسل كثيرون جاءوا أقوامهم بالبينات والزبر وصبروا إذاً فاصبر كما صبروا ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ وسوف يقضى بينك وبينهم بالحق فينصرك في الدنيا ويخذلهم، ويرحمك في الآخرة ويعذبهم .

وقوله ﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ أي يا أهل مكة وكل مغرور من الناس بالحياة الدنيا إعلموا أن وعد الله بالبعث والجزاء حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا بطول أعماركم وصحة أبدانكم وسعة أرزاقكم، فإن ذلك زائل عنكم لا محالة ﴿ولا يفرنكم بالله﴾ أي حلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾ وهو الشيطان حيث يتخذ من حلم الله تعالى عليكم وإمهاله لكم طريقاً إلى إغوائكم وإفسادكم بما يحملكم عليه من تأخير التوبة والإصرار على المعاصي، والاستمرار عليها ﴿إن الشيطان

(١) في هذه الآية تعزية الله تعالى رسوله ﷺ وتسلية له بالناسي بمن قبله من الرسل وتكذيب أممهم لهم .

(٢) قرأ الجمهور ترجع بضم التاء وقرأ بعض بفتحها والكل صحيح وبأل المعنى واحد .

(٣) الغرور بالضم مصدر غره يغره غروراً، وبالفتح الشيطان وهو المراد هنا وصيفته من صيغ المبالغة (فعل) إذ هو كثير الغرور يأتيهم من حيث حلم الله وإمهاله فيصرفهم عن الحق مغرراً بإيهم بأنهم لو كانوا على باطل لاهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم وسوف أخذين بحلم الله فيصرفهم عن التوبة .

(١) لكم عدو ﴿ بالعداوة ظاهرها فاتخذوه أنتم عدواً كذلك فلا تطيعوه ولا تستجيبوا لندائه ﴾ ، إنما يدعو حزبه ﴿ أي أتباعه ﴾ ليكونوا من أصحاب السعير ﴿ أي النار المستعرة ﴾ ، إنه يريد أن تكونوا معه في الجحيم . إذ هو محكوم عليه بها أولاً وقوله تعالى : ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد ﴾ أي في الآخرة ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ لهم مغفرة ﴾ أي لذنوبهم ﴿ وأجر كبير ﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم المقيم . هذا حكم الله في عباده وقراره فيهم : وهم فريقان مؤمن صالح وكافر فاسد ولكل جزاء عادل .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الرسول ﷺ ويدخل فيها كل دعاء الحق إذا كُذِّبوا وأوذوا فعليهم أن يصبروا .
- ٢- تقرير البعث والجزاء المتضمن له وعد الله الحق .
- ٣- التحذير من الاغترار بالدنيا أي من طول العمر وسعة الرزق وسلامة البدن .
- ٤- التحذير من الشيطان وجوب الاعتراف بعبادته ومعاملته معاملة العدو فلا يقبل كلامه ولا يستجاب لندائه ولا يخدع بتزيينه للقيح والشر .
- ٥- بيان جزاء أولياء الرحمن أعداء الشيطان ، وجزاء أعداء الرحمن أولياء الشيطان .

أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَّاهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ
مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا

(١) يكفي في إثبات عداوته انه أخرج أبويننا من الجنة ، وأنه تعهد بإضلالهم وإغوائهم كقوله لاغوينهم أجمعين وقوله ولاضلنهم ولامنهم .

(٢) الذين كفروا: الجملة مستأنفة بياناً لأنه بعد التحذير من طاعة الشيطان يلوح في الأذهان سؤال: ما جزاء من أطاع الشيطان وما جزاء من عصاه؟ فالجواب الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير ويرى بعضهم انها ابتدائية ذكرت فذلكت لما تقدم من الكلام .

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوَّرُ
﴿١١﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ
وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

- أفمن زين له سوء عمله : أي قبيح عمله من الشرك والمعاصي .
فراه حسناً : أي رآه حسناً زيناً لا قبيح فيه .
فلا تذهب نفسك عليهم : أي على أولئك الذين زين لهم الشيطان قبيح أعمالهم .
حسرات : أي لا تهلك نفسك بالتحسر عليهم لكفرهم .
إن الله عليم بما يصنعون : وسيجزئهم بصنيعهم الباطل .
فتشير سحاباً : أي تزعجه وتحركه بشدة فيجتمع ويسير .
فسقناه الى بلد ميت : أي لا نبات به .
فأحيينا به الأرض : أي بالنبات والعشب والكلأ والزرع .
كذلك النشور : أي البعث والحياة الثانية .
فلله العزة جميعاً : أي فليطلب العزة بطاعة الله فإنها لا تنال إلا بذلك .
إليه يصعد الكلم الطيب : أي الى الله تعالى يصعد الكلم الطيب وهو سبحانه الله والحمد لله والله أكبر .
والعمل الصالح يرفعه : أي أداء الفرائض وفعل النوافل يرفع الى الله الكلم الطيب .
يمكرون السيئات : أي يعملونها ويكسبونها .
ومكر أولئك هو يبور : أي عملهم هو الذي يفسد ويبطل .
خلقكم من تراب : أي أصلكم وهو آدم .
ثم من نطفة : أي من ماء الرجل وماء المرأة وذلك كل ذرية آدم .

- ثم جعلكم أزواجاً : أي ذكراً وأنثى .
وما تحمل من أنثى : أي ما تحمل من جنين ولا تضعه إلا بإذنه .
وما يعمر من معمر : أي وما يطول من عُمر ذي عُمر طويل إلا في كتاب .
ولا ينقص من عمره : أي بأن يجعل أقل وأقصر من العمر الطويل الا في كتاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقوية روح الرسول ﷺ والشد من عزمه أمام تقلبات المشركين وعنادهم ومكرهم فقال تعالى : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (١) أي أفمن زين له الشيطان ونفسه وهواه قبيح عمله وهو الشرك والمعاصي فرآه حسناً كمن هداه الله فهو على نور من ربه يرى الحسنة حسنة والسيئة سيئة والجواب : لا ، لا . وقوله تعالى : ﴿فَإِنْ اللَّهُ يَظُلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءُ﴾ يضل بعدله وحسب سننه في الإضلال من يشاء من عباده، ويهدي بفضله من يشاء هدايته إذا فلا تذهب نفسك أيها الرسول على عدم هدايتهم حسرات فتهلك نفسك تحسراً على عدم هدايتهم . وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فلذا لا داعي إلى الحزن والغم مادام الله تعالى وهو ربهم قد أحصى أعمالهم وسيجزئهم بها . وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ أي تزعجه وتحركه . ﴿فَسَقَاتَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ أي لا نبات ولا زرع به ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي كما أن الله تعالى ينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها كذلك يحيي الموتى إذ بعد فناء العالم ينزل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت الإنسان من عظم يقال له عَجْبُ الذَّنْبِ فيتم خلقه، ثم يرسل الله تعالى الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فلا تخطيء روح جسدها . وهكذا كما تتم عملية إحياء الأرض بالنبات تتم عملية إحياء الأموات ويساقون إلى المحشر ويجزى كل نفس بما كسبت والله سريع الحساب .

(١) الهمة للاستفهام الإنكاري والفاء للتفريع فالجملة متفرعة عما سبقها من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ والمزين الشيطان والمزين له سوء عمله (من) الموصولية وهي من ألفاظ العموم تتناول من قبل ان الآية نزلت فيه وهو أبو جهل ثم هي صادقة على كل من زين له الشيطان الشرك والشر والفساد فرآها حسنة، (ومن) مبتدأ والخبر محذوف قد يقدر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقد يقدر كمن هداه الله كما في التفسير وقد يقدر بغير ما ذكر .
(٢) ذكر القرطبي لأهل العلم أقوالاً فيمن زين له سوء عمله وفي عمله الذي زين له قيل إنهم اليهود والنصارى والمجوس وسوء عمله معادة الرسول ﷺ، وقيل إنهم الخوارج وسوء عمله تحريف التأويل وقيل الشيطان وعمله الإغراء وقيل كفار قريش وهو الظاهر .

(٣) قرأ الجمهور فلا تذهب نفسك بفتح التاء ورفع السين من نفسك وقرئء بضم التاء ونصب نفسك على أنها مفعول به .

(٤) الراجع من الأقوال لغة أن ميت مشددة وميت مخفف لا فرق بينهما وشاهده قول الشاعر :

ليس من مات واستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

وقوله تعالى ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ فليطلبها من الله تعالى بطاعته واطاعة رسوله فإن العزة لله جميعاً فالعزيم من أعزه الله والدليل من أدله، إنهم كانوا يطلبون العزة بالأصنام فاعلموا أن من يريد العزة فليطلبها من مالكتها أما الذي لا يملك العزة فكيف يعطيها لغيره إن فاقد الشيء لا يعطيه. وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ أي إلى الله يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه إلى الله تعالى فإذا كان قول بدون عمل فإنه لا يرفع إلى الله تعالى ولا يثيب عليه، وقد ندد الله تعالى بالذين يقولون ولا يعملون فقال ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. وقوله ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أي يعملونها وهي الشرك والمعاصي ﴿لهم عذاب شديد﴾ هذا جزاؤهم، ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي ومكر الذين يعملون السيئات ﴿هو يبور﴾ أي يفسد ويبطل.

وقوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب﴾ أي خلق أصلنا من تراب وهو آدم، ثم خلقنا نحن ذريته من نطفة وهي ماء الرجل وماء المرأة، ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ أي ذكراً وأنثى. هذه مظاهر القدرة الإلهية الموجبة لعبادته وتوحيده والمقتضية للبعث والجزاء، وقوله ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر﴾ أي يزداد في عمره، ولا ينقص من عمره فلا يزداد فيه إلا في كتاب وهو كتاب المقادير. هذا مظهر من مظاهر العلم، وبالعلم والقدرة هو قادر على إحياء الموتى وبعث الناس للحساب والجزاء. ولذا قال تعالى ﴿إن ذلك﴾ أي المذكور من الخلق والتدبير ووجوده في كتاب المقادير على الله يسير أي سهل لا صعوبة فيه.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- التحذير من اتباع الهوى والاستجابة للشيطان فإن ذلك يؤدي بالعبد إلى أن يصبح يرى الأعمال القبيحة حسنة ويومها يحرم هداية الله فلا يهتدي أبداً وهذا ينتج عن الإدمان على المعاصي والذنوب.
- ٢- عملية إحياء الأرض بعد موتها دليل واضح على بعث الناس أحياء بعد موتهم.

(١) المكر: تدبير الحاق الضرر بالغير في خفية. والمراد هنا أن الذين يمكرون بالرسول ﷺ والمؤمنين مكرهم يذهب سدى ولا يفلحون فيه كما أن الآية تشير إلى أن كل من يمكر مكر السوء فإن عاقبة مكره تعود عليه وبالآخرة خساراً كقوله تعالى ولا يحيق المكر السوء إلا بأهله.

(٢) فما يكون حمل ولا وضع أي ولادة إلا بعلمه، فلا يخرج شيء عن تدبيره وحكمته وما يعمر سماه معمرأ باعتبار ما هو صائر إليه وفي الحديث الصحيح: من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره أي أجله فليصل رحمه.

٣- مطلب العزة مطلب غال، وهو طاعة الله ورسوله ولا يعز أحد عزاً حقيقياً بدون طاعة الله ورسوله .

٤- علم الله المتجلى في الخلق والتدبير يُضاف إليه قدرته تعالى التي لا يعجزها شيء بهما يتم الخلق والبعث والجزاء .

٥- تقرير البعث والجزاء وتقرير كتاب المقادير وهو اللوح المحفوظ .

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا
 مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
 حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لَبَنَغْوًا مِنْ فَضْلِهِ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
 لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ
 تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ
 تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا مَا أَسْتَجَابُوا لَكُمْ
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ

﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

عذب فرات	: أي شديد العذوبة .
وهذا ملح أجاج	: أي شديد الملوحة .
ومن كل تأكلون	: أي ومن كل منهما .
لحماً طرياً	: أي السمك .
حلية تلبسونها	: أي اللؤلؤ والمرجان .

مواخر	: أي تمخر الماء وتشقه عند جريانها في البحر.
لتبتغوا من فضله	: أي لتطلبوا الرزق بالتجارة من فضل الله تعالى.
ولعلكم تشكرون	: أي رجاء أن تشكروا الله تعالى على ما رزقكم.
يولج الليل في النهار	: أي يدخل الليل في النهار فيزيد.
ويولج النهار في الليل	: أي يدخل النهار في الليل فيزيد.
وسخر الشمس والقمر	: أي ذللهما.
كل يجري لأجل مسمى	: أي في فلكه إلى يوم القيامة.
والذين تدعون	: أي تعبدون بالدعاء وغيره من العبادات وهم الأصنام.
ما يملكون من قطمير	: أي من لفافة النواة التي تكون عليه وهي بيضاء رقيقة.
ولو سمعوا	: أي فرضاً ما استجابوا لكم.
يكفرون بشرككم	: أي يتبرأون منكم ومن عبادتكم إياهم.
ولا يُنبئك مثل خبير	: أي لا ينبئك أي بأحوال الدارين مثلي فإني خبير بذلك عليهم.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته تدبيره لخلقه وهي مظاهر موجبة لله العبادة وحده دون غيره، ومقتضية للبعث الذي أنكره المشركون قال تعالى ﴿وما يستوي البحران﴾ أي لا يتعادلان. ﴿هذا عذب فرات سائغ شرابه﴾ أي ماؤه عذب شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي ماؤه شديد الملوحة لمرارته مع ملوحته، فهل يستوي الحق والباطل هل تستوي عبادة الأصنام مع عبادة الرحمن؟ والجواب لا. وقوله: ﴿ومن كل تأكلون﴾ أي ومن كل من البحرين العذب والملح تأكلون لحمًا طرياً وهو السمك ﴿وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ أي اللؤلؤ والمرجان. وهي حلية يتحلى بها النساء للرجال، وقوله ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ أي وترى أيها السامع لهذا الخطاب ﴿الفلك﴾ أي السفن مواخر في البحر تمخر عباب البحر وتشق ماءه غادية رائحة تحمل الرجال والأموال، سخرها وسخر البحر ﴿لتبتغوا من فضله﴾ أي الرزق بالتجارة، ﴿ولعلكم تشكرون﴾ أي سخر لكم البحر لتبتغوا من فضله ورجاء أن تشكروا. لم يقل لتشكروا كما قال

(١) معنى سائغ شرابه أن شربه لا يكلف النفس كراهة وهو مشتق من الإسافة وهو استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة قال الشاعر:

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

(٢) المالح من الطعام والشراب: هو الذي يجعل فيه الملح والملح بكسر الميم وسكون اللام الشيء الموصوف بالملوحة بذاته لا بإلقاء الملح فيه والأجاج الشديد الملوحة.

لتبتغوا لأن الابتغاء حاصل من كل راكب، وأما الشكر فليس كذلك بل من الناس من يشكر ومنهم من لا يشكر، ولذا جاء بأداة الرجاء وهي لعل وقوله ﴿يولج الليل^(١) في النهار﴾ أي يدخل جزءاً من الليل في النهار فيطول، ويقصر الليل ﴿ويدخل النهار في الليل﴾ أي يدخل جزءاً منه في الليل فيطول كما أنه يدخل النهار في الليل، والليل في النهار بالكلية فإنه إذا جاء أحدهما ذهب الآخر ويشهد له قوله تعالى ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ ولازمه والنهار نسلخ منه الليل، فإذا الليل ليل والنهار نهار.

وقوله ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ أي ذللها فما يسيران الدهر كله بلا كلل ولا ملل لصالح العباد إذ بهما كان الليل والنهار، وبهما تعرف السنون والحساب وقوله ﴿كل يجري﴾ أي كل منهما يجري ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي إلى وقت محدد وهو يوم القيامة. ولما عرف تعالى نفسه بمظاهر القدرة قدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته قال للناس ﴿ذلكم^(٢) الله ربكم له الملك﴾ أي بعد أن أقام الحجة وأظهر الدليل لم يبق الا الإعلان عن الحقيقة التي يتنكر لها الكافرون فأعلنها بقوله ﴿ذلكم﴾ ذو الصفات العظام والجلال والإكرام هو الله ربكم الذي لا رب لكم سواه له الملك، وليس لغيره فلا يصح طلب شيء من غيره، إذ الملك كله لله وحده، وأما الذين تدعون من دونه أي تعبدونهم من دونه وهي الأصنام والأوثان وغيرها من الملائكة والأنبياء والأولياء فإنهم لا يملكون من قظمير فضلاً عن غيره ثمرة فما فوقها لأن الذي لا يملك قظميراً - وهو القشرة الرقيقة على النواة^(٣) - لا يملك بعيراً.

وقوله ﴿إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم﴾ نعم لا يسمعون لأنهم جمادات وأصنام من حجارة فكيف يسمعون وعلى فرض لو أنهم سمعوا ما استجابوا لداعيهم لعدم قدرتهم على الاستجابة. وقوله تعالى ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ فهم إذاً محنة لكم في الدنيا تنحتونهم وتحمونهم وتعبدونهم ويوم القيامة يكونون أعداء لكم وخصوصاً فيتبرءون من شرككم إياهم في عبادة الله، فتقوم عليكم الحجة بسببهم فما الحاجة إذاً إلى الإصرار على عبادتهم وحمائتهم والدفاع عنهم. وقوله تعالى ﴿ولا ينبتك﴾ أيها السامع ﴿مثل خبير﴾ وهو الله تعالى فالخبير أصدق من ينبيء

(١) هذا استدلال بمظاهر القدرة والعلم والرحمة والحكمة بما في العالم العلوي بعد الاستدلال بما في العالم السفلي من ذلك.

(٢) هذا استئناف موقعه موقع النتيجة من الأدلة السابقة وهي أدلة مفصلة في غاية القوة والوضوح.

(٣) جاء في القرآن ذكر التقير والقظمير والفتيل واضطربت أقوال أهل اللغة في تحديدها والصحيح: أن التقير النقرة في وسط النواة، وأن الفتيل الخيط الأبيض في وسط النواة، وأن القظمير اللقافة البيضاء على النواة.

(٤) خبير صفة مشبهة مشتقة من خبر بضم الياء فلان الأمر إذا علمه علماً لا شك فيه وأجريت هذه الجملة مجرى المثل يقال (ولا ينبتك مثل خبير).

وأصح من يقول فالله هو العليم الخبير وما أخبر به عن الآلهة في الدنيا والآخرة في الدنيا عن عجزها وعدم غناها وفي الآخرة عن براءتها وكفرها بعبادة عابديها . فهو الحق الذي لا مرية فيه .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير ربوبية الله المستلزمة لألوهيته .
- ٢- بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة وبها تقرر ربوبيته تعالى وألوهيته لعباده .
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر يوم القيامة وبراءة الآلهة من عابديها .
- ٤- بيان عجز الآلهة عن نفع عابديها في الدنيا وفي الآخرة .
- ٥- تقرير صفات الكمال لله تعالى من الملك والقدرة والعلم ، والخبرة التامة الكاملة وبكل شيء .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾
 ﴿إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾
 ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
 إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
 وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

شرح الكلمات :

- أنتم الفقراء إلى الله : أي المحتاجون إليه في كل حال .
 والله هو الغني الحميد : أي الغني عنكم أيها الناس وعن سائر خلقه ، المحمود بأفعاله وأقواله وحسن تدبيره فكل الخلائق تحمده لحاجتها إليه وغناه عنها .
 ويأت بخلق جديد : أي بدلا عنكم .

وما ذلك على الله بعزيز : أي بشديد ممتنع بل هو سهل جائر الوقوع .
ولا تزر وازرة وزر أخرى: أي في حكم الله وقضائه بين عباده أن النفس المذنبة الحاملة
لذنبها لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل وازرة تحمل وزرها
وحدها .

وان تدع مثقلة : أي بأوزارها حتى لم تقدر على المشي أو الحركة .
لا يحمل منه شيء : أي لا تجد من يستجيب لها ويحمل عنها بعض ذنبها حتى لو
دعت ابنها أو أباه أو أمها فضلاً عن غيرهم ، بهذا حكم الله سبحانه
وتعالى .

يخشون ربهم بالغيب : أي لأنهم ما رأواه بأعينهم .
ومن تزكى : أي طهر نفسه من الشرك والمعاصي .
فإنما يتزكى لنفسه : أي صلاحه واستقامته على دين الله ثمرتها عائدة عليه .

معنى الآيات :

بعد تلك الأدلة والحجج التي سبقت في الآيات السابقة وكلها مقررة ربوية الله تعالى
والوهيته وموجبة توحيدته وعبادته نادى تعالى الناس بقوله ﴿يا أيها الناس﴾ ليعلمهم بأنه وإن خلقهم
لعبادته وأمرهم بها وتوعد باليم العذاب لمن تركها ولم يكن ذلك لفقر منه إليها ولا لحاجة به إليهم
فقال ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله^(١)، والله هو الغني الحميد﴾ إن عبادة الناس لربهم تعود عليهم
فيكملون عليها في أخلاقهم وأرواحهم ويسعدون عليها في دنياهم وآخرتهم أما الله جل جلاله
فلا تنفعه طاعة ولا تضره معصية . وهو الغني عن كل ما سواه ﴿الحميد﴾ أي المحمود بنعمه فكل
نعمة بالعباد موجبة له الحمد والشكر . وقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ وهذا دليل
غناه؛ وافتقارهم كما هو دليل قدرته وعلمه، وقوله: ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي إذهابهم
والإتيان بخلق جديد غيرهم ليس بالأمر العزيز الممتنع ولا بالصعب المتعذر بل هو اليسير السهل
عليه تعالى .

(١) في قوله تعالى أنتم الفقراء قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الفقر على الناس وهو قصر إضافي بالنسبة إلى الله
تعالى أي أنتم المفتقرون إلى الله وليس هو بمفتقر إليكم ووصفه تعالى نفسه بالحميد إشعار بأن غناه مقترن بجرده فهو يحمده
لما يسديه من المعروف إلى عباده .

(٢) الجملة بيانية فهي مبنية لغناه وموجب حمده والثناء عليه ببيان قدرته على إعلام الموجود من عباده والإتيان بخلق جديد
غيرهم ومن كان هكذا هو الغني الحق والمحمود الحق فله الحمد وله المنة .

وقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾^(١) هذا مظهر عدالته تعالى فهو مع قدرته وقهره لعباده ذو عدل فيهم فلا يؤاخذ بغير جرم، ولا يحمل وزر نفس نفساً أخرى لم تذنّب ولم تزر بل كل نفس تؤخذ بذنبها إن كانت مذنبه هذه عدالته تتجلى لعباده يوم يعرضون عليه في يوم كله هول وفرع يدل عليه قوله ﴿وان تدع مثقلة﴾^(٢) أي بذنوبها ﴿إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان﴾^(٣) من تدعوه ﴿ذا قريب﴾^(٤) كالولد والبنت. وقوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة﴾ أي إنما تنذر يارسولنا ويقبل إنذارك ويتفتع به من يخشون ربهم ويخافون عذابه بالغيب وأقاموا الصلاة، أما غيرهم من أهل الكفر والعناد والجحود فإنهم لا يقبلون إنذارك ولا يتفتعون به لظلمة جهلهم وكفرهم وقساوة قلوبهم، ومع هذا فأنذر ولا عليك في ذلك شيء فإن من تزكّى بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي فإنما يتزكّى لنفسه لا لك ولا لنا، ومن أبي فعليه إياؤه، وإلينا مصير الكل وسنجزى كلّاً بما كسب من خير وشر. هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم وأقاموا الصلاة، ومن تزكّى فإنما يتزكّى لنفسه وإلى الله المصير﴾^(٥)

هداية الآيات

من هداية الآيات:

- ١- بيان فقر العباد إلى ربهم وحاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه.
- ٢- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة.
- ٣- بيان صعوبة الموقف في عرصات القيامة لا سيما عند وضع الميزان ووزن الأعمال.

(١) وازرة صفة لمحلنوف أي نفس وازرة وكذا وإن تدع مثقلة أي نفس مثقلة وتزر أصلها توزر فحذفت الواو تخفيفاً إذ الفعل وزر يوزر فحذفت الواو كما حذفت في وعد يعد ووزن يزن.

(٢) وإن تدع مثقلة أي أحداً إلى حملها.

(٣) أي المدعو ذا قريب.

(٤) قال الفضيل بن عياض هي المرأة تلقى ولدها فتقول يا ولدي ألم يكن بطني لك وعاء، ألم يكن ندي لك سقاء ألم يكن حجري لك وطاء؟ فيقول بلى يا أمه فتقول يا بني قد أنقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنباً واحداً، فيقول إليك عني يا أمه فإنني بذنبي عنك مشغول.

(٥) الجملة مستأنفة بيانية لأن الحال تستدعي سؤالاً وهو لِمَ يَنبَأُ المشركون بالإنذار فالجواب إنما يقبل النذارة ويستجيب للمنذر أهل الإيمان والخشية لله تعالى لأنهم أحياء وأما الكافرون فهم أموات وهل يستجيب غير الحي؟ وفي الآية دليل على قوة تأثير الصلاة في تزكية النفوس وتطهير الأرواح.

(٦) هذه الجملة تذييل للجملة المنذيل بها قبلها وهي قوله تعالى: ومن تزكّى فإنما يتزكّى لنفسه وهي تفيد تقرير البعث والجزاء وهما مما ينكر المشركون كما تفيد التسلية للرسول ﷺ والتهديد للكافرين أيضاً فإن من صار إلى الله أخذه بذنبه.

٤- بيان أن الإنذار والتخويف من عذاب الله لا ينتفع به غير المؤمنين الصالحين .

٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة .

٦- تقرير حقيقة وهي أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ
 ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ
 إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ
 أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ
 أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ
 الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا
 أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا
 وَغَرَابٌ سَوْدٌ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

وما يستوى الأعمى والبصير : أي لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان .

ولا الظلمات ولا النور : أي لا يستويان فكذلك الكفر والإيمان لا يستويان .

ولا الظل ولا الحرور : أي لا يستويان فكذلك الجنة والنار لا يستويان .

وما يستوى الأحياء ولا الأموات : فكذلك لا يستوى المؤمنون والكافرون .

وما أنت بمسمع من في القبور : أي فكذلك لا تسمع الكفار فإنهم كالأموات .

إن أنت إلا نذير : ما أنت إلا منذر فلا تملك أكثر من الإنذار.

إنا أرسلناك بالحق : أي بالدين الحق والهدى والكتاب .

وإن من أمة إلا خلا فيها نذير : أي سلف فيها نبي يندرهما .

جاءتهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والأدلة الواضحة .

وبالزبر وبالكتاب المنير : أي وبالصحف كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتوراة والإنجيل .

فكيف كان نكير : أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك والجواب هو واقع موقعه والحمد لله .

معنى الآيات :

لَمَّا تقدم في السياق الكريم أن إنذار الرسول ﷺ لا يتفجع به إلا المؤمن المقيم للصلاة وإن الكافر المكذب الجاحد لا يتفجع به ذكر تعالى هنا مثلاً للكافر والمؤمن وانهما لا يستويان فقال ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾^(١) فالأعمى الكافر والبصير المؤمن وهما لا يستويان في عقل ولا شرع ﴿ولا الظلمات﴾^(٢) ولا النور﴾ أي ولا تستوى الظلمات ولا النور كما لا يستوى الكفر والإيمان ولا الظل ولا الحرور، فبرودة الجو، لا تستوى مع حرارته فكذلك الجنة لا تستوى مع النار، وقوله ﴿وما يستوى الأحياء ولا الأموات﴾ أي ولا المؤمنون مع الكافرين كذلك وقوله تعالى ﴿إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور﴾^(٣) هذا شروع في تسليية الرسول ﷺ من أجل ما يجد في نفسه من إعراض قومه وعدم استجابتهم لدعوته، فأخبره ربه بأنه تعالى قادر على أن يسمع من يشاء إسماعه وذلك لقدرته على خلقه أما أنت أيها الرسول فإنك لا تسمع الأموات وانما تسمع الأحياء، والكفار شأنهم شأن الأموات في القبور فلا تقدر على إسماعهم. ولا يحزنك ذلك فإنك ما أنت إلا نذير، والنذير يندر ولا يُسأل عن أجابه ومن لم يجبه .

وقوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ بهذا الخير يقرر تعالى رسالة رسوله محمد ﷺ وأنه أرسله بالهدى ودين الحق بشيراً لمن آمن به واتبع هداه بالجنة، ونذيراً لمن كفر به وعصاه

(١) قال القرطبي الكافر والمؤمن والعالم والجاهل .

(٢) قيل لا زائدة في كل من قوله تعالى ولا الظل ولا الحرور ولا الأموات واختلف في أيهما يكون بالليل وأيها يكون بالنهار الحرور أو السموم وفي حديث الرسول ﷺ بيان ذلك وأن كلاهما يقع في النهار كما يقع في الليل إذ قال ﷺ : فما تجدون من الحر فمن سمومها وشدة ما تجدون من البرد فمن زمهيريها .

(٣) قال قطرب أحد أعلام اللغة : الحرور : الحر والظل البرد .

(٤) قرأ الجمهور بتونين بمسمع وقرئ بمسمع بكسرة واحدة والمراد بمن في القبور الكفار حيث أمات الكفر قلوبهم أي كما لا تسمع من مات فإنك لا تسمع من مات قلبه بالجهل وظلمة الكفر .

بالنار. وقوله ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾^(١)، يخبر تعالى أن رسوله محمداً ليس الرسول الوحيد الذي أرسل في أمة بل إنه ما من أمة من الأمم الا مضى فيها نذير، فلا يكون إرساله عجباً لكفار قريش إذ هذه سنة الله تعالى في عباده يرسل إليهم من يهديهم إلى نجاتهم وسعادتهم ثم قال لرسوله ﷺ معزياً له مسلياً ﴿وإن يكذبوك﴾ فلم يكونوا أول من كذب فقد كذب الذين من قبلهم ﴿جاءتهم رسولهم بالبينات والزبير والكتاب المنير﴾ أي جاءتهم رسولهم بالحجج القواطع والبراهين السواطع، والمعجزات الخوارق، وبالصحف والكتب المنيرة لسبيل الهداية وطريق النجاة والفلاح. ومنهم من آمن ومنهم من كذب وكفر وبعد إمهال وإنظار دلَّ عليه العطف بضم أخذ الذين كفروا بعداب ملائم لكفر الكافرين. ﴿فكيف كان نكير﴾^(٢) أي فكيف كان إنكارى عليهم بالعقوبة الشديدة والإهلاك التام إنه كان واقعاً موقعه، موافياً لطالبه بكفره وعناده.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب الأمثال للكشف عن الحال وزيادة البيان.
- ٢- الكفار عمى لا بصيرة لهم، وأموات لا حياة فيهم، والدليل عدم انتفاعهم بحياتهم ولا بأسماعهم ولا أبصارهم.
- ٣- تقرير نبوة الرسول محمد ﷺ وتأکید رسالته.
- ٤- تسليية الدعاة ليتذرعوا بالصبر ويلتزموا الثبات.
- ٥- بيان سنة الله في المكذبين الكافرين وهي أخذهم عند حلول أجلهم.

وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ

(١) أي سلف فيها نبي قال ابن جريج إلا العرب إذ أراد أنه لم يخل فيهم نذير مطلقاً فهذا غير صحيح إذ بعث فيهم إسماعيل وتبع وغيرهما وإن أراد في الزمن القريب فهذا صحيح.

(٢) في الآيات تسليية للنبي ﷺ ظاهرة تطلبها المقام حيث أصر المشركون على تكذيبه وعدم الإيمان بما جاءهم به من الهدى والدين الحق.

(٣) استفهام مستعمل في التعجب من حالهم مفرغ بالفاء على قوله أخذت الذين كفروا والنكير اسم لشدة الإنكار وهو هنا كناية عن شدة العقاب لأن الإنكار يستلزم الجزاء على الفعل المنكر بالعقاب وحذفت ياء المتكلم في نكيري تخفيفاً ولرعاية الفواصل في الوقف.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ
 وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- ثمرات مختلفا ألوانها : أي كاحمر وأخضر وأصفر وأزرق وغيره .
 ومن الجبال جدد : أي طرق في الجبال إذ الجدة الطريق ومنه جادة الطريق .
 بيض وحممر مختلف ألوانه : أي طرق وخطط في الجبال ذات ألوان كالجبال أيضا .
 وغرابيب سود ^(١) : منها الأبيض والأصفر والأسود الغريب .
 ومن الناس والدواب والأنعام : فمنها أبيض وهذا أحمر وهذا أسود .
 مختلف ألوانه كذلك : أي كاختلاف الثمار والجبال والطرق فيها .
 انما يخشى الله من عباده العلماء : أي العالمين بجلاله وكماله ، إذ الخشية متوقفة على معرفة المخشي .
 يتلون كتاب الله : أي يقرأونه تعبدًا به .
 تجارة لن تبور : أي لن تهلك ولن تضيع بدون ثواب عليها .
 غفور شكور : أي غفور لذنوب عباده التائبين شكور لأعمالهم الصالحة .

معنى الآيات :

هذا السياق الكريم ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ في بيان تفاوت المخلوقات واختلافاتها فمن مؤمن إلى كافر، ومن صالح إلى فاسد ومن أبيض إلى أحمر أو أسود وابتدأه تعالى بخطاب رسوله مقررًا له بقوله ﴿ ألم تر ﴾ أي ألم تبصر بعينك أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ما بين تمر أصفر وآخر أحمر، وآخر أسود وهذا واضح في التمر

(١) الغريب: الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتأخير إذ المعنى ومن الجبال سود غرابيب إذ العرب تقول للأسود شديد السواد كلون الغراب أسود غريب .

(٢) من هداية هذه الآية الإشارة الواضحة إلى وجود اختلاف بشري جيلّي فطري كما هو في سائر الكائنات الأرضية ، وفي النباتات والحيوانات وحتى الجبال والمعادن ومن عرف هذا هان عليه اختلاف الناس ولم يحزن له ولم يهتم ويكرب .

والعنب والفواكه والخضر، ومن الجبال كذلك. فإن فيها جدد أي خطط حمراء وصفراء وبيضاء وسوداء والجبال نفسها كذلك، ومن الناس والدواب والأنعام ففي جميعها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر كما في جدد الجبال نفسها وكما في الثمار. ولما كان هذا لا يدركه إلا المفكرون ولا يجنى منه العبرة إلا العالمون قال تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وأهل مكة جهال لا يفكرون ولا يهتدون فلا غرابة إذا لم يخشوا الله تعالى ولم يوحدوه وذلك لجهلهم وعدم تفكيرهم.

وقوله تعالى في ختام السياق: ﴿إن الله عزيز غفور﴾ كشف عن حقيقة ينبغي أن يعرفها أهل مكة المصرون على الكفر والتكذيب وهي أن الله قادر على أخذهم والبطش بهم فإنه عزيز لا يمانع فيما يريد غفور لذنوب التائبين من عباده ومهما كانت ذنوبهم إلا فليتب أهل مكة فإن توبتهم خير لهم من إصرارهم على الشرك والكفر والتكذيب إذ في التوبة نجاة، وفي الإصرار هلاك.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾ وهم المؤمنون ﴿وأقاموا الصلاة﴾ أداها أداء وافيا لا نقص فيه ﴿وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ الزكاة والصدقات بحسب الأحوال والظروف سراً أحياناً وعلانية أحياناً أخرى. يُخبر تعالى عنهم بعدما وصفهم بما شرفهم به من صفات أنهم يرجون تجارة لن تبور أي لن تهلك ولن تخسر وذلك يوم القيامة وقوله ﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ أو هداهم لذلك ووقفهم إليه تعالى ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله. وعلّة ذلك أنه غفور لعباده المؤمنين التائبين فيغفر ذنوبهم ويدخلهم جنته شكور لطاعاتهم وصالح أعمالهم فلذا يضاعف لهم أجورهم ويزيدهم من فضله وله الحمد والمنة.

(١) الجدد جمع جدّة وهي الطريقة والخطة في الشيء تكون واضحة فيه.

(٢) في الجملة قصر صفة على موصوف أي قصر صفة الخشية على العلماء دون الجهلة وبهذا علّاً شأن العلماء وعظم قدرهم قال رسول الله ﷺ: إن فضل العالم على العابد كفضلي على أذاكم ثم تلا إنما يخشى الله من عباده العلماء والمراد بالعلماء العالمون بالله أي بأسمائه وصفاته ومحابه ومكارهه وما عنده من نعيم لأولياته وما لديه من عذاب لأعدائه، وآية العالم الخشية لله والمحب له تعالى فمن لم يخش الله تعالى فليس بعالم.

(٣) الجملة تذييلية مشعرة بغنى الله تعالى عن عباده قدير على أخذهم متى أراد بهم ذلك، ذو مغفرة لهم متى تابوا إليه وطلبوا مرضاته ولو عرف المشركون هذا ما أصروا على الشرك ولكنهم لا يعلمون.

(٤) لما أتى على العلماء بما وصفهم به من الخشية وكان في الكلام إيجاز أوضحه بهذه الجملة فقال إن الذين يتلون كتاب الله، وما تلا كتاب الله غير مؤمن عالم ولا أقام الصلاة وأنفق سراً وعلانية إلا ذو خشية ومحبة بعدما وصفهم وحددهم بشرهم بقوله يرجون تجارة لن تبور.

(٥) التوفية جعل الشيء وافياً أي تاماً لا نقیصة فيه ولا غبن.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان مظاهر القدرة والعلم الإلهي في اختلاف الألوان والطباع والذوات .
- ٢- العلم سبيل الخشية فمن لا علم له بالله فلا خشية له إنما يخشى الله من عباده العلماء .
- ٣- فضل تلاوة القرآن الكريم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات .
- ٤- في وصف الله تعالى بالغفور والشكور ترغيب للمذنبين أن يتوبوا، وللعاملين أن يزيدوا .

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------|---|
| من الكتاب | . أي القرآن الكريم . |
| مصداقا لما بين يديه | : أي من الكتب السابقة كالنوراة والإنجيل . |
| ثم أورثنا الكتاب | : أي الكتب التي سبقت القرآن إذ حصلها في القرآن الكريم . |
| الذين اصطفينا | : أي اخترنا المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . |

- فمنهم ظالم لنفسه : بارتكاب الذنوب .
 ومنهم مقتصد : مؤد للفرائض مجتنب للكبائر .
 ومنهم سابق بالخيرات : مؤد للفرائض والنوافل مجتنب للكبائر والصغائر .
 بإذن الله : أي بتوفيقه وهدايته .
 ذلك : أي إيراثهم الكتاب هو الفضل الكبير .
 ولؤلؤاً : إي أساور من لؤلؤ مرصع بالذهب .
 أحلنا دار المقامة : أي الإقامة وهي جنات عدن .
 لا يمسن فيها نصب : أي تعب .
 ولا يمسن فيها لغوب : أي إعياء من التعب، وذلك لعدم التكليف فيها .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب﴾ أي القرآن الكريم هو ﴿الحق﴾ أي الواجب عليك وعلى أمتك العمل به لا ما سبقه من الكتب كالنوراة والإنجيل ، ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ أي أمامه من الكتب السابقة ، وقوله ﴿إن الله بعباده لخبير بصير﴾^(١) فهو تعالى يعلم أن الكتب السابقة لم تصبح تحمل هداية الله لعباده لما داخلها من التحريف والتغيير فلذا مع علمه بحاجة البشرية إلى وحي سليم يقدم إليها فتكمل وتسعد عليه متى آمنت به وأخذته نوراً تمشى به في حياتها المادية هذه أرسلك وأوحى إليك هذا الكتاب الكريم وأوجب عليك وعلى أمتك العمل به .
 وقوله تعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ يخبر تعالى أنه أورث أمة الإسلام الكتاب السابق إذ كل ما في التوراة والإنجيل من حق وهدى قد حواه القرآن الكريم فأمه القرآن قد ورثها الله تعالى كل الكتاب الأول . وقوله تعالى : ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾^(٢) بالتقصير في العمل وارتكاب بعض الكبائر، ﴿ومنهم مقتصد﴾ وهو المؤدى للفرائض المجتنب للكبائر،

(١) في الآية الإشادة بالكتاب الذي يتلوه المؤمنون فيشربون ويزادون لأنه الكتاب الحق الخالي من الزيادة والنقص المصدق لما تقدمه من الكتب الإلهية السابقة وضمن هذا يقرر النبوة المحمدية واثباتها والإشادة بصاحبها .
 (٢) الخبير: العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية وصاحب هذه الصفة هو الذي يجب أن يعبد ويتقى .

(٣) حاول كثير من المفسرين البعد عن الحقيقة التي تضمنتها هذه الآية وهي أن الآية في أمة محمد ﷺ إن هي التي قال الله تعالى فيها هو اجتباكم والاجتباء كالاصطفاء والظالم لنفسه لا يكون الكافر ولا المنافق وإنما هو المؤمن يقش بعض الكبائر وما في التفسير هو الحق فتامله .

(٤) فمنهم : هذه الفاء التفرعية التفصيلية حيث فصل بها مجمل الذين أوتوا الكتاب والبداية بالظالمين لأنفسهم لإيماء إلى أنهم غير محرومين من جنات عدن دفعاً لمن يتوهم أنهم لما كانوا ظالمين لا يدخلون الجنة .

﴿ومنهم سابق للخيرات بإذن الله﴾ وهو المؤدى للفرائض والنوافل المجتنب للكبائر والصغائر. وقوله: ﴿ذلك﴾ أي الإيراث للكتاب هو الفضل الإلهي الكبير وهو ﴿جنات عدن يدخلونها يوم القيامة يحلون فيها من أساور﴾ جمع سوار ما يجعل في اليد ﴿من ذهب ولؤلؤا﴾ أي أساور من لؤلؤ، ولباسهم فيها حرير.

وقوله: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ أي كل الحزن فلا حزن يصيبهم إذ لا موت في الجنة ولا فراق ولا خوف ولا هم ولا كرب فمن أين يأتي الحزن. وقولهم ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ قالوا هذا لأنه تعالى غفر للظالم وشكر للمقتصد عمله فأدخل الجميع الجنة فهو الغفور الشكور حقاً حقاً.

وقولهم: ﴿الذي أحلنا دار المقامة﴾ أي الإقامة من فضله هذا ثناء منهم على الله تعالى بإفضاله عليهم، وقولهم ﴿لا يمسننا فيها نصب﴾ أي تعب ﴿ولا يمسننا فيها لغوب﴾ أي إعياء من التعب وصف لدار السلام وهي الجنة الخالية من النصب واللغوب جعلنا الله من أهلها.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- وجوب العمل بالقرآن الكريم عقائد وعبادات وآداباً وأخلاقاً وقضاء وحكماً.
- ٢- بيان شرف هذه الأمة، وأنها الأمة المرحومة فكل من دخل الإسلام بصدق وأدى الفرائض واجتنب المحارم فهو ناج فائز ومن قصر وظلم نفسه بارتكاب الكبائر ومات ولم يشرك بالله شيئاً فهو آئيل الى دخول الجنة راجع إليها بإذن الله .
- ٣- بيان نعيم أهل الجنة وحلية أهلها وهي الأساور من الذهب واللؤلؤ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ

نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ

(١) جنات عدن بدل اشتغال من قوله ذلك الفضل الكبير.

(٢) لما دخلوا جنات عدن حمدوا الله تعالى وأثنوا عليه وإن قيل كيف دخل الظالم نفسه الجنة وهو ظالم قلنا هذا الظلم هو ليس ظلماً لربه بأن عبد غير الله ولا هو ظلم لغيره وإنما هو ظلم لنفسه بارتكاب بعض الذنوب وهذا غير مانع من دخول الجنة إذ هو وارث بوصفه مؤمناً والجنة تورث والورثة يستوي فيهم البار مع العاق فلا يمنع من الإرث العاق بل يرث كالبار سواء بسواء.

(٣) ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء.

عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ
 فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
 أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ
 فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
 غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾
 هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا
 يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ
 كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

لا يقضى عليهم : أي بالموت فيموتوا ويستريحوا .
 كذلك نجزي كل كفور : أي كذلك الجزاء نجزي كل كفور بنا وبآياتنا ولقائنا .
 وهم يصطرخون فيها : أي يصيحون بأعلى أصواتهم يطلبون الخروج منها .
 يقولون : أي في عويلهم وصراخهم ربنا أخرجنا أي منها نعمل صالحاً .
 أو لم نعمركم ما يتذكر فيه : أي وقتاً يتذكر فيه من تذكر .
 وجاءكم النذير : أي الرسول فلم تجيبوا وأصررتم على الشرك والمعاصي .
 إنه عليم بذات الصدور : أي بما في القلوب من إصرار على الكفر ولو عاش الكافر طوال الحياة .

خلائف في الأرض : يخلف بعضهم بعضاً . والخلائف جمع خليفة وهو من يخلف غيره .
 فعلية كفره : أي وبال كفره .
 إلا مقتاً : أي الا غضباً شديداً عليهم من الله عز وجل .
 إلا خساراً : أي في الآخرة إذ يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة .

معنى الآيات :

بعدما ذكر تعالى جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح ذكر جزاء أهل الكفر والمعاصي فقال :

﴿والذين كفروا﴾^(١) أي بالله وآياته ولقائه ﴿لهم نار جهنم﴾ أي جزاء لهم ﴿لا يقضى عليهم﴾^(٢) أي بالموت فيموتوا حتى يستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها ولا طرفة عين . وقوله تعالى ﴿كذلك﴾ أي الجزاء ﴿نجزي كل كفور﴾ أي مبالغ في الكفر مكثراً منه . وقوله: ﴿وهم يصطرخون فيها﴾ أي في جهنم أي يصرخون بأعلى أصواتهم في بكاء وعويل يقولون: ﴿ربنا أخرجنا﴾ أي من النار ورددنا إلى الحياة الدنيا ﴿نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ أي من الشرك والمعاصي . فيقال لهم: ﴿أولم نعمركم﴾^(٣) أي أنطلبون الخروج من النار لتعملوا صالحاً ولم نعمركم أي نطل أعماركم بحيث يتذكر فيها من يريد أن يتذكر وجاءكم النذير^(٤) فلم تجيبوه وأصررتم على الشرك والمعاصي ، إذا فذوقوا عذاب النار ﴿فما للظالمين﴾ أي الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي من نصير ينصرهم فيخرجهم من النار . وقوله تعالى: ﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض﴾ أي كل ما غاب في السموات والأرض ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ ومن ذلك أنه عليم بما في قلوبكم وما كنتم مصرين عليه من الشرك والشر والفساد ولو عشتم الدهر كله .

وقوله تعالى: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي يخلف بعضكم بعضاً وفي ذلك ما يمكن من العظة والاعتبار إذ العاقل من اعتبر بغيره فقد هلكت قبلكم أمم بذنوبهم فلم لا تتعظون بهم وقد خلفتموهم وجئتم بعدهم إذا فلا عذر لكم أبداً .

ويعد هذا البيان فمن كفر فعليه كفره هو الذي يتحمل جزاءه ، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم ﴿الامتن﴾ أي بعداً عن الرحمة وبغضاً شديداً ، ﴿ولا يزيد الكافرين﴾ أي المصرين على الكفر كفرهم ﴿إلا خساراً﴾ أي هلاكاً في الآخرة .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان مُرَّ العذاب وأليمه الذي هو جزاء الكافرين .

٢- الإعدار لمن بلغه الله من العمر أربعين سنة .

(١) قال القرطبي لما ذكر أهل الجنة وأحوالهم ومقاتلتهم ذكر أهل النار وأحوالهم ومقاتلتهم .

(٢) هذا كقوله تعالى : ثم لا يموت فيها ولا يحيى من سورة الأعلى .

(٣) يصطرخون مبالغة في يصرخون افتعال من الصراخ وهو الصياح بشدة وجهد أي يصيحون من شدة ما أصابهم .

(٤) الاستفهام للتقريع والتوبيخ والواو عاطفة قولاً محذوفاً تقديره يقولون ربنا أخرجنا ونقول ألم نعمركم والتعمير تطويل العمر .

(٥) هل النذير القرآن أو الرسول ﷺ أو الشيب قال الشاعر:

رأيت الشيب من نُذُرِ المنايا لصاحبه وحسبك من نذير . وما في التفسير أصح .

(٦) أي خلفاً بعد خلف وقرناً بعد قرن ، والخلف هو التالي للتقدم .

٣- الكافر يعذب أبداً لعلم الله تعالى به وأنه لو عاش آلاف السنين ما أفلح عن كفره ولا حاول أن يتوب منه فلذا يعذب أبداً.

٤- في كون البشرية أجيالاً جيلاً يذهب وآخر يأتي مجالاً للعظة والعبرة والعاقلة من اعتبر بغيره.

٥- الاستمرار على الكفر لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن الرحمة ومقتاً عند الله تعالى والمقت أشد الغضب.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن

دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ

أَمْ أَاتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبِغِدَ الظَّالِمُونَ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ * إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ

إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِن إِيحَادَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ

مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نَفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ

وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ

الْأُولَىٰ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا

﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|-------------------|--|
| قل أرايتم | : أي أخبروني . |
| تدعون من دون الله | : أي تعبدون من غير الله وهي الأصنام . |
| أروني ماذا خلقوا | : أي أخبروني ماذا خلقوا من الأرض أي آي جزء منها خلقوه . |
| أم لهم شرك | : أي أم لهم شركة في خلق السموات . |
| إلا غروراً | : أي باطلاً إذ قالوا إنها آلهتنا تشفع لنا عند الله يوم القيامة وتقربنا |

إلى الله زلفى .

- يمسك السموات والأرض أن تزولا : أي يمنعها من الزوال .
 إن أمسكها من أحد من بعده : أي ولو زالتا ما أمسكهما أحد من بعده لعجزه عن ذلك .
 إنه كان حليماً غفوراً : أي حليماً لا يعجل بالعقوبة غفوراً لمن ندم واستغفر .
 لئن جاءهم نذير : أي رسول .
 من إحدى الأمم : أي اليهود والنصارى .
 فلما جاءهم نذير : أي محمد صلى الله عليه وسلم .
 ما زادهم إلا نفوراً : أي مجيئه إلا تباعداً عن الهدى ونفرة منه .
 ومكر السيء : أي الشرك والمعاصى .
 ولا يحيق المكر السيء : أي ولا يحيط إلا بأهله العاملين له .
 سنة الأولين : أي سنة الله فيهم وهي تعذيبهم بكفرهم وإصرارهم عليه .
 ولن تجد لسنة الله تبديلاً : أي فلا يبدل العذاب بغيره .
 ولن تجد لسنة الله تحويلاً : أي تحويل العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد وإبطال التنديد فقال تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين من قومك : ﴿أرايتم شركاءكم الذين تدعون﴾ أي تعبدون من دون الله أخبروني : ماذا خلقوا من الأرض حتي استحقوا العبادة مع الله فعبدتموهم معه؟ أم لهم شرك في السموات بأن خلقوا جزءاً وملكوه بالشركة . والجواب قطعاً لم يخلقوا شيئاً من الأرض وليس لهم في خلق السموات شركة أيضاً إذا فكيف عبدتموهم مع الله؟ وقوله تعالى : ﴿أم آتيناكم﴾ أي أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً يبيح لهم الشرك ويأذن لهم فيه فهم لذلك على بينة بصحة الشرك . والجواب ومن أين لهم هذا الكتاب الذي يبيح الشرك؟ بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً ﴿إلا غروراً﴾ أي باطلاً إذ الحقيقة أن المشركين لم يكن لهم كتاب يحتجون به على صحة الشرك ،

(١) هذا شروع في بطلان الشرك وتحقيق التوحيد بالأسلوب الجدلي العقلي والاستفهام تقرير في قوله أرايتم شركاءكم أروني أي أروني شيئاً خلقوه من الأرض .

(٢) الشرك اسم للنصيب المشترك به في ملك الشيء ، والمعنى ألهم شرك مع الله في ملك السموات وتصريف أحوالها كسير الكواكب وتعاقب الليل والنهار وتسخير الرياح وانزال المطر .

(٣) إن نافية بمعنى «ما» بقرينة الاستثناء والغرور الأباطيل تغرؤ وهي قول السادة للسفلة إن هذه الآلهة تنفعكم وتقربكم وتشفع لكم كما أن الشياطين توحى لهم بذلك من طريق الوسوسة .

وإنما هو أن الظالمين وهم المشركون ما يعد بعضهم بعضاً وهو أن الآلهة تستشفع لنا وتقربنا إلى الله زلفى إلا غروراً وباطلاً فالرؤساء غرروا بالمرء وسين وكذبوا عليهم بأن الآلهة تشفع لهم عند الله وتقربهم منه زلفى فلهذا عبدوها من دون الله وقوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ يخبر تعالى عن عظيم قدرته ولطفه بعباده، ورحمته بهم وهي أنه تعالى يمسك السموات السبع والأرض أن تزولا أي تتحول عن أماكنهما، إذ لو زالتا لخرب العالم في لحظات، وقوله: ﴿ولئن زالتا﴾ أي ولو زالتا ﴿إن أمسكهما من أحد من بعده﴾ أي لا يقدر على ذلك إلا هو سبحانه وتعالى، وقوله إنه كان حليماً غفوراً إذ حلمه هو الذي غرَّ الناس فعصوه، ولم يطيعوه، واشركوا به ولم يوحده ومغفرته هي التي دعت الناس إلى التوبة إليه، والإنابة إلى توحيدهِ وعبادته.

وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا السياق (٤٢) ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم﴾ يخبر تعالى عن المشركين العرب بأنهم في يوم من الأيام كانوا يحلفون بالله جهد أيمانهم أي غاية اجتهادهم فيها لئن جاءهم رسول يرشدهم ويعلمهم لكانوا أهدى أي أعظم هداية من إحدى الطائفتين اليهود والنصارى. هكذا كانوا يحلفون ولما جاءهم نذير أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم مجيئه ﴿إلا نفوراً﴾ أي بعداً عن الدين ونفرة منه، واستكباراً في الأرض، ومكر السيء الذي هو عمل الشرك والظلم والمعاصي.

وقوله تعالى ﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾ إخبار منه تعالى بحقيقة يجهلها الناس وهي أن عاقبة المكر السيء تعود على الماكرين بأسوأ العقاب وأشد العذاب وقوله تعالى: ﴿فهل ينظرون﴾ أي ينتظرون وهم مصرون على المكر السيء وهو الشرك ومحاربة الرسول وأذية المؤمنين. إلا سنة الأولين وهي إهلاك الماكرين الظالمين ﴿ولئن تجد لسنة الله﴾ أيها

(١) لما بين لهم عجز آلهتهم وعدم قدرتها على خلق شيء في السموات والأرض بين لهم أن خالقها وممسكها هو الله فلا يوجد شيء إلا بإيجاده ولا يبقى شيء إلا بإبقائه.
(٢) إن نافية بمعنى ما أي ما أمسكهما أحد سواه.

(٣) هذا كان منهم قبل البعثة النبوية فقد بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله جل اسمه لئن جاءهم نذير أي نبي ليكونن أهدى من إحدى الأمم يعني ممن كذب الرُّسل من أهل الكتاب وكانوا يتمنون أن يكون منهم رسول فلما جاءهم ما تمنوه نفروا عنه ولم يؤمنوا به.

(٤) حاق به: أحاط والحوق الإحاطة روى أن كعباً قال لابن عباس إنني أجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها. فقال ابن عباس فإني وجدت في القرآن ذلك قال وأين؟ قال اقرأ ﴿ولا يحق المكر السيء إلا بأهله﴾ ومن أمثال العرب: من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكباً، وجملة لا يحق المكر السيء إلا بأهله تذييل لما سبق وتحمل موعظة.

(٥) السنة الطريقة والجمع سنن.

الرسول ﴿تبديلاً﴾ بأن يتبدل العذاب بغيره بالرحمة مثلاً ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ بأن يتحول العذاب عن مستحقه إلى غير مستحقه إذا فليعاجل قومك الوقت بالتوبة وإلا فهُم عرضة لأن تمضى فيهم سنة الله بعذابهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد .
- ٢- بيان أن المشركين لا دليل لهم على صحة الشرك لا من عقل ولا من كتاب .
- ٣- بيان قدرة الله ولطفه بعباده ورحمته بهم في إمساك السموات والأرض عن الزوال .
- ٤- بيان كذب المشركين ، ورجوعهم عما كانوا يتقاولونه بينهم من أنه لو أرسل إليهم رسولاً لكانوا أهدى من اليهود أو النصارى .
- ٥- تقرير حقيقة وهي أن المكر السيء ^(١) عائد على أهله لا على غيرهم وفي هذا يرى أن ثلاثة على أهلها راجع ، وهي المكر السيء ، والبغي ، والنكث لقوله تعالى ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ . وقوله ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ وقوله ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ .

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ
 فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾
 وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى
 ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
 فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَأَيُّ اللَّهِ كَانَ يُعْبَادُهُ بِصِيرًا ﴿٤٥﴾

(١) المكر إخفاء الأذى وهو سيء لأنه غدر وخديعة .

شرح الكلمات :

- وكانوا أشد منهم قوة : أي وأهلكهم الله تعالى بتكذيبهم رسلهم .
وما كان الله ليعجزه من شيء : أي ليسبقه ويفوته فلم يتمكن منه .
إنه كان عليمًا قديرًا : أي عليمًا بالأشياء كلها قديرًا عليها كلها .
بما كسبوا : أي من الذنوب والمعاصي .
ما ترك على ظهرها : أي ظهر الأرض من دابة أي نسمة تدب على الأرض وهي كل ذي روح .
إلى أجل مسمى : أي يوم القيامة .
فإن الله كان بعباده بصيرًا : فيحاسبهم ويجزيهم بحسب كسبهم خيرًا كان أو شرًا .

معنى الآيات :

لما هدّد الله تعالى المشركين بامضاء سنته فيهم وهي تعذيب وإهلاك المكذبين إذا أصروا على التكذيب ولم يتوبوا . قال ﴿ أو لم يسيروا ﴾ أي المشركون المكذبون لرسولنا ﴿ في الأرض ﴾ شمالاً أو جنوباً ﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ كقوم صالح وقوم هود ، إنها كانت دماراً وخساراً ﴿ وكانوا أشد منهم قوة ﴾^(١) أي من هؤلاء المشركين اليوم قوة وقوله تعالى ﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ﴾ أي لم يكن ليعجز الله شيء فيفوت الله ويهرب منه ولا يقدر عليه بل إنه غالب لكل شيء وقاهر له وقوله : ﴿ إنه كان عليمًا قديرًا ﴾ تقرير لقدرته وعجز كل شيء أمامه ، فإن العليم القدير لا يعجزه شيء بالاختفاء والتستر ، ولا بالمقاومة والهرب .
وقوله تعالى ﴿ ولويؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ وهي الآية الأخيرة من هذا السياق (٤٥) أي ولو كان الله يؤاخذ الناس بذنوبهم فكل من أذنب ذنباً انتقم منه فأهلكه ما ترك على ظهر الأرض من نسمة ذات روح تدب على وجه الأرض ، ولكنه تعالى يؤخر الظالمين ﴿ إلى أجل مسمى ﴾^(٢) أي معين الوقت محده إن كان في الدنيا ففي الدنيا ، وإن كان يوم القيامة ففي القيامة . وقوله

(١) الجملة في محل نصب حالية أي كان عاقبتهم الاضمحلال وكانوا أشد قوة من هؤلاء فيكون استئصال هؤلاء أقرب .
(٢) أي هبكم أنكم أقوى ممن كان قبلكم وأشد حيلة وتصرفاً في الحياة فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وذلك لعلمه وقدرته ، إذا فلا مهرب لكم منه إذا أراد إهلاككم .
(٣) قال ابن مسعود ، يريد جميع الحيوان مما دبّ ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام : قال ابن جرير هنا الناس وحدهم وهو كذلك .
(٤) قال مقاتل الأجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقيل هو يوم القيامة ولا منافاة بين القولين إذ يوم القيامة مكتوب في اللوح المحفوظ .

﴿فإذا جاء أجلهم﴾^(١) فإن الله كان بعباده بصيراً ﴿يخبر بأنه إذا جاء أجل الظالمين فإنه تعالى بصير بهم لا يخفى عليه منهم أحد فيهلكم ولا يبقى منهم أحداً لكامل علمه وعظيم قدرته، ألا فليتنق الله الظالمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية السير في الأرض للعبارة لا للتنزه واللهو واللعب .
- ٢- بيان أن الله لا يعجزه شيء وذلك لعلمه وقدرته وهي حال توجب الترهيب منه تعالى والإجابة إليه .
- ٣- حرمة استعجال العذاب فإن لكل شيء أجلاً ووقتاً معيناً لا يتم قبله فلا معنى للاستعجال بحال .

سُورَةُ الْأَنْعَامِ^(١)

مكية وآياتها ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ (١) وَالْقُرْءَانَ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤) تَنْزِيلَ الْغَزِيِّ الرَّحِيمِ (٥) لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا أَبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلًا فَبِهِمْ إِلَى

(١) قوله فإن الله كان بعباده بصيراً هو كالجواب لمن قال وكيف يهلك كل من في الأرض وفيهم الصالحون والمؤمنون فقال إنه كان بعباده بصيراً فقد ينجي من لا يستحق الهلاك ويهلك من يستحقه .

(٢) ورد في فضل هذه السورة حديث أبي داود عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ أنه قال اقرأوا يس على موتاكم وورد عن أبي الدرداء أو أم الدرداء عنه ﷺ قال ما من ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون الله عليه ، وأخرج الدارمي عن أبي هريرة عنه ﷺ من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة وخرجه الحافظ أبو نعيم أيضاً .

الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
 وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ
 عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ
 مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
 وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ
 مَا قَدَّمُوا وَآءَاثُرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

يس

: هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا يس، ويقرأ هكذا ياسين والله أعلم بمراده به .

: أي ذي الحكمة إذ وضع القرآن كل شيء في موضعه فهو لذلك حكيم ومحكم أيضاً بعجيب النظم وبديع المعاني .

والقرآن الحكيم

: أي يا محمد من جملة الرسل الذين أرسلناهم إلى أقوامهم .
 : أي طريق مستقيم الذي هو الإسلام .

إنك لمن المرسلين
 على صراط مستقيم

: أي القرآن^(١) تنزيل العزيز في انتقامه ممن كفر به الرحيم بمن تاب إليه .
 : أي لم ينذر آباؤهم إذ لم يأتهم رسول من فترة طويلة .

ما أنذر آباؤهم

: أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك وهو الإيمان وصالح الأعمال .

فهم غافلون

لقد حق القول على أكثرهم : أي وجب عليهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون .

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً : أي جعلنا أيديهم مشدودة إلى أعناقهم بالأغلال .

: أي أيديهم مجموعة إلى أذقناهم، والأذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين .

فهي إلى الأذقان

: أي رافعورؤوسهم لا يستطيعون خفضها، فلذا هم لا يكسبون بأيديهم خيراً، ولا يدعون برؤوسهم إلى حق .

فهم مقمحون

(١) هذا على قراءة أهل المدينة وهي رفع تنزيل . أما على قراءة النصب فالتقدير اقرأ تنزيل العزيز الرحيم أو أمدح تنزيل .

فأغشيناهم فهم لا يبصرون : أي جعلنا على أبصارهم غشاوة فهم لذلك لا يبصرون .
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم : أي استوى إنذارك لهم وعدمه في عدم إيمانهم .
تنذرهم لا يؤمنون

من اتبع الذكر :

وأجر كريم

إنا نحن نحي الموتى

ونكتب ما قدموا وآثارهم^(١) : أي ما عملوه من خير وشر لنحاسبهم ، وآثارهم أي خطاهم إلى

المساجد وما استنُّ به أحد من بعدهم .

في إمام مبین

: أي في اللوح المحفوظ .

معنى الآيات :

﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به ﴿والقرآن الحكيم﴾ أي المحكم نظماً ومعنى وذو الحكمة الذي يضع كل شيء في موضعه أقسم تعالى بالقرآن الحكيم على أن محمد ﷺ نبياً رسولاً فقال ﴿والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ الذي هو الإسلام . وقوله ﴿تنزيل﴾^(١) العزيز الرحيم ﴿أي هذا القرآن هو تنزيل الله ﴿العزيز﴾ في الانتقام ممن كفر به وكذب رسوله ﴿الرحيم﴾ بأوليائه وصالحى عباده . وقوله ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ أي أرسلناك وأنزلنا إليك الكتاب لأجل أن تنذر قوماً ما أنذر آباؤهم من فترة طويلة وهم مشركو العرب إذ لم يأتهم رسول من بعد إسماعيل عليه السلام ﴿فهم غافلون﴾ أي لا يدرون عاقبة ما هم عليه من الشرك والشر والفساد، ومعنى تنذرهم تخوفهم عذاب الله تعالى المترتب على الشرك والمعاصى .

وقوله تعالى ﴿لقد حق القول على أكثرهم﴾ أي أكثر خصوم النبي ﷺ من كفار قريش كأبي جهل حق عليهم القول الذي هو قوله تعالى ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ فوجب لهم العذاب فلذا هم لا يؤمنون إذ لو آمنوا لما عذبوا، وعدم إيمانهم لم يكن مفروضاً عليهم

(١) وهم بعض فقال هذه الآية نزلت بالمدينة في بني سلمة والصحيح أن السورة كلها مكى وليس فيها مدني وانما قرأ ﷺ هذه الآية محتجاً بها على بني سلمة لما أرادوا النزول قرب المسجد فقال لهم بني سلمة دياركم تكتب آثاركم . وقرأ هذه الآية، ونكتب ما قدموا وآثارهم .

(٢) كره مالك رحمه الله تعالى التسمية بيس وهو كذلك لعدم علمنا بالمراد منه وليس هو باسم النبي ﷺ إذ ذكر أسماء الخمسة ولم يذكر بينها يس ولا حجة في قول الرافضي :

يا نفس لا تمحضي بالود جاهدة على المودة إلا آل ياسين

(٣) والقرآن الواو للقسم والقرآن مقسم به وجواب القسم : إنك لمن المرسلين وعلى صراط مستقيم خير ثان لأن .

(٤) قرأ نافع والجمهور تنزيل بالرفع على أنه خير محذوف المبتدأ أي هو تنزيل والضمير عائد على القرآن المقسم به وقرأ حفص تنزيل بالنصب على المصدرية أو على تقدير أعنى أو أخص فيكون مدحاً وإشادة بشانه وهو اليق .

وإنما هو باختيارهم وحرية إرادتهم إذ لو كان جبراً لما استحقوا العذاب عليه . وقوله تعالى ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي﴾ أي أيديهم ﴿إلى الأذقان﴾ مشدودة بالأغلال ﴿فهم مقمحون﴾ أي رافعورؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل لحالهم في عدم مدّ أيديهم للإنفاق في الخير، وعدم إذعان رؤوسهم لقبول الحق وقوله ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ وهذا تمثيل آخر لحالهم وهي أنهم زينّت لهم الحياة الدنيا فأصبحوا لا يرون غيرها فهو سد أمامهم ومانع لهم من الإيمان وترك الشرك والمعاصي ، وصورت لهم الآخرة بصورة باطلة مستحيلة الوقوع فكان ذلك سداً من خلفهم فهم لذلك لا يتوبون ولا يذكرون لعدم خوفهم من عذاب الآخرة وقوله تعالى ﴿وأغشيناهم﴾ هذا مبالغة في إضلالهم فجعل على أعينهم غشاوة من كره الرسول ﷺ وبغض ما جاء به فهم لذلك عمى لا يبصرون . وقوله تعالى ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذهم لا يؤمنون﴾ هذا إخبار منه تعالى بأن هذه المجموعة من خصوم الرسول ﷺ من أكابر مجرمي مكة استوى فيهم الإنذار النبوي وعدمه فهم لا يؤمنون فكان الله تعالى يقول لرسوله إن هؤلاء العتاة من خصومك إنذارك لهم لا ينفعهم فأنذر الذين ينفعهم إنذارك ودع من سواهم وهو قوله تعالى ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾ أي القرآن ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ أي خافه فلم يعصه وهو لا يراه ، كما لم يعصه عندما يخلو بنفسه ولا يراه غيره فمثل هذا بشره بمغفرة منا لذنوبه وأجر كريم على صالح عمله وهو الجنة دار المتقين وقوله تعالى : ﴿إنا نحن نحي الموتى﴾ أي للبعث والجزاء ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي أولئك الأموات أيام حياتهم من خير وشر ، ﴿وآثارهم﴾ أي ونكتب آثارهم وهو ما استنّ به من سننهم الحسنة أو السيئة . ﴿وكل شيء﴾ أي من أعمال العبادة وغيرها ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ، وسنجزى كلّ بما عمل . وفي هذا الخطاب تسلية لرسول الله ﷺ .

(١) وجائز أن يكون هذا بيان لحالهم في النار يوم القيامة ولكن ما في التفسير أولى وأحق والسبب يؤكد.

(٢) أنذرتهم أصل الهمزة الاستفهام ولكنها هنا للتسوية متمحفة لها .

(٣) شاعده حديث مسلم عن النبي ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء وكذا حديثه الآخر: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث من علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية وتأكيد رسالته ﷺ .
- ٢- بيان الحكمة من إرسال الرسول وإنزال الكتاب الكريم .
- ٣- بيان أن الرسول محمداً ﷺ بعث على فترة من الرسل .
- ٤- بيان أن حب الدنيا والإقبال عليها والإعراض عن الآخرة وعدم الالتفات إليها يضعان الإنسان بين حاجزين لا يستطيع تجاوزهما والتخلص منهما .
- ٥- بيان أن الذنوب تقيد صاحبها وتحول بينه وبين فعل الخير أو قبول الحق .
- ٦- بيان أن من سن سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده يجرى بها كما يجرى على عمله الذي باشره بيده .
- ٧- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن كل شيء في كتاب المقادير المعبر عنه بالإمام . ومعنى المبين أي ان ما كتب فيه بين واضح لا يجهل منه شيء .

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾
 إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا
 إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ
 الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا
 إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾
 قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ
 مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَيَّرْنَاكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ
 بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

شرح الكلمات :

- واضرب لهم مثلاً : أي واجعل لهم مثلاً .
 أصحاب القرية : أي انطاكية عاصمة بلاد يقال لها العواصم بأرض الروم .

إذ جاءها المرسلون : أي رسل عيسى عليه السلام .
 فعزنا بثالث : أي قوينا أمر الرسولين ودعوتهما برسول ثالث وهو حبيب بن النجار .
 وما علينا إلا البلاغ المبين : أي التبليغ الظاهر البين بالأدلة الواضحة وهي إبراء الأكمه
 والأبرص والمريض وإحياء الموتى .
 إنا تطيرنا بكم : أي تشاء منا بكم وذلك لانقطاع المطر عنا بسبيكم .
 قالوا طائرکم معکم : أي شؤمکم معکم وهو كفرکم بربکم .
 أئن ذکرتم : أي وعظمت وخوفتم تطيرتم وهذا توبيخ لهم .
 بل أنتم قوم مسرفون : أي متجاوزون للحد في الشرك والكفر .
 معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثلاً﴾^(١) أي واضرب أيها الرسول لقومك المصرين على الشرك
 والتكذيب لك ولما جتتهم به من الهدى ودين الحق ﴿مثلاً أصحاب القرية﴾ فإن حالهم في
 التكذيب والغلو في الكفر والعناد كحال هؤلاء . إذ جاءها المرسلون وهم رسل عيسى عليه
 السلام إذ بعث برسولين ثم لما آذوهما بالضرب والسجن بعث بشمعون الصفي رأس الحواريين
 تعزيراً لموقفهما كما قال تعالى ﴿فكذبوهما فعزنا بثالث﴾^(٢) فقالوا لأهل انطاكية ﴿إنا إليكم
 مرسلون﴾ من قبل عيسى عليه السلام ندعوكم إلى عبادة الرحمن وترك عبادة الأوثان ﴿فقالوا ما
 أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ أي ما أنتم إلا تكذبون علينا
 في دعواكم أنكم رسل إلينا فقال الرسل ﴿ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ فواجهوا شك القوم فيهم
 بما يدفع الشك من القسم وتأكيد الخبر بالجملة الاسمية ولام التوكيد فقالوا : ﴿ربنا يعلم إنا
 إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين﴾ أي البين الواضح فإن قبلتم ما دعوناكم إليه فذلك
 حظكم من الخير والنجاة وإن أبيتم فذلك حظكم من الهلاك والخسار . ورد أهل انطاكية على
 الرسل قائلين : ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ أي تشاء منا بكم حيث انقطع عنا المطر بسبيكم فرد عليهم
 المرسلون بقولهم ﴿طائرکم معکم﴾ أي شؤمکم في كفرکم وتكذيبکم ، ولذا حبس الله المطر

(١) اضرب أي اجعل والمثل للتشبيه والمعنى اجعل اصحاب القرية والمرسلين إليهم شهباً لأهل مكة وارسالك إليهم .

(٢) كان هذا بعد رفع عيسى إلا أنه كان بإذن الله تعالى فلذا قال تعالى أرسلنا إليهم .

(٣) قرىء عززنا بالتخفيف والمعنى واحد .

(٤) كان أهل انطاكية من اليهود ومن اليونان .

(٥) وجائز أن يكون قد حدث بينهم تشاجر وتشاحن نتيجة قبول الدعوة من أفراد منهم فحصل بينهم شجار وخلاف لم يألوه فقالوا ما قالوا
 متشائمين ، وفي الحديث : لا عدوى ولا طيرة وإنما الطيرة على من تطير .

• لكن لم تنتهوا من دعواكم بأنكم رسل إلينا بترك ألهتنا لترجمتكم بالحجارة وليمسكنكم منا عذاب اليم .

عليكم . ثم قالوا لهم موبخين لهم : ﴿أئن ذكرتم﴾^(١) أي وعظمتم وخوفتكم بالله لعلكم تتقون تطيرتكم . بل أنتم أيها القوم ﴿مسرّفون﴾ أي متجاوزون الحد في الكفر والشرك والعدوان .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- استحسان ضرب المثل وهو تصوير حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما هنا في قصة حبيب بن النجار .
- ٢- تشابه حال الكفار في التكذيب والإصرار في كل زمان ومكان .
- ٣- لجوء أهل الكفر بعد إقامة الحجة عليهم الى التهديد والوعيد .
- ٤- حرمة التطير والتشاؤم في الإسلام .

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَى قَالَ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ
لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَّرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ
يُرِيدُ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي أَمِنْتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

- وجاء رجلٌ : أي جاء حبيب بن النجار صاحب يس .
من أقصى المدينة : أي من أقصا دور المدينة وهي انطاكيا العاصمة .

(١) الاستهزاء إنكاري ويل للإضراب الانتقالي أضرب عن دعواهم لبطانها وانتقل بهم إلى الحقيقة وهي اسرافهم في الشرك والشر والفساد .

يسمى : أي يشتد مسرعاً لما بلغه أن أهل البلد عزموا على قتل رسل عيسى الثلاثة .

قال يا قوم اتبعوا المرسلين : أي رسل عيسى عليه السلام .
 اتبعوا من لا يسألكم أجراً : اتبعوا من لا يطلبكم أجراً على إبلاغ دعوة الحق .
 وهم مهتدون : أي الرسل إنهم علي هداية من ربهم ما هم بكذابين .
 فطرني : أي خلقتني .
 إن يردن الرحمن بضر : أي بمرض ونحوه .
 ولا ينقذون : أي مما أراد الله لي من ضر في جسمي وغيره .
 إني إذا لقي ضلال مبين : أي إني إذا اتخذت من دون الله آلهة أعبدتها لقي ضلال مبين .
 إني آمنت بربكم فاسمعون : أي صرح قومه بهذا القول وقتلوه .
 قيل ادخل الجنة : قالت له الملائكة عند الموت ادخل الجنة .
 يا ليت قومي يعلمون : قال هذا لما شاهد مقعده في الجنة .
 بما غفر لي ربي وجعلني : وهو الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك .
 من المكرمين

معنى الآيات :

ما زال السياق في مثل أصحاب القرية إنه بعد أن تعزز موقف الرسل الثلاثة وأعطاهم الله من الكرامات ما أبرأوا به المرضى بل وأحيوا الموتى بإذن الله وأصبح لهم أتباع مؤمنون غضب رؤساء البلاد وأرادوا أن يبطشوا بالرسل ، وبلغ ذلك حبيب بن النجار وكان شيخاً مؤمناً موحداً يسكن في طرف المدينة الأقصى فجاء يشتد سعياً على قدميه فأمر ونهى وصارح القوم بإيمانه وتوحيده فقتلوه رؤساً بأرجلهم قال تعالى ﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ - أنطاكية - ﴿رجل يسعى﴾^(١) أي يمشى بسرعة لما بلغه أن أهل البلاد قد عزموا على قتل الرسل الثلاثة وما إن وصل إلى الجماهير الهائجة حتى قال بأعلى صوته : ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ وسأل الرسل هل طلبتم على إبلاغكم

(١) هذا الرجل هو حبيب بن النجار صاحب ياسين كما في الحديث والرجل كان مصاباً بالجذام سنين وشفاه الله تعالى على يد رسل عيسى وبذلك آمن وأسلم وبقي في أرض أنطاكية يعبد الله تعالى حتى بلغه هم أهل المدينة أنطاكية بالبطش بالرسل جاء مسرعاً لينفذ دعوتهم ويدعو إلى الله تعالى بما أخبر به تعالى في هذه الآيات .

(٢) المراد بالمرسلين رسل عيسى الذين أرسلهم بالوصية إليهم إلى أنطاكية من بينهم شمعون الذي عزز به الرسولين قبله .

دعوة عيسى أجراً قالوا لا . فقال ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ فاتبعوهم تهتدوا بهدائيتهم . وقال له القوم وأنت تعبد الله مثلهم ولا تعبد آلهتنا؟ فقال : ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ أي وأي شيء يجعلني لا أعبده وهو خلقتني ﴿واليه ترجعون﴾ أي بعد موتكم فيحاسبكم ويجزيكم بعملكم . ثم اغتنم الفرصة ليدعو إلى ربه فقال مستفهماً ﴿أأخذ من دونه آلهة﴾ أي أصناماً وأوثاناً لا تسمع ولا تبصر ﴿إن يُردن الرحمن بضرًا لا تغن عني شفاعتهم شيئاً﴾^(١) وإن قل ولا ينقذون مما أراده بي من ضر ونحوه ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ أي إني إذا أنا عبدت هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر لفي ضلال مبين واضح لا يحتاج إلى دليل عليه . ورفع صوته مبلغاً ﴿إني آمنت بربكم﴾ أي بخالفكم ورازقكم ومالك أمركم دون هذه الأصنام والأوثان ﴿فاسمعون﴾ وهنا وثبوا عليه فقتلوه . ولما قيل له ادخل الجنة ورأى نعيمها ذكر قومه ناصحاً لهم فقال : ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ أي يعلمون بما غفر له وجعله من المكرمين وهو الإيمان والتوحيد حتى يؤمنوا ويوحدوا فنصح قومه حياً وميتاً وهذا شأن المسلم الحسن الإسلام والمؤمن الصادق الإيمان ينصح ولا يفتش ويرشد ولا يضل ومهما قالوا له وفيه ومهما عاملوه به من شدة وقسوة حتى الموت قتلاً .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١- بيان كرامة حبيب بن النجار الذي نصح قومه حياً وميتاً .
- ٢- بيان ما يلاقي دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان من شدائد وأهوال .
- ٣- وجوب إبلاغ دعوة الحق والتنديد بالشرك ومهما كان العذاب قاسياً .
- ٤- بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنه يرى الجنة رأي العين .

(١) إن يردن ولا تغن ولا ينقذون ، فاسمعون حذف منها كلها ياء المتكلم مراعاة للتخفيف ولظهورها وعدم اللبس مع حذفها ، وجملة إن يردن في محل نصب نعت .

(٢) إني إذا لفي ضلال مبين الجملة جواب للاستفهام الانكاري في قوله أأخذ من دونه آلهة أي إن أتخذت من دون الله آلهة إني في ضلال مبين .

(٣) بما غفر : ما مصدرية تسبك بمصدر نحو بمغفرة ربي لي .

(٤) من المكرمين الملائكة والأنبياء والشهداء والصالحين .

﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا
 كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ
 ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
 يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمَا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ
 أَنَّهُم إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
 ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

- وما أنزلنا على قومه : أي على قوم حبيب بن النجار وهم أهل أنطاكية .
 من بعده : أي من بعد موته .
 من جند من السماء : أي من الملائكة لإهلاكهم .
 وما كنا منزلين : أي الملائكة لإهلاك الأمم التي استوجبت الهلاك .
 إن كانت إلا صيحة واحدة: أي ما هي إلا صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام .
 فإذا هم خامدون : أي ساكتون لا حراك لهم ميتون .
 يا حسرة على العباد : أي يا حسرة العباد هذا أوان حضورك فاحضري وهذا غاية
 التألم . والعباد هم المكذبون للرسول الكافرون بتوحيد الله .
 ما يأتيهم من رسول إلا كانوا : هذا سبب التحسر عليهم .
 به يستهزئون
 ألم يروا كم أهلكنا قبلهم : أي ألم يروا أهل مكة المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم .
 من القرون
 وإن كل لما جميع لدينا : أي وإن كل الخلائق إلا لدينا محضرون يوم القيامة
 محضرون
 لحسابهم ومجازاتهم .

معنى الآيات :

(١) قوله تعالى ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ أي قوم حبيب بن النجار ﴿من بعده﴾ أي بعد موته ﴿من جند من السماء﴾ للانتقام من قومه الذين قتلوه لأنه أنكر عليهم الشرك ودعاهم إلى التوحيد وما كنا منزلين إذ لا حاجة تدعو إلى ذلك . إن كانت إلا صحيحة واحدة من جبريل عليه السلام فإذا هم خامدون أي هلكت ساكنون ميتون لا حراك لهم ولا حياة فيهم وقوله تعالى ﴿يا حسرة على العباد﴾ أي يا حسرة العباد على أنفسهم احضري أيتها الحسرة هذا أوان حضورك ﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ هذا موجب الحسرة ومقتضيها وهو استهزاؤهم بالرسول . وقوله تعالى ﴿ألم يروا﴾ أي أهل مكة ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي ألم يعلموا القرون الكثيرة التي أهلكناها قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود وأصحاب مدين ، ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾ فيكون هذا هادياً لهم واعظاً فيؤمنوا ويوحداً فينجوا من العذاب ويسعدوا . وقوله تعالى ﴿وإن كل﴾ أي من الأمم الهالكة وغيرها من سائر العباد ﴿لما جمع لدينا محضرون﴾ أي إلا لدينا محضرون لفصل القضاء يوم القيامة فينجو المؤمنون ويهلك الكافرون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك أهل انطاكية بصيحة واحدة .
- ٢- إبداء التحسر على العباد من أنفسهم إذ هم الظالمون المكذبون فالحسرة منهم وعليهم .
- ٣- حرمة الاستهزاء بما هو من حرمات الله تعالى التي يجب تعظيمها .
- ٤- طلب العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم ، والعاقل من اعتبر بغيره .
- ٥- تقرير المعاد والحساب والجزاء .

(١) هذا تابع لقصة حبيب بن النجار صاحب ياسين والجملة معطوفة على جملة قيل ادخل الجنة .
 (٢) كون جبريل هو الذي صاح فيهم وارد عند أهل التفسير فإن ثبت عن النبي ﷺ وجب الإيمان به وإلا فلا يجب ولا يلزم الإيمان به إذ جائز أن يكون ملكاً آخر غير جبريل .
 (٣) العباد جمع عبد من عباد الله تعالى والعبيد جمع عبد مملوك للناس .
 (٤) الحسرة شدة الندم مشوباً بتلهف على نفع فائت .
 (٥) الاستثناء مفرغ من أحوال عامة من الضمير في «يأتيهم» أي لا يأتيهم رسول في حال من أحوالهم إلا استهزأوا به .
 (٦) قرأ نافع وإن كل لما بتخفيف الميم وشددها حفص فعلى تخفيفها تكون إن مخففة من الثقيلة واللام هي اللام الفارقة وما مزيدة للتوكيد . وإن قدرت ما نافية وجب تشديد لما إذ تكون بمثابة الاستثناء أي وما كلهم إلا محضرون لدينا .

وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ
وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

- وآية لهم الأرض الميتة : أي على صحة البعث ووجوده لا محالة .
أحييناها : بإنزال المطر عليها فأصبحت حية بالنبات والزروع .
وجعلنا فيها جنات : أي بساتين .
وما عملته أيديهم : أي لم تصنعه أيديهم وإنما هو صنع الله وخلقه .
أفلا يشكرون : أي أفىرون هذه النعم ولا يشكرونها إنه موقف مخز منهم .
سبحان الذي خلق الأزواج كلها أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأصناف كلها .
ومن أنفسهم : أي الذكور والإناث .
ومما لا يعلمون : من المخلوقات كالتي في السموات وتحت الأرضين .

معنى الآيات :

لما تقدم في الآيات قبل هذه تقرير عقيدة البعث والجزاء في قوله وإن كل لما جميع لدينا محضرون ذكر هنا الدليل العقلي على صحة إمكان البعث فقال ﴿وآية لهم﴾ أي على صحة البعث الأرض الميتة التي أصابها المحل فلا نبات فيها ولا زرع أحييناها بالمطر فأنبتت من كل زوج بهيج فهذه آية أي علامة كبرى وحجة واضحة على إمكان البعث إذ الخليفة تموت ولم يبق إلا الله تعالى ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ثم ينزل الله تعالى ماء

(١) وآية لهم مبتدأ والخبر الأرض الميتة . قرأ نافع الميتة بتشديد الياء وسكنها حفص .

من تحت العرش فتحيا البشرية على طريقة الأرض الميتة ينزل عليها المطر فتحيا بالنبات . وهذه المرة تحيا بالبشر إذ يُركب خلقهم من عظم الذئب هو في بطن الأرض لا يتحلل ومنه يركب الخلق كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ في الصحيح . هذا معنى قوله تعالى في الاستدلال على البعث ﴿وَأَيَّة لِّهَمَّ الْاَرْضِ الْمَيِّتَةِ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أي حَبُّ البُرِّ فمنه أي من ذلك يأكلون الخبز. وقوله ﴿وجعلنا فيها﴾ أي في الأرض الميتة جنات أي بساتين من نخيل وأعناب، وفجرنا فيها من العيون أي عيون الماء، هذه مظاهر القدرة والعلم الإلهي وكلها تشهد بصحة البعث وإمكانه وأن الله تعالى قادر عليه وعلى مثله . وقوله تعالى ﴿ليأكلوا من ثمره﴾ أي من ثمر المذكور^(١) من النخل والعنب وغيره . وقوله ﴿وما عملته أيديهم﴾ أي لم تخلقه ولم تكونه أيديهم بل يد الله هي التي خلقتهم أفلا يشكرون يوبخهم على عدم شكره تعالى على ما أنعم به عليهم من نعمة الغذاء . وقوله تعالى ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾ أي تنزيها وتقديسا لله الذي خلق الأزواج كلها ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ يقدره تعالى نفسه وينزهها عن العجز عن إعادة الخلق ويُذكر بآيات القدرة والعلم وهي نظام الزوجية إذ كل المخلوقات أزواج أي أصناف من ذكر وأنثى فالنباتات على سائر اختلافها ذكر وأنثى والناس كذلك وما هو غائب عنا في السموات وفي بطن الأرض أزواج كذلك ولا وترَ أي لا فرد إلا الله تعالى فقد تنزه عن صفات الخلائق، ومنها كان للحياة الدنيا نوع آخر هو لها كالزوج وهي الحياة الآخرة فهذا دليل عقلي من أقوى الأدلة على الحياة الثانية .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي هي القوة الدافعة للإنسان على فعل الخيرات وترك الشرور والمنكرات .

٢- دليل نظام الزوجية وهو آية على أن القرآن وحي الله وكلامه إذ قرر القرآن نظام الزوجية قبل معرفة الناس لهذا النظام في الذرة وغيرها في القرن العشرين .

(١) الثمر بمنزلة الحب للسبيل وهو ما يغلغله النخل والعنب، وقرأه الجمهور بفتح الحين . وقرأه خلافهم بضم الحين .
 (٢) جائز أن يكون ما نافية أي ولم تعمله أيديهم وإنما الله جل جلاله هو الذي أنبته وسخره لهم وجائز أن تكون ما موصولة أي والذي عملته أيديهم من أصناف الحلاوات والأطعمة وما يتخذونه كالخبز والحب وما إلى ذلك وما في التفسير أرجح وأدل على نعم الله وقدرته وقرأ الجمهور ومما عملته بهاء الضمير وقرأ بعض عملت بدونه .
 (٣) الأزواج جمع زوج ويطلق على كل من الذكر والأنثى، وعلى الأصناف المختلفة فإن أريد بالأزواج الذكر والأنثى فمن ابتدائية في المواقع الثلاثة وإن أريد بها الأصناف فمن بيانية في المواطن الثلاثة : ولقوله : ومما لا يعلمون مقابل محذوف تقديره وما يعلمون وهذا من دلالة الإشارة .

٣- وجوب شكر الله تعالى بالإيمان ويطاعته وطاعة رسوله على نعمه ومنها نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أي بالغذاء والماء والهواء.

وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ
فَإِذَا هُمْ مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى
عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ
الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار : وآية لهم على إمكان البعث الليل نسلخ منه النهار أي نزيل النهار عن الليل فإذا هم مظلمون بالليل .

لمستقر لها

: أي مكان لها لا تتجاوزة .
: أي جريها في فلکها تقدير أي تقنين العزيز في ملكه العليم بكل خلقه .

ذلك تقدير العزيز العليم

: وآية أخرى هي تقدير منازل القمر التي هي ثمان وعشرون منزلة .

والقمر قدرناه منازل

: أي حتى رجع كعود العذق الذي أصله في النخلة وآخره في الشماريخ وهو أصفر دقيق مقوس كالقمر لما يكون في آخر الشهر .

حتى عاد كالمرجون القديم

لا الشمس ينبغي لها أن تدرك : أي لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر فيجتمعان في الليل .

القمر

: أي بأن يأتي قبل انقضائه .

ولا الليل سابق النهار

: أي كل من الشمس والقمر والنجوم السيارة في فلک يسبحون أي يسرون والفلک دائرة مستديرة كفلکة المغزل وهو مجرى النيرين والكواكب السيارة .

وكل في فلک يسبحون

معنى الآيات :

ما زال السياق في البرهنة على إمكان البعث ووقوعه لا محالة فقال تعالى ﴿وآية﴾ أي علامة لهم أخرى على قدرة الله على البعث ﴿الليل نسلخ^(١) منه النهار﴾ أي انفصل عنه النهار بمعنى نزيله عنه فإذا هم في الليل مظلّمون أي داخلون في الظلام فهذه آية على قدرة الله على البعث وقوله ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ أي تجري في فلکها منه تبتدىء سيرها وإليه ينتهي سيرها وذلك مستقرها، ولها مستقر آخر وهو نهاية الحياة الدنيا، وإنها لتسجد كل يوم تحت العرش وتستأذن باستئذان دورانها فيأذن لها كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر محمد ﷺ وكونها تحت العرش فلا غرابة فيه فالكون كله تحت العرش وكونها تستأذن فيؤذن لها لا غرابة فيه إذا كانت النملة تدبر أمر حياتها بإذن ربها وتقول وتفكر وتعمل فالشمس أخرى بذلك وأنها تنطق بنطقها الخاص وتستأذن ويؤذن لها وقوله تعالى ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ أي الغالب على مراده العليم بكل خلقه، وتقدير سير الشمس في فلکها بالثانية وتقطع فيه ملايين الأميال أمر عجب ونظام سيرها طوال الحياة فلا يختل بدقيقة ولا يرتفع مستواها شبرا ولا ينخفض شبرا إذ يترتب على ذلك خراب العالم الأرضي كل ذلك لا يقدر عليه إلا الله، أليس المبدع هذا الإبداع في الخلق والتدبير قادر على إحياء من خلق وأمات؟ بلى، بلى إن الله على كل شيء قدير. وقوله تعالى ﴿والقمر قدرناه^(٤) منازل حتى عاد كالمرجون القديم﴾ هذه آية أخرى على إمكان البعث وحتميته والقمر كوكب منير يدور حول الأرض يتنقل في منازل الثمانية والعشرين منزلة بدقة فائقة وحساب دقيق ليعرف بذلك سكان الأرض عدد السنين والحساب إذ لولاه لما عرف يوم ولا اسبوع ولا شهر ولا سنة ولا قرن. فالقمر يبدأ هلالا صغيرا ويأخذ في الظهور فيكبر بظهوره شيئا فشيئا حتى يصبح

(١) السلخ الكشط والنزع كسلخ الشاة من جلدها فيبقى اللحم أبيض كذلك يسلم تعالى النهار من الليل فيبقى الناس في ظلام حالك.

(٢) جائز أن يكون في الكلام حذف أي وآية لهم الشمس تجري وجائز أن يكون الشمس مبتدأ وتجري الجملة خبر أي آية أخرى.

(٣) لمستقر لها جائز أن يكون اللام بمعنى إلى وجائز أن يكون لام الصيرورة والمآل أي يصير أمرها فتؤول إلى مستقرها، والمستقر مكان الاستقرار روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ سأل أبا ذر حين غربت الشمس «أتلدري أين تذهب» قال قلت الله ورسوله أعلم، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تستأذن فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع في مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم.

(٤) جائز أن يكون قدرناه له منازل أو قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بها بمنزل وهي : السرطان، البطين، الشريا، الدبران، الهقمة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الخراتان، الصرقة، العواء، السماك، الغفر، الزبانيان، الأكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخبية، الفرع المقدم، الفرع المؤخر، بطين الحوت. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها.

في نصف الشهر بدرًا كاملاً، ثم يأخذ في الأقول والاضمحلال بنظام عجب حتى يصبح في آخر الشهر كالعرجون القديم أي كعود العرجون أصفر دقيق مقوس كل ذلك لفائدة الإنسان الذي يعيش على سطح هذه الأرض اليس هذا آية كبرى على قدرة الله العزيز العليم على إعادة الحياة لحكمة الحساب والجزاء؟ بلى إنها آية كبرى فقله ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي لا يسهل على الشمس ولا يصح منها أن تدرك القمر فيذهب نوره بل لكل سيره فلا يلتقيان إلا نادراً في جزء معين من الأفق فيحصل خسوف القمر وكسوف الشمس. وقوله ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ بل كل من الليل والنهار يسير في خط مرسوم لا يتعداه فلذا لا يسبق الليل النهار ولا النهار الليل فلا يختلطان إلا بدخول جزء من هذا في هذا وجزء من ذلك في ذا^(١) وهو معنى ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وقوله ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ أي كل واحد من الشمس والقمر والكواكب السيارة في فلك يسبحون فلذا لا يقع فيها خلط ولا ارتطام بعضها ببعض إلى نهاية الحياة فيقع ذلك ويخرب الكون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على إمكان البعث ووقوعه حتماً.
- ٢- ذكر القرآن لأمر الفلك التي لم يعرف عنها الناس اليوم إلا جزء يسير آية عظمى على أنه وحي الله وأن من أوحى إليه هو رسول الله قطعاً.
- ٣- ما ذكره القرآن عن الكون العلوي من الوضوح بحيث يعرفه الفلاح والراعي كالعالم المتبحر والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك لتقوم الحججة على الناس إن هم لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوه في عبادته ويخلصوا له في طاعته وطاعة رسوله.

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ

(١) هذا لأن سير القمر سريع وسير الشمس دونه فلا تدركه.

(٢) لم يقل تسبح لأنه وصفها بوصف العقلاء يسبحون، أي يجرون وحيه بضمير الجمع وهما اثنان الشمس والقمر لا غير لإفادة تعميم هذا الحكم فيشمَل الكواكب أيضاً.

(٣) هذا لما بين بينها من أبعاد لا يقادر قدرها ولا يعرف مداها إلا الله خالقها فلذا لا يدرك بعضها بعضاً لشدة الأبعاد بين مداريها.

وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
 قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
 وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ
 ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

آية لهم : أي وعلامة لهم على قدرتنا على البعث .

أنا حملنا ذريتهم : أي ذريات قوم نوح الذين أهلكناهم بالطوفان . نجينا ذريتهم لأنهم
 مؤمنون موحدون وأغرقنا آباءهم لأنهم مشركون .

في الفلك المشحون: أي في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف .
 وخلقنا لهم من مثله : أي من مثل فلك نوح مايركبون .

فلا صريخ لهم : أي مغيث ينجيهم فيكف صراخهم .

ومتاعاً إلى حين : أي وتمتعاً لهم بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم .

اتقوا ما بين أيديكم : أي من عذاب الدنيا أي بالإيمان والاستقامة .

وما خلفكم : أي من عذاب الآخرة إذا أصررتهم على الكفر والتكذيب .

وما تأتيتهم من آية : أي وما تأتيتهم من آية أو من حجة من حجج القرآن وبيّنة من بيناته الدالة

على توحيد الله وصدق الرسول إلا كانوا عنها معرضين غير ملتفتين إليها ولا

مبالين بها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في عرض الآيات الكونية للدلالة على البعث والتوحيد والنبوة فقال تعالى ﴿وآية لهم﴾ أي أخرى غير ما سبق ﴿أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾^(١) أي حملنا ذرية قوم نوح

(١) قرأ نافع ذريتهم جمع ذرية وقرأ حفص بالإفراد ذريتهم اسم جمع فهو بمعنى ذرياتهم . لفظ الذرية وإن كان أساساً يطلق على الأولاد فإنه أطلق هنا على الآباء والأجداد إذ الكل هم ذرية لآدم عليه السلام والمشحون الموقر بما حمل فيه من سائر المخلوقات .

المؤمنين فأنجيناهم بإيمانهم وتوحيدهم وأغرقنا المشركين فهي آية واضحة عن رضا الله تعالى عن المؤمنين الموحدين وسخطه على الكافرين المشركين المكذبين إن في هذا الإنجاء للموحدين والإغراق للمشركين آية وعبرة لو كان مشركو قريش في مكة يفقهون . وقوله تعالى ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وهذه آية أخرى أيضا وهي أن الله أنجى الموحدين في فلك لم يسبق له مثيل ثم خلق لهم مثله ما يركبون إلى يوم القيامة ولو شاء عدم ذلك لما كان لهم فلك إلى يوم القيامة . وآية أخرى ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ وهي قدرته تعالى على إغراق ركاب السفن الكافرين وإن فعلنا لم يجدوا صارخا ولا مغيثا يغيثهم وينجيهم من الغرق ﴿إلا رحمة منا﴾ اللهم إلا رحمتنا فإنها تنالهم فتنجيهم ليتمتعوا في حياتهم بما كانوا يتمتعون به إلى حين حضور آجالهم المحدودة لهم . وقوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون﴾ أي وإذا قيل لهؤلاء المكذبين بآيات الله المعرضين عن دينه المشركين به اتقوا ما بين أيديكم من العذاب حيث موجبه قائم وهو كفركم وعنادكم ، وما خلفكم من عذاب الآخرة إذ مقتضيه موجود وهو الشرك والتكذيب رجاء أن ترحموا فلا تعذبوا أعرضوا كأنهم لم يسمعوا . وقوله ﴿وما تأتيهم من آية من آيات﴾ كلام ربهم القرآن الكريم تحمل الحجج والبراهين على صحة ما يدعون إليه من الإيمان والتوحيد إلا كانوا عنها معرضين تمام الإعراض كأن قلوبهم قُدت من حجر والعياذ بالله تعالى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان فضل الله على البشرية في إنجاء ذرية قوم نوح الكافرين ومنهم كان البشر وإلا لو أغرق الله الجميع المؤمنين الذرية والكافرين الآباء لم يبق في الأرض أحد .
- ٢- حماية الله تعالى للعباد ورعايته لهم وإلا لهلكوا أجمعين ولكن أين شكرهم؟
- ٣- بيان إصرار كفار قريش وعنادهم الأمر الذي لم يسبق له مثيل .
- ٤- الإشارة بالمثلية في قوله ﴿من مثله﴾ إلى تنوع السفن من البوارج والغواصات والطربيدات الحربية .

(١) الصريخ هو الصارخ وهو المستغيث المستنجد تقول العرب جاءهم الصريخ أي المنكوب المستنجد لينقذوه وهو فعيل بمعنى فاعل .

(٢) الاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن لأن الرحمة ليست من جنس المستثنى منه وهو الصريخ .

(٣) جواب إذا محذوف تقديره أعرضوا وقد ذكر في التفسير .

(٤) الجملة واقعة موقع التذليل وتحمل معنى التأكيد لما سبق من معنى وهو أنهم إذا دعوا إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء أعرضوا ولم يستجيبوا .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي
 ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
 ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
 وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ
 ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ
 وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا الصَّيْحَةُ
 وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ
 نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُحْزَنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

وإذا قيل لهم انفقوا : أي وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين انفقوا
 علينا.

مما رزقكم الله : أي من المال.

أنطعم من لو يشاء الله أطعمه : أي قالوا للمؤمنين استهزاء بهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه .

إن أنتم إلا في ضلال مبين : أي ما أنتم أيها الفقراء إلا في ضلال مبين في اعتقادكم الذي
 أنتم عليه .

متى هذا الوعد : أي البعث الآخر إن كنتم صادقين فيه .

ما ينتظرون إلا صيحة واحدة : أي ما ينتظرون إلا صيحة واحدة وهي نفخة إسرافيل .

تأخذهم وهم يخصمون : أي تأخذهم الصيحة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل

والشرب إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون .
 فلا يستطيعون توصية : أي فلا يقدر أحدهم أن يوصي وصية .
 ولا إلى أهلهم يرجعون بل يهلكون في أماكنهم من الأسواق والمزارع والمصانع أو
 المقاهي والملاهي .
 فإذا هم من الأجدات : أي القبور إلى ربهم ينسلون أي يخرجون بسرعة .
 قالوا يا ويلنا من بعثنا من مردنا : أي قال الكفار : من بعثنا من قبورنا؟
 هذا ما وعد الرحمن : أي هذا ما وعد به الرحمن وصدق المرسلون أي فيما أخبروا
 به .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم﴾ ⁽¹⁾ أي وإذا قيل لأولئك المشركين المكذبين الملاحدة والقاتل هم
 المؤمنون فقد روي أن أبا بكر الصديق كان يطعم مساكين المسلمين فلقبه أبو جهل فقال يا أبا
 بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال : نعم . قال : فما باله لا يطعمهم؟ قال ابتلى قوماً
 بالفقر وقوماً بالغنى وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل، والله يا أبا بكر
 إن أنت إلا في ضلال مبين . أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم
 أنت فنزلت هذه الآية وبهذه الرواية اتضح معنى الآية الكريمة ﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للكفار
 ﴿انفقوا مما رزقكم الله﴾ على المساكين ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا﴾ الأمرين لهم بالإففاق
 ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ قالوا هذا استهزاء وكفرا ﴿إن أنتم﴾ أي ما أنتم أيها المسلمون
 ﴿إلا في ضلال مبين﴾ أي إلا في ذهاب عن الحق وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبر فيه .
 وقوله ﴿ويقولون متى﴾ ⁽²⁾ هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿أي ويقول أولئك الملاحدة المكذبون بالبعث
 استهزاء واستعجالاً : متى هذا الوعد الذي تعدوننا به أيها المسلمون إن كنتم صادقين في
 دعواكم .

(1) اختلف في من هذه قوله؟ وما في التفسير أنها قوله أبي جهل لأبي بكر أرجحها وأقربها إلى واقع الحال والصدق بالسياق
 ولا مانع أن يقولها الزنادقة والملاحدة والمستهزئين في كل زمان ومكان .

(2) الاستفهام للاستبعاد وهو مشوب بالسخرية والاستخفاف لأنه ناجم عن قلوب مظلمة من جراء الكفر والإلحاد قال
 الشاعر:

متى بات هذا الموت لا يُلب حاجة لنفس إلا قد قضيت قضاءها

والشاهد في الاستخفاف .

قال تعالى ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ وهي نفخة اسرافيل في الصور وهي نفخة الفناء ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾^(١) أي يختصمون في أسواقهم يبيعون ويشترون، وفي مجالسهم العامة والخاصة إذ تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون قال تعالى ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ يوصي بها أحدهم لابنه أو أخيه، ولا إلى أهلهم أي منازلهم وأزواجهم وأولادهم يرجعون بل يصعقون في أماكنهم. وقوله تعالى ﴿ونفخ في الصور﴾ أي صور إسرافيل وهو قرن ويقال له البوق أيضا نفخة البعث من القبور أحياء فإذا هم من الأجداث جمع جدث وهو القبر ينسلون أي ماشين مسرعين إلى ربهم لفصل القضاء والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه في هذه الدنيا من إيمان وكفر وإحسان وإساءة وعدل وظلم. قالوا يا ويلنا أي نادوا ويلهم وهلاكهم لما شاهدوا من أهوال الموقف ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾^(٢) وأجابهم المؤمنون بقولهم ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ إذ واعدنا الله بلقائه وأخبرتنا الرسل به وبتفاصيله وقوله تعالى ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ أي ما هي إلا صيحة واحدة لإسرافيل فإذا الكل واقف بين يدي الله تعالى ليحاسب ويجزي قال تعالى ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيئا﴾ أي في هذا اليوم الذي وقفت الخليقة فيه بين يدي ربها لا تظلم نفس شيئا لا بنقص حسنة من حسناتها ولا بزيادة سيئة على سيئاتها. ولا تجزون أيها العباد إلا ما كنتم تعملون من خير وشر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- بيان علو الكافرين وطفئانهم وسخريتهم واستهزائهم، وذلك لظلمة الكفر على قلوبهم.
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مبادئها ونهاياتها.
- ٣- الساعة لا تأتي إلا بغتة.
- ٤- الانقلاب الكوني الذي يحدث لعظمه اختلفت آراء أهل العلم في تحديد النفخات فيه

(١) يخصمون بمعنى يختصمون في أمور دنياهم فيموتون في أماكنهم وقد ادغمت التاء في الصاد فتفتح عن ذلك قراءة أشهرها قراءة نافع يخصمون بفتح الخاء وكسر الصاد مشددة وقرأ حفص يخصمون بكسر الخاء والصاد المشددة وقرأ قالون يخصمون بسكون الخاء مع الاختلاس.

(٢) قال ابن عباس وقادة ينسلون يخرجون ومنه قول امرء القيس: فسلي ثيابي من ثيابك تسلي ومنه قيل للولد نسل لأنه يخرج من بطن أمه وقيل يسرعون، والنسلان والفسلان الإسراع في السير ومنه مشية الذئب قال:

عسلان الذئب امسى قارباً برد الليل عليه فنسل

(٣) جائز أن يكون هذا ما وعد الرحمن الخ من كلامهم لما يجدون أنفسهم واقفين أحياء قد خرجوا من قبورهم صرخوا بالحقيقة التي كانوا يكذبون بها فاعترفوا قائلين: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون، وجائز أن يقال لهم كما في التفسير، فإن قلنا بالقول الأول لا يصح الوقف على من مرقداً، وإن قلنا بالقول المثبت في التفسير صح الوقف ويصبح هذا ما وعد الرحمن كلاماً مستأنفاً.

والظاهر أنها أربع نفخة الفناء والثانية نفخة البعث والثالثة نفخة الفرع^(١) والصعق والرابعة نفخة القيام بين يدي رب العالمين.

٥- تقرير العدل الإلهي يوم الحساب والجزاء ليطمئن كل عامل على أنه يجزى بعمله لا غير.

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ
فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَكْهَةٌ وَلَهُمْ
مَائِدَعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

في شغل فكهون : أي أهل الجنة في شغل عما فيه أهل النار من عذاب وشقاء .
وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام .
فكهون : أي ناعمون بالتلذذ بالنعم وذلك لطيب العيش .
على الأرائك : أي الأسرة ذات الحجلة .
ولهم ما يدعون : أي ما يتمنون ويطلبون .
سلام قولاً من رب رحيم : أي سلام بالقول من رب رحيم أي يسلم عليهم ربهم سبحانه وتعالى .

معنى الآيات :

ما إن حضروا بين يدي الله سبحانه وتعالى للحساب والجزاء حتى أعلن عما يلي : إن أصحاب الجنة اليوم^(٢) في شغل فكهون أي إنهم في شغل عما فيه أصحاب النار إنهم في شغل بالنعيم المقيم فكهون أي ناعمون بالتلذذ بالوان المطاعم والمشارب والحوار العين إنهم وأزواجهم في ظلال الجنة على الأرائك أي الأسرة ذات الحجلة متكئون . لهم فيها أي في دار السلام فاكهة

(١) هذه النفخة مختلف فيها ودليلها حديث البخاري إذ فيه يقول الرسول ﷺ «فأكون أول من يفيق فإذا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش ولا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله تعالى» .

(٢) قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد : شغلهم افتضاض العذارى وقيل شغلهم زيارة بعضهم بعضاً، والشغل بضم الشين وسكون العين ويجوز ضم العين مع الشين .

(٣) فكهون بالألف وفكهون بدونه كفرحين لغتان وفسر بفرحين ومعجبين وبمسرورين والكل صحيح إذ هو من جملة النعيم الذي هم فيه .

(٤) الأرائك جمع أريكة كسفيئة وسفائن قال الشاعر:

كان احمرار الورد فوق غصونه بوقت الضحى في روضه المتضاحك
خحدود عذارى قد خجلن من الحياء تهادين بالريحان فوق الأرائك

من كل زوج ولون ونوع ولهم ما يدعون أي ما يتمنون ويطلبون، وأعظم من ذلك سلام الرب تعالى عليهم سلام قولاً من رب رحيم أي سلام من الله بالقول لا بغيره من أنواع السلامة والسلام. فقد روى البغوي أن رسول الله ﷺ قال بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ يسطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله تعالى سلام قولاً من رب رحيم فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير المعاد.

٢- بيان نعيم الجنة.

٣- سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إلى وجهه الكريم.

وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ

أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِءَ آدَمَ أَنْ لَا

تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا

أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ

﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ

عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا

الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ

(١) استئناف قطع من أن يعطف على ما قبله للاهتمام بمضمونه وسلام مرفوع بالابتداء وهو نكرة وتنكيره للتعظيم ولذا صح الابتداء به وحذف الخبر للدلالة المصدر وهو قولاً عليه، والتقدير سلام يقال لهم قولاً من الله تعالى، ومن ابتدائية، وتنوين رب للتعظيم.

عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
 ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

وامتازوا اليوم أيها المجرمون : أي انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة وسيروا أيها الصالحون إلى الجنة .

ألم أعهد إليكم : أي ألم أوصيكم بترك عبادة الشيطان وهي طاعته .
 وأن اعبدوني : أي ويأمن تعبدوني وحدي وذلك في كتبي وعلى السنة رسلي .
 هذا صراط مستقيم : أي بترك عبادة الشيطان والقيام بطاعة الرحمن . هو الإسلام الموصل إلى دار السلام .

ولقد أضل منكم جبلا كثيرا : أي ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقا كثيرا .
 أفلم تكونوا تعقلون : أي اطعموه فلم تكونوا تعقلون عداوته لكم .

هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون : أي تقول لهم الملائكة هذه جهنم . . . الخ .
 اليوم نختم على أفواههم ^(١) : أي عندما يقولون : والله ربنا ما كنا مشركين .
 ولو نشاء لطمسنا على أعينهم : أي ولو أردنا طمس أعين هؤلاء المشركين المجرمين لफलنا، ولكننا لم نشأ ذلك رحمة منا .

فاستبقوا الصراط : أي فابتدروا الطريق كعادتهم فكيف يبصرون .
 ولو نشاء لمسخناهم على : أي بدلنا خلقهم حجارة أو قردة أو خنازير في امكتهم التي مكانتهم
 هم فيها فلا يستطيعون مضيا ولا يرجعون .

ومن نعلمه ننكسه في الخلق : أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفا عاجزا .

أفلا يعقلون : أي أن القادر على ما ذكرنا لكم قادر على بعثكم بعد موتكم .

: فتؤمنون وتوحدون فتنجون من العذاب وتسعدون .

(١) روى مسلم عن أنس بن مالك قال كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ﷺ أتسدون مما أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال ﷺ من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجزني من الظلم؟ فيقول بلى فيقول لا أجير علي إلا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتيبين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي بعمله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسحقاً فتمكّن كنت أناضل .

معنى الآيات :

(١)

قوله تعالى ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ أي يأمر تعالى المجرمين وهم الذين أجزموا على أنفسهم بالشرك وارتكاب المعاصي فأفسدوها يأمرهم بأن يتميَّزوا عن المؤمنين فينفردوا وحدهم ويسار بأهل الجنة إلى الجنة، ثم يوبخ تعالى المجرمين أهل النار بقوله ﴿ألم أعهد إليكم﴾^(١) موصياً إياكم على السنة رسلي وفي كتبي بأن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدومين، وبأن تعبدوني وحدي، ولا تعبدوا الشيطان معي فتشركوه في عبادتي هذا صراط مستقيم أي ترك عبادة الشيطان والقيام بعبادة الرحمن هذا هو الإسلام الصراط المستقيم الذي لا ينتهي بالسالكين إلا إلى باب دار السلام. وقوله ﴿ولقد أضل منكم جبلاً﴾ أي خلقا كثيرا هذا من كلام الله الموبخ به للمجرمين. وقوله ﴿أفلم تكونوا تعقلون﴾ وهذا تقريع وتوبيخ أيضا أي اطعمتموه وهو عدوكم وعصيتموني وأنا ربكم فلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم، وواجب عبادتي عليكم لأنني خلقتكم ورزقتكم وكلا تكم الليل والنهار إذا فهذه جهنم^(٢) التي كنتم بها تكذبون اصلوها أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون بالله وآياته ولقائه وتكذبون رسله. وقوله تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ هذا يحدث لما يعرضون على ربهم فيعرض عليهم أعمالهم فينكرون فعندئذ يختم الله على أفواههم فلا يستطيعون الكلام وتنطق باقي جوارحهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ فأعميناهم ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي ابتدروا الطريق كعادتهم فأنى يبصرون الطريق وقد طمس على أعينهم فلا مقلة فيها ولا حاجب، ولكن الله لم يشأ ذلك لرحمته وحلمه على عباده، وقوله ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكائهم﴾ أي ولو نشاء مسخ هؤلاء المجرمين من المشركين لمسخناهم في أماكنهم من منازلهم فلا يستطيعون مضيا في الطريق ولا رجوع إلى خلف أي لا ذهاباً ولا إياباً، وقوله تعالى ﴿ومن نعمرهُ ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾ فزده رأساً على عقب

(١) يقال مازه فانماز وامتاز، وميزه فتميز وامتازوا أمر من امتاز ويمتاز إذ انفرد عما كان مختلطاً به، والمراد بذلك سوقهم إلى النار بعد أن دخل المؤمنون الجنة.

(٢) الاستفهام للتقرير والتوبيخ على إيمانهم وصيته تعالى إليهم بأن لا يعبدوا الشيطان.

(٣) قوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون الاستفهام للتقريع والتأنيب.

(٤) قوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون أي على السنة رسلي فكذبتم بها وواصلتم شرككم وكفرتم. اصلوها اليوم أي احترقوا بها بما كنتم تكفرون أي بسبب كفركم الذي دس نفوسكم ونخبها فحرمتم بذلك دار السلام.

(٥) المكائنة تأنيث المكان على تأويله بالبقعة.

(٦) قرأ الجمهور نكسه بفتح النون الأولى وسكون الثانية مضارع نكس رأسه وقرأها عاصم نكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة.

فكما كان طفلا ينمو شيئا فشيئا في قواه العقلية والبدنية حتى شب واکتهل فكذلك ننكسه في خلقه فيأخذ يضعف^(١) في قواه العقلية والبدنية يوما فيوما حتى يصبح أضعف عقلا وبدنا منه وهو طفل . وقوله أفلا تعقلون أيها المكذبون المجرمون أن القادر على هذا وغيره وعلى كل شيء يريد قادر على أن يحييكم بعد موتكم ويبعثكم من قبوركم ويحاسبكم ويجزيكم بأعمالكم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير المعاد وبيان مواقف منه .
- ٢- تأكيد عداوة الشيطان للإنسان .
- ٣- عجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيء أعماله وفاسدها .
- ٤- التحذير من عقوبة الله في الدنيا بالمسخ ونحوه .
- ٥- مظاهر قدرة الله تعالى في رد الإنسان بعد القوة إلى حالة الضعف الأولى .

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٧١﴾
 لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾
 أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
 مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
 وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ ۗ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَتَّخِذُوا
 مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
 نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
 إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

(١) قال سفيان إذا بلغ المرء ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته قال الشاعر:
 من عاش اخلقت الأيام جدته وخانه ثقتاه السمع والبصر

شرح الكلمات :

وما علمناه الشعر

: أي وما علمنا رسولنا محمد ﷺ الشعر فما هو شاعر.

وما ينبغي له

: أي وما يصلح له ولا يصح منه .

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين

: أي ليس كما يقول المشركون من أن القرآن شعر ما هو أي القرآن الذي يقرأ محمد ﷺ إلا ذكر أي عظة وقرآن مبين لا يشك من يسمعه أنه ليس بشعر لما يظهر من الحقائق العلمية .

لينذر من كان حياً

: أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون .

ويحق القول على الكافرين

: أي ويحق القول بالعذاب على الكافرين لأنهم ميتون لا يقبلون النذارة .

أنعاما فهم لها مالكون

: الأنعام هي الإبل والبقر والغنم .

وذلكناها لهم

: أي سخرنها لهم وجعلناهم قاهرين لها يتصرفون فيها .

فمنهاركوبهم ومنها يأكلون

: أي من بعضها يركبون وهي الإبل ومنها يأكلون أي ومن جميعها يأكلون .

ولهم فيها منافع ومشارب

: المنافع كالصوف والوبر والشعر، والمشارب الألبان

أفلا يشكرون

: أي يوبخهم على عدم شكرهم الله تعالى على هذه النعم بالإيمان والطاعة .

واتخذوا من دون الله آلهة

: أي أصناماً يعبدونها زعماً منهم أنها تنصرهم بشفاعتها لهم عند الله .

لا يستطيعون نصرهم

: أي لا تقدر تلك الأصنام على نصرهم بدفع العذاب عنهم .

وهم لهم جند محضرون

: أي لا يقدرون على نصرتهم والحال أنهم أي المشركين جند محضرون . لتلك الآلهة ينصرونها من أن يمسخها أحد بسوء فبدل أن تنصرهم هم ينصرونها كجند معبثون لنصرتها .

فلا يحزنك قولهم

: أي إنك لست مرسلأ وإنك شاعر وكاهن ومفتر .

إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون : أي أنهم ما يقولون ذلك إلا حسداً وهم يعلمون أنك رسول

الله وما جئت به هو الحق وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم

بنا وبلقائنا وديننا الحق .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وما علمناه الشعر﴾^(١) ردّ على المشركين الذين قالوا في القرآن شعر وفي الرسول شاعر فقال تعالى ﴿وما علمناه﴾ أي نبينا محمد ﷺ ﴿الشعر﴾^(٢) وما ينبغي له ﴿أي لا يصح منه ولا يصلح له﴾. ﴿إن هو إلا ذكر﴾ أي ما هو الذي يتلوه إلا ذكر يذكر به الله وعظة يتعظ به المؤمنون ﴿وقرآن مبین﴾ مبین للحق مظهر لمعالم الهدى أنزلناه على عبدنا ورسولنا لينذر به من كان حياً أي القلب والضمير لإيمانه وتقواه لله ويحق أي به القول وهو العذاب على الكافرين لأنهم لا يهتدون به فيعيشون على الضلال ويموتون عليه فيجب لهم العذاب في الدار الآخرة. وقوله ﴿أولم يروا﴾ أي أعمى أولئك المشركون ولم يروا مظاهر قدرتنا وإحساننا الموجبة لعبادتنا وهي ﴿أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه، والمراد بالأنعام المشية من إبل وبقر وغنم وقوله ﴿وذللناها لهم﴾ أي سخرناها لهم بحيث يركبون ويحلبون ويحملون وينحرون ويذبحون ويأكلون، ولولا هذا التسخير لما قدروا عليها أبداً. وقوله ﴿ولهم فيها منافع ومشارب﴾ المنافع كالصوف والوبر والشعر ﴿والمشارب﴾ جمع مشرب وهي الألبان في ضروعها يحلبون منها ويشربون. وقوله ﴿أفلا يشكرون﴾ يوبخهم على أكل النعم وعدم الشكر عليها، وشكر الله عليها هو الإيمان به وتوحيده في عبادته. وقوله ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ أي اتخذ أولئك المشركون آلهة هي أصنامهم التي يعبدونها لعلمهم ينصرون أي رجاء نصرتها لهم وذلك بشفاعتها لهم عند الله تعالى كما يزعمون. قال تعالى في إبطال هذا الرجاء وقطعه عليهم ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر وقوله ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي والحال أن المشركين هم جند تلك الأصنام محضرون ، عندها يدافعون عنها ويحمونها ويغضبون لها فكيف ينصرك من هو مفتقر إلى نصرتك. وقوله تعالى ﴿فلا يحزنك قولهم﴾^(٤) أي لا تحزن لما يقول قومك من أنك لست مرسلًا، وأنتك شاعر

(١) انه ﷺ مع اصالته في الأدب الرفيع وكيف وهو قرشي مضري لا يحسن إنشاد بيت من الشعر حتى إنه أنشد يوماً بيت طرفه فقال:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك من لم تزوده بالأخبار

فقال أبو بكر والله إنك لرسول الله إذ عجز البيت هكذا ويأتيك بالأنباء من لم تزود.

(٢) وما علمناه الشعر أي وما أوحينا إليه شعراً وما علمناه إياه.

(٣) مما عملت (ما) موصولة بمعنى الذي وحذف العائد وهو الضمير لطول الاسم أي عملته. وإن قلناه «ما» مصدرية فلا حاجة إلى مراعاة العائد ولا تقديره.

(٤) قرىء يحزنك بضم الياء من أحزنه يحزنه وقرىء يحزنك بفتح الياء وضم الزاي، والنهي عن الحزن نهي عن أسبابه الموجبة له، إذ الحزن لا يملك الإنسان دفعه ولكن يستطيع تجنب مشيراته والمراد من هذا النهي تسلية الرسول ﷺ عما يواجهه به المشركون من أنه ساحراً أو شاعراً وما إلى ذلك.

(١) وساحر وكاهن إلى غير ذلك من أقاويلهم، ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ وسنجزيهم عن قولهم الباطل ونأخذهم بكذبهم وافتراءهم عليك كما نحن نعلم أنهم ما قالوا الذي قالوا إلا حسداً لك، وإلا فهم يعلمون أنك رسول الله وما أنت بالساحر ولا الشاعر ولا المجنون، ولكن حملهم على ما يقولون الحسد والعناد والكبر.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعر كما يقول المبطلون .
- ٢- الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول الأحياء من أهل الإيمان .
- ٣- بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لا يقرأونه عليهم وعظاً لهم وإرشاداً وتعليماً وتذكيراً .
- ٤- وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها، وصرفها في مرضاة واهبها وحمده عليها .
- ٥- بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناماً يرجون نصرها وهم جند معبأ لنصرتها من أن يمسخها أحد بسوء .

أَوْلَمَرَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا

خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا

مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ

مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

بِقَدْرِ عَلِيٍّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾

(١) جملة إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون جملة تذييلية المراد منها أمران تطمين الرسول ﷺ على كفاية الله تعالى له وإن كيدهم لا يضره وتهديد للمشركين بإعلامهم أن الله مطلع على ما يمكرون وسنجزيهم به .

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
 فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

شرح الكلمات :

- أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه : أي المنكر للبعث كالعاصي بن وائل السهمي ، وأبي بن خلف .
 أي من مني إلى أن صيرناه رجلا قويا .
 أي شديد الخصومة بينها في نفي البعث .
 أي في ذلك ، إذ أخذ عظما وفته أمام رسول الله وقال أحيي ربك هذا؟
 أي وأنه مخلوق من ماء مهين وأصبح رجلا يخاصم فالقادر على الخلق الأول قادر على الثاني .
 من يحيى العظام وهي رميم : أي وقد رمّت وبلت .
 من الشجر الأخضر نارا : أي من شجر المرخ والعفرار يحك أحدهما على الآخر فتشتعل النار .
 بقادر على أن يخلق مثلهم : أي مثل الأناسي .
 بلى : أي قادر على ذلك إذ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس .
 إذا أراد شيئا : أي خلق شيء وإيجاده .
 بيده ملكوت : أي ملك كل شيء ، زيدت التاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه .
 وإليه ترجعون : أي تردون بعد الموت وذلك في الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير عقيدة البعث والجزاء تلك العقيدة التي يتوقف عليها غالباً هداية الإنسان وإصلاحه فقال تعالى رداً على العاصي بن وائل السهمي وأبي بن خلف حيث جاء إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم ففته وذراه وقال أتزعم يا محمد أن الله يبعث هذا؟ فقال رسول الله

(١) ﴿نعم يَميتك ثم يحييك ثم يحشرك إلى جهنم ونزلت هذه الآيات ﴿أو لم ير الإنسان﴾ أي أنكروا البعث وهو يعلم أنا خلقناه من نطفة أي من ماء مهين وسوينا رجلاً فإذا هو خصيم لنا أي مخاصم يرد علينا ويشرك بنا وينكر إحياءنا للأموات وبعثهم يوم القيامة فكيف يعنى هذا العمى ويجهل هذا الجهل القبيح ، إذ القادر على البدء قادر عقلاً على الإعادة وهي أهون عليه . وقوله ﴿وضرب لنا﴾ أي هذا المنكر للبعث مثلاً أي جعل لنا مثلاً وهو انكاره علينا قدرتنا على البعث حيث جعل إعادتنا للخلق أمراً عجباً وغريباً إذ قال ﴿من يحيى العظام وهي رميم﴾ أي قد رمت وبليت . ونسى خلقه من ماء حقيق وكيف جعله الله بشراً سوياً يجادل ويخاصم فلو ذكر أصل نشأته لخبجل أن ينكر إحياء العظام وهي بالية رميم؟ ولما قال من يحيى العظام وهي رميم؟ . وقوله تعالى ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ وهذا هو القياس العقلي الجلي الواضح إذ بالبداهة أن من أوجد شيئاً من العدم قادر على إيجاد مثله . وقوله ﴿وهو بكل خلق﴾ أي مخلوق عليم فالعلم والقدرة إذا اجتمعا كان من السهل إيجاد ما أُعدم بعد أن كان موجوداً فأعدم لاسيما أن الموجد من العدم هو المخبر بالإعادة ويقدرته عليها .

هذا برهان قطعي وثاني برهان في قوله ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ أي النار وتشعلونها، ووجه الاستدلال أن البعث لو كان مستحيلاً عقلاً وما هو بمستحيل بل هو واجب الوقوع لكان على الله غير مستحيل لأن الله تعالى قد أوجد من المستحيل ممكناً وهو النار من الماء، إذ الشجر الأخضر^(٤) ماء سار في أغصان الشجرة . ومع هذا يوجد منها النار، فكان هذا برهاناً عقلياً يسلم به العقلاء ولا ينازعون فيه أبداً، وبرهان ثالث وهو في قوله ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟﴾ ووجه البرهنة فيه أننا ننظر إلى السموات السبع وما فيها من خلق عجيب وإلى الأرض وما فيها كذلك وننظر إلى الإنسان فنجد

(١) روي أيضاً أن العاصم بن وائل أتى النبي ﷺ بعظم حائل فقال يا محمد أتري أن الله يحيى هذا بعد ما رم؟ فقال النبي ﷺ نعم ويحيئك الله ويدخلك النار فنزلت هذه الآية .

(٢) يقال رمّ العظم يرم فهو رميم ورمام وقال رميم ولم يقل رميمة لأنها معدولة عن فاعله نحو بغيًا لم يقل بغية لأنه معدول عن باغية

(٣) هذا الكلام مستأنف ابتدائياً الغرض إقامة الحجة العقلية على صحة البعث وإمكانه وهو ما أنكره المشركون واستبعدوه فذكر لهم أن الذي يخرج من الماء الرطب البارد النار وهما لا يجتمعان ، قادر على إخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير .

(٤) قال القرطبي يعني بالآية مع في المرخ والغفار وهي زنادة العرب التي يشعلون بها النار، ومن ذلك قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والغفار .

لا شيء إذا قوبل بالسموات والأرض فنحكم بأن من خلق السموات والأرض على عظمها قادر من باب أولى على خلق الإنسان مرة أخرى بعد موته وبلاؤه وفنائه . ولذا أجاب تعالى عن سؤاله بنفسه فقال ﴿بلى وهو الخلاق العليم﴾^(١) أي الخلاق لكل ما أراد خلقه العليم بكل مخلوقاته لا يخفى عليه شيء منها، وبرهان رابع في قوله ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ ووجه الاستدلال أن من كان شأنه في إيجاد ما أراد إيجاده أن يقول له كن فهو يكون . لا يستنكر عليه عقلاً أن يحيي الأموات بكلمة كونوا أحياء فيكونون كما طلب منهم .
وأخيراً ختم هذا الرد المقنع بتزويه نفسه عن العجز فقال ﴿فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾^(٢) أي ملك كل شيء ﴿واليه ترجعون﴾ أحببتهم أم كرهتم أيها الأدميون منكروين كنتم للبعث أم مقرين به مؤمنين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد أربعة براهين قاطعة .
- ٢- مشروعية استعمال العقلية في الحجج والمجادلة .
- ٣- تنزيه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص .
- ٤- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره إذ هو المالك الحق وغيره لا ملك له .

(١) بلى لنقض النفي أي بل هو قادر على أن يخلق مثلهم كقوله ليس الله بأحكم الحاكمين؟ فالجواب بلى أي هو أحكم الحاكمين إبطال لما نفته ليس إذ هي حرف نفي .
(٢) فسبحان : نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشرك والعجز والملكوت، والملكوتى : بمعنى نحو جبروتى ورحموتى من الجبروت والرحموت والعرب تقول جبروتى خير من رحموتى .
(٣) الملكوت مبالغة في الملك بكسر الميم من ذلك قولهم رهوت خير من رحموت أي ليرهبك الناس خير من أن يرحموك لأن مع الرهبة العزة ومع الرحمة الضمف والعجز .

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مكية

وآياتها مائة واثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًا ﴿١﴾ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّلِيَّاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوْكَبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ
مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِْبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَن خِطَفَ
الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات :

- والصافات صفا : أي الملائكة تصف أنفسها في الصلاة وأجنتها في الهواء .
فالزاجرات زجرا : أي الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه حيث يأذن الله .
فالتليات ذكرا : أي فالجماعات التليات للقرآن ذكرا .
إن إلهكم لواحد : أي إن إلهكم المعبود الحق لكم أيها الناس لواحد .
رب السموات والأرض وما : أي هوربُ السموات والأرض وما بينهما أي خالقهما ومالكهما
بينهما ومدبر الأمر فيهما .
ورب المشارق : أي والمغرب وهي مشارق الشمس ومغربها إذ للشمس كل
يوم مشرق ومغرب .

(١) جائز أن تكون الجماعات التالية لكلام الله تعالى من الملائكة ومن البشر روى مسلم أنه ﷺ قال فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفونا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعل لنا ترابها طهوراً إذا لم نجد الماء .

وحفظا من كل شيطان مارد : أي وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة .
لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى : أي لا يستمعون إلى الملائكة في السموات العلاء .
ويقدفون من كان جانب دحورا : يُرمون بالشهب من كل جوانب السماء دحورا أي إبعادا لهم .
عذاب واصب : أي دائم لا يفارقهم .
إلا من خطف الخطفة : أي اختطف الكلمة من الملائكة بسرعة وهرب .
فاتبعه شهاب ثاقب : أي كوكب مضيء ثاقب يثقبه أو يحرقه أو يخبله أي يفسده .
معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿والصافات صفا﴾^(١) هذا قسم إلهي يؤكد به تعالى إلهيته على عباده فقد أقسم بالصافات والزاجرات والتاليات ذكرا أي قرآنا، وسواء قلنا أقسم بهذه المخلوقات إذ لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وإنما الممنوع أن يقسم العبد بغير ربه تعالى . أو قلنا أقسم تعالى بنفسه أي ورب الصافات الخ فالقسم حاصل من أجل تقرير التوحيد، وهذا الإقسام جار على عرف البشر في أنهم إذا أخبروا بشيء يشكون في صحته فيؤكد لهم المخبر بالخبر باليمين ليزيل الشك من نفوسهم . وقوله ﴿إن إلهكم لواحد﴾^(٢) هو المقسم عليه وهو أن إله البشرية كلها واحد وهو الله خالقها ورازقها وليس لها من إله غيره، وما عندها من آله فهي آله باطلة ويكفي في بطلانها أنها أصنام وصور وتمائيل وصلبان لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر . وقوله ﴿رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾^(٣) تدليل على وحدانية الله تعالى إذ هو خالق السموات والأرض وما بينهما وما لهما ومدير الأمر فيهما، ورب المشارق أيضا والمغرب أي مشارق الشمس ومغربها إذ كل يوم تشرق وتغرب في درجة معينة فالإله الحق هو الخالق للعوالم والمدير لها لا الذي ينحته الرجل بيده ويقول هو إلهي زورا وباطلا . ألا فليتنحروا المشركون من أسر الشيطان ويعبدوا الرحمن . وقوله تعالى ﴿إننا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾^(٤) هذه مظاهر القدرة والعالم

(١) روى مسلم وغيره عنه ﷺ قال ﴿ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف .

(٢) هذا جواب القسم وهو المقسم عليه والصفات الملائكة تصف أجنتها في السماء أو تصف للصلاة كما يصف المؤمنون للصلاة في الدنيا، وجائز أن يراد بالصفات صفوف المؤمنين في الصلاة وفي الجهاد .

(٣) رب السموات والأرض خير لمبتدأ محذوف تقديره هورب السموات الخ .

(٤) هذه الجملة بمثابة الدليل على ربوبية الله تعالى الموجبة للألوهية له سبحانه وتعالى دون سواه .

(٥) قرأ الجمهور بزينة الكواكب بإضافة زينة إلى الكواكب وقرأ حفص بنتون زينة وجر الكواكب على البدلية ومنهم من نصب الكواكب على الاختصاص والكواكب جمع كوكب وهي تلك الأجرام الكرية السماوية ومنها الثوابت ومنها السيارة وهي كل ما يرى في السماء ما عدا الشمس والقمر وتسمى النجوم وهي تختلف في أحجامها .

والحكمة إنه وحده تعالى زين السماء الدنيا أي القريبة من الأرض بزينة هي الكواكب المشرقة المنيرة. وقوله ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾ أي وحفظنا السماء حفظا تاما من كل شيطان عادٍ متمرد عن الطاعة. وقوله ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ أي لا يسمعون إلى الملائكة في السماء حتى لا ينقلوا أخبار الغيب إلى أوليائهم من الكهان في الأرض. وقوله ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ أي ويرمى أولئك المردة من الشياطين من قبل الملائكة من كل جهة من جهات السماء دحورا أي لدحرمهم وإبعادهم. وقوله تعالى ﴿ولهم عذاب واصب﴾ لأولئك المردة من الشياطين عذاب واصب موجه دائم وقوله ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ أي اختطف الكلمة بسرعة ﴿فأتبعه شهاب﴾ أي كوكب مضى. فثقبه فقتله أو أحرقه أو خبله أي أفسده، وبهذا حُميت السماء بالملائكة من دخول الشياطين إليها واستراق السمع. والحمد لله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أن الله تعالى يقسم ببعض مخلوقاته إما تنويرها بعظمتها المقرر ضمنا لعظمة خالقها وإما بيانا لفضلها وإما لفتا لنظر العباد إلى ما فيها من الفوائد.
- ٢- تفرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله.
- ٣- بيان الحكمة من وجود النجوم في السماء الدنيا.
- ٤- بيان أن الشياطين حرموا من استراق السمع، ولم يبق مجال لكذب الشياطين على الناس بعد أن منعوا من استراق السمع.

فَأَسْتَفْهِمُ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا
أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ

(١) قال أهل العلم النجوم ثلاثة للاهتمام بها في ظلمات البر والبحر وكزينة للسماء بما فيها من أنوار وللحفظ من الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة فمن طلبها لغيرها فقد أساء واعتدى.

(٢) قرأ الجمهور لا يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرأ حفص عن عاصم لا يسمعون بتشديد السين والميم مفتوحين الأصل لا يسمعون من التسمع فقلبت التاء سينا وأدغمت في السين.

(٣) الواصب: الدائم يقال صبب يصبب وصوبا إذا دام وهو عذاب الآخرة.

(٤) يقال له في علم الهيئة التيزك وعن ابن عباس الشهاب لا يقتل ولكن يخترق ويخبل.

وَيَسْخَرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ
 ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا رِبَا وَعِظْمًا
 أَمْ نَأَلِ الْمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ
 ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا إِنَّا نَبْئِلْنَا هَذَا
 يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْذِيبُكَ ﴿٢١﴾

شرح الكلمات :

فاستفتهم

: أي استخبر كفار مكة تقريراً وتوبيخاً.

أهم أشد خلقاً أم من خلقنا: أي خلقهم في ذواتهم وإعادتهم بعد موتهم، أم من خلق تعالى من الملائكة والسموات والأرض وما فيها من سائر المخلوقات.

من طين لازب

: أي يلصق باليد.

بل عجبت ويسخرون : أي عجبت يا نبي الله من إنكارهم للبعث، وهم يسخرون من دعوتك إلى الإيمان به.

وإذا ذكروا لا يذكرون

: أي وإذا وعظوا لا يتعظون.

وإذا رأوا آية يستسخرون : أي إذا رأوا حجة من الحجج التي تحمل الآيات القرآنية تقر البعث والتوحيد والنبوة يسخرون أي يستهزئون.

قل نعم وأنتم داخرون : أي قل لهم يارسولنا نعم تبعثون وأنتم صاغرون أذلاء.

فإنما هي زجرة واحدة : أي صيحة تزجرهم وهي نفخة إسرافيل في الصور النفخة الثانية.

هذا يوم الدين : أي يوم الحساب والجزاء.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تقرير التوحيد والبعث والجزاء وقوله تعالى فاستفتهم أي استخبرهم واطلب جوابهم أي بقولك أنتم أشد خلقاً أي في ذواتكم وفي إحيائكم بعد مماتكم أم من خلقه الله من الملائكة والسموات والأرض وما بينهما وما بينهما؟ والجواب معلوم وهو أن خلق غيرهم

(١) مأخوذ من استفناه المفتي والفتيا هي اخبار عن أمر يخفى عن غير الخواص في غرض ما والاستفهام هنا تقريرى .

من العوالم أشد خلقا إذا فكيف ينكرون البعث بدعوى استحالة وجوده لصعوبته قال تعالى ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ أي خلقنا أباهم آدم من طين لازب أي لاصق يلصق باليد ثم خلقناهم بطريق التناسل أفيعجزنا إعادة خلقهم مرة أخرى والجواب لا. لا وقوله تعالى ﴿بل عجب﴾ أي من تكذيبهم بالبعث لوضوح الأدلة على إمكانه ووجوب وجوده ﴿ويسخرون﴾ أي وهم يسخرون من ذلك أي يستهزئون من قولك بالبعث وإمكانه. وقوله تعالى ﴿وإذا ذكروا﴾ أي بالآيات لعلمهم يذكرون فيؤمنون ويوحدون لا يذكرون لقساوة قلوبهم وظلمة ذنوبهم بالشرك والمعاصي. وقوله ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ أي يسخرون ويستهزئون ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين﴾ أي ما هذا الذي جاء به محمد ﷺ من القول والعمل إلا سحر مبين أي بين ظاهر وهم في ذلك كاذبون قطعاً للفرق بين السحر الذي هو تخيل باطل وبين الحق الثابت عقلاً ووحياً من دقائق الشرع وأصول الدين من الإيمان بالله واليوم الآخر وقوله ﴿أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما﴾ هذا قول المكذبين من المشركين يقولونه متعجبين مستبعبين للبعث قال تعالى رداً عليهم قل يارسولنا لهم ﴿نعم﴾ تبعثون أحياء ﴿وانتم داخرون﴾ أي صاغرون ذليلون وأمر إعادةكم لا يتطلب أكثر من أن ينفخ اسرافيل في الصور فإذا أنتم أحياء تخرجون من قبوركم ﴿فإنما هي زجرة﴾ أي صيحة واحدة فإذا هم قيام ﴿ينظرون﴾ ويقولوا أي عند قيامهم من قبورهم ﴿ياويلنا﴾ أي ياهلاكنا احضر هذا أوان حضورك أي يدعون على أنفسهم بالهلاك لشدة ما شاهدوا من هول القيامة كقول أحدهم ياليتها كانت القاضية. وقولهم هذا يوم الدين اعتراف منهم بالبعث والجزاء ولكن في وقت ما هو بنافع لهم الاعتراف فيه أي هذا يوم الحساب والجزاء فيقال لهم ﴿هذا يوم الفصل﴾ الذي يفصل الله تعالى فيه بين عباده فيما كانوا فيما يختلفون فيحكم بينهم بالعدل، وقوله تعالى ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ فيه توبيخ لهم أي هذا يوم البعث الذي كنتم تكذبون به وتقولون مستبعبين له أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو أبأؤنا الأولون أي وآبأؤنا الأولون أيضا.

-
- (١) بل للاضراب الانتقالي من التقرير التوبيخي إلى حالهم العجب قرأ الجمهور عجب بفتح التاء والخطاب للنبي ﷺ وقرأ ابن مسعود بضم التاء ونسبة العجب إلى الله تعالى ليست كنسبته إلى خلقه كسائر صفاته تعالى.
- (٢) سخريتهم هذه من محاجة النبي ﷺ إذ أتاهم بالآيات القرآنية الحاملة للأدلة العقلية وهم لجهلهم وعجزهم يذمونها بالاستسحار والإنكار وهذا غاية الجهل والضلال.
- (٣) الاستفهام إنكاري وجملة وانتم داخرون في محل نصب على الحال.
- (٤) جائز أن يكون «هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون» من قول الله تعالى والملائكة لهم جائز أن يكون من قول بعضهم لبعض.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين اللازب أي اللاصق باليد .
- ٢- بيان موقفين متضادين الرسول يعجب من كفر المشركين وتكذيبهم والمشركون يسخرون من دعوته إياهم إلى الإيمان وعدم التكذيب بالله ولقائه .
- ٣- تقرير البعث وبيان طريقة وقوعه .
- ٤- عدم الانتفاع بالإيمان عند معاينة العذاب .

﴿ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) مِنْ دُونِ
 اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾
 مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
 قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَان لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
 بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾

شرح الكلمات :

- | | |
|---------------------|---|
| أحشروا الذين ظلموا | : أي أنفسهم بالشرك والمعاصي . |
| وأزواجهم | : أي قرناءهم من الشياطين . |
| من دون الله | : أي من غير الله من الأوثان والأصنام . |
| فاهدوهم | : أي دلوهم وسوقوهم . |
| إلى صراط الجحيم | : أي إلى طريق النار . |
| وقفوهم إنهم مسئولون | : أي احبسوهم عند الصراط إنهم مسئولون عن جميع أقوالهم وأفعالهم . |
| ما لكم لا تناصرون | : أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا توييخا لهم . |

إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين : أي عن يمين أحدنا تزينون له الباطل وتحسنون له الشر فتأمرونه بالشرك وتنهونه عن التوحيد .

قالوا بل لم تكونوا مؤمنين : أي قال قرناؤهم من الجن ردًا عليهم بل لم تكونوا أساسا مؤمنين .

وما كان لنا عليكم من سلطان : أي من حجة ولا قوة على حملكم على الشرك والشر والباطل .
بل كنتم قوما طاغين : أي بل كنتم طغاة ظلمة تعبدون غير الله تعالى وتجبرون الناس على ذلك .

معنى الآيات :

ما زال السياق في موقف عرصات القيامة إنهم بعد اعترافهم بأن هذا يوم الدين وردّ الله تعالى عليهم بقوله ﴿ هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ﴾ يقول الجبار عز وجل ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ أي احشروا الذين ظلموا بالشرك والمعاصي ، وقوله ﴿ وأزواجهم ﴾ أي قرنائهم^(١) من الجن ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ من الأصنام والأوثان . وقوله تعالى ﴿ فاهدوهم^(٢) إلى صراط الجحيم ﴾ يقول الله عز وجل فاهدوهم أي دلوهم إلى طريق النار . ويقول ﴿ وقفوهم إنهم مسؤولون ﴾ ثم يسألون ﴿ ما لكم لا تنصرون ﴾^(٣) أي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا . كيف ينصر بعضهم بعضا في مثل هذا الموقف الرهيب بل هم اليوم مستسلمون أي منقادون ذليلون وقوله تعالى ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ أي أقبل الأتباع على المتبوعين يتساءلون أي يتلاومون كلّ يلقي بالمسؤولية على الآخر . فقال الأتباع من الإنس لقرنائهم من الجن ما أخبر تعالى به عنهم ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي والشمال أي توسسون لنا فتحسنون لنا الشرك والشر بل تأمرونا به وتحضوننا عليه . فرد عليهم قرناؤهم بما أخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أي ما كنتم مؤمنين فكفرناكم ولا

(١) ظلموا بمعنى اشركوا لأن الشرك اقبح أنواع الظلم شاهده قوله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والأمر في قوله (احشروا) الله عز وجل والمأمور الملائكة والمأمور بحشرهم المشركون .

(٢) وفسر أزواجهم أيضاً بأشباعهم وقرناؤهم وهم من الجن وما في التفسير أولى .

(٣) أي سوقوهم إلى النار والمأمور الملائكة كما تقدم .

(٤) ما لكم لا تنصرون أي ينصر بعضكم بعضاً كما كنتم في الدنيا والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

(٥) اضطرب أهل التفسير في تفسير تأتوننا عن اليمين وأقوالهم متضاربة فمنهم من قال تأتوننا عن طريق الخير وتصدوننا عنها قاله قتادة ، ومنهم من قال اليمين بمعنى القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر وهذا ينسجم مع السياق وما في التفسير شامل لهذه الأقوال إذ معناه انكم تأتوننا من كل جهة تحاولون اغواءنا واضلالتنا .

صالحين فافسدناكم، ولا موحدين فحملناكم على الشرك. هذا أولا وثانيا ما كان لنا عليكم من سلطان أي من حجج قوية أفتعناكم بها، ولا قدرة لنا أرهقناكم بها فاتبعتمونا، بل كتمتم أنفسكم قوما طاغين أي ظلمة متجاوزين الحد في الإسراف والظلم والشر.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- بيان صورة لموقف من مواقف عرصات القيامة.
- ٢- بيان أن الأشباه في الكفر أو في الفجور أو في الفسق تحشر مع بعضها بعضا.
- ٣- عدم جدوى براءة العابدين من المعبودين واحتجاج التابعين على المتبوعين.

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
 فَأَعْوَبْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
 ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوَاءَ الْهَيْئَتِنَا
 لِسَاءِعٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

شرح الكلمات:

- | | |
|--------------------------|---|
| فحق علينا قول ربنا | : أي وجب علينا العذاب. |
| إننا لذائقون | : أي العذاب نحن وأنتم. |
| فأعوبناكم إننا كنا غاوين | : أي أضللناكم إننا كنا ضالين |
| فإنهم يومئذ | : أي يوم القيامة. |
| في العذاب مشتركون | : لأنهم كانوا في الغواية مشتركين. |
| إننا كذلك نفعل بالمجرمين | : كما عذبنا هؤلاء التابعين والمتبوعين نعذب التابعين والمتبوعين في كل ضلال وكفر وفساد. |
| إنهم كانوا إذا قيل لهم | : أي إن أولئك المشركين من عبدة الأوثان إذا قال لهم |
| | الرسول. |

لا إله إلا الله يستكبرون : أي قولوا لا إله إلا الله ولا تعبدوا إلا الله يستكبرون ولا يقولون ولا يوحدون .

لشاعر مجنون : يعنون محمد ﷺ .

بل جاء بالحق وصدق: أي بل جاء بلا إله إلا الله وهو الحق الذي جاءت به المرسلين وقد صدقهم فيما جاءوا به من قبله وهو التوحيد .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما ذكر تعالى من تساؤلات الظالمين وما قاله الأتباع للمتبعين وما قاله المتبعون للاتباع فقوله تعالى ﴿ فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون ﴾ هذا قول المتبعين لاتباعهم قالوا لهم فبسبب غوايتنا وضلالنا وجب علينا العذاب إنا وأنتم لذائقوه لا محالة . وقالوا لهم أيضا معترفين بأغوائهم لهم فأغويناكم إنا كنا غاوين هذا قول الجن للإنس قال تعالى ﴿ فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون ﴾ وذلك لاشتراكهم في الشرك والشر والفساد . وقوله تعالى ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ من سائر الأصناف كالزناة وأكلة الربا وسافكي الدماء فنعذب الصنف مع صنفه وهذا عائد إلى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أي أشيعهم وأضربهم وقوله تعالى ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ يخبر تعالى عن مشركي قريش أنهم كانوا في الدنيا إذا قال لهم رسول الله أو أحد المؤمنين قولوا لا إله إلا الله يستكبرون ويشمئزون ولا يقولونها بل ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون النبي محمد ﷺ يصفون القرآن بالشعر ومحمدا ﷺ تاليه وقارئه بالشعر ولما يدعوهم إليه من الإيمان بالبعث والجزاء بالجنون والرسول في نظرهم مجنون . فرد تعالى عليهم بقوله ﴿ بل جاء بالحق ﴾ أي لم يمكن رسولنا بشاعر ولا مجنون بل جاء بالحق فأنكرتموه وكذبتم به تقليدا وعنادا فقلتم ما قلتم . وإنما هو قد جاء بالحق الذي هو لا إله إلا الله ﴿ وصدق المرسلين ﴾ الذين جاءوا قبله بكلمة لا إله إلا الله والدعوة إليها والحياة والموت عليها .

(١) أي وجب علينا قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب شاهده قوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقول الرسول ﷺ إن الله عز وجل كتب للنار أهلا وللجنة أهلاً لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم .

(٢) إنهم كانوا : هذه الجملة تعليلية للحكم السابق وهو بيان العلة منه وفي الكلام حذف تقديره أنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا لا إله إلا الله فحذف القول للعلم به .

(٣) شاهده حديث ابن أبي حاتم قوله ﷺ وأمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه إلى الله وهو في الصحيح بأوسع منه .

(٤) أي لقول شاعر فحذف القول لظهوره .

(٥) بل للأضراب الانتقالي أي اضرب عن قولهم : شاعر مجنون الباطل وقد سبق الحق المبين وهو شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان هلاك الضال ومن أضله والغاوي ومن أغواه .
- ٢- بيان ما كان يوجهه المشركون لرسول الله من التُّهم الباطلة وردَّ الله تعالى عليها .
- ٣- التعظيم من شأن لا إله إلا الله وانها دعوة كل الرسل التي سبقت النبي محمداً ﷺ .
- ٤- تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة المحمدية .

إِنَّكُمْ

لَذَآئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
 ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
 فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
 ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِ بَيْنَ
 ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ
 الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

شرح الكلمات :

- وما تجزون إلا ما كنتم تعملون : أي إلا جزاء ما كنتم تعملونه من الشرك والمعاصي .
 إلا عباد الله المخلصين : أي لكن عباد الله المخلصين أي العبادة لله وحده فإنهم
 يجزون بأكثر أعمالهم إذ الحسنه بعشر أمثالها وأكثر .
 لهم رزق معلوم : أي في الجنة بكرة وعشيا .
 فواكه : أي طعامهم وشرابهم فيها للتلذذ به كما يتلذذ بالفواكه فليس
 هو لحفظ أجسامهم حية كما في الدنيا .
 وهم فيها مكرمون : أي لا تلحقهم فيها إهانة بل يقال لهم هنيئاً بخلاف أهل النار
 يقال لهم ذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملون .

من معين : أي يجري على وجه الأرض كعيون الماء الجارية على الأرض .

لذة للشاربين : أي الخمرة موصوفة بأنها لذة للشاربين .

لا فيها غول : أي ما يغتال عقولهم وأجسامهم فيهلكهم .

ولا هم عنها يتزفون : أي لا يسكرون عنها أي بسببها كما هي خمر الدنيا .

قاصرات الطرف : أي لا ينظرن إلى غير أزواجهن لحسنهم وجمالهم عندهن .

عين : أي واسعات الأعين الواحدة عيناء .

بيض مكنون : أي كأنهن بيض مكنون أي مستور لا يصله غبار ولا غيره .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم، وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ هذا يقال لأهل النار وهم موقوفون يتساءلون ومن جملة ما يقال لهم عندئذ هذا القول فيخبرون بأنهم ذائقوا العذاب الأليم الموجه، وأنهم ما يجزون إلا بما كانوا يعملون فلا يظلمون بالجزاء بل هو جزاء عادل السيئة بمثلها. وهنا استثنى تعالى جزاء عباده المؤمنين الذي استخلصهم لعبادته فعبدوه ووحدهو فإنهم يجزون بأكثر من أعمالهم فضلاً منه عليهم وإحساناً إليهم فالحسنة بعشر أمثالها وبأكثر إلى سبعائة وأكثر، فقال ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ ويُنّ تعالى بعض جزائهم فقال ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ أي يأكلونه بكرة وعشياً، وقوله فواكه فيه إشارة إلى أنهم لا يأكلون ولا يشربون لحفظ أجسادهم من الموت والفناء، وإنما يأكلون ما يأكلون ويشربون ما يشربون تلذذاً بذلك لا لدفع غائلة الجوع كما في الدنيا. ﴿وهم مكرمون﴾ أي في الجنة حيث لا تلحقهم إهانة أبداً، وقوله في جنات النعيم أضاف الجنة إلى النعيم مبالغة في وصفها بالنعيم حتى جعل الجنة جنة النعيم فجعل للنعيم وهو النعيم جنة، وأخبر أنهم متكئون فيها على سرر متقابلين ينظر بعضهم إلى بعض وهم في جلسات تنعم، وأخبر عنهم أنهم في حال جلوسهم متقابلين يسقون بواسطة خدم من الملائكة خاص فقال ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ أي من خمر تجرى بها الأنهار كأنها عيون الماء، ووصف

(١) الأصل لذائقون العذاب محذوف النون تخفيفاً وأضيف لذائقوا إلى العذاب فخفض ولو نصب لجاز كقول الشاعر:

فألفيته غير مستعجب ولا ذاك الله إلا قليلاً

(٢) إلا عباد الله المخلصين: الاستثناء منقطع في معنى الاستدراك وهو تعقيب الكلام بما يضاؤه أو يرفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه وهو الغالب في الاستدراك قرأ الجمهور المخلصين باسم المفعول وقرأها غيرهم باسم الفاعل بكسر اللام والمراد بهم أمة محمد ﷺ كما روي عن الشافعي قوله:

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدت بأخصمي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن أرسلت أحمد لي نبيا

(٣) عطف بيان من رزق معلوم والمعنى أن طعامهم كله من الاطعمة التي يتفكك بها لا مما يؤكل للشبم.

الخمير بأنها بيضاء وأنها لذة عظيمة للشاربين لها، وأنها لا فيها غول وهو ما يعتال أبدانهم كالصداع ووجع البطن فقال ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾^(١) أي لا يسكرون بها فتذهب بعقولهم . وقوله ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ يعني أن لهم نساء هن أزواج لهم ومعنى قاصرات الطرف أي على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم وذلك لحسنهم وجمالهم فلا تنظر الواحدة منهمن إلا إلى زوجها . وقوله ﴿عَيْنٌ﴾ أي واسعات الأعين ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مُكْنُونٌ﴾^(٢) هذا وصف لنساء الجنة وأنهن بيض الأجسام بياضاً كبياض بيض النعام إذ هو أبيض مشرب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء ومعنى ﴿مُكْنُونٌ﴾ مستور لا يناله غبار ولا أي أذى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- بيان عدالة الحق تبارك وتعالى في أنه يجزي السيئة بمثلها ولا يؤاخذ أحداً بغير كسبه في الحياة الدنيا .

٢- بيان فضل الله تعالى إذ يجزي المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة .

٣- تقرير البعث وبيان بعض ما يجري فيه من قول وعمل .

٤- وصف نعيم أهل الجنة طعاما وشرابا وجلوسا واستمتاعا .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَمْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَمْ نَا

لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطَّلَعَ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ

الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي

(١) ينزفون بالبناء للمجهول لقراءة الجمهور من نزع الشارب فهو منزوف ونزيف شبهوا عقل الشارب بالدم يقال نزف دم الجريح أي أفرغ وأصله من نزع الرجل ماء البثر إذا نزع ولم يبعد منه شيئاً . وقرأ البعض ينزفون من أنزع الرباعي الشارب إذا ذهب عقله بالسكر أي صار ذا نزع فالهمزة للضرورة لا للتعدية .

(٢) العرب تشبه النساء بالبيض لصفائهن وبياضهن قال امرؤ القيس الشاعر الجاهلي :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهوبها غير معجل

أطلق لفظ البيضة على المرأة .

لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا
 الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾
 لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

فأقبل بعضهم على بعض	: أي أقبل أهل الجنة .
يتساءلون	: أي عما مرّ بهم في الدنيا وما جرى لهم فيها .
إني كان لي قرين	: أي كان لي صاحب ينكر البعث الآخر .
يقول لي أأنك لمن المصدقين	: أي يقول تبكيتاً لي وتوبيخاً أي بالبعث والجزاء .
أءنا لمدينون	: أي محاسبون ومجزيون بأعمالنا في الدنيا إنكاراً وتكديباً .
هل أنتم مطلقون	: أي معي إلى النار لننظر حاله وما هو فيه من العذاب .
فاطلع فرآه في سواء الجحيم	: أي في وسط النار .
تالله إن كدت لتردين	: أي قال هذا تشميتاً به ، ومعنى تردين تهلكني .
لكنت من المحضرين	: أي المسوقين إلى جهنم المحضرين فيها .
أفما نحن بميتين	: أمخلدون فما نحن بميتين ، والاستفهام للتقرير أي نعم .
إلا موتنا الأولى	: التي ماتوها في الدنيا .
لمثل هذا فليعمل العاملون	: أي لمثل هذا النعيم من الخلود في الجنة والنعم فيها فليعمل العاملون وذلك بكثرة الصالحات واجتناب السيئات .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان نعيم أهل الجنة فقد قال بعضهم لبعض بعد أن جلسوا على السرر متقابلين يتجادبون أطراف الحديث متذكرين ما مرّ بهم من أحداث في الحياة الدنيا فقال أحدهم إني كان لي في الدنيا قرين أي صاحب يقول لي استهزاء وانكاراً للبعث الآخر ﴿أأنك لمن المصدقين﴾ أي بالبعث والجزاء على الأعمال في الدنيا . ويقول أيضاً مستبعداً منكراً ﴿أأذامتنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون﴾ أي محاسبون ومجزيون . ثم قال ذلك القائل لبعض

أهل مجلسه ﴿هل أنتم مطلعون﴾ أي معي على أهل النار لنرى صاحبي فيها ونسأله عن حاله فكأنهم أبوا عليه ذلك وأبوا أن يطلعوا أما هو فقد أطلع فرآه في سواء الجحيم أي في وسطها، وقال له ما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قال تالله﴾ أي والله ﴿إن كدت لتردين﴾ أي تهلكني لما كنت تنكر عليّ الإيمان بالبعث وتسخر مني وتشمت بي لإيماني وعملي الصالح الذي كنت أرجو ثوابه وهو حاصل الآن وقال أيضا ﴿ولولا نعمة ربّي﴾ عليّ بالعصمة والحفظ لكنت من المحضرين الآن في جهنم معك. ثم قال له ﴿أفما نحن بميتين إلا موتنا الأولى﴾ والاستفهام تقريرى فهو يقرره ليقول نعم مخلدون نحن في الجنة وأنتم في النار. ثم قال إن هذا أي الخلود في دار النعيم ﴿لهو الفوز العظيم﴾ إذ كان نجاة من النار وهي أعظم مرهوب مخوف، ودخولا للجنة دار السلام والنعيم المقيم. قال تعالى ﴿لمثل هذا﴾ أي هذا الفوز العظيم بالنجاة من النار والخلود في دار الأبرار ﴿فليعمل العاملون﴾ أي فليواصلوا عملهم وليخلصوا فيه لله ربّ العالمين.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- بيان عظمة الله تعالى في إقدار المؤمن على أن يتكلم مع من هو في وسط الجحيم ويرى صورته ويتخاطب معه ويفهم بعضهم بعضا، والعرض التلقاوي اليوم قد سهل إدراك هذه الحقيقة.

٢- التحذير من قرناء السوء كالشباب الملحد وغيره.

٣- بيان كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقلياً.

٤- لا موت في الآخرة وإنما حياة أبدية في النعيم أو في الجحيم.

٤- الحث على كثرة الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال الفاسدة.

(١) أورد البخاري إيرادات لا حاجة إليها منها قيل القرين هو من الشياطين وقرىء من المصدقين بتشديد الصاد والبدال من التصديق بالمال، وجعل أنتم مطلعون أنه من قول الله تعالى أو قول ملك. وما في التفسير هو الصواب ولا داعي لإيراد ما بخلافه إذ لا فائدة منه إلا تذبذب الرأي واضطراب الفكر.

(٢) قال ابن مسعود رضي الله عنه يقال تعبت حتى انقطع سوائي أي وسطي وقال بعض العلماء، لولا أن الله عرفه إياه لما عرفه إذ تغير حبه وسببه أي اللون والهيئة.

(٣) إن كدت إن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير ثان محذوف واللام في لتردين هي الدالة على أن إن ليست نافية ولذا تُسمى باللام الفارقة.

(٤) ويجائز أن يكون هذا القول موجهاً إلى أصحاب الأرائك أهل النعيم بعد أن فرغ المؤمن من الحديث مع قرينه في سواء الجحيم قال لرفاقه في النعيم مقرأً أفما نحن بميتين . . الآية . . والسياق يساعد على جواز هذا.

(٥) قيل لأحد الحكماء: ما شر من الموت؟ قال الذي يتمنى فيه الموت وقال الشعر:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وكون لاموت في الآخرة صح فيه الحديث إذ يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويذبح بين الجنة والنار وينادي منادياً بأهل الجنة خلود ولا موت وبأهل النار خلود ولا موت.

أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ
 الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
 تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
 ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ تَوَنَّنَا مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ
 عَلَيْهَا لَشَوْبَاتٍ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾
 إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٧٠﴾
 وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
 مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾
 إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

- أذلك خير نزلًا : أي ذلك المذكور لأهل الجنة خير نزلًا وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره .
- أم شجرة الزقوم : المعدة لأهل النار وهي من أخبث الشجر طعما ومرارة .
- إننا جعلناها فتنة للظالمين : أي امتحانا واختبارا لهم في الدنيا وعذابا لهم في الآخرة .
- تخرج في أصل الجحيم : أي في قعر الجحيم وأغصانها في دركاتها .
- طلعها كأنه رؤوس الشياطين : أي ما يطلع من ثمرها أولاً كالحيات القبيحة المنظر .
- إن لهم عليها لشوباتٍ من حميمٍ : أي بعد أكلها يسقون ماء حميماً فذلك الشوب أي الخلط .
- إنهم ألفوا آباءهم : أي وجدوا آباءهم .
- فهم على آثارهم يهرعون : أي يسرعون مندفعين إلى اتباعهم بدون فكر ولا روية .
- ولقد أرسلنا فيهم منذرين : أي رسلاً منذرين لهم من العذاب .
- فانظر كيف كان عاقبة المنذرين : إنها كانت عذاباً أليماً لإصرارهم على الكفر .
- إلا عباد الله المخلصين : فإنهم نجوا من العذاب ولم يهلكوا .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى ما أعد له لأهل الإيمان به وطاعته وطاعة رسوله من النعيم المقيم في الجنة دار الأبرار قال أذلك المذكور من النعيم في الجنة خير نزلاً والنزل ما يُعد من قرى للضيف النازل وغيره أم شجرة الزقوم، أي ثمرها وهو ثمر سمج مرقبيح المنظر. ثم أخبر تعالى أنه جعلها فتنة للظالمين من كفار قريش إذ قالوا لما سمعوا بها كيف تنبت الشجرة في النار والنار تحرق الشجر، فكذبوا بها فكان ذلك فتنة لهم. ثم وصفها تعالى بقوله ﴿إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم﴾ أي قعرها وتمتد فروعها في دركات النار. وقوله طلعتها أي ما يطلع من ثمرها في قبح منظره ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ لأن العرب تضرب المثل بالشيطان في القبح كما أن هناك حيات يسمونها بالشيطان قبيحة المنظر وقوله فإنهم أي الظلمة المشركين لاأكلون منها أي من شجرة الزقوم لشدة جوعهم فمالتون منها البطون أي بطونهم ﴿ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾ وذلك أنهم لما يأكلون يعطشون فيسقون من حميم فذلك الشوب من الحميم إذ الشوب الخلط والمزج يُقال شاب اللبن بالماء أي خلطه به وقوله ﴿ثم إن مرجعهم إلى الجحيم﴾ أي مردهم إلى الجحيم بعدما يأكلون ويشربون في مجالس خاصة بالأكل والشرب يردون إلى نار الجحيم .

وقوله تعالى ﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ أي وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهدى والرشاد ﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ أي يهرولون مسرعين وراءهم يتبعونهم في الشرك والكفر والضلال وقوله تعالى ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ أي فليس هؤلاء أول من ضل ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي في أولئك الضالين من الأقسام السالفين منذرين أي رسلاً ينذرونهم فلم يؤمنوا فأهلكناهم فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إنها كانت هلاكاً ودماراً للكافرين. وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منه تعالى لعباده المؤمنين الصالحين وهم الذين استخلصهم لعبادته بذكره وشكره فأمنوا وأطاعوا فإنه تعالى نجاهم وأهلك أعداءهم الكافرين المكذبين وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش بما لا مزيد عليه .

(١) أذلك خير: مبتدأ وخبر ونزلاً تمييز، والمعنى أنعيم الجنة خير نزلاً أم شجرة الزقوم خير نزلاً؟

(٢) قرى الضيف هو ما يُعد له من طعام وشراب وفراش ويسمى النزل بضم النون والزاي ويجوز تسكين الزاي .

(٣) مما تعارف عليه العرب أنهم يصورون كل قبيح (بصورة الشياطين) قال امرؤ القيس:

أيقظوني والمشرفي مضاجعي ومسونة زرق كأنياب اغوالي

انظر كيف صور سهامه المحددة بصورة أنياب الأغوال ولا يوجد أغوال في الواقع وإنما مجرد تصور وتقدير لا غير.

(٤) هذا الطعام والشراب مقابل ما لأهل الجنة من رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم .

(٥) الإهراع الإسراع من شخص يستحثه بشيء على الإسراع والهرولة .

(٦) الاستثناء متصل لأن المخلصين كانوا من جملة المنذرين فصدقوا المنذرين واتبعواهم وذلك باستخلاص الله تعالى لهم لعبادته والدعوة إليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان أحسن الأساليب في الدعوة وهو الترهيب والترغيب .
- ٢- تقرير البعث والجزاء بأسلوب العرض للأحداث التي تتم في القيامة .
- ٣- التنديد بالاتباع في الضلال للأبء والأجداد وأهل البلاد .
- ٤- إهلاك الله تعالى للظالمين وانجاؤه للمؤمنين عند الأخذ بالذنوب في الدنيا والآخرة .

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ

الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ

عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ

عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾

شرح الكلمات :

- ولقد نادانا نوح : أي قال إني مغلوب فانتصر «من سورة القمر» .
 فلنعم المجيبون : أي له إذ نجيناه وأهلكنا الكافرين من قومه .
 من الكرب العظيم : أي عذاب الغرق بالطوفان .
 وجعلنا ذريته هم الباقين : إذ عامة الناس كانوا من ذريته سام ، وحام ويافث .
 وتركنا عليه في الآخريين : أي أبقينا عليه ثناء حسنا عند سائر الأمم والشعوب .
 سلام على نوح في العالمين : أي سلام منا على نوح في العالمين أي في الناس أجمعين .
 إنا كذلك نجزي المحسنين : أي كما جزينا نوحاً بالذكر الحسن والسلام في العالمين نجزي المحسنين .
 ثم أغرقنا الآخريين : أي كفار قومه المشركين بعد إنجاء المؤمنين في السفينة .

معنى الآيات :

على إثر ذكره تعالى إهلاك المنذرين وإنجائه المؤمنين من عباده المخلصين ذكر قصة تاريخية لذلك وهي نوح وقومه حيث أنذر نوح قومه ولما جاء العذاب أنجى الله عباده المخلصين وأهلك المكذبين المنذرين فقال تعالى في ذكر هذه القصة الموجزة ﴿ولقد نادانا نوح﴾ أي دعانا لنصرته من قومه ﴿فقال رب انصرني بما كذبون﴾ ﴿وقال إني مغلوب فانتصر﴾ ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن له ﴿ونجيناه وأهله﴾ باستثناء امرأته وولده كنعان ﴿من الكرب العظيم﴾ وهو عذاب الغرق. وقوله ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ إلى يوم القيامة وهذا جزاء له على صبره في دعوته وإخلاصه وصدقه فيها إذ كل الناس اليوم من أولاده الثلاثة وهم^(١) سام وهو أبو العرب والروم وفارس، وحام وهو أبو السودان ويافت وهو أبو الترك والخزر وهم التتار ضيقوا العيون ولهذا سماوا الخزر من خزر العين وهو ضيقها وصغرها، وياجوج وماجوج، وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾^(٢) أي في أجيال البشرية التي أتت بعده وهو الذكر الحسن والثناء العطر المعبر عنه بقوله تعالى ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ وقوله تعالى ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ أي كما جزينا نوحا لإيمانه وصبره وتقواه وصدقه ونصحه وإخلاصه نجزي المحسنين في إيمانهم وتقواهم وهذه بشرى للمؤمنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ ثناء عليه وبيان لعله الإكرام والإنعام عليه. ودعوة إلى الإيمان بالترغيب فيه، وقوله ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي أغرقناهم بالطوفان بكفرهم وشركهم وتكذيبهم بعد أن أنجينا المؤمنين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله لأوليائه، وإهاتته لإعدائه.
- ٢- إجابة دعاء الصالحين لاسيما عندما يظلمون.
- ٣- فضل الإحسان وحسن عاقبة أهله.
- ٤- فضل الإيمان وكرامة أهله عند الله في الدنيا والآخرة.
- ٥- قول سلام على نوح في العالمين إذا قاله المؤمن حين يمسي^(٣) أو يصبح يحفظه الله تعالى من

(١) عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة : سام ويافت وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاث ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم : وولد يافت الترك والصفالبة وياجوج وماجوج وولد حام القبط والسودان والبربر.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما يُذكر بخير، قال مجاهد لسان صدق في الأنبياء.

(٣) وقال سعيد بن المسيب وبلغني أنه من قال حين يمسي «سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» ذكره أبو عمرو ابن عبد البر في التمهيد ونقله عنه القرطبي.

لسعة العقرب. وأصح منه قول: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لصحة الحديث في ذلك.

❖ وَإِن مِّن

شَيْعَةٍ لِّإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفِيكَاءِ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَرَّ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى الْهَيْمَمِ
فَقَالَ أَلَا تَأْتَا كُؤُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا
بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ
فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

وإن من شيعته لإبراهيم : وإن من أشياع نوح على ملته ومنهاجه إبراهيم الخليل عليهما السلام.

إذ جاء ربه بقلب سليم : أي أتى ربه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الرب سبحانه وتعالى .

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ : أي حين قال لأبيه وقومه المشركين أي شيء تعبدون؟

أفكأ آلهة دون الله تريدون؟ : أي كذبا هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله؟

فما ظنكم برب العالمين : أي شيء هو؟ أترون أنه لا يسخط عليكم ولا يعاقبكم فتعبدون

(١) روى مالك في الموطأ عن خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ قال: من نزل منزلاً فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لن يضره شيء حتى يرتحل.

غيره وهو ربكم ورب العالمين .	
: أي إيهاماً لهم إذ كانوا يؤلهون النجوم .	فنظر نظرة في النجوم
: أي عليل أي ذو سقم وهو المرض والعلة .	فقال إني سقيم
: أي رجعوا إلى ما هم فيه وتركوه قابلين عذره .	فتولوا عنه مدبرين
: أي مال إليها خفية .	فراغ إلى آلهتهم
: أي بقوة يمينه فكسرها بفأس وحطمها .	فراغ عليهم ضرباً باليمين
: أي يمشون بقوة وسرعة .	فأقبلوا إليه يزفون
: من الحجارة والأخشاب والمعادن كالذهب والفضة .	ما تنحتون
: أي وخلق ما تعبدون من أصنام وكواكب .	وما تعملون
: واملأوه حطباً وأضرموا فيه النار فإذا التهب ألقوه فيه .	فقالوا ابنوا له بنيانا
: أي المقهورين الخائبين في كيدهم إذ نجى الله إبراهيم .	فجعلناهم الأسفلين

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى قصة نوح مقررأ بها نصره أوليائه وخذلان أعدائه ذكر قصة أخرى هي قصة إبراهيم وهي أكبر موعظة لكفار قريش لأنهم ينتمون إلى إبراهيم ويدعون أنهم على ملته وملة ولده اسماعيل فلذا أطال الحديث فيها فقال سبحانه وتعالى ﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ أي وإن من أشياع نوح الذين هم على ملته ومنهجه إبراهيم خليل الرحمن ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ أي إذ أتى ربه بقلب سليم من الشرك والشك والالتفات إلى غير الرب تعالى في الوقت الذي قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، منكرأ عليهم عبادة الأصنام فلو كان في قلبه أدنى التفاتة إلى غيره طمعا أو خوفا ما أمكنه أن يقول الذي قال بل كان في تلك الساعة سليم القلب ليس فيه نظر لغير الله تعالى وقوله ﴿أنفكا آلهة دون الله تريدون﴾ أي أكذباً هو أسوأ الكذب تريدون آلهة غير الله حيث جعلتموها بكم بكم بالستكم آلهة وهي أحجار وأصنام . وقوله ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ وقد عبدتم الكذب دونه إذ آلهتكم ما هي إلا كذب بحت . أترون أن الله لا يسخط عليكم ولا

(١) وقيل هاء الضمير عائلة إلى محمد ﷺ ليكون المعنى وإن من شيعه محمد إبراهيم وهو حقاً من شيعته ولكن السياق ياباه بل المراد نوح عليه السلام .

(٢) قيل في مجيئه ربه بقلب سليم إما أن يكون عند دعائه إلى توحيده، أو عند إلقائه في النار .

(٣) الاستفهام إنكاري إذ هو أنكر على قومه عبادة وتألبيه غير الله تعالى ، وقوله فما ظنكم برب العالمين استفهام متفرغ عما قبله وهما للإنتكار الأول والثاني . فالأول انكر عليهم اتخاذهم آلهة دونه تعالى والثاني انكر عليهم سوء ظنهم بالله حتى عبدوا آلهة غيره .

يعاقبكم؟ وقوله ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾ هنا كلام محذوف دل عليه المقام وهو أن أهل البلد قد عزموا على الخروج إلى عيد لهم يقضونه خارج البلد، فعرضوا عليه الخروج معهم فاعتذر بقوله إني سقيم أي ذو سقم بعد أن نظر في النجوم موهماً لهم أنه رأى ما دله على أنه سيصاب بسقم وهو مرض الطاعون وكان القوم منجمين ينظرون إلى النجوم فيدعون أنهم يعرفون بذلك الخير والشرك الذي ينزل إلى الأرض بواسطة الكواكب فأوهمهم بذلك فتركوه خوفاً من عدوى الطاعون، أو تركوه قبولاً لعذره^(١) هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾ ﴿ فتولوا عنه ﴾ أي لذلك ورجعوا إلى أمورهم وما هم عازمون عليه من الخروج إلى العيد خارج البلد وهو معنى فتولوا عنه مدبرين وهنا وقد خلا له المكان الذي فيه الآلهة من الحراس والعباد والزوار للآلهة في بهوها الخاص فنفذ ما حلف على تنفيذه في مناظرة كانت بينه وبين بعضهم إذ قال ﴿ تالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ﴾ وبدأ المهمة فقال للآلهة وأنواع الأطعمة أمامها تلك الأطعمة من الحلويات وغيرها التي يتركها المشركون لتباركها الآلهة ثم يأكلونها رجاء بركتها ﴿ ألا تأكلون ﴾ عارضاً عليها الأكل سخريةً بها فلم تجبه ولم تأكل فقال لها ﴿ مالكم لا تنطقون ﴾ ثم انهال عليها ضرباً بفأس بيده اليميني فكسرها وجعلها جذاذاً أي قطعاً متناثرة. فلما رجعوا من عيدهم مساء وجاءوا بهو الآلهة ليأخذوا الأطعمة وجدوا الآلهة مكسرة. ﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾ أي مسرعين بأن طلبوا من رجالهم إحضاره على الفور فأحضروه وأخذوا يحاكمونه فقال في دفاعه ﴿ أتعبدون ما نتحتون ﴾ أي بأيديكم من أصنام بعضها من حجر وبعض من خشب ومن فضة ومن ذهب أيضاً، ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ من كل عمل من أعمالكم فلم لا تعبدونه، وتعبدون أصناماً لا تنفع ولا تضر، ولما غلبهم في الحجّة وانهمزوا أمامه أصدروا أمرهم بإحراقه بالنار فقالوا ﴿ ابنوا له بنياناً ﴾ أي فرنا عظيماً واملأوه حطباً وأضرموا فيه النار حتى إذا التهب فألقوه في جحيمه وهو معنى قوله تعالى ﴿ فقالوا ابنوه له بنياناً فألقوه في الجحيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ فأرادوا ﴾ أي بإبراهيم ﴿ كيداً ﴾ أي شراً وذلك بعزمهم على إحراقه وتنفيذهم ما عزموا عليه ﴿ فجعلناهم الأسفلين ﴾ أي المتهورين المغلوبين إذ قال تعالى للنار ﴿ كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ فكانت فخرج منها إبراهيم ولم يحرق سوى كتافيه الذي في يديه ورجليه وخيب الله سعي المشركين وأذلهم أمام إبراهيم وأخزاهم

(١) شاهد هذا حديث الصحيح: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثاً اثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا. وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فسأله عن سارة فقال هي أختي الحديث.

وهو معنى قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾^(١) وقد جمع الله تعالى لهم بين الخسران في كل ما أملوه من عملهم والذل الذي ما فارقهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- أصل الدين واحد فالإسلام هو دين الله الذي تعبد به آدم فمن بعده إلى محمد ﷺ .
- ٢- كمال ابراهيم في سلامة قلبه من الالتفات إلى غير الله تعالى حتى إن جبريل قد عرض له وهو في طريقه إلى الجحيم الذي أعده له قومه فقال [هل لك حاجة يا إبراهيم فقال أما إليك فلا] .
- ٣- من أقبح الكذب ادعاء أن غير الله يعبد مع الله تبركا به أو طلبا لشفاعته .
- ٤- وجوب تغيير المنكر عند القدرة عليه .
- ٥- بيان ابتلاء ابراهيم وأنه ألقى في النار فصبر، ولذا أكرمه ربه بما سيأتي في السياق بيانه .

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيِّرْهُمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرَّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ بَجَزَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ بَجَزَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُم مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنْ

(١) هذه الجملة من سورة الأنبياء ذكرت هنا شاهداً مبيناً لغاية كيدهم وهو خسرانهم فيما دبروا وفعلوا .

الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا
مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مَبِينٌ ﴿١١٣﴾ .

شرح الكلمات :

- إني ذاهب إلى ربي سيهدين : أي إني مهاجر إلى ربي سيهدين إلى مكان أعبد فيه فلا أمنع فيه من عبادته .
- ربّ هب لي من الصالحين : أي ولدأ من الصالحين .
- بغلام حلیم : أي ذي حلم وصبر كثير يولد له .
- فلما بلغ معه السعي : أي بلغ من العمر ما أصبح يقدر فيه على العمل كسبع سنين فأكثر .
- فانظر ماذا ترى : أي من الرأي الرشيد .
- من الصابرين : أي على الذبح الذي أمرت به .
- فلما أسلما : أي خضعا لأمر الله الولد والوالد وانقادا له .
- وتله للجبين : أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض ولكل انسان جبينان أيمن وأيسر والجهة بينهما .
- قد صدقت الرؤيا : أي بما عزمت عليه وفعلته من الخروج بالولد إلى منى وصرعه على الأرض وإمرار السكين على حلقه .
- إن هذا لهو البلاء المبين : أي الأمر بالذبح اختبار عظيم .
- وفديناه بذبح عظيم : أي كبش كبير .
- وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه ثناءً وذكرأً حسناً فيمن جاء بعده من الناس .
- وباركنا عليه وعلى إسحاق : أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية إسحاق حتى إن عامة الأنبياء من ذريتهما .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في قصة ابراهيم الخليل إنه بعد أن ألقى به في النار وخرج بحمد الله سالماً

قرر الهجرة وترك البلاد، وقال ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ أي إني ذاهب إلى حيث أذن لي ربي بالهجرة إليه حيث أتمكن من عبادته فذهب إلى بلاد الشام ونزل أولاً بحران من الشام، وقوله سيهدين أي يثبتني بدوام هدايته لي. ودعا ربه قائلاً ﴿ربِّ هب لي من الصالحين﴾ أي ارزقني أولاداً صالحين. فاستجاب الله تعالى له وذلك انه سافر في أرض القدس مع زوجته سارة وانتهى إلى مصر، وحدث أن وهب طاغية مصر جارية لسارة تسمى هاجر فوهبتها سارة لزوجها ابراهيم ففسراها فولدت له غلاماً هو اسماعيل وهو استجابة الله تعالى لابراهيم في دعائه عند هجرته ﴿ربِّ هب لي من الصالحين﴾ وهو قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾. وقد أخذ سارة ما يأخذ النساء من الغيرة لما رأت جارية ابراهيم أنجبت له اسماعيل فأمر الله ابراهيم بأن يأخذها وطفلها إلى مكة إبعادا لها عن سارة ليقبل تألمها. وهناك بمكة رأى ابراهيم رؤيته ورؤيا الأنبياء وحي وقال لاسماعيل ما أخبر تعالى به في قوله، ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي﴾ كابن سبع سنين فأكثر بمعنى أصبح قادراً على العمل معه ﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ أي استشاره ليرى رأيه في القبول أو الرفض فأجاب اسماعيل قائلاً ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ أي ما يأمرك به ربك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ وفعلنا خرج به ابراهيم من حول البيت إلى منى وانتهى إلى مكان تجاوز به مكان الجمرات الثلاث وتله للجبين أي صرعه على جبينه بأن وضع جبينه على الأرض وأخذ المدينة ووضعها على رقبته والتفت لأمر ما وإذا بكبش أملح والهاتف يقول اترك ذاك وخذ هذا فترك الولد وذبح الكبش وكانت آية. وهو قوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾، وقوله تعالى ﴿ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين﴾ أي الاختبار البين وبذلك تأهل للخلعة وأصبح خليل الرحمن، وقوله تعالى ﴿وفديناه﴾ أي اسماعيل ﴿بذبح عظيم﴾ أي بكبش عظيم. وهو الذي

(١) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه بلغ الثالثة عشرة من عمره وفي هذا أقوال ولهذا في التفسير قلنا سبع سنين فأكثر إذ بداية السعي من السابعة والبلوغ ينتهي إلى الخامسة عشر.

(٢) قيل إن ابراهيم لما رأى الرؤيا كانت ليلة يوم التروية وهو ثامن الحجة فسمى اليوم يوم التروية إذ تروى فيه ويوم التاسع عرف أن الرؤيا حق لذا سمي يوم عرفة ويوم العاشر خرج بإسماعيل ليذبحه فسمى يوم النحر لذلك والله أعلم.

(٣) اختلف في أيهما الذبيح أهو اسماعيل أم إسحق والراجح انه اسماعيل لأن الذبيح كان في مكة ولم يكن في الشام لأن اسماعيل عاش بمكة ولم يعيش بالشام ولأن هاجر كانت في مكة وسارة كانت بالشام وبلغ الخلاف حتى قال بعضهم نفوض فكان التفويض مذهباً ثالثاً والذي أثار هذا الخلاف هم أهل الكتاب يريدون سلب هذا الفضل عن النبي محمد ﷺ وفي الآيات الآتية إشارة إلى ذلك:

إن الذبيح هُديت إسماعيل نطق الكتاب بذلك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا وأتى به التفسير والتأويل
إن كنت أمته فلا تنكر له شرقاً به قد خصه التفضيل

ذبحه ابراهيم وترك اسماعيل وقوله ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي أبقينا عليه ثناء عاظرا وذكرنا حسنا فيمن جاء بعده من الأمم والشعوب. ﴿سلام على إبراهيم﴾ أي سلام من الله على ابراهيم كذلك أي كذلك الجزء الذي جرى به الله تعالى ابراهيم على إيمانه وهجرته وصبره وطاعته يجزي المحسنين وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ وفي هذا ثناء عاظر على المؤمنين، وقوله ﴿وبشرناه باسحاق نبياً من الصالحين﴾ وهذا يوم جاءه الضيف من الملائكة وهم في طريقهم إلى المؤتفكات قرى قوم لوط، وذلك بعد أن بلغ من العمر عتياً وامرأته سارة كذلك إذ قالت ساعة البشرية ﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً﴾ وعجبا لمن يقول إن الذبيح اسحق وليس اسماعيل، وقوله تعالى ﴿وباركنا عليه وعلى اسحق﴾ أي وباركنا عليه بتكثير ذريته وذرية اسحاق حتى إن عامة الأنبياء من بعدهما من ذريتهما. وقوله تعالى ﴿ومن ذريتهما﴾ أي ابراهيم واسحق ﴿محسن﴾ أي مؤمن صالح ﴿وظالم لنفسه﴾ بالشرك والمعاصي.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- فضل الهجرة في سبيل الله وأن أول هجرة كانت في الأرض هي هجرة ابراهيم من العراق إلى الشام.
- ٢- بيان أن الذبيح هو اسماعيل وليس هو اسحق كما يقول البعض وكما يدعي اليهود.
- ٣- وجوب بر الوالدين وطاعتهم في المعروف.
- ٤- فضل ابراهيم وعلو مقامه وكرامته عند ربه.
- ٥- فضل الإحسان وجزاء المحسنين.

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ

وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَبَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ

﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَأُوهُمْ الْعَلِيلِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَايَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ

الْمُسْتَيْنِ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا

(١) ضَعَفَ الْقُرْطُبِيُّ رَوَايَةَ الرَّجُلِ الَّذِي نَادَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتِلَا يَا ابْنَ الذَّبِيحِينَ فَضَحَكَ ﷺ فَلَا أَرَىٰ وَجْهًا صَحِيحًا لِتَضَعِيفِهَا إِذْ صَحَّ أَنَّ الذَّبِيحَ الْأَوَّلَ هُوَ اسْمَاعِيلُ وَالثَّانِي عَبْدُ اللَّهِ الْوَالِدُ إِذْ كُلُّ مَنِمَا أُرِيدَ ذَبْحُهُ وَاللَّهُ فَدَاهُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ .

عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ
 ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
 عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

ولقد مننا على موسى وهرون	: أي بالنبوة والرسالة .
ونجيناها وقومهما	: أي بني اسرائيل .
من الكرب العظيم	: أي استعباد فرعون لياهم واضطهاده لهم
ونصرناهم	: على فرعون وجنوده .
الكتاب المستبين	: أي التوراة الموضحة الأحكام والشرائع .
وهديناهما الصراط المستقيم	: أي الإسلام لله رب العالمين .
وتركنا عليهما في الآخريين	: أي أبقينا عليهما في الآخريين ثناء حسنا .
سلام على موسى وهرون	: أي سلام مننا على موسى وهرون .
إننا كذلك	: أي كما جزيناها نجزي المحسنين من عبادنا المؤمنين .
إنهما من عبادنا المؤمنين	: أي جزيناها بما جزيناها به لإيمانها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إفضال الله وإنعامه على من يشاء من عباده فبعد ذكر إنعامه على ابراهيم وولده إسحق ذكر من ذريتهما المحسنين موسى وهرون فقال تعالى ﴿ولقد مننا على موسى وهرون﴾ أي بالنبوة والرسالة، ﴿ونجيناها وقومها﴾ أي بني اسرائيل ﴿من الكرب العظيم﴾ الذي هو استعباد فرعون والأقباط لهم واضطهادهم زماً طويلاً ﴿ونصرناهم﴾ أي على فرعون وملائته ﴿فكانوا هم الغالبين﴾ و﴿آتيناهما﴾ أي اعطيناهما ﴿الكتاب المستبين﴾ وهو التوراة الواضحة

(١) كانت النبوة والرسالة منة لأن موسى لم يكتسبها بعمل وهارون اعطياها بدعوة أخيه موسى فلم يكتسبها بأي جهد فهي إذأ منة محضة .

(٢) إذ خرج فرعون في جيش عرمرم قوامه مائة ألف من الفرسان فقط ثم نجى الله تعالى بني اسرائيل وأغرق فرعون وجنده أجمعين فكان نصراً عظيماً لموسى على فرعون وملائته أجمعين .

(٣) موسى أوتي الكتاب أصالة وهارون بالتبعية لأخيه موسى .

الأحكام البين الشرائع لا خفاء فيها ولا غموض. ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ وهو الدين الصحيح الذي هو الإسلام دين الله الذي بعث به كافة رسله ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ أي وأبقينا عليهما الذكر الحسن والثناء العطر فيمن بعدهما ﴿سلام على موسى وهرون﴾ ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾^(١) أي كما جزيناها لإحسانهما نجزي المحسنين ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ فيه بيان لعله ما وهبهما من الإنعام والإفضال وهو الإيمان المقتضي للإسلام والإحسان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان إكرام الله تعالى لرسوله موسى وهرون عليهما السلام.
- ٢- بيان إنعام الله تعالى على بني إسرائيل بإنجائهم من آل فرعون ونصرته لهم عليهم.
- ٣- بيان أن الإسلام دين سائر الأنبياء وليس خاصاً بأمة الإسلام.
- ٤- بيان فضل الإحسان والإيمان.

وَإِنِ الْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَالَأَنْتَقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ

الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٢٦﴾

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

(١) انا كذلك نجزي المحسنين جملة تذييلة وإن تحمل معنى التعليل والتوكيل والمحسنون من أحسنوا طاعة الله تعالى فإطاعوه بما يجب من أفعال وتروك على نحو ما شرعه لهم وجملة أنهما من عبادنا المؤمنين تعليلية للإنعام السابق.

شرح الكلمات :

وإن إلياس لمن المرسلين : إلياس هو أحد أنبياء بني اسرائيل من سبط هرون أرسله الله تعالى إلى أهل مدينة بعلبك بالشام .

أتدعون بعلا : أي صنما يسمى بعلا .

وتذرون أحسن الخالقين : أي وتركون عبادة الله أحسن الخالقين .

فإنهم لمحضرون : أي في النار .

إلا عباد الله المخلصين : أي فإنهم نجوا من النار .

وتركنا عليه في الآخرين : أي أبقينا عليه في الآخرين ذكرا حسنا .

سلام على إل ياسين : أي سلام منا على إلياس .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إنعام الله تعالى على بعض أنبيائه ورسله فقال تعالى ﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾ وهو من سبط هرون عليه السلام أحد أنبياء بني اسرائيل أخبر تعالى أنه من المرسلين (١) أي اذكر إذ قال لقومه وهم أهل مدينة بعلبك وما حولها ﴿ألا تتقون﴾ أي الله تعالى بعبادته وترك عبادة غيره، وهذا دليل على أنه رسول. وقوله عليه السلام ﴿أتدعون بعلا﴾ هذا إنكار منه لهم على عبادة صنم كبير لهم يسمونه بعلا، أي كيف تعبدون صنما بدعائه والمعكوف عليه والذبح والنذر له، وتركون عبادة الله أحسن الخالقين، الله ربكم ورب آبائكم الأولين. قال تعالى ﴿فكذبوه﴾ أي في أنه لا إله إلا الله ﴿فماتوا وهم كافرون﴾ فاحضروا في جهنم فهم من المحضرين فيها، وقوله تعالى ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي الموحدين فإنهم ليسوا في النار بل هم في الجنة. وقوله تعالى ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ أي وأبقينا له ذكرا حسنا في الذين جاءوا من بعده من الناس. وقوله تعالى ﴿سلام﴾ أي منا ﴿على إل ياسين﴾ ﴿إنا كذلك﴾ أي كما جزينا إلياس لإحسانه في طاعتنا ﴿نجزي المحسنين﴾ وقوله ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ أي

(١) قدم تعالى ذكر نوح وإبراهيم وموسى وكلهم رسل أصحاب شرائع وعقب عليهم بذكر ثلاثة آخرين ليست لهم شرائع مستقلة وهم إلياس ولوط ويونس ويوسف واسم إلياس في كتب بني اسرائيل «إلياء».

(٢) عد في جملة المرسلين لأن الله تعالى أمره بتبليغ ملوك بني اسرائيل أن الله غضب عليهم من أجل عبادة الأصنام. فإطلاق اسم الرسول عليه كإطلاقه على اسم رسل عيسى عليه السلام في سورة يس.

(٣) ألا تتقون الهمزة للاستفهام الإنكاري ينكر عليهم عدم تقواهم لله، ولا نافية وحذف مفعول يتقون للعلم به. أي ألا تتقون الله تعالى أو عذابه ونقمه.

(٤) قرأ نافع آل ياسين كآل محمد، وقرأ حفص إل بكسر الهمزة وسكون اللام. واختلف هل إل ياسين معناه إلياس، أو معناه ذو ياسين كآل بني فلان، والراجح أن المراد بآل ياسين انصاره. نحو قول النبي ﷺ آل محمد كل تقى.

(٥) قرأ نافع والأكثر الله بالرفع على الابتداء، وقرأ حفص الله بالنصب على عطف البيان على أحسن الخالقين.

استحق تكريمنا والجزاء الحسن لأنه من عبادنا المؤمنين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد، والتنديد بالشرك .

٢- هلاك المشركين ونجاة الموحدين يوم القيامة .^(١)

٣- فضل الإحسان ومجازاة أهله بحسن الجزاء .

٤- فضل الإيمان وأنه سبب كل خير وكمال .

وَإِنَّ لُوطًا

لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا

فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُمرُونَ عَلَيْهِمْ

مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَالَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

شرح الكلمات :

وإن لوطاً لمن المرسلين : أي وإن لوطاً وهو ابن هاران أخي إبراهيم الخليل لمن جملة

الرسل أيضاً .

إذ نجيناه وأهله أجمعين : أي اذكر يا رسولنا ممن أنعمنا عليهم بالنبوة والرسالة لوطاً إذ

نجيناه وأهله اجمعين من عذاب مطر السوء .

إلا عجوزاً في الغابرين : أي إلا امرأته الكافرة هلكت في الغابرين أي الباقين في

العذاب .

ثم دمرنا الآخرين : أي أهلكتنا الآخرين ممن عدا لوطاً والمؤمنين معه .

وإنكم لتمرنون عليهم : أي في أسفاركم إلى فلسطين وغزة ومصر بالليل والنهار .

أفلا تعقلون : أي يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون وتتعضون فتؤمنوا

وتوحدوا .

(١) سياق قصة الياس فيها تذكير للرسول ﷺ ولقريش أيضاً إذ على الرسول أن يبلغ وليس عليه أن يأتي قومه بالعذاب ولو طالب به المدعوون فإن الياس لم يعذب الله قومه في الدنيا وترك عذابهم إلى الآخرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إنعام الله على من اصطفى من عباده فقال تعالى ﴿وإن لوطاً﴾ وهو ابن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام ﴿لمن المرسلين﴾ أي لمن جُملة رسلنا ﴿إذ نجيناه﴾ أي اذكر إنعامنا عليه إذ نجيناه من العذاب وأهله اجمعين ﴿إلا عجوزا في الغابرين﴾ وهي امرأته إذ كانت مع الكافرين فبقيت معهم فهلكت بهلاكهم . وقوله تعالى ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أي ممن عدا لوطاً ومن آمن به من قومه . وقوله ﴿وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين وبالليل﴾ هذا خطاب لأهل مكة المشركين إذ كانوا يسافرون للتجارة إلى الشام وفلسطين ويمرون بالبحر الميت وهو مكان الهالكين من قوم لوط أصبح بعد الخسف بحرّاً ميتاً لا حياة فيه البتة . وقوله ﴿أفلا تعقلون﴾ توبيخ لهم وتقرّيع على عدم التفكير والتدبر إذ لو فكروا لعلموا أن الله تعالى أهلّكهم لتكذيبهم برسولهم وكفرهم بما جاءهم به من الهدى والدين الحق ، وقد كذب هؤلاء فأبي مانع يمنع من وقوع عذاب بهم كما وقع بقوم لوط من قبلهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة لوط ورسالته .
- ٢- بيان العبرة في إنجاء لوط والمؤمنين معه وإهلاك الكافرين المكذبين به .
- ٣- بيان أن لا شفاعة تنفع ولو كان الشافع أقرب قريب إلا بعد أن يأذن الله للشافع وبعد رضائه عن المشفوع له .
- ٤- وجوب التفكير والتعقل في الأحداث الكونية للاهتمام بذلك إلى معرفة سنن الله تعالى في الكون والحياة .

(١) يقال مرّ به ومر عليه بمعنى إلا أن التمكن والمباشرة بالمرور به بعلى أكثر منه بالباء ومصباحين حال منصوب على الحالية بالياء والنون لأنه جمع سلامة للمذكر .

(٢) جيء بالمضارع في لتمرّون للايقاظ والاعتبار لا في حقيقة الإخبار .

(٣) خرج لوط مع عمه إبراهيم عليه السلام بعد حادثة القاء إبراهيم في النار ونجاته منها فأمن له لوط وخرج معه مهاجراً فأرسله الله تعالى إلى أصحاب الموثفكات وهي قرى سدوم وعمورة .

(٤) الاستفهام للإنكار والتقرّيع على جهالتهم وغفلتهم وعدم استعمال عقولهم للاهتمام .

(٥) اخذ هذا الحكم من كون لوط عليه السلام لم يشفع لزوجه في النجاة من الهلاك الذي أصاب المفسدين وذلك لكفرها وفسادها .

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ

مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ

كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً

مِّنْ يَّقُطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

فَأَمَّنُوا فَمَرَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾

شرح الكلمات :

- وإن يونس لمن المرسلين : أي وإن يونس بن متى الملقب بذئ النون لمن جُملة المرسلين .
 إذ أبق إلى الفلك المشحون : أي إذ هرب إلى السفينة المملوءة بالركاب .
 فساهم فكان من المدحضين : أي اقترع مع ركاب السفينة فكان من المغلوبين .
 فالتقمه الحوت وهو ملِيمٌ : أي ابتلعه الحوت وهو آتٍ بما يلام عليه .
 للبث في بطنه إلى يوم يبعثون : أي لكان بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة .
 فنبتناه بالعراء : أي فآلقيناه من بطن الحوت بالعراء أي بوجه الأرض
 بالساحل .
 وهو سقيم : أي عليل كالفرخ المنتوف الريش .
 شجرة من يقطين : أي الدباء : القرع .
 إلى مائة ألف أو يزيدون : أي أرسلناه إلى مائة ألف نسمة بل يزيدون ، بكذا ألف .
 فأمنوا فمرعناهم إلى حين : أي فأمن قومه عند معاينة آمارات العذاب فأبقاهم الله إلى
 آجالهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر من أنعم الله تعالى عليهم بما شاء من وجوه الإنعام . فقال عز وجل عطفاً عما سبق ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾ أي وإن عبدنا يونس بن متى ذا النون لمن جُملة من منّا عليهم بالنبوة والرسالة . ﴿إذ أبق﴾ أي في الوقت الذي هرب من قومه لما لم يؤمنوا به وواعدهم العذاب وتأخر عنهم فاستعجل فهرب من المدينة وهي نينوى^(١) من أرض الموصل بالعراق، فوصل الميناء فوجد سفينة مبحرة فركب وكانت حمولتها أكبر من طاقتها فوقفت في عرض البحر لا تتقدم ولا تتأخر فرأى ربّان السفينة أنه لا بد من تقليل الشحنة ولأغرق الجميع ، وشح كل راكب بنفسه فاقترعوا فكان يونس من المدحضين أي المغلوبين في القرعة فرموه في البحر فالتقمه حوته ، وهو مليم أي فاعل ما يلام عليه من فراره من دعوة قومه إلى الله لما ضاق صدره ولم يطق البقاء معهم . وهذا معنى قوله تعالى ﴿إذ أبق﴾ إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم^(٥) . وقوله تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبت في بطنه﴾ أي بطن الحوت ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يوم القيامة بأن يصير بطن الحوت قبراً له أي فلولا أن يونس كان من المسبحين أي المكثرين من الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح قبل البلاء لما كان يُلهم قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، ولما كان يستجاب له ولذا قال رسول الله ﷺ «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة» ، فإن صوت يونس سمع تحت العرش فعرفه بعض الملائكة فذكروا ذلك لربهم تعالى فأخبرهم أنه عبده يونس ، وأنه كان من المكثرين الصلاة والذكر والدعاء قبل البلاء فلذا استجاب الله تعالى ونجاه من الغم ، وهو معنى قوله تعالى ﴿فنبذناه بالبراء﴾ أي بوجه الأرض العارية من الشجر وكل ظل وهو كالفرخ المنتوف الريش نضج لحمه من حرارة جوف الحوت وأبنت تعالى عليه شجرة من يقطين أي فرع تظله بأوراقها

(١) نينوى كانت مدينة عظيمة من مدن الآشوريين وكان بهاماته ألف أسير من بني إسرائيل أسرههم الآشوريون فرسل الله تعالى إليهم يونس من فلسطين .

(٢) اقترعوا هو معنى قوله تعالى فساهم والمساهمة مشتقة من السهام التي واحدها سهم لأنهم كانوا يقترعون بالسهم وهي أعواد النبال وتسمى الأزام أيضاً والفاء في فساهم للتضريح .

(٣) أبق يابق إيقاً العبد إذا فرّ من مالكه .

(٤) الاقتراع مشروع فقد فعله رسول الله ﷺ في ثلاثة مواطن منها القرعة بين نساءه إذا أراد السفر بواحدة منهن وشرع الاقتراع فيما إذا تساوت الحقوق والمصالح لأجل دفع الضغائن كالاستهام على من يلي أمر كذا من خلافة أوزان أو الالف الأول وما إلى ذلك من قسمة دار أو أرض .

(٥) المليم اسم فاعل من الأم يلومه عليه الناس فهو جعلهم لاثمين له بفعله فهو لأنهم على نفسه .

الحريرية الناعمة والتي لا ينزل بساحتها الذباب، وسخر له أروية «غزاة» فكانت تأتيه صباح مساء فتفشح عليه أي تفتح رجليها وتدني ضرعها منه فيرضع حتى يشبع إلى أن تمائل للشفاء وعاد إلى قومه فوجدهم مؤمنين لتوبة أحدثوها عند ظهور امارات العذاب فتاب الله عليهم . وقوله تعالى ﴿ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ﴾^(١) أي أرسلناه إلى قومه وهم أهل نينوي وكان تعدادهم مائة ألف وزيادة كذا ألفا فأمنوا أي بالله ربنا وبالإسلام دينا وبيونس نبيا ورسولا وتابوا بترك الشرك والكفر فجزيناهم على إيمانهم وتوبتهم بأن كشفنا عنهم العذاب الذي أظلمهم، ومتعناهم أي أبقينا عليهم يتمتعون بالحياة إلى نهاية آجالهم المحدودة لهم في كتاب المقادير

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة يونس ورسالته وضمن ذلك تقرير رسالة محمد ﷺ .
- ٢- مشروعية الركوب في السفن البحرية .
- ٣- مشروعية الاقتراع لفض النزاع في قسمة الأشياء ونحوها .
- ٤- فضل الصلاة والذكر والدعاء والتسبيح وعظيم نفعها عند الوقوع في البلاء .
- ٥- تقرير مبدأ «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة» .
- ٦- بركة أكل اليقطين أي الدباء القرع إذ كان النبي ﷺ يأكلها ويلتقطها من حافة القصعة .
- ٧- فضل قوم يونس إذ آمنوا كلهم ولم تؤمن أمة بكاملها إلا هم .

فَأَسْتَفْتِيهِمُ الرِّبَّكَ البَنَاتُ

وَلَهُمُ البَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا المَلَكَةَ إِنثًا وَهُمْ

شَهْدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَوَلَدَ

اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ ﴿١٥٣﴾

(١) أو بمعنى بل على قول الكوفيين واستشهدوا بقول جرير:

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عدتهم إلا بعداد

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

(٢) روى أبو داود عنه ﷺ أنه قال دعاء ذي النون في بطن الحوت ولا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع

به رجل مسلم في شيء قط إلا استجيب له .

(٣) بعض حديث صحيح رواه مسلم وغيره .

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ
 ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ
 نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
 يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾

شرح الكلمات:

فاستفتهم	: أي استخبر كفار مكة توبيخاً لهم وتقريعاً.
ولهم البنون	: أي فيختصون بالأفضل الأشرف.
ليقولون ولد الله	: أي لقولهم الملائكة بنات الله.
أصطفى البنات	: أي اختار البنات على البنين.
أفلا تذكرون	: أي إن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد.
أم لكم سلطان مبين	: أي ألكم حجة واضحة على صحة ما تدعون.
فأتوا بكتابكم	: أي الذي تحتجون بما فيه، ومن أين لكم ذلك.
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا	: إذ قالوا الملائكة بنات الله.
ولقد علمت الجنة إنهم	: أي في العذاب.
لمحضرون	
سبحان الله عما يصفون	: أي تنزيها لله تعالى عما يصفونه به من كون الملائكة بنات له.
إلا عباد الله المخلصين	: أي فإنهم ينزهون ربهم ولا يصفونه بالنقائص كهؤلاء المشركين.

معنى الآيات:

بعد تقرير البعث والتوحيد والنبوة في السياق السابق بالأدلة والحجج والبراهين القاطعة أراد تعالى إبطال فرية من أسوأ الفرى التي عرفتها ديار الجزيرة وهي قول بعضهم إن الله تعالى قد أصهر إلى الجن فأنجب الملائكة وهم بنات الله، وهذا لا شك انه من إحياء الشيطان لإغواء الإنسان

(١) قال القرطبي في بيان من قال هذه القولة القذرة الفاسدة الباطلة قال: ذلك جهينة ونخاعة وبنو مليح وبنو سلمة وعبدالدار زعموا أن الملائكة بنات الله.

وإضلاله فقال تعالى لرسوله استفتهم أي استخبرهم موبخا لهم مقرعا قائلا لهم ﴿الربك البنات ولهم البنون﴾، أي أما تخجلون عندما تنسبون لكم الأسنى والأشرف وهو البنون، وتجعلون لله الأخص والأدنى وهو البنات وقوله تعالى ﴿أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون﴾ أي حضروا يوم خلقنا الملائكة فعرفوا بذلك أنهم إناث، والجواب لا إنهم لم يشهدوا خلقهم إذا فلم يكذبون وقوله تعالى ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون﴾ أي ألا إن هؤلاء المشركين الضالين من كذبهم الذي عاشوا عليه واعتادوه يقولون ولد الله وذلك بقولهم الملائكة بنات الله، وإنهم ورب العزة لكاذبون في قيلهم هذا الذي هو صورة لإفكهم الذي يعيشون عليه. وقوله تعالى ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ هذا توبيخ لهم وتقريع أصطفى أي هل الله اختار البنات على البنين فلذا جعلهم إناثا كما تزعمون. مالكم كيف تحكمون هذا الحكم الباطل الفاسد. أفلا تذكرون فتذكروا أن الله تعالى منزه عن الصاحبة والولد أم لكم سلطان مبین أي ألكم حجة قوية تثبت دعواكم والحجة القوية تكون بوحى من الله في كتاب أنزله يخبر فيه بما تقولون إذا ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه ما تدعون ﴿إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم.

ومن أين لكم الكتاب، وقد كفرتم بكتابكم الذي نزل لهدايتكم وهو القرآن الكريم. وهكذا أبطل الله هذه الفرية بأقوى الحجج. وقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه﴾ أي بين الله تعالى ﴿وبين الجنة نسبا﴾^(١) بقولهم أصهر الله تعالى إلى الجن فتزوج سروات الجن إذ سألهم أبو بكر: من أمهات الملائكة فقالوا سروات الجن وقوله تعالى ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي في العذاب، فكيف يكون لهم نسب ويعذبهم الله بالنار. فالنسب يكرم نسيبه لا يعذبه بالنار، وبذلك بطلت هذه الفرية الممقوتة، فزهد الله تعالى نفسه عن مثل هذه الترهات والأباطيل فقال ﴿سبحان الله عما يصفون﴾. ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ أي فإنهم لا يصفون ربهم بمثل هذه النقائص التي هي من صفات العباد المعجزة المفتقرين إلى الزوجة والولد أما رب كل شيء ومالكة وخالقه فلا يقبل

(١) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والتأنيب.

(٢) أصطفى. الهمزة للاستفهام وهمزة الوصل محذوفة والاستفهام للإنكار والتوبيخ والتقريع واصطفى بمعنى اختار البنات على البنين وقرأ الجمهور بهمزة القطع للاستفهام وقرأ بعض بهمزة الوصل دون همزة القطع إلا أنها منوثة.

(٣) مالكم ما اسم استفهام عن ذات وهي مبتدأ ولكم خبر، والمعنى: أي شيء حصل لكم؟

(٤) أفلا تذكرون قرأ نافع تذكرون بتشديد الدال والكاف معاً إذ الأصل تذكرون فادغمت إحدى التائين في الدال. وقرأ حفص تذكرون بتخفيف الدال لحذف التاء الثانية والاستفهام إنكارى.

(٥) النسب القرابة العمودية بالأباء والأمهات والأفقية كالإخوان والأعمام والمعنى فوي النسب لله تعالى وهو نسب النبوة لزعمهم أن الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(٦) المحضرون المجلوبون للحضور، والمراد المحضرون للعقاب والعذاب.

(٧) الاستثناء منقطع وجائز أن يكون من الحضور للعقاب فإن عباد الله لا يحضرون للعقاب ولا يعاقبون وجائز أن يكون من سبحة الله عما يصفون فإن عباد الله لا يصفون الله بالنقائص كما في التفسير وهو أولى من الأول.

العقل أن ينسب إليه الصاحبة والولد . فلذا عباد الله الذين استخلصهم لمعرفة والإيمان به وعبادته لا يصفون ربهم جل جلاله بصفات المحدثين من خلق الله . ولا يكونون من المحضرين في النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- إبطال فرية بني ملحان من العرب الذين زين لهم الشيطان فكرة الملائكة بنات الله ، ووجود نسب بين الله تعالى وبين الجن .

٢- مشروعية دحض الباطل بأقوى الحجج وأصح البراهين .

٣- الحججة الأقوى ما كانت من وحي الله في كتاب من كتبه التي أوحى بها إلى رسله .

فَانْكُرُوا مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا

لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ

﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا

عِبَادًا لِلَّهِ الْمُخَاصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

شرح الكلمات :

- وما تعبدون : أي من الأصنام .
 إلّا من هو صال الجحيم : أي مقدر له عذاب النار .
 إلّا له مقام معلوم : أي مكان في السماء يعبد الله تعالى فيه لا يتعداه .
 وإنا نحن الصافون : أي أقدامنا في الصلاة .
 وإنا نحن المسبحون : أي المنزهون الله تعالى عما لا يليق به .
 وإن كانوا يقولون : أي كفار مكة .
 لو أن عندنا ذكرا : أي كتابا من كتب الأمم السابقة .
 فكفروا به : أي بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن .
 فسوف يعلمون : أي عاقبة كفرهم إن لم يتوبوا فيؤمنوا ويوحدا .

معنى الآيات :

ما زال السياق في إبطال باطل المشركين فقد قال لهم تعالى ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ من أصنام أيها المشركون . ما أنتم بمضلين أحداً إلا أحداً هو صال الجحيم حيث كتبنا عليه ذلك في كتاب المقادير فهو لا بد عامل بما يوجب له النار فهذا قد يفتتن بكم وعبادتكم فيضل بضلالكم . وقوله تعالى ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإنما لنحن الصافون وإنما لنحن المسبحون﴾ هذا قول جبريل للنبي ﷺ أخبره بأن الملائكة تصف في السماء للصلاة كما يصف المؤمنون من الناس في الصلاة، وإنهم من المسبحين لله الليل والنهار وقد أخبر النبي ﷺ بأنه ما من موضع شبر في السماء إلا عليه ملك ساجد أو قائم وقوله تعالى ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ أي مشركو العرب ﴿لو أن عندنا ذكراً من الأولين﴾ أي كتاباً من كتب الأولين كالتوراة والإنجيل، لكننا عباد الله المخلصين أي لكننا عباداً لله تعالى نعبده ونوحده ولا نشرك به أحداً . فرد تعالى على قولهم هذا إذ هو مجرد تمنٍ كاذب بقوله فكفروا به أي فكفروا بالكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الكريم . إذاً فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم إن لم يتوبوا وهو هلاكهم وخسرانهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير عقيدة القضاء والقدر إذ من كتب الله عليه النار فسوف يصلها .
- ٢- تقرير عبودية الملائكة وطاعتهم لله وأنهم لا يتجاوزون ما حد الله تعالى لهم .
- ٣- فضل الصفوف في الصلاة وفضل تسويتها .
- ٤- بيان كذب المشركين إذ كانوا يدعون أنهم لو أنزل عليهم كتابٌ كما أنزل على من قبلهم لكانوا عباد الله المخلصين أي الذين يعبدونه ويخلصون له العبادة .

(١) جائز أن تكون ما موصولة بمعنى الذي وجائز أن تكون مصدرية أي فإنكم وعبادتكم لهذه الأصنام ما تفتنون على الله عبداً من عباده بإضلاله وإفساده إلا عبداً قضى الله بعذابه فهو صال الجحيم، وفي الآية رد على نفاة القدر، ومن أحسن ما قيل شعراً قول لبيد بن ربيعة :

إن تقوى ربنا خير نفل ويأذن الله ربنا والعجل
أحمد الله فلا ند له بيديه الخير ما شاء فعل
من هذه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

- (٢) الأصل صالي الجحيم وحذفت الياء لعدم النطق بها لوجود همزة الوصل .
- (٣) هذا من قول الملائكة . قال مقاتل هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله ﷺ عند سدره المنتهى فتأخر جبريل فقال النبي ﷺ أهنا تفارقني؟ فقال ما استطع أن أتقدم عن مكاني وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم .
- (٤) روى مسلم أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم في المسجد فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ فقالوا يارسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف .
- (٥) وإن كانوا ليقولون : إن مخففة من الثقيلة واللام للابتداء وهي الفارقة بين المخففة والنافية .

٥- تهديد الله تعالى للمشركين على كذبهم بقوله فسوف يعلمون .

وَلَقَدْ

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِزَّابْنَا إِسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ
صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

شرح الكلمات :

- سبقت كلمتنا : هي قوله تعالى لأغلبن أنا ورسلي .
 وإن جندنا لهم الغالبون : أي للكافرين بالحجة والنصرة .
 فتولَّ عنهم حتى حين : أي أعرض عنهم حتى تؤمر فيهم بالقتال .
 وأبصرهم : أي أنظرهم .
 فإذا نزل بساحتهم : أي العذاب .
 وتولَّ عنهم : أي أعرض عنهم .
 سبحان ربك : أي تنزيها لربك يا محمد .
 عما يصفون : أي تنزيها له عما يصفه به هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد والشريك .
 وسلام على المرسلين : أي أمنة من الله لهم في الدنيا والآخرة .
 والحمد لله رب العالمين : أي الثناء بالجميل خالص لله رب الثقلين الإنس والجن على نصر أوليائه وإهلاك أعدائه .

معنى الآيات :

لما ختم السياق الأول بتهديد الكافرين بقوله تعالى ﴿فكفروا به فسوف يعلمون﴾ أخبر تعالى

رسوله بما يطمئنه على نصر الله تعالى له فقال ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ وهي قوله ﴿إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾.

أي بالحجة والبرهان، وبالرمح والسنان. وقوله ﴿وتول عنهم حتى حين﴾ يأمر رسوله أن يعرض عن المشركين من قومه حتى حين يأمره فيهم بأمر^(٣)، أو ينزل بهم بلاء أو بأساً وقوله ﴿وأبصرهم﴾ أي أنظرهم فسوف يبصرون لا محالة ما ينزل بهم من عذاب الله في الدنيا وفي الآخرة. وقوله تعالى ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾، ينكر تعالى عليهم استعجالهم العذاب الدال على سفههم وخفة أحلامهم إذما يستعجل العذاب إلا أحق جاهل وعذاب من استعجلوا إنه عذاب الله!! قال تعالى ﴿فإذا نزل بأسحتهم﴾ أي بفناء دارهم ﴿فساء صباح المنذرين﴾ أي بشس صباحهم من صباح إنه صباح هلاكهم ودمارهم ثم أمر تعالى مرة أخرى رسوله أن يتول عنهم وينتظر ما يحل بهم فقال ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون﴾ وفي الآية من التهديد والوعيد لهؤلاء المشركين مالا يقادر قدره. وأخيراً نزه تعالى نفسه عما يصفه به المشركون من الولد والشريك وسلم على المرسلين، وحمد نفسه مشيراً إلى مقتضى الحمد وموجبه وهو كونه رب العالمين فقال ﴿سبحان ربك﴾ يا محمد ﴿رب العزة﴾ ومالكها يعز بها من يشاء ويذل من يشاء ﴿عما يصفون﴾ من الصاحبة والولد والشريك، ﴿وسلام﴾ منا ﴿على المرسلين﴾ وأنت منهم ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصره أوليائه وإهلاكه أعداءه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- تقرير النبوة المحمدية.

٢- وعد الله تعالى لرسوله بالنصر وقد أنجزه ما وعده والحمد لله.

٣- استحباب ختم الدعاء أو الكلام بقراءة جملة ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ لورود ذلك في السنة.

(١) جائز أن يكون المراد قوله تعالى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ الآية.

(٢) قال الحسن: لم يقتل من أصحاب الشرائع أحد قط.

(٣) كإذن له ﷺ بجهادهم، وجائز أن يكون حتى يجيء أجلهم أو يأتي يوم بدر أو الفتح

(٤) كرر للتأكيد، وكذا وتول عنهم مكرر للتأكيد.

(٥) سئل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (سبحان الله) فقال هو تنزيه الله عن كل سوء.

(٦) يصفون الله عز وجل بأن له صاحبة وله ولداً وشريكاً.

(٧) ذكر القرطبي أن النبي ﷺ كان يختم صلاته غير مرة بقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ صَّ

مكية

وآياتها ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَ وَأَوَّلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا
أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾
أَجْعَلِ الْاِلٰهَةَ الْاِلٰهًا وَاحِدًا اِنْ هَذَا الشَّيْءُ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَاَنْطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ اِنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوا عَلٰى اِلٰهَتِكُمْ اِنْ هَذَا الشَّيْءُ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْاٰخِرَةِ اِنْ هَذَا اِلَّا اُخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ اءَنْزَلَ
عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّ يَدُوْا فُوْا عَذَابٍ
﴿٨﴾ اَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيْزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ اَمْ لَهُمْ
مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْاَسْبَابِ ﴿١٠﴾
جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُوْمٌ مِنَ الْاَحْزَابِ ﴿١١﴾

شرح الكلمات :

ص : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب ص ويقرأ صاد الله أعلم
بمراده به .

والقرآن ذي الذكر أي أقسم بالقرآن ذي الذكر إذ به يذكر الله تعالى ما الأمر كما

يقول هؤلاء الكافرون من أن النبي ساحر وشاعر وكاذب .

بل الذين كفروا في عزة وشقاق : أي أهل مكة في عزة نفس وشقاق مع النبي والمؤمنين وعداوة

فلذا قالوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون براءته مما قالوا فيه .
 وكم أهلكنا قبلهم من قرن: أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناهم .
 فنادوا ولات حين مناص : أي صرخوا واستغاثوا وليس الوقت وقت مهرب ولا نجاة .
 وعجبوا : أي وما اعتبر بهم أهل مكة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم محمد ﷺ .
 قالوا ساحر كذاب : أي لما يظهره من الخوارق ولما يسنده إلى الله تعالى من
 الإرسال والإنزال .

أجعل الآلهة إلهاً واحداً: أي لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله، فقالوا كيف يسع الخلائق إله واحد؟
 إن هذا لشيء عجاب : أي جعل الآلهة إلهاً واحداً أمر عجيب .
 وانطلق الملائمة أن امشوا : أي خرجوا من بيت أبي طالب حيث كانوا مجتمعين بالنبي ﷺ
 وسمعوا منه قوله لهم قولوا لا إله إلا الله .
 إن هذا لشيء يراد : أي إن هذا المذكور من التوحيد لأمر يراد منا تنفيذه .
 في الملة الآخرة : أي ملة عيسى عليه السلام .
 إن هذا إلا اختلاق : أي ما هذا إلا كذب مختلق .
 أنزل عليه الذكر من بيننا : أي كيف يكون ذلك وليس هو بأكبر منا ولا أشرف .
 بل هم في شك من ذكري : أي بل هم في شك من القرآن والوحي ولذا قالوا في الرسول
 ما قالوا .

بل لما يذوقوا عذاب : أي بل لم يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوه لما كذبوا بل آمنوا ولا
 ينفعهم إيمان .

أم عندهم خزائن رحمة ربك : أي من النبوة وغيرها فيعطوا منها من شاءوا ويحرموا من شاءوا .
 أم لهم ملك السموات والأرض : أي ليس لهم ذلك .
 فليرتقوا في الأسباب : أي الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا أو
 يمنعوا الوحي النازل على نبينا محمد ﷺ وأنى لهم ذلك .

جند ما هنالك مهزوم : أي هم جند حقير في تكذيبهم لك مهزوم أمامك وفي بدر .
 من الأحزاب : أي من الأمم الماضية التي تحزبت على رسلها وأهلكها الله تعالى .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ ^(١) **أَمَا صَ فَإِنَّهُ أَحَدُ حُرُوفِ الْهَجَاءِ وَمَذْهَبُ السَّلَفِ فِيهِ أَنْ**

(١) قرأ الجمهور ص بالسكون وقرأ الحسن وأبي بن كعب صاد بكسر الدال وبدون تنوين، وتوجيهها أنها من صاى يصادى إذا عارض نحو ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ أي تتعرض والمصادات المعارضة، والمعنى عارض القرآن بملك وقابله به، فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه أو اتله وتعرض لقراءته .

يقال الله أعلم بمراده به إذ هو من المتشابه الذي يجب الإيمان به ويوكل أمر معناه إلى من أنزله، وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف قد أفادت فائدتين فيطلبهما من شاء من القراء الكرام من السور المفتوحة بمثل هذه الحروف نحو طس، آلم. وأما قوله ﴿والقرآن﴾ هو كتاب الله هذا المنزل على محمد ﷺ ﴿وذى الذكر﴾^(١) معناه التذكير إذ به يذكر الله تعالى والجملة قسم أقسم الله به فقال ﴿والقرآن ذى الذكر﴾ وجواب القسم محذوف تقديره ما الأمر كما يقول هؤلاء المشركون من أن النبي محمدا ﷺ ساحر وشاعر وكاذب ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ أي بل هم في عزة نفس وكبرياء وخلاف وعداوة مع النبي ﷺ والمؤمنين فحملهم ذلك على أن يقولوا في الرسول ما قالوا، وإلا فهم يعلمون يقينا أن النبي محمدا ﷺ أبعد الناس عن السحر والشعر والكذب والجنون. وقوله تعالى ﴿كم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي كثيرا من الأمم الماضية أهلكناها بتكذيبها لرسولها فلما جاءهم العذاب نادوا صارخين مستغيثين ﴿ولات حين مناص﴾^(٢) أي وليست الساعة ساعة نجاة ولا هرب، فلم لا يعتبر مشركو مكة بمثل هؤلاء. لم يعتبروا ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة وهو محمد ﷺ. وقال الكافرون ﴿أي لم يعتبروا وعجبوا وقالوا فيه﴾ ساحر كذاب. ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب﴾^(٣) أي عجب أي كيف يسع العباد إله واحد إن هذا لأمر يتعجب منه غاية العجب، لأنهم قاسوا الغائب وهو الله تعالى على الشاهد وهو الإنسان الضعيف فوقعوا في أفحش خطأ وأقبحه.

وقوله تعالى ﴿وانطلق الملائمة منهم﴾ وهم يقولون لبعضهم بعضا امشوا واصبروا على آلهتكم ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ أي منا إمضاؤه وتنفيذه. قالوا هذا وما بعده من القول لما اجتمعوا بالرسول ﷺ في منزل عمه أبي طالب لمفاوضة الرسول في شأن دعوته فلما قال لهم الرسول ﷺ قولوا لا إله إلا الله قاموا من المجلس وانطلقوا يمشون ويقولون ما أخبر تعالى به عنهم ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ أي على عبادتها فلا تتخلوا عنها ﴿إن هذا﴾ أي الدعوة إلى لا إله إلا الله لشيء.

(١) في شرح هذه الكلمة عدة أوجه منها ذي الشرف أي من آمن به وعمل بما فيه كان شرفا له. في الدارين كما أنه شريف في نفسه لإعجازه، وقيل ذي الذكر أي فيه ذكر ما يحتاج إليه وقيل الموعظة وقيل فيه أسماء الله وتمجيده.

(٢) وذكر لجواب القسم أمور منها ما في التفسير وهو أمثلها وقيل الجواب بل الذين كفروا وقيل الجواب إنه لمن عند الله تعالى أي القرآن المؤلف من حروف ص وغيره.

(٣) النداء رفع الصوت ومنه الحديث «القه على بلال فإنه أندى منك صوتاً» القرن الأمة.

(٤) ولات هي لا النافية زيدت فيها التاء كما زيدت في رُبْتُ وثمت وهي مشبهة بليس وهي مختصة بنفي أسماء الزمان والمناص النجاء والغوث وهو مصدر ميمي من ناصَه إذ فاته والمعنى فنادوا مبتهلين في حال ليس فيها وقت نجاة وغوث.

(٥) العجاب وصف الشيء الذي يتعجب منه كثيرا لأن وزن فعال بضم أوله يدل على تمكن الوصف مثل طوال أو كرام.

كبير يراد منا إمضاؤه وتنفيذه لصالح غيرنا. ما سمعنا بهذا أي بالتوحيد في الملة الآخرة أي الدين الأخير وهو ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام. ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي ما هذا الذي يدعو إليه محمد إلا كذب اختلقه لم ينزل عليه ولم يُوحَ به إليه. وواصلوا كلامهم قائلين ﴿أنزل عليه الذكر﴾ أي القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس هو بأكبرنا سناً ولا بأشرفنا نسباً. فكيف يكون هذا؟ وقوله تعالى ﴿بل هم في شك من ذكرى﴾ أي لم يكن بالقوم جهل بصدق محمد في قوله وسلامة عقله، وإنما حملهم على ذلك هو شكهم في القرآن وما ينزل به من الحق ويدعو إليه من الهدى، وهذا أولاً وثانياً إنهم لما يذوقوا عذابي إذ لو ذاقوا عذاب الله على تكذيبهم ما كذبوا، وسوف يذوقونه ولكن لا ينفعهم يومئذ تصديق ولا إيمان. وقوله تعالى ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ أي بل عندهم خزائن رحمة ربك يا رسولنا العزيز أي الغالب الوهاب أي الكثير العطاء من النبوة وغيرها وعندئذ لهم أن يعطوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ولكن فهل لهم من خزائن رحمة ربك شيء والجواب لا إذا فلم ينكرون هبة الله لمحمد بالنبوة والوحي والرسالة. . وقوله تعالى ﴿أم لهم ملك السموات والأرض﴾ أي بل لهم ملك السموات والأرض وما بينهما؟ إذا كان هذا لهم ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ سبباً بعد سبب حتى ينتهوا إلى السماء السابعة ويمنعوا السوحي النازل على محمد ﷺ من ربه سبحانه وتعالى. ومن أين لهم ذلك وهم الضعفاء الحقيرين إنهم كما قال تعالى فيهم ﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾ أي جند حقير من جملة أحزاب الباطل والشر مهزوم هنالك بيدرو يوم الفتح بإذن الله.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- الله تعالى أن يقسم بما يشاء بخلاف العبد لا يقسم إلا بربه تعالى.
- ٢- بيان ما كان عليه المشركون من كبرياء وعداء للنبي ﷺ.
- ٣- بيان جهل المشركين في استنكارهم للإله إلا الله محمد رسول الله.
- ٤- تحدي الرب تعالى للمشركين إظهاراً لعجزهم ودعوة لهم إلى النزول إلى الحق وقبوله.
- ٥- إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك.
- ٦- ذم كلمة الأحزاب ومدلولها إذ لا تأتي الأحزاب بخير.

(١) جند ما هنالك (ما) مزيدة للتأكيد أي تأكيد حقارة جند إن قيل التنكير للتحقير وإن كان للتعظيم فهي لتوكيده وهنالك إشارة إلى مكان بعيد، ومهزوم مضموع دليل قد انقطعت حجتهم وذهبت قوتهم وفي الخطاب تسلية للنبي ﷺ بمعنى لا تحفل بهم ولا تغتم لشأنهم.

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ

نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ

لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلًّا إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ

فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُهُمْ إِلَّا الْأَصْحَابُ وَاحِدَةً مَّا لَهَا

مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ

مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثِنَهُ الْحِكْمَةَ

وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

كذبت قبلهم	: أي قبل هؤلاء المشركين من قريش .
وفرعون ذو الأوتاد	: أي صاحب أوتاد أربعة يشد إليها من أراد تعذيبه .
وأصحاب الأيكة	: أي الغيضة وهم قوم شعيب .
إن كل إلا كذب الرسل	: أي ما كل واحد منهم إلا كذب الرسل ولم يصدقهم فيما دعوا إليه .
فحق عقاب	: أي وجبت عقوبتي عليهم .
صيحة واحدة	: هي نفخة اسرافيل في الصور نفخة .
مالها من فواق	: أي ليس لها من فتور ولا انقطاع حتى تهلك كل شئ .
عجل لنا قطنا	: أي صك أعمالنا لنرى ما أعددت لنا إذ القط الكتاب .
ذا الأيد	: أي القوة والشدة في طاعة الله تعالى .
إنه أواب	: أي رجاع إلى الله في كل أمره .
بالعشي والإشراق	: أي بالمساء بعد العصر إلى الغروب والإشراق من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى .

والطير محشورة له : أي والطير مجموعة .

وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب : أي وأعطينا داود الحكمة . وهي الإصابة في الأمور والسداد فيها وفصل الخطاب . الفقه في القضاء ^(١) ومن ذلك البينة على المدعي واليمين على من أنكر .

معنى الآيات :

السياق الكريم في تسلية النبي ﷺ وتهديد المشركين علمهم يتوبون إلى الله ويرجعون قال تعالى ﴿ كذبت قبلهم ﴾ أي قبل قومك يا محمد ﴿ قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد ﴾ أي صاحب الأوتاد التي كان يشد إليها من أراد تعذيبه ويعذبه عليها كأعواد المشائق ، ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة ﴾ أي الغيضة وهي الشجر الملتف وهم قوم شعيب ، ﴿ أولئك الأحزاب ﴾ أي الطوائف الكافرة الهالكة ﴿ إن كل الأكلب الرسل ﴾ أي ما كل واحدة منها إلا كذبت الرسل ﴿ فحق عقاب ﴾ أي وجب عقابي لهم فعاقتهم ، وما ينظر هؤلاء من قومك ﴿ إلا صيحة واحدة مالها من فوق ﴾ أي من فتور ولا انقطاع حتى يهلك كل شيء ولا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والإكرام . وقوله تعالى ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب ﴾ قالوا هذا لما نزل ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ الآيات من سورة الحاقة . قال غلاة الكافرين كأبي جهل وغيره استهزاء ، ربنا عجل لنا قطننا أي كتابنا لنرى ما فيه من حسنات وسيئات قبل يوم القيامة والحساب والجزاء وهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء ، وإنما قالوا هذا استهزاء وعناداً أو مكابرة فلذا قال تعالى لرسوله ﴿ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد ﴾ أي القوة في دين الله ﴿ إنه أواب ﴾ أي رجاع إلى الله تعالى

(١) صورة من فصل الخطاب الذي هو الفقه والبصيرة في القضاء روي أن ابن أبي ليلى جلد امرأة مجنونة قذفت رجلاً فقالت له يابن الزانين جلدها وهي قائمة في المسجد فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال أخطأ ابن أبي ليلى من ستة وجوه وهي : ١- المجنون لا حد عليه لأنه غير مكلف . ٢- إن كان القذف حقا لله تعالى فلا يقام على القاذف إلا حداً واحداً كما هو مذهب أبي حنيفة . ٣- أقام الحد بدون مطالبة المقدوف به . ٤- إنه والى بين الحدين والواجب أن يفرق بينهما . ٥- أنه حداها قائمة والمرأة تحد جالسة مستورة . ٦- أنه أقام الحد في المسجد والإجماع أن الحدود لا تقام في المساجد .

(٢) مفعول كذبت محذوف سيذل عليه ما يأتي من قوله : ﴿ إن كل الأكلب الرسل ﴾ فالمفعول المحذوف هو الرسل والجملته بيان لسابقتها تحمل التسلية والعزاء للرسول ﷺ .

(٣) جائز أن يكون المراد بالأوتاد القوة والبطش أو الأهرام لأنها بناء راسخ في الأرض كالأوتاد جمع وتد بكسر التاء وهو عود غليظ له رأس مفلطح يثق في الأرض ليشد به ظنب الخيمة أو حبالها قال الشاعر :

والبيت لا يبنى إلا على عمد ولا عماد إذا لم تُرْس أوتاد

(٤) الفواق اسم للزمن الذي بين الحلبتين والرضعتين إذ الحالب محلب الناقة ثم يترك ولدها يرضعها حتى تدر اللبن ثم يعده ويحلبها مرة ثانية . فالفواق هو ما بين الحلبتين والرضعتين .

(٥) القط : هو القسط من الشيء ويطلق كما هنا على قطعة الورق أو ما يكتب عليه العطاء لأحد ويسمى بالصك .

(٦) الأيد ليست جمع يد وإنما المراد بها القوة الشدة . وهو مصدر آد يثيد أي بدأ . إذا قوى واشتد ومنه التأييد الذي هو التقوية . قال تعالى ﴿ فأواكم وأيدكم بصره ﴾ .

(٧) شاهده قوله ﷺ أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أواباً « في الصحيحين » .

أذكره لتأسى به في صبره وقوته في الحق وقوله تعالى ﴿إنا سخرنا﴾ الآيات بيان لإنعام الله تعالى على داود لتعظم الرغبة في الاقتداء به، والرغبة إلى الله تعالى فيما لديه من إفضالات ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾^(١) أي إذا سبح داود في المساء من بعد العصر إلى الغروب وفي الإشراق وهو وقت الضحى سبحت الجبال معه أي رددت تسيبته كرامة له والطيور محشورة أي وسخرنا الطير محشورة أي مجموعة تردد التسيب معه، وقوله ﴿كل له أبواب﴾ أي كل من الجبال والطيور أبواب أي رجاء يسبح الله تعالى. وقوله ﴿وشددنا ملكه﴾ أي قوينا ملك داود بمنحنا إياه كل أسباب القوة المادية والروحية. ﴿وآتيناه الحكمة﴾ وهي النبوة والإصابة في الأمور والسداد فيها قولاً كانت أو فعلاً. ﴿وفصل الخطاب﴾ أي حسن القضاء والبصيرة فيه، والبيان الشافي في كلامه. فبه اقتده يارسولنا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر على أذى قريش وتكذيبها وعنادها.
- ٢- تهديد قريش إذا أصرت على التكذيب بأشد أنواع العقوبات.
- ٣- بيان استهزاء المشركين واستخفافهم بأخبار الله تعالى وشرائعه.
- ٤- مشروعية الأسوة والاقتداء بالصالحين.
- ٥- بيان آية تسخير الله تعالى الجبال والطيور لداود تسبح الله تعالى معه.
- ٦- حسن صوت داود في قراءته وتسيبته.^(٢)
- ٧- مشروعية صلاة الإشراق والضحى.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
 الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ
 خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كنت أمر بهذه الآية بالعشي والإشراق ولا أدري ما هي حتى حدثني أم هانئ. أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة (الضحى) وقال يا أم هانئ هذه صلاة الإشراق. وروى البخاري عن أبي هريرة قال أو صاني خليلي بثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر. (٢) شاهده قوله ﷺ لأبي موسى الأشعري وقد سمعه يقرأ القرآن ويرتل بحسن صوت لقد أوتيت مزماراً من مزامير داود. والمزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سميت آلة الزمر مزماراً.

وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٤٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً
وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٤٣﴾ قَالَ
لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نَعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ
مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ
﴿٤٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ۗ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ

شرح الكلمات :

- هل أتاك : الاستفهام هنا للتعجب أي حمل المخاطب على التعجب .
نبا الخصم : أي خبر الخصم الغريب في باب العجيب في واقعه .
إذ تسوروا والمحراب : أي محراب مسجده إذ منعوا من الدخول من الباب فقصدوا
سوره ونزلوا من أعلى السور .
بغى بعضنا على بعض : أي تعدى بعضنا على بعض .
فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط : أي احكم بالعدل ولا تجر في حكمك .
واهدنا إلى سواء الصراط : أي أرشدنا إلى العدل في قضيتنا هذه ولا تمل بنا إلى غير الحق .
إن هذا أخي : أي على ديني في الإسلام .
فقال اكفليها : أي اجعلني كافلها بمعنى تنازل لي عنها وملكنيها .
وعزني في الخطاب : أي غلبي في الكلام الجدلي فأخذها مني .
لقد ظلمك بسؤال نعمتك : أي بطلبه نعمتك وضمها إلى نعاجه .
من الخلطاء ليبغي بعضهم : أي الشركاء يظلم بعضهم بعضا .
وظن داود أنما فتناه : أي أيقن داود أنما فتته ربه أي اختبره .
فاستغفر ربه وخر راكعا : أي طلب المغفرة من ربه بقوله استغفر الله وسقط ساجدا على
وأنا ب : الأرض وأنا ب أي رجع تائباً إلى ربه .
وان له عندنا لزلفى : وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب : أي وحسن مرجع عندنا وهي الجنة والدرجات العلا فيها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تسلية الرسول وحمله على الصبر على ما يعاني من كفار قريش من تطاول وأذى فقال له ربه تعالى ﴿هل أتاك﴾ إلى آخر الآيات . وذلك أن داود^(١) عليه السلام ذكر مرة في نفسه ما أكرم الله تعالى به إبراهيم واسحق ويعقوب من حسن الشئاء الباقي لهم في الناس ، فتمنى مثله فقيل له إنهم امتحنوا فصبروا فسأل أن يتلى كالذي ابتلوا به ويعطى كالذي أعطوا إن هو صبر فاختبره الله تعالى بناء على رغبته فأرسل إليه ملكين في صورة رجلين فتسورا عليه المحراب كما يأتي تفصيله في الآيات وهو قوله تعالى ﴿وهل أتاك﴾ يا رسولنا نبأ الخصم^(٢) وهما ملكان في صورة رجلين ، ولفظ الخصم يطلق على الواحد والأكثر كالعدو فيقال هذا خصمي وهؤلاء خصمي ، وهذا عدوي ، وهؤلاء عدو لي . وقوله ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ أي طلوعوا على سور المنزل الذي هو المحراب في عرف بني اسرائيل ولم يدخلوا من الباب لأن الحرس منعهم من ذلك ، لأن لداود وقتا ينقطع فيه للعبادة فلا يسمح بمقابلة أحد وقوله ﴿إذ دخلوا على داود وهو في محرابه ففرغ منهم﴾ أي ارتاع واضطرب نفسا ﴿فقالوا لا تخف خصمان﴾ أي نحن خصمان ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ أي اعتدى بعضنا على بعض جئنا نتحاكم إليك ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي لا تجر في الحكم ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ أي إلى وسط الطريق فلا تمل بنا عن الحق . ثم عرضا عليه القضية فقال أحدهما وهو المظلوم عارضا مظلمته ﴿إن هذا أخي﴾ أي في الإسلام ﴿له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال لي أكفانيها﴾ أي ملكنيها أضمها إلى نعاجي ، ﴿وعزني في الخطاب﴾ أي وغلبنى في الكلام والجدال وأخذها مني . فقال داود على الفور وبدون أن يسمع من الخصم الثاني ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ وعلل لذلك بقوله ﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾ أي الشركاء في زرع أو ماشية أو تجارة ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم أهل الإيمان والتقوى فإنهم يسلمون من

(١) ذكر المفسرون هنا نقلا عن كتب بني اسرائيل عجائب وغرائب في قصة داود هذه من أبشعها أنه نظر من كوة المحراب فرأى امرأة تغتسل فأحبها وطلبها بأن أرسل زوجها إلى الجهاد ليموت قتيلًا حتى يتزوج داود امرأته بعد موته عرضا عن هذه الأباطيل منزهيـن نبيـي الله عن هذه الأكاذيب الممجوجة التي لا يرتكها أقل الناس إيمانا وشأنا كما نسبوا إلى يوسف ما نسبوا ، رواية عن اليهود وهم أكذب خلق الله تعالى بعد أن لعنوا بظلمهم .

(٢) لا خلاف بين المفسرين ان الخصمين كانا ملكين . انتهى .

(٣) شاهده قول الشاعر:

وخصم غضاب ينفضون لحاهم كنفض البراذين العراب المخاليا

(٤) إذ طرف للزمان الماضي متعلق بمحذوف تقديره : تحاكم الخصم إذ تسوروا الخ .

(٥) سواء الصراط أي وسط الطريق وهذا كناية عن الحكم بالعدل وعدم الجور عن الحق أي الميل كمن يميل إلى جانب الطريق .

مثل هذه الاعتداءات، ﴿وقليل ما هم﴾ أي وهم قليل جداً، وهنا طار الملكان من بين يدي داود وعرجا إلى السماء فعلم عندئذ أنما فتنه ربه كما رغب إليه وأنه لم يصبر حيث قضى بدون أن يسمع من الخصم الثاني فكانت زلة صغيرة أرته أن ما ناله إبراهيم واسحق ويعقوب من الكمال كان نتيجة ابتلاء عظيم، وهنا استغفر داود ربه ﴿وخر راکعاً﴾^(١) يبكي ويطلب العفو وأتاب إلى ربه في أمره كله، وذكر تعالى أنه قبل توبته وعفا عنه فقال تعالى ﴿ففغرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾ أي لغربة عندنا ﴿وحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الدرجات العلا في دار الأبرار، جعلنا الله تعالى من أهلها بفضلهم ورحمته.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- فائدة عرض مثل هذا القصص تقوية قلب الرسول ﷺ وتثبيت فؤاده وحمله على الصبر.
- ٢- تقرير نبوة النبي ﷺ إذ مثل هذا القصص لا يتأتى له قصه إلا بوحى إلهي.
- ٣- تقرير جواز تشكل الملائكة في صورة بني آدم.
- ٤- حرمة إصدار القاضي أو الحاكم الحكم قبل أن يسمع الدعوى من الخصمين معاً إذ هذا محل الفتنة التي كانت لداود عليه السلام.
- ٥- وجوب التوبة عند الوقوع في الذنب
- ٦- مشروعية السجود عند قراءة هذه الآية ﴿وخر راکعاً وأتاب﴾.

يٰۤاٰوَدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ

(١) أطلق الركوع وأريد به السجود وهو شائع كما في قول الشاعر:

فخر على وجهه راکعاً وتاب إلى الله من كل ذنب

(٢) وكثيراً ما كان جبريل يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية بن خليفة الكلبي.

(٣) في البخاري قال ابن عباس قال ﷺ ليست من عزائم القرآن وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها قال ابن العربي: والذي عندي أنها ليست موضع سجود ولكن النبي ﷺ سجد فيها فسجدنا بالاعتداء به وقد صح عن النبي ﷺ سجود الشكر. ولما بشر بقتل أبي جهل قام فصلى ركعتين شكراً لله تعالى.

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٣٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
 ﴿٣٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
 الْأَلْبَابِ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

- إنا جعلناك خليفة : أي خلفت من سبقك تدبر أمر الناس بإذننا .
 ولا تتبع الهوى : أي هوى النفس وهو ما تميل إليه مما تشتهي .
 فيضلك عن سبيل الله : أي عن الطريق الموصل إلى رضوانه .
 إن الذين يضلون عن سبيل الله : أي يخطئون الطريق الموصل إلى رضوانه وهو الإيمان والتقوى .
 بمانسوا يوم الحساب : أي بنسيانهم يوم القيامة فلم يتقوا الله تعالى .
 باطلا : أي عبثا لغير حكمة مقصودة من ذلك الخلق .
 ذلك ظن الذين كفروا : أي ظن أن السموات والأرض وما بينهما خلقت عبثا لا لحكمة مقصودة منها ظن الذين كفروا .
 فويل للذين كفروا من النار : أي من واد في النار بعيد غوره كريحه لا يطاق .
 مبارك : أي لا تفارقه البركة يجدها قارئه والعامل به والحاكم بما فيه .
 وليتذكر أولوا الألباب : أي ليتعظ به أصحاب العقول الراجعة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر قصة داود للعظة والاعتبار وتثبيت فؤاد النبي ﷺ فقال تعالى ﴿يا داود﴾ أي ^(١)

(١) افتتاح الخطاب بالنداء لاسترعاء وعي المخاطب ليهتم بما سيقال له .

(١) وقلنا له أي بعد توبته وقبولها يا داود ﴿إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ خلفت من قبلك من الأنبياء تدبر أمر الناس ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ أي بالعدل الموافق لشرع الله ورضاه، ﴿ولا تتبع الهوى﴾ وهو ما تهواه نفسك دون ما هو شرع الله، ﴿فيضلك﴾ أي اتباع الهوى يضلك عن سبيل الله المفضي بالعباد إلى الإسعاد والكمال وذلك أنّ الأحكام إذا كانت مطابقة للشرعة الإلهية انتظمت بها مصالح العباد ونفعت العامة والخاصة أما إذا كانت على وفق الهوى وتحصيل مقاصد النفس للحاكم لا غير أفضت إلى تخريب العالم بوقوع الهرج والمرج بين الناس وفي ذلك هلاك الحاكم والمحكومين، وقوله تعالى ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾ القائم على الإيمان والتقوى وإقامة الشرع والعدل هؤلاء ﴿لهم عذاب شديد في الدنيا والآخرة بما نسوا يوم الحساب﴾ أي بسبب نسيانهم ليوم القيامة فتركوا العمل له وهو الإيمان والتقوى التي هي فعل الأوامر الإلهية واجتناب النواهي في العقيدة والقول والعمل. ، وقوله تعالى في الآية (٢٧) ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ ينفي تعالى ما يظنه المشركون وهو أن خلق الكون لم يكن لحكمة اقتضت خلقه وإيجاده وهي أن يعبد الله تعالى بذكره وشكره المتمثل في الإيمان والتقوى. وقوله ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أي ظن أن الله خلق السماء والأرض وما بينهما لا لحكمة مقصودة وهي عبادة الله تعالى بما يشرع لعباده من العبادات القلبية والقولية والفعلية ظن الذين كفروا من كفار مكة وغيرهم. ثم توعدهم تعالى على كفرهم وظنهم الخاطيء الذي نتج عنه كفرهم وعصيانهم فقال ﴿فويل للذين كفروا من النار﴾ أي ويل للذين كفروا من واد في جهنم بعيد الغور كرية الريح. وقوله تعالى في الآية (٢٨) ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾ هذا أولاً ردّ لما زعمه المشركون من أنهم يعطون في الآخرة من النعيم مثل ما يعطى المؤمنون، وثانياً ينفي تعالى أن يسوى بين من آمن به واتبع هداة فإطاعه في الأمر والنهي، وبين من أفسد في الأرض بالشرك والمعاصي كما نفى أن يجعل المتقين الذين آمنوا واتبوا فتركوا الشرك والمعاصي كالفجار الذين فجروا أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله فلم يؤمنوا ولم يوحدوا فعاشوا كفاراً فجاراً وماتوا على ذلك. أي

(١) لا يقال يا خليفة الله إلا لرسوله أما من عدا الرسل فإن الخليفة منهم هو خليفة لمن قبله وليس خليفة لله تعالى والصحابة قالوا لأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ.

(٢) الفاء هي السببية والمضارع بعدها منصوب وفي الآية تحريم اتباع هوى النفس المسبب الخروج عن دائرة العدل والحق. وفي الآية دليل على أنه لا يجوز الحكم بعلم الحاكم بل بالبينّة والشهود وقد روي أن النبي ﷺ اشترى فرساً فجحدته البائع فلم يحكم عليه بعلمه وقال من يشهد لي؟ فقام خزيمة فشهد فحكم عليه.

(٣) سمي يوم القيامة يوم الحساب لما يجري فيه من حساب الناس بما كسبوا من خير وشر وسمي يوم الدين للمجازاة التي تتم بعد الحساب، وسمي يوم الفصل للفصل بين الناس والحكم لهم فيما بينهم.

فحاشا لله رب العالمين وأعدل العادلين وأحكم الحاكمين أن يسوي بين أهل الإيمان والتقوى وبين أهل الشرك والمعاصي بل ينعم الأولين في دار النعيم، ويعذب الآخرين في سواء الجحيم وقوله تعالى في الآية (٢٩) ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي هذا كتاب مبارك أنزلناه على رسولنا ليدبروا آياته بمعنى يتأملوها ويترووها بعقولهم فيحصلوا على هداية القلوب والعقول فيؤمنوا بالله ويعملوا بطاعته فينجوا ويسعدوا. وليذكر أولوا الألباب أي وليتعظ بمواعظه وينزجر بزواجه أولوا الألباب أي العقول السليمة ووصف الكتاب وهو القرآن بالبركة هو كما أخبر الله لا تفارق القرآن البركة وهي الخير الدائم فكل من قرأه متدبراً عرف الهدى ومن قرأه تقرّباً حصل على القرب وفاز به ومن قرأه حاكماً عدل في حكمه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الحكم بالعدل على كل من حكم ولا عدل في غير الشرع الإلهي .
- ٢- حرمة اتباع الهوى لما يفضي بالعبد إلى الهلاك والخسار.
- ٣- تقرير البعث والجزاء .
- ٤- إبطال ظن من يظن أن الحياة الدنيا خلقت عبثاً وباطلاً .
- ٥- تنزيه الرب تعالى عن العبث والظلم .
- ٦- فضيلة العقول لمن استعملها في التدبر والتذكر .
- ٧- بركة القرآن لا تفارقه أبداً وما طلبها أحد إلا وجدها .

وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ

﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي

أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

رَدُّوَهَا عَلَيَّ فَنَفِثَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

(١) ليدبروا أصلها ليتدبروا فادغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما .

(٢) الألباب العقول والواحد لب ويجمع على ألْب كما يُجمع بؤس على أبؤس قال أبو طالب قلبي إليه مشرف الالب، والتذكر هو استحضار الذهن ما كان يعلمه كاستحضار ما هو منسي أيضا .

(٣) بركة القرآن تتجلى في صرفها النفس عن السوء ودفعها إلى الخير وذلك لمن يقرأ القرآن موقناً به متدبراً له فإن له في كل حرف عشر حسنات مع ما يفيضه على روحه من نور المعرفة وحب الآخرة .

شرح الكلمات :

ووهبنا لداود سليمان : أي ومن جملة هباتنا لداود الأبواب أن وهبنا له سليمان ابنه .
 نعم العبد إنه أواب : أي سليمان أي رجاء إلى ربه بالتوبة والإجابة .
 الصافنات الجياد : أي الخيل الصافنات أي القائمة على ثلاث الجياد أي السوابق .
 حب الخير : أي حب الخيل عن ذكر ربي وهي صلاة العصر لإنشغاله باستعراض الخيل للجهاد .

حتى توارت بالحجاب : أي استترت الشمس في الأفق وتغطت عن أعين الناظرين .
 ردوها علي : أي ردوا الخيل التي استعرضتها أنفا فشغلتنني عن ذكر ربي .
 فطفق مسحاً بالسوق : أي فأخذ يمسح بسوق تلك الخيل واعناقها .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إفضال الله على داود^(١) حيث قال ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد﴾ فذكر تعالى أنه وهبه سليمان وأثنى على سليمان بأنه نعم العبد لله ، وعلل لتلك الأفضلية بقوله ﴿إنه أواب﴾ أي كثير الأوبة إلى الله تعالى ، وهي الرجوع إلى الله بذكره واستغفاره عند الغفلة والنسيان العارض للعبد ، وأشار تعالى إلى ذلك بقوله ﴿إذ عرض^(٢) عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ أي الخيل القوية على السير التي إذا وقفت تأبى أن تقف على أربع كالحمير بل تقف على ثلاث وترفع الرابعة ، والجياد هي السريعة العدو ، وهذا العرض كان استعراضاً منه لها إعداداً لغزو أرادها فاستعرض خيله فانشغل بذلك عن صلاة العصر فلم يشعر إلا وقد غربت الشمس وهو معنى قوله تعالى

﴿حتى توارت﴾ أي استترت الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي بالأفق الذي حجبها عن أعين الناظرين .
 فندم لذلك وقال ﴿إني أحببت حب الخير﴾ أي الخيل ﴿عن ذكر ربي﴾ وصلى العصر ، ثم عاد إلى إكمال الاستعراض فردها رجاله عليه فجعل يمسح بيده سوقها وأعناقها حتى أكمل استعراضها هذا وجه الأوبة التي وصف بها سليمان عليه السلام في قوله تعالى ﴿إنه أواب﴾ .

(١) جملة نعم العبد في محل نصب على الحال والمخصوص بالمدح محذوف أي سليمان .

(٢) الجملة تعليلية لما سبقها .

(٣) العارض هم سواس خيله . والعارض هو الإمراء والإحضار أمام الرائي والجياد جمع جواد وهو الفرس الشديد الحفر ، كما يقال للإنسان جواد إذا كان كثير العطية غزيرها . والجواد يجمع على أجواد وأجاود .

(٤) الصافنات صفة لموصوف محذوف وهو الخيل أو الأفراس وهو الذي يقف على ثلاث قوائم والواحدة صافنة .

(٥) ذكر كثير من المفسرين أن قوله فطفق مسحاً بالسوق والاعتناق أنه ذبحها وأطعمها الفقراء لأنها ألهمته عن الصلاة وما في التفسير هو اختيار ابن جرير وهو الحق والصواب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- الولد الصالح هبة إلهية لوالده فليشكر الله تعالى من وهب ذلك .
- ٢- الثناء على العبد بالتوبة الفورية التي تعقب الذنب مباشرة .
- ٣- جواز استعراض الحاكم القائد قواته تفقداً لها لما قد يحدثه فيها .
- ٤- اطلاق لفظ الخير على الخيل فيه تقرير أن الخيل إذا ربطت في سبيل الله كان طعامها وشرابها حسنات لمن ربطها في سبيل الله كما في الحديث الصحيح «الخيل لثلاث» .
- ٥- ربط الطائرات النفاثة في الحظائر اليوم والمدرعات وإعدادها للقتال في سبيل الله حل محل ربط الجياد من الخيل في سبيل الله .

وَلَقَدْ فَتَنَّا

سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ۗ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ
 لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾
 فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ
 كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا
 عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّهُ عِندَنَا الزُّلْفَىٰ وَحُسْنَ

مَثَابٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- ولقد فتنا سليمان : أي ابتليناه .
 والقينا على كرسية جسدًا : أي شق ولد ميت لا روح فيه .
 ثم أناب : أي رجع إلى ربه وتاب إليه من عدم استثنائه في يمينه .
 وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من : أي أعطني ملكاً لا يكون لسواي من الناس .
 بعدي
 فسخرنا له الريح : أي استجبنا له فسخرنا له الريح تجري بأمره .

رخاء حيث أصاب	: أي لينة حيث أراد.
والشياطين كل بناء وغواص	: أي وسخرنا له الشياطين من الجن منهم البناء ومنهم الغواص في البحر.
مقرنين في الأصفاد	: أي مشدودين في الأصفاد أيديهم إلى أعناقهم في السجون المظلمة وذلك إذا تمردوا وعصوا أمراً من أوامره.
هذا عطاؤنا	: أي وقلنا له هذا عطاؤنا.
فامنن أو امسك	: أي أعط من شئت وما شئت وامنع كذلك.
بغير حساب	: أي مِنَّا لك.
وإن له عندنا لزلفى	: أي وإن لسليمان عندنا لقربة يوم القيامة.
وحسن مآب	: أي مرجع في الجنة في الدرجات العلا.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر إنعام الله على آل داود فقد أخبر تعالى هنا عما منَّ به على سليمان فأخبر تعالى انه ابتلاه كما ابتلى أباه داود وتاب سليمان كما تاب داود ولم يسقط ذلك من علو منزلتهما وشرف مقامهما قال تعالى في الآية (٣٤) ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ أي ابتليناه، وذلك انه كما اخبر رسول ﷺ في الصحيح أنه قال لأطآن الليلة مائة جارية تلد كل جارية ولداً يصبح فارساً يقاتل في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله أي لم يستثن ووطىء نساءه في تلك الليلة فعوقب لعدم استثنائه فلم يلدن إلا واحدة جاءت بولد مشلول بالشلل النصفي فلما وضعت أمه أتوا به إلى سليمان ووضعوه على كرسيه . وهو قوله تعالى ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ سليمان إلى ربه فاستغفر وتاب فتاب الله عليه وقال ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلِكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي لا يكون مثله لسواي من الناس وتوسل إلى الله في قبول دعائه بقوله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ

(١) ذكر المفسرون لهذه الفتنة عدة أمور وهي قصص أشبه بالخرافات الاسرائيلية أمثلها مارواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : اختصم إلى سليمان فريقان أحدهما من أهل جرادة امرأة سليمان وكان يجها فهوى أن يقع القضاء لهم ثم قضى بينهما بالحق فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى وما في التفسير أصح وأقرب إلى تفسير الآيات .

(٢) نص الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فظاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهم إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون .

(٣) روى البخاري أن النبي ﷺ قال إن عفريت من الجن نفلت عليّ البارحة ليقطع على صلاتي فحماني الله تبارك وتعالى منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلِكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ فرددته خامثاً .

الوهاب ﴿ فاستجاب الله تعالى له فسخر له الريح تجري بأمره حيث يريد لأنها تحمل بساطه أو سفينته الهوائية التي غدوها شهر ورواحها رخاء أي لينة حيث أصاب أي أراد، كما سخر له شياطين الجن منهم البناء الذي يقوم بالبناء للدور والمصانع ومنهم الغواص في أعماق البحر لاستخراج اللآلي، ومنهم من إذا عصاه وتمرد عليه جمع يديه إلى عنقه بصفدٍ ووضع تحت الأرض. هذا ما جاء في قول الله تعالى ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ أي اعطيناه ما طلب منا وقلنا له هذا اعطاؤنا لك فامنن أي أعط ما شئت لمن شئت وامنع ما شئت عمن شئت بغير حساب منا عليك. وفوق هذا وإن لك عندنا يوم القيامة للقربة وحسن المرجع وهو قوله تعالى ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير قول بعضهم حسنات الأبرار سيئات المقربين إذ عدم الاستثناء في قوله لأطآن الليلة مائة جارية الحديث عوقب به فلم تلد امرأة من المائة إلا واحدة وولدت طفلاً مشلولاً، وعوقب به نبينا فانقطع عنه الوحي نصف شهر وأكربه ذلك لأنه لم يستثن عندما سئل عن ثلاث مسائل وقال غدا أجيبكم .
- ٢- مشروعية التوبة من كل ذنب صغيرا كان أو كبيرا .
- ٣- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنی .
- ٤- بيان إنعام الله تعالى على عبده سليمان .
- ٥- بيان تسخير الله تعالى لسليمان الريح والجن وهذا لم يكن لأحد غيره من الناس .

وَإِذْ كُرِّعْنَا أَنْتُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الشَّيْطَانُ
 بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا لِأُولِي الْأَلْبَابِ
 ﴿٤٣﴾ وَخَذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ، وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
 نَعَمَ الْعَبْدَ إِنَّهٗ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

(١) الأصفاد جمع صفد بفتح الصاد والفاء القيد من حديد.

شرح الكلمات :

- واذكر عبدنا أيوب : أي اذكر يا نبينا محمد ﷺ عبدنا أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم .
- بنصب وعذاب : أي بضرٍ وألم شديد نسب هذا للشيطان لكونه سبياً وتأذبا مع الله تعالى .
- اركض برجلك : أي اضرب برجلك الأرض تتبع عين ماء .
- هذا مغتسل بارد وشراب : أي وقلنا له هذا ماء بارد تغتسل منه، وتشرب فتشفي .
- ضغثا : أي حزمة من حشيش يابس .
- ولا تحنث : بترك ضربها .
- نعم العبد : أي أيوب عليه السلام .
- إنه أواب : أي رجاع إلى الله تعالى .

معنى الآيات :

- (١) مازال السياق في ذكر قصص الأنبياء ليثبت به فؤاد نبيِّه محمد ﷺ فقال تعالى له ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ وهو أيوب بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام ﴿إذ نادى ربه﴾ أي دعاه قائلاً ﴿ربِّ إنني قد مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ أي ألم شديد، وذلك بعد مرض شديد دام مدة تزيد على كذا سنة، وقال في ضراعة أخرى ذكرت في سورة الأنبياء ﴿ربِّ اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ قال تعالى ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ وقوله ﴿اركض﴾ (٢) برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ أي لما أراد الله كشف الضر عنه قال له اركض برجلك أي اضرب برجلك الأرض ينبع منها ماءً فاشرب منه واغتسل تشف ففعل فشفي كان لم

(١) قال القرطبي أمر النبي ﷺ بالاعتداء بهم في الصبر على المكاره .

(٢) قرأ الجمهور بنصب بضم النون وتسكين الصاد وقرىء بنصب بفتحها كحزن وحزن فالنصب الشر والبلاء الشديد والنصب بالتحريك التعب والإعياء .

(٣) الباء في نصب سببية أي مسني نصب وعذاب بسبب وسوسة الشيطان لي فنسب النصب والعذاب إلى الشيطان لأنهما كانا بسبب وسواسه .

(٤) الركض التحريك يقال ركب الدابة إذا حركها برجليه فركضت أي تحركت بسرعة وجملة اركض مقولة لقول محذوف أي قلنا له اركض برجلك .

(٥) أي ماء فيه شفاء ومغتسل اسم مفعول أي مغتسل به هو من باب الحذف والايصال مثل تمرن الديار ولا تعرجوا: فكلامكم إذا عليّ حرام . أي تمرن بالديار فحذف الباء .

(١) يكن به ضرراً البتة . وقوله تعالى ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ أي عوضه الله تعالى عما فقد من أهل وولد، وقوله ﴿رحمة منا﴾ أي كان ذلك التعويض لأيوب رحمة منا وذكرى لأولي الألباب ﴿أي عبرة لأولي القلوب الحية الواعية يعلمون بها أن الله قد يتلى أحب عباده إليه ليرفعه بذلك درجات عالية ما كان ليصل إليها دون الابتلاء في ذات الله والصبر عليه . وقوله ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ أي قلنا له خذ بيدك ضغثاً أي حزمة من حشيش يابس واضرب به امرأتك ضربة واحدة إذ في الحزمة مائة عود وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة جلدة لما حصل منها من تقصير في يوم من أيام حياتهما، فأفاته ربه تعالى بما ذكر في هذه الآية . وقوله تعالى ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ أي قد اختبرناه بالمرض وفقد الأهل والمال والولد فوجدناه صابراً، وبذلك أتى عليه بقوله ﴿نعم العبد﴾ أي أيوب ﴿إنه أواب﴾ رجاع إلى ربه في كل امره لا يعرف إلا الله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير نبوة محمد ﷺ من طريق هذا القصص الذي لا يتأتى إلا بالوحي الإلهي .
- ٢- قد يتلى الله تعالى من يحبه من عباده ليزيد في علو مقامه ورفع شأنه .
- ٣- فضل الصبر وعاقبته الحميدة في الدنيا والآخرة .
- ٤- مشروعية الفتيا وهي خاصة بأهل الفقه والعلم .
- ٥- وجوب الكفارة على من حنث في يمينه .

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى

الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ

(١) لم تشر الآيات إلى أن أيوب رزى بموت أهله ولا بفقد ماله وسباق الآيات لا يدل على أن أيوب مات أهله من بنين وأحفاد وما يذكر هنا من كونه فقد أهله بموتهم ثم أحياهم الله تعالى له هو من أحاديث بني إسرائيل، والظاهر أن الله تعالى حفظ لأيوب أهله ووهبه مثلهم أي أعطاه أهله وزاده ضعفهم ولو أراد ما تقوله الناس لقال وأحيينا له أهله ووهبنا له مثلهم والله أعلم .

(٢) هذه الفتيا مما خص الله تعالى بها عبده أيوب فلا تتعداه إلى غيره والنبي ﷺ قال إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كُفرت عن يميني وفعلت الذي هو خير وما روى أبو داود من أن رجلاً مرضاً وجب عليه حد فأفتاهم الرسول ﷺ بضره بعثكول نخل به مائة عود فضره به ضربة واحدة فإن الخبر إن صح فالعلة هي مرضه الشديد وعلة القائمة به .

(٣) الجملة تعليلية لما تقدم من إنعام الله تعالى على أيوب أي وهبه الله ذلك الانعام لصبره على ما ابتلاه به وكذا جملة إنه أواب .

إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَالَ كِفْلٍ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ
 وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ
 ﴿٥٠﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَاكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾
 ﴿٥٢﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْأَطْرَافِ أَنْرَابٌ ﴿٥٣﴾ هَذَا مَا تَوَعَّدُونَ لِيَوْمِ
 الْحِسَابِ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَا لَكُمْ مِنْ تَفَادٍ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

- واذكر عبادنا : أي اذكر صبرهم على ما أصابهم فإن لك فيهم أسوة .
 أولى الأيدي : أي أصحاب القوى في العبادة .
 والأبصار : أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم .
 بخالصة : أي هي ذكر الدار الآخرة والعمل لها .
 لمن المصطفين الأخيار : أي من المختارين الأخيار جمع خير .
 هذا ذكر : أي لهم بالثناء الحسن الجميل هنا في الدنيا .
 وان للمتقين : أي هم وغيرهم من سائر المؤمنين والمؤمنات .
 لحسن مآب : أي مرجع أي عندما يرجعون إلى ربهم بالوفاة .
 متكنين فيها : أي على الأرائك .
 يدعون فيها بفاكهة : أي يطالبون فيها بفاكهة وذكر الفاكهة دون الطعام والشراب إيداناً بأن
 طعامهم وشرابهم لمجرد التلذذ لا للتغذية كما في الدنيا .
 قاصرات الطرف : أي حابسات العيون على الأزواج فلا ينظرن إلى غيرهم .
 أنراب : أي أسنانهن متساوية وهي ثلاث وثلاثون سنة .
 ماله من تفاد : أي ليس له انقطاع أبداً .

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر الأنبياء وما أكرموا به على صبرهم ليكون ذلك مثبِتاً للنبي ﷺ على دعوته
 والصبر عليها والتحمل في سبيل الوصول بها إلى غاياتها فقال تعالى له ﴿واذكر﴾ أي يا نبينا

(١) ﴿عبادنا﴾ لتتأسى بهم وهم ﴿إبراهيم واسحق﴾ وولده ﴿يعقوب﴾ حفيده ﴿أولي﴾ أي أصحاب ﴿الأيدي﴾ أي القوى في العبادة والطاعة ﴿والأبصار﴾ أي أبصار القلوب وذلك بالفقه في الدين ومعرفة أسرار التشريع، وقوله تعالى ﴿إنا أخلصناهم﴾ أي خصصناهم ﴿بخالصة﴾ أي بخاصة امتازوا بها هي ذكر الدار أي ذكر الدار الآخرة بالعمل لها والدعوة إليها بالإيمان والتقوى، وقوله ﴿وانهم عندنا لمن المصطفين﴾ أي المختارين ﴿الأخيار﴾ جمع خير وهو المطبوع على الخير وقوله ﴿واذكر﴾ أي يا نبينا للاتساء ﴿اسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ وقوله ﴿وكل﴾ أي من داود ومن ذكر بعده من الأنبياء كانوا من الأخيار، وقوله ﴿هذا ذكر﴾ أي لهم بالثناء الحسن لهم في الدنيا، ﴿وان للمتقين﴾ هم وغيرهم من المؤمنين والمؤمنات ﴿لحسن مآب﴾ أي مرجع وهو الجنة حيث يرجعون إلى الله تعالى بعد الموت، وفسر ذلك المرجع بقوله تعالى ﴿جنات عدن﴾ أي إقامة ﴿مفتحة لهم الأبواب﴾ ﴿متكئين فيها﴾ أي على الأرائك الأسرة بالحجلة، ﴿يدعون فيها﴾ أي يطالبون فيها ﴿بفاكهة كثيرة وشراب﴾ ولم يذكر الطعام إشارة إلى أن مآكلهم ومشاربهم لمجرد التلذذ لا للتغذي بها كما في الدنيا، وقوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ يخبر تعالى أن لأولئك المتقين في الجنة قاصرات الطرف أي نساء قاصرات الطرف أي حاسبات له على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم من الأزواج وقوله ﴿أتراب﴾ أي في سن واحدة وهي ثلاث وثلاثون سنة. وقوله تعالى ﴿هذا ما توعدون﴾ أي يقال لهم هذا ما توعدون ﴿ليوم الحساب﴾ أي هذا المذكور من النعيم هو ما يعدكم به ربكم يوم القيامة. وقوله ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ أي ليس له انقطاع ولا فناء.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١- فضيلة القوة في العبادة والبصيرة في الدين وفي الحديث «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير».
- ٢- فضل ذكر الدار الآخرة وتذكرها دائما لأنها تساعد على الطاعة.

- (١) أما إبراهيم فقد ذكر الله تعالى ما ابتلاه به من إلقاءه في النار وكذا يعقوب من فقدته ليوسف عليهم السلام وأما اسحاق فلم يذكر له في القرآن ابتلاء ولعله ذكر بين مبتلين وهما أصله وفرعه فكان ذلك ابتلاء له أيضاً.
- (٢) جمع يد والمراد بها القوة لا الجارحة نحو والسماء بينها بأيد وإنا لموسعون.
- (٣) قرأ نافع بخالصة ذكر الدار بإضافة خالصة إلى الدار وقرأ حفص بتنوين خالصة فتكون ذكر الدار عطف بيان على خالصة.
- (٤) جائز أن يكون الأخيار جمع خير بإسكان الياء وجمع خير بتشديدها مكسورة نحو أموات جمع ميت وميت.
- (٥) اللام للاختصاص ليست للملك ولا للتعليل بل للاختصاص إذ هي مختصة بالمتقين دون غيرهم.
- (٦) مفتحة منصوب على الحال والأبواب مرفوع بمفتحة لأنه نائب فاعل.
- (٧) أخرجه مسلم في صحيحه.
- (٨) شاهده حديث كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزورها فإنها تذكركم الآخرة «حديث صحيح».

- ٣- فضل التقوى وأهلها وبيان ما أعد لهم يوم الحساب .
 ٤- نعيم الآخرة لا ينفد كأهلها لا يموتون ولا يهرمون .
 ٥- فضيلة الائتساء بالصالحين والاعتداء في الخير بهم وهم اولوا القوة في العبادة والبصيرة في الدين .

هَذَا وَإِيَّاتِ

لِلطَّغِينِ لَشْرَمَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا
 فليذوقوه حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخِرٌ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾
 هَذَا فَوْجٌ مُتَّحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَنْسُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾
 قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾
 وَقَالُوا مَا لَنَا لَنْزِيلِ رِجَالٍ لَا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ
 سِحْرِيًّا أَمْ رَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ

النَّارِ ﴿٦٤﴾

شرح الكلمات :

- هذا : أي المذكور للمتقين .
 وإن للطاغين : أي الذين طغوا في الكفر والشر والفساد .
 لشر مآب : أي جهنم يصلونها .
 فبئس المهاد : أي الفراش الذي مهدوه لأنفسهم في الدنيا بالشرك والمعاصي .
 هذا فليذوقوه : أي العذاب المفهوم مما بعده فليذوقوه .
 حميم : أي ماء حار محرق .
 وعساق : أي قيح وصديد يسيل من لحوم وفروج الزناة في النار .
 وآخر من شكله أزواج : أي وعذاب آخر كالحميم والعساق أصناف .

هذا فوج مقتحم معكم : أي يقال لهم عند دخولهم النار هذا فوج مقتحم معكم .
 لا مرحباً بهم : أي لاسعة عليهم ولا راحة لهم إنهم صالو النار .
 قالوا أي الاتباع للطاغين : بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا .
 قالوا ربنا من قدم لنا هذا : أي الاتباع أي من كان سبباً في عذابنا هذا في جهنم فزده عذاباً .
 وقالوا ما لنا لا نرى رجلاً : أي قال الطاغون وهم في النار ما لنا لا نرى رجلاً كنا نعددهم من الأشرار في الدنيا يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمار وصهيب .
 اتخذناهم سخرياً : أي كنا نسخر منهم في الدنيا .
 أم زاغت عنهم الأبصار : أي امفقودون هم أم زاغت عنهم الأبصار؟ فلم نرهم .
 إن ذلك لحق تخاصم أهل النار : أي إن ذلك المذكور لأهل النار لحق ثابت وهو تخاصم أهل النار .

معنى الآيات :

بعد ذكر نعيم أهل الإيمان والتقوى ناسب ذكر شقاء أهل الكفر والفجور وهو أسلوب الترهيب والترغيب الذي امتاز به القرآن الكريم في هداية العباد . فقال تعالى ﴿ هذا ﴾^(١) أي ما تقدم ذكره من نعيم أهل السعادة ﴿ وإن للطاغين ﴾ وهم المشركون الظلمة كأبي جهل وعتبة بن معيط والعاص بن وائل ﴿ لشر مآب ﴾ أي لأسوأ مرجع وأقبحه وهو ﴿ جهنم يصلونها وبئس المهاد ﴾ هي يمهدها الظالمون لأنفسهم . وقوله تعالى ﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ أي هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار المحرق والغساق ما سال من جلود ولحوم وفروج الزناة من أهل النار كالقيح والصديد وقوله ﴿ وآخر من شكله ﴾ أي وعذاب آخر من شكل الأول ﴿ أزواج ﴾ أي أصناف عديدة وقوله تعالى ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ أي يقال عند دخولهم النار هذا فوج أي فريق مقتحم معكم النار، فيقول الطاغون ﴿ لا مرحباً بهم ﴾ أي لا سعة ولا راحة لهم ﴿ إنهم صالو

(١) هذا مستعمل في الانتقال من غرض إلى غرض تهيئة للغرض الذي قبله شبيهة بكلمة وبعد .

(٢) الفاء في بئس المهاد للترتيب والسبب .

(٣) الغساق سائل في جهنم يقال غسق الجرح إذا سال منه ماء أصفر . قرأ الجمهور «غساق بالتخفيف وقرأه حفص وبعض بالتشديد فهما لغتان فيه والتشديد للمبالغة في غساق وهو أقرب .

(٤) وآخر صفة لموصوف محذوف أي وعذاب آخر من شكله أي من مثله أزواج أي أصناف متعددة .

(٥) يبدو أن القائل هم الزبانية يخاطبون الطغاة وهم يعذبونهم هذا فوج .

(٦) لا مرحباً نفي للكلمة التي يقولها المزور لمن زاره وهي انشاء دعاء للوافد . وهي مصدر بوزن مفعول ، والعامل فيه محذوف تقديره أتيت رجلاً أي مكاناً ذا رحب ، فإذا أرادوا نفيه قالوا لا مرحباً بكم . قال الشاعر :

لا مرحباً بغيري ولا أهلاً به إذا كان تفريق الأجرة في غد

النار ﴿ أي داخلوها محترقون بحرما ولهبها، فيرد الأتباع عليهم قائلين ﴿ بل أنتم لا مرحبا بكم ﴾^(١) أي لا سعة ولا راحة ﴿ أنتم قدمتموه لنا ﴾ إذ كنتم تأمروننا بالشرك والكفر والفجور قال تعالى ﴿ فبئس القرار ﴾ أي الذي انتهى إليه الطاغون وأتباعهم في النار، وقالوا أيضا ما اخبر تعالى به عنهم في قوله ﴿ قالوا ربنا من قدم لنا هذا ﴾ أي العذاب ﴿ فزده عذابا ضعفا في النار ﴾ أي ياربنا ضاعف لهم العذاب مرتين لأنهم هم الذين قدموه لنا يوم كانوا يدعوننا إلى الشرك والباطل ويحضوننا عليه . وقوله تعالى ﴿ وقالوا ﴾ أي الطغاة ﴿ ما لنا لا نرى رجلا كنا نعدهم من الأشرار ﴾^(٢) بيننا ﴿ اتخذناهم ﴾^(٣) في الدنيا ﴿ سخريا ﴾^(٤) نسخر منهم يعنون فقراء المسلمين كبلال وعمّار وصهيب وخبيب، أمفقودون هم ﴿ أم زاغت عنهم ﴾ أبصارنا فلم نرهم، قال تعالى ﴿ إن ذلك لحق تخاصم أهل النار ﴾ أي إن ذلك الكلام الذي دار بين أهل النار حق وصدق هو تخاصم أهل النار فاسمعوه أيها المشركون اليوم آيات تتلى وغداً يوم الحساب حقائق تشهدوه وغصص تتجرع وحسرات تمزق الأكباد والقلوب .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ذم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الظلم والكفر وبيان جزاء أهله يوم القيامة .
- ٢- بيان ما يجري من خصام بين أهل النار للعظة والاعتبار .
- ٣- شكوى الأتباع ممن اتبعوهم في الضلال ومطالبتهم بمضاعفة العذاب لهم .
- ٤- تذكّر أهل النار فقراء المسلمين الذين كانوا يعدونهم متخلفين ورجعيين لأنهم كانوا لا يأتون الفجور والشرور مثلهم .

(١) بل للاضراب الإبطالي لرد الشتم عليهم، وأنهم هم أولى به منه، والباء في بهم للبيان فهي بمعنى اللام أي لا مرحبا لهم يستحقونه عندنا .

(٢) جمع شر بمعنى أشر كالأخيار جمع خير بمعنى أخير .

(٣) قرأ نافع وحفص والجمهور اتخذناهم بهمزة الاستفهام وحذفت همزة الوصل والجملة بدل من جملة « ما لنا لا نرى رجلا . . . اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأَبصار، وأم بمعنى بل أي بل زاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم وزاغت بمعنى مالت .

(٤) قرأ نافع سخريا بضم السين وقرأ حفص بكسرها كما في سورة المؤمنون والسحرة الاستهزاء .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا مَذْمُورٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
 عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى
 إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ
 لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
 مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ
 أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

شرح الكلمات :

- قل : أي يارسولنا لمشركي قومك أي مخوفاً من عذاب الله .
 وما من إله إلا الله الواحد القهار : أي وليس هناك من إله قط إلا الله الواحد القهار .
 العزيز الغفار : أي الغالب الذي لا يمانع في مراده الغفار للتائبين من عباده .
 قل هو نبأ عظيم : أي قل يارسولنا لكفار مكة القرآن نبأ عظيم وخبر جسيم .
 أنتم عنه معرضون : لا ترغبون في سماعه ولا في تدبر معانيه .
 بالملأ الأعلى : أي بالملائكة عندما شؤروا في خلق آدم .
 إذ قال ربك للملائكة : أي اذكر لهم تدليلاً على أنه يوحى إليك القرآن إذ قال ربك
 للملائكة .
 خالق بشراً من طين : أي خالق آدم من مادة الطين وقيل فيه بشر لبؤ بشرته .
 من روحي : الروح جسم لطيف يسري في الجسم سريان النار في الفحم
 أو الماء في الشجر أو الكهرباء في الأسلاك .
 إلا إبليس : أي لم يسجد .
 استكبر : عن السجود لآدم كبراً وحسداً له .

معنى الآيات :

بعد كل ذلك العرض للقصص ولما في الجنة والنار وما تقرّر به من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء أمر تعالى رسوله أن يقول لمشركي قريش ﴿إنما أنا منذر﴾^(١) أي مخوف من عذاب الله الواجب لكل من كفر به وكذب بآياته ولفاه وترك عبادته وعبد الشيطان عدوه ، كما أخبركم مقررا انه ليس هناك من إله قط إلا الله الواحد في ذاته وصفاته وربوبيته وعبادته القهار لكل قاهر والجبار لكل جبار رب السموات والأرض وما بينهما أي مالك لها متصرف فيها دون شريك له في ذلك . العزيز الانتقام ممن كفر به وعصاه الغفار لمن أناب إليه واتبع هداه . وقوله تعالى ﴿قل هو نبيّ عظيم أنتم عنه معرضون﴾ أي يأمر تعالى رسوله أن يقول للمشركين من أهل مكة هو أي القرآن وما حواه من تقرير التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وعرض القصص والأحداث ووصف الجنة والنار نبيّ عظيم أي خبير ذو شأن عظيم أنتم عنه معرضون تأبون سماعه والإيمان به والاهتداء بهديه . بدعوى أنني اختلقته وافتريته وهي حجة داحضة وأدلتكم في ذلك واهية . كيف يكون ما اتلوه عليكم من القرآن افتراءً مني عليكم وعلى الله ربي وربكم . وانه ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون عندما قال الله للملائكة ﴿إني خالق بشرًا من طين﴾ وقال ﴿أني جاعل في الأرض خليفة﴾ فقال الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ كيف عرفت أنا هذا وحدثت به لو لم يكن وحياً من الله أوحاه إليّ . يا قوم إنه ما يوحى إليّ إلا انما أنا نذير مبين أي

(١) في هذه الآيات الثلاث الترهيب والترغيب ببيان قدرة الله وجبروته وبيان ربوبيته الموجبة للالوهية المستلزمة لمغفرته ورحمته لمن تاب إليه بتوحيده وطاعته بعد الإيمان به وبرسوله ولقائه .

(٢) كون الثناء هو القرآن هذا ما ذهب إليه ابن جرير رحمه الله تعالى ، ومن فسر بما سبق ذكره من الانذار وما عرض من أحوال أهل الجنة وأهل النار فإن ما في التفسير شامل لكل ذلك وهادٍ إليه ودال عليه والحمد لله .

(٣) قوله تعالى : ما كان لي من علم الخ استئناف لأجل الاستدلال على صدق القرآن بأنه وحى من الله تعالى ولولا أنه وحى لما كان للرسول علم به لا إجمالاً ولا تفصيلاً ولهذا الاستدلال نظائر نحو وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون ، وما كنت لديهم إذ جمعوا أمرهم وهم يمكرون ، وما كنت بجانب الطور إذ نادنيا .

(٤) قال بعض المفسرين تخاصم الملا الأعلى هو اشراف قريش فيما بينهم سرا وقال آخرون هو تخاصم أهل النار وقيل والصواب ما في التفسير وهو أن الملا الأعلى الملائكة وما جرى بينهم في شأن السجود لآدم وامتناع إبليس عن ذلك والآية بعد تفسير هذا الاختصاص وأما حديث السنن فلم يرد به ما في هذه الآيات ونصه «إني قتت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد اتدري فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت لا أدري يا رب - أعادها ثلاثاً - فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت في الكفارات . قال وما الكفارات؟ قلت : نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام . قال سل قلت : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك هذا «حديث المنام» .

بَيْنَ النِّدَارَةِ . فلم يوحِ إليَّ الأمر بالتسلط عليكم وأخذكم بالشدة لأستعبدكم وتكونوا خولا لي
 وخدماءً لا ، لا . إنما يوحى إليّ لتقرير حقيقة واحدة وهي أنني نذير لكم ولغيركم من عذاب الله
 المعدّ لمن كفر به وأشرك في عبادته ، وفسق عن طاعته . وقوله تعالى في الآية (٧١) ﴿إذ قال
 ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾ هو آدم عليه السلام ﴿فإذا سويته﴾ أي أتممت خلقه
 ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فحيى وصار بشراً سوياً ﴿ففعلوا له ساجدين﴾ أي خرّوا على الأرض
 ساجدين له طاعة لأمرنا وتحيّة لعبدنا ، ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون﴾ سواء من كان منهم
 في السموات أو في الأرض ﴿إلا إبليس﴾ استكبر عن السجود لآدم لزعمه الكاذب أنه خير منه
 لكونه من النار وآدم من طين ، ولحسده أيضاً حيث فضله وفضّل عليه ، وكان بذلك الكبر والحسد
 من الكافرين إذ جحد معلوماً من طاعة الله بالضرورة وكيف وهو يتلقى الخطاب من الله تعالى
 بلا واسطة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- تقرير التوحيد بأدلته .

٢- تقرير النبوة والوحي بشواهد من نبا الملائكة الأعلى .

٣- عداوة إبليس لآدم وأن الحامل عليها الحسد والكبر وهما من شر صفات العبد .

٤- تقرير أن من القياس ما هو شر ويأطل كقياس إبليس إذ قاس النار على التراب فرأى أن النار
 أفضل فهلك بذلك ، إذ التراب أفضل النار تحرق والتراب يحيى ، وشتان ما بين الموت والحياة .

قَالَ

يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ
 مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
 ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَنَتِي إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ

لَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾
 قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ
 مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ
 ﴿٨٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

شرح الكلمات :

- لما خلقت بيدي : أي للذي خلقته بيدي وهو آدم فدل ذلك على شرفه .
 استكبرت أم كنت من العالين : استكبرت الآن أم كنت من قبل من العالين المتكبرين
 والاستفهام للتوبيخ . والتقريع لإبليس .
 فاخرج منها : أي من الجنة .
 فإنك رجيم : أي مرجوم مطرود .
 وأن عليك لعنتي إلى يوم الدين : أي طرده من الجنة وألحقه لعنة وهي الطرد من الرحمة إلى يوم
 الدين أي الجزاء وهو يوم القيامة .
 قال رب فانظرنى : أي آخر موتي وأبق عليّ حياً إلى يوم يبعثون أي الناس .
 إلى يوم الوقت المعلوم : أي إلى النفخة الأولى وهي نفخة الموت والفناء .
 إلا عبادك منهم المخلصين : أي الذين استخلصتهم للإيمان بك وعبادتك ومجاورتك في
 الجنة .
 قل ما أسألكم عليه من أجر : لا أسألكم على البلاغ أجراً تعطونه لي .
 وما أنا من المتكلفين : أي المتقولين القرآن وما أنذركم به من تلقاء نفسي .
 إن هو إلا ذكر للعالمين : أي ما أتلوه من القرآن وما أقوله من الهدى إلا ذكر للعالمين .
 ولتعلمن نبأه بعد حين : أي ولتعلمن أيها المكذبون نبأ القرآن الذي أنبأ به من الوعد
 للمؤمنين والوعيد للكافرين بعد حين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر ما دار بين الربّ تعالى وعدوه إبليس من حديث في الملائكة الأعلى إذ قال تعالى بعد أن امتنع إبليس من السجود لآدم ﴿يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ (١) أي شيء جعلك تمتنع من السجود لآدم وقد أمرتك بذلك ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ أي الآن ﴿أَمْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُ﴾ (٢) من العالين أي المستكبرين ، وهذا الاستفهام من الله تعالى توبيخ لإبليس وتقريع له . وأجابه إبليس بما أخبر تعالى به عنه في قوله ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فاستعمل اللعين القياس الفاسد المردود عند أرباب العقول ، إذ النار لم تكن أبداً خيراً من الطين ، النار تحرق ونهايتها رماد ، والطين لا يحرق ومنه سائر أنواع المغذيات التي بها الحياة الجيوب والثمار والفواكه والخضر واللحوم وحسبه أنه أصل الإنسان ومادة خلقته فأى شرف للطين أعظم لو كانا للعين يعقل . وهنا قال تعالى له ﴿فَاخْرَجْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ أي مطرود مبعّد لا ينبغي أن تبقى في رحمة الله ، ﴿وَأَنْ عَلَيْكَ لِعَنَتِي﴾ لا تفارقك على مدى الحياة وهي بُعد من رحمتي طوال الحياة .

وهنا قال اللعين لما آيس من الرحمة ﴿رَبِّ فَانظُرْنِي﴾ أي ابق عليّ حياً لا تمتني ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ حتى يتمكن من إغواء بني آدم ، ولا يموت إذا ماتوا في النفخة الأولى فلا يذوق هو الموت وعلم الله ما أضمره في نفسه فرد عليه بقوله ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ أي الممهلين المبقى على حياتهم ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وهو النفخة الأولى حتى يموت مع سائر الخلائق ولما علم اللعين أنه أنظر قال في صفاقة وجهه ووقاحة قول مقسماً بعزة الله ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَا غَوْبِنَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ فاستثنى اللعين عباد الله المؤمنين المتقين الذين استخلصهم الله لطاعته وجواره في دار كرامته . وهنا قال تعالى رداً على اللعين ﴿قَالَ فَالْحَقُّ﴾ أي أنا الحق ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي من الإنس والجن أجمعين . وإلى هنا انتهى ما دار من خصومة في الملائكة الأعلى ، وكيف عرف محمد ﷺ هذا وأخبر به لولا أنه

(١) ذكر صاحب تفسير التحرير أن خطاب الله تعالى لإبليس بعد إبلاسه كان بواسطة ملك من الملائكة معللاً ذلك بعدم أهلية إبليس بعد إبلاسه لذلك لما فيه من الشرف والكمال ولم أقف على من رأى هذا الرأي غيره والله أعلم بصحته أو خطئه .
(٢) في قوله بيدي إثبات صفة اليدين لله تعالى وقد وردت أحاديث صحيحة تقرر ذلك وتثبتته فوجب الإيمان بهذه الصفة الذاتية لله تعالى مع تنزيهه تعالى أن يكون يده تشبه يدي من له يدان من خلقه لأن الله تعالى ليس كمثل شيء .
(٣) العلو الشرف فمعنى قوله تعالى من العالين أي من أهل علو المراتب وشرف المنازل فلذا امتنع من السجود لآدم عليه السلام .

(٤) قرأ الجمهور قال فالحق بنصب الحق على أنه مفعول مطلق تقديره أحق الحق ، وقرأ حفص بالرفع على تقدير فالحق قولي ، أو أنا الحق أي على الابتداء ، وأما الحق الثاني فهو منصوب إجماعاً لفعل أقول .

وحيّ يوحى إليه . وهنا قال تعالى لرسوله قل لقومك المكذبين برسالتك ﴿ما أسألكم عليه﴾ أي على البلاغ ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين﴾^(١) الذين يتقولون على الله ويقولون ما لم يقل ﴿إن هو﴾ أي القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ من الإنس والجن يذكرون به فيؤمنون ويهتدون ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ أي ولتعرفن صدق ما أخبر به من وعد ووعد وصلاحيه ما تضمنه من تشريع بعد حين ، وقد عرف بعضهم ذلك يوم بدر، ويوم الفتح ، ويوم موته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- ذم الكبر والحسد وحرمتهما وبيان جزائهما .
- ٢- مشروعية القياس إن كان قياساً صحيحاً، وبيان اخطار القياس الفاسد .
- ٣- مشروعية القسم بالله وبصفاته وأسمائه .
- ٤- بيان أن من كتب الله سعادتهم لا يقوى الشيطان على اغوائهم وإضلالهم .
- ٥- لا يجوز أخذ الأجرة على بيان الحق والدين .
- ٦- ذم التكلف^(١) المفضي إلى الكذب والتقول على الله وعلى الرسول والمؤمنين .
- ٧- ظهر مصداق ما أخبر به القرآن بعد حين قصير وطويل .

(١) التكلف : معالجة الكلفة وهو ما يشق على المرء عمله أو علمه أو قوله لعدم قدرته على ذلك روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال من سئل عما لا يعلم فليقل لا أعلم ، ولا يتكلف ، فإن قوله لا أعلم علم وقد قال الله تعالى لنبية ﷺ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ . روى أن للمتكلف ثلاث علامات : ينازع من فوقه ، ويتعاطى مالا ينال ، ويقول مالا يعلم . وروى الدارقطني أن النبي ﷺ مر في بعض أسفاره على رجل جالس على مقراه له . وقال له عمر يا صاحب المقراه أوتعت السباع الليلة في مقراتك؟ فقال له النبي ﷺ يا صاحب المقراه لا تخبره ، هذا متكلف ، لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور ، كما روى مالك في الموطأ أن عمر خرج في ركب معهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضاً فقال عمرو بن العاص يا صاحب الحوض هل ترد السباع حوضك؟ فقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فإننا نرد على السباع وترد علينا .

سُورَةُ الزُّمَرِ (١)

مكية

وآياتها خمس وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا
لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾

شرح الكلمات :

- تنزيل الكتاب : أي القرآن من الله .
العزیز الحکیم : أي العزیز في ملكه وانتقامه الحکیم في صنعه وتدبير خلقه .
مخلصا له الدين : أي مفردا إياه بالعبادة فلا تشرك بعبادته أحدا .
الله الدين الخالص : أي له وحده خالص العبادة لا يشاركه في ذلك أحد سواه .
أولياء : أي شركاء وهي الأصنام .
ليقرّبونا إلى الله زلفى : أي تقريبا وتشفع لنا عند الله .
من هو كاذب كفار : أي كاذب أي على الله كفار بعبادته غير الله تعالى .
سبحانه : أي تنزيها له عن الولد والشريك .

(١) سميت بالزمر لذكر لفظ الزمر فيها ولم يذكر في غيرها قط والزمر جمع زمرة وهي الفوج المتبوع بفوج آخر .

هو الله الواحد القهار : أي المعبود الحق الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه القهار لخلقه .

معنى الآيات :

تنزيل الكتاب^(١) من الله العزيز الحكيم يخبر تعالى ان تنزيل القرآن كان منه سبحانه وتعالى وهو العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبير خلقه . ولم يكن عن غيره بحال من الأحوال وقوله تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾^(٢) يخبر تعالى رسوله بقوله ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾ أي القرآن العظيم ﴿بالحق﴾ في كل ما جاء فيه ودعا إليه من العقائد والعبادات والأحكام وعليه ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي العبادة فلا تعبد معه غيره فإن العبادة لا تصلح لغيره أبداً ﴿ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي شركاء يعبدونهم ويقولون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ أي تقريبا ويشفعوا لنا عند الله في قضاء حوائجنا هؤلاء يحكم الله بينهم في ما هم فيه مختلفون مع المؤمنين الموحدين وذلك يوم القيامة وسيجزى بعدله كلا بما يستحقه من إنعام وتكريم أو شقاء وتعذيب . وقوله تعالى ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ يخبر تعالى بحرمان أناس من هدايته وهم الذين توغلو في الفساد فكذبوا على الله تعالى وعلى عباده وأصبح الكذب وصفاً لازماً لهم ، وكفروا وبالغوا في الكفر بالله وآياته ورسوله ولقائه فأصبح الكفر وصفاً ثابتاً لهم ، إذ هذه سنته في حرمان العبد من الهداية ليمضي فيه حكم الله بأشقائه وتعذيبه يوم القيامة . وقوله تعالى ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدأ﴾ كما يزعم المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله ، وكما قال النصارى المسيح ابن الله ، وكما قال اليهود محزير بن الله ، ولو أراد الله أن يكون له ولدٌ لاصطفى واختار مما يخلق ما يشاء ، ولا يتركهم ينسبون إليه الولد افتراء عليه وكذبا ، ولكنه تعالى منزه عن صفات المحدثين وافتقار المخلوقين إذ هو الله ذو الألوهية على سائر خلقه الواحد الذي لا شريك له في ملكه وسلطانه وحكمه القهار لسائر خلقه فسبحانه لا إله غيره ولا رب سواه .

(١) تنزيل الكتاب ، أي القرآن - جازئ أن يكون تنزيل الكتاب مبتداً والخبر من الله وجائز أن يكون تنزيل خبر والمبتدأ محذوف أي هذا تنزيل .

(٢) بالحق الباء للملابسة أي ملابساً للحق فلا باطل معه .

(٣) فيه تقرير نبوته ﷺ والإعلان عن شرفه بإنزال الكتاب عليه .

(٤) الفاء للتفريع ، أي فبناء على إنزالنا عليك الكتاب فاعبد الله ، ومخلصاً حال ، والدين العبادة ، وإخلاص العبادة تجريدتها من الالتفات إلى غير الله تعالى لطلب مدح أو نفع أو دفع مكرره أو اتقاء ذم .

(٥) ألا لله الدين الخالص افتتاح الجملة بالآلة للتبيين على شرف ما دخلت عليه والتنويه به اللام في لله للملك والاستحقاق وفي الآية دليل على وجوب الإخلاص في العبادة ووجوب النية فيها ولا عبادة بدون نية صحيحة ولا يضر النية الخاطرة يخطر بالقلب لا يملك المرء دفعه .

هداية الآية :

من هداية الآيات :

١- تقرير النبوة المحمدية .

٢- تقرير التوحيد .

٣- بطلان الشرك والتنديد بالمشركين .

٤- تقرير البعث والجزاء يوم القيامة .

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ
 وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٥﴾
 خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ
 مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۚ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ
 خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ
 الْمُلْكُ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصِرُّونَ ﴿٦﴾ ۗ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ
 اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
 لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

شرح الكلمات :

خلق السموات والأرض بالحق : أي من أجل أن يذكر ويشكر لا من أجل اللهو العبث .

يكور الليل على النهار : أي يدخل أحدهما في الآخر فإذا جاء الليل ذهب النهار

والعكس كذلك .

- وسخر الشمس والقمر : أي ذللهما فلا يزالان يدوران في فلكيهما إلى نهاية الحياة وبدورتهما تتم مصالح سكان الأرض .
- خلقكم من نفس واحدة : هي آدم عليه السلام .
- ثم جعل منها زوجها : هي حواء خلقها الله تعالى من ضلع آدم الأيسر .
- وأنزّل لكم من الأنعام : أي أنزل المطر فأنبت العشب فخلق الأنعام فهذا وجه لإنزالها .
- ثمانية أزواج : أي من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين .
- يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق : أي أطواراً طوراً بعد طور نطفة فعلقه فمضغة .
- في ظلمات ثلاث : أي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة .
- ولا تزر وازرة وزر أخرى : أي لا تحمل نفس ذات وزر وزر نفس أخرى .
- إنه عليم بذات الصدور : أي ما يخفيه المرء في صدره وما يسره في ضميره .

معنى الآيات :

هذه الآيات الكريمة في تقرير التوحيد بذكر الأدلة والبراهين التي لا تدع للشك مجالاً في نفوس العقلاء فقال تعالى في الآية (٥) ﴿خلق السموات والأرض﴾^(١) أي أوجدهما خلقاً على غير مثال سابق وخلقهما بالحق لغايات سامية شريفة وليس للباطل والعبث ومن تلك الغايات أن يعبد فيها فيذكر ويشكر . وقوله ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ أي يغشى هذا هذا فيغطيه به ويستره كأنما لفته عليه وغشاه به وهذا برهان ثان فالأول برهان الخلق للسموات والأرض وبرهان ثالث في قوله ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ يدوران في فلكيهما إلى قيام الساعة وفي ذلك من الفوائد والمصالح للعباد ما لا يقادر قدره من ذلك معرفة عدد السنين والحساب . وقوله ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾^(٢) إعلان وتنبية بأنه تعالى عزيز في بطشه وانتقامه من أعدائه غفار لعباده التائبين إليه . وقوله تعالى في الآية (٦) ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هي آدم عليه السلام فقد صح أنه

(١) هذه الجملة بيان لجملة هو الله الواحد القهار .

(٢) وهذه الجملة بيان ثان أيضاً وحقيقة التكوير أنه اللف واللي يقال كور العمامة على رأسه إذا لفها ولوّأها وهذا تمثيل بديع لتعاقب الليل والنهار .

(٣) كل التنوين للعوض أي كل واحد منهما يجري لأجل مسمى هو أجل فثانها .

(٤) استئناف ابتدائي وجملة فإنكم الخ استدلال على صفة العزة والمغفرة في العزيز الغفار .

لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ذريته وأشهدهم على أنفسهم، ولهذا جاء العطف بضم ﴿إذ قال خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها﴾ أي بعد أن مسح على ظهر آدم وأخرج ذريته من ظهره وأشهدهم على أنفسهم خلق حواء من ضلعه الأيسر، وهذا برهان وآخر في قوله ﴿وأنزل لكم من الأنعام﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ضأن وماعز وهي ذكر وأنثى فالذكر زوج والأنثى زوج فهي ثمانية أزواج وجائز أن يكون أصل هذه الأنعام قد أنزله من السماء كما أنزل آدم وحواء من السماء، وجائز أن يكون أنزل الماء فنبت العشب وتكونت هذه الأنعام من ذلك فالأصل الإنزال من السماء وتدرج الخلق كان في الأرض. وبرهان رابع في قوله ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق﴾ أي نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاماً ثم نكسو العظام لحماً فإذا هو إنسان كامل وقوله ﴿في ظلمات ثلاث﴾ هي ظلمة بطن الأم، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، وهي غشاء يكون للولد وفي الحيوان يقال له السُّلي وقوله بعد ذكر هذه البراهين قال ﴿ذلكم الله ربكم﴾ أي خالقكم ومعبودكم ﴿الحق له الملك لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود إلا هو إذ لا تصلح العبادة إلا له ﴿فأنى تصرفون﴾ أي كيف تصرفون عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال إن أمركم عجبٌ. وقوله في الآية (٧) ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم﴾ أي بعد أن بين بالأدلة القاطعة وجوب الإيمان به ووجوب عبادته، وأنه الرب الحق وإله الحق أعلم عباده أن كفرهم به لا يضره أبداً لأنه غني عنهم وعن سائر خلقه إلا أنه لرحمته بعباده لا يرضى لهم الكفر لما يسببه لهم من شقاء وخسران، كما أنهم إن آمنوا وشكروا يرضه لهم فيثيبهم أحسن ثواب ويجزيهم أحسن جزاء. وقوله ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ هذا مظهر من مظاهر عدله بين عباده وهو أن نفساً ذات وزر أي ذنب لا تحمل وزر أي ذنب نفس أخرى بل كل نفس تحمل وزرها وتحمل تبعته ونتائجه وحدها. وقوله تعالى ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ أي بعد الموت ﴿فينبئكم

(١) ووجه ثالث وهو جائز أن يكون الإنزال بمعنى التسخير نحو وأنزلنا الحديد أي ذللناه لكم تصنعون منه السيوف والرمح وهذا كقولك نزل فلان على رأي فلان قال الشاعر:

أنزلني الدهر على حكمه من شاق عالٍ إلى خفض

(٢) أي طوراً بعد طور لقوله ﷻ ﴿إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويأمر يكتب أربع كلمات رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد﴾ الحديث «مسلم».

(٣) هذه الجملة كالفذلكة والنتيجة لما سبق من ذكر آيات العلم والقدرة والرحمة الموجبة للألوهية الحققة للرب الحق سبحانه وتعالى.

(٤) فأنى تصرفون الاستفهام للانكار مشوباً بالتعجب من حال انصرافهم عن الحق بعد ظهور أدلته وسطوع براهينه، عجايبكم كيف صرفتم وبنساء الفعل للمجهول إشارة واضحة إلى أنهم يصرفون بقوى غير قواهم وهي قوى الشياطين التي تزين لهم الباطل وتبغض لهم الحق.

بما كنتم تعملون ﴿ أي فيخبركم بأعمالكم خفيها وجليها صغيرها وكبيرها ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴿ فضلا عما كان عملا ظاهراً غير باطن ويجزيكم بذلك الخير بمثله والشر بمثله . فهذا ربكم الحق والهكم الصدق فآمنوا به ووحده ولا تشركوا به وأطيعوه ولا تعصوه تنجوا وتسعدوا في الدنيا والآخرة . ولا يهلك على الله إلا هالك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان آيات الله في الكون وإيرادها أدلة على التوحيد .
- ٢- بيان إفضال الله تعالى على العباد في خلقهم ورزقهم .
- ٣- بيان أن الكفر أعجب من الإيمان إذ أدلة الإيمان لا تعد كثرة وأما الكفر فلا دليل عليه البتة ومع هذا أكثر الناس كافرون .
- ٤- بيان غنى الله تعالى عن خلقه وافتقار الخلق إليه .
- ٥- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة وتقريرها .
- ٦- بيان إحاطة علم الله بالخلق وعلمه بأفعالهم وأحوالهم ظاهراً وباطناً .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمْ نَهَوَقْنَتْ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

- وإذا مس الإنسان : الإنسان أي المشرك .
 ضرٌّ : أي مرض أو خوف غرق ونحوه من كل مكروه لا يقدر على دفعه .

دعا ربه منيباً إليه	: أي سأل ربّه كشف ما أصابه من ضرر راجعاً إليه معرضاً عن سواه .
إذا خوله نعمة منه	: أي أعطاه نعمة منه بأن كشف ما به من ضرر .
نسى ما كان يدعو إليه من قبل	: أي ترك ما كان يتضرع إليه من قبل وهو الله سبحانه وتعالى .
وجعل لله أنداداً	: أي شركاء .
ليضل عن سبيله	: أي ليضل نفسه وغيره عن الإسلام .
قل تمتع بكفرك قليلاً	: أي قل يا نبينا لهذا الكافر الضال المضل تهديداً تمتع بكفرك ببقية أجلك .
إنك من أصحاب النار	: أي أهلها المتأهلين لها بخبث نفوسهم وظلمة أرواحهم .
قانت آتاء الليل ^(١)	: أي مطيع لله آتاء الليل أي ساعات الليل ساجداً وقائماً في الصلاة .
إنما يتذكر أولوا الألباب	: أي يتعظ بما يسمع من الآيات أصحاب العقول النيرة .

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير التوحيد وإبطال التنديد، فقال تعالى مخبراً عن حال المشرك بربه المتخذ له أنداداً يعبدها معه ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي سأل ربّه راجعاً إليه رافعاً إليه يديه يا ربه يا ربه سائلاً تفرّج مابه وكشف ما نزل به ﴿ثُمَّ إِذَا خَوْلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ حتى إذا فرّج الله كربته ونجاه، ترك دعاء الله، وأقبل على عبادة غير الله، ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ نفسه وغيره . وهنا أمر تعالى رسوله أن يقول له نيابة عن الله تعالى قل يارسولنا لهذا المشرك الكافر تمتع بكفرك قليلاً أي مدة بقية عمرك إنك من أصحاب النار، هكذا هدده ربّه وخوفه بعاقبة أمر الشرك والتنديد لعله ينتهي فيتوب توبة صادقة ويرجع إلى الله رجوعاً حسناً

(١) الأتاء جمع أتى مثل أمعاء ومعى وأقفاء وقفى والأنى الساعة .

(٢) الإنسان هنا اسم جنس دال على غير معين بل هو عام في كل مشرك بالله تعالى كافر به .

(٣) قوله اعطاه إذ التخويل الإعطاء والتملك دون قصد عوض مأخوذ من الخول وهو اسم للعبد والخدم وفي الحديث

إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم «الحديث» .

(٤) اللام لام العاقبة، أي هولم يقصد إضلال نفسه .

(١) جميلاً. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨) أما الآية الثانية (٩) فيقول تعالى ﴿أَمِنْ هُوَ قَائِتٌ﴾ أي مطيع لله ورسوله في أمرهما ونهيهما ﴿أَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي ساعات الليل تراه ساجداً في صلاته أو قائماً يتلو آيات الله في صلاته، وفي نفس الوقت هو يحذر عذاب الآخرة ويسأل الله تعالى أن يقيه منه، ويرجو رحمة ربه وهي الجنة أن يجعله الله من أهلها أهذا خير أم ذلك الكافر الذي قيل له تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، والجواب معلوم للعقلاء وقوله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ محاب الله ومكارهه وهم يعملون على الإتيان بمحاب الله تقرباً إليه، وعلى ترك مكارهه تحبباً إليه، هل يستوى هؤلاء العاملون مع الذين لا يعلمون ما يحب وما يكره فهم يتخبطون في الضلال تخبط الجاهلين؟ والجواب لا يستوون وإنما يتذكر بمثل هذا التوجيه الإلهي والإرشاد الرباني أصحاب الأبواب أي العقول السليمة الراجعة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
- ٢- الكشف عن داخلية الإنسان قبل أن يؤمن ويُسلم وهو أنه إنسان متناقض لا خير فيه ولا رشد له، فلا يرشد ولا يكمل إلا بالإيمان والتوحيد.
- ٣- بشرى الضالين عن سبيل الله المضلين عنه بالنار.
- ٤- مقارنة بين القانت المطيع، والعاصي المضل المبين، وبين العالم والجاهل، وتقرير أفضلية المؤمن المطيع على الكافر العاصي. وأفضلية العالم بالله وبمحابه ومكارهه والجاهل بذلك.
- ٥- فضل العالم على الجاهل لعمله بعلمه ولولا العمل بالعلم لاستويا في الخسة والانحطاط.

قُلْ يَعْْبَادِ الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَنْقُورَبِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ

وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

(١) قرأ نافع آمن هو قانت بتخفيف الميم - وقرأ حفص آمن بتشديدها وجائز أن تكون الهمزة همزة استفهام ومن مبتدأ والخبر مقدر نحو آمن هو قانت أفضل أم من هو كافر وعلى قراءة التشديد فالهمزة للاستفهام وآمن كلمتان أم المعادلة أدغمت في من المبتدأ وجائز أن تكون أم منقطعة لمجرد الإضراب الانتقالي.

(٢) وهو أنهما لا يستويان بحال من الأحوال.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
 قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا
 ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
 وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْْبَادُونَ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

اتقوا ربكم : أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بالإيمان والتقوى .

للذين أحسنوا : أي أحسنوا العبادة .

حسنة : أي الجنة .

أرض الله واسعة : أي فهاجروا فيها لتتمكنوا من عبادة الله إن منعتم منها في دياركم .

أمرت : أي أمرني ربي عز وجل .

مخلصا له الدين : أي مفرداً إياه بالعبادة .

أول المسلمين : أي أول من يسلم في هذه الأمة فينقاد لله بعبادته والإخلاص له فيها

عذاب يوم عظيم : أي عذاب يوم القيامة .

قل : أي يارسولنا للمشركين .

الله أعبد : أي لا أعبد معه سواه .

مخلصا له ديني : أي مفرداً إياه بطاعتي واتيادي .

فاعبدوا ما شئتم : أي إن أبيتم أيها المشركون عبادة الله وحده فاعبدوا ما شئتم

من الأوثان فإنكم خاسرون .

خسروا أنفسهم : أي فحرموها الجنة وخلدوها في النار .

وأهليهم : أي الحور العين اللاتي كن لهم في الجنة لو آمنوا واتبوا بفعل الطاعات وترك المنهيات

ظلل من النار : أي دخان ولهب وحر من فوقهم ومن تحتهم .

ذلك : أي المذكور من عذاب النار .
يا عباد فاتقون : أي يا من أنا خالقهم ورازقهم ومالكهم وما يملكون فلذلك اتقون بالإيمان والتقوى .

معنى الآيات :

لقد تضمنت هذه الآيات الخمس توجيهات وإرشادات ربانية للمؤمنين والرسول ﷺ ففي الآية الأولى (١٠) يأمر تعالى رسوله أن يقول للمؤمنين اتقوا ربكم أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية وذلك بطاعته وطاعة رسوله ، ويُعلمهم معللاً أمره بإياهم بالتقوى بأن للذين أحسنوا الطاعة المطلوبة منهم الجنة، كما يعلمهم أنهم إذا لم يقدرُوا على الطاعة بين المشركين فليهاجروا إلى أرض يتمكنون فيها من طاعة الله ورسوله فيقول ﴿وأرض الله واسعة﴾ أي فهاجروا فيها ويشجعهم على الهجرة لأجل الطاعة فيقول ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ أي على الاغتراب والهجرة لأجل طاعة الله والرسول ﴿أجرهم بغير حساب﴾ أي بلا كيل ولا وزن ولا عد وذلك لأنه فوق ذلك . وفي الآية الثانية (١١) والثالثة (١٢) يأمر تعالى رسوله موجهاً له بأن يقول للناس ﴿أني أمرت﴾ أي أمرني ربي أن أعبد الله باعتقاد وقول وفعل ما يأمرني به وترك ما ينهاني عنه من ذلك مخلصاً له الدين ، فلا اشرك في دين الله أحداً أي في عبادته أحداً ، كما أمرني أن أكون أول المسلمين في هذه الأمة أي أول من يسلم قلبه وجوارحه الظاهرة والباطنة لله تعالى وفي الآيات الرابعة (١٣) والخامسة (١٤) يأمر الله تعالى رسوله أن يقول للمشركين إنني أخاف إن عصيت ربي ، فرضيت بعبادة غيره وأقررتها عذاب يوم عظيم كما يأمره أن يقول الله أعبد أي الله وحده لا شريك له أعبد حال كوني مخلصاً له ديني . وأما انتم أيها المشركون إن أبيتم التوحيد فاعبدوا ما شئتم من آله دونه تعالى ويأمره أن يقول لهم إن الخاسرين بحق ليسوا أولئك الذين يخسرون دنياهم فيفقدون الدار والبعير أو المال والأهل والولد بل هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، وذلك

(١) وفسر بعضهم الصبر بالصوم وحقاً الصوم من الصبر وحسب الصوم أجراً أن يقول الله تعالى «الصوم لي وأنا أجزي به» . إلا أن الآية عامة في الصبر في مواطنه الثلاث وهي صبر على الطاعات وصبر دون المعاصي وصبر على البلاء . ومن ذلك الهجرة إلى دار الإسلام .

(٢) ذهب بعضهم إلى أن الآية منسوخة بقوله تعالى ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ ولا معنى لهذا النسخ إذ النسخ لا يكون في الأخبار . وإنما الآية من باب الفرض والتقدير إذ الرسول معصوم ولا يعصي وإذا لا خوف عليه وإنما من باب طلب الهداية للآخرين قال له قل هذا .

(٣) الأمر هنا للتهديد والوعيد والتوبيخ وليس للإذن بعبادة غير الله إذ القرآن كله نزل ليعبد الله تعالى وحده ولا يعبد معه سواه فكيف يأذن بعبادة ما شاءوا من آله .

(٤) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ما من أحد إلا وخلق الله له زوجة في الجنة فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله . وهو كذلك لقوله تعالى أولئك هم الوارثون أي يرث المسلم الكافر يرثه في أهله ومكانه في الجنة وسبب الإرث الإيمان والتقوى بإذن الله تعالى .

بتخليدهم في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور العين المعدة لهم في الجنة لو أنهم آمنوا واتقوا. إلا ذلك أي هذا هو الخسران المبين ثم يوضح ذلك الخسران بالحال التالية وهي أن لهم وهم في النار من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل أي طبقات من فوقهم طبقة ومن تحتهم أخرى وكلها دخان ولهب وحر وأخيراً قوله تعالى ﴿ذلك﴾ أي المذكور من الخسران وعذاب الظلل يخوف الله تعالى به عباده المؤمنين ليواصلوا طاعتهم وصبرهم عليها فينجوا من النار ويظفروا بالجنة وقوله يا عباد فاتقون أي يا عبادي المؤمنين فاتقون ولا تعصون يحذرهم تعالى نفسه، والله رءوف بالعباد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- بيان عناية الله تعالى برسوله والمؤمنين إذ أرشدهم إلى ما يكملهم ويسعدهم.
- ٢- وجوب التقوى والصبر على الأذى في ذلك.
- ٣- تقرير التوحيد بأن يعبد الله وحده.
- ٤- فضل الإسلام وشرف المسلمين.
- ٥- تقرير البعث والجزاء بيان شيء من أهوال الآخرة وعذاب النار فيها.
- ٦- كل خسران في الدنيا إذا قيس بخسران الآخرة لا يعد خسراناً أبداً.

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 وَأُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتُ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

والذين اجتنبوا الطاغوت^(١) أن : أي تركوا عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله .

يعبدوها

وأنابوا إلى الله : أي بالايمان به وعبادته وتوحيده فيها .

لهم البشرى : أي بالجنة عند الموت وفي القبر وعند القيام من القبور .

فيتبعون أحسنه : أي أوفاه وأكملة وأقربه إلى مرضاة الله تعالى .

أولوا الألباب : أي العقول السليمة .

أفمن حق عليه كلمة العذاب : أي وجب عليه العذاب بقول الله تعالى لأملأن جهنم .

أفأنت تنقذ من في النار : أي تخلصه منها وتخرجه من عذابها .

لكن الذين اتقوا ربهم : أي خافوه فآمنوا به وأطاعوه موحدين له في ذلك .

تجري من تحتها الأنهار : أي من خلال قصورها وأشجارها .

وعد الله : أي وعدهم الله تعالى وعداً فهو منجزه لهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال أهل النار من عبدة الأوثان وأن لهم من فوقهم ظللاً من النار ومن تحتهم ظللاً ذكر تعال الذين اجتنبوا تلك الطواغيت فلم يعبدوها، وما أعد لهم من النعيم المقيم فجمع بذلك بين الترهيب والترغيب المطلوب لهداية البشر وإصلاحهم فقال عز وجل ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ أي أن يعبدوها وهي الأوثان وكل مازين الشيطان بعبادته ودعا الناس إلى عبادته وأضافوا إلى اجتناب الطاغوت الإناية إلى الله تعالى بعبادته وتوحيده فيها هؤلاء لهم البشرى وهي في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ويرونها عند نزول الموت وفي القبر وفي الحشر وكل هذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقوله تعالى ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ يأمر تعالى رسوله أن يبشر صنفاً من عباده بما بشر به الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا

(١) الطاغوت مصدر أو اسم مصدر فعله طغا وهل هو واوي أو يائي خلاف الأشهر أنه واوي نحو طغا طغواً كعلا يعلو علواً وقولهم الطغيان دال على أنه يائي وتأوه زائدة كما زيدت في رحمت وملكوت وقيل هو اسم أعجمي كجالت وطالوت .

(٢) شاهده قوله تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ (البقرة) ومن السنة قوله ﷺ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له في بيان قوله تعالى ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ من سورة يونس ومن القرآن ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ فهذه عند الموت .

إلى الله وهم الذين يستمعون القول من قائله فيتبعون أحسن ما يسمعون، ويتركون حسنه وسيئه معاً فهؤلاء لهم همم عالية ونفوس تواقه للخير والكمال شريفة فاستوجبوا بذلك البشري على لسان رسول الله ﷺ والثناء الجميل من رب العالمين إذ قال تعالى فيهم ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ فحسبهم كمالاً أن اتنى تعالى عليهم . اللهم اجعلني منهم ومن سأل لي وله ذلك . وقوله ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ أي وجب له العذاب قضاءً وقدراً فأسرف في الكفر والظلم والإجرام والعدوان كأبي جهل والعاص بن وائل فأحاطت به خطيئاته فكان من أصحاب النار فهل تستطيع أيها الرسول انقاذه من النار وتخليصه منها؟ والجواب لا . إذأ فهون على نفسك وتركهم لشأنهم وما خلقوا له وحكم به عليهم . وقوله تعالى ﴿لكن الذين اتقوا﴾ فأمنوا وعملوا الصالحات لهم غرف في الجنة من فوقها غرف وهي العلية تكون فوق الغرفة تجرى من تحتها الأنهار من تحت القصور والأشجار انهار الماء واللبن والعسل والخمر . وقوله ﴿وعد الله﴾ أي وعدهم الله تعالى بها وعداً حقاً فهو منجزه لهم إذ هو تعالى لا يخلف الميعاد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- كرامة زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي إذ هذه الآية تعنيهم فقد رفضوا عبادة الطاغوت في الجاهلية قبل الإسلام ثم أنابوا إلى ربهم فصدقت الآية عليهم .
- ٢- فضيلة أهل التمييز والوعي والإدراك الذين يميزون بين ما يسمعون فيتبعون الأحسن ويتركون ما دونه من الحسن والسيء .
- ٣- إعلام من الله تعالى أن من وجبت له النار أزلأ لا تمكن هدايته مهما بذل الداعي في هدايته وإصلاحه ما بذل .
- ٤- بيان ما أعد الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى من نعيم الجنة وكرامة الله لأهلها .

(١) جائر أن يراد بكلمة أحسن حسنه فهم يستمعون القول من قائله ويفهمونه فإن كان حقاً وهدى أخذوا به وإن كان باطلاً وضلالاً تركوه وابتعدوا عنه . فقد روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عثمان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص وجاءوا إلى أبي بكر حين أسلم فأخبرهم بإيمانه فأمنوا .
(٢) الاستفهام الأول والثاني كلاهما إنكاري ينكر الله تعالى على رسوله حزنه وألمه على عدم إيمان عمه أبي لهب وولده ومن لم يؤمن من قرابته ممن وجبت لهم النار في سابق علم الله فهم لا يؤمنون ، ولذا فرع عنه قوله أفانت تنقذ من في النار؟ إنك لا تقدر على ذلك فهون على نفسك .

الْمَ تَرُ
 أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤١﴾
 أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ
 لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أَوْلِيَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٢﴾
 اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُ مِنْهُ
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
 إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ
 يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

- فسلكه ينابيع في الأرض : أي أدخله في الأرض فصار جاريا تحتها ينبع منها فكان بذلك ينابيع .
- مختلفا ألوانه : أي ما بين أخضر وأبيض وأحمر وأصفر وأنواعه من بر وشعير وذرة .
- ثم يهيج فتراه مصفرا : أي يبس فتراه أيها الرائي بعد الخضرة مصفرا .
- ثم يجعله حطاما : أي فتاتا متكسرا .
- إن في ذلك لذكرا : إن في ذلك المذكور من إنزال الماء إلى أن يكون حطاما تذكيرا .
- أفمن شرح الله صدره للإسلام : أي فاهتدى به كمن لم يشرح الله صدره فلم يهتد؟ .
- فهو على نور من ربه : أي فهو يعيش في حياته على نور من ربه وهو معرفة الله وشراعه .

فويل للقاسية قلوبهم من ذكر : ويل كلمة عذاب للقاسية قلوبهم عن قبول القرآن فلم تؤمن به
الله
أحسن الحديث كتابا : هو القرآن الكريم .
متشابهها : أي يشبه بعضه بعضا في النظم والحسن وصحة المعاني .
مثاني : أي ثنى فيه الوعد والوعيد كالقصص والأحكام .
تقشعر منه جلود الذين يخشون : أي ترتعد منه جلود الذين يخشون ربهم وذلك عند ذكر وعيده .
ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم : أي تطمئن وتلين .
إلى ذكر الله : أي عند ذكر وعده لأهل الإيمان والتقوى بالجنة وما فيها من
نعيم مقيم .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ ألم تر ﴾ هذه الآية الكريمة تقرر التوحيد والبعث والجزاء بذكر مظاهر القدرة والعلم الإلهيين، وهما مقتضيان لوجود الله أولا ثم وجوب الإيمان به وبلقائه فقال تعالى مخاطبا رسوله ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ﴾ وهو المطر ﴿ فسلكه ينابيع في الأرض ﴾ أي أدخله فيها وأخرجه منها ينابيع بواسطة حفر وبدونه، ثم يخرج به زرعاً من قمح وشعير وذرة وغيرها مختلفا ألوانه من أحمر وأبيض وأصفر ﴿ ثم يهيج ﴾ حسب سنة الله تعالى في ذلك فيجف ﴿ فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ﴾ أي فتاتا متكسراً كالتبن كل هذا يتم بقدرة الله وعلمه وتدبيره ففيه موعظة وذكرى لأولى القلوب الحية تهديهم إلى الإيمان بالله وبآياته ولقائه، وما يستتبع ذلك من الطاعة والتوحيد وقوله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام ﴾ أي وسع صدره وفسحه فقبل الإسلام دينا فاعتقد عقائده وعمل بشرائعه فامتثل أوامره واجتنب نواهيه فهو يعيش على نور من ربه ومقابل هذا محذوف اكتفى بالأول عنه وتقديره كمن طبع الله على قلبه وجعل صدره حرجا ضيقا فلم يقبل الإسلام ولم يدخل فيه، وعاش على الكفر والشرك والمعاصي فهو يعيش على ظلمة الكفر ودخن الذنوب

(١) تضمنت هذه الآية الكريمة مثالين زيادة على ما دلت عليه بظواهر كلماتها المثال الأول هو أن القرآن الكريم ينزل من عند الله فيحيى الله تعالى به القلوب الميتة فتحى وتشرق وتبلغ الكمال في الطهر والإشراق . والثاني هو أن حياة الإنسان تتبدى بنطفة المني فتستقر في الرحم ثم تخرج طفلا ثم يكبر فيصبح شابا فكهلا ثم يهرم ويهلك . والخطاب صالح لكل من له أهلية النظر .

(٢) شرح الصدر عبارة عن قبول الهدى والاستنارة به، والاستفهام إنكاري ومن مبتدأ والخبر محذوف تقديره كمن ضاق صدره بالكفر وغشيته ظلمته فهو لا يعي ولا يفهم ما يقال له وما يدعى إليه من الهدى والخير أي هل حالهما واحدة والجواب لا .

(١) وعضن الفساد والشر. وقوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر﴾ يتوعد الله تعالى بالعذاب أصحاب القلوب القاسية من سماع القرآن وهذه أسوأ حال العبد إذا كان يهلك بالدواء ويضل بالهدى فسماع القرآن الأصل فيه أن يلين القلوب الصالحة للحياة فإذا كانت القلوب ميتة غير قابلة للحياة سماع القرآن زادها موتاً وقسوة، ويدل على هذا قوله ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ (٢) فهدايتهم متعذرة إذا كان الدواء يزيد في علتهم وآيات الهداية تزيد في ضلالتهم. وقوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ هذه الآية نزلت لما قال أصحاب الرسول يوماً لرسول الله ﷺ حدثنا يا رسول الله فأنزل الله تعالى قوله ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ وهو القرآن ﴿كتاباً متشابها﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في حسن اللفظ وصحة المعاني ﴿مثنائي﴾ أي يثني فيه الوعد والوعيد والأمر والنهي والقصص، ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ أي عند سماع آيات الوعيد فيه ﴿ثم تلين جلودهم﴾ إذا سمعوا آيات الوعد ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ إذا سمعوا حججه وأدلته وقوله ﴿إلى ذكر الله﴾ أي القرآن وذكر الله بوعد ووعيده وأسمائه وصفاته ويشهد له قوله تعالى من سورة الرعد ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقوله تعالى ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء﴾ أي ذلك المذكور وهو القرآن الكريم هدى الله إذ هو الذي انزله وجعله هادياً يهدي به من يشاء هدايته بمعنى يوفقه للإيمان والعمل به وترك الشرك والمعاصي. وقوله ﴿ومن يضلل الله فما له من هادٍ﴾ لما سبق في علم الله ولوجود مانع منع من هدايته كالإصرار والعناد والتقليد. فهذا ليس له من هاد يهديه بعد الله أبداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- مظاهر العلم والقدرة الإلهية الموجبة للإيمان به وبرسوله ولقائه .

(١) من بمعنى عن لتضمين المساواة في الإعراض والنفور إذ يقال عرض عن كذا ونفر عنه وذكر الله هنا القرآن كما في التفسير.

(٢) ﴿أولئك في ضلال مبين﴾ الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً إذ هو جواب لمن سأل عن مساواة قلوب المتوعدين بالويل فقول له إنه ضلالهم الواضح المبين.

(٣) روي أن سعد بن أبي وقاص قال قال أصحاب رسول الله ﷺ يوماً لو حدثنا فأنزل الله : ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ وهذا كما قالوا يوماً لو قصصت علينا فنزل : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ ، وقولهم لو ذكرتنا فنزل : ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ ، وفي هذا دليل على أنه لا يلبق بأمة القرآن أن تلهو بالتمثيلات والروايات وأندية اللهو اللعب.

(٤) تقشعر أي تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد وتلين قلوبهم عند سماع آيات الرحمة وتطمئن إلى ذكر الله تعالى يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت أنا أعلم متى يستجاب لي ، وذلك إذا اقتشعر جلدي ، ووجل قلبي وفاصت عينا ي وهو مروى عن ثابت البناني وأم الدرداء أن الوجمل في القلب كاحتراق السعفة .

- ٢- بيان أن القلوب قلبان قلب قابل للهداية وآخر غير قابل لها .
 ٣- بيان أن القرآن أحسن ما يحدث به المؤمن إذ أخباره كلها صدق وأحكامه كلها عدل .
 ٤- فضيلة أهل الخشية من الله إذ هم الذين يفعلون لسماع القرآن فترتعد فرائصهم عند سماع وعيده ، وتلين قلوبهم وجلودهم عند سماع وعده .

أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ
 الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ
 ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
 الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

- أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب : أي يتلقى العذاب بوجهه لا شيء يقيه منه كمن آمن .
 سوء العذاب : أقساه وأشدّه .
 وقيل للظالمين : أي المشركين في جهنم .
 ذوقوا ما كنتم تكسبون : أي جزاء كسبكم الشر والفساد .
 كذب الذين من قبلهم : أي من قبل أهل مكة .
 فأتاهم العذاب من حيث : أي من حيث لا يدرون أنه آتيهم منه . أو من حيث لا يخطر
 لا يشعرون : ببالهم
 فأذاقهم الله عذاب الخزي : أي المسخ والذل والإهانة .
 ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا : أي لو كانوا يعلمون ذلك ما كذبوا ولا كفروا .
 يعلمون

معنى الآيات :

بإزال السياق الكريم في تقرير البعث والجزاء فقوله تعالى ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب﴾ يوم القيامة إذ ليس له ما يتقى به العذاب لأن يديه مغلولتان إلى عنقه فهو يتلقى العذاب بوجهه وهو أشرف أعضائه أفهذا الذي يتلقى العذاب بل سوء العذاب كمن أمن العذاب ودخل الجنة؟ والجواب لا يستويان . وقوله تعالى ﴿وقيل للظالمين﴾ أي المشركين وهم في النار يقول لهم زبانية جهنم توبيخاً لهم وتقريعاً ذوقوا ما كنتم تكسبون من أعمال الشرك والمعاصي هذا جزاؤه فذوقوه عذاباً أليماً . وقوله تعالى ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ أي كذب قبل أهل مكة أمم وشعوب كذبوا رسلهم فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا وذلك كالذلل والمسوخ والقتل والأسر والسبي ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا وهم صائرون إليه لا محالة وقوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كانوا يعلمون عنه علماً يقينياً ما كذبوا رسلهم ولا كفروا بربهم . فهلكوا بجهلهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- تقرير البعث والجزاء بذكر شيء من أحوال يوم القيامة .
- ٢- تهديد قريش على إصرارها على التكذيب للرسول وما جاءها به من الإسلام .
- ٣- العذاب على التكذيب والمعاصي منه الديني ، ومنه الأخروي .
- ٤- لو علم الناس عذاب الآخرة علماً يقينياً ما كذبوا ولا كفروا ولا ظلموا فالجهل هو سبب الهلاك والشقاء دائماً .

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي

هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا

(١) قال عطاء وابن زيد يرمي مكتوفاً في النار فأول شيء تمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر في النار على وجهه كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم والاستفهام إنكارى وفي الكلام حذف تقديره كمن هو آمن في جنات النعيم .

(٢) الالتقاء مصدر ومعناه تكلف الوقاية وهي الصرون والدفع وفعل اتقى يتعدى إلى مفعولين ويتعدى بالياء كما في قول الشاعر:

سقط النصف ولم ترد إسقاطه فتناوله واتقتنا باليد

(٣) للظالمين إظهار في محل إخبار إذ المفروض أن يقال وقيل لهم والنكتة التنديد بالشرك إذ هو الظلم وبيان العلة الموجبة لإلقتهم في جهنم على وجوههم وهي الظلم الذي هو الشرك .

غَيْرِ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ
شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ
﴿٣٠﴾ ثَمَّ آتَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

ولقد ضربنا للناس في هذا: أي جعلنا للعرب في هذا القرآن من كل مثل من الأمم
القرآن من كل مثل السابقة.

لعلهم يتذكرون : أي يتعظون فينزعجون عما هم فيه من الشرك والتكذيب إلى
الإيمان والتوحيد.

قرآنا عربيا غير ذي عوج : أي حال كون المثل المجمعول قرآنا عربيا لا لبس فيه ولا
اختلاف فلا عذر لهم في عدم فهمه وإدراك معناه وفهم مغزاه.

متشاكسون : أي متنازعون لسوء أخلاقهم.
ورجلا سلما : أي خالصا سالما لرجل لا شركة فيه لأحد.

هل يستويان مثلا : الجواب لا الأول في تعب وحيرة والثاني في راحة وهدوء بال.
الحمد لله : أي على ظهور الحق وبطال الباطل.

إنك ميت : أي مقضي عليك بالموت في وقته.
وانهم ميتون : أي كذلك محكوم عليهم به عند انقضاء آجالهم.

عند ربكم تختصمون : أي تحتكمون إلى الله في ساحة فصل القضاء فيحكم الله
بينكم.

فيما كنتم فيه تختلفون : أي من الشرك والتوحيد والإيمان والتكذيب.

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ يخبر تعالى بما

(١) ضرب المثل ذكره والمثل الصفة الحسنة وللناس جنس الناس ويدخل فيه العرب أولا لأنه بلغتهم والناس تابعون لهم في ذلك.

من به على العرب لهدايتهم حيث جعل لهم في القرآن الكريم من أمثال الأمم السابقة في إيمانها وتكذيبها، وصلاحتها وفسادها ونجاتها وخسرانها وكل ذلك بقرآن عربي لا عوج^(١) فيه أي لا لبس ولا خفاء ولا اختلاف، فعل ذلك لهم لعلمهم يتذكرون أي يتعظون فيؤمنون ويوحدون فينجون من العذاب ويسعدون. وقوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً^(٢) مسلماً لرجل هل يستويان﴾ إلى آخر الآية، هذا مثل من جملة الأمثال التي ضرب الله للناس لعلمهم يتذكرون وهو مثل للمشرك الذي يعبد عدة آلهة. والموحد الذي لا يعبد إلا الله فالمشرك مثله رجل يملكه عدد من الرجال من ذوي الأخلاق الشرسة والطباع الجافة فهم يتنازعونه هذا يقول له تعال والآخر يقول له اجلس والثالث يقول له قم فهو في حيرة من أمره لا راحة بدن ولا راحة ضمير ونفس. والموحد مثله رجل سلم أي خالص وسالم لرجل واحد أمره وناهيه واحد هل يستويان أي الرجلان والجواب لا إذ بينهما كما بين الحرية والعبودية وأعظم وقوله تعالى ﴿الحمد لله^(٣)﴾ أي الثناء بالجميل لله والشكر العظيم له سبحانه وتعالى على انه رب واحد وإله واحد لا إله غيره ولا رب سواه. وقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أي بل أكثر المشركين لا يعلمون عدم تساوي الرجلين، وذلك لجهلهم وفساد عقولهم.

وقوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾^(٤) نزلت لما استبطأ المشركوت موت الرسول ﷺ أي لا شماتة في الموت إنك ستموت يارسولنا ويموتون. وقوله تعالى ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ أي مؤمنكم وكافركم قويمكم وضعيفكم تقفون بين يدي الله ويحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمور الدين والدنيا معا.

(١) غير ذي عوج أي لا اختلاف فيه ولا تضاد ولا لحن فيه ولا شك قال الشاعر:

وقد أتاك يقين غير ذي عوج من الإله وقول غير مكذوب

(٢) متشاكسون أي مختلفون أو متعاسرون يقال رجل شكس وشرس وضرس ويقال شاكسني فلان أي ماكنسي وشاخني في

حقي.

(٣) قرأ الجمهور سلماً وقرأ غيرهم سالماً بمعنى خالصاً فمعنى القراءتين واحد وهو الخلوص لمالك واحد.

(٤) الاستفهام إنكاري أي لا يستويان، مثلاً منصوب على التمييز لنسبة يستويان أي في أي شيء ميز لي.

(٥) لما سلم الخصم بأنه لا يستوي الموحد والمشرك تعين حمد الله تعالى إذ لا يعقل أن يقول المرء باستواء الرجل الذي يشترك فيه عدة رجال والآخر الذي هو خالص لرجل واحد، فكذلك الذي يعبد إلهاً واحداً لا يستوي مع من يعبد آلهة متعددة.

(٦) قرأ بعضهم إنك مائت وإنهم مائتون. والميت بالتشديد من هو صائر إلى الموت والميت بسكون الياء من فارقت الحياة، في هذه الآية نعي لكل إنسان بالموت إذ أن رجلاً نعي لرجل أخاه ووجهه يأكل فقال له كل فقد نعي إلي أخي من قبلك فقال

وكيف وأنا أول من نعاه فقال له قد نعاه الله إلي في قوله إنك ميت وإنهم ميتون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١- مشروعية ضرب الأمثال للمبالغة في الإفهام والهداية لمن يراد هدايته .
- ٢- بيان مثل المشرك والموحد، فالمشرك في حيرة وتعب، والموحد في راحة وهدوء بال .
- ٣- تقرير أن كل نفس ذائقة الموت .
- ٤- بيان أن خصومة ستكون يوم القيامة ويقضي الله تعالى فيها بالحق لأنه هو الحق .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٣٢) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

ومن أظلم ممن كذب على الله؟ : أي بأن نسب إليه ما هو بريء منه كالزوج والولد والشريك.
وكذب بالصدق إذ جاءه؟ : أي بالقرآن والنبى والتوحيد والبعث والجزاء.
مثنوى للكافرين : أي مأوى، ومكان إقامة ونزول
والذي جاء بالصدق وصدق به : محمد ﷺ، والذي صدق به أبو بكر وكل أصحاب رسول الله.

أولئك هم المتقون : أي لعذاب الله بإيمانهم وتقواهم بترك الشرك والمعاصي.
ذلك جزاء المحسنين : أي المذكور من نعيم الجنة جزاء المحسنين في أعمالهم.
ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا: أي ييسر الله لهم ذلك ويوفقهم إليه ليكفر عنهم ذنوبهم.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عباده منذراً محذراً بأنه لا أظلم من أحد كذب على الله . فقال عنه ما لم يقل أو حرم ولم يحرم أو أذن ولم يأذن، أو شرع ولم يشرع، أو كذب بالصدق وهو القرآن والنبى وما جاء به من الهدى ودين الحق أي فلا أحد أظلم ممن كان هذا حاله كذب على الله وكذب بالصدق.

وقوله تعالى: ﴿ أليس في جهنم مثنوى للكافرين ﴾؟ هذا بيان لجزاء الكاذبين والمكذبين وهم الكافرون بسبب كذبهم على الله وتكذيبهم له فيخبر تعالى مقررأ أن جزاءهم الإقامة

(١) الاستفهام تقريرى والمثنوى مكان الإقامة وهو مصدر ثوى بالمكان يثوى ثواً وثويأً مثل مضى يمضي مضاً ومضياً.

(١) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَقَ بِهِ أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ هذا إخبار بفريق الفائزين من عباد الله وهم الصادقون في كل ما يخبرون به، والمصدقون بما أوجب الله تعالى التصديق به ويدخل في هذا الفريق دخولا أولاً رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق ثم سائر الصحابة والمؤمنين إلى يوم الدين. (٢)

وقوله تعالى: ﴿أَوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يشير إليهم بأنهم اتقوا كل ما يغضب الله من الشرك والمعاصي، وبذلك استوجبوا النجاة من النار ودخول الجنة المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ من نعيم بعضه لم يخطر على بال أحد، ولم تره عين أحد ولا تسمع به أذنه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي ذلك المذكور في قوله لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو جزاؤهم وجزاء المحسنين كلهم والمحسنون هم الذين أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل وقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرَ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي من الذنوب والآثام والخطايا والسيئات أي وفقهم للإحسان ويسره لهم، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا وسيئه ويجزيهم أجرهم على إيمانهم وتقواهم وإحسانهم في ذلك بأحسن ما كانوا يعملون وحسنه أيضاً وإنما يضاعف لهم الأجر فتكون الحسنات الصغيرة كالكبيرة فأصبح الجزاء كله على الأحسن والذي كانوا يعملون هو كل ما شرعه الله تعالى لعباده وتعبدهم به من الإيمان وسائر الطاعات والقربات.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بالكذب على الله تعالى والتكذيب به، وبما جاء به رسوله ﷺ من الدين.
- ٢ - بيان جزاء الكاذبين على الله ورسوله والمكذابين بما جاء به رسول الله عن الله من الشرع والدين.

(١) والذي جاء بالصدق مبتدأ والخبر أولئك هم المتقون. وعليه فالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ ومن صدق به هم أبو بكر وسائر المؤمنين وفي الآية حذف الموصول وهو «من» لدلالة السياق عليه.

(٢) أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خير، والجملة خبر عن المبتدأ الذي هو والذي جاء بالصدق والمعطوف عليه والموصول محذوف وهو من أو إذ لا يكون من جاء بالصدق هو المصدق به.

(٣) الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة.

(٤) في الآية الإشادة بأصحاب رسول الله ﷺ إذ أثبت لهم التصديق بما جاء به رسوله كما أثبت لهم التقوي والإحسان وواعدهم بالنعيم المقيم الذي ادخره لهم. وفي الحديث الصحيح «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ربي ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

٣ - الترغيب في الصدق في الاعتقادات والأقوال والأعمال .

٤ - فضل التقوى والإحسان وبيان جزائهما عند الله تعالى يوم القيامة .

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ

عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ
 اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ
 أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوْمِ أَعْمَلُوا
 عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

أليس الله بكاف عبده؟ : بلى هو كاف عبده ورسوله محمداً ﷺ كل ما يهمه .
 ويخوفونك بالذين من دونه: أي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بما يسوءك ويضرك .
 أليس الله بعزيز ذي انتقام : بلى بل هو عزيز غالب على أمره صاحب انتقام شديد على من
 عاداه .

ليقولن الله : أي لوضح البرهان وقوة الدليل وانقطاع الحجة .

قل أفرأيتم : أي أخبروني .

هل من ممسكات رحمته : والجواب لا لا إذا فقل حسبي الله، ولا حاجة لي بغيره .
 اعملوا على مكاتكم : أي على حالتكم التي أنتم من الكفر والعناد .
 إني عامل : أي على حالي التي أنا عليها من الإيمان والانقياد .
 من يأتيه عذاب يخزيه : أي في الدنيا بالقتل والأسر والجوع والقحط .
 ويحل عليه عذاب مقيم : أي وينزل عليه عذاب مقيم لا يبرح وهو عذاب النار بعد الموت .
 معنى الآيات :

ما زال السياق في الدفاع عن الرسول والرد على مناوئيه وخصومه الذين استبطأوا موته فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ فلا شماتة إذاً في الموت وقوله : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ دال على أن القوم حاولوا قتله ﷺ لما لم يمت بأجله وفعلاً قد قرروا قتله وأعطوا الجوائز لمن يقتله، ففي هذه الآية طمأن الله رسوله على أنهم لا يصلون إليه وأنه كافيه مؤامراتهم وتهديداتهم فقال عز وجل أليس الله بكاف عبده؟ والجواب بلى إذا الاستفهام تقريرى كافيه كَلَّ ما يهمله ويسوءه وقوله : ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ أي ويخوفك يارسولنا المشركون بما يعبدون من دوننا من اصنام وأوثان بأن تصيبك بقتل أو خيل فلا يهملك ذلك فإن أوثانهم لا تضر ولا تنفع ولا تجلب ولا تدفع، وقوله : ﴿ ومن يهد الله فما له من مضل ﴾، وقد هداك ربك فليس لك من يضلك أبداً، كما أن من أضله الله كقومك فليس له من هادٍ يهديه أبداً . وقوله تعالى : ﴿ أليس الله بعزيز ذي انتقام ﴾ بلى فهو إذاً سينتقم من أعدائه لأوليائه ان استمروا في أذاهم وكفرهم وعنادهم، وقد فعل سبحانه وتعالى .

وقوله تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ﴾ أي أوجدهما من غير مثال سابق ﴿ ليقولن الله ﴾ فما دام اعترافهم لازماً بأن الله تعالى هو الخالق فلم عبادة غيره والإصرار عليها مما أفضى بهم إلى أذية المؤمنين وشن الحرب عليهم . وقوله : ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ﴾ أي من الأصنام والأوثان أخبروني ﴿ إن أرادني الله بضرٍ ﴾ ما ﴿ هل هن كاشفات ضره أو أراداني برحمة ﴾ صحة وعافية وغنى ونصر ﴿ هل هن ممسكات رحمته ﴾ والجواب لا فإنها جماد لا تقدر

(١) الاستفهام للتقرير، وحذفت ياء كاف لأنه اسم منقوص وترد في الوقف جوازاً وقرأ الجمهور عبده وقرأ غيرهم عباده ليدخل المؤمنون معه ﷺ .

(٢) هذا شاهده قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام وكيف أخاف ما أشركتم فإنهم خوفوه بآلهتهم فإنكر عليهم ذلك وعابهم بعدم الخوف من الله تعالى .

(٣) الاستفهام تقريرى والجملة تحمل الوعيد الشديد للمشركين الكائدين الماكرين بالرسول ﷺ والمؤمنين والانتقام المكافاة بالشر على الشر وهو مشتق من النقم الذي هو الغضب .

(٤) قال مقاتل فسألهم رسول الله ﷺ فسكتوا وقال بعضهم لا تدفع شيئاً ولكنها تشفع !!

على إعطاء ولا على إمساك إذا فقل حسبي الله أعبدته وأتوكل عليه إذ هو الذي يضر وينفع ويجلب الخير ويدفع السوء والشر. وقوله ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ أي على الله وحده يتوكل المتوكلون فيثقون في كفايته لهم فيفوضون أمورهم إليه ويتعلقون به. وينفضون أيديهم من غيره.

وقوله تعالى: ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي لما أبيتم إلا العناد مصرين على الشرك بعد ما قامت الحجج والأدلة القاطعة على بطلانه فاعملوا على مكانتكم أي حالتكم التي عليها من الشرك والعناد ﴿إني عامل﴾ أنا على حالتني من الإيمان والتوحيد والانقياد. والنتيجة ستظهر فيما بعد لا محالة ويعلم المحق من المبطل، والمُهتدي من الضال وهي قوله تعالى: ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أي يذله ويكسر أنفه بالقتل والأسر والجوع والقحط وقد أصاب المشركين هذا في مكة وبدر. وقوله: ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ وهو عذاب النار في الآخرة نعوذ بالله من العذابين عذاب الخزي في الحياة الدنيا وعذاب النار في الدار الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير كفاية الله وولايته لعباده المؤمنين وخاصة ساداتهم من الأنبياء والأولياء.
- ٢ - تقرير مقتضى الولاية وهو النعمة من أعدائه تعالى لأوليائه وإن طال الزمن.
- ٣ - تقرير التوحيد وإبطال التنديد.
- ٤ - مظاهر ربوبية الله الموجبة لألوهيته.
- ٥ - وجوب التوكل على الله واعتقاد كفايته لأوليائه.
- ٦ - تقرير إنجاز الله وعده لرسوله والمؤمنين.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ
بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي

(١) (من) استفهامية علقت فعل تعلمون عن العمل في مفعوليه.

لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
 وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ
 قُلْ أَوْلَوْكَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
 قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ
 إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ
 قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن
 دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق : أي أنزلنا عليك يا رسولنا القرآن بالحق أي ملتبساً به .
 وما أنت عليهم بوكيل : أي ليس عليك أمر هدايتهم فتجبرهم على الإيمان
 الله يتوفى الأنفس حين موتها : أي ينهى حياة العباد بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم .
 والتي لم تمت في منامها : أي يتوفاها وقت النوم يحبسها عن التصرف كأنها شيء
 مقبوض .

فيمسك التي قضى عليها الموت : أي يقبضها لحكمة بالموت عليها حال النوم .
 ويرسل الأخرى إلى أجل : أي التي لم يحكم بموتها يرسلها فيعيش صاحبها إلى نهاية
 مسمى أجله المحدود له .

إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون : أي في قبض الأرواح وإرسالها، والقدرة على ذلك دلائل
 وبراهين على قدرة الله تعالى على البعث الذي أنكره
 المشركون .

أم اتخذوا من دون الله شفعاء : أي أن كفار مكة لا يتفكرون ولو كانوا يتفكرون لما انكروا البعث، ولا ما اتخذوا من دون الله شفعاء لوضوح بطلان ذلك .
 قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً : أي قل لهم أيشفع لكم شركاؤكم ولو كانوا لا يملكون شيئاً ينكر عليهم دعواهم الشفاعة لهم وهي أصنام لا تملك ولا تعقل .

قل لله الشفاعة جميعاً : أي أخبرهم أن جميع الشفاعات لله وحده فشفاعة الأنبياء والشهداء والعلماء والأطفال مملوكة لله فلا يشفع أحد إلا بإذنه .
 وإذا ذكر الله وحده اشمأزت : أي وإذا ذكر الله وحده كقول الرسول ﷺ لا إلا إلا الله نفرت نفوس المشركين وانقبضت وظهر الغضب والسخط في وجوههم .

وإذا ذكر الذين من دونه : أي الأصنام والأوثان التي يعبدونها من دون الله تعالى .
 إذا هم يستبشرون : أي فرحون جذلون وذلك لافتتانهم بها ونسيانهم لحق الله تعالى وهو عبادته وحده مقابل خلقه ورزقه لهم .

معنى الآيات :

إن السياق الكريم كان في عرض الصراع الدائر بين الرسول ﷺ وقومه المشركين فدافع الله تعالى عن رسوله ودفع عنه كل أذى ومكروه وتوعد خصومه بالعذاب في الدنيا والآخرة وهنا يسليه ويصبره فيقول له ﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿للناس﴾ أي لهداية الناس واصلاحهم ﴿بالحق﴾ أي ملتسماً بالحق، فمن اهتدى بالقرآن فأمن وعمل صالحاً فعائد ذلك له حيث ينجو من النار ويدخل الجنة، ومن ضل لعدم قبوله هداية القرآن فأصر على الشرك والمعاصي فإنما يضل على نفسه أي عائد ضلاله على نفسه إذ هو الذي يحرم الجنة ورضا الله تعالى ويُلقي في النار خالداً فيها وعليه غضب من الله لا يفارقه أبداً .

وقوله: ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي لم يوكل إليك أمر هدايتهم فتجد نفسك في هم من ذلك إن عليك إلا البلاغ المبين إنك لم تكلف حفظ أعمالهم ومحاسبتهم عليها، ولا أمر هدايتهم فتجبرهم على ذلك .

(١) في الآية مزيد بيان شرفه ﷺ بإنزال الكتاب عليه وتقرير رسالته، واللام في للناس للتعليل والباء في بالحق للملابسة . وفي الكلام محذوف تقديره لنفع الناس وهدايتهم بقرينة قوله بعد «فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه» .

وقوله تعالى: في الآية الثانية من هذا السياق (٤٢) ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ أي يقبض أرواحها ﴿حين موتها﴾ أي عند نهاية أجلها فيأمر تعالى ملك الموت فيخرج الروح بإذن الله ويقبضها، ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي يقبضها بمعنى يجبسها عن التصرف، حال النوم، فإن أراد موتها قبضها ولم يردها إلى جسدها، وإن لم يرد وفاتها أرسلها فتعود إلى الجسد ويعيش صاحبها إلى الأجل المسمى له وهي نهاية عمره إن في ذلك القبض للروح والإرسال، والوفاة والإحياء آيات اي دلائل وحجج كلها قاضية بأن القادر على هذا قادر على البعث والنشور الذي كذب به المشركون كما أن صاحب هذه القدرة العظيمة هو صاحب الحق المطلق في الطاعة والعبادة ولا تنبغي العبادة إلا له. وقوله ﴿لقوم يتفكرون﴾ وهم الأحياء بالإيمان أما الأموات وهم الكافرون فلا يجدون في ذلك آية ولا دليلاً وذلك لموتهم بالشرك والكفر.

وقوله تعالى: في الآية الثالثة (٤٣) ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ أي بل اتخذ المشركون الذين كان المفروض فيهم أن يهتدوا على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة لو كانوا يتفكرون بدل أن يهتدوا إلى توحيد الله اتخذوا من دونه أوثاناً سموها شفعاء يرجون شفاعتها لدى الله في قضاء حوائجهم. وذلك لجهلهم وسخف عقولهم. قال تعالى لرسوله: ﴿قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾ أي قل لهم اشفعون لكم ولو كانوا لا يملكون شيئاً من أسباب الشفاعة ومقتضياتها ولو كانوا لا يعقلون معنى الشفاعة ولا يفهمونه لأنهم أصنام وأحجار والاستفهام للتبكيك والتقرير. لو كان القوم يشعرون. ثم أمر تعالى رسوله أن يعلن عن الحقيقة وإن كانت عند المشركين مرة ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ أي جميع أنواع الشفاعة هي ملك لله مختصة به فلا يشفع أحد إلا بإذنه، إذا فاطلبوا الشفاعة من مالكها الذي له ملك السموات والأرض، لا ممن هو مملوك له، ولا يعقل حتى معنى الشفاعة ولا يفهمها وقوله ثم

(١) المراد بالأنفس الناس الذين يموتون إذ لفظ النفس يطلق على الذات ويطلق على الروح قال ابن عباس وغيره من المفسرين إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها، قال علي رضي الله عنه فما رآته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رآته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها فلقها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.

(٢) شاهد هذا من السنة حديث الصحيحين وفيه قوله ﷺ إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينبض بداخله إزاره فإنه لا يدري من خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادة الصالحين. والشاهد في إمساك الروح في المنام وإرسالها.

(٣) أم هذه هي المنقطعة وهي للإضراب الانتقالي وهو انتقال من تشييع شركهم إلى إبطال معاذيرهم في شركهم.

إليه ترجعون أي بعد الموت أحببتم أم كرهتم؟ فاتخذوا لكم يداً عنده بالإيمان به وتوحيده في عبادته.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هذا كشف عن حال المشركين، وما هم عليه من الجهل والسفه إنهم إذا سمعوا لا إله إلا الله ينفرون وينقبضون ويظهر ذلك غضباً في وجوههم، يكادون يسطون على من قال لا إله إلا الله، وإذا ذكر الذين من دونه أي وإذا ذكر الأصنام التي يعبدونها من دون الله إذا هم يستبشرون فرحون مسرورون، وهذا عائد إلى افتنانهم بأصنامهم، ونسيانهم لحقوق ربهم عليهم وهي الإيمان به وعبادته وحده مقابل ما خلقهم ورزقهم ودبر حياتهم، ولكن أنى لأهل ظلمة النفس وانتكاس القلب أن يعوا ويفهموا؟

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر والثبات في أصعب الظروف .
- ٢ - مظاهر قدرة الله في الموت والحياة مما يقتضي الإيمان به وبلقائه وتوحيده .
- ٣ - إبطال حجة المشركين في عبادة الأوثان من أجل الشفاعة لهم إذ الشفاعة كلها لله .
- ٤ - بيان خطأ من يطلب الشفاعة من غير الله، إذ لا يملك الشفاعة إلا هو^(١).
- ٥ - بيان سفه المشركين وضلالهم في غضبهم عند سماع التوحيد، وفرحهم عند سماع الشرك .

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ

فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا

مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

وَبَدَأَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

(١) الشفاعة أمر معنوي فملكها معناه تحصيل إجابتها إذ الأمور المعنوية لا تملك.

شرح الكلمات :

قل اللهم فاطر السموات والأرض : قل يانينا: يا الله ياخالق السماوات والأرض .
عالم الغيب والشهادة : أي يعالم الغيب وهو كل ما غاب عن الأبصار والحواس
والشهادة خلاف الغيب .

فيما كانوا فيه يختلفون : أي من أمور الدين عقائد وعبادات .
ولو أن للذين ظلموا : أي ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي .
وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون: أي وظهر لهم من عذاب الله ما لم يكونوا يظنونهُ .
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: وأحاط بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون به .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ قل اللهم ﴾ ^(١) هذا إرشاد من الله تعالى لرسوله أن يفزع إليه بالدعاء والضرعة إذ استحکم الخلاف بينه وبين خصومه وضاق الصدر أي قل يارسلنا يا الله ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ أي خالقها، ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ أي ما غاب عن الأبصار والحواس فلم يُدرک، والشهادة وهو مارؤي بالأبصار وأدرک بالحواس ﴿ أنت تحکم بين عبادك ﴾ مؤمنهم وكافرهم ﴿ فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ من الإيمان بك وبلقائك وصفاتك وعبادتك ووعدك ووعيدك اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .
وقوله تعالى : ولو أن للذين ظلموا أي أنفسهم بالشرك وهو الظلم العظيم وبغشيان المعاصي والذنوب لو أن لهم عند معاينة العذاب يوم القيامة ما في الأرض جميعا من أموال ونفائسها ومثله معه وقبل منهم الفداء لافتدوا به من سوء العذاب، ولما ترددوا أبداً وهذا دال على شدة العذاب وأنه لا يطاق ولا يحتمل مع حرمانهم من الجنة ونعيمها .

وقوله تعالى : ﴿ وبدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ^(٢) أي وظهر لهم أي لأولئك الذين إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبهم وإذا ذكرت الأصنام فرحوا بذلك واستبشروا وبدا لهم من ألوان العذاب ما لم يكونوا يظنون ولا يحتسبون . وقوله تعالى : ﴿ وبدا لهم سيئات ^(٣) ماكسبوا ﴾ أي من

(١) رواه مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان يستفتح به صلاته من الليل وروي عن سعيد بن جبیر أنه قال إنني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه قوله ﴿ قل اللهم فاطر السموات ﴾ . الخ .

(٢) روي أن محمد ابن المنذر جزع عند موته جزعا شديداً وقيل له ما هذا الجزع؟ قال : أخاف آية من كتاب الله ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ .

(٣) السيئات جمع سيئة وهو وصف أضيف إلى موصوفه وهو الموصول ﴿ ماكسبوا ﴾ أي مكسوباتهم السيئات وتأنيثها باعتبار شهرة إطلاق السيئة على الفعل القبيحة .

الشرك والكفر والفسق والعصيان أي ظهر لهم وتجلى أمامهم فاشتد كربهم وعظم الأمر عندهم ، وحق بهم ما كانوا به يستهزئون أي أحاط بهم وحق عليهم العذاب الذي كانوا إذا ذكر لهم وعيداً وتخويفاً استهزأوا به وسخروا منه وممن يذكرهم به ويخوفهم منه كالرسول ﷺ والمؤمنين .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - مشروعية اللجوء إلى الله تعالى عند اشتداد الكرب وعظم الخلاف والدعاء بهذا الدعاء وهو « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » إذ ثبتت السنة به .

والآية ذكرت أصله .

٢ - بيان عظم العذاب وشدته يوم القيامة وأن المرء لو يقبل منه فداء لا فتدى منه بما في الأرض من أموال ومثله معه .

٣ - التحذير من الاستهزاء بأخبار الله تعالى ووعدته ووعيده .

فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِن
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ فَذَقَالهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ
عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هُنَّوَلَاءَ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا
وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

فإذا مس الإنسان ضرر دعانا : أي أصاب الإنسان الكافر ضرر أي مرض وغيره مما يضره دعانا أي سأل كشف ضرره .

ثم إذا خولناه نعمة منا : ثم إذا خولناه أي أعطيناه نعمة منا من صحة أو مال وغيرهما .
قال إنما أوتيته على علم : قال أي ذلك الكافر إنما أوتيت ذلك العطاء على علم من الله بأني استحقته

بل هي فتنة : أي تلك النعمة لم يعطها لأهليته لها، وإنما أعطيها فتنة واختباراً له .

ولكن أكثرهم لا يعلمون : أي أن ما أعطوه من مال وصحة وعافية هو فتنة لهم وليس لرضا الله تعالى عنهم .

قد قالها الذين من قبلهم : أي قال قولتهم من كان قبلهم كفارون فلم يلبثوا أن أخذوا فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون .

والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم : أي والذين ظلموا بالشرك من هؤلاء أي من كفار قريش .
سيئات ما كسبوا^(١) : أي كما أصاب من قبلهم وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا في بدر .

وما هم بمعجزين : أي فائتين الله تعالى ولا غالبين له .

أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق : أي أقالوا تلك المقالة ولم يعلموا أن الله ييسط الرزق .
لمن يشاء ويقدر : أي يوسعه لمن يشاء امتحاناً، ويضيقه ابتلاء .

إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون : أي إن في ذلك المذكور من التوسعة امتحاناً والتضييق ابتلاء .
لآيات أي علامات على قدرة الله وكمال تدبيره لأمر خلقه .

معنى الآيات :

ما زال السياق في بيان حيرة المشركين وفساد قلوبهم نتيجة كفرهم وجهلهم فقوله تعالى :

(١) أي أصابهم سوء كسبهم وقبحه وهو ما عملوه من سيئات الشرك والمعاصي .

﴿فإذا مس الإنسان ضرراً دعانا﴾ يعني ذاك الكافر الذي إذا ذكر الله وحده اشمأزت نفسه وإذا ذكرت الأوثان سر وفرح واستبشر هذا الإنسان إذا مسه ضررٌ من مرض أو غيره مما يضر ولا يسر دعا ربّه منيباً إليه ولم يشرك معه في هذه الحال أحداً لعلمه أن الأوثان لا تكشف ضرراً ولا تعطي خيراً، وإذا حولته الله تعالى نعمة من فضله ابتلاء له قال إنما أوتيت الذي أوتيت على علم من الله بأنني أهل لذلك^(١)، فأكذبه الله تعالى فقال بل هي فتنة، ولكن أكثرهم أي أكثر المشركين لا يعلمون أن الله تعالى إذا أعطاهم إنما أعطاهم ليفتنهم لا لحبه لهم ولا لرضاً عنهم. والدليل على أن ذلك العطاء للمشركين فتنة لا غير أن قولتهم هذه قد قالها الذين من قبلهم كفارون وغيره فلم يلبثوا حتى أخذهم الله بذنوبهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من أموال طائلة، قال تعالى: فأصابهم سيئات ما كسبوا فلم يؤخذوا بدون ذنب بل أخذوا بذنوبهم وهو قوله تعالى فأصابهم سيئات^(٢) ما كسبوا وقوله تعالى والذين ظلموا من هؤلاء أي من كفار قريش سيصيبهم أيضاً سيئات ما كسبوا من الشرك والعناد والظلم، وما هم بمعجزين لله فائتيه أبداً وكيف وقد أصابهم قحط سبع سنين وقتلوا وأسروا في بدر والفتح.

وقوله تعالى أو لم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي أقالوا مقاتلتهم تلك ولم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء امتحاناً له أيشكر أم يكفر ويقدر أي يضيق على من يشاء ابتلاء له أيصبر أم يضجر ويسخط فلم يكن بسطه الرزق حياً في المبسوط له، ولا التضيق كرهاً للمضيق عليه، وإنما البسط كالتضييق لحكمة التربية والتدبير، ولكن الكافرين لا يعلمون هذا فجعلهم بالحكم جعلهم يقولون الباطل ويعتقدونه أما المؤمنون فلا يقولون مقاتلتهم لعلمهم ونور قلوبهم فلذا هم يجدون الآيات في مثل هذا التدبير واضحة دالة على علم الله وحكمته وقدرته فيزدادون إيماناً ونوراً وبصيرة.

هداية الآيات :

١ - بيان تناقض أهل الكفر والجهل والضلال في كل حياتهم لأنهم يعيشون على ظلمة الجهل

(١) في هذه الآية بيان حقيقة وهي أن كفار قريش كانوا يؤمنون بالله ربا فهم أفضل من كفار البلاشفة الشيوعيين الذين لا يؤمنون بالله تعالى كما أن كفار قريش أحسن حالاً من بعض جهال المسلمين اليوم إذ يخلصون الدعاء لله في الشدة وجهال المسلمين يشركون في الرخاء والشدة معاً وذلك بدعائهم الأولياء والأموات والاستغاثة بهم في كل حال.

(٢) قال بعضهم على علم أي بوجوه الكسب وطرق تنمية المال وتكثيره حتى لا يحمده الله ولا يشكره ولا منافاة بين هذا وما في التفسير إذ بعضهم يقول هذا وبعض يقول ذلك.

(٣) أي جزاء سيئات كسبهم من الشرك والشر والفساد.

(٤) الاستفهام إنكاري ينكر تعالى عليهم انتفاء علمهم بذلك لأنهم تسبوا في انتفاء العلم فلذا تضمن الاستفهام توبيخاً لهم.

والكفر.

(١)

٢ - تقرير ما من مصيبة إلا بذنب جلي أو خفي كبير أو صغير.

٣ - بيان أن بسط الرزق وتضييقه على الأفراد أو الجماعات لا يعود إلى حُب الله للعبد أو كرهه له، وإنما يعود لسنن التربية الإلهية وحكم التدبير لشؤون الخلق.

٤ - أهل الإيمان هم الذين ينتفعون بالآيات والدلائل لأنهم أحياء يبصرون ويعقلون أما أهل الكفر فهم أموات لا يرون الآيات ولا يعقلونها.

٥ - تهديد الله تعالى للظالمين ووعيده الشديد بأنه سيصيهم كما أصاب غيرهم جزاء ظلمهم وكسبهم الفاسد.

﴿قُلْ يٰعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيْمُ﴾
 ﴿٥٣﴾ وَاٰنِيبُوْا اِلٰى رَبِّكُمْ وَاَسْلِمُوْا لَهٗ مِن قَبْلِ اَنْ يَّاتِيَكُمْ
 الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَّرُوْنَ ﴿٥٤﴾ وَاَتَّبِعُوا الْحَسَنَ مَا اُنزِلَ
 اِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ اَنْ يَّاتِيَكُمْ الْعَذَابُ
 بَغْتَةً وَّاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ ﴿٥٥﴾ اَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ
 عَلٰى مَا فَرَطْتُ فِيْ جَنْبِ اللّٰهِ وَاِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِيْنَ ﴿٥٦﴾
 اَوْ تَقُوْلَ لَوْ اَنَّ اللّٰهَ هَدٰىنِيْ لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِيْنَ ﴿٥٧﴾
 اَوْ تَقُوْلَ حِيْنَ تَرٰى الْعَذَابَ لَوْ اَنَّ لِىْ كَرَّةً فَاَكُوْنَ
 مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٥٨﴾ بَلٰى قَدْ جَاءَ تٰكٓءَ اٰتِيْتِ فَكَذَّبْتَ بِهَا
 وَاَسْتَكْبَرْتَ وَاَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿٥٩﴾

(١) شاهذه قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم﴾ الآية من الشورى وقوله ﴿والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يحفو عنه أكثره رواه ابن أبي حاتم . قال لما نزلت هذه الآية قاله رسول الله ﷺ .

شرح الكلمات :

- ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم : أي أفرطوا في الجنابة عليها بالإسراف في المعاصي .
 لا تقنطوا من رحمة الله : أي لا تياسوا من المغفرة لكم ودخول الجنة .
 إن الله يغفر الذنوب جميعا : أي ذنوب من أشرك وفسق إن هو تاب توبة نصوحا
 وأنيبوا إلى ربكم : أي ارجعوا إليه بالإيمان والطاعة .
 وأسلموا له : أي أخلصوا له أعمالكم .
 واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من : أي القرآن الكريم فأحلوا حلاله وحرموا حرامه .
 ربكم
 أن تقول نفس يا حسرتى : أي نفس الكافر و المجرم يا حسرتى أي ياندامتي .
 على ما فرطت في جنب الله : أي في جانب حق الله فلم أطعه كما أطاعه غيره .
 وإن كنت لمن الساخرين : أي المستهزئين بدين الله تعالى وعباده المؤمنين .
 لو أن لي كرة فأكون من المحسنين : أي لو أن لي رجعة إلى الدنيا فأكون إذا من المؤمنين الذين أحسنوا القصد والعمل .
 بلى قد جاءتك آياتي : أي ليس الأمر كما تزعم أنك تتمنى الهداية بل قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت .

معنى الآيات :^(١)

لقد صح أن أناسا كانوا قد أشركوا وقتلوا وزنوا فكبر عليهم ذلك وقالوا نبعث إلى رسول الله ﷺ من يسأله لنا هل لنا من توبة فإن قال : نعم ، وإلا بقينا على ما نحن عليه وقبل أن يصل رسولهم نزلت هذه الآية ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ أي أفرطوا في ارتكاب الجرائم فكانوا بذلك مسرفين على أنفسهم ﴿ لا تقنطوا ﴾ أي لا تياسوا ﴿ من رحمة الله ﴾ في أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة ، إن أنتم تبتم إليه وأنبتم ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾^(٢) لمن تاب منها فإنه تعالى لا يستعصي عليه ذنب فلا يقدر على مغفرته وعدم المؤاخذه عليه إنه هو الغفور الرحيم .

(١) لقد ذكر لسبب نزول هذه الآية عدة مناسبات وما دامت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا حاجة إلى ذكرها وما في التفسير كاف وهو ما تضمنته رواية البخاري .

(٢) قوله تعالى ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ تعليل للنهي عن اليأس والقنوط من رحمة الله .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ أي أيها المذنبون المسرفون أنبئوا إلى ربكم أي ارجعوا إلى طاعته بفعل المأمور وترك المنهي وأسلموا له أي أخلصوا أعمالكم ظاهراً وباطناً له مبادرين بذلك حلول العذاب قبل أن يحل بكم ثم لا تنصرون أي لا تقدرين على منعه منكم ولا دفعه عنكم.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا نَزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ في هذا القرآن العظيم فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي وخذوا بالعزائم وتركوا الرخص مبادرين بذلك أيضاً حلول العذاب قبل أن يحل بكم بغتة أي فجأة وأنتم لا تشعرون به، بادروا بالتوبة والإنابة والإسلام الصادق ظرفاً تقول فيه النفس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله أي يا حسرتي ياندامتى الحاملة لي الغم والحزن احضري هذا وقت حضورك على تفريطي في جنب حق الله تعالى حيث ما عبدته حق عبادته فلا ذكرته ولا شكرت له ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي المستهزئين بدينه وعباده المؤمنين ياله من اعتراف يودي بصاحبه في سواء الجحيم، بادروا يا عباد الله هذا وذاك ﴿أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة﴾ أي رجعة إلى الحياة الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ أي المؤمنين الذين أحسنوا النية والقصد والعمل. قال تعالى: راداً على تمنياتهم الكاذبة ﴿بلى﴾ أي ليس الأمر كما زعمت أيها المتمني بقولك ﴿لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ للشرك والمعاصي التي وقعت بها في جهنم بل جاءتك آياتي هادية لك مرشدة فكذبت بها واستكبرت عن العمل بما جاء فيها وكنت من الكافرين بذلك.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - بيان فضل الله ورحمته على عباده بقبول توبة العبد إن تاب مهما كانت ذنوبه.
- ٢ - دعوة الله الرحيم إلى عباده المذنبين - بالإنابة إليه والإسلام الخالص له.
- ٣ - تقرير البعث والجزاء بذكر ما يحدث فيه وما يجري في ساحته من أهوال.

(١) الإنابة التوبة ولما في التوبة من معنى الرجوع عدي الفعل بالي.

(٢) النصر: الإعانة على الغلبة بحيث يتخلص المغلوب من يد غالبه ولا نصير لأحد على الله تعالى.

(٣) الحسرة: الندامة الشديدة والألف في (يا حسرتا) عوض عن ياء المتكلم.

(٤) قال الحسن في طاعة الله وقال الضحاك في ذكر الله يعني القرآن والعمل به، وقال أبو عبيدة أي في ثواب الله وما في

التفسير جامع شامل والجنب والجانب بمعنى واحد.

(٥) هذه كلمة حق أريد بها باطل كما قال علي للخوارج لما قالوا لا حكم إلا لله.

(٦) الكرة: الرجعة ولو للتمني فهي وليت سواء.

- ٤ - وجوب تعجيل التوبة والمبادرة بها قبل حلول العذاب في الدنيا أو الموت والموت أدهى وأمر حيث لا تقبل توبة بعد الموت أبداً .
- ٥ - الترغيب في الأخذ بالعزائم وترك الرخص لغير ضرورة .
- ٦ - إبطال مذهب الجبرية الذين يرون أنهم مجبورون على فعل المعاصي وغشيان الذنوب ، كقول أحدهم لو أن الله هداني لفعلت كذا أو تركت كذا .
- ٧ - فضل التقوى والإحسان وفضل المتقين والمحسنين .

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي
 جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ
 خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا
 الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن
 أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ
 فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

- ويوم القيامة : أي بأن يبعث الناس من قبورهم .
- ترى الذين كذبوا على الله : أي باتخاذ أولياء من دونه وبالقول الكاذب عليه سبحانه وتعالى .

- وجوههم مسودة : أي سوداء من الكرب والحزن وعلامة على أنهم من أهل النار وأنهم ممن كذبوا على ربهم .
- أليس في جهنم مثوى للمتكبرين : أي أليس في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين؟ بلى إن لهم فيها لمثوى بشس هو من مثوى للمتكبرين عن عبادة الله تعالى .
- وينجي الله الذين اتقوا : أي ينجيهم من النار بسبب تقواهم للشرك والمعاصي .
- بمفازتهم لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون : أي يفوزهم بالجنة ونزولهم فيها لا يمسهم سوء أي العذاب ولا هم يحزنون لما نالهم من النعيم .
- له مقاليد السموات والأرض أولئك هم الخاسرون : أي مفاتيح خزائن السموات والأرض .
- قل أفغير الله تأمروني أعبد : أي يارسولنا للذين طلبوا منك أن تعبد معهم آلهتهم أتأمروني بعبادة غير الله، فهل تصلح العبادة لغيره وهو رب كل شيء وإلهه فما أسوأ فهمكم أيها الجاهلون .
- لئن أشركت : أي من باب الفرض لو أشركت بالله غيره في عبادته لحبط عملك ولكنت من الخاسرين .
- بل الله فاعبد وكن من الشاكرين : أي بل أعبد الله وحده، إذ لا يستحق العبادة إلا هو وكن من الشاكرين له على إنعامه عليك بالنبوة والرسالة والعصمة والهداية .

معنى الآيات :

لقد تقدم في السياق الأمر بتعجيل التوبة قبل الموت فيحصل الفوت، وذلك لأن يوم القيامة يوم أهوال وتغير أحوال وفي الآيتين الآتيتين بيان ذلك قال تعالى : ﴿يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾^(١) بأن نسبوا إليه الولد والشريك والتحليل والتحريم وهو من ذلك براء هؤلاء ﴿وجوههم مسودة﴾^(٢) علامة أنهم كفروا وكذبوا وأنهم من أهل النار.

(١) هم الذين نسبوا إليه ما هو منزعه عنه كالشريك والصاحبة والولد، ويدخل في هذا كل من نسب إلى الله تعالى صفة لا دليل له فيها، وكذا من شرع شيئاً ونسبه إلى الله تعالى ليقبل منه ويروج، ولا يدخل أهل الاجتهاد إذا اخطأوا في الأدلة والحكم المقيس الذي لا نص فيه ولا يجوز أن يقال فيه قال الله أو أمر أو شرع تحاشياً من النسبة إلى الله تعالى بغير نص من كتاب أو سنة .

(٢) جملة وجوههم مسودة مبتدأ وخبر في محل نصب على الحال، لأن الرؤيا بصرية وليست قلبية .

وقوله تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾^(١) أي بلى في جهنم مأوى ومستقر للمتكبرين الذين تكبروا عن الإيمان والعبادة. وقوله تعالى: ﴿وينجي الله أي تلك حال وهذه أخرى وهي أن الله تعالى ينجي يوم القيامة الذين اتقوا الشرك والمعاصي بالإيمان والطاعة هؤلاء يفوزهم بالجنة لا يمسهُمُ السوء في عرصات القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا لأن ما نالهم من نعيم الجنة أنساهم ماتركوا وراءهم وقوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ أي ما من كائن سوى الله تعالى إلا وهو مخلوق والله خالقه ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي قيم حافظ، فسبحانه ما أعظم قدرته وما أوسع علمه فلذا وجبت له العبادة ولم تجز فضلاً عن أن تجب لسواه.

وقوله تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾^(٢) أي له ملكاً حقاً مفاتيح خزائن الرحمات والخيرات والبركات فهو يفتح ما يشاء ويمسك ما يشاء فلا يصح الطلب إلا منه ولا تجوز الرغبة إلا فيه وما عبد الناس الأوثان والأصنام إلا رغبة ورهبة فلو علموا أن رهبتهم لا تكون إلا من الذي يقدر على كل شيء وأن رغبتهم لا تكون إلا في الذي بيده كل شيء لو علموا هذا ما عبدوا غير الله تعالى بحال.

وقوله تعالى ﴿والذين كفروا بآيات الله الحاوية لإيمانه وصفاته وبيان محابه ومكارهه وحدوده وشرائعه ولذا من كفر بآيات الله فلم يؤمن بها ولم يعمل بما فيها خسر خسراً مبيناً بحيث يخسر يوم القيامة نفسه وأهله، وذلك هو الخسران المبين.

وقوله تعالى: ﴿قل أفغير الله﴾ الآية هذا ردٌ على المشركين الذين طلبوا من الرسول أن يعترف بآلهتهم ويرضى بها مقابل أن يعترفوا له بما جاء به ويدعو إليه فأمر تعالى أن يفاصلهم بقوله: ﴿أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾^(٣) لن يكون هذا مني أبداً كيف أعبد غير الله وهو

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً والاستفهام للتقرير.

(٢) التكبر شدة الكبر وهو إظهار المرء التعاطف على غيره لأنه يعد نفسه عظيماً وفي التنديد به من حديث مسلم «إن الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر».

(٣) المقاليد جمع إقليد وجمع على غير قياس والمراد مفاتيح خزائن السماء والأرض حيث أرزاق العباد وما به تقوم حياتهم، من أمطار وزروع وضروع ومعادن وغيرها.

(٤) غير منصوب بأعبد، وأعبد مرفوع لحذف إن مع حرف الجر إذ الأصل بأن أعبد فلما حذف الناصب ارتفع الفعل. هذا على رأي كثير من النحاة والجمهور يقولون لا حذف وأعبد هو المستفهم عنه، وتأمروني اعتراض أو حال وتقدير الكلام أعبد غير الله لكونكم تأمروني بذلك.

(٥) قرأ نافع تأمرون بنون واحدة مخففة بحذف إحدى النونين، وقرأ حفص والجمهور تأمروني بتشديد النون إدغاماً لإحدى النونين في الأخرى وفي جملة أيها الجاهلون تفرع لهم ووصف لهم بالجهل وهو وصف مذموم.

ربي ومالك أمري وهو الذي كرمني بالعلم به وأوحى إليّ شرائعه . فلتأسوا فإن مثل هذا لن يكون أبداً، ووصفهم بالجهل لأن جهلهم^(١) بالله وعظمته هو الذي سول لهم عبادة غيره والتعصب لها .

وقوله تعالى : ﴿ ولقد أوحى إليك أي أوحى الله إليك كما أوحى إلى الأنبياء من قبلك بالتالي وهو وعزة الله وجلاله لئن أشركت بنا غيرنا في عبادتنا ليحبطن^(٢) عملك أي يبطل كله ولا تثاب على شيء منه وإن قل ، ولتكونن بعد ذلك من جملة الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هو الخسران المبين . ثم أمر تعالى رسوله مقررًا التوحيد مبطلاً الشرك بقوله : ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾^(٣) أي الله وحده فاعبده وكن من الشاكرين له على إنعامه وأفضاله عليك .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - إسوداد الوجه يوم القيامة علامة الكفر والخلود في جهنم .
- ٢ - ابيضاض الوجه يوم القيامة علامة الإيمان والخلود في الجنة .
- ٣ - تقرير البعث والجزاء بوصف أحواله وما يدور فيه .
- ٤ - بيد الله كل شيء فلا يصح أن يطلب شيء من غيره أبداً، ومن طلب شيئاً من غير الله فهو من أجهل الخلق .
- ٥ - التنديد بالشرك وبيان خطورته إذ هو محبط للأعمال بالكلية .
- ٦ - وجوب عبادة الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه وجوب حمده وشكره إذ كل إنعام منه وكل إفضال له . فله الحمد والمنة .

(١) العرب مع انهم أميون يعترفون بفضل العالم على الجاهل قال شاعرهم :

سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

(٢) حبوط العمل بطلانه حيث لا تثاب عليه والخسران مقيد بأن يموت على الردة أما إن راجع الإسلام فلا يخسر لآية ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ فالآية مقيدة لإطلاق آية الزمر .

(٣) بل للإبطال أي إبطال عبادة ما دعاه إليه المشركون وقصره على عبادة الله وحده وأمره أن يكون في جملة الشاكرين لله إنعامه عليهم بنعمة الإسلام .

(٤) شاهده آية آل عمران ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ الآية .

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
 وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ
 مَطْوِيَّاتٌ يَمِينَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾
 وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
 إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ
 ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ
 بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
 ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

شرح الكلمات :

- وما قدروا الله حق قدره : أي ما عظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته حين أشركوا في عبادته غيره من أوثانهم .
- والأرض جميعا قبضته : أي والأرض بجميع أجزائها قبضته .
- والسماوات مطويات : أي والسماوات السبع مطويات يمينه .
- سبحانه وتعالى عما يشركون : أي تقديسه وتنزهه عما يشرك به المشركون من أوثان .
- ونفخ في الصور : أي نفخ اسرافيل نفخة الصعق .
- ثم نفخ فيه أخرى : أي مرة أخرى وهي نفخة القيام لرب العالمين .
- وأشرفت الأرض بنور ربها : أي أضاءت الأرض بنور الله تعالى حين يتجلى لفصل القضاء .
- ووضع الكتاب : أي كتاب الأعمال للحساب .
- وجيء بالنبيين والشهداء : أي بالنبيين ليشهدوا على أممهم ، والشهداء محمد وأمه .
- وقضي بينهم بالحق : أي بالعدل وهم لا يظلمون لا بنقص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم .
- وهو أعلم بما يفعلون : أي أعلم حتى من العاملين أنفسهم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^(١) إنه بعد أن قرر تعالى التوحيد وندد بالشرك والمشركين أخبر تعالى ناعياً على المشركين شركهم ودعوتهم نبيه للشرك بأنهم بفعلهم ذلك ماقدروا الله حق قدره أي ماعظموه حق عظمتهم وذلك لجهلم به تعالى حين عبدوا معه غيره ودعوا نبيه إلى ذلك، وقوله : ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾^(٢) فالذي يجعل الأرض بكل طبقاتها وأجزائها في قبضته والسموات يطويها بيمينه فالسموات والأرض جميعاً في يده، ويقول أنا الملك أين الملوك. فصاحب هذه القدرة العظمى كيف يعبد معه آلهة أخرى هي أصنام وتمائيل أوثان. ولذا نزه تعالى نفسه بقوله ﴿سبحانه﴾ أي تنزه وتقدس عن الشرك والتظير والصاحبة والولد وعن صفات المحدثين، وتعالى عما يشركون أي ترفع عن أن يكون له شريك وهو رب كل شيء ومليكه.

وقوله تعالى : ونفخ في الصور الآية هذا عرض لمظاهر القدرة التي يتنافى معها عقلاً وجود من يستحق العبادة معه سبحانه وتعالى، والنافخ في الصور أي البوق اسرافيل قطعاً إذ هو الموكل بالنفخ في الصور فإذا نفخ هذه النفخة صعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فهذا استثناء دال على أن بعضاً من المخلوقات لم يصعق في هذه النفخة، ﴿ثم نفخ فيه﴾ أي في الصور نفخة ﴿أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ هذه النفخة تسمى نفخة القيام لله رب العالمين لأجل الحساب وقوله تعالى : ﴿وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب﴾ أي كتاب الأعمال للحساب ﴿وجيء بالنبئين﴾ ليشهدوا على أممهم وجيء بالشهداء وهم أمة

(١) حق قدره فيه إضافة الصفة إلى الموصوف فحق صفة، والقدر موصوف إذ الأصل (ما قدروا الله قدره الحق) فالحق منصوب على النيابة عن المفعول المطلق.

(٢) جرد جميع من التاء إذ لم يقل والأرض جميعاً جرياً على الغالب وقد أثبت في قول الشاعر:

فلو أنها نفس تموت جميعاً ولكنها نفس تساقط أنفاساً

ونصب جميعاً على الحال.

(٣) شاهده في البخاري قوله ﷺ «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟» وفي الترمذي وصححه عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ قالت قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على جسر جهنم، وفي رواية على الصراط يا عائشة.

(٤) الصور البوق ينادي به البعيد المتفرق مثل الجيش، والمراد هنا نداء الخلق لحضور الحشر أحياء للحساب والجزاء.

(٥) بالتبعية للآيات القرآنية المتضمنة لأحوال الدار الآخرة نجد أن النفخات للصور أربع نفخات: وهي نفخة الفناء، ونفخة البعث، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين. وفي هذه الآيات ذكر نفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين سميت هذه نفخة صعق لأن الخلائق يصعقون ولا يموتون بدليل حديث البخاري «فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق فأناف قبلي أم كان ممن استثنى الله تعالى» لفظ مسلم. قال القرطبي والإفاقة إنما تكون من غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة والله أعلم.

(٦) الكتاب اسم جنس والمراد صحائف أعمال العباد الحاوي للحسنات والسيئات.

محمد يشهدون على الأمم السابقة بأن رسلها قد بلغتهم دعوة الله، وشهادة أمة محمد قائمة على ما أخبرهم تعالى في كتابه القرآن الكريم أن الرسل قد بلغت رسالات ربها لأممها، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي خياراً عدولاً ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾. وقوله: ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي وحكم الله تعالى بين العباد بالعدل، ووفي كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهو تعالى أعلم بما يفعلون حتى من العاملين أنفسهم ولذا سيكون الحساب عادلاً لا حيف فيه لخلوه من الخطأ والغلط والجهل والنسيان لتتزه الباري عز وجل عن ذلك.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مظاهر عظمة الرب تعالى التي يتنافى معها الشرك به عز وجل في عباداته.
- ٢ - تقرير البعث والجزاء بيان أحواله وما يجري فيه.
- ٣ - بيان عدالة الله في قضائه بين عباده في عرصات القيامة.
- ٤ - فضيلة هذه الأمة بقبولها شاهدة على الأمم التي سبقتها.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا ۗ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى
لِالْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى
الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُّهُ وَأَوْثَقْنَا الْأَرْضَ

نَتَبَّوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾
 وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
 رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

شرح الكلمات :

- وسيق الذين كفروا : أي وساق الملائكة بعنف الذين كفروا .
 إلى جهنم زمراً : أي جماعات، جماعة المشركين، وجماعة المجرمين وجماعة الظالمين .
 وقال لهم خزنتها : أي الموكلون بالنار من الملائكة الواحد خازن .
 ألم يأتيكم رسل : هذا الاستفهام للتقرير والتوبيخ .
 حقت كلمة العذاب : أي وجب العذاب للكافرين .
 وسيق الذين اتقوا : أي وسقت الملائكة بلطف على النجائب الذين اتقوا ربهم أي أطاعوه ولم يشركوا به .
 وفتحت أبوابها : أي والحال أن أبواب الجنة قد فتحت لاستقبالهم .
 والحمد لله الذي صدقنا وعده : أي أنجز لنا وعده بالجنة .
 وأورثنا الأرض : أي أرض الجنة وصورة الإرث نظراً إلى قوله تعالى في وعده لهم تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً^(١)
 نتبوا من الجنة حيث نشاء : أي نزل من حيث نشاء .
 فنعمة أجر العاملين : أي الجنة .
 حافين من حول العرش : أي مُحَدِّقِينَ بالعرش من كل جانب .
 يسبحون بحمد ربهم : أي يقولون سبحان الله وبحمده .
 وقضى بينهم بالحق : أي وقضى الله بمعنى حكم بين جميع الخلائق بالعدل .
 وقيل الحمد لله رب العالمين: أي وقالت الملائكة والمؤمنون الحمد لله رب العالمين على استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار .

(١) وجه الورث ان الله تعالى خلق لكل انسان منزلا في النار وآخر في الجنة ثم هم يتوارثون فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار في الجنة وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة في النار .

معنى الآيات :

بعد الفراغ من الحكم على أهل الموقف وذلك بأن حكم تعالى فيهم بحسب عملهم فوفى كل عامل بعمله من كفر ومعاصي ، أو إيمان وطاعة قال تعالى مخبراً عن مصير الفريقين ﴿وسيق^(١) الذين كفروا﴾ أي ساقتهم الملائكة بشدة وعنف لأنهم لا يريدون الذهاب ﴿إلى جهنم زمراً﴾ أي جماعات ولفظ الزمرة مشتق من الزمر الذي هو الصوت إذ الغالب في الجماعة أن يكون لها صوت . وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ إذ كانت مغلقة كأبواب السجون لا تفتح إلا عند المجيء بالسجناء ، ﴿وقال لهم خزنتها﴾ قبل الوصول إليها موبخين لهم ﴿ألم يأتكم^(٢) رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم﴾ أي الميينة لكم الهدى من الضلال والحق من الباطل ، وما يحب ربكم من العقائد والأقوال والأعمال والصفات والذوات وما يكره من ذلك ، ويدعوكم إلى فعل المحاب لتنجوا وترك المكاهر لتنجوا وتسعدوا . فأجابوا قائلين بلى أي جاءتنا بالذي قتلتم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ونحن منهم فوجب لنا العذاب ، وعندئذ تقول لهم الملائكة ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس أي جهنم مثوى المتكبرين أي قبح مأوى المتكبرين في جهنم من مأوى .

وقوله تعالى : ﴿وسيق^(٥) الذين اتقوا ربهم إلى الجنة﴾ وسوقهم هو سوق النجائب التي يركبونها فهو سوق لطف وتكريم إلى الجنة دار السلام زمراً زمرة الجهاد وزمرة الصدقات وزمرة العلماء وزمرة الصلوات ﴿حتى إذا جاؤها﴾ وقد فتحت أبوابها من قبل لاستقبالهم مُعززين مكرمين ، فقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم أي طابت أرواحكم بأعمالكم الطيبة فطاب مقامكم في دار السلام فنعم التحية حيوا بها مقابل تأنيب وتوبيخ الزبانية لأهل النار . وقوله لهم فادخلوها أي الجنة حال كون خلودكم مقدراً لكم فيها . فقالوا بعد دخولهم الجنة ونزلها في

(١) هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الذين كفروا إلى النار والذين آمنوا إلى الجنان والزمر جمع زمرة كظلمة وظلم وغرفة وغرف ، وهي جماعة بعد جماعة قال الشاعر:

وترى الناس إلى منزله زمراً تتنابه بعد زمرة

(٢) الخزنة جمع خازن كسدنة وسادن .

(٣) الاستفهام للتقرير مع التوبيخ والتقرير .

(٤) قال وهب : تستقبلهم الزبانية بمقام من حديد فيدفعونهم بمقامهم فإنه ليقع في الدفعة الأولى بعدد ربيعة ومضر . قال تعالى ﴿ولهم مقامع من حديد﴾ .

(٥) سوق أهل النار طردهم إلى النار بالخزي والهوان كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان وسوق أهل الجنة سوق مراكزهم إلى دار السلام إنهم لا يذهب بهم إلا راكبين وشتان ما بين السوقين .

(٦) قرأ نافع والجمهور فتحت بتشديد التاء في الأولى والثانية وقرأ حفص بالتخفيف ، والواو في قوله وفتحت واو الحال والجملة حالية في محل نصب .

قصورها الحمد لله الذي صدقنا وعده يعنون قوله تعالى : ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ ، وقولهم ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي أرض الجنة نتبوا منها حيث نشاء أي ننزل منها حيث نريد النزول، وفي قولهم أورثنا الأرض إشارة إلى أنهم ورثوها من أبويهم آدم وحواء إذ كانت لهم قبل نزولهما منها . وقولهم فنعم أجر العاملين أي الجنة والمراد من العمل الإيمان والتقوى في الدنيا، بأداء الفرائض واجتناب النواهي وقوله تعالى : ﴿وترى الملائكة﴾ أيها الرائي ﴿حافين من^(١) حول العرش﴾ أي محذقين بعرش الرحمن أي سريره ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي قائلين : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . قال تعالى مخبراً عن نهاية الموقف : ﴿وقضى بينهم بالحق﴾ أي وقضى الله بين الخلائق بالعدل، ولما استقر أهل النار وأهل الجنة حمد الله على الاستقرار التام والحكم العادل الرحيم وقيل الحمد لله رب العالمين أي حمدت الملائكة ربها وحمده معهم المؤمنون وهم في دار النعيم المقيم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان إهانة أهل النار بسوقهم على أرجلهم بعنف وتأنيبهم وتوبيخهم .
- ٢ - التنديد بالاستكبار عن عبادة الله وعباده تعالى .
- ٣ - بيان إكرام الله تعالى لأوليائه إذ يُحملون على نجائب رحالها من ذهب إلى الجنة، ويلقون فيها تحية وسلاماً . تحية احترام وإكرام، وسلام أمان من كل مكروه .
- ٤ - بيان نهاية الموقف باستقرار أهل النار من الكفار والفجار في النار، واستقرار أهل الجنة من المؤمنين الاتقياء الأبرار في الجنة دار الأبرار .
- ٥ - ختم كل عمل بالحمد فقد ابتداء الله الخالق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، وختم بالحمد، وقيل الحمد لله رب العالمين .

(١) من زائدة لتقوية الكلام نحو ماجاني من أحد .

(٢) قال قتادة في هذه الآية افتتح الله أول الخلق بالحمد فقال : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) وختم بالحمد فقال وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين، فحسن الاقتداء به فيبدأ العبد قوله بالحمد ويختمه بالحمد .

سُورَةُ غَاثِرٍ ١١

مكية

وآياتها خمس وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَاثِرِ
الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِّدُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا
فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ
لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾

(١) وتسمى أيضا سورة المؤمن وسورة الطول وهي أول آل حم التي يقال لها ديباج القرآن وعرائس القرآن ويقال ذوات حَم وذكر القرطبي أن رجلا من أهل الشام كان ذا بأس شديد فقيل لعمر وقد سأل عنه أنه تابع في هذا الشراب فقال عمر لكتابه اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حَمَّ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ثم ختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه إليه حتى تجده صاحبا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدني الله يغفر لي وعدني عقابه، فلم يبرح يرددتها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحدكم زل زلة فسدده وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا عوناً للشيطان عليه.

شرح الكلمات :

حَم : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا: حَم ويقرأ هكذا: حاميم.

تنزيل الكتاب من الله : أي تنزيل القرآن كائن من الله .
العزیز العليم : أي الغالب على مراده، العليم بعباده ظاهراً وباطناً حالاً ومآلاً.

غافر الذنب : أي ذنب من تاب إلى الله فرجع إلى طاعته بعد معصيته
شديد العقاب ذي الطول : أي مشدد العقوبة على من كفر به، ذي الطول أي الإنعام الواسع على من آمن به وأطاعه.

لا إله إلا هو إليه المصير : أي لا معبود بحق إلا هو إليه مرجع الخلائق كلهم .
ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا : أي في القرآن لإبطالها إلا الكافرون .
فلا يفررك تقلبهم في البلاد : أي فلا تغتر بمعاشهم سالمين فإن عاقبتهم النار .
والأحزاب من بعدهم : أي وكذبت الأحزاب من بعد قوم نوح، وهم عاد وثمود وقوم لوط .

وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه : أي ليتمكنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل .
وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق : أي ليزيلوا به الحق ويطلوه .
فكيف كان عقاب : أي كان واقعاً موقعه حيث أهلكم ولم يبق منهم أحداً .
كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا : أي وجبت كلمة العذاب على الذين كفروا .

معنى الآيات :

قوله تعالى : حَم : الله أعلم بمراده به

وقد ذكرنا غير ما مرة أن هذه الحروف أفادت فائدتين الأولى أن العرب المشركين في مكة كانوا قد منعوا المواطنين من سماع القرآن حتى لا يتأثروا به فيكفروا بالهتهم فقد أخبر تعالى عنهم في قوله من سورة فصلت فقال : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ فكانت هذه الحروف المقطعة بنغمها الخاص تستهويهم فيسمعوا فكانت فائدة عظيمة . والثانية أن المشركين لما أصرروا على أن القرآن لم يكن وحياً وإنما هو من جنس ما يقوله الشعراء والكهان . وأصحاب الأساطير تحداهم الله تعالى بالإتيان بمثله وهو مركب ومؤلف من هذه الحروف آم طس حَم والذي قوى هذه النظرية أنه غالباً ما يذكر القرآن بعد

ذكر هذه الحروف مثل ألم تلك آيات الكتاب، حم تنزيل الكتاب، حم والكتاب المبين فهاتان الفائدتان من أحسن ما استنبطه ذو الشأن في تفسير القرآن، وما عدا ذلك فلا يحسن روايته لخلوه من فائدة معقولة، ولا رواية عن الرسول وأصحابه منقولة.

وقوله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ يخبر تعالى أنه عز وجل هو مصدر هذا القرآن إذ هو الذي نزله تنزيلاً على عبده ورسوله، ووصف نفسه بالعزة والعلم فقال العزيز أي في انتقامه من أعدائه الغالب على أمره ومراده فلا يحال بينه وبين ما يريد العليم بخلقه وحاجاتهم ومتطلباتهم، فأنزل الكتاب لهديتهم وإصلاحهم. وقوله: ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول﴾ أعلم أنه تعالى يغفر ذنب المستغفرين ويقبل توبة التائبين وأنه شدد العقوبة على من كفر به وعصاه. وقوله ذي الطول أي الإِنعام الواسع والفضل العظيم ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق إلا هو العزيز الحكيم الغالب على أمره الحكيم في تدبير خلقه.

لما أثنى تبارك وتعالى على نفسه بما هو أهله أخبر رسوله بأنه ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ القرآنية الحاوية للحجج القواطع والبراهين السواطع على توحيد الله ولقائه وعلى نبوة رسول الله ما يجادل فيها ﴿إلا الذين كفروا﴾ وذلك لظلمة نفوسهم وفساد قلوبهم، وعليه فاصبر ولا تغتر بظاهر ما هم عليه من سعة الرزق وسلامة البدن، وهو معنى قوله: ﴿فلا يغرك تقلبهم في البلاد﴾ أي آمنين معافين في أبدانهم وأرزاقهم فإنهم مهملون لا مهملون، والدليل فقد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وفرعون، وقد همت كل أمة من تلك الأمم برسولها لتأخذته فتقتله أو تنكل به. وقد جادلوا بالباطل كما جادل قومك من قريش ليدحضوا به الحق أي ليزيلوه ويبعدوه بباطلهم. فأخذتهم فكيف كان عقاب أي كان واقعاً موقعه والحمد لله إذ قطع الله دابرهم وأنهى وجودهم وخصومتهم.

(١) يطلق الطول على سعة الفضل وسعة المال كما يطلق مطلق القدرة وهو مأخوذ من الطول ضد القصر.

(٢) لا إله إلا هو في موضع الصفة لله عز وجل فتكون الصفة السابقة في هذه الآية الكريمة.

(٣) مستأنفة استئنفاً بيانياً ناشئاً عن سؤال من قال ما دام هذا القرآن تنزيلاً من العزيز الحكيم وهو أمر لا يرب فيه فلم يجادل فيه هؤلاء المشركون فأجابهم بقوله «ما يجادل في كتاب الله إلا الذين كفروا» الآية.

(٤) الغرور ظن المرء شيئاً حسناً وهو بضده يقال غرك إذا جعلك تظن الشيء حسناً ويكون التفرير بالقول أو بتحسين صورة الشيء.

(٥) الأحزاب هم الأمم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب والعناد كعاد وثمود ومن بعدهم.

وقوله ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾^(٣) أي كما وجب حكمه بإهلاك تلك الأمم المكذبة لرسالتها الهامة بقتلها وقد أهلكهم الله فعلاً حقت كلمة ربك على الذين كفروا لأنهم أصحاب النار والمراد من كلمة ربك قوله لأملأن جهنم الآية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير أن القرآن الكريم مصدر تنزيله هو الله تعالى إذ هو الذي أوحاه ونزله على رسوله محمد ﷺ وبذلك تقررت نبوة الرسول محمد ﷺ.
- ٢ - بيان عظمة الرب تعالى المتجلية في أسمائه العزيز العليم الحكيم ذي الطول غافر الذنب قابل التوب لا إله إلا هو.
- ٣ - تقرير التوحيد والبعث والجزاء.
- ٤ - تقرير مبدأ أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وأن بطشه شديد.

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ

وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا
فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾
رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ
مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ
يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

(١) حقت أي وجبت ولزمت مأخوذ من الحق لأنه لازم.

(٢) قرأ نافع كلمات بالجمع وقرأ حفص بالإنفراد وهي اسم جنس بمعنى الجمع.

(٣) الإجماع على وجوب الوقف على قوله تعالى ﴿أنهم أصحاب النار﴾ ثم يستأنف القراءة قائلاً الذين يحملون العرش... الخ إذ يقع أن يتبادر إلى ذهن السامع أن أصحاب النار هم الذين يحملون العرش.

غافر

شرح الكلمات :

الذين يحملون العرش

ومن حوله

يسبحون بحمد ربهم

: أي الملائكة حملة العرش.

: أي والملائكة الذين يحفون بالعرش من جميع جوانبه.

: أي يقولون سبحان الله ويحمده سبحان الله العظيم هذه
صلاتهم وتسيبهم.

: كيف لا وهم عنده، ولكن هذا من باب الوصف بالكمال
لهم.

: أي يطلبون المغفرة للمؤمنين لرابطة الإيمان بالله التي
تربطهم بهم.

ويستغفرون للذين آمنوا

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما : أي يقولون ياربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما.

: أي فيما أن رحمتك وعلمك وسعا كل مخلوقاتك فاغفر
للذين تابوا إليك فعبدوك ووحدوك واتبعوا سبيلك الذي هو
الإسلام.

فاغفر للذين تابوا واتبعوا

سبيلك

: أي احفظهم من النار فلا تُعذبهم بها.

وقهم عذاب الجحيم

: أي بساتين فيها قصور وأنهار للإقامة الدائمة.

جنات عدن

: أي بقوله تعالى : إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتهم الأنهار.

التي وعدتهم

: أي ومن صلح بالإيمان ولم يفسد بالشرك والكفر.

ومن صلح من آبائهم

: أي احفظهم من جزاء السيئات التي عملوها فلا تؤاخذهم
بها.

وقهم السيئات

: أي ومن تقه جزاء سيئاته يوم القيامة فلم تؤاخذه.

ومن تق السيئات يومئذ

: أي حيث سترته ولم تفضحه وعفوت عنه ولم تعذبه.

فقد رحمته

: أي الوقاية من العذاب وإدخال الجنة هو الفوز العظيم.

وذلك

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الذين يحملون العرش﴾^(١) يخبر تعالى عن عظمته وموجبات الإيمان به وآياته وتوجيهه ولقائه فيقول الذين يحملون العرش أي عرشه من الملائكة كالملائكة الذين يحفون بعرشه الجميع ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ تسيحاً مقروناً بالحمد بأن يقولوا سبحان الله وبحمده ويؤمنون به أي يؤمنون بوحديته وعدم الإشراك في عبادته ويستغفرون^(٢) للذين آمنوا^(٣) لرابطة الإيمان التي ربطتهم بهم ولعل هذا السر في ذكر إيمانهم لأن المؤمنين إخوة واستغفارهم هو طلب المغفرة من الله للمؤمنين من عباده . وهو معنى قوله : ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما أي يقولون متوسلين إليه سبحانه وتعالى بصفاته ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ أي ياربنا وسعت رحمتك وعلمك سائر المخلوقات فاغفر للذين تابوا أي إليك فتركوا الشرك واتبعوا سبيلك الذي هو الإسلام فانقادوا لأمرك ونهيك، وقهم عذاب الجحيم أي احفظهم ياربنا من عذاب النار وأدخلهم جنات عدن أي إقامة من دخلها لا يخرج منها ولا يبغى عنها حولا لكمال نعيمها ووفرة السعادة فيها . ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أي وادخل كذلك من صلح بالإيمان والتوحيد من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فألحقهم بدرجاتهم ليكونوا معهم وإن قصرت بهم أعمالهم . وقولهم إنك أنت العزيز الحكيم توصل أيضاً إليه تعالى بصفتي العزة والغلبة والقهر لكل المخلوقات والحكمة المتجلية في سائر الكائنات . وقولهم : ﴿وقهم السيئات﴾ أي واحفظهم من جزاء سيئاتهم بأن تغفرها لهم وتسترها عليهم حتى يتأهلوا للحاق بأبنائهم الذين نسألك أن تلحقهم بهم ، ﴿ومن تق السيئات يومئذ﴾ أي يوم القيامة ﴿فقد رحمته﴾ ، ﴿وذلك هو الفوز العظيم﴾ أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم لقوله تعالى : ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ . ومعنى ومن تق السيئات أي تقيه عذابها وذلك بأن يغفرها لهم ويعفو عنهم

(١) حملة العرش أفضل الملائكة وهم أربعة ويوم القيامة يضاف إليهم أربعة فيصبحون ثمانية لقوله تعالى من سورة الحاقة «ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية» .

(٢) قال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة .

(٣) قيل هذا معطوف على محذوف تقديره وينزهونه عما يقول الكافرون ويستغفرون الخ .

(٤) رحمة منصوب على التمييز وعلماً معطوف عليه ، والتمييز محول عن فاعل إذ التقدير وسعت رحمتك وعلمك كل شيء .

(٥) قد لا يحتاج الأمر إلى تقدير محذوف فيقال وقهم جزاء السيئات إذ السيئات جمع سيئة «فَيَعْلَمُهُ» من السوء وهو ما يضرب ولا يسر فالسيئة كل ما يسوء من عذاب وخوف ، وهلع فدعاء الملائكة دعاء بالنجاة مما يسوء المؤمنين يوم القيامة ولذا قالوا ومن تق السيئات أي ما يسوءه من العذاب فقد رحمته بدخول الجنة وما في التفسير هو رأي الجمهور من المفسرين .

(٦) قال مطرف بن عبدالله : وجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ، وجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين وتلا هذه الآية الذين يحملون العرش إلى قوله فقد رحمته .

فلا يؤاخذهم بها، فينجوا من النار ويدخلوا الجنة وذلك أي النجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - بيان عظم الرب تعالى .
- ٢ - بيان فضل الإيمان وأهله .^(١)
- ٣ - فضل التسبيح بقول : سبحان الله وبحمده فقد صح أن من قالها مائة مرة حين يصبح أو حين يمسي غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر أي في الكثرة .
- ٤ - بشرى المؤمنين بأن الله تعالى يجمعهم بأبائهم وأزواجهم وذرياتهم في الجنة، وقد استجاب الله للملائكة وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان الحقنا بهم ذرياتهم﴾ .

إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ
أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾
قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
اللَّهُ وَحَدُّهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحُكْمُ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ
لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾

(١) في الصحيحين .

(٢) يكفي كرامة للمؤمن أنه نائم على فراشه والملائكة تستغفر الله له، وتدعوه له بالنجاة من النار ويدخول الجنة كما في قوله الذين يحملون العرش الآية .

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾
 رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى
 عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾
 الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

شرح الكلمات :

ينادون لمقت الله : أي تناديهم الملائكة لتقول لهم لمقت الله إياكم أكبر من مقتكم أنتم لأنفسكم، والمقت أشد البغض .

إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون : أي مقت الله تعالى لكم عندما كنتم في الدنيا تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم لما رأيتم العذاب .

أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين : أي أمتنا مرتين الأولى عندما كنا عدماً فأخلقتنا، والثانية عندما أمتنا في الدنيا بقبض أرواحنا، وأحييتنا مرتين الأولى لما أخرجتنا من بطون أمهاتنا أحياء فهذه مرة والثانية بعد أن بعثتنا من قبورنا أحياء .

فاعترفنا بذنوبنا : أي بذنوبنا التي هي التكذيب بآياتك ولقائك والشرك بك .
 فهل إلى خروج من سبيل : أي فهل من طريق إلى العودة إلى الحياة الدنيا مرة ثانية لنؤمن بك ونوحدك ونطيعك ولا نعصيك .

ذلكم : أي العذاب الذي أنتم فيه .

بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم : أي بسبب أنه إذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد .

يريكم آياته : أي دلائل توحيده وقدرته على بعثكم ومجازاتكم .

وما يتذكر إلا من ينيب : أي وما يتعظ إلا من ينيب إلى الله ويرجع إليه بتوحيده .

يلقي الروح من أمره : أي يلقي بالوحي من أمره على من يشاء من عباده .
لينذر يوم التلاق : أي لينذر من يوحي إليه من البشر وهو الرسول يوم تلاقي أهل
السماء وأهل الأرض وذلك يوم القيامة .
يوم هم بارزون : أي لا يسترهم شيء لا جبل ولا شجر ولا حجر .
لمن الملك اليوم : أي لمن السلطان اليوم .
معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى حال المؤمنين وأنهم هم وأزواجهم وذرياتهم في دار النعيم يبين في هذه
الآيات الثلاث حال الكافرين في النار جرياً على أسلوب القرآن في الترغيب والترهيب فقال
تعالى مخبراً عن أهل النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بربهم ولقائه وتوحيده ينادون أي تناديهم
الملائكة فتقول لهم - بعد أن يأخذوا في مقت أنفسهم ولعن بعضهم بعضاً - ﴿لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ^(١)
مَنْ مَقَّتْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ وذلك لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان بالله وتوحيده وطاعته فتكفرون
وتجحدون متكبرين .

وهنا في الآية الثانية (١٠) يقولون وهم في جهنم ﴿ربنا﴾ أي ياربنا ﴿أمتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين﴾ يعنون بالموتتين الأولى وهم نطف^(٢) ميتة والثانية بقبض أرواحهم عند نهاية آجالهم ،
ويعنون بالحيتين الأولى التي كانت لهم في الدنيا قبل موتهم والثانية التي بعد البعث ،
وقولهم : ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ أي التي قارفناها في الحياة الدنيا وهي الكفر والشرك والمعاصي .
وقولهم بعد هذا الاعتذار ﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ أي فهل من طريق إلى الخروج من النار
والعودة إلى الحياة الدنيا لنصلح ما أفسدنا، ونطيع من عصينا؟ والجواب قطعاً لا سبيل إلى
ذلك أبداً، ويقاؤكم في العذاب ليس ظلماً لكم وإنما هو جزاء وفاق لكم ثم ذكر تعالى علة
عذابهم بقوله ﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم﴾ بالله وتوحيده ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ أي وإن
يشرك بالله تؤمنوا كقولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملك وما ملك وقوله فالحكم

(١) اللام في جواب قسم أي والله لمقت الله الخ والخاطب هم الملائكة وجائز إن لم يكن راجحاً أن يكون المعنى لَمَقَّتْ
الله إياكم لما كنتم تدعون إلى الإيمان في الدنيا على أيدي رسلكم فتكفرون مقت الله ذلك أشد من مقتكم أنفسكم اليوم .

(٢) جائز أن تكون الموتة الأولى لما كانوا في الرحم قبل نفع الروح، وجائز أن يكون العدم السابق للوجود في الرحم شاهده
آية البقرة ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ .

(٣) سر اعتراضهم هذا أنهم يرجون من ورائه الخروج من النار ظناً منهم أنه نافع لهم شاهده قولهم مستعطفين : ﴿فهل إلى
خروج من سبيل﴾ .

الله العلي الكبير، وقد حكم بعدايبكم فلا سبيل إلى نجاتكم . فامقتوا أنفسكم ونوحوا على أرواحكم فما ذلكم بمجديكم ولا بمخفف العذاب عنكم . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي يريكم آياته ﴾ هذا خطاب للناس في هذه الحياة الدنيا خطاب لمشركي قريش بعد أن عرض عليهم صورة صادقة حية لحالهم في جهنم يوم القيامة عاد يخاطبهم داعيا لهم إلى الإيمان فقال هو أي المعبود بحق الله الذي يريكم آياته أي حججه ودلائل وحدانيته وقدرته على بعثكم ومجازاتكم ﴿ وينزل لكم من السماء رزقاً ﴾ من المطر وغيره . ومع ذلك البيان وهذا الإفضال ، ﴿ وما يتذكر إلا من ينيب ﴾ أي فلا يتعظ إلا من شأنه الإنابة إلى ربه تعالى في كل شأنه .
وقوله تعالى : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ هذا خطاب للموحدين يأمرهم تعالى بالاستمرار على توحيد الله في عباداته والاخلاص لله تعالى في كل أعمالهم ، ولو كره الكافرون ذلك منهم فإنه غير ضائرهم .

وقوله تعالى : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش ﴾ أي هو الله ذو الدرجات الرفيعة والعرش العظيم ﴿ يلقي الروح ﴾ من أمره على من يشاء من عباده ﴿ أي يلقي بالوحي من أمره الذي يريد إنفاذه إلى خلقه على من يشاء من عباده ممن يصطفاهم وينبئهم من أجل أن يندروا عباده يوم التلاقي وهو يوم القيامة إذ يلتقي أهل الأرض بأهل السماء والمخلوقون بخالقهم وهو قوله ﴿ لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ﴾ من قبورهم لا شيء يستترهم ، ﴿ لا يخفى على الله منهم شيء ﴾ ، وفي هذا الموقف العظيم يقول الجبار سبحانه وتعالى : ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ؟ فلا يجيبه أحد رهبة منه وخوفاً فيجيب نفسه بنفسه قائلاً : ﴿ لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ﴾ من خير وشر لتمام العدالة الإلهية ، ويؤكد ذلك قوله : ﴿ لا ظلم اليوم . إن الله سريع الحساب ﴾ ويأخذ في محاسبتهم فلا ينتصف النهار إلا وأهل الجنة في الجنة قائلون في أحسن مقيل اللهم اجعلني منهم ومن قال آمين .

-
- (١) جائز أن يكون الخطاب هنا موجهاً إلى الرسول ﷺ والمؤمنين وكونه عاماً يشمل الموحدين والمشركين أو ليزداد المؤمنون إيماناً ولتوبت المشركون أما قوله تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين فظاهر في أنه خطاب للمؤمنين .
(٢) رفيع الدرجات خير والمبتدأ محذوف تقديره هو عائد على الله ورفيع الدرجات خير وهو يحتمل أمرين كلاهما حق الأول أن الله تعالى هو ذو الشأن العظيم والصفات العلا والأسماء الحسنى والقدر الأعلى والثاني أنه تعالى رافع درجات أوليائه في دار كرامته إذ رفيع إما أن يكون صفة مشبهة عائدة إلى الذات الإلهية العلية ، أو فعيل بمعنى فاعل أي رافع درجات أوليائه .
(٣) فيه تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي لمن يشاء من عباده فبعد تقرير البعث والتوحيد قرر النبوة المحمدية وهذه أصول الدين التي عليها مدار الحياة الإيمانية .
(٤) هذا عرض أيضاً لأحوال يوم القيامة المقصود منه التذكير به والدعوة إلى تقوية الإيمان به إذ هو عامل إصلاح النفوس مع بيان عظمة الله وعدله وهي موجبات توحيده وطاعته وطاعة رسوله ﷺ .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - عدم جدوى الاعتذار يوم القيامة هذا فيما لو أذن للعبد أن يعتذر فلا ينفعه اعتذار.
- ٢ - تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
- ٣ - بيان أفضال الله على العباد إذ يرهم آياته لهدايتهم ويرزقهم وهم يكفرون به .
- ٤ - وجوب إخلاص الدعاء وسائر العبادات لله وحده ولو كره ذلك المشركون .
- ٥ - تقرير النبوة، وبيان الحكمة فيها وهي انذار الناس من عذاب يوم القيامة حيث الناس بارزون لله لا يخفى على الله منهم شيء فيحاسبهم بعلمه وعدله فلا ينقضي نهار إلا وقد استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار اللهم أعذنا من نار جهنم .

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ
لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٌ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

- يوم الآزفة : أي يوم القيامة .
إذ القلوب لدى : أي من شدة الخوف تكون القلوب قد ارتفعت حتى وصلت عند الحناجر
الحناجر
كاظمين : أي لقلوبهم يريدون ردها فلم يقدرُوا .
ماللظالمين من حميم : أي ليس للمشركين من محب قريباً كان أو بعيداً .
يعلم خائنة الأعين : أي الله تعالى يعلم العين إذا سرقت النظر إلى محرم .
والله يقضى بالحق : أي لكمال قدرته وعلمه يحكم بالحق .
والذين يدعون من دونه : أي والذين يدعوهم مشركو قريش من أصنام لا يقضون بشيء عدلاً
كان أو جوراً لأنهم أصنام لا تسمع ولا تبصر .

معنى الآيات :

بعد بيان الموقف الصعب في عرصات القيامة في الآيات السابقة قال تعالى لرسوله ﴿ وأنذرهم ﴾ يارسلونا أي خوف قومك ﴿ يوم الآزفة ﴾ ^(١) وهي القيامة القريبة والتي قد قربت فعلاً وكل ما هو - ات قريب أنذرهم قربها حتى لا يوافوها بالشرك والمعاصي فيخسروا خسراً ميبئاً، أنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب من شدة الخوف ترتفع إلى الحناجر وهم يكظمونها فلا هي تخرج فيموتوا ولا هي تعود إلى أماكنها فيستريحوا.

﴿ ما للظالمين ﴾ وهم أهل الشرك والمعاصي ﴿ من حميم ﴾ قريب أو حبيب يدفع عنهم العذاب ﴿ ولا شفيع ﴾ يشفع لهم وتقبل شفاعته ويطاع فيها لا ذا ولا ذاك يالفضاعة الحال وقوله تعالى : ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ ^(٢) يخبر تعالى عن سعة علمه وواسع اطلاعه أنه يعلم خائنة الأعين وهي العين تسترق النظر إلى المحارم، ويعلم ﴿ ما تخفي الصدور ﴾ ^(٣) أي وما تكتمه صدور العباد وما تضمه من خير وشر، ولذا فسوف يكون الحساب دقيقاً ومن نوقش الحساب عذب. ﴿ والله يقضي بالحق ﴾ أي يحكم بالعدل، ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ ^(٤) أي والذين يعبدهم المشركون من أصنام وأوثان ﴿ لا يقضون بشيء ﴾ ^(٥) لأنهم لا يسمعون ولا يبصرون .
وقوله ﴿ إن الله هو السميع البصير ﴾ السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم فلذا إذا حكم يحكم بالحق ويقدر على إنفاذ الحكم فيجزى السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان هول يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه .

(١) يقال أزف فلان يأزف أزفاً قال النابغة :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحالتنا وكان قد

(٢) القلوب : جمع قلب وهو البضعة الصنوبرية الشكل التي تتحرك دائماً ما دام الجسم حياً تدفع الدم إلى الشرايين التي بها حياة الجسم .

(٣) الحناجر جمع حنجرة بفتح الحاء والجيم وهي الحلقوم .

(٤) أي الله جل جلاله يعلم الأعين الخائنة قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل يكون جالساً مع القوم فتمر المرأة فيسارقهم النظر إليها .

(٥) قال ابن عباس وما تخفي الصدور أي هل يزنني بها من سرق النظر إليها لو خلا بها أولاً .

(٦) قرأ نافع تدعون بالتاء وقرأ حفص بالياء يدعون .

(٧) من جملةي والله يقضي بالحق وجملة والذين يدعون من دونه قبلها تألف قصر القضاء على الله تعالى قصر قلب أي دون الأصنام . كما أفيد القصر من ضم الجملتين في قول الشاعر :

تسيل على حد الطبات نفوسنا وليست على غير الطبات تسيل

- ٢ - إنعدام الحميم والشفيع للظالمين يوم القيامة .
 ٣ - بيان سعة علم الله تعالى حتى إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .
 ٤ - قضاء الله عدل وحكمه نافذ وذلك لكمال علمه وقدرته .

❖ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ
 بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ
 قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

شرح الكلمات :

- أو لم يسيروا في الأرض : أي أغفل كفار قريش ولم يسيروا في الأرض .
 فينظروا : أي بأعينهم .
 كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم : إنها كانت دماراً وخساراً ووبالاً عليهم .
 كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض : ولم يغن ذلك عنهم من الله شيئاً .
 فأخذهم الله بذنوبهم : أي عاقبهم بذنوبهم فدمرهم وأهلكهم .
 وما كان لهم من الله من واق : أي ولم يوجد لهم من عقاب الله من واق يقيهم منه .
 ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات : أي بالحجج والبراهين والأدلة والمعجزات .
 فكفروا : أي بتلك الحجج والآيات .
 فأخذهم الله : أي لما كفروا أخذهم بكفرهم .
 إنه قوي شديد العقاب : هذا تعليل لأخذه إياهم .

معنى الآيات :

تقدم في السياق تخويف الله تعالى لمشركي قريش بعذاب الآخرة، وبالغلة في نصحهم وطلب هدايتهم خوفهم بعد عذاب الآخرة بعذاب الدنيا لعلهم يتوبون فقال: أولم يسيروا في^(١) الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض أي أغفل هؤلاء المجاهدون المعاندون ولم يسيروا في البلاد شمالاً وجنوباً حيث ديار عاد في الجنوب وديار ثمود في الشمال فينظروا بأعينهم كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كعاد وثمود كان أولئك أشد من هؤلاء قوة وآثاراً في الأرض من حيث البناء والعمران والقدرة على الحرب والقتال، فأخذهم الله بذنوبهم^(٢) أي بذنوب الشرك والتكذيب والمعاصي، ولما أخذهم لم يوجد لهم من عقاب الله وعذابه من واق يقيهم ما أنزل الله بهم وما أحله بساحتهم. فما لهؤلاء المشركين لا يتعظون ولا يعتبرون والعامل من اعتبر بغيره.

وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله بذنوبهم﴾ هذا تعليل لأخذ الله لأولئك الأقوام من عاد وثمود وغيرهم إذ ما أخذهم إلا بعد أن أنذرهم وأعذر إليهم فلما أصروا على الكفر والتكذيب أخذهم بذنوبهم. وقوله ﴿إنه قوي شديد العقاب﴾^(٣) تعليل أيضاً للأخذ الكامل الذي أخذهم به لعظم قوته وشدة عقابه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير الحكمة القائلة: العاقل من اعتبر بغيره.^(١)
- ٢ - الأخذ بالذنوب سنة من سنن الله في الأرض لا تتبدل ولا تتحول.
- ٣ - من أراد الله عقابه لا يوجد له واق يقيه، ولا حَامٍ يحميه، ومن تاب تاب الله عليه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهٰمٰنَ وَقَرُونَ
 فَقَالُوا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ

(١) الاستهزام إنكاري ينكر عليهم عدم سيرهم في ديار الهالكين ليروا بأعينهم آثار الهالكين ويفكروا في سبب هلاكهم ليحصل لهم بذلك العبرة المطلوبة لهم.

(٢) الباء في بذنوبهم سببية إذ هلاكهم متسبب عن ذنوبهم وهي الشرك والمعاصي.

(٣) الجملة تعليلية لما قبلها من أخذ الله تعالى المشركين بذنوبهم في التكذيب والشرك والمعاصي.

(٤) إلا أن يشاء الله إيقافها أو تبديلها فهو على ما يشاء قدير.

عِنْدَنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
 نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾
 وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
 وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
 لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

- بآياتنا وسلطان مبين : أي بحججنا، وبرهان بين ظاهر
 هامان وقارون : هامان وزير فرعون، وقارون رجل الملايين .
 فقالوا ساحر كذاب : أي لمارأوا آية العصا واليد البيضاء قالوا : ساحر كذاب دفعاً
 لقومهم حتى لا يؤمنوا به .
 فلما جاءهم بالحق من عندنا : أي جاءهم موسى بالصدق فيما أخبرهم به من أنه رسول الله
 وطلبهم بإرسال بني إسرائيل معه .
 قالوا اقتلوا أبناء الذين امنوا معه : أي اقتلوا الأولاد الذكرا .
 واستحيوا نساءهم : أي بناتهم بمعنى أتركوهن حيات .
 وما كيد الكافرين إلا في ضلال : أي وما مكروهم إلا في خسران وضياع .
 ذروني أقتل موسى وليدع ربه : أي دعوني واتركوني وليدع ربه ليمنعه مني .
 إنني أخاف أن يبدل دينكم : أي يغير عبادتكم لألهتكم لعبادة إلهه .
 أو أن يظهر في الأرض الفساد : بالقتل والتخريب ونحوه .
 إنني عذت بربي وربكم : أي استجرت بخالقي وخالقكم .
 من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب : أي من كل إنسان متكبر لا يؤمن بيوم الحساب والجزاء على
 الحساب الأعمال .

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الربانية لقريش إلى الإيمان والتوحيد والتصديق بالبعث والجزاء، وما فيها من مظاهر لقدرة الله وعلمه وحكمته وعدله، وبعد ذلك العرض لأحوال القيامة، وبيان الجزاء لكل من الكافرين والمؤمنين فيها كأنه يُرى رأي العين، وبعد ذلك الترغيب والترهيب مما في الدنيا والآخرة والمشركون لا يزدادون إلا عُتُوًّا وطغياناً بعد كل ذلك قص الله تعالى على رسوله قصة موسى مع فرعون لئسليها بها ويصبره وليعلمه أن البلاء مهما اشتد يعقبه الفرج، وأن الله ناصره على قومه كما نصر موسى على فرعون وقومه فقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي قبلك يا رسولنا - موسى بن عمران بآياتنا أي بآياتنا^(١) وحججنا على صدق دعوته وصحة رسالته، وسلطان مبین أي وبرهان ظاهرين أرسلناه إلى فرعون وهامان وقارون فهامان وزير فرعون وقارون من أرباب الملايين وهو وإن لم يكن من آل فرعون لأنه من بني إسرائيل إلا أنه مالا فرعون ووقف في صفه، فلما بلغهم موسى دعوة ربه وأراهم الحجج والبراهين قالوا ساحر كذاب فرموه بقاصمتين السحر والكذب حماية لمصالحهم وخوفاً من تغيير الوضع عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾ أي فلما جاءهم موسى بالصدق من عند الله كان ردُّ الفعل منهم أن أمروا بقتل الذكور من أولاد الذين آمنوا معه، واستحياء بناتهم للخدمة والامتهان وهو ما أخبر تعالى به في قوله: ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم﴾ وقوله تعالى وما كيد فرعون إلا في ضلال ﴿عام في كل كيد كافر يبطله الله تعالى ولا يضر به أوليائه وقوله تعالى: ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ لا شك أن هذا القول الدال على طغيان فرعون كان بعد أن انهزم في ميادين عدة أراد أن يسترد بعض ما فقد فقال ذروني أقتل موسى أي اتركوني أقتل موسى ﴿وليدع ربه﴾ أي ليمنعه مني، وعلل لقوله هذا بقوله إني أخاف أن يبدل دينكم، أي بعد أن يغلب عليكم فتدينون بدينه أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والفتن.

ورد موسى عليه السلام بما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿وقال موسى إني عدت بربي

(١) هي الآيات التسع.

(٢) خص بالذكر هامان وقارون لقوة تأثيرهما في البلاد وإدارة الدولة وعز السلطان.

(٣) لما بهرتهم الآيات وعجزوا عن مقاومتها رموا موسى بالسحر واتهموه بالكذب كرد فعل وهروباً من المواجهة.

(٤) من الجائز أن يكون قد قال له بعض رجاله أما تخاف أن يدعو عليك ربه فتهلك فأجابة قاتلاً وليدع ربه.

وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ﴿ قال موسى هذا لما سمع مقالة فرعون التي يهدده فيها بالقتل فأعلمهم أنه قد استجار بالله وتحصن به فلا يقدر أحد على قتله، وقوله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من يؤمن بيوم الحساب لا يقدم على جريمة القتل وإنما يقدم عليها من لا يؤمن بحساب ولا جزاء في الدار الآخرة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تسلية الرسول وحمله على الصبر والتحمل وهو في أشد الظروف صعوبة.
- ٢ - عدم تورع الظلمة في كل زمان عن الكذب وتلفيق التهم للأبرياء.
- ٣ - التهديد بالقتل شنشنة الجبارين والطفة في العالم.
- ٤ - أحسن ملاذ للمؤمن من كل خوف هو الله تعالى رب المستضعفين.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ

اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا

فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ

لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ

بِأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا

أَهْدِيكُمْ إِلَّا لِسَبِيلِ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

وقال رجل من آل فرعون هو شمعان بن عم فرعون.

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ أي لأن يقول ربي الله؟ والرجل هو موسى عليه السلام.

(١) متكبر: متعظم عن الإيمان بالله. وصفته أنه لا يؤمن بيوم الحساب.

بالبينات من ربكم : أي بالمعجزات الظاهرات .
 فعلية كذبه : أي ضرر كذبه عليه لا عليكم .
 يصبكم بعض الذي يعدكم : أي بعض العذاب الذي يعدكم به في الدنيا عاجلاً غير
 أجل .

من هو مسرف كذاب : أي مسرف في الكفر والظلم كذاب لا يقول الصدق ولا يفوه به .
 ظاهرين في الأرض : أي غالبين في بلاد مصر وأراضيها .
 فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا : أي من عذاب الله إن جاءنا وقد قتلنا أوليائه .
 ما أرىكم إلا ما أرى : أي ما أشير به عليكم إلا ما أشير به على نفسي وهو قتل موسى
 وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد : أي إلا طريق الرشد والصواب .

معنى الآيات :

ما زال السياق في الحديث عما دار في قصر فرعون فقد أبدى فرعون رغبته في إعدام موسى
 معللاً ذلك بأمرين أن يبذل دين الدولة والشعب، والثاني أن يظهر الشغب في البلاد والتعب
 للدولة والمواطنين معاً. وهاهو ذا رجل مؤمن من رجالات القصر يكتنم إيمانه بموسى وبما جاء
 به من التوحيد خوفاً من فرعون وملئه. ولنستمع إلى ما أخبر تعالى به عنه: ﴿وقال رجل مؤمن﴾^(١)
 أي بموسى ﴿من آل فرعون﴾ إذ هو ابن عم فرعون واسمه شمعان كسلمان قال: ﴿أتقتلون﴾^(٢)
 ينكر عليهم قرار القتل ﴿رجلاً﴾ أن يقول ربي الله ﴿أي لأن قال ربي الله﴾ وقد جاءكم من
 البينات ﴿وهي الحجج والبراهين كالعصا واليد﴾ من ربكم ﴿الحق الذي لا رب لكم سواه .
 ﴿وإن يك كاذباً﴾ أي وإن فرضنا أنه كاذب فإن ضرر كذبه عائد عليه لا عليكم ﴿وإن يك
 صادقاً﴾ وهو صادق ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ من العذاب العاجل . إن الله تعالى لا يهدي
 أي لا يوفق إلى النصر والفوز في أموره ﴿من هو مسرف﴾ متجاوز الحد في الاعتداء والظلم
 ﴿كذاب﴾ مفتر يعيش على الكذب فلا يعرف الصدق . وبعد أن بين لهم هذه الحقيقة العلمية

(١) في نص هذا الخبر تسلية للنبي ﷺ .

(٢) الاستفهام للإنكار ينكر على فرعون وملئه عزمهم على قتل موسى عليه السلام .

(٣) لم يكن قوله وإن يك كاذباً شكاً في صدق موسى وإنما هو من باب التلطف والتنزل مع الخصم حتى لا يلج في الجدل
 والخصومة وحذفت النون من وإن يك لكثرة الاستعمال .

(٤) أي إن لم يصبكم إلا بعض الذي يعدكم به هلكتم ، وجائز أن يطلق البعض وهو يريد الكل وهو سائغ وشائع قال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

(٥) إن كان هذا الموصوف الرجل المؤمن فهو إشارة إلى موسى وإن كان من قول الله تعالى فهو إشارة إلى فرعون .

الثابتة أقبل عليهم يعظهم فقال: ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ أي غالبين في الأرض أي أرض مصر بكامل ترابها وحدودها. لكن إن نحن أسرفنا في الظلم والافتراء فقتلنا أولياء الله فجاننا بأس الله عقوبة لنا فمن ينصرنا؟ إنه لا ناصر لنا أبداً من الله فتفهموا ما قلت لكم جيداً، ولا يهلك على الله إلا هالك، وهنا قام فرعون يرد على كلمة الرجل المؤمن فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي ما أشير عليكم بشيء إلا وقد رأيته صائباً وسديداً، يعني قتل موسى عليه السلام، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أي إلا إلى طريق الحق والصواب، وكذب والله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - فضل الإيمان وفضل صاحبه فقد ورد الثناء على هذا الرجل في ثلاثة رجال هم مؤمن آل فرعون هذا، وحبيب النجار مؤمن آل ياسين وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.
- ٢ - فصاحة مؤمن آل فرعون هي ثمرة إيمانه وبركته العاجلة فإن لكلماته وقع كبير في النفوس.
- ٣ - التنديد بالإسراف في كل شيء والكذب والافتراء في كل شيء وعلى أي شيء.
- ٤ - من عجيب أمر فرعون ادعاؤه أنه يهدي إلى الرشاد والسداد والصواب في القول والعمل، حتى ضرب به المثل فقيل: فرعون يهدي إلى الرشاد.

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَنْقُومِ إِلَيَّ

أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾

وَيَنْقُومِ إِلَيَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مَدْبِرِينَ

مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

(١) روى البخاري وغيره أن المشركين تعرضوا للرسول ﷺ حول الكعبة بسوء فجاه أبو بكر يصرخ فيهم اقتتلون رجالاً أن يقول ربي الله. فضربوه ضرباً شديداً حتى أغمى عليه فلما أفاق قال كيف رسول الله ﷺ؟ قال علي أبو بكر أفضل من مؤمن آل فرعون لأن أبا بكر ما أخفى إيمانه بل أظهره وأوذى ومؤمن آل فرعون كتم إيمانه ولم يؤذ.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ
 مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ
 مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
 مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ
 أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ
 يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات:

- وقال الذي آمن : أي مؤمن آل فرعون .
 مثل يوم الأحزاب : أي عذابا مثل عذاب الأحزاب وهم قوم نوح وعاد وثمود .
 مثل دأب قوم نوح : أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم وهي استمرارهم على الكفر حتى الهلاك فهذا الذي أخافه عليكم .
 يوم التناد : أي يوم القيامة وقيل فيه يوم التنادي لكثرة النداءات فيه إذ ينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة .
 يوم تولون مدبرين : أي هاربين من النار إلى الموقف .
 ولقد جاءكم يوسف من قبل : أي يوسف بن يعقوب الصديق بن الصديق عليهما السلام من قبل مجيء موسى إليكم اليوم .
 قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا : أي قُلْتُمْ هَذَا مِنْ دُونِ دَلِيلٍ بَقِيْتُمْ كَافِرِينَ إِلَى الْيَوْمِ .
 كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ : أي مثل إضلالكم هذا يضل الله من هو مسرف في الشرك والظلم .
 مرتاب : أي شاك فيما قامت الحجج والبيانات على صحته .
 يجادلون في آيات الله بغير سلطان : أي يخاصمون في آيات الله لإبطالها بدون سلطان أي حجة وبرهان .
 كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا : أي كبر جدالهم بالباطل مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا .

: أي مثل إضلالهم يطبع الله أي يختم بالضلال على كل قلب متكبر.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فيما دار من كلام في مجلس الحكومة، وهاهوذا مؤمن آل فرعون يتناول الكلمة بعد فرعون الذي أعاد تقرير ما عزم عليه من قتل موسى عليه السلام فقال ما أخبر تعالى به عنه في قوله: ﴿وقال الذي آمن﴾ وهنا أعلن عن إيمانه الذي كان يكتمه يا قوم إني أخاف عليكم أي إن أنتم أصررتُم على قتل موسى وقتلتموه ﴿أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ وهو اليوم الذي أخذ الله فيه قوم نوح، وعاد وشمود أي أخاف عليكم جزاء عادتهم وهي استمرارهم على الكفر والشك والتكذيب حتى حلت بهم نقمة الله ونزل بهم عذابه وواصل وعظه قائلاً، ﴿ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين﴾ أي فارين من النار هارين إلى الموقف وهو يوم القيامة الذي تكثر فيه النداءات والصرخات ﴿مالكم من الله من عاصم﴾ يعصمكم من العذاب وينجيكم منه. وبعد هذا الوعظ البليغ قال ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ إشارة إلى أن القوم لم يتأثروا بكلامه فقال متعزياً بعلمه بتدبير الله في خلقه فقال: ﴿ومن يضل الله فما له من هاد﴾ فإن من كتب الله عليه الضلالة ليصل إلى الشقاوة بكسبه فلا هادي له أبداً، إذ الله لا يهدي من يضل ثم قال لهم مواصلاً كلامه ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام بالبينات والحجج الدالة على توحيد الله ووجوب طاعته، غير أنكم مع الأسف ﴿مازلتم في شك مما جاءكم به﴾ فلم تؤمنوا ولم توقنوا ﴿حتى إذا هلك﴾ أي مات عليه السلام فرحتُم بموته ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ متخربين متقولين على الله بدون علم فأضلكم الله بكذبكم عليه ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف﴾ في الكذب مثلكم ﴿مرتاب﴾ في كل شيء لا يعرف اليقين في شيء، والعياذ بالله، ثم

(١) قراءة العامة التناد بتخفيف الدال من النداء وهو الدعاء والطلب للحضور أو الإغاثة وقرئ التناد بتشديد الدال من نَدَّ البعير إذا هرب إذ هم فعلاً يهربون وشاهده في الآية يوم تولون مدبرين. والجمهور على حذف الباء وقفاً ووصلاً. وبعضهم أثبتها وصلاً ووقفاً وكلا القرائتين صحيحة.

(٢) هذه الجملة في موقع الحال والعاصم المانع والحافظ.

(٣) لما تفرسَ فيهم عدم نفع النصح لهم أثر عتابهم ولومهم بقوله ولقد جاءكم يوسف النخ واللام في ولقد جاءكم لام القسم لأنهم كالمتكبرين فلذا أكد الخبر بالقسم.

(٤) إذا اسم للزمان الماضي مجرورة بحتى قبلها وليست بظرف أي حتى زمن هلاك يوسف قلمت... والقائل أسلافهم الغابرون يوم مات يوسف عليه السلام.

(٥) المسرف: المفرط في فعل أو قول مالا خير فيه، والمرتاب الشديد الريب أي الشك.

أعلمهم أن الذين يجادلون في آيات الله يريدون إبطال الحق وإطفاء نوره بكلامهم بغير حجة لديهم ولا برهان أتاهم جدالهم ذلك أكبر مقتا أي أشد شيء يمقته الله ويبغضه من صاحبه، وكذلك عند الذين آمنوا. وختم كلامه بقوله ﴿كذلك يطبع الله﴾ أي كإضلال من هو مسرف مرتاب يطبع الله ﴿على كل قلب متكبر﴾ أي قلب كل إنسان متكبر على الإيمان والطاعة متجبر متعاضم يريد إجبار الناس على مراده ومايهواه. وإلى هنا انتهى كلام الرجل المؤمن والكلمة الآن إلى فرعون الطاغية وسنقرأها في الآيات التالية بعد رؤية ما في الآيات من هداية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - قوة الإيمان تفجر قلب المؤمن بأنواع من المعرفة والحكمة في قوله إذا قال.
- ٢ - التذكير بالأمم الهالكة إذ العاقل من اعتبر بغيره.
- ٣ - التخويف من عذاب الآخرة وأهوال القيامة.
- ٤ - التنديد بالإسراف والارتباب وعدم اليقين.
- ٥ - حرمة الجدال بغير علم، وأن صاحبه عرضة لمقت المؤمنين بعد مقت الله تعالى.
- ٦ - عرضة المتكبر الجبار للطبع على قلبه ويومها يحرم الهداية فلا يهدى أبداً.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ

يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ
السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا
وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ
وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي
ءَامَنَ يَتَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾
يَتَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ

(١) جائز أن يكون هذا من كلام مؤمن آل فرعون ختم به كلامه معهم. وجائز أن يكون من كلام الله تعالى معترض بين كلام المؤمن وكلام فرعون.

(٢) المتكبر هو ذو الكبر والجبار الذي يكره الناس على ما لا يحبون عمله لظلمه وعتوه وقرأ الجمهور على كل قلب متكبر. بإضافة قلب إلى متكبر وقرأ بعضهم بتنوين قلب بدون إضافة فيكون متكبر نعتاً لقلب.

دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا
 وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

- ياهامان ابن لي صرحا : هامان وزير فرعون والصرح البناء العالي .
 أسباب السموات : أي طرقها الموصلة إليها .
 وإني لأظنه كاذباً : أي وإني لأظن موسى كاذباً في زعمه أن له إلهاً غيري .
 سوء علمه : أي قبيح عمله .
 وصد عن السبيل : أي عن طريق الهدى .
 إلا في تباب : أي خسار وضياع بلا فائدة تذكر .
 إنما هذه الحياة الدنيا متاع : أي ما هذه الدنيا إلا متاع يتمتع به وقتاً ثم يزول .
 دار القرار : أي الاستقرار والبقاء الأبدي .
 يرزقون فيها بغير حساب : أي رزقا واسعاً بلا تبعة ولا تعقيب .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فيما يدور من كلام بين مؤمن آل فرعون وفرعون نفسه إذ تقدم قول المؤمن وماحواه من نصح وإرشاد وهاهو ذا فرعون يرد بطريق غير مباشر على^(١) ما قاله المؤمن فقال: لوزيره هامان ﴿ياهامان ابن لي صرحاً﴾ أي بناءً عالياً ﴿لعلني أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني^(٢) لأظنه كاذباً﴾ أي في دعواه أن له إلهاً غيري وهذا من فرعون مجرد مناورة كاذبة يريد أن يموه بها على غيره إبقاء على مركزه وقوله تعالى: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ أي ومثل هذا التزيين في قول فرعون زين له سوء عمله وهو أفتح ما يكون، ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾^(٣) أي وصُرف عن

(١) خاف فرعون أن يؤثر كلام مؤمن آل فرعون في الذين سمعوه فأوهم أنه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد فإن بان له صوابه لم يخفه عنهم، وإن لم يظهر صوابه ثبتهم على دينهم فقال لوزيره ابن لي صرحاً الخ .

(٢) أسباب السموات بدل من أسباب الأول . والأسباب جمع سبب وهو ما يوصل إلى مكان بعيد فيطلق على الحبل ويطلق على الطريق والمراد هنا طُرُق السموات كما في قول زهير:

ومن هاب أسباب المنايا ينلته وإن يرق أسباب السماء يسلم

(٣) قرأ نافع وصد بفتح الصاد من صد اللازم . يصدُّ أو المتعدي أي صد نفسه وصد غيره وقرأ حفص وصد بالبناء للمجهول أي بصدَّ الصاد أي صده الله وصرفه عقوبة له لشدة كفره وظلمه .

طريق الحق والهدى، وقوله تعالى: ﴿وما كيد فرعون﴾ أي مكره وتدبيره لقتل موسى عليه السلام وقتل أبناء المؤمنين ﴿إلا في تاب﴾ أي خسار وضياح لم يتحقق منه شيء، لأن الله تعالى ولي موسى والمؤمنين فلم يمكن فرعون منهم بحال. وبعد أن أخبر تعالى عن فرعون في محاولته الفاشلة أخبر تعالى عن الرجل المؤمن^(١) وما قاله للقوم من نصح وإرشاد فقال: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾ أي طريق الرشد والصواب في حياتكم لتنجوا من العذاب وتفوزوا بالنعيم المقيم في الجنة. فقال: ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أي لا تعدو كونها متاعاً قليلاً يُتمتع به ثم يذهب سريعاً، ﴿وإن الآخرة﴾ أي الحياة الآخرة بعد انتهاء هذه الحياة ﴿لهي دار القرار﴾ أي الاستقرار والإقامة الأبدية، فاعملوا لدار البقاء وتجافوا عن دار الفناء واعلموا أن الحساب سريع وأن ﴿من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها﴾ وذلك لعادلة الرب تبارك وتعالى، ومن عمل صالحاً من الأعمال الصالحة التي شرعها الله لعباده وتعبدهم بها والحال أنه مؤمن أي مصدق بالله وبوعده ووعيدته يوم لقائه فأولئك أي المؤمنون العاملون للصالحات من الذكور والإناث يدخلون الجنة دار السلام يرزقون فيها بغير حساب أي رزقاً واسعاً لا يلحق صاحبه تبعة ولا تعب ولا نصب.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - التحذير من تزيين الأعمال القبيحة نتيجة الإدمان عليها والاستمرار على فعلها فإن من زُين له أعماله السيئة فأصبح يراها حسنة هلك والعياذ بالله.
- ٢ - التحذير من الاغترار بالدنيا والغفلة من الآخرة إذ الأولى زائلة والآخرة باقية واختبار الباقي على الفاني من شأن العقلاء.
- ٣ - مشروعية التذكير بالحساب والجزاء وما يتم في الدار الآخرة من سعادة وشقاء.

(١) هو مؤمن آل فرعون الذي أظهر إيمانه بعد كتمانته.

(٢) يريد بالدار دار السلام الجنة ودار البوار النار.

(٣) لأن جملة قوله تعالى «وهو مؤمن» حالية وإن كانت شرطاً في صحة الأعمال الصالحة وفي قبولها ولذا لما لم يذكر الإيمان قبل العمل الصالح ذكره في الجملة الحالية ليدل على تقدمه وشرطيته.

(٤) قرأ الجمهور يدخلون بالبناء للفاعل وقرأ بعض يدخلون بضم الياء وفتح الخاء بالبناء للمجهول والمعنى واحد إذ من دخل دخل بإذن الله ومن أدخل أدخل بإذن الله وفضله.

﴿٤١﴾ وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى
 النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ
 لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَأَجْرَمَ
 أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
 وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ
 ﴿٤٣﴾ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
 مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ
 يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا
 آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

أدعوكم إلى النجاة : أي من الخسران في الدنيا والآخرة، وذلك بالإيمان والعمل الصالح .

وتدعونني إلى النار : أي إلى عذاب النار وذلك بالكفر والشرك بالله تعالى .

ما ليس لي به علم : أي لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى .

وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار : أي وأنا أدعوكم إلى الإيمان وعبادة الله العزيز أي الغالب على أمره الغفار لذنوب التائبين من عبادة المؤمنين به .

لا جرم أن ما تدعونني إليه : أي حقا أن ما تدعونني إلى الإيمان به وبعبادته .

لي له دعوة في الدنيا والآخرة : أي ليس له دعوة حق إلى عبادته، ولا دعوة استجابة بأن يستجيب لمن دعاه لا في الدنيا ولا في الآخرة .

وأن المسرفين هم أصحاب النار: أي وأن المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم أهل النار

الواجبة لهم .

فوقاه الله سيئات ما مكروا : أي حفظه الله من مكروهم به ليقتلوه .
 وحاق بآل فرعون سوء العذاب : أي عذاب الغرق إذ غرق فرعون وجنده أجمعون .
 النار يعرضون عليها غدواً وعشيا : أي أن سوء العذاب هو النار يعرضون عليها صباحاً ومساءً
 وذلك أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار كل يوم مرتين .

ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في ذكر نصائح وإرشاد مؤمن آل فرعون فقد قال ما أخبر به تعالى عنه في قوله : ﴿ وَيَا قَوْمِ مالي أدعوكم إلى النجاة أي من النار وذلك بالإيمان والعمل الصالح مع ترك الشرك والمعاصي وتدعوني إلى النار ، وذلك بدعوتكم لي إلى الشرك والكفر تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي ما لا علم لي بصحة إشراكه في عبادة الله تعالى . وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار أي لتؤمنوا به وتعبده وحده ولا تشركوا معه غيره أدعوكم إلى العزيز أي الغالب الذي لا يُغلب الغفار لذنوب التائبين من عباده مهما كانت، وأنتم تدعوني إلى أذل شيء وأحقره لا ينفع ولا يضر لأنه لا يسمع ولا يبصر . لا جرم أي حقا أن ما تدعوني إليه لأومن به وأعبد به ليس له دعوة حق يدعى بها إليه ، ولادعوة استجابة فإنه لا يستجيب لي دعاء أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة . وشيء آخر ياقوم وهو أن مردنا إلى الله أي لا محالة نرجع إليه فالواجب أن نؤمن به ونعبده ونوحده ما دام رجوعنا إليه ، وآخر وهو أن المسرفين هم أصحاب النار، المسرفين الذين أسرفوا في الكفر والشرك والمعاصي فتجاوزوا الحد في ذلك هم أصحاب النار أي أهلها الذين لا يفارقونها ولا تفارقهم .

(١) الاستفهام هنا تعجبي باعتبار تقييده بجملة الحال وهي وتدعوني إلى النار إذ هي في موضع الحال تقدير مبتدأ أي وأنتم تدعوني إلى النار .

(٢) هذه جملة بيان لجملة وتدعوني إلى النار .

(٣) العدول عن اسم الجلالة إذ لم يقل أدعوكم إلى الله إلى الصفتين العزيز والغفار لإيضاح الاستدلال على استحقاقه الإقرار بالالوهية والعبادة .

(٤) ليس له دعوة توجب له الالوهية وليس له استجابة دعوة تنفع لا هذه ولا تلك فبأي حق إذأ يدعى ويعبد؟

(٥) أي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة .

(٦) الإسراف هنا الإفراط في الكفر والظلم بسفك دماء بني إسرائيل بذبح أبنائهم وليصرف فرعون عن عزمه عن قتل موسى عليه السلام وفي الكلام تعريض بالذين يخاطبهم إذ هم مسرفون إلى أبعد حد في الظلم والكفر .

وقوله: ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ يبدو أنه قال هذا القول لما رفضوا دعوته وهموا بقتله ويدل عليه قوله: وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

وقوله تعالى: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾^(١) أي حفظه الله تعالى من مكروهم به ليقتلوه فنجاه الله تعالى إذ هرب منهم فبعث فرعون رجالاً في طلبه فلم يقدروا عليه ونجى مع موسى وبني إسرائيل وقوله ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ وذلك بأن أغرقهم الله في البحر أجمعين.

وقوله ﴿النار يعرضون عليها﴾^(٢) إخبار بأن أرواح آل فرعون تعرض في البرزخ على النار غدواً وعشياً وذلك بأن تكون في أجواف طير سود على خلاف أرواح المؤمنين فإنها تكون في أجواف طير خضر ترعى في الجنة. إلى يوم القيامة.

ويوم تقوم الساعة يقال أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وهو عذاب جهنم والعياذ بالله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان الفرق الكبير بين من يدعو إلى النجاة وبين من يدعو إلى النار، بين من يدعو إلى العزيز الغفار ليؤمن به ويُعبد وبين من يدعو إلى اوثان لا تسمع ولا تبصر وهي أحقر شيء وأذله في الحياة، وبين من يدعو من لا يستجيب له في الدنيا والآخرة وبين من يدعو من يستجيب له في الدنيا والآخرة.
- ٢ - التنديد بالإسراف وفي كل شيء.
- ٣ - نعم ما ختم به مؤمن آل فرعون وعظه ونصحه لقومه وهي فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.
- ٤ - إثبات عذاب القبر ونعيمه إذ آل فرعون تعرض أرواحهم على النار صباح مساء.

(١) هذا الكلام مشاركة لهم وإنهاء لخطابهم كأنه استشعر منهم ما جعله ينهي الكلام معهم إما لاحظ في ذلك من ملامحهم أو من كلام سمعه منهم.

(٢) ما مكروا: ما مصدرية أي سيئات مكروهم.

(٣) حاق: أحاط والعذاب الفرق.

(٤) في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة».

وَإِذِيتَحَاجُّونَ فِي
 النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا
 لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ
 ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ
 قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ
 جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾
 قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا
 بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
 ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ
 وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾

شرح الكلمات :

وإذ يتحاجون في النار : أي وانذرهم يوم الآفة وإذ يتحاجون في النار أي

يتخاصمون .

فيقول الضعفاء : أي الاتباع الضعفاء الذين اتبعوا الأغنياء والأقوياء في

الشرك .

إنا كنا لكم تبعاً : أي تابعين لكم فيما كنتم تعتقدونه وتفعلونه .

فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟ : أي فهل تدفعون عنا شيئاً من النار .

إن الله قد حكم بين العباد : فلا مراجعة أبداً فقد حكم لأهل الإيمان والتقوى بالجنة فهم

في الجنة ولأهل الشرك والمعاصي بالنار فهم في النار .

لخزنة جهنم : أي جمع خازن وهو الموكل بالنار وأهلها .

يخفف عنا يوماً من العذاب : أي قدر يوم من أيام الدنيا إذ الآخرة يوم واحد لا ليل له .
 إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا : أي بأن نظهر دينهم ، أو نهلك قومهم وننجيهم من الهلاك .

في الحياة الدنيا

ويوم يقوم الأشهاد : أي وتنصرهم يوم يقوم الأشهاد وهم الملائكة يشهدون للرسول
 بالبلاغ .

ولهم اللعنة ولهم سوء الدار : أي ولهم اللعنة أي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار أي
 الآخرة أي شدة عذابها .

معنى الآيات :

هذا عرض آخر للنار وما يجري فيها بعد العرض الذي كان لآل فرعون في النار يعرض على
 كفار قريش ليشاهدوا مصيرهم من خلاله إذا لم يتوبوا إلى الله من الكفر والتكذيب والشرك
 تضمنته ست آيات قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ ﴾ أي وأنذرهم واذكر لهم إذ يتحاجون
 في النار أي يتخاصمون فيها فيقول الضعفاء الأتباع الذين كانوا يتبعون أغنياء وأقوياء البلاد
 طمعاً فيهم وخوفاً منهم . قالوا للذين استكبروا بقوتهم عن الإيمان ومتابعة الرسل ، إنا كنا لكم
 تبعاً أي تابعين ، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟ أي فهل في إمكانكم أن تخففوا عنا حظاً
 من عذاب النار؟ فأجابوهم قائلين بما أخبر تعالى به عنهم في قوله : ﴿ قال الذين استكبروا إنا
 كل فيها أي نحن وأنتم إن الله قد حكم بين العباد ففضى بالجنة لأهل الإيمان والتقوى ، وبالنار
 لأهل الشرك والمعاصي هذه كانت خصومة الأتباع مع المتبوعين ولم تنته إلى طائل إلا زيادة
 الحسرة والغم والهم . وقوله تعالى : ﴿ وقال الذين في النار لخزنة جهنم ﴾ وهم الملائكة
 المكلفون بالنار وعذابها قالوا لهم ﴿ ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ﴾ أي مقدار يوم
 من أيام الدنيا إذ الآخرة لا ليل فيها وإنما هي يوم واحد . فردت عليهم الملائكة قائلة بما أخبر
 تعالى به عنهم في قوله : ﴿ قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ﴾ أي أنقولون ادعوا لنا ربكم
 ليخفف عنكم العذاب أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات أي بالحجج الظاهرة الدالة على
 وجوب الإيمان والتقوى بترك الشرك والمعاصي . قالوا بلى أي اعترفوا فقالت لهم الملائكة إذاً

(١) التجاج : الاحتجاج من جانبيين فأكثر أي إقامة كل فريق حجته للفريق المضاد المخاصم .

(٢) تبعاً : اسم لمن يتبع غيره يستوي فيه الواحد وأكثر نحو خدم وحشم .

(٣) فهل أنتم مغنون الاستفهام هنا معناه الحث على طلب خلاصهم من النار واللوم على تركهم وعدم الاهتمام بما هم فيه
 من العذاب .

(٤) الذين في النار هذا شامل للضعفاء والمستكبرين والخزنة جمع خازن وهم الملائكة الموكلون بالنار وعذاب أهلها .

(١) فادعوا أنتم ربكم ولكن لا يستجاب لكم إذ ما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلا يستجاب له أبداً وقوله تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ تقرير لحقيقة عظمى ، وهي أن من سنة الله في رسله أنه ينصرهم بانتصار دينهم وما يهدون ويدعون إليه ، وإن طال الزمن واشتدت الفتن والمحن ، أو بإهلاك أممهم المكذبة لهم وإنجائهم والمؤمنين معهم قال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقوله : ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ أي وينصرهم في الآخرة يوم يقوم الأشهاد وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكافرين بالتكذيب ، وقوله : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذرتهم﴾ إذا أذن لهم في الاعتذار لا تقبل معذرتهم ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي البعد من الرحمة والجنة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة وهو أشد عذابها .
هداية الآيات :
من هداية الآيات :

- ١ - بيان تخاصم أهل النار وهو ما يتم من خصومة بين الأتباع والمتبوعين .
- ٢ - التنديد بالكبر والاستكبار إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة .
- ٣ - عدم استجابة دعاء الكافر في الدنيا والآخرة إلا ما شاء الله .
- ٤ - عدم قبول المعذرة يوم القيامة .
- ٥ - عدم استجابة الدعاء في النار .
- ٦ - بيان وعد الله لرسله والمؤمنين وهو أنه ينصرهم بأحد أمرين الأول أن ينصر دينهم ويظهره ويقرره وإن طال الزمن ، والثاني أن يهلك عدوهم وينجيهم .

(١) أي تولوا أنتم أمر أنفسكم وادعوا والأمر هنا للتسوية أي سواء دعوتهم أو تركتم لا يستجاب لكم .
(٢) هذه الآية والتي بعدها جاءت كالنتيجة لكل ما سبق في السورة من قوله تعالى ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا﴾ فكل ذلك لتلك المواقف والمشاهد في الدنيا والآخرة عبرتها المستخلصة منها هي هذه ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ الآية وهي تسلية للرسول ﷺ وبشرى له ولأتباعه المؤمنين .

(٣) الأشهاد : الملائكة والرسول ومؤمنو هذه الأمة .

(٤) هذه الجملة بدل من جملة ويوم يقوم الأشهاد والظالمون هم المشركون .

(٥) تقديم الجار والمجرور ﴿لهم﴾ في الجملتين : لهم اللعنة ولهم سوء الدار للاهتمام بالانتقام منهم .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ

الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
 وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ
 حَقًّا وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
 وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا
 اللَّهُ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
 مَا هُمْ بِبَلِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبْرُ مِنْ
 خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات :

ولقد آتينا موسى الهدى : أي أعطينا موسى بني إسرائيل المعجزات والتوراة .

وأورثنا بني إسرائيل : أي أبقينا فيهم التوراة كتاب الهداية الإلهية يهتدون به في ظلمات الحياة ويذكرون به الله في تراكم النسيان .

واصبر إن وعد الله حق : أي واصبر يا محمد على ما تلاقي من قومك إن وعد الله بنصرك حق .

واستغفر لذنبك : ليقندي بك في ذلك ولزيادة طهارة لروحك وتركية لنفسك .

وسبح بحمد ربك : أي نزه ربك وقدسهُ بالصلاة والذكر والتسبيح فيها وخارجها .

بالعشي والإبكار : بالمساء وأول النهار أي في أوقات الصلوات الخمس كلها .

إن في صدورهم إلا كبر : أي ما في صدورهم إلا كبر حملهم على الجدل في الحق ، لا أن لهم علماً يجادلون به ، وإنما حبهم العلو والغلبة حملهم على ذلك .

فاستعذ بالله : أي استعذ من شرهم بالله السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم .

لخلق السموات والأرض: أي لخلق السموات والأرض ابتداء ولأول مرة.
أكبر من خلق الناس : أي أعظم من خلق الناس مرة أخرى بعد الأولى.

معنى الآيات :

قوله تعالى ولقد آتينا موسى الهدى الآية شروع في تسليية الرسول ﷺ عما يلاقي من قومه فأعلمه تعالى أنه قد سبق أن أرسل موسى وآتاه الكتاب الذي هو التوراة وأورثه في بني إسرائيل هدى أي هاديا لهم في ظلمات الحياة إلى الحق والدين الصحيح الذي هو الإسلام وذكرى لأولى الألباب أي يذكر به أولوا العقول، ولا قى موسى من قومه أشد مما لاقت إذا فاصبر على ما تعانيه من قريش وأن العاقبة لك فإن وعد الله حق وقد قال إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد أي يوم القيامة.

وقوله: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾^(١) أرشده إلى مقومات الصبر والموفرات له وهي ذكر الله تعالى بالاستغفار والدعاء والصلاة والتسبيح فيها وخارجها. فأعظم عون على الصبر الصلاة فلذا كان ﷺ إذا حز به أمر فرغ إلى الصلاة وقوله ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان﴾ أي حجة من علم إلهي أتاهم بطريق الوحي إن في صدورهم أي ما في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه أي لا يصلون إليه بحال وهو الرئاسة عليك والتحكم فيك وفي أصحابك. وعليه فاستعد بالله من شرهم ومن مكرهم إنه تعالى هو السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم وأعمالهم، وسوف لا يمكن لهم منك أبداً لقدرته وعلمه وعجزهم وجهلهم.

وقوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض﴾^(٢) هذا رد على منكري البعث والجزاء الآخر فلما قالوا أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون.. قال تعالى: وعزتنا وجلالنا لخلق السموات والأرض ابتداء من غير مثال سابق ولا مادة قائمة موجودة أكبر من خلق الناس مرة أخرى بعد خلقهم

(١) الهدى الذي أوتيته موسى هو ما أوحى إليه من الأمر بالدعوة إلى الدين الحق، وما أنزل عليه من الشريعة والكتاب الذي هو التوراة.

(٢) ذكر القرطبي عدة أقوال للسلف في الذنب المطلوب من الرسول ﷺ الاستغفار منه قيل ذنبه ﷺ الذي كان قبل البعثة والعصمة، وقيل ذنب أمته، وقيل الصغائر ومخالفة الأول وقيل المراد هو تعبد الله رسوله بالدعاء إذ الاستغفار دعاء بطلب المغفرة وهو وجه وأوجه منه إرشاد الآية إلى الاستغفار.

(٣) هما صلاة الصبح وصلاة العصر ومعنى بحمد ربك أي بالشكر له والثناء عليه.

(٤) جملة إنه هو السميع العليم تعليلية، ومفعول المستعد منه في قوله فاستعد بالله محذوف لعرض التعميم في كل ما يخاف منه.

(٥) اللام في جواب قسم محذوف كما في التفسير، وخلق السموات والأرض شامل لكل ما فيهما من مخلوقات وعقيدة البعث الآخر من جملة ما يجادل فيه الذين كفروا.

المرة الأولى ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق العلمية لجهلهم وبعدهم عن العقليات لما عليهم من طابع البداوة والإفعاة الشيء أهون من بده عقلًا فليس الاختراع كالأصلاح للمخترع إذا فسد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان منة الله تعالى على موسى وبنى إسرائيل تتكرر لمحمد ﷺ وأمته بإنزال الكتاب وتوريته فيهم هدى وذكرى لأولى الألباب .

٢ - وجوب الصبر والتحمل في ذات الله ، والاستعانة على ذلك بالاستغفار والذكر والصلاة .

٣ - أكثر من يجادل بالباطل ليزيل به الحق إنما يجادل من كبر يريد الوصول إليه وهو تعالى والغلبة والقهر للآخرين .

٤ - تقرير عقيدة البعث بالبرهان العقلي ، وهو أن البدء أصعب من الإعاة ومن أبدأ أعاد ، ولا نصب ولا تعب !!

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
 إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَّأَرِيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
 إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا
 فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ كُمْ

(١) لا يعلمون لانشغالهم بالباطل عن الحق فتركوا التفكير والتأمل لذا هم لا يعلمون أن الذي خلق السموات والأرض قادر عقلًا على خلق الناس بعد إمانته إياهم ويعتهم أحياء كما خلقهم أول مرة .

اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ
كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ



شرح الكلمات :

وما يستوي الأعمى والبصير : لا يستويان فكذلك الكافر والمؤمن لا يستويان .
والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء : لا يستويان أيضا فكذلك لا يستوي الموقن والشاك
قليلاً ما تتذكرون : أي ما يتذكرون إلا تذكروا قليلاً والتذكر الاعتناظ .
إن الساعة آتية : أي إن ساعة نهاية هذه الحياة وإقبال الأخرى جائية لا شك
فيها .

إن الذين يستكبرون عن عبادتي : أي عن دعائي .
سيدخلون جهنم داخرين : أي صاغرين ذليلين .
لتسكنوا فيه : أي لتنقطعوا عن الحركة فتستريحوا .
والنهار مبصراً : أي مضيئاً لتمكنوا فيه من الحركة والعمل .
ولكن أكثر الناس لا يشكرون : أي الله تعالى بحمده والثناء عليه وطاقته .
ذلكم الله ربكم : أي ذلكم الذي أمركم بدعائه ووعدهم بالاستجابة الذي
جعل لكم الليل والنهار وأنعم عليكم بجلالته النعم الله ربكم
الذي لا إله لكم غيره ولا رب لكم سواه .
فأنى تؤفكون : أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم وإلهكم الحق إلى أوثان
وأصنام لا تسمع ولا تبصر .

كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات : أي كما صرف أولئك عن الإيمان والتوحيد يصرف الذين
الله يجحدون يجحدون بآيات الله يصرفون عن الحق .

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد، فقلوه تعالى ﴿وما يستوي﴾^(١) أي في حكم

(١) وما يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن والضال والمهتدي .

العقلاء ﴿الاعمى﴾ الذي لا يبصر شيئاً والبصير الذي يبصر كل شيء يقع عليه بصره فكذلك لا يستوي المؤمن السميع المبصر، والكافر الأعمى عن الدلائل والبراهين فلا يرى منها شيئاً الأصم الذي لا يسمع نداء الحق والخير، ولا كلمات الهدى والرشاد. كما لا يستوي في حكم العقلاء المحسن المؤمن العامل للصالحات، والمسيء الكافر العامل للسيئات، وإذا كان الأمر كما قررنا فلم لا يتعظ القوم به ولا يتوبون إنهم لظلمة نفوسهم ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾ أي لا يتعظون إلا نادراً.

وقوله تعالى: ﴿إن الساعة لآتية﴾ يخبر تعالى أن الساعة التي كذب بها المكذبون ليستمروا على الباطل والشر فعلاً واعتقاداً لآتية حتماً، ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بها لوجود صارف قوي وهو عدم تذكرهم، وانكبابهم على قضاء شهواتهم.

وقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾. إنه لما قرر ربوبيته تعالى وأصبح لا محالة من الاعتراف بها قال لهم: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ أي سلوني أعطكم وأطيعوني أثبكم فأنتم عبادي وأنا ربكم. ثم قال لهم: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ ودعائي فلا يعبدوني ولا يدعوني سوف أذلهم وأهينهم وأعذبهم جزاء استكبارهم وكفرهم وهو معنى قوله: ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ أو صاغرين ذليلين يعذبون بها أبداً.

وفي الآية (٦١) عرفهم تعالى بنفسه ليعرفوه فيؤمنوا به ويعبدوه ويوحده، ويكفروا بما سواه من مخلوقاته فقال: ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ أي جعله مظلماً لتقطعوا فيه عن الحركة والعمل فتستريحوا ﴿والنهار مبصراً﴾ أي وجعل لكم النهار مبصراً أي مضيئاً يمكنكم التحرك فيه والعمل والتصرف في قضاء حاجاتكم، وليس هذا من إفضال الله عليكم بل إفضاله وإنعامه أكثر من أن يذكر وقرر ذلك بقوله: ﴿وإن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ الله على إفضاله وإنعامه عليهم فلا يعترفون بإنعامه ولا يحمدونه

(١) قرأ نافع قليلاً ما يتذكرون بالياء وقرأ حفص تتذكرون بالفاء ولكل وجه بلا غي وكان تذكرهم قليلاً لعدم علمهم فهم كالأموات لجهلهم فهم لا يتذكرون وإن تذكروا قليلاً ينقطعون فلا يحصل المراد من التذكر.

(٢) المراد بالساعة ساعة البعث والقيام من القبور. إنه بعد ذكر الأدلة المقررة للبعث كان هذا إعلاناً عن تحقق مجيئها وتأكيده الخبر بأن ولام الابتداء لزيادة التحقيق والمراد تحقق وقوعها لا الإخبار عن وقوعها.

(٣) روى الترمذي عن النعمان بن بشير وصححه أن النبي ﷺ قال الدعاء هو العبادة. ثم قرأ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴿ وروي أن النبي ﷺ قال: يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله.

(٤) (جعل) إن كانت بمعنى خلق تعدت إلى مفعول واحد كما هي هنا وإن كانت بمعنى صير تنصب مفعولين نحو جعلت الثوب سروالاً.

بالسنتهم ولا يطيعونه بجوارحهم، وذلك لاستيلاء الشيطان والغفلة عليهم ثم واصل تعريف نفسه لهم ليؤمنوا به بعد معرفته ويكفروا بالآلهة العمياء الصماء التي هم عاكفون عليها صباح مساء فقال جل من قائل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ (١) الذي عرفكم بنفسه ﴿خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق إلا هو. وقوله: ﴿فَأَنى تُوَفَّكُونَ﴾ أي كيف تصرفون عنه وهو ربكم والمنعم عليكم، إلى أوثان وأصنام لا تنفعكم ولا تضركم. فسبحان الله كيف توففون كذلك يوفك أي كانصرفكم أنتم عن الإيمان والتوحيد مع وفرة الأدلة وقوة الحجج يصرف أيضاً الذين كانوا بآيات الله يجحدون في كل زمان ومكان لأن الآيات الإلهية حجج وبراهين فالمكذب بها سيكذب بكل شيء حتى بنفسه والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ - بيان حقيقة وهي أن الضدين لا يجتمعان فالكفر والإيمان، والاحسان والإساءة والعمى والبصر والصمم والسمع هذه كلها لا تستوي بعضها ببعض فمحاولة الجمع بينها محاولة باطلة ولا تنبغي.

٢ - قرب الساعة مع تحتم مجيئها والأدلة على ذلك العقلية والنقلية كثيرة جداً.

٣ - فضل الدعاء وقد ورد أن النبي ﷺ قال ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله. وللدعاء المستجاب شروط منها: أن يكون القلب متعلقاً بالله معرضاً عما سواه وأن لا يسأل ما فيه إثم، ولا يعتدي في الدعاء فيسأل ما لم تجر سنة الله به كأن يسأل أن يري الجنة يقظة أو أن يعود شاباً وهو شيخ كبيراً أو أن يرزق الولد وهو لا يتزوج.

٤ - الدعاء هو العبادة ولذا من دعا غير الله فقد أشرك بالله.

٥ - بيان إنعام الله وإفضاله والمطالبة بشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه ويطاعته بفعل محابه وترك مكارهه.

(١) الإشارة إلى اسم الجلالة في قوله ﴿الله الذي جعل لكم﴾ الخ.

(٢) أنى اسم استفهام عن الكيفية وأصله استفهام عن المكان ثم نقل إلى الحالة.

(٣) تقدم تخريجه وأنه من سنن الترمذي وأنه صحيح الإسناد وشسع النعل: زمام للنعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها يضرب به المثل في الفاقة يقال لا يملك شسع نعل.

(٤) روي بإسناد لا بأس به من لم يسأل الله يغضب عليه ومن لم يدع الله غضب عليه أيضاً حسنهما ابن كثير في تفسيره.

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ
 بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ
 إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي
 الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
 يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا
 شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى
 وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا
 قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

شرح الكلمات :

- قراراً : أي قارة بكم لا تتحرك فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير .
 بناء : أي محكمة إحكام البناء فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيكم .
 وصوركم : أي في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم .
 من الطيبات : أي الحلال المستلذ غير المستقذر وهي كثيرة .
 فتبارك الله : أي تعاضم وكثرت بركاته .
 فادعوه مخلصين له الدين : أي أعبده وحده ولا تشركوا به شيئاً في عبادته دعاء كان أو غيره .

- قل إني نهيت : أي نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدون .
 وأمرت أن أسلم لرب العالمين : أي وأمرني ربي أن أسلم له وجهي وأخلص له عملي .
 هو الذي خلقكم من تراب : أي خلق أبانا آدم من تراب وخلقنا نحن ذريته مما ذكر من نطفة ثم من علقه .
 ثم لتبلغوا أشدكم : أي كمال أجسامكم وعقولكم في سن ما فوق الثلاثين .
 ومنكم من يتوفى من قبل : أي ومنكم من يتوفاه ربه قبل سن الشيخوخة والهرم .
 ولتبلغوا أجلاً مسمى : أي فعل ذلك بكم لتعيشوا ولتبلغوا أجلاً مسمى وهو نهاية العمر المحددة لكل إنسان .
 ولعلكم تعقلون : أي طوركم هذه الأطوار من نطفة إلى علقه إلى طفل إلى شاب إلى كهل إلى شيخ رجاء أن تعقلوا دلائل قدرة الله وعلمه وحكمته فتؤمنوا به وتعبدوه موحدين له فتكملوا وتسعدوا .
 يحيي ويميت^(١) : أي يخلق الإنسان وقد كان عدماً، ويميته عند نهاية أجله .
 فإذا قضى أمراً : أي حكم بوجوده .
 فإنما يقول له كن فيكون : أي فهو لا يحتاج إلى وسائط وإنما هي الإرادة فقط فإذا أراد شيئاً قال له كن فهو يكون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في تعريف العباد بربهم سبحانه وتعالى حتى يؤمنوا به ويعبدوه ويوحده إذ كمالهم وسعادتهم في الدارين متوقفان على ذلك قال تعالى : ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً^(٢) أي قارة في مكانها ثابتة في مركز دائرتها لا تتحرك بكم ولا تتحول عليكم فتضطرب حياتكم فتهلكوا، وجعل السماء بناءً مُحْكَمًا وسقفاً محفوظاً من التصدع والانفطار والسقوط كلاً^(٣) أو بعضاً، وصوركم في أرحام أمهاتكم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات التي خلقها لكم وهي كل ما لذ وطاب من حلال الطعام والشراب واللباس والمراكب ذلكم الفاعل

(١) في قوله يحيي ويميت المحسن البديعي المسمى بالطباق .

(٢) القرار مصدر قر إذا سكن وهو هنا من صفات الأرض لأنه خبر عن الأرض والمعنى أنه جعلها قارة «ساكنة» غير مائدة ولا مضطربة إذ لو لم تكن قارة لكان الناس في عناء شديد من اضطرابها وتزلزلها، وقد يفضي ذلك بأكثر الناس إلى الهلاك وهذا في معنى قوله : ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ ومن مظاهر قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته أن تدور الأرض في فلكها دورة منتظمة بدقة فائقة فلا تخرج عن مدارها مقدار شبر بل أصبح فسكنت وقرت وهي متحركة فسبحان الله العلي العظيم .

(٣) فأحسن صوركم الفاء للعطف والتعقيب ورزقكم فهاتان نعمتان عظيمتان نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد .

لكل ذلك الله ربكم الذي لا رب لكم سواه ولا معبود بحق لكم غيره. فتبارك الله رب العالمين أي خالق الانس والجن ومالكهما والمدبر لأمرهما، هو الحي الذي لا يموت والانس والجن يموتون لا إله أي لا معبود للعالمين إلا هو فادعوه مخلصين له الدين أي اعبده وحده ولا تشركوا بعبادته أحداً قائلين الحمد لله رب العالمين^(١) أي حامدين له بذلك، هذا ما تضمنته الآياتن (٦٤، ٦٥) وقوله تعالى: ﴿قل إني نهيته أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ أي قل يا نبينا لقومك إني نهاني ربي أن أعبد الذين تدعون من دون الله من أصنام وأوثان لا تنفع ولا تضر وذلك لما^(٢) جاءني البيئات من ربي وهي الحجج والبراهين على بطلان عبادة غير الله ووجوب عبادته سبحانه وتعالى، وأمرت أن أسلم لرب العالمين أي وأمرني ربي أن أسلم له فأنقاد وأخضع لأمره ونهيه وأطرح بين يديه وأفوض أمري إليه وقوله: ﴿هو الذي خلقكم من تراب نظراً إلى أصلهم وهو آدم، ثم من نطفة مني ثم من علقة دم متجمد، ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً، ثم لتبلغوا أشدكم أي اكتمال أبدانكم وعقولكم بتخطيكم الثلاثين من أعماركم، ثم لتكنوناً شيوخاً بتجاوزكم الستين. ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله قبل بلوغه سن الشيخوخة والهرم وما أكثرهم، وفعل بكم ذلك لتعيشوا وتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون إذا تفكرتم في خلق الله لكم على هذه الأطوار فتعرفوا أن ربكم واحد وأنه إلهكم الحق الذي لا إله لكم سواه.

وقوله هو الذي يحيي ويميت يحيي النطف الميته فإذا هي بعد أطوارها بشراً أحياء ويميت الأحياء عند نهاية آجالهم وهو حي لا يموت والانس والجن يموتون ومن أعظم مظاهر قدرته أنه يقول للشيء إذا أَرَادَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَلَا يَتَخَلَّفُ أَبَدًا هَذَا هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَإِلَهُ الْأُولِينَ وَالْآخِرِينَ وَجَبَّتْ مَحَبَّتُهُ وَطَاعَتُهُ وَلَزِمَتْ مَعْرِفَتُهُ إِذْ بِهَا يُحَبُّ وَيُعْبَدُ وَيَطَاعُ.

(١) إنشاء الثناء على الله تعالى بعد ذكر موجبات ذلك من نعمة الإيجاد والإمداد والهداية إلى الدين الحق بعبادة الله وحده كما هي السنة في تعقيب الحمد والثناء على الله تعالى بعد كل نعمة ينعم بها على عباده.

(٢) لما هذه يقال فيها التوقيتية أي حصل نهى عن عبادة غير ربي في الوقت الذي جاءتني البيئات وفي الآية تعريض بالمشركين إذ لم ينتهوا عن عبادة غير الله وقد جاءتهم البيئات من ربهم.

(٣) سن الشيخوخة هو ما بين الخمسين إلى الثمانين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد والإرزاق والإحياء والإماتة وكلها معرفة به تعالى وموجبة له العبادة والمحبة والإنابة والرغبة والرغبة ونافية لها عما سواه من سائر خلقه .
- ٢ - تقرير التوحيد ووجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له .
- ٣ - بيان خلق الإنسان وأطوار حياته وهي من الآيات الكونية الموجبة للإيمان بالله وتوحيده في عبادته إذ هو الخالق الرازق المحيي المميت لا إله غيره ولا رب سواه .

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي يُصْرَفُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا

بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْطُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسَلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾

فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيَنَ

مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ

نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ

تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ

مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

شرح الكلمات :

يجادلون في آيات الله : أي في القرآن وما حواه من حجج وبراهين دالة على الحق هادية إليه .

أنى يصرفون : أي كيف يصرفون عن الحق مع وضوح الأدلة وقوة البراهين .

الذين كذبوا بالكتاب : أي بالقرآن

و بما أرسلنا به رسلنا و من وجوب الاسلام لله بعبادته وحده وطاعته في أمره ونهيه والإيمان ببقائه .

فسوف يعلمون : أي عقوبة تكذيبهم .
إذ الأغلال في أعناقهم : أي وقت وجود الأغلال في أعناقهم يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم .

ثم في النار يسجرون : أي يوقدون
ثم يقال لهم أين ما كنتم : أي يسألون هذا السؤال تبكيتاً لهم وخزياً .
تشركون من دون الله : أي تعبدونهم مع الله .
قالوا ضلوا عنا : أي غابوا عنا فلم نرهم .
بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً : أي انكروا عبادة الأصنام ، أو لم يعتبروا عبادتها شيئاً وهو كذلك .

كذلك يضل الله الكافرين : أي مثل اضلال هؤلاء المكذبين يضل الله الكافرين .
بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق : أي بالشرك والمعاصي .
وبما كنتم تمرحون : أي بالتوسع في الفرح ، لأن المرح شدة الفرح .
فبئس مثوى المتكبرين : أي دخول جهنم والخلود فيها بشس ذلك مأوى للمتكبرين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في الدعوة إلى التوحيد وإلى الإيمان بالبعث والجزاء ، وتقرير نبوة محمد ﷺ فقولته تعالى ﴿الم تر﴾ أي يا محمد ﴿إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ القرآنية لإبطالها وصرف الناس عن قبولها أو حملهم على إنكارها وتكذيبها والتكذيب بها وهذا تعجيب من حالهم . وقوله تعالى : ﴿أنى يصرفون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد ظهور أدلته . وقوله ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ الذي هو القرآن ﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾ من التوحيد والإيمان ﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة تكذيبهم وقت ما تكون الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون أي تسحبهم الزبانية في الحميم

(١) وقيل هذه الآية نزلت في القدرية نفاة القدر وقيل في المشركين والمعبرة بعموم اللفظ فهي عامة في المشركين والمكذبين المجادلين في آيات الله وأحاديث رسوله ﷺ لصرفها عن مراد الله إحقاقاً لباطلهم وإثباتاً لمذهبهم الفاسد .
(٢) الأغلال جمع غل بضم الغين : حلقة من قد «جلد» أو حديد محيط بالعتق . سئل ابن عرفة هل يجوز أن يقاد اليوم الأسير والجاني بالغل في عنقه؟ قال لا يجوز وإنما يقاد الجاني من يده لنهي رسول الله ﷺ عن الإحراق بالنار وقال إنما يعذب بالنار رب النار .

هو ماء حار تناهى في الحرارة ثم في النار يسجرون أي توقد بهم النار كما توقد بالحطب، هذا عذاب جسماني ووراءه عذاب روحاني إذ تقول لهم الملائكة توبيحاً وتبكيئاً وتأنيباً وتقريباً: ﴿أين ما كنتم تشركون﴾ أي أين أوثانكم التي كنتم تعبدونها مع الله؟ فيقولون: ضلوا عنا أي غابوا فلم نرهم، بل ما كنا ندعو من قبل شيئاً هذا إنكار منهم حملهم عليه الخوف أو هو بحسب الواقع أنهم ما كانوا يعبدون شيئاً إذ عبادة الأصنام ليست شيئاً لبطانها.

وقوله ﴿ذلك بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ أي حل بكم هذا العذاب بسبب فرحكم بالباطل من شرك وتكذيب وفسق وفجور، في الدنيا، وبسبب مرحكم أيضاً وهو أشد الفرح وأخيراً يقال لهم ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ باباً بعد باب وهي أبواب الدركات ﴿خالدين فيها﴾ لا تموتون ولا تخرجون ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ أي ساء وقبح مثواكم في جهنم من مثوى أي مأوى.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

- ١ - التعجب من حال المكذبين بآيات الله المجادلين فيها كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح أدلته وقوة براهينه.
- ٢ - إبراز صورة واضحة للمكذبين بالآيات المجادلين لإبطال الحق وهم في جهنم يقاسون العذاب بعد أن وضعت الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون.
- ٣ - ذم الفرح بغير فضل الله ورحمته، وذم المرح وهو أشد الفرح.
- ٤ - ذم التكبر وسوء عاقبة المتكبرين الذين يمنعهم الكبر من الاعتراف بالحق ويحملهم على احتقار الناس وازدراء الضعفاء منهم.

(١) قال مجاهد يطرحون في النار فيكونون وقوداً لها: يقال سجرت التنور أي أوقدته وسجرته ملأته أيضاً ومنه والبحر المسجور أي المملوء. وشاهد آخر في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾.

(٢) الاستفهام بأين يكون عن المكان وأريد به هنا التنبيه على الخلط والفضيحة في الموقف.

(٣) ما مصدرية في الموضعين والتقدير أي ذلكم العذاب الذي وقعت فيه مسبب على فرحكم ومرحكم الذين كانا لكم في الدنيا إذ الأرض المراد بها الدنيا.

(٤) خالدين حال مقدرة أي مقدر خلودكم فيها و﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾ متفرع على الخلود والمخصوص بالذم محذوف تقديره جهنم.

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمًا
 نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفِئْنَاكَ فإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾
 وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
 وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ
 بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ
 لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى
 الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
 اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

فاصبر إن وعد الله حق : أي فاصبر يارسولنا على دعوتهم متحملاً أذاهم فإن وعد ربك
 بنصرك حق .

فإما نرينك بعض الذي نعدهم : أي من العذاب في حياتك .

منهم من قصصنا عليك : أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم وهم خمسة وعشرون .

أن يأتي بآية إلا بإذن الله : أي لأنهم عبيد مربوبون لا يفعلون إلا ما يأذن لهم به
 سيدهم .

وخسر هنالك المبطلون : أي هلك أهل الباطل بعذاب الله فخسروا كل شيء .

جعل لكم الأنعام : أي الإبل وإن كان لفظ الأنعام يشمل البقر والغنم أيضاً .

ولكم فيها منافع : أي من اللبن والنسل والوبر .

ولتبلغوا عليها حاجة في : أي حمل الأثقال وحمل أنفسكم من بلد إلى بلد، لأنها كسفن

صدوركم
فأي آيات الله تنكرون : أي فأي آية من تلك الآيات تنكرون فإنها لظهورها لا تقبل
الإنكار.

معنى الآيات :

بعد تلك الدعوة الإلهية للمشركين إلى الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء والتي تلون فيها الأسلوب وتنوعت فيها العبارات والمعاني ، والمشركون يزدادون عتواً قال تعالى لرسوله أمراً إياه بالصبر على الاستمرار على دعوته متحملاً الأذى في سبيلها ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ فيخبره بأن ما وعده به ربه حق وهو نصره عليهم وإظهار دعوة الحق ولو كره المشركون . وقوله ﴿فإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ أي من العذاب السديوي ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإلينا يرجعون﴾ فنعذبهم بأشد أنواع العذاب في جهنم ، وننعم عليك بجوارنا في دار الإنعام والتكريم أنت والمؤمنون معك . هذا ما دللت عليه الآية الأولى (٧٧) وقوله تعالى في الآية الثانية (٧٨) ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك﴾ يخبر تعالى رسوله مؤكداً له الخبر مسلياً له حاملاً له على الصبر بأنه أرسل من قبله رسلاً كثيرين منهم من قص خبرهم عليه ومنهم من لم يقصص^(١) وهم كثير وذلك بحسب الفائدة من القصص وعدمها وأنه لم يكن لأحدهم أن يأتي بآية كما طالب بذلك قومه ، والمراد من الآية المعجزة الخارقة للعادة ، إلا بإذن الله ، إذ هو الوهاب لما يشاء لمن يشاء ، فإذا جاء أمر الله بإهلاك المطالبين بالآيات تحدياً وعناداً ومكابرة قضى بالحق أي حكم الله تعالى بين الرسول وقومه المكذبين له المطالبين بالعذاب تحدياً ، فنجى رسوله والمؤمنين وخسر هنالك المبطلون من أهل الشرك والتكذيب .

وقوله تعالى في الآية الثالثة (٧٩) الله الذي جعل لكم الأنعام يعرفهم تعالى بنفسه مقررأ ربوبيته الموجبة لألوهيته فيقول الله أي المعبود بحق هو الذي جعل لكم الأنعام على وضعها الحالي الذي ترون لتركبوا منها وهي الإبل ، ومنها تأكلون ومن بعضها تأكلون كالبقرة والغنم ولا تركبون ، ولكن فيها منافع وهي الدرّ والوبر والصوف والشعر والجلود ولتبلغوا عليها حاجة في

(١) أمره تعالى رسوله بالصبر في الآية هو تسلياً له ﷺ إذ أخبره أنه ينتقم له من أعدائه في حياته أو في الآخرة وهذا كان لاستبطاء النبي ﷺ والمؤمنين النصر .

(٢) فأما أصلها فإن حرف شرط قرنت بما الزائدة للتأكيد ولذا الحقت نون التوكيد بفعل الشرط وعطف عليه أو توفينك وهو فعل شرط ثانٍ .

(٣) قال ابن كثير وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف وهو كذلك إذ لم يذكر في القرآن إلا خمسة وعشرون نبياً ورسولاً .

(٤) اللام متعلقة بجعل لكم الأنعام ومن في الموضوعين للتبويض أي تركبون من بعضها وتأكلون من بعضها .

صدوركم وهي حمل أفعالكم والوصول بها إلى أماكن بعيدة لا يتأتى لكم الوصول إليها بدون الإبل سفائن البر، وقوله وعليها أي على الإبل وعلى الفلك «السنن» تحملون أي يحملكم الله تعالى حسب تسخيرها لكم.

وأخيراً يقول تعالى بعد عرض هذه الآيات القرآنية والكونية يقول لكم ﴿ويريكم آياته﴾ في أنفسكم وفي الآفاق حولكم ﴿فأي آيات^(١) الله تنكرون﴾ وكلها واضحة في غاية الظهور والبيان والاستفهام للإنكار عليهم عليهم يرفعون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الصبر على دعوة الحق والعمل في ذلك إلى أن يحكم الله تعالى .
- ٢ - الآيات لا تعطي لأحد إلا بإذن الله تعالى إذ هو المعطي لها فهي تابعة لمشيئته .
- ٣ - من الرسل من لم يقصص الله تعالى أخبارهم ، ومنهم من قص وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً . وعدم القص لأخبارهم لا ينافي بيان عددهم إجمالاً لحديث أبي ذر في مسند أحمد أن أبا ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله كم عدّة الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشرة جماعاً غيراً .
- ٤ - ذكر مئة الله على الناس في جعل الأنعام صالحة للانتفاع بها أكلاً وركوباً لبعضها لعلهم يشكرون بالإيمان والطاعة والتوحيد .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

(١) اسم استفهام يطلب به تمييز شيء عن مشاركة في ما يضاف إليه أي وهو مستعمل هنا في إنكار أن يكون شيء من آيات الله يمكن أن يذكر دون غيره من الآيات فإفاد أن جميع الآيات صالحة للدلالة على وجود الله ووحديته في ألوهيته .

(٢) جمع بعضهم من ذكروا في القرآن من الآيات الآتية فقال

حتم على كل ذي التكليف معرفة
بأنبياء على التفصيل قد علموا
في تلك حجتنا منهم ثمانية
من بعد عشر وبقي سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا
ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

الرسول المجمع على أنهم رسل خمسة عشر وهم : نوح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، هود ، صالح ، شعيب ، موسى ، هارون ، عيسى ، يونس ، محمد ﷺ والمختلف في رسالتهم بعد الإجماع على نبوتهم باقي الخمسة والعشرين واختلف في نبوة لقمان وذئ القرنين والخضر ومريم عليهم السلام .

﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
 مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا
 رَأَوْا بِأَسْنَا قَالُوا أَمْ نَابِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَاكْفُرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
 مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنَّتَ
 اللّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ط وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

شرح الكلمات :

أفلم يسيروا في الأرض : أي أعجزوا فلم يسيروا في الأرض شمالاً وجنوباً وغرباً.
 كيف كان عاقبة الذين من : أي عاقبة المكذبين من قبلهم قوم عاد وثمود وأصحاب
 قبلهم مدین .

وآثاراً في الأرض : أي وأكثر تأثيراً في الأرض من حيث الإنشاء والتغيير.
 فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون: أي لم يمنع العذاب عنهم كسبهم الطائل وقوتهم المادية
 فرحوا بما عندهم من العلم : أي فرح الكافرون بما عندهم من العلم الذي هو الجهل
 بعينه .

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا : أي عذابنا الشديد النازل بهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية قريش بما يذكرهم به وما يعرض عليهم من صور حية لمن
 كذب ولمن آمن لعلمهم يهتدون قال تعالى ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ أي أعجزوا فلم يسيروا
 في الأرض أرض الجزيرة شمالاً ليروا آثار ثمود في مدائنها وجنوباً ليروا آثار عاد، وغرباً ليروا
 آثار أصحاب الأيكة قوم شعيب والمؤتفكات قرى قوم لوط : فينظروا نظر تفكر واعتبار كيف كان
 عاقبة الذين من قبلهم . كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض من مصانع وقصور وحدائق وجنات
 فما أغنى عنهم لما جاءهم العذاب ما كانوا يكسبونه من مال ورجال وقوة مادية .

(١) الفاء للتفريع وهمزة الاستفهام داخل على محذوف أي أعجزوا فلم يسيروا والاستفهام إنكاري ينكر عليهم عدم النظر
 في آثار الهالكين ليحصلوا على العبرة المطلوبة لهم ليؤمنوا ويوحداً فينجوا من العذاب .

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٨٢) أما الآية الثانية (٨٣) فهي قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ يخبر تعالى عن المكذبين الهالكين أنهم لما جاءتهم رسلهم بالحجج والأدلة الظاهرة على توحيد الله والبعث والجزاء وصدقهم في النبوة والرسالة ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ المادي وسخروا من العلم الروحي واستهزأوا بأهله فرحاً ومرحاً، ﴿وحاق بهم﴾ أي أحاط بهم العذاب الذي كان نتيجة كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم، فلما رأوا عذاب الله الشديد وقد حاق بهم أعلنوا عن توبتهم ﴿فقالوا آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي قالوا لا إله إلا الله. قال تعالى ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أي شديد عذابنا ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ وأخبر تعالى أن هذه سنة من سنته في خلقه وهي أن الإيمان لا ينفع عند معاينة العذاب إذ لو كان يقبل الإيمان عند رؤية العذاب وحلوله لما كفر كافر ولما دخل النار أحد. وقول ﴿وخسر هنالك﴾ أي عند رؤية العذاب وحلوله ﴿الكافرون﴾ أي المكذبون المستهزئون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات

- ١ - مشروعية السير في البلاد للعبظة والاعتبار تقوية للإيمان.
- ٢ - القوى المادية لا تغني عن أصحابها شيئاً إذا أرادهم الله بسوء.
- ٣ - بيان سنة بشرية وهي أن الماديين يغترون بمعارفهم المادية ليستغنوا بها عن العلوم الروحية في نظرهم إلا أنها لا تغني عنهم شيئاً عند حلول العذاب بهم في الدنيا وفي الآخرة.

(١) قال القرطبي فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلاثة أقوال قال مجاهد إن الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن أعلم منهم ولن نعذب ولن نبعث، وقيل فرحوا بما عندهم من علم الدنيا نحو يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل بما عندهم من العلم بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين.

(٢) سنة مصدر سنّ يسن سناً وسنه أي سن الله عز وجل في الكفار أنه لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب وجائز أن يكون سنة منصوب والإغراء والتحذير أي احذروا أيها المشركون سنة الله.

(٣) خسر هنالك هذه الجملة كالفعل لقله فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وهنالك اسم إشارة إلى مكان استعير للإشارة إلى الزمان أي خسروا وقت رؤيتهم بأسنا.

سُورَةُ فَصَّلَاتٍ^(١)

مكية

وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ
 آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ
 أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ
 مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
 فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾

شرح الكلمات :

حَمْدٌ : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب هكذا حَم، ويقرأ هكذا حَا
 مِيم .

تنزيل من الرحمن الرحيم: أي من الله إذ هو الرحمن الرحيم .

فصلت آياته : أي بينت آياته غاية البيان بلسان عربي لقوم يعلمون إذ هم الذين
 ينتفعون .

بشيراً ونذيراً : أي مبشراً أهل الإيمان والعمل الصالح بالفوز، ومنذراً المكذابين
 الكافرين بالخسران .

فأعرض أكثرهم : أي أعرض عن سماع القرآن أكثر مشركي مكة وكفار قريش .

فهم لا يسمعون : أي سماع تعقل وتدبر ليبتغوا بما يسمعون .

في أكِنَّةٍ : أي أغطية جمع كنان: ما فيه يكن الشيء ويستتر .

(١) وتسمى سورة حَم السجدة وتسمى سورة المصاييح وسورة الأموات لذكر المصاييح والأموات والسجدة وفصلت فيها .

وفي آذاننا وقر : أي ثقل فلم نطق السمع .

ومن بيننا وبينك حجاب : أي مانع وفاصل بيننا فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تفعل .

معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿حَمَّ﴾ هذا أحد الحروف المقطعة وتفسيره أن يقال فيه وفي أمثاله من الحروف المقطعة الله أعلم بمراده به . وقد ذكرنا ما أثرنا عن أهل العلم فائدتين هامتين لمثل هذه الحروف المقطعة في أول سورة غافر، وفي العديد من السور المفتحة بهذه الحروف فليرجع إليها ولتعرف وتحفظ وقوله ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾^(١) أي هو منزله على عبده ورسوله محمد ﷺ وليس كما يقول المبطلون . وقوله ﴿كتاب فصلت آياته﴾ أي هو كتاب فخم جليل القدر فصلت آيته أي بينت حال كون ذلك التفصيل ﴿قرآنأ عربياً لقوم يعلمون﴾^(٢) لسان العرب ويفهمون معاني الكلام وأسراره . وقوله ﴿بشيراً ونذيراً﴾ وحال كونه أيضاً بشيراً لأهل الإيمان وصالح الأعمال بالفوز بالجنة والنجاة من النار؟ ونذيراً للمشركين المكذبين من عذاب النار، وقوله تعالى : ﴿فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ يخبر تعالى أنه مع بيان الكتاب ووضوح ما جاء به ودعا إليه من التوحيد والخير أعرض أكثر كفار قريش عنه ولم يلتفتوا إليه فهم لا يسمعون ولا يريدون سماعه بحال، وقالوا معذرين بأقبح الأعذار: قلوبنا في أكنة أي أغطية تسترها من أجل أن لا نفهم ما تدعوننا إليه من التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء المقتضي لمتابعتك والسير وراءك، وفي آذاننا وقر أي ثقل فلا تقوى على سماع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب ساتر وحائل لنا عنك فلا نسمع ما تقول ولا نرى ما تعمل فاتركنا كما تركناك، واعمل على نصرة دينك فإننا عاملون كذلك على نصرة ديننا والحفاظ على معتقداتنا وهذه نهاية المفاصلة التي أبدتها قريش للرسول ﷺ .

(١) تنزيل مبتدأ وسوخ الابتداء به ما في التكثير من معنى التعظيم كأن قيل تنزيل عظيم ومن الرحمن الرحيم الخبر وكتاب بدل من تنزيل وفصلت صفة لكتاب .

(٢) في إعراب قرآنأ عدة وجوه أظهرها أن النصب على الحال وجائز أن يكون على الاختصاص بالمدح .

(٣) فأعرض أكثر هؤلاء عما في القرآن من الهدى فلم يهتدوا ومن البشارة فلم يعنوا بها ومن النذارة فلم يحذروها فكانوا في أشد الحماقاة إذ لم يُعنوا بالخير ولم يحذروا الشر فلم يأخذوا بالحيطه لأنفسهم .

(٤) روي أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً فقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه .

(٥) وقيل اعمل على هلاكنا فإننا عاملون على هلاكك وقيل غير هذا وما في التفسير أولى .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تعيّن تعلم اللغة العربية على كل مسلم يريد أن يفهم كلام الله القرآن العظيم.
- ٢ - اشتمال القرآن على أسلوب الترغيب والترهيب وهي البشارة والنذارة.
- ٣ - بيان شدة عداوة المشركين للتوحيد والداعين إليه في كل زمان ومكان.

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ
 أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ
 لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ
 هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
 أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

شرح الكلمات :

- قل إنما أنا بشر مثلكم : أي لست ملكاً وإنما أنا بشر مثلكم من بني آدم .
 يوحى إلي إنما الهكم إله واحد : أي يوحى الله إلي بأن الهكم أي معبودكم أيها الناس إله واحد لا ثاني له ولا أكثر .
 فاستقيموا إليه : يا خلاص العباد له دون سواه .^(١)
 واستغفروه : أي اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم قبل الاستقامة من الشرك والمعاصي .
 وويل للمشركين : أي عذاب شديد سيحل بهم لإغضابهم الرب بمضاداته بآلهة باطلة .

(١) شاهده قول الأصوليين ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب وما دام لا يفهم الشرع إلا بلغة القرآن وجب تعلم هذه اللغة .
 (٢) ذنوبكم التي قارفتوها من الشرك والمعاصي قبل التوبة التي هي الاستقامة على طاعة الله ورسوله ﷺ .

لا يؤتون الزكاة : أي زكاة أموالهم وزكاة أنفسهم بما يُظهرها من أضرار الشرك والمعاصي .
 لهم أجر غير ممنون : أي ثواب الآخرة وهو الجنة ونعيمها لا ينقطع بحال هو أجر غير ممنون .

معنى الآيات :

إنه بعد تلك المفاصلة التي قام بها المشركون حفاظاً على الوثنية وجهل الجاهلية أمر تعالى رسوله أن يقول لهم إنما أنا بشر مثلكم في آدميتي لم أدع يوماً غيرها فلم أقل إني ملك، إلا أنني أفضلكم بشيء وهو أنه يوحى إليّ من قبل ربي، والموحي به إلي هو أنما الحكم الحق إله واحد لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته، وعليه فاخلعوا تلك الأوثان واستقيموا إليه تعالى بإخلاص العبادة والوجوه إليه، واستغفروه من آثار الذنب السابق قبل الاستقامة على الإيمان والتوحيد وقوله تعالى : ﴿وويل للمشركين﴾ يخبر تعالى أن الويل وهو مُرُّ العذاب إذ من معاني الويل أنه صديد وقيح أهل النار وما يسيل من أبدانهم وفروجهم للمشركين بربهم الذين لا يؤتون زكاة أموالهم، وهم بالآخرة هم كافرون أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء فلذا هم لا يتركون شراً ولا يفعلون خيراً إلا ما قل ونذر والنادر لا حكم له .

وقوله تعالى : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنوا بالله وعده ووعيده وشرعه وعملوا الصالحات بأداء الفرائض والكثير من النوافل بعد تجنبهم الشرك والكبائر من الذنوب والمعاصي هؤلاء لهم أجر غير ممنون مقابل إيمانهم وصالح أعمالهم، والأجر هو الثواب والمراد به الجنة إذ نعيمها لا ينقطع على من ناله وفاز به بحال من الأحوال .

هداية الآيات :

١ - تقرير النبوة والتوحيد .

٢ - وجوب الاستقامة على شرع الله .

٣ - وجوب الاستغفار من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً .

٤ - وجوب الزكاة في الأموال، ووجوب تزكية النفوس بالإيمان وصالح الأعمال .

(١) استقيموا إليه أي وجهوا وجوهكم بالدعاء له والمسألة إليه كما يقال للرجل استقم إلى منزلك أي لا تعرج إلى شيء غير القصد إليه .

(٢) قال ابن عباس لا تؤتون الزكاة أي لا يشهدون أن لا إله إلا الله وهي زكاة الأنفس لأن السورة مكية والزكاة فرضت بالمدينة وقال بعضهم إن قريشاً كانوا ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك من آمن بمحمد ﷺ فنزلت هذه الآية .

(٣) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً نشأ عن الوعيد المتقدم فكان سائلاً يقول فإن اتعظ هؤلاء المشركون وتابوا من الشرك وترك المعاصي فما جزاؤهم؟ فالجواب أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون .

(٤) المن القطع ومن من صدقته فقد قطعها قال الشاعر:

لعمرك ما بابي بذني غلقت على الصديق ولا خيرى بممنون

﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾
 وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
 أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ
 فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾
 فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
 وَزَيْنَا السَّمَاءَ اللِّدْنِيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
 الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

- بالذي خلق الأرض في يومين : أي الأحد والاثنين .
 وتجعلون له أندادا : أي شركاء وهذا داخل في حيز الإنكار الشديد عليهم .
 ذلك رب العالمين : أي الله مالك العالمين وهم كل ما سواه عز وجل من سائر
 الخلائق .
 وجعل فيها رواسي : أي جبالاً ثوابت
 وبارك فيها : أي في الأرض بكثرة المياه والزرع والضرع .
 وقدر فيها أقواتها : أي أقوات الناس والبهائم .
 في أربعة أيام : أي في تمام أربعة أيام وهي الأحد والاثنين والثلاثاء
 والأربعاء .
 سواء للسائلين : أي في أربعة أيام هي سواء لمن يسأل فإنها لا زيادة فيها ولا
 نقصان .
 ثم استوى إلى السماء : أي قصد بإرادته الربانية إلى السماء وهي دخان قبل أن تكون
 سماء .

ففضاهن سبع سموات في يومين: أي الخميس والجمعة ولذا سميت الجمعة جمعة لاجتماع الخلق فيها.

وأوحى في كل سماء أمرها^(١) : أي ما أراد أن يكون فيها من الخلق والأعمال.

وزينا السماء الدنيا بمصابيح : أي بنجوم.

وحفظاً : أي وحفظناها من إستراق الشياطين السمع بالشهب الموجودة فيها.

ذلك تقدير العزيز العليم : أي خلق العزيز في ملكه العليم بخلقه.

معنى الآيات :

إنه بعد الإصرار على التكذيب والإنكار من المشركين أمر تعالى رسوله أن يقول لهم ﴿قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ إن كفرهم عجب منكم هل تعلمون بمن تكفرون إنكم لتكفرون بالذي خلق الأكوان كلها عليها وسفلها في ستة أيام، أين يذهب بعقولكم يا قوم أتستطيعون جحود الله تعالى وجحود آياته وهذه الأكوان كلها آيات شاهدات على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته وموجبة له الربوبية عليها والألوهية له فيها دون غيره من سائر خلقه وأعجب من ذلك أنكم تجعلون له أنداداً أي شركاء تسوونهم به وهم أصنام لا تسمع ولا تبصر فكيف تُسوئ بالذي خلق الأرض في يومين أي الأحد والاثنين، وهو رب العالمين أجمعين أي رب كل شيء ومليكه ومالكة.

وقوله تعالى في الآية الثانية (٩) ﴿وجعل فيها﴾ أي في الأرض رواسي أي جبالاً ثوابت ترسو في الأرض حتى لا تميد بأهلها ولا تميل فيخرب كل شيء عليها، ﴿وبارك فيها﴾ بكثرة المياه والرزق والضرع والخيرات ﴿وقدر فيها أوقاتها﴾ تقديرًا يعجز البيان عن وصفه، والقلم عن رقمه والآلات الحاسبة عن عدّه. وذلك كله من الخلق والتقدير ﴿في أربعة أيام سواء﴾ لمن يسأل عنها إنها الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء أي مقدره بأيامنا هذه التي تكونت نتيجة الشمس والقمر والليل والنهار فلا تزيد يوماً ولا تنقص آخر.

(١) الوحي : الكلام الخفي، ويطلق الوحي على حصول المعرفة في نفس من يراد حصولها عنده دون قول، ومنه فأوحى إليهم أي أومأ إليهم بما يدل على معنى سبحوا بكرة وعشياً قال الشاعر:

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقيب

(٢) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم أي لم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً؟ ومعنى الكفر به تعالى الكفر بانفراده بالألوهية. فلما أنكروا ألوهيته كان إنكارهم صفات ذاته فصح أنهم كفروا به.

(٣) قال قتادة ومجاهد: خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها في يومي الثلاثاء والأربعاء.

(٤) أي في تمة أربعة أيام.

وقوله ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ في الآية الثالثة (١٠) يخبر تعالى أنه بعد خلق الأرض استوى إلى السماء أي قصد بإرادته التي تعلو فوق كل إرادة ﴿إلى السماء وهي دخان﴾ أي بخار وسديم ارتفع من الماء الذي كان عرشه تعالى عليه فقال لها كما قال ﴿للأرض ائتيا طوعاً أو كرها﴾ أي طائعتين أو مكرهتين لا بد من مجيئكما حسب ما أردت وقصدت فأجابتا بما أخبر تعالى عنهما في قوله: ﴿قالتا أتينا طائعتين﴾ أي لم يكن لنا أن نخالف أمر ربنا، ﴿ففضاهن سبع سموات في يومين﴾ وهما الخميس والجمعة، ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ أي ما أراد أن يخلقه فيها ويعمرها به من المخلوقات والطاعات. وقوله: ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي النجوم وحفظاً أي وجعلناها أي النجوم حفظاً من الشياطين أن تسترق السمع فإن الملائكة يرحمونهم بالشهب من النجوم فيحترقون أو يخبلون. وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ أي ذلك المذكور من الخلق والتقدير تقدير العزيز في ملكه أي الغالب على أمره العليم بتدبير ملكه وأعمال وأحوال خلقه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - الكفر بالله لا ذنب فوقه فما بعد الكفر ذنب، وهو عجيب وأعجب منه اتخاذ أصنام وأحجار أوثاناً تعبد مع الله الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

٢ - بيان الأيام التي خلق الله فيها العوالم العلوية والسفلية وهي ستة أيام أي قدر ستة أيام من أيام الدنيا هذه مبدوءة بالأحد منتهية بالجمعة، وقدرة الله صالحة لخلق السموات والأرض وبكل ما فيها بكلمة التكوين «كن» ولكن لحكم عالية أرادها الله تعالى منها تعليم عباده الأناة والتدرج في إيجاد الأشياء شيئاً فشيئاً.

٤ - لا تعارض بين قوله تعالى في هذه الآية ثم استوى إلى السماء المشعر بأن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، وبين قوله، والأرض بعد ذلك دحاها من سورة والنازعات المفهم أن دَحَوَ الأرض كان بعد خلق السماء، إذ فسر تعالى دَحَوَ الأرض بإخراج مائها ومرعاها وهو ما ترعاه الحيوانات التي سيخلقها عليها، ثم قوله خلق الأرض في يومين على صورة يعلمها هو ولا نعلمها نحن،

(١) قال ابن عباس قال الله تعالى للسماء اطلمي شمسك وقمرك وكواكبك وأجري سحابك ورياحك وقال للأرض شقي أنهارك وأخرجي شجرك وثمارك طائعتين أو كارهتين ﴿قالتا أتينا طائعتين﴾.

(٢) في الأحاديث الصحيحة أن الله خلق آدم يوم الجمعة وأنه آخر أيام الأسبوع وأنه خيرها وأفضلها وأن اليهود والنصارى قد اختلفوا فيه فهدى الله الذين آمنوا إليه.

وتقدير الأقوات في قوله وقدر فيها أقواتها لا يستلزم أن يكون فعلا أظهر ما قدره إلى حيز الوجود، وحينئذ لا تعارض بين ما يدل من الآيات على خلق الأرض أولا ثم خلق السموات وهو الذي صرحت به الأحاديث إذ خلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وبعد أن خلق السموات دحا الأرض فأخرج منها ما قدره فيها من أقوات وأرزاق الحيوانات حسب سنته في ذلك.

٤ - بيان فائدتين عظيمتين للنجوم الأولى أنها زينة السماء بها تضاء وتشرق وتذهب الوحشة منها والثانية أن ترمي الشياطين بالشهب من النجوم ذات التاجج الناري.

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أُولَئِكَ كَانُوا فِي
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

(١) والثالثة الاهتداء بها في معرفة البلاد والقبلة قال تعالى «والنجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر».

شرح الكلمات :

- فإن أعرضوا : أي كفار قريش عن الإيمان والتوحيد بعد ذلك البيان المفصل .
 فقل أنذرتكم صاعقة : أي خوفتكم صاعقة تنزل بكم فتهلككم إن أصررتم على هذا الكفر .
 من بين أيديهم ومن خلفهم : أي أتتهم رسلهم تعرض عليهم دعوة الحق من أمامهم ومن ورائهم .
 لو شاء ربنا لأنزل ملائكة : أي بدلاً عنكم أيها الرسل من البشر .
 بغير الحق : أي بغير أن يأذن الله لهم بذلك العلو والاستكبار والتجبر .
 ريحاً صرصراً : أي ذات صوت يسمع له صرصرة مع البرودة الشديدة .
 في أيام نحسات : أي مشثومات عليهم لم يفلحوا بعدها .
 ولعذاب الآخرة أحرزى : أي أشد خزياً من عذاب الدنيا .
 فاستحبوا العمى على الهدى : أي استحبوا الكفر على الإيمان إذ الكفر ظلام والإيمان نور .
 الذين آمنوا وكانوا يتقون : أي الشرك والمعاصي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في طلب هداية قريش فقال تعالى : ﴿فإن أعرضوا﴾^(١) بعد ذلك البيان الذي تقدم لهم في الآيات السابقة المبين لقدرة الله وعلمه وحكمته والموجب للإيمان بالله ولقائه وتوحيده فقل لهم أنذرتكم أي خوفتكم صاعقة تنزل بكم إن أصررتم على إعراضكم مثل صاعقة عاد وثمود أي عذاباً مهلكاً كالذي أهلك الله به عاداً وثموداً .

وقوله : ﴿إذ جاءتهم الرسل﴾ وهم هود وصالح من بين أيديهم ومن خلفهم كناية أن الرسول بلغهم دعوة الله لهم إلى الإيمان والتوحيد بعناية فائقة فكان يأتيهم من أمامهم ومن خلفهم يدعوهم ، قائلاً لهم : لا تعبدوا إلا الله فإنه الإله الحق وما عداه باطل فكان جوابهم لهم لا نؤمن لكم ولا نقبل منكم لو شاء الله ما تقولون لنا لأنزل به ملائكة يدعوننا إليه لا أن يرسل مثلكم من البشر وأخيراً قالوا لهم فإننا بما أرسلتم به كافرون فأياسوا الرسل من إجابتهم . هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (١٢) والثانية (١٣) وفي الآية الثالثة (١٤) بين تعالى حال القوم كلاً على حدة فقال فاما عاد أي قوم هود فاستكبروا في الأرض بغير الحق فحملهم الكبر الناجم عن القوة

(١) أي استمروا على إعراضهم بعد دعوتك إياهم والحاحك فيها .

(٢) الصاعقة حقيقتها أنها نار تخرج مع البرق تحرق ما تصيبه ، وتطلق على الحادثة المفيدة السريعة الإهلاك .

(٣) جملة الا تعبدوا إلا الله تفسير لجملة وجاءتهم الرسل .

(٤) هذا قول عاد وثمود لرسولهم هود وصالح فحكى بهذا اللفظ .

(٥) لما حكى الله تعالى قولتي عاد وثمود لرسولهم وهو قولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة فصل في هذه الآيات حال كل من القبيلتين إتماماً للتذكير بحالهما والموعظة بالعذاب الذي أصابهما فقال فاما عاد . الخ .

المادية على رفض دعوة هود عليه السلام وقالوا فيه وفي دعوته الكثير وقد مر في سورة هود وبآتي في سورة الأحقاف مفصلاً ما أجمل هنا، وقوله بغير الحق أي أن استكبارهم لاحق لهم فيه أولاً لضعفهم أمام قوة الله عز وجل، وثانياً لم يأذن الله تعالى لهم بالاستكبار فهو بغير حق إذاً. وقوله: ﴿وقالوا من أشد منا قوة﴾ وهذا منهم تحد صريح وعلو وعتو واضحان، ولذا تحداهم الله تعالى بالقوة فقال عز وجل أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة أي أعموا ولم يروا أن الله الذي خلقهم قطعاً هو أشد منهم قوة. إذ كل قوة لهم مصدرها الله هو خالقهم وواهب القوة لهم، فقوتهم ليست ذاتية ولكنها موهوبة إذ يُخلق أحدهم وهو لا يقدر على دفع أدنى شيء عن نفسه وقوله: وكانوا بآياتنا يمجحدون هذا تسجيل عليهم أكبر ذنب وهو جحودهم بآيات الله التي جاء بها رسول الله هود عليه السلام كما جحدت قريش آيات الله، وقوله تعالى فأرسلنا أي بمجرد أن تأكد كفرهم بجحودهم بآيات الله أرسل الله تعالى عليهم ريحا صرصراً أي باردة ذات صوت مزعج دامت سبع ليال وثمانية أيام فلم تبق منهم أحداً وهي أيام نحسات عليهم مشؤمات قال تعالى لنذيقهم أي أرسلناهم عليهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا. ولعذاب الآخرة أخزى أي أشد خزياً وإهانة لهم وذلة، وهم لا ينصرون أي لا ناصر لهم من الله عز وجل. هذا بيان حال عاد. وأما ثمود فقد قال تعالى وأما ثمود قوم صالح فاستحبوا الضلال على الهدى والكفر على الإيمان وقتلوا الناقة وهُمُوا بقتل صالح فأخذتهم صاعقة العذاب الهون وذلك صباح السبت فأخذتهم صيحة انخلت لها قلوبهم فرجفت الأرض من تحتهم فهلكوا عن آخرهم، وذلك بما كانوا يكسبون من الشرك والظلم والكفر والعناد. ونجى الله تعالى صالحاً ومن معه من المؤمنين الذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والمعاصي وكانوا أربعة آلاف مؤمن ومؤمنة وهو معنى قوله تعالى في ختام الحديث: ونجيناً الذين آمنوا وكانوا يتقون.

(١) وهذا اغترار بقوة أجسامهم حين تهددهم هود بالعذاب.

(٢) أصلها من صرر من الصر وهو البرد فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل نحو ككبوا أصلها كيبوا وتجفف الثوب أصلها تجفف والصرصر هي الشديدة البرودة قال الحطية:

المطعمون إذا هبت بصرصرة الحاملون إذا استودوا على الناس

ومعنى استودوا إذا ستلوا الدية.

(٣) قرأ نافع بسكون الحاء ويجوز كسرهما وبه قرأ حفص على أنه صفة مشبهة من نحس إذا أصابه النحس إصابة سوء أو ضرر والنحسات بسكون الحاء جمع نحس.

(٤) شروع في تفصيل حال ثمود بعد عاد والهداية التي كانت لهم هداية إرشاد وتكليف بواسطة رسولهم صالح وما آتاهم الله من معجزة الناقة العظيمة.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - التحذير من الإعراض عن إجابة دعوة الحق ، والاستمرار في التمرد والعصيان .
- ٢ - تقرير التوحيد وهو أن لا إله إلا الله .
- ٣ - دعوة الرسل واحدة وهي الأمر بالكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله وعبادته وحده بما شرع للناس من عبادات .
- ٤ - التنديد بالاستكبار وأنه سبب الكفر والعصيان .
- ٥ - لا مصيبة إلا بذنب «بما كانوا يكسبون» أي من الذنوب .
- ٦ - الإيمان والتقوى هما سبيل النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة وهما ركنا الولاية ولاية الله تعالى لقوله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .

وَيَوْمَ يُحْشَرُ

أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَئِن لَّوُجِدُوهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا لَعَلَّنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

(١) أي لقوله تعالى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون أي بسبب كسبهم السيئات .
(٢) الآية من سورة يوسف عليه السلام .

شرح الكلمات :

- فهم يوزعون : أي يحبس أولهم ليلحق آخرهم ليساقوا إلى النار مجتمعين .
 حتى إذا ما جاءوها : أي حتى إذا جاءوها أي النار .
 بما كانوا يعملون : أي من الذنوب والمعاصي .
 وهو خلقكم أول مرة : أي بدأ خلقكم في الدنيا فخلقكم ثم أماتكم ثم أحياكم .
 وما كنتم تستترون : أي عند ارتكابكم الفواحش والذنوب أي تستخفون من أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم فتركوا الفواحش والذنوب .
 ولكن ظننتم أن الله لا يعلم : أي ولكن عند ارتكابكم الفواحش ظننتم أن الله لا يعلم ذلك منكم .
 أرداكم : أي أهلككم .
 فإن يصبروا فالنار مثوى لهم : أي فإن صبروا على العذاب فالنار مثوى أي مأوى لهم .
 وإن يستعتبوا : أي يطلبوا العتبي وهي الرضا فلا يعتبون أي لا يرضى عنهم هذه حالهم أبداً .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة قريش إلى أصول الدين التوحيد والنبوة والبعث والجزاء وفي هذا السياق عرض لمشهد من مشاهد القيامة وهو مشهد حَيِّ رائع يعرض أمامهم .
 إذ يقول تعالى : ويوم يحشر أعداء الله إلى النار أي اذكر لهم يوم يحشر أعداء الله أي الذين كفروا به فلم يؤمنوا ولم يتقوا؛ إلى النار فهم يوزعون يحبس أولهم ليلحق آخرهم فيساقون مع بعضهم بعضاً . حتى إذا ما جاءوها أي انتهوا إليها، وادعوا أنهم مظلومون وأخذوا يتنصّلون من ذنوبهم، وقالوا إنهم لا يقبلون شاهداً من غير أنفسهم فيأمر الله تعالى أسماعهم وأبصارهم وجلودهم فتشهد عليهم بما كانوا يعملون، وهو قوله تعالى : ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ وهنا رجعوا إلى جلودهم يلومون عليهم ويعتبون وهو ما أخبر تعالى به في قوله : وقالوا لجلودهم ﴿لم شهدتم علينا﴾ فأجابتهم جلودهم بما أخبر تعالى عنهم في هذا السياق ﴿قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول

(١) يحشرون إلى النار أي يجمعون ويساقون إليها .

(٢) حرف ابتداء في اللفظ أي أن ما بعدها جملة مستأنفة إلا أنها تفيد معنى الغاية «وما» في ما جاءوها مزيدة للتوكيد .

(٣) شهادة جلودهم وجوارحهم عليهم هي شهادة تكذيب واقتضاح وإلا إدانتهم متحققة بصحائف أعمالهم وإجراء ضمائر السمع والبصر والجلود بصيغة جمع العقلاء لأن التماز معهم أنزلهم منزلة العقلاء .

مرة ﴿أي النشأة الأولى في الدنيا ثم أماتكم ثم أحياكم ﴿وإليه ترجعون﴾ وهأنتم قد رجعتم فالقادر على هذا كله قادر على أن ينطقنا وعلى كل شيء أراد إنطافه، وقوله ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾ أي وما كنتم تستخفون فتركوا محارم الله بل كنتم تجاهرون بذلك لعدم إيمانكم بالبعث والجزاء ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم﴾ وهو ظن سيء ﴿أرداكم﴾ أي أهلكم ﴿فأصبحتم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم وهذا هو الخسران المبين وقوله تعالى في الآية الأخيرة من هذا السياق (٢٣) فإن يصبروا أي أعداء الله الذين شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فالتار مثوى أي مأوى لهم لا يخرجون منها أبداً، وإن يستعتبوا أي يطلبوا العتبي أي الرضا فيرضى عنهم فيدخلوا الجنة ﴿فما هم بمبتغيين﴾ ^{من المعتدين} أي فما هو بحاصل لهم أبداً فهم إذا بشر التقديرين والعياذ بالله تعالى من حال أهل النار.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.
- ٢ - التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.
- ٣ - التحذير من سوء الظن بالله تعالى ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه .
أولا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه .
- ٤ - وجوب حسن الظن بالله تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال العجز عن الطاعات ولا سيما عند العجز عن العمل للمرض والضعف كالكبير ونحوه فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف .

﴿وَقِيضْنَا لَهُمْ﴾

قُرْنَاءَ فَرِيضَاتِهِمْ مَّابَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ

(١) في الصحيحين جادة ذكرت أنها سبب نزول هذه الآية وهي ان عبدالله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشيان وآخر قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر ان كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا. قال عبدالله فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وما كنتم تستترون﴾ الخ .

كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ
 وَالْغَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا
 شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ
 أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ هُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَأْتِينَ بِمُحَدِّثِينَ
 ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ
 وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

شرح الكلمات :

وقبضنا لهم قرناء : أي وبعثنا لكفار مكة المعرضين قرناء من الشياطين .

فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم : أي حسنوا لهم الكفر والشرك ، وإنكار البعث والجزاء .
 وحق عليهم القول في أمم قد خلت : أي وجب لهم العذاب في أمم مضت قبلهم من
 الجن والإنس .

والغوا فيه لعلكم تغلبون : أي الغطوا فيه بالباطل إذا سمعتم من يقرأه .
 ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون : أي بأقبح جزاء أعمالهم التي كانوا يعملون .
 أعداء الله : أي من كفروا به ولم يتقوه .

أرنا للذين أضلانا من الجن والإنس : أي إبليس من الجن ، وقابيل بن آدم .
 نجعلهما تحت أقدامنا : أي في أسفل النار ليكونا من الأسفلين .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المعرضين من كفار قريش ، فقال تعالى : ﴿وقبضنا^(١)
 لهم﴾ أي بعثنا لهم قرناء من الشياطين ، وذلك بعد أن أصروا على الباطل والشر فخبثوا
 خبثًا سهَّلَ لأخبار الجن الاقتران بهم فزينا لهم الكفر والمعاصي القبيحة في الدنيا فهي

(١) قبضنا : أتحنا وهيأتنا لهم قرناء أي شياطين يلازمونهم قد يكونون من الجن ومن الإنس إذ الشياطين من الجنسين .

هم منغمسون فيها، كما زينوا لهم الكفر بالبعث والجزاء وإنكار الجنة والنار حتى لا يقصروا في الشر ولا يفعلوا الخير أبداً، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم، وما خلفهم.

وقوله تعالى: ﴿فحق عليهم القول﴾ أي بالعذاب ﴿في أمم^(١) قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ في حكم الله وقضائه بمقتضى سنة الله في الخسران. هذا ما دلت عليه الأولى (٢٥) وهي قوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين.﴾

وقوله تعالى في الآية الثانية (٢٦) ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ يخبر تعالى عن أولئك المعرضين عن كفار قريش وأنهم قالوا لبعضهم بعضاً لا تسمعوا لهذا القرآن الذي يقرأه محمد ﷺ حتى لا تتأثروا به، والغوا فيه أي الغطوا وصيحوا بكلام لهو وصفقوا وصفروا حتى لا يتأثر به من يسمعه من الناس لعلكم تغلبون أي رجاء أن تغلبوا محمداً على دينه فتبطلوه ويبقى دينكم. وهذا منتهى الكيد والمكر من أولئك المعرضين عن دعوة الإسلام.

وكان رد الله تعالى على هذا المكر في الآية التالية (٢٧) فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأنه سيذيق الذين كفروا عذاباً شديداً وذلك يوم القيامة وليجزينهم أسوأ أي أقبح الذي كانوا يعملون أي يجزيهم بحسب أقبح سيئاتهم التي كانوا يعملون. ثم قال تعالى: ذلك الجزاء المتوعد به الذين كفروا هو جزاء أعداء الله الذين حاربوا رسوله ودعوته وحتى كتابه أيضاً. وذلك الجزاء هو النار لهم فيها دار الخلد أي الإقامة الدائمة جزاء بما كانوا بأياتنا يجحدون فلم يؤمنوا بها ولم يعملوا بما فيها وقوله تعالى في الآية (٢٩) وقال الذين كفروا الآية

(١) في أمم حال من الضمير في عليهم أي حق عليهم حالة كونهم في أمم أمثالهم قد سبقوهم والظرفية هنا مجازية بمعنى التبعية أي هم من جملة أمم فدخلت من قبلهم قال الشاعر:

إن تك عن أحسن الصنعة مأفو كافي آخرين قد أنكروا

(٢) قال ابن عباس كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان أبو جهل وغيره يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا له والغوا فيه فكانوا يأتون بالمكاء والصفير والصباح وفي الصحيح أنهم أخرجوا أبا بكر من مكة خوفاً أن يفتن أبناءهم ونساءهم بقراءته القرآن لرقعة صوته وبكائه.

(٣) دار الخلد هي النار نزلت النار منزل الظرف فكانت بذلك دار الخلد والخلد البقاء المؤبد في عالم الشقاء.

يخبر تعالى عن الكافرين وهم في النار إذ يقولون ربنا أي ياربنا أربنا اللذين أضلانا من الجن والإنس أي اللذين كانا سببا في إضلالنا بتزيينهم لنا الباطل وتقييحهم لنا الحق أربانهم نجعلهما تحت أقدامنا في النار ليكونا من الأسفلين أي في الدرك الأسفل من النار إذا النار دركات واحدة تحت الأخرى.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة الله تعالى في العبد إذا عرض عن الحق الذي هو الاسلام فخبث من جراء كسبه . الشر والباطل وتوغله في الظلم والفساد يبعث الله تعالى عليه شيطانا يكون قرينا له فيزين له كل قبيح ، ويقبح له كل حسن .
- ٢ - بيان ما كان المشركون يكدون به الإسلام ويحاربونه به حتى باللغو عند قراءة القرآن حتى لا يسمع ولا يهتدي به .
- ٣ - تقرير البعث والجزاء .
- ٤ - بيان نعمة أهل النار على من كان سببا في إضلالهم وإغوائهم ، ومن سن لهم سنة شريعملون بها كإبليس ، وقابيل بن آدم عليه السلام . إذ الأول سن كل شر والثاني سن سنة القتل ظلما وعدوانا .

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾

(١) أربنا أي عين لنا الذين أضلانا من الجن والإنس كناية عن إرادة الانتقام منهم بأن يطوهم بأقدامهم انتقاماً منهم وتعذيباً لهم لأنهم كانوا السبب في شقوتهم قرأ الجمهور أربنا بكسر الراء وقرأ غيرهم بسكون الراء أربنا كما خففوا فخذ إلى فخذ بسكون الخاء .

(٢) هذا التعليل أرادوا به التوطئة لاستجابة الله تعالى لما علموا من غضب الله تعالى فأرادوا أن يتوسلوا إليه تعالى بذلك .

شرح الكلمات :

قالوا ربنا الله : قالوا ذلك معلنين عن إيمانهم بأن الله هو ربهم الذي لا رب لهم غيره
واللهم الذي لا إله لهم سواه .

ثم استقاموا : أي ثبتوا على ذلك فلم يبدلوا ولم يغيروا ولم يتركوا عبادة الله بفعل
الأوامر وترك النواهي .

تنزل عليهم الملائكة : أي عند الموت وعند الخروج من القبر بحيث تتلقاهم هناك .
أن لا تخافوا ولا تحزنوا : أي بأن لا تخافوا مما أنتم مقبلون عليه فإنه رضوان الله ورحمته ولا
تحزنوا عما خلفتم وراءكم .

نحن أولياؤكم في الحياة : أي فبحكم ولايتنا لكم في الدنيا والآخرة فلا تخافوا ولا تحزنوا .
الدنيا وفي الآخرة

ولكم فيها ما تدعون : أي ولكم فيها ما تطلبون من سائر المنشهيات لكم .
نزلا من غفور رحيم : أي رزقا مهياً لكم من فضل رب غفور رحيم .

معنى الآيات :

لما بين تعالى حال الكافرين في الدار الآخرة وهي أسوأ حال بين حال المؤمنين في الآخرة
وهي أحسن حال وأطيب مآل فقال إن الذين قالوا ربنا الله أي لا رب لنا غيره ولا إله لنا سواه، ثم
استقاموا فلم يشركوا به في عبادته أحداً فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي وماتوا على ذلك هؤلاء
تنزل عليهم الملائكة أي تهبط عليهم وذلك عند الموت بأن تقول لهم لا تخافوا على ما أنتم
مقدمون عليه من البرزخ والدار الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم وأبشروا بالجنة دار
السلام التي كنتم توعدها في الكتاب وعلى لسان الرسول . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا إذا

(١) في صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك
وفي رواية غيرك . قال : قل أمنت بالله ثم استقم وزاد الترمذي قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ قال فأخذ بلسان
نفسه وقال هذا .

(٢) ذكر القرطبي في تفسير الاستقامة أكثر من عشرة أقوال للصحابة والسلف، ثم قال وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها
«اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلًا وداوموا على ذلك» .

(٣) قال وكيع وابن أبي زيد البشري في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وشاهد هذا قوله ﷺ من أحب لقاء الله
أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قلنا يا رسول الله كلنا نكره الموت : قال ﷺ ليس ذلك كراهة الموت ولكن
المؤمن إذا حُضِرَ جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون لقي الله تعالى فأحب الله
لقاءه قال وإن الفاجر والكافر إذا حُضِرَ جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكراهة لقاء الله فكراهة لقاءه قال
ابن كثير وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه .

كنا نسددكم ونحفظكم من الوقوع في المعاصي ، وفي الآخرة نستقبلكم عند الخروج من قبوركم حتى تدخلوا الجنة ربكم . ولكم فيها أي في الجنة ما تشتهي أنفسكم من الملاذ ولكم فيها ما تدعون أي تطلبون مما ترغبون فيه وتشتهون . نزلا أي قرى وضيافة من لدن رب غفور لكم رحيم بكم لا إله إلا هو ولا رب سواه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - فضل الإيمان والاستقامة عليه بأداء الفرائض واجتناب النواهي .
- ٢ - بشرى أهل الإيمان والاستقامة عند الموت بالجنة وهؤلاء هم أولياء الله المؤمنون المتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي هذه وفي الآخرة عند خروجهم من قبورهم .
- ٣ - في الجنة ما تشتهي الأنفس وتلذه الأعين ، ولأحدهم كل ما يطلبه ويدعيه وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم وتلقي التحية منه والتسليم .

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ
 إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
 ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
 وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا
 إِلَّا أَلْدُو حَظٌّ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله أي لا أحد أحسن قولاً منه أي ممن دعا إلى توحيد الله وطاعته .

وعمل صالحاً وقال إنني من : وعمل صالحاً وهي شرط أيضاً وقال إنني من المسلمين شرط المسلمين ثالث .

- ولا تستوي الحسنة ولا السيئة : أي لا تكون الحسنة كالسيئة ولا السيئة كالحسنة .
 ادفع بالتي هي أحسن : أي ادفع أيها المؤمن السيئة بالخصلة التي هي أحسن كالغضب بالرضى ، والقطيعة بالصلة .
 كأنه ولي حميم : أي كأنه صديق قريب في محبته لك إذا فعلت ذلك .
 وما يلقاها إلا الذين صبروا : أي وما يعطي هذه الخصلة التي هي أحسن .
 إلا ذو حظ عظيم : أي ثواب عظيم وأجر جزيل هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالخلق الحسن والكمال .
 وإما ينزغنك من الشيطان نزغ : أي وإن يوسوس لك الشيطان بترك خير أو فعل شر .
 فاستعد بالله : أي فاستجر بالله قائلًا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .
 إنه هو السميع العليم : أي هو تعالى السميع لأقوال عباده العليم بما يصيهم وينزل بهم .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى بشرى أهل الإيمان وصالح الأعمال ذكر هنا بشرى ثانية لهم أيضاً فقال : ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ هذه ثلاثة شروط الأول دعوته إلى الله تعالى بأن يعبد فيطاع ولا يعص ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر والثاني وعمل صالحاً فأدى الفرائض واجتنب المحارم ، والثالث وفاخر بالإسلام معتزلاً به وقال إنني من المسلمين ، فلا أحد أحسن قولاً من هذا الذي ذكرت شروط كما له ، ويدخل في هذا أولاً الرسل ، وثانياً العلماء ، وثالثاً المجاهدون ورابعاً المؤذنون وخامساً الدعاة الهداة المهديون هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٢٣) . وقوله تعالى : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ هذا تقرير إلهي يجب أن يعلم وهو أن الحسنة لا تستوي مع السيئة وأن السيئة لا تستوي مع الحسنة فالإيمان لا يساوي بالكفر ، والتقوى لا تساوي بالفجور ، والعدل لا يساوي بالظلم .

كما أن أن جنس الحسنات لا يتساوى ، وجنس السيئات لا يتساوى بل يتفاضل فصيام رمضان لا يساوي بصيام رجب أو محرم تطوعاً ، وسيئة قتل المؤمن لا تستوي مع شتمه أو ضربه وقوله

(١) يدخل في هذه الآية دخولاً أولياً رسول الله ﷺ إذ هو أحق وأجدر وهي نازلة فيه ردأ على الذين يلغون في القرآن عند سماعه وهي تتناول كل مؤمن متصف بهذه الصفات المعبر عنها في التفسير بالشروط .

(٢) لا في قوله ولا السيئة صلة زيدت للتأكيد إذ الأصل ولا تستوي الحسنة والسيئة وشاهدها قول الشاعر :
 ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان أبو بكر ولا عمر

تعالى : ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾^(١) أي بعد أن عرفت يارسلونا عدم تساوي الحسنه مع السيئه إذا فادفع السيئه بالخصلة التي هي أحسن من غيرها فإذا الذي بينك وبينه عداوة قد انقلب في بره بك واحترامه لك واحتفائه بك كأنه ابن عم لك يحبك ويحترمك ولما كانت هذه الخصلة وهي الدفع بالتي هي أحسن لا تتأتى إلا لدوي الأخلاق والفاضلة والنفوس الكاملة الشريفة قال تعالى : ﴿وما يلقاها﴾ أي وما يعطي هذه الخصلة ﴿إلا الذين صبروا﴾ فكان الصبر خلقاً من أخلاقهم ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ في الأخلاق والكمال النفسي ، في الدنيا، والأجر العظيم وهو الجنة في الآخرة .

وقوله تعالى : ﴿وما ينزغناك من الشيطان نزع فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾ يرشد الرب تعالى عبده ورسوله وكل فرد من أفراد أمته إن نزع من الشيطان نزع بأن وسوس له بفعل شر أو ترك خير، أو خطر له خاطر سوء أن يفزع إلى الله تعالى يستجير به فإن الله تعالى هو السميع العليم فالاستجارة به من الشيطان تحمي العبد وتقيه من وسواس الشيطان وما يلقيه في النفس من خواطر سيئة، والله الحمد والمنة على هذه الارشاد الرباني الذي لا يستغنى عنه أحد من عباده .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف الدعاة العاملين .
- ٢ - فضل الإسلام والاعتزاز به والتفاخر الصادق به .
- ٣ - تقرير أن الحسنه لا تتساوى مع السيئه . كما أن الحسنات تتفاوت والسيئات تتفاوت .
- ٤ - وجوب دفع السيئه من الأخ المسلم بالحسنه من القول والفعل .
- ٥ - فضل العبد الذي يكمل في نفسه وخلقها فيصبح يدفع السيئه بالحسنه .

(١) قال ابن عباس ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك . وقيل أيضا هو الرجل يسب الرجل فيقول المسبوب إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك وقال مجاهد هي أن يسلم المرء على من يعاديه إذا لقيه فهو معنى (بالتى هي أحسن) .

(٢) قال ابن عباس في هذه الآية ادفع بالتي هي أحسن إلى قوله ولي حميم امره الله تعالى بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة وهو كما قال رضي الله عنه .

(٣) فائدة الاستعاذة بالنسبة إلى الرسول ﷺ تجديد داعية العصمة المركوزة في نفس النبي ﷺ لأن الاستعاذة بالله من الشيطان استمداد للنعمة وصقل للنفس مما يغان على القلب كما قال الرسول ﷺ : إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة .

٦ - وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم إذا وسوس أو ألقى بخاطر سوء إذ لا يقي منه ولا يحفظ إلا الله السميع العليم .

وَمِنْ آيَاتِهِ

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ

وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ

رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ ﴿٣٨﴾

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ

أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِن الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُحْيِي الْمَوْقِعُ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

ومن آياته : أي ومن جملة آياته الدالة على ألوهية الرب تعالى وحده .

الليل والنهار : أي وجود الليل والنهار والشمس والقمر .

لا تسجدوا للشمس ولا للقمر : أي لا تعبدوا الشمس ولا القمر فإنهما من جملة مخلوقاته الدالة عليه .

إن كنتم إياه تعبدون : أي إن كنتم حقا تريدون عبادته فاعبدوه وحده فإن العبادة لا تصلح لغيره .

فالذين عند ربك : أي الملائكة .

وهم لا يسأمون : أي لا يملون من عبادته ولا يكلون .

ترى الأرض خاشعة : أي يابسة جامدة لا نبات فيها ولا حياة .

اهتزت وربت : أي تحركت ، وانتفخت وظهر النبات فيها .

إن الذي أحياها لمحيي الموتى : أي إن الذي أحيا الأرض قادر على إحياء الموتى يوم القيامة .

معنى الآيات :

قوله تعالى ومن آياته أي ومن جملة آياته العديدة الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته والموجبة للإيمان به وعبادته وتوحيده ، الليل والنهار وتعاقبهما وانتظام ذلك بينهما فليس الليل سابق النهار، وكذا الشمس والقمر خلقهما وسيرهما في فلكيهما بانتظام ودقة فائقة وحساب دقيق وعليه فلا تسجدوا للشمس ولا للقمر أيها الناس فانهما مخلوقان من جملة المخلوقات ، ولكن اسجدوا لخالقهما إن كنتم إياه تعبدون كما تزعمون . ثم قال تعالى : لرسوله فإن أبوا أن يستجيبوا لك ويسمعوا ما قلت لهم مستكبرين فاعلم أن الذين عند ربك وهم الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون من ذلك ولا يملون .

وقوله : ومن آياته أي علامات قدرته على إحياء الموتى للبعث والجزاء إنك أيها الإنسان ترى الأرض أيام المحل والجذب هامة جامدة لا حركة لها فإذا أنزل الله تعالى عليها ماء المطر اهتزت وربت أي تحركت تربتها وانتفخت وعلاها النبات وظهرت فيها الحياة كذلك إذا أراد الله إحياء الموتى أنزل عليهم ماء من السماء وذلك بين النفختين نفخة الفناء ونفخة البعث فينبتون كما ينبت البقل وقوله : إن الذي أحيها بعد موتها لمحبي الموتى إنه تعالى على فعل كل شيء أرادته قدير لا يمتنع عنه ولا يعجزه ، وكيف لا ، وهو إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد بالأدلة القطعية الموجبة لله العباداة دون غيره من خلقه .
- ٢ - بيان أن هناك من الناس من يعبدون الشمس ويسجدون لها من العرب والعجم وأن ذلك شرك باطل فالعبادة لا تكون للمخلوقات الخاضعة في حياتها للخالق وإنما تكون لخالقها ومسخرها لمنافع خلقه .
- ٤ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر دليل من أظهر الأدلة وهو موت الأرض بالجذب ثم حياتها

(١) لا شك أن هناك من كان يسجد للشمس في بلاد العرب ففي اليمن كانوا يعبدون الشمس على عهد ملكة سبأ لقوله تعالى على لسان الهمداني ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ ووجد في أصنام قريش صنم يقال له شمس ولذا سموا عبد شمس .

(٢) لا شك أن هنا سجدة من عزائم السجديات إلا أنهم اختلفوا في موضع السجود فمالك يرى أنه يسجد عند قوله ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم يرى السجود عند ﴿وهم لا يسأمون﴾ والأمر واسع ففي أي الموضعين سجد أجزاء والحمد لله .

(٣) في الآية تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير عقيدة الألوهية وسأيتي في الآيات بعد تقرير النبوة المحمدية وهذه أعظم أركان العقيدة الإسلامية . التوحيد البعث والجزاء والنبوة وباقي أركان العقيدة تابعة لهذه الأركان العظيمة .

بالغيث، إذ لا فرق بين حياة النبات والأشجار في الأرض بالماء وبين حياة الإنسان بالماء كذلك في الأرض بعد تهيئة الفرصة لذلك بعد نفخة الفناء ومضي أربعين عاماً عليها ينزل من السماء ماء فيحيا الناس وينبتون من عجب الذنب كما ينبت النبات، بالبذرة الكامنة في التربة.

٥ - تقرير قدرة الله على كل شيء أرادته، وهذه الصفة خاصة به تعالى موجبة لعبادته وطاعته. بعد الإيمان به وتأليهه.

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَتْرَبِلُ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ ﴿٤٢﴾

شرح الكلمات :

- يلحدون في آياتنا : أي يجادلون فيها ويميلون بها فيؤلونها على غير تأويلها لابطال حق أو إحقاق باطل.
- لا يخفون علينا : أي إنهم مكشوفون أمامنا وسوف نبطش بهم جزاء إلحادهم.
- أم من يأتي آمناً يوم القيامة : أي نعم الذي يأتي آمناً يوم القيامة خير ممن يلقي في النار.
- اعملوا ما شئتم : هذا تهديد لهم على إلحادهم وليس إذناً لهم في العمل كما شاءوا.
- إن الذين كفروا بالذکر : أي جحدوا بالقرآن أو الحدوا فيه فكفروا بذلك.
- وإنه لكتاب عزيز : أي القرآن لكتاب عزيز أي منيع لا يقدر على الزيادة فيه ولا النقص منه.
- لا يأتيه الباطل من بين يديه : أي لا يقدر شيطان من الجن والإنس أن يزيد فيه شيئاً وهذا معنى من بين يديه.
- ولا من خلفه . : أي ولا يقدر شيطان من الجن ولا من الإنس أن ينقص منه شيئاً

وهذا معنى من خلفه، كما أنه ليس قبله كتاب ينتقصه، ولا بعده كتاب ينسخه، فهو كله حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع.

معنى الآيات :

يتوعد الجبار عز وجل الذين يلحدون في آيات كتابه بالتحريف والتبديل والتغيير بأنهم لا يخفون عليه، وأنه سينزل بهم نقمته إن لم يكفوا عن إلحادهم.

وقوله: أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة إذا كان لا يوجد عاقل يقول الذي يلقى في النار خير ممن يأتي آمناً يوم القيامة فالإلقاء في النار سببه الكفر والإلحاد والباطل فليترك هذه من أراد النجاة من النار، والأمن يوم القيامة من كل خوف من النار وغيرها سببه الإيمان والتوحيد فليؤمن ويوحده الله تعالى في عبادته ولا يلحد في آياته من أراد الأمن يوم القيامة بعلمه انه خير من الإلقاء في النار. هذا أسلوب في الدعوة عجيب انفرد به القرآن الكريم.

وقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم^(١) إنه بما تعملون بصير^(٢)﴾ هذا الكلام يقال للمستهترين بالأحكام الشرعية المستخفين بها فهو تهديد لهم وليس إذناً وإباحة لهم أن يفعلوا ما شاءوا من الباطل والشرك والشر، ويدل على التهديد قوله بعد إنه بما تعملون بصير.
ومثله قوله إن الذين كفروا بالذكر أي القرآن، وإنه لكتاب عزيز أي منيع بعيد المنال لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه بالزيادة والنقصان أو التبديل والتغيير.

ولما كان المراد من هذا الكلام التهديد سكت عن الخبر إذ هو أظهر من أن يذكر والعبارة قد تقصر عن أدائه بالصورة الواقعة له. وقد يقدر لنفعلن بهم كذا وكذا . . .

وقوله تنزيل من حكيم حميد أي القرآن المنيع كما له وشرفه ومناعته أتته أنه تنزيل من حكيم في أفعاله وسائر تصرفاته حميد بذلك وبغيره من فواضله وآلئه ونعمه.

(١) الأمر هنا ليس للإباحة وإنما هو للتهديد كما في التفسير.

(٢) قوله ﴿إنه بما تعملون بصير﴾ الجملة تعليلية متضمنة الوعيد والتهديد فهي مؤكدة لما تضمنه قوله تعالى ﴿اعملوا ما شئتم﴾ من التهديد.

(٣) الخبر مقدر تقديره: هالكون أو معذبون وما ذكر في التفسير في تقدير الخبر حسن.

(٤) معنى عزيز ممتنع عن الناس أن يقولوا مثله.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - حرمة الإلحاد في آيات الله بالميل بها عن القصد والخروج بها إلى الباطل .
- ٢ - التهديد الشديد لكل من يحرف آيات الله أو يُؤوِّلها على غير مراد الله منها .
- ٣ - تقرير مناعة القرآن وحفظ الله تعالى له ، وأنه لا يدخله النقص ولا الزيادة ^(١) إلى أن يرفعه الله إليه إذ منه بدأ وإليه يعود .

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِّقِلَ

لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فِصْلَتٌ أَيْدِيهِمْ وَأَعْيُنُهُمْ
 وَعَرَبِيٌّ قُلٌّ هُوَ الَّذِي زَيَّنَّا لَكَ الْقُرْآنَ وَلَوْلَا فَصْلَتُكَ لَآتَيْنَاكَ
 لَأَيُّؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ
 يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
 فَأَخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ
 بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
 فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(١) تضمنت الآية ست صفات للقرآن العظيم هي كالتالي : انه ذكر يذكر الناس بما يغفلون عنه . انه ذكر للعرب أي شرف لهم كقوله ﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾ انه كتاب عزيز والعزیز النفس والمنيع أيضاً إذ أعجز الإنس والجن أن يأتيوا بمثله انه لا يتطرق إليه الباطل ولا يخالطه بحال انه مشتمل على الحكمة وهو حكيم وذو حكمة وحاكم أيضاً وانه تنزيل من حميد والحميد المحمود حمداً كثيراً .

شرح الكلمات :

- ما يقال لك : أي من التكذيب أيها الرسول محمد ﷺ .
- إلا ما قد قيل للرسول من قبلك : أي من التكذيب لهم والكذب عليهم .
- ان ربك لذو مغفرة : أي ذو مغفرة واسعة تشمل كل تائب إليه صادق في توبته .
- وذو عقاب أليم : أي معاقبة شديدة ذات ألم موجع للمصرين على الكفر والباطل .
- ولو جعلناه قرءاناً أعجبياً : أي القرآن كما اقترحوا إذ قالوا: هلا أنزل القرآن بلغة العجم .
- لقالوا: لولا فصلت آياته : أي بينت حتى نفهمها .
- أعجمي وعربي : أي أقرآن اعجمي والمنزل عليه وهو النبي عربي يستنكرون ذلك تعنتاً منهم وعناداً ومجاهدة .
- هدى وشفاء : أي هدى من الضلالة، وشفاء من داء الجهل وما يسببه من أمراض .
- والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر: أي ثقل فهم لا يسمعون وهو عليهم عمى فلا يفهمونه .
- أولئك ينادون من مكان بعيد : والمنادي من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادي له .
- ولقد آتينا موسى الكتاب : أي التوراة .
- فاختلف فيه : أي بالتصديق والتكذيب وفي العمل ببعض ما فيه وترك البعض الآخر كما هي الحال في القرآن الكريم .
- ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا الوعد بجمع الناس ليوم القيامة وحسابهم ومجازاتهم هناك .
- لقضي بينهم : أي لحكم بين المختلفين اليوم وأكرم الصادقون وأهين الكاذبون .
- وما ربك بظلام للعبيد : أي وليس ربك يارسولنا بذئ ظلم للعبيد .

معنى الآيات :

بعد توالي الآيات الهادية من الضلالة الموجبة للإيمان كفار قريش لايزيدهم ذلك إلا عناداً واصراراً على تكذيب الرسول والكفر به وبما جاء به من عنده، ولما كان الرسول بشراً يحتاج إلى عون حتى يصبر أنزل تعالى هذه الآيات في تسليته ﷺ وحمله على الثبات والصبر فقال

تعالى : ﴿ ما يقال لك ﴾^(١) يارسولنا من الكذب عليك والتكذيب لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك . وقوله تعالى : إن ربك لذو مغفرة أي لمن تاب فلذا لا يتعجل بإهلاك المكذبين رجاء أن يتوبوا ويؤمنوا ويوحداوا ، وذو عقاب أليم أي موجع شديد لمن مات على كفره .

وقوله تعالى : ولو جعلناه قرآناً أعجباً أي كما اقترح بعض المشركين ، لقالوا : لولا فصلت آياته أي هلا بُيِّنَتْ لنا حتى نفهمها ، ثم قالوا : أعجمي وعربي أي أقرآناً أعجمي ونبي عربي مُسْتَنْكِرِينَ ذلك متعجبين منه وكل هذا من أجل الإصرار على عدم الإيمان بالقرآن الكريم والنبي الكريم وتوحيد الرب الكريم .

ولما علم تعالى ذلك منهم أمر رسوله أن يقول لهم قل هو أي القرآن الكريم هدى وشفاء هدى يهتدي به إلى سبل السعادة والكمال والنجاح ، وشفاء من أمراض الشك والشرك والنفاق والعجب والرياء والحسد والكبر ، والذين لا يؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً هو أي القرآن في آذانهم وقر أي حمل ثقيل أولئك ينادون من مكان بعيد ولذا فهم لا يسمعون ولا يفهمون .

هذه تسلية وأخرى في قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلّفوا فيه فمنهم المصدق ومنهم المكذب ، ومنهم العامل بما فيه المطبق ومنهم المعرض عنه المتبع لهواه وشيطانه الذي أغواه وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما اختلفوا فيه لحكم لأهل الصدق بالنجاة وأهل الكذب بالهلاك والخسران وقوله : وإنهم لفي شك منه أي من القرآن مريب أي موقع في الريبة وذلك من جراء محادثته والمعاندة والمجادة ، وقوله : من عمل صالحاً فلنفسه وهذه تسلية أعظم فإن من عمل صالحاً في حياته بعد الإيمان فإن جزاءه قاصر عليه ينتفع به دون سواه ، ومن أساء أي عمل السوء وهو ما يسوء النفس من الذنوب والآثام فعلى نفسه عائد . سوءه الذي عمله ولا يعود على غيره ، وأخرى في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد أي ليس هو تعالى بذئ ظلم لعباده . فقوله تعالى من عمل صالحاً فلنفسه عائد ذلك ومن أساء فعليها أي عائد الإساءة إن فيه لتسلية لكل من أراد أن يتسلى ويصبر .

١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً فهي جواب لسؤال يثيره قوله تعالى ﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا ﴾ الخ .

٢) في الآية إشارة واضحة إلى عموم رسالته ﷺ .

٣) معنى قرآناً كتاباً مقروءاً إذ ورد في الحديث الصحيح تسمية الزبور قرآناً بمعنى يقرأ ويكتب إذ قال ﷺ « إن داود يسر له القرآن فكان يقرأ القرآن كله والزبور » في حين يسر له فرسه .

٤) حقيقة الشفاء زوال المرض وهو هنا مستعار للبصارة بالحقائق وانكشاف الالتباس من النفس كما يزول المرض عند حصول الشفاء .

٥) فيه تسلية للرسل ﷺ على تكذيب المشركين وكفرهم بالقرآن بأنه ليس بأوحد في ذلك فقد أوتي موسى الكتاب فاختلّف فيه بالصديق والتكذيب والعمل والترك .

٦) المراد بنفي الظلم من الله للعبيد أنه لا يعاقب من ليس منهم بمجرم ، لانه تعالى لما وضع الشرائع وأرسل الرسل صار ذلك قانوناً فمن تعدها مهملاً له معرضاً عنه فقد استوجب العذاب وتعذبه عدل وليس بظلم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تسلية الرسول أي حملة على الصبر والسلوان ليواصل دعوته إلى نهايتها .
- ٢ - بيان مدى ما كان عليه المشركون من التكذيب للرسول والمعاندة والمجاهدة .
- ٣ - القرآن دواء وشفاء لأهل الإيمان ، وأهل الكفر فهم على العكس من أهل الإيمان .
- ٤ - بيان سنة الله في الأمم السابقة في اختلافها على أنبيائها وما جاءتها به من الهدى والنور .
- ٥ - قوله تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ أجرى مجرى المثل عند العالمين .
- ٦ - نفي الظلم عن الله مطلقاً^(١) .

(١) فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال يقول الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . وأيضاً فالله هو الملك وهل ما يفعله الملك العليم الرحيم العادل في ملكه وعبيده يقال له ظلم؟ والجواب لا .

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ ۗ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آيَاتُ
شُرَكَائِهِمْ قَالُوا أَإِذَا نَكَّ مَائِمًا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾

شرح الكلمات :

- إليه يرد علم الساعة^(١) : أي إلى الله يرد علم الساعة أي متى تقوم إذ لا يعلمها إلا هو.
وما تخرج من ثمرات من أكمامها: أي من أوعيتها واحد الإكمام كَمَّ وكَم الثوب مخرج اليد.
وما تحمل من أنثى : أي من أي جنس كان إنساناً أو حيواناً.
ولا تضع إلا يعلمه : أي ولا تضع حملها إلا ملابساً يعلم الله تعالى المحيط بكل شيء.
قالوا آذناك : أي أعلمناك الآن.
مامنا من شهيد : أي ليس منا من يشهد بان لك شريكاً أبداً.
وظنوا ما لهم من محيص : أي أيقنوا انه ما لهم من مهرب من العذاب.
معنى الآيتين :

يخبر تعالى ان علم الغيب قد انحصر فيه فليس لأحد من خلقه علم الغيب وخاصة علم الساعة أي علم قيامها متى تقوم؟ كما أخبر عن واسع علمه وانه محيط بكل الكائنات فما تخرج من ثمرة من كمها^(٢) وعائها وتظهر منه إلا يعلمها على كثرة الثمار والأشجار ذات الأكمام، وما تحمّل من أنثى بجنين ولا تضعه يوم ولادته أو إسقاطه إلا يعلمه أي يتم ذلك بحسب علمه تعالى وإذنه، وهذه مظاهر الربوبية المستلزمة للألوهية فلا إله غيره ولا رب سواه، ومع هذا فالجاهلون يتخذون له شركاء أنداداً من أحجار وأوثان يعبدونها معه ظلماً وسفهاً. ويوم يناديهم وذلك في يوم القيامة أين شركائي؟ أي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لي، فيتبرءون منهم ويقولون: آذناك

(١) روي أن المشركين قالوا يا محمد إن كنت نبيا فخيرنا متى قيام الساعة فنزلت ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ والرد الإرجاع.

(٢) الأكمام جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم والكُمة بضم الكاف والتانيث مثله وهو الجف وكفرى الطلع يقال له كفه.

(٣) فهذه ثلاثة أمور وجب رد علمها إلى الله تعالى الأول علم ما تخرجه أكمام النخل من الثمر بقدره وجودته وثباته وسقوطه والثاني حمل الأنثى من الناس والحيوان والتي تلقح والتي لا تلقح، والثالث وقت وضع الأجنة فهذه وجب رد علمها إلى الله تعالى إذ لا يعلمها إلا هو كسائر الغيوب.

(٤) ويوم يناديهم: متعلق بمحذوف تقديره ما ذكر يوم يناديهم، لما سألوا عن الساعة أعلمهم أن أمر علم وقتها مرده إلى الله وحده فناسب ذكر بعض أحداثها فذكر لهم ذلك.

أعلمناك الآن أنه مامننا من شهيد يشهد بأن لك شريكاً إنه لا شريك لك وفضل عنهم أي غاب عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا، وظنوا أيقنوا مالهم من محيص أي مهرب من عذاب الله .
هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - استنثار الله تعالى بعلم الغيب وخاصة علم متى تقوم الساعة .
- ٢ - إحاطة علم الله تعالى بكل شيء فما تخرج من ثمرة من أوعيتها ولا تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا بعلم الله تعالى وإذنه .
- ٣ - براءة المشركين يوم القيامة من شركهم ، وغياب شركائهم عنهم .

لَا يَسْمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُتَوَسَّسْ
قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا
وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الْإِنْسَانِ
أَعْرَضَ وَنَسَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
﴿٥١﴾

شرح الكلمات :

- لايسأم الإنسان من دعاء الخير : أي لا يمل ولا يكل من سؤال طلب المال والصحة والعافية .
وإن مسه الشر فيتوسس قنوط : أي المرض والفقر وغيرهما فيتوسس من رحمة الله قنوط ظاهر عليه اليأس .
من بعد ضراء مسته : أي من بعد شدة أصابته وبلاء نزل به .
ليقولن هذا لى : أي استحقيقته بعملى ومما لى من مكانة .
وما أظن الساعة قائمة : أي ينكر البعث ويقول : ما أظن الساعة قائمة .
إن لى عنده للحسنى : أي وعلى فرض صحة ما قالت الرسل من البعث ان لى عند الله الجنة .

أعرض ونأى بجانبه : أي أعرض عن الشكر ونأى بجانبه متبختراً مختالاً في مشيته .
فدو دعاء عريض : أي فهو ذو دعاء لربه طويل عريض يارباه يارباه .

معنى الآيات : (١)

يخبر تعالى عن الإنسان الكافر الذي لم ترك نفسه ولم تطهر روحه بالإيمان وصالح الأعمال انه لا يسأم ولا يمل من دعاء الخير أي المال والولد والصحة والعافية فلا يشبع من ذلك بحال .
ولئن مسه الشر من ضر وفقر ونحوهما فهو يثوس^(٢) قنوط يؤوس من الفرج وتبدل الحال من عسر إلى يسر قنوط ظاهر عليه آثار اليأس في منطقة وفي حاله كله هذا ماتضمنته الآية الأولى (٤٩)
﴿لا يسأم^(٣) الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيثوس قنوط﴾ وأما الآية (٥٠) فإن الله تعالى يخبر ايضاً عن الإنسان الكافر إذا أذاه الله رحمة منه من مال وصحة واجتماع شمل مثلاً ، وذلك من بعد ضراء مسته من مرض وفقر ونحوهم ليقولون لجهله وسفهه : هذا لي أي استحقيقته بمالي من جهد ومكانه وعلم وإذا ذكر بالساعة من أجل أن يرفق أو يتصدق يقول ما أظن الساعة قائمة كما تقولون وإن قامت على فرض صحة قولكم إن لي عنده أي عند الله للحسنى أي للحالة الحسنى من غنى وغيره وجنة إن كانت كما تقولون .

وقوله تعالى ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أي يوم القيامة عند عرضهم علينا ، ولنذيقهم من عذاب غليظ يخلدون فيه لا يخرجون منه أبداً .

وقوله تعالى في الآية الأخيرة (٥١) وإذا انعمنا على الإنسان بنعمة المال والولد والصحة أعرض عن ذكرنا وشكرنا وتخلي عن طاعتنا ونأى بجانبه متباعداً متبختراً مختالاً يكاد يضاهي الطاووس في مشيته . وإذا سلبناه ذلك ومسه الشر من مرض وفقر وجهد وبلاء فهو ذو دعاء عريض لنا يارب يارب يارب . هذا ليس الرجل الأول الذي ييأس ويقنط ، ذاك كافر ، وهذا مؤمن ضعيف الإيمان جاهل لا أدب عنده ولا خلق . وما أكثر هذا النوع من الرجال في المسلمين اليوم والعياذ

(١) قيل المراد بالإنسان الكافر هنا الوليد بن المغيرة ، وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأميه بن خلف . والآية تحمل وصفاً للإنسان الكافر أياً كان والمراد من الدعاء الطلب والرغبة الملحّة .

(٢) شاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيح «لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى الثالث ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» .

(٣) اليأس كالقنوط من رحمة الله كفر بالمؤمن لقوله تعالى ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ .

(٤) اشتملت الآية على خلقين عجيبين الأول خلق البطر بالنعمة والغفلة عن الشكر لله تعالى والثاني اليأس والقنوط من رجوع النعمة بعد فقدها .

(٥) يروي عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم للكافر أمينتان أما في الدنيا فيقول لئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ، وأما في الآخرة فيقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين .

(٦) النأي البعد وهو كناية عن عدم التفكير في المنعم عليه ليشكره فعبّر عن هذا بالبعد .

بالله تعالى قالول عائد إلى ظلمة نفسه بالكفر، وهذا عائد الى سوء تربيته وسوء خلقه وظلمة جهله .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان حال الإنسان قبل الإيمان والاستقامة فإنه يكون أخط المخلوقات قدراً وأضعفها شأنًا .
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض الأحداث فيها .
- ٣ - ذم اليأس والقنوط والكبر والاختيال، والكفر للنعم ونسيان المنعم وعدم شكره .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنْهَوُا عَنْهَا أَلَّا يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَدْوًا مِن دُونِهَا وَمَا يُبِطُّوا عَنْهَا أَلَّا يُرْمُوا إِلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِرَبِّهِمْ يَوَاسِرُونَ ﴿٥٤﴾

شرح الكلمات :

- قل أرايتم إن كان من عند الله : أي أخبروني إن كان القرآن من عند الله كما قال النبي ﷺ .
ثم كفرتم به : أي ثم كفرتم به بعد العلم أنه من عند الله .
من أضل ممن هو في شقاق بعيد : أي من يكون أضل منكم وأنتم في شقاق بعيد؟ لا أحد .
في الآفاق وفي أنفسهم : أي في أقطار السموات والأرض من المخلوقات وأسرار خلقها
وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وعجائب وبدائع الحكمة .
حتى يتبين لهم أنه الحق : أي أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله حقا، وأن الإسلام حق .
ألا إنهم في مريّة من لقاء ربهم : أي في شك من البعث الآخر حيث يعرضون على الله تعالى .
ألا إنه بكل شيء محيط : أي علماً وقدرة وعزة وسلطاناً .

معنى الآيات :

يأمر تعالى رسوله أن يقول للمكذبين بالوحي الإلهي الذي يمثله القرآن الكريم حيث قالوا فيه شعر وسحر وأساطير الأولين يأمره أن يقول لهم مستفهما لهم أرايتم أي أخبروني إن كان أي القرآن الذي كذبتهم به من عند الله وكفرتم به أي كذبتهم؟ من يكون أضل منكم وأنتم تعيشون في

شفاق بعيد اللهم لا أحد يكون أضل منكم عن طريق الهدى إذا فلم لاثبون إلى رشدكم وتؤمنون بآيات ربكم فتكملوا عليها وتسعدوا .^(١)

ثم قال تعالى : سنريهم^(٢) آياتنا الدالة على صدقنا وصدق رسولنا فيما أخبرناهم به ودعوناهم إليه من الإيمان والتوحيد والبعث والجزاء وذلك في الأفاق أي من أقطار السموات والأرض مما ستكشف عنه الأيام من عجائب تدبير الله ولطائف صنعه ، وفي انفسهم أيضا أي في ذاتهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، من ذلك فتح القرى والأمصار وانتصار الإسلام كما أخبر به القرآن ، ووقعة بدر وفتح مكة من ذلك وما ظهر لِحَدِّ الآن من كشوفات في الأفاق وفي الأنفس مما أشار إليه القرآن ما هو أعجب من ذلك قوله تعالى : ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ فنظام الزوجية السارى في كل جزئيات الكون شاهد قوى على صدق القرآن وأنه الحق من عند الله ، وان الله حق وأن الساعة حق وقوله تعالى : ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد؟﴾ هذا توبيخ لهؤلاء المكذبين بإعلامهم أن شهادة الله كافية في صدق محمد وما جاء به إن الله هو المخبر بذلك والأمر بالإيمان به فكيف يطالبون بالآيات على صدق القرآن ومن نزل عليه والله المرسل للرسول والمنزل للكتاب وقوله تعالى : ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ إعلام منه تعالى بما عليه القوم من الشك في البعث والجزاء وهو الذى سبب لهم كثيرا من أنواع الشر والفساد . وقوله : ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ علما وقدره وعزة وسلطانا فما أخبر به عنهم من علمه وماسيجزيهم به من عذاب إن أصروا على كفرهم من قدرته وعزته . ألا فليثق الله امرؤ مصاب بالشك في البعث وكل الظواهر دالة على حتميته ووقوعه في وقته المحدد له .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - التنديد بالكفر بالقرآن والتكذيب بما جاء فيه من الهدى والنور .
- ٢ - لا أضل ممن يكذب بالقرآن لأنه يعيش في خلاف وشقاق لا أبعد منه .
- ٣ - صدق وعد الله تعالى حيث أرى المشركين وغيرهم آياته الدالة على وحدانيته وصحة دينه وصدق أخباره ما آمن عليه البشر الذين لا يعدون كثرة .

(١) الشقاق العداة والمراد به العداة لله والرسول والمؤمنين الناجم عن ردحهم القرآن وتكذيبهم بالوحي المثبت للنبوذة المحمدية .

(٢) الآيات تشمل آيات القرآن والآيات الخارجة عن القرآن .

(٣) الأفاق جمع أفق الناحية من الأرض المتميزة عن غيرها والناحية من قبة السماء .

(٤) قال القرطبي «وفي انفسهم» من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول فإن الرجل يشرب ويأكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين ، وبديع صنعة الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ينظر بهما ، وفي أذنيه وكيف يفرق بين الأصوات المختلفة إلى غير ذلك .

(٥) المعنى : تكفيك شهادة ربك بصدقك فلا تلتفت إلى تكذيبهم .

(٦) وصف الله بالمحيط هو كذلك محيط بعلمه وقدرته وقهره لكل خلقه .

- ٤ - مامن اكتشاف ظهر ويظهر إلا والقرآن أدخله في هذه الآية سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم .
 ٥ - الإشارة إلى أن الإسلام سيعلم صحته وسيدين به البشر أجمعون في يوم ما من الأيام .
 ٦ - تقرير البعث والجزاء . ومظاهر قدرة الله تعالى المقررة له .

سُورَةُ الشُّورَى

مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

حم عسق^(١) : هذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا : حم عسق وتقرأ هكذا . حَامِيمٌ عَيْنٌ سِينٌ قَافٌ .

كذلك يوحى إليك وإلى الذين

من قبلك : أي مثل ذلك الإيحاء يوحى إليك وإلى الذين من قبلك .

الذي يوحى إليك .

له ما في السموات وما في الأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا .

وهو العزيز الحكيم : أي العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره لأوليائه .

يتفطرن من فوقهن : أي يتشققن من عظمة الرحمن وجلاله .

والذين اتخذوا من دونه أولياء : أي آلهة يعبدونها .

(١) ان قيل لم ما وصلت حم عسق ببعضهما كما وصلت في ألمص ، المر فالجواب ان عسق ثلاثة أحرف فلم توصل بحم بخلاف ألمص المر فإن الموصول حرف واحد وهو الصاد والراء .

(٢) العدول عن صيغة الماضي إلى المضارع إيدان بان إيحاء الرسول متجدد لا ينقطع مدة حياة النبي ﷺ .

الله حفيظ عليهم : أي يحصي لهم أعمالهم ويجزيهم بها .
وما أنت عليهم بوكيل : أي ولست موكلًا بحفظ أعمالهم وإنما عليك البلاغ .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿حم عسق﴾ الله أعلم بمراده به وقد تقدم التنبيه إلى أن هذا من المتشابه الذى يجب الإيمان به وتفويض أمر فهم معناه إلى منزله وهو الله سبحانه وتعالى وقد ذكرنا أن له فائدتين جليلتين تقدمتا فى كثير من فواتح السور المبدوءة بمثل هذه الحروف المقطعة فليرجع إليها .
وقوله ﴿كذلك يوحى إليك﴾^(١) أي مثل ذلك الإيحاء بأصول الدين الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والبعث يوحى إليك بمعنى أوحى إليك وإلى الذين من قبلك من الرسل الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره لأوليائه وقوله ﴿له ما فى السموات وما فى الأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وهو العلى أى ذو العلو المطلق على خلقه العظيم فى ذاته وشأنه وحكمه وتدبيره سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .^(٢)

وقوله تعالى ﴿تكاد السموات يتفطرن﴾ أي يتصدعن ويتشققن من فوقهن من عظمة الرب تبارك وتعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم أى يصلون له ويستغفرون لمن فى الأرض أي يطلبون المغفرة للمؤمنين فهذا من العام الخاص بما فى صورة المؤمن إذ فيها ويستغفرون للذين آمنوا وقوله تعالى ﴿ألا إن الله هو الغفور الرحيم﴾ إخبار بعظيم صفاته عز وجل وهما المغفرة والرحمة يغفر لمن تاب من عباده ويرحم بالرحمة العامة سائر مخلوقاته فى هذه الحياة ويرحم بالرحمة الخاصة عباده الرحماء وسائر عباده المؤمنين فى دار السلام وقوله تعالى : ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي شركاء آلهة يعبدونهم هؤلاء الله حفيظ عليهم فيحصى عليهم أعمالهم ويجزيهم بها يوم القيامة ، وليس على الرسول من ذلك شىء إن عليه إلا البلاغ وقد بلغ وهو معنى قوله : ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ تحفظ عليهم أعمالهم وتجزيهم بها وفى الآية تسلية للرسول وتخفيف عليه لأنه كان يشق عليه إعراض المشركين واصرارهم على الشرك بالله تعالى .

(١) المعنى الإجمالي لهذه الجملة هو كما فى قوله ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾ فهو تشبيه إيحاء بإيحاء .

(٢) العزيز الحكيم : وصفان لاسم الجلالة هما مقتضى الوحي الإلهي إذ الوحي يكون من عزيز لا يحال بين إرادته وحكيم يضع الأمور فى مواضعها فلا يعاب عليه اختياره للوحي إليك .

(٣) هذه الجملة مقررة لما تقدم من جلال الله وكماله وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده ولقائه وبعثه رسوله .

(٤) قرأ نافع وحده يكاد بالياء وقرأ باقي القراء حفص وغيره بالياء وسبب تفرغهم من خوف من عظمة الرب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما «فرقا أي خوفا» .

(٥) أي ينزهونه عما لا يجوز وصفه به وعما لا يليق بجلاله ، وقيل يتمعجون من جرأة المشركين فيسبحون .

(٦) لما أقام تعالى الحجج والبراهين على توحيده ونبوة رسوله فسبحت له الملائكة واستغفرت للمؤمنين الموحدون وبقي المشركين على اتخاذهم أولياء كأنما قال لرسوله لا يهملك أمرهم فإن الله يحصى أعمالهم ويحفظها لهم ويجزيهم بها .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وحدة الوحي بين سائر الأنبياء إذ هي تدور على التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والترغيب فى العمل الصالح ، والترهيب من العمل الفاسد .
- ٢ - بيان عظمة الله تعالى وجلاله وكماله حتى إن السموات تكاد يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمده تعالى ويستغفرون للمؤمنين^(١)
- ٣ - تسلية الرسول ﷺ والتخفيف عنه بانه غير موكل بحفظ أعمال المشركين ومجازاتهم عليها انما هو الله تعالى ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْيَبٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ آتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

شرح الكلمات :

- وكذلك أوحينا إليك : أي ومثل ذلك الإيحاء إليك وإلى من قبلك أوحينا إليك .
 قرآنا عربياً : أي بلسان عربى .
 لتندر أم القرى ومن حولها : أي علة الإيحاء هي إنذارك أهل أم القرى مكة ومن حولها من القرى أي تخوفهم عذاب الله إن بقوا على الشرك .
 وتندر يوم الجمعة : أي وتندر الناس من يوم القيامة إذ هو يوم يجمع الله فيه الخلائق .
 لاريب فيه : أي لاشك فى مجيئه وجمع الناس فيه .

(١) جائز أن يكون المستغفرين للمؤمنين حملة العرش وقد ورد هذا فى السنة وأن يكن غيرهم يستغفرون لمن فى الأرض عندما يرون كفرهم وباطلهم وجرأتهم على ربهم يطلبون لهم عدم المؤاخذه إذ لو أخذهم بذنوبهم لاهلكهم .

فريق في الجنة : أي المؤمنون المتقون .
 وفريق في السعير : أي الكافرون .
 ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة : أي على دين الإسلام وبذلك يكون الجميع في الجنة .
 ولكن يدخل من يشاء في رحمته : أي في الإسلام أولاً ثم في الجنة ثانياً .
 والظالمون مالهم من ولي ولا نصير : أي المشركون ليس لهم من ولي يتولاهم ولا نصير ينصرهم
 فهم في النار .
 أم اتخذوا من دون الله أولياء : أي بل اتخذوا من دونه تعالى شركاء ألَّهُوهُم من دون الله .
 فالله هو الولي : أي الولي الحق ومن عداه فلا تنفع ولايته ولا تضر .
 معنى الآيات :

قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا﴾^(١) أي ومثل ذلك الإيحاء الذي أوحينا إليك وإلى
 الذين من قبلك أوحينا إليك قرآنا عربياً أي بلسان عربي يفهمه قومك لأنه بلسانهم لتنذر به أي
 تخوف أم القرى^(٢) ومن حولها من الناس عاقبة الشرك والكفر والظلم والفساد وتنذر أيضاً الناس يوم
 الجمع وهو يوم القيامة فإنه يوم هول عظيم وشر مستطير ليتوقوه بالإيمان والتقوى . إنه يوم يكون
 فيه الناس والجن فريقين لثالث لهما : فريق في الجنة بإيمانه وتقواه الله بفعل أو أمره وترك نواهيه ،
 وفريق في السعير بشركه وكفره بالله وعدم تقواه فلا امثال أمراً ولا اجتنب نهياً .

وقوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾^(٤) أي في الدنيا على دين الإسلام الذي هو
 دين آدم فنوح وإبراهيم فسائر الأنبياء موسى وعيسى ومحمد ﷺ . إذ هو عبارة عن الإيمان بالله
 وبما أمر الله بالإيمان به ، والانقياد لله ظاهراً وباطناً بفعل محابته تعالى وترك مكارهه ولو كانوا في
 الدنيا على ملة الإسلام لكانوا في الآخرة فريقاً واحداً وهو فريق الجنة ولكن لم يشأ ذلك لحكم
 عالية فهو تعالى يدخل من يشاء في رحمته في الدنيا وهي الإسلام وفي الآخرة هي الجنة ،
 والظالمون أي المشركون الذين رفضوا التوحيد والإسلام لله مالهم من ولي ولا نصير فهم إذا في
 عذاب السعير . وقوله تعالى : ﴿أم اتخذوا﴾^(٥) أي الظالمون من دون الله أولياء من دون الله ليشفعوا

(١) القرآن مصدر نحو غفران وأطلق على المقروء مبالغة في الاتصاف بالمقروئية لكثرة ما يقرأه القارئون لحسنه وفوائده وعظيم
 مشيئته .

(٢) كينت مكة بأم القرى لأنها أقدم المدن العربية وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها .

(٣) جملة فريق الخ ابتدائية لأنها جواب لمن سأل عن حال الناس وهم مجتمعون في عرصات القيامة فأجيب بأنهم فريقان
 فريق في الجنة وفريق في السعير .

(٤) سبق هذا الكلام مستأنفاً استئنافاً ابتدائياً لغرض تسليية الرسول ﷺ والمؤمنين لما ينالهم من هم وكرب من عدم إيمان
 من يدعونهم إلى الإيمان ولم يؤمنوا .

(٥) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر على المشركين اتخاذهم أولياء من دون الله لا تنفعهم أي نفع ويتركون
 الله الولي الحميد فهو أحق بأن يتخذ ولياً في الدنيا والآخرة .

لهم جهلا منهم بأنه لا يشفع أحد إلا بإذن الله ورضاه فعلوا ذلك وما كان لهم ذلك لأن الولي الحق هو الله فلم لا يتخذونه وليا، وهو الولي الحميد وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير فمن أحق بأن يتولى من يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير أم من لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، والجواب معلوم، ولا يهلك على الله إلا هالك.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي .
- ٢ - شرف مكة بتسميتها أم القرى أى أم المدن والحواضر .
- ٣ - مشروعية التعليل للأفعال والأحكام .
- ٤ - إنقسام الناس يوم القيامة إلى سعيد وشقي لاغير .
- ٥ - لم يشأ الله ان يجعل الناس أمة واحدة لحكم عالية علمها إليه سبحانه وتعالى .
- ٦ - من طلب ولاية غير الله هلك؟ ومن والى الله دون من سواه كفاه الله ما أهمه في دنياه وأخراه .

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾
 فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿١٢﴾

شرح الكلمات :

وما اختلفتم فيه من شيء : أي من أمور الدين والدنيا مع الكفار أو مع المؤمنين .
 فحكمه إلى الله : هو الذي يقضي فيه في الدنيا بما ينزل من وحي على رسوله
 وفي الآخرة إذ الحكم له دون غيره .
 ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه : أي قل لهم يارسولنا ذلكم الحاكم العدل العظيم الله ربي عليه

أنيب
توكلت أي فوضت أمرى إليه ، وإليه لا إلى غيره أرجع فى أمورى كلها .

فاطر السموات والأرض : أي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سابق .

جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي بأن جعلكم ذكراً وأنثى ، ومن الأنعام كذلك .

يدرؤكم فيه أي يخلقكم فى هذا التدبير وهو من الذكر والانثى يخرجكم .

ليس كمثلته شيء : أي ليس مثل الله شيء إذ هو الخالق لكل شيء فلا يكون مخلوق مثله بحال من الأحوال .

وهو السميع البصير : أي السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم .

معنى الآيات :

(١)

يقول تعالى وما اختلفتم فيه من شيء من أمور الدين والدنيا أيها الناس فحكمه إلى الله تعالى هو الذي يحكم فيه بالعدل فردوه إليه سبحانه وتعالى فإنه يقضى بينكم بالحق . وهنا أمر رسوله أن يقول للمشركين ذلكم المذكور بصفات الجلال والكمال الحكم العدل الذى يقضى ولا يقضى عليه الله ربي الذى ليس لى رب سواه عليه توكلت ففوضت أمرى إليه واثقاً فى كفايته وإليه وحده أنيب أى أرجع فى أمورى كلها ، ثم واصل ذكر صفاته الفعلية فقال فاطر السموات والأرض أى خالق السموات السبع والأرض مبدعهما من غير مثال سابق ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا﴾ إذ خلق حواء من ضلع آدم ثم جعلكم تتناسلون من ذكر وانثى ومن الأنعام أزواجا أيضاً وهما الذكر والانثى وقوله ﴿يدرؤكم فيه﴾ أي يخلقكم فيه أي فى هذا النظام نظام الذكر والانثى كان الذكورة والأنوثة معمل من المعامل يتم فيه خلق الإنسان والحيوان فسبحان الخلاق العليم .
وقوله : ﴿ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير﴾ هذا تعريف عرف تعالى به نفسه ليعرف بين عباده وهو أنه عز وجل ليس مثله شيء أى فلا شيء مثله فعرف بالتفرد بالوحدانية فالذى ليس له

(١) قول القرطبي هذا حكاية قول رسول الله ﷺ للمؤمنين ما هو بظاهره ، بل هو إرشاد الله لرسوله والمؤمنين أن يقولوا لمن خالفهم من المشركين وأهل الكتاب إن الله قد حكم بصحة الإسلام فهو الدين الذي يجب أن يدين به الإنسان لربه عز وجل لا غيره من الأديان الباطلة .

(٢) الجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير فاطر .

(٣) الذرة : بث الخلق وتكثيره والمضارع يدرؤكم لإفادة الحدوث والتجدد المستمرين .

(٤) ومعنى ليس كمثلته شيء : ليس مثله شيء فالكاف مقحمة لا غير ، ولما كانت للتشبيه ومثله كذلك فهي إذاً لتأكيد نفي التشبيه لله تعالى .

(٥) لما كانت جملة ليس كمثلته شيء صفة سلبية أعقب عليها بصفات ايجابية وهي كونه تعالى سميعاً بصيراً ، وهكذا الحكم فى صفات الله تعالى فيثبت له ما أثبتته هو لنفسه وأثبتته له رسوله من الصفات العلى وينفى عنه من صفات النقص كالمثلية والتشبيه ما نفاه تعالى هو عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ .

مثل ولا مثله شيء هو الله ذو الأسماء الحسنی والصفات العلیا وهو السميع لكل الأصوات العلیم بكل الكائنات .

وقوله تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) أي له مفاتيح خزائن السموات والأرض ، وله مغاليقها فهو تعالى ييسط الرزق لمن يشاء امتحاناً ويضيق ابتلاء ، لأنه بكل شيء عليم فلا يطلب الرزق إلا منه ، ولا يلجأ فيه إلا إليه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب رد ما اختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم فيه وهو الرد إلي الكتاب والسنة .
- ٢ - وجوب التوكل عليه والإنابة إليه في كل الأمور .
- ٣ - تنزيه الله تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان باسمائه الحسنی وصفاته العلیا .
- ٤ - وجوب الإيمان بأن الله هو الرزاق بيده مفاتيح خزائن الأرزاق فمن شاء وسع عليه ، ومن شاء ضيق ، وأنه يوسع لحكمه ويضيق لأخرى .

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّبَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾ ﴾

(١) المقاليد جمع إقليد أو مقلاد على غير قياس وهو المفتاح ، والمقاليد للخزائن وهي ما أودع الله تعالى من أرزاق السموات والأرض لعباده ، فلذا هو ييسط الرزق ويقدر حسب علمه وحكمته .

(٢) شاهده قوله تعالى : ﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ (الآية من سورة النساء) .

شرح الكلمات :

ماوصى به نوحاً والذي أوحينا : أي شرع لكم من الدين الذي وصى به نوحاً والذي أوحينا به إليك .

وما وصينا به إبراهيم وموسى : أي والذي وصينا باقى أولى العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وهو أن يعبدوا الله وحده بما شرع من العبادات .

أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه : أي بأن اقيموا الدين الذي شرع لكم ولا تضيعوه ولا تختلفوا فيه .

كبر على المشركين ماتدعوهم : أي عظم على كفار قريش ماتدعوهم إليه وهو لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الله يجتبي إليه من يشاء : أي يختار الى الإيمان به والعمل بطاعته من يريده لذلك .

ويهدى إليه من ينيب : أي ويوفق لطاعته من ينيب اليه في أمره ويرجع إليه في جميع شأنه، بخلاف المعرضين المستكبرين .

بغيا بينهم : أي حملهم البغي على التفرق في دين الله .

ولولا كلمة سبقت من ربك : أي ولولا ما قضى الله به من تأخير العذاب على هذه الأمة إلى يوم القيامة .

لقضى بينهم : أي لحكم الله بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين .

وإن الذين أورثوا الكتاب من : أي وان الذين أورثوا الكتاب من بعد الأولين وهم اليهود والنصارى ومشركو العرب .

لفى شك منه مريب : أي لفى شك مما جتتهم به من الدين الحق وهو الإسلام .

معنى الآيات :

(١) يخاطب تعالى رسوله والمؤمنين فيقول وقوله الحق : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً ﴾ إذ هو أول حامل شريعة من الرسل والذي أوحينا إليك يا محمد وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ﴿ من أولى العزم من الرسل ﴾ (أن أتبعوا الدين) وهو دين واحد قائم على الإيمان والتوحيد والطاعة لله في أمره ونهيه وإقامة ذلك بعدم التفريط فيه أو في شيء منه، وعدم التفرق فيه، لأن التفرق فيه بسبب تضييعه كلاً أو بعضاً .

(١) المراد مما شرع لنا هو الإيمان به تعالى رباً والهاً وعبادته وحده وترك عبادة ما سواه، أما الأحكام فتختلف بحسب الأمم والأزمان فهذه الآية هي كقوله تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ .

(٢) ان أقيموا الدين في محل رفع خبر. أي هو إقامة الدين وعدم التفرق فيه أي الموصى به هو إقامة الدين، وإقامته جعله قائماً تعقده عقائده وتؤدي عبادته وتقام أحكامه لا يسقط منه شيء .

(١) وقوله تعالى : ﴿كبر على المشركين من كفار قريش ماتدعوهم إليه﴾ أي عظم عليهم ولم يطبقوا حملة ماتدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الأصنام ، إذا فادعهم واصبر على اذاهم والله يجتبي اليه أي يختار للإيمان به وعبادته من يشاء ممن لا يصرون على الباطل ، ولا يستكبرون عن الحق إذا عرفوه ، ويهدى إليه أي ويوفق لطاعته مَنْ مِنْ شأنه الإنابة والرجوع إلى ربّه في أمره كلها .

(٢) وقوله تعالى : ﴿وماتفرقوا﴾ أي وماتفرق العرب واليهود والنصارى في دين الله فأمن بعض وكفر بعض الأمن بعد ما جاءهم العلم الصحيح يحمله القرآن الكريم ونبية محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . والحامل لهم على ذلك هو البغي والحسد . وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك وهو عدم معالجة هذه الأمة المحمدية بعذاب الإبادة والاستئصال ، وترك عذابهم إلى يوم القيامة لولا هذا لعجل لهم العذاب من أجل اختلافهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين . وهو معنى قوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم﴾ أي فرغ منهم بالفصل بينهم بإهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين .

(٣) وقوله تعالى : ﴿وان الذين أورتوا الكتاب من بعدهم﴾ أي من بعد اليهود والنصارى وهم العرب إذ أنزل الله فيهم كتابه القرآن الكريم لفي شك منه أي من القرآن والنبى والدين الإسلامى مريب أي بالغ الغاية في الريبة والاضطراب النفسى ، كما ان اللفظ يشمل اليهود والنصارى إذ هم أيضا ورثوا الكتابين عنمن سبقهم وأنهم فعلا في شك من القرآن ونبية والإسلام وشرائعه .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - دين الله واحد وهو الإيمان والاستقامة على طاعة الله وطاعة رسوله .
- ٢ - حرمة الاختلاف فى دين الله المسبب تضييع الدين كلا أو بعضا .
- ٣ - مرد التفرق فى الدين إلى الحسد والبغى بين الناس ، فلو لم يحسد بعضهم بعضا ولم ييغ بعضهم على بعض لما تفرقوا فى دين الله ولأقاموه متجمعين فيه .

(١) قال قتادة كبر على المشركين فاشتد عليهم شهادة ان لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وضاق بها إبليس وجنوده فأبى الله عز وجل إلا أن ينصرها ويعلمها ويظهرها على من نأواها .

(٢) قال ابن عباس يعني قريشاً وهو صحيح إذ كانوا يقولون : لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكننا عباد الله المخلصين . وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم إلا أن دخول أهل الكتاب في هذا الخطاب وارد وله شواهد . إذ الآية مبينة لسنة من سنن الله تعالى وهي لكون الأمة متحدة على الباطل فإذا جاءها الحق قبله أناس ورفضه آخرون فيكون التفرق .

(٣) أي في تأخير العذاب على مستحقه إلى الموعد الذي حدده لهم في الدنيا أو في الآخرة لكان عز وجل حكم بينهم فأهلك الكافرين وأنجى المؤمنين .

(٤) ال في الكتاب للجنس ليشمل التوراة والإنجيل معاً .

فَلِذَلِكَ فَادَعُ مَا اسْتَغْتَمْتُمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
 وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ
 بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ
 لَأَحْجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾
 وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحَنَّهُمْ
 دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
 ﴿١٦﴾

شرح الكلمات :

- فلذلك فادع : أي فالى ذلك الدين الذى شرع الله لكم ووصى به نوحاً وأوحاه
 إليك يا محمد فادع عباد الله .
- وامتقم كما أمرت : أي استقم على العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك
 الله .
- ولا تتبع أهواءهم : أي ولا تتبع أهواء المشركين وأهل الكتاب فترك الحنيفية التى
 بعثت بها فإنها الحق .
- وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب : أي ولست كالذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض .
- وامرت لأعدل بينكم : أي أمرنى ربي أن أحكم بينكم بالعدل الذى هو خلاف
 الجور .
- الله ربنا وربكم : أي خالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم وإلهنا وإلهكم .
- لنا أعمالنا ولكم أعمالكم : وسيجزى كل منا بعمله خيراً كان أو شراً .
- لا حجة بيننا وبينكم : أي ما هناك حاجة إلى المحاجة الآن بعد ظهور الحق .
- الله يجمع بيننا : أي يوم القيامة .
- والذين يحاجون فى الله : أي يجادلون فى دين الله نبيه محمداً ﷺ .
- من بعد ما أستجيب له : أي بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود .

حجتهم داحضه : أي باطله عند ربهم .
وعليهم غضب : أي من الله ولهم عذاب شديد يوم القيامة .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فلذلك فادع﴾ ^(١) أى فإلى ذلك الدين الحق الذى هو الإسلام الذى شرعه الله لكم ووصى به نوحا وأوحاه اليك فادع جميع الناس عربهم وعجمهم فإنه دين الله الذى لا يقبل دينا سواه ، ولا يكمل الإنسان في أخلاقه ومعارفه وأدابه ولا يسعد في الدارين إلا عليه واستقم ^(٢) عليه كما أمرك ربك ، فلا تزغ عنه ولا تعدل به غيره فإنه الصراط المستقيم الذى لا يزيغ عنه إلا هالك ولا تتبع أهواء المشركين ولا أهواء أهل الكتاب . وقل في صراحة ووضوح آمنت بما أنزل الله من كتاب فلا أومن ببعض وأكفر ببعض كما أنتم عليه معشر اليهود والنصارى ، وقل لهم أمرنى ربى أن أعدل بينكم فى الحكم إذا تحاكمتم إليّ ، كما أنى لأفرق بينكم إذ أعتبركم على الكفر سواء فكل من لم يكن على الإسلام الذى كان عليه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والذى عليه أنا واصحابى اليوم فهو كافر من أهل النار .

وقوله تعالى ﴿الله ربنا وربكم﴾ أى أمرنى أن أقول لكم هذا الله ربنا وربكم إذ لا رب سواه فهو رب كل شيء ومليكه ، لنا أعمالنا ولكم اعمالكم وسيُجزى كل منا بعمله السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها ، إلا أن الكافر لا تكون له حسنة مادام قد كفر بأصل الدين فلم يؤمن بالله ولقائه ، ولا بوحية ولا برسوله وقوله ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أى اليوم إذ ظهر الحق ولاح الصبح لذى عينين فلا داعى إلى الجدل والخصومة معكم يا أهل الكتابين من يهود ونصارى الله يجمع بيننا يوم القيامة إذ المصير فى النهاية إليه لا إلى غيره وسوف يحكم بيننا فيما اختلفنا فيه فيقضى لأهل الحق بالنجاة من النار ودخول الجنة ويقضى لأهل الباطل بالنار والخلود فيها .

وقوله تعالى : ﴿والذين يحاجون فى الله﴾ ^(٣) أى فى دين الله النبى والمؤمنين يريدون أن يردوهم

(١) قال القرطبي اللام هنا بمعنى إلى وله نظائر مثل بأن ربك أوحى لها أي إليها وأولى أن تكون اللام للتعليل أي لأجل ما ذكر من الأمر بإقامة الدين وعدم التفرق فيه فادع .

(٢) الاستقامة الاعتدال والسين والتاء فيها للمبالغة مثل أوجب استجاب والمراد هنا الاستقامة المعنوية وهي ملازمة الآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة والتمسك بأهداب الشريعة .

(٣) كما أمرت هذه الكاف كالتى فى قوله تعالى واذكروه كما هداكم أعطيت معنى التقليل مثل كما صليت على ابراهيم وما فى التفسير أولى من هذا فإن المراد على نحو ما أمرك لا تخالفه .

(٤) هذا من الغيب الذى أخبر به القرآن قبل وقوعه فكان كما أخبر فقد نصر الله رسوله وحكم اليهود وعدل بينهم وذلك فى المدينة وخير تيماء والآية نزلت بمكة .

(٥) هذه صور من صور الإنصاف والعدل .

(٦) قال مجاهد فى قوله تعالى والذين يحاجون فى الله الآية قال هؤلاء رجال طمعوا أن تعود الجاهلية بعد ما دخل الناس فى الإسلام . وقيل إنهم اليهود والنصارى والكل جائز ويقع وواقع وما فى التفسير أوضح وأصح .

إلى باطلهم من بعد ما استجيب للرسول ودخل الناس في دين الله أفواجا، هؤلاء حجتهم داحضة عند ربهم أى باطلة، وعليهم غضب اي من ربهم ولهم عذاب شديد فى الدنيا والآخرة هذه الآية نزلت فى يهود بالمدينة نصبوا انفسهم خصوما لأصحاب رسول الله يجادلونهم يريدون تشكيكهم فى الإسلام والعودة بهم إلى وثنية الجاهلية وكان هذا قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة فرد تعالى عليهم وأسكتهم بهذه الآية متوعدا إياهم بالغضب والعذاب الشديد.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم إذ لانجاة للبشرية إلا بالإسلام.
- ٢ - حرمة اتباع أهواء أهل الأهواء والسير معهم وموافقتهم فى باطلهم.
- ٣ - وجوب الاستقامة على الإسلام عقائد وعبادات وأحكام قضائية وآداب وأخلاق.
- ٤ - تعين ترك الحجاج والمخاصمة مع أهل الكتاب وكذا اهل الأهواء والبدع لانا على الحق وهم على الباطل، فكيف نحاجهم إذ الواجب أن يسلموا وكفى.

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُسْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ
أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ

(١) الأهواء جمع هوى وهو الحب وغلب على حب مالا نفع فيه إذ هو نابع عن ميل نفساني مناف للخير والعدل ويغلب اطلاق لفظ المشق عليه.

مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِّبَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

الله الذى أنزل الكتاب الحق : أي أنزل القرآن متلبساً بالحق والصدق لا يفارقه أبداً .
والميزان : أي وأنزل الميزان وهو العدل ليحقق الحق .
وما يدريك لعل الساعة قريب : أي أي شيء يجعلك تدرى قرب الساعة إلا أن يكون الوحي الإلهي .

يستعجل بها الذين لا يؤمنون : أي يطالب المكذبون بها لأنهم لا يخافون ما فيها لعدم إيمانهم به .
والذين آمنوا مشفقون منها : أي خائفون وذلك لإيمانهم فهم لا يدرون ما يكون لهم فيها من سعادة أو شقاء ولذا هم مشفقون .

ويعلمون أنها الحق : أي ان الساعة حق واجبة الإتيان لا محالة .
إن الذين يمارون فى الساعة : أي إن الذين يجادلون فى الساعة شاكين فى وقوعها .
الله لطيف بعباده : أي برهم وفاجرهم بدليل أنهم يعصونه وهو يرزقهم ولا يعاقبهم .
من كان يريد حرث الآخرة : أي من كان يريد بعمله ثواب الآخرة .
نزد له فى حرثه : أي نضاعف له ثوابه الحسنه بعشر أمثالها وأكثر .
ومن كان يريد حرث الدنيا : أي من كان يريد بعمله متاع الحياة الدنيا من طيباتها .
تؤتة منها وماله فى الآخرة من : أي نعطه منها ما قدر له وليس له فى الآخرة من حظ ولا نصيب .

أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين : أي بل لهم شركاء من الشياطين شرعوا لهم من الدين .
مالم يأذن به الله : أي مالم يشرعه الله تعالى وهو الشرك .
ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم : أي ولولا كلمة الفصل التى حكم الله بها بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لأهلكهم اليوم على شركهم وأنجى المؤمنين .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾^(١) يخبر تعالى رسوله والمؤمنين بأنه هو

(١) جائز أن يكون الكتاب اسم جنس يشمل الكتب الإلهية إذ الله تعالى هو منزلها وجائز أن يكون المراد به القرآن . وال فيه للتفخيم من شأنه كانه الكتاب الفذ في بابه .

الذى أنزل الكتاب أى القرآن بالحق والصدق وأنزل الميزان وذلك من أجل احقاق الحق فى الأرض وإبطال الباطل فيها، فلا يعبد إلا الله ولا يحكم إلا شرع الله وفى ذلك كمال الإنسانية وسعادتها، وقوله تعالى : ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾^(١) أى شىء جعلك تدري قرب الساعة إنه الوحى الإلهى لا غير ﴿وقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ أى الذين لا يؤمنون بالبعث الآخر والجزاء فيه هم الذين يطالبون بإتيانها فى غير وقتها ويستعجلون الرسول بها بقولهم متى الساعة؟ أما المؤمنون بالبعث والجزاء فإنهم مشفقون أى خائفون من وقوعها لأنهم لا يدرون مصيرهم فيها ولا يعلمون ما هم صائرون اليه من سعادة أو شقاء وقوله ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أى والمؤمنون يعلمون أن الساعة حق واجبة الوقوع ليحكم الله فيها بين عباده ويجزى كل واحد بعمله، ويقتضى فيها من المظلوم للظالم فلذا هي واقعة حتما لا تتخلف أبداً.

وقوله تعالى : ﴿ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد﴾ يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأن الذين يشككون فى الساعة ويجادلون فى صحة وقوعها فى ضلال عن الهدى والصواب والرشد، بعيد لا يرجى لهم معه العودة إلى الصواب والهدى فى هذه المسألة من مسائل العقيدة. وقوله تعالى ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز﴾ يخبر تعالى بأنه ذو لطف بعباده مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم يكفر به الكافرون ويعصيه العاصون وهو يطعمهم ويسقيهم ويعفو عنهم ولا يهلكهم بذنوبهم فهذا من دلائل لطفه بهم . يرزق من يشاء أى يوسع الرزق على من يشاء ويقدر على من يشاء حسب ماتقضيه تربيتهم فلا يدل الغنى على الرضاء ولا الفقر على السخط . وهو تعالى القوى القادر الذى لا يعجزه شىء العزيز فى انتقامه ممن أراد الانتقام منه وقوله تعالى : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه﴾ ، وهذا من مظاهر لطفه بعباده وهو أن من أراد منهم بعمله ثواب الآخرة وما أعد الله فيها للمؤمنين المتقين نزله فى حرثه أى يضاعف له أجر عمله الحسنة بعشر الى سبعمائة ويضاعف لمن يشاء ومن كان يريد بعمله حرث الدنيا أى متاع الحياة الدنيا يؤته على قدر عمله للدنيا وهو ما قدره له أزلاً وجعله مقدوراً له لا بد نائله، وماله فى الآخرة من نصيب لأنه لم يعمل لها فلا حظ ولا نصيب له فيها إلا النار وبئس القرار.

وقوله تعالى فى الآية (٢١) ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ يقول

(١) هل المراد من الميزان العدل أو هو الآلة التي يوزن بها والظاهر أنه الآلة التي يوزن بها إذ بها يتم العدل ولقوله تعالى . . . ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ وإنزاله إلهام وضعه والعمل به .

(٢) ما استفهامية أى من جعلك تدري قرب الساعة . قال ابن عباس ما قال تعالى فيه وما أدراك فقد أدراه، وما قال فيه وما يدريك فإنه لم يدركه به .

(٣) المراد بالحرث العمل والكسب قال الشاعر:

كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحركك يهزل

بهذه الآية رد على من زعم أن المرء لو دخل ماء للتبرد فيه أن له أن يصلي به لأن الآية نص فى إرادة العمل والثواب بحسب الإرادة التي هي النية .

(٤) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام للتقريع والتوبيخ .

ألمشركين من كفار قريش شركاء من الشياطين شرعوا لهم ديناً وهو الشرك لم يأذن به الله، وهذا إنكار عليهم، وإعلان غضب شديد من أجل شركهم الذى زينته لهم الشياطين فصرفتهم عن الدين الحق إلى الدين الباطل، ولذا قال: ولولا كلمة الفصل لفضى بينهم أى ولولا أنه تعالى قضى بأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة لعذبهم فى الدنيا وأهلكهم فيها قبل الآخرة، وذلك لاتخاذهم ديناً لم يشرعه لهم. وقوله تعالى وإن الظالمين أى المشركين لهم عذاب أليم أى موجع وذلك يوم القيامة وهذا وعيد للمشركين الذين اتخذوا الجاهلية والشرك وعبادة الأوثان ديناً وأعرضوا عن دين الله الذى أوصى به نوحاً وأوحاه الى محمد خاتم رسله، كما أوصى به ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان بعض الحكمة فى إنزال الكتاب أى القرآن والميزان وهو أن يحكم الناس بالقسط.
- ٢ - بيان قرب الساعة وأن معرفة قربها كان بالوحى الإلهى مثل اقتراب للناس حسابهم.
- ٣ - المستعجلون بالساعة هم الكافرون الجاحدون لها.
- ٤ - بيان لطف الله بعباده فله الحمد وله المنة والشكر.
- ٥ - بيان وجوب إصلاح النيات فإن مدار العمل قبولاً ورفضاً بحسبها.
- ٦ - حظر التشريع بجميع أنواعه عن غير الله ورسوله.

تَرَى الظَّالِمِينَ

مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ

لَهُ فِيهَا حَسَنَةً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ

كذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ
 بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ
 عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ ﴿٢٥﴾
 وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ
 وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

شرح الكلمات :

ترى الظالمين مشفقين مما

كسبوا

: أي ترى أيها المرء الظالمين يوم القيامة خائفين من جزاء
 ما عملوا.

وهو واقع بهم : أي وهو أي جزاء ما كسبوا من الباطل والشرك نازل بهم
 معذبون به لامحالة .

والذين آمنوا وعملوا الصالحات : آمنوا بالله ولقائه وآياته ورسوله وأدوا الفرائض واجتنبوا
 المحارم .

في روضات الجنات : أي هم في روضات الجنات، والروضة في الجنة أنزه مكان
 فيها .

لهم ما يشاءون عند ربهم : أي لهم فيها ما تشتهيهم أنفسهم وتلذذ أعينهم في جوار ربهم .

قل لا أسألكم عليه أجراً : أي قل يارسولنا لقومك لا أسألكم على التبليغ أجراً أي ثواباً .

إلا المودة في القربى : أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي فتمنعوني حتى أبلغ رسالتي .

ومن يقترف حسنة : أي ومن يكتسب حسنة بقول أو عمل صالح .

نزد له فيها حسنة : أي نضاعفها له أضعافاً .

أم يقولون افترى على الله كذباً : أي يقول هؤلاء المشركون إن محمداً افترى على الله كذباً
 فنسب إليه القرآن وهو ليس بكلامه ولا بوحيه .

فإن يشاء الله يختم على قلبك : أي إن يشاء الله تعالى يطبع على قلبك وينسيك القرآن أي إن

الله قادر على أن يمنعك من الافتراء عليه كما زعم المشركون .

ويمحو الله الباطل ويحق الحق : أي إن من شأن الله تعالى أنه يمحو الباطل .

بكلماته

: أي بالآيات القرآنية وقد محا الباطل وأحق الحق بالقرآن .

وهو الذى يقبل التوبة عن عباده : أي هو تعالى الذى يقبل توبة التائبين من عباده .

ويعفو عن السيئات : أي لا يؤاخذ بها من تاب منها فهذا هو الإله الحق لا الأصنام التى ليس لها شيء مما هو لله ألّبتة .

ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات : أي ويجيب تعالى عباده الذين آمنوا به وعملوا الصالحات إلى ما دعوه فيه فيعطيهم سؤالهم .

ويزيدهم من فضله : أي يعطيهم ما سألوا ويعطهم ما لم يسألوه من الخير .

والكافرون لهم عذاب شديد : أي والكافرون بالله ورسوله ولقاء الله وآياته لهم عذاب شديد .

معنى الآيات :

يقول تعالى لرسوله ترى الظالمين يوم القيامة مشفقين أى خائفين مما كسبوا أي من جزاء ما كسبوا من الشرك والمعاصي، وهو أى العذاب واقع بهم نازل عليهم لامحالة وقوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ أى فى الوقت الذى يكون فيه الظالمون مشفقين مما كسبوا يكون الذين آمنوا بالله ربا وبالإسلام ديناً ويمحمد رسولا وعملوا الصالحات من الفرائض والنوافل بعد اجتناب الشرك والكبائر فى روضات الجنات وهى أنزهها وأحسنها لهم ما يشاءون من النعيم مما تشتهيهم الأنفس وتلذذ الأعين كل ذلك فى جوار رب كريم وقوله تعالى ﴿ذلك هو الفضل الكبير﴾^(١) أى ذاك الذى أخبر تعالى به أنهم فيه من روضات الجنات وغيره هو الفضل الكبير الذى تفضل الله تعالى عليهم به .

وقوله فى الآية الثانية (٢٣) ﴿ذلك الذى يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى ذلك المذكور من روضات الجنات وغيره هو الذى يبشر الله تعالى به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى كتابه وعلى لسان رسوله .

وقوله تعالى : ﴿قل لا أسألكم^(٢) عليه أجراً إلا المودة فى القربى﴾ يأمر تعالى رسوله أن يقول لقومه من المشركين لا أسألكم على إبلاعى إياكم دعوة ربي الى الإيمان به وتوجيهه لتكملوا وتسعدوا أجراً أى مالاً لكن أسألكم أن تودوا قرابتي منكم فلا تؤذوني وتمنعوني من الناس حتى

(١) هذا عرض لما يجري من أحوال فى عرصات القيامة وما ينتهي إليه الموقف من إسعاد أهل الإيمان والعمل الصالح وإشقاء أهل الشرك والمعاصي .

(٢) لا يوصف ولا تهتدي العقول إلى معرفة كنه صفته لأن الله تعالى إذا قال كبير كان مما لا يقادر قدره .

(٣) هذا الخطاب خاص بقريش قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن ومعنى الآية قل لا أسألكم عليه أى على البلاغ أجراً أى ثواباً وجزاء إلا أن تؤذوني من قرابتي منكم أي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني وتنصروني حتى أبلغ رسالتي وذلك أنه ما من بطن من بطون قريش إلا وفيه للرسول ﷺ قرابة رحم وأما توجيه الآية على آل رسول الله ﷺ فهو تمحل واضح إلا أن حب آل البيت وتعظيمهم واجب أكيد ووردت فيه أحاديث كثيرة صالحة للاحتجاج بها .

أبلغ دعوة ربي .

وقوله تعالى : ﴿ومن يقترف حسنة﴾ أي من يعمل حسنة نزد له فيها حسناً بأن نضاعفها له إذ الله غفور للثائبين من عباده شكور للعاملين منهم فلا يضيع أجر من أحسن عملاً .
 وقوله : ﴿أم يقولون أفترى^(١) على الله كذباً﴾ أي بل يقولون أفترى على الله كذباً أي يقول المشركون إن محمداً أفترى على الله كذباً فادعى أن القرآن من كلام الله ووحيه وما هو إلا افتراء افتراه على الله . فأبطل الله تعالى هذه الدعوة وقال : ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ أي يطبع على قلبك فتنسى القرآن ولا تقدر على قوله والنطق به ، فكيف إذا يقال إنه يفترى على الله كذباً والله قادر على منعه والإحالة بينه وبين ما يقوله . وقوله : ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ هذا شأنه تعالى يمحو الباطل ويحق الحق بالقرآن وقد فعل فَمَحَا الباطل وأحق الحق فمات رسول الله ﷺ وفي الجزيرة من يعبد غير الله تعالى . وقوله ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ فلواسع علمه وعظيم قدرته محا الباطل وأحق الحق بالقرآن ولو كان القرآن مفترى مامحاً باطلاً ولا أحق حقاً وقوله تعالى : ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ أي إن تابوا إليه وأنابوا ، ويعفو عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها ، ويعلم ما يفعلون في السر والعلن ويجزى كل بما عمل وهو على كل شيء عاقد .^(٢)

وقوله تعالى : ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي يجيب دعاءهم فيما طلبوه ويزيدهم من فضله فيعطيه مالم يطلبوه فما أعظم كرمه وما أوسع رحمته !! هذا للذين آمنوا وعملوا الصالحات . وأما الكافرون فلهم عذاب شديد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير حق القرابة ووجوب المودة فيها . واحترام قرابة الرسول ﷺ وتقديرها .
- ٢ - تبرئة رسول الله ﷺ من الافتراء على الله عز وجل .
- ٣ - مضاعفة الحسنات ، وشكر الله للصالحات من أعمال عباده المؤمنين .
- ٤ - وجوب التوبة وقبول الله تعالى لها ، وقد كان رسول ﷺ يتوب الى الله في اليوم مائة مرة . وللتوبة ثلاثة شروط : الاقلاع الفوري عن المعصية ، والاستغفار ، والندم على ما فعل من

(١) أم للإضراب الانتقالي والاستفهام إنكاري ينكر تعالى على المشركين الذين قالوا إن محمداً يفترى على الله الكذب فيقول أرسلني الله وما أرسله ويقول القرآن من وحي الله ، والله ما أوحى إليه فانكر تعالى هذا على قائله ووضح لهم أن دعواهم لا تمت إلى الواقع بصلة .

(٢) فاعل يستجيب هو الله عز وجل والذين مفعول به في محل نصب والسين والتاء للتأكيد إذ استجاب هو بمعنى أجاب .

المعصية بترك الواجب أو بفعل المحرم . وإن كان الذنب يتعلق بحق آدمي زاد شرط رابع وهو التحلل من الأدمي بآداء الحق أو بطلب العفو منه .

٥ - وعد الله تعالى باستجابة دعاء المؤمنين العاملين للصالحات وهم أولياء الله تعالى الذين أن سألوا أعطاهم وإن استعاذوه أعادهم وإن استنصروه نصرهم . اللهم اجعلنا منهم وأحشرنا فى زمرةهم .

❖ وَلَوْ سَطَّ اللَّهُ الرِّزْقَ

لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذْ يَأْتِيهِمْ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

شرح الكلمات :

- ولو سبط الله الرزق لعباده : أي لو وسع الرزق لجميع عباده .
 لبغوا فى الأرض : أي لطفوا فى الأرض جميعا .
 ولكن ينزل بقدر ما يشاء : أي ينزل من الأرزاق بقدر ما يشاء فيسقط ويضيق .
 إنه بعباده خبير بصير : أي إنه بأحوال عباده خبير إذ منهم من يفسده الغنى ومنهم من يصلحه ومنهم من يصلحه الفقر ومنهم من يفسده .
 وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا : أي المطر من بعد يأسهم من نزوله .
 وينشر رحمته : أي بركات المطر ومنافعه فى كل سهل وجبل ونبات وحيوان .
 وهو الولي الحميد : أي المتولى لعباده المؤمنين المحسن إليهم المحمود عندهم .

ومابث فيهما من دابة : أي فرق ونشر من كل ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم .
 وهو على جمعهم إذا يشاء قدير : أي للحشر والحساب والجزاء يوم القيامة قدير .
 وما أصابكم من مصيبة : أي بليه وشدة من الشدائد كالمرض والفقر .
 فيما كسبت أيديكم : أي من الذنوب والآثام .
 ويعفو عن كثير : أي منها فلا يؤاخذ به ، وما عفا عنه في الدنيا لا يؤاخذ به في الآخرة .
 وما أنتم بمعجزين في الأرض : أي وَلَسْتُمْ بِفَائِي اللَّهِ وَلَا سَابِقِيهِ هَرَباً مِنْهُ إِذَا أَرَادَ مُؤَاخَذَتَكُمْ بِذُنُوبِكُمْ .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ هذا شروع في عرض مظاهر القدرة والعلم والحكمة الموجبة لرؤية الله تعالى المستلزمة لألوهيته على عبادته فقال تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ﴾ أي رب العباد الرزق فوسعه عليهم لبغوا في الأرض فظننا بعضهم على بعض وظلم بعضهم بعضاً ولزم ذلك فساد كبير^(١) في الأرض قد تتعطل معه الحياة بكاملها .
 ولكن ينزل بقدر ما يشاء أي ينزل من الأرزاق بمقادير محددة حسب تدبيره لحياة عباده ويدل على هذا قوله إنه بعباده خبير بصير^(٢) أي إنه بما تتطلبه حياة عباده ذات الأجل المحدودة ، والأعمال المقدره الموزونة ، والنتائج المعلومة أزلاً . هذا مظهر من مظاهر العلم والقدرة والحكمة ومظهر آخر في قوله ، ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ ، فإنزَالُ المطر بكميات ومقادير محددة وفي أماكن محددة ، وفي ظروف محددة هذا التصرف ماقام إلا على مبدأ القدرة القاهرة والخبرة التامة ، انه يمنع عن عباده المطر فيمحلوها ويجذبوا حتى يأسوا ويظهر عجزهم وعجزا آلهتهم التي يعبدونها ظلماً فاضحاً إذ لا تستحق العبادة بحال من الأحوال ثم ينزل الغيث وينشر^(٣) الرحمة فتعم الأرزاق والخيرات والبركات ، وهو الولي الذي لا تصلح الولاية لغيره الحميد أي المحمود بصنائع بره وعوائد خيره ومظاهر رحمته . هو الولي بحق والمحمود

(١) روى أن خباب بن الارت قال هذه الآية نزلت فينا نظرنا إلى أموال بني النضير وقریظة وقينقاع فتمنيانها فنزلت ﴿ولو بسط الله﴾ الآية والآية تضمنت رداً على من يقول ما دام الله يستجيب للذين آمنوا الخ لم لا يسألونه سعة الرزق فيغنهم ويشريهم بالأموال فكان الجواب ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض .
 (٢) وشاهده من السنة هو قوله ﷺ فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم .
 (٣) القدر بفتح الحين : المقدار والتعيين والجمع بين صفتي «خبير» و«بصير» لأن وصف خبير ، دال على العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبابها أي العلم بما سيكون ووصف بصير دال على العلم المتعلق بأحوالهم التي حصلت .
 (٤) الغيث المطر وسمي غيثاً لأن به غيث الناس المضطرين .

بحق، ومظهر آخر فى قوله تعالى ومن آياته الدالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة لربوبيته لسائر خلقه والمستلزمة لألوهيته على سائر عبادته : ﴿خلق السموات والأرض﴾ ايجادهما بما هما عليه من عجائب الصفة، ومابث أى فرق ونشرفيهما من دابة تدب على الأرض، أو ملك بسبح فى السماء. فهذا الخلق والإبداع ناطق بربوبيته تعالى صارخ بألوهيته لعباده فلم إذاً يعبد غيره من مخلوقاته وتترك عبادته وفوق هذا المظهر للخلق والرزق والتدبير مظهر آخر وهو قدرته تعالى على جمع سائر خلقه فى صعيد واحد ومتى؟ وإنه بعد إفنائهم وتصييرهم عظاماً ورفاتا، وهو معنى قوله : وهو على جمعهم إذا يشاء قدير^(١).

وقوله تعالى : ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾^(٢)، وهذا مظهر آخر للقدرة والعلم يتجلى فيما يصيب الإنسان من مصيبة فى نفسه وولده وماله إن كل مصاب ينزل بالإنسان فى هذه الحياة ناتج «عن مخالفة لله تعالى فيما وضع من القوانين والشرائع والسنن. وأعظم دلالة أن يُعطل القانون الماضى ويوقف مفعوله فيكسب العبد الذنب ولا يؤاخذ به عفواً من الله تعالى عليه، وهو معنى قوله تعالى ﴿ويعفو عن كثير﴾. فله الحمد وله المنة. ومظهر آخر من مظاهره قدرة الله وعلمه وحكمته هو ان الناس مهما أوتوا من قوة وتدبير وعلم ومعرفة لم ولن يعجزوا الله تعالى ﴿وما أنتم بمعجزين فى الأرض﴾ فالسما فونهم والأرض تحنهم إن بشأ يخسف الأرض من تحتهم أو يسقط السماء كسفا من فوقهم. فإلى أين المهرب والجواب الى الله فقط بالاستسلام له والانقياد بالطاعة وفى ذلك نجاتهم وعزهم وكرامتهم زيادة على سعادتهم وكمالهم فى الحياتين وقوله : ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أى وليس لكم أيها الناس مع عجزكم من ولي يتولاكم ولا ناصر ينصركم. إذاً ففروا الى الله بالإيمان به والإسلام له تنجوا وتسعدوا.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان الحكمة فى تقدير الأرزاق وإعطائها بمقادير محددة.
- ٢ - من مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته على عبادته إنزال الغيث بعد اليأس والقنوط وخلق السموات والأرض ومابث فيها من دابة.
- ٣ - بيان حقيقة علمية ثابتة وهى أن المخالفة للقوانين يترتب عليه ضرر يصيب المخالف.
- ٤ - بيان أنه مامن مصيبة تصيب المرء فى نفسه أو ولده أو ماله إلا بذنب ارتكبه.

(١) تقرير لعقيدة البعث والجزاء أثناء تقرير عقيدة التوحيد والنسبة المحمدية.

(٢) قرأ نافع بما كسبت وقرأ حفص بما كسبت بزيادة الفاء.

(٣) قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب، ولما يعفوا الله عنه أكثر. وشاهد آخر من كتاب الله تعالى قوله تعالى ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾.

٥ - بيان أن من الذنوب ما يعفو الله تعالى عنه ولا يؤاخذ به تكريماً واحساناً.^(١)

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ﴿٣٣﴾ إِنَّ يَشَاءُ يُسَكِّنَ الرِّيحَ
فِيظَلِّلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ
﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام : أي ومن علامات ربوبيته للخلق ايجاد السفن
كالجبال في البحار وتسخير البحار للسفر فيها لمنافع العباد.

إن يشأ يسكن الريح : أي يوقف هبوب الريح فلا نسيم ولا عواصف.

فيظللن رواكد على ظهره : أي تقف السفن وتظل راکدة حابسة على ظهر البحر.

ان في ذلك لايات : أي في هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار

وسير السفن وركودها عند سكون الرياح لدلالات واضحة على

وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته .

لكل صبار شكور : أي إن هذه الآيات لا يراها ولا يتفجع بها إلا من كان صباراً عند

الشدايد والمحن شكوراً عند الآلاء والنعم .

أو يوقعن بما كسبوا : أي وان يشأ يجعل الرياح عواصف فيهلك تلك السفن ويفرقها

بمن فيها بسبب ذنوب أصحابها، وهو على ذلك قدير.

ويعفو عن كثير : أي وإنه تعالى ليعفو عن كثير من الذنوب والخطايا فلا يؤاخذ

بها إذ لو آخذ بكل ذنب ما بقي أحد على وجه الأرض لقلته من

لايذنب فيها .

ويعلم الذين يجادلون في آياتنا : أي ويعلم المكذبون بآيات الله من المشركين عندما تعصف

العواصف وتضطرب السفن ويخاف الغرق .

مالهم من محيص : أي ليس لهم من مهرب إلا إلى الله فيجأرون بدعائه وحده

ناسين آلهتهم الباطلة .

(١) ولذا قال علي رضي الله عنه أرجى آية في كتاب الله تعالى هي هذه الآية وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه ؟ .

معنى الآيات :

ما زال السياق فى ذكر مظاهر الربوبية المستلزمة لألوهية الله تعالى ووجوب عبادته وحده دون سواه فقال تعالى : ﴿ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام﴾ (١) أى ومن حججه عليكم يا عباد الله الدالة على قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته أيضا هذه السفن الجوار فى البحر كأنها جبال عالية تسير من إقليم إلى إقليم بتسخير الله تعالى البحار وإرسال الرياح وهى تجرى بمنافعكم حيث تنقل الركاب والبضائع من إقليم إلى آخر. فهذا مظهر قدرة الله ورحمته، وان يشأ تعالى إسكان الريح فإنها تسكن فلا تهب ولا تنسم بنسيم ألينة فتقف السفن وتركد على سطح الماء فلا تتحرك، وإن يشأ أيضا يرسل عليها عواصف من الريح فتضطرب وتغرق بما فيها ومن فيها وذلك بذنوب أصحابها إن القاعدة الثابتة المقررة أنه مامن مصيبة إلا بذنوب. وهذا معنى قوله ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره﴾.

وقوله تعالى ﴿إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ أى إن فى هذه المظاهر من خلق السفن والبحار وتسخير البحار وسير السفن عليها وركودها عند سكون الريح لحجج واضحة قوية على وجود الله وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته ولكن لا يراها ولا ينتفع بها أمثال البهائم، ولكن هى من نصيب كل عبد صبار على طاعة الله وبلائه شكور لآلائه ونعمه عليه ..
وقوله ﴿أويوبقهن بما كسبوا﴾ (٢). وقوله ﴿ويعف عن كثير﴾ (٣) أى

ولا يؤاخذ بكل ذنب فقد يعفو عن كثير من الذنوب. إذ لو عاقب على كل ذنب وأخذ بكل خطيئة لما بقى على الأرض أحد إذ ما من أحد إلا ويذنب اللهم إلا ما كان من المعصومين من الأنبياء والمرسلين فإنهم لا يذنبون، ولكن قد يذنب أصولهم وفروعهم فيهلكون ومن أين يوجدون!!

(١) الجوار جمع جارية والأعلام جمع علم والعلم الجبل والآيات جمع آية وهى العلامة الدالة على الشيء الهداية إليه المعرفة به. وسميت السفينة جارية لأنها تجري فى البحر وسميت الشابة من النساء جارية لأنها تجري فيها ماء الشباب. قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم واستشهد بقول الخنساء وهى تترى أخاها صخرأ.

وإن صخرأ لتأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

(٢) يقال ركد الماء ركوداً سكن وكذلك الريح والسفن والشمس إذا قام قائم الظهيرة وكل ثابت فى مكان فهو راكد والرواكد جمع راكدة مؤنث راكد.

(٣) أى وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوق السفن أى يفرقهن بذنوب أهلها إذ الباء سببية.

(٤) ويعفو عن كثير أى من أهلها فلا يفرقهم معها، كما يتجاوز عن كثير من الذنوب فلا يؤاخذ بها. ويعف مجزوم بحذف آخره لأنه معطوف على إن يشأ يسكن الريح أى وإن يشأ يعف.

وقوله تعالى : ﴿ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص﴾^(١) أى وعندما تكون الريح عاصفة وتضطرب السفن وتشرف على الغرق هنا يعلم المشركون الذين يخاصمون رسول الله ويجادلونه فى الوحي الإلهى ويكذبون به يعلمون انهم فى هذه الحال ما لهم من محيص أى من ملجأ ولا مهرب من الله إلا إليه فيجأون بدعاء الله وحده كما قال تعالى فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مظاهر ربوبية الله وألوهيته على خلقه .
- ٢ - فضل الصبر والشكر وفضيلة الصابرين الشاكرين .
- ٣ - تقرير قاعدة مامن مصيبة إلا بذنب مع عفو الله عن كثير .
- ٤ - عند معاينة العذاب يعرف الإنسان ربه ولا يعرف غيره .

فَمَا أَوْتَيْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُنَّعُ

الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا

غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ

ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا

وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ ٱنْصَرَ

بَعْدُ ظُلْمِهِ فَأُوْلَٰئِكَ مَاعَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾

(١) قرأ نافع ويعلم بالرفع على أنه كلام مستأنف وقرأ حفص ويعلم بالنصب عطفًا على فعل مدخول للام التعليل وتضمن (أن) بعده، والتقدير ليتقم منهم ويعلم الذين يجادلون الخ .

(٢) المحيص مصدر ميمي من حاص يحيص حيصاً إذا أخذ في الفرار والهرب مائلاً في سيره وفي حديث أبي سفيان : فحاصوا حيصة حمر الوحش . والمعنى ما لهم من فرار ومهرب من لقاء الله تعالى .

شرح الكلمات :

فما أوتيتم من شيء : أي فما أعطيتم من شيء من متاع الدنيا كالمال والولد والمطعم والمشرب والملبس والمسكن والمنكح والمركب .

فمتاع الحياة الدنيا : أي يتمتع به زماناً ثم يزول ولا يبقى .

وما عند الله خير وأبقى : أي وما عند الله من ثواب الآخرة فهو خير في نوعه وأبقى في مدته .

للذين آمنوا وعلى ربهم : أي ما عند الله خير وأبقى لأصحاب الصفات التالية :

يتوكلون الإيمان، والتوكل على الله، واجتناب كبائر الأثم والفواحش،

والتجاوز عن أساء إليهم، والاستجابة لربهم في كل مدعاهم

إليه فعلاً أو تركاً، وإقام الصلاة والمشورة بينهم والإنفاق مما

رزقهم الله، والانتصار عند البغي عليهم هذه عشر صفات

أصحابها ما أعدده الله تعالى لهم يوم يلقونه خير من متاع الدنيا

بكامله .

وجزاء سيئة سيئة مثلها : أي جزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه .

فمن عفا وأصلح فأجره على الله : أي فمن عفا عن أساء إليه وأصلح ما بينه وبينه فأجره على الله ثابت له .

إنه لا يحب الظالمين : أي لا يحب البادئين بالظلم، ومن لم يحبه الله أذن في عقوبته .

ولمن انتصر بعد ظلمه : أي ومن ظلمه ظالم فأخذ منه بحقه .

فأولئك ما عليهم من سبيل : أي لمؤاخذتهم، لأنهم ما بدأوا بالظلم .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾ هذا شروع في بيان صفات الكمال

في المسلم التي يستوجب بها نعيم الآخرة ضمن التعريض بزينة الحياة الدنيا الفانية فقال تعالى

﴿فما أوتيتم﴾ أيها الناس من مؤمن وكافر من شيء في هذه الحياة الدنيا من لذيذ الطعام والشراب

وجميل اللباس، وفاخر المساكن وأجمل المناكح وأفره المراكب كل ذلك متاع الحياة الدنيا يزول

ويفنى . أما ما عند الله أي ما أعدده الله لأولياته في الدار الآخرة فهو خير وأبقى ولكن لمن أعدده؟

(١) ومما قيل في المشورة نظماً قول بشار بن برد :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي لبيب أو مشورة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

الخوافي ريشات إذا ضم الطير جناحيه خفيت، والقوادم عشر ريشات في مقدم الجناح وهي كبار الريش .

(٢) قال القرطبي في قوله تعالى : ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا﴾ يريد من الغنى والسعة في الدنيا .

والجواب للذين آمنوا أي بالله وآياته ولقائه ورسوله ويكل ماجاء به والذين على ربهم لاعلى سواه يتكلمون ثقة في كفايته واعتماداً عليه، والذين يجتنبون أى يتركون كبائر الإثم كالشرك والقتل والظلم وشرب الخمر وأكل الحرام والفواحش كالزنى واللواط. والذين إذا غضبوا يتجاوزون عن غضبهم ويغفرون له زلته أو إساءته إليهم والذين استجابوا لربهم عندما ناداهم ودعاهم لكل ماطلبه منهم، والذين أقاموا الصلاة فأدوها على وجهها المطلوب لها من خشوع مراعين شرائطها واركناها وواجباتها وسننها وآدابها، والذين أمرهم شورى بينهم أى أمرهم الذى يهمهم في حياتهم أفراداً وجماعات وأماماً وشعوباً يجتمعون عليه ويتشاورون فيه ويأخذون بما يلهمهم ربهم بوجه الصواب فيه. والذين مما رزقهم الله من مال وعلم وجاه وصحة بدن ينفقون شكراً لله على ما رزقهم واستزاده للثواب يوم الحساب. والذين إذا أصابهم البغي أى إذا بغى عليهم البغاه الظلمة من الكافرين ينتصرون لأنفسهم إغذاراً لها وإكراماً لأنها انفس الله وليها فالعزة واجبة لها. هذه عشر صفات متى اتصف بها العبد لا يضره شىء لو عاش الدهر كله فقيراً نقيماً محروماً من لذيذ الطعام والشراب ومن جميل اللباس، والسكن والمركب إذ ما عند الله تعالى. له خير وأبقى مع العلم أن أهل تلك الصفات سوف لا يحرمون من طيبات الحياة الدنيا بل هم أولى بها من غيرهم إلا أنها ليست شيئاً يذكر إلى جانب ما عند الله يوم يلقونه ويعيشون فى جواره.

وقوله تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ هذا هو الحكم الشرعى جزاء المسيء العقوبة بما أوجب الله تعالى له فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ. وقوله تعالى فمن عفا عن أساء إليه، وأصلح ما بينه وبينه فعادت المودة وعاد الإخاء فأجره على الله وهو خير له وأبقى من شفاء صدره بعقوبة اخيه الذى أساء إليه. وقوله تعالى ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ تعليل لعظم الأجر لمن عفا أى كونه تعالى لا يحب الظالمين ضاعف الأجر وأجزل المثوبة للمظلوم إذا عفا وأصلح. وقوله : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أى وللذى ظلم فانتصر لنفسه وردّ الظلم عنها فهؤلاء لا سبيل لكم إلى أذيتهم وعقوبتهم. هذا حكم الله وشرعه.

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفواحش الزنا وإن كبير الإثم الشرك وهو كذلك.

(٢) وإذا ما غضبوا هم يغفرون أى يتجاوزون ويحلمون عن ظلمهم، قيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في أبي بكر حين لامه الناس على إنفاقه ماله كله وحين شتم فحلّم.

(٣) قال ابن زيد : هم الأنصار بالمدينة استجابوا إلى الإيمان بالرسول ﷺ حين أنفذ إليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة.

(٤) قال ابن العربي : الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم قط إلا هدوا وفي الحديث ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وما عال من اقتصد. والشورى والمشورة بمعنى واحد.

(٥) لقد مدح الله تعالى المنتصر من الظلم ومدح العفو عن الجرم، فالانتصار يكون من الظالم المعلن الفجور الوقح في الجمهور المؤذي للصغير والكبير فهذا الانتقام منه أفضل والعفو يكون في الفلته، وفيمن يعترف بالزلة ويطلب العفو.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - متاع الحياة الدنيا إذا قوبل بما أعد الله للمؤمنين المتقين لا يعد شيئاً يذكر ابداً .
- ٢ - بيان أكمل الشخصيات الإسلامية وهى الشخصية التى تتصف بالصفات العشر التى تضمنتها الآيات الأربع ذات الرقم (٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩) .
- ٣ - مشروعية القصاص وعقوبة الظالم .
- ٤ - عدم مؤاخذه من ظلم فأخذ بحقه بلا زيادة عنه مالم يكن حداً فإن الحدود يقيمها الإمام .
- ٥ - فضيلة العفو على الإخوة المسلمين والإصلاح بينهم .

إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ
 يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
 ﴿٤٥﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ
 لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلِ ﴿٤٤﴾
 وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِّنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ
 مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ
 خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
 فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
 مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

إنما السبيل : أى بالعقوبة والأذية .

على الذين يظلمون الناس : أى يعتدون عليهم فى أعراضهم أو أبدانهم وأموالهم .

ويغفون فى الأرض بغير الحق : أى ويطلبون فى الأرض الفساد فيها بالشرك والظلم والإجرام .
ولمن صبر وغفر : أى ولمن صبر فلم ينتصر لنفسه وغفر وتجاوز عن أساء إليه .
إن ذلك : أى إن ذلك الصبر والتجاوز عن المسيء .
لمن عزم الأمور : أى لمن معزومات الأمور المطلوبة شرعاً .
ومن يضل الله : أى حسب سنته فى الإضلال .
فماله من ولي من بعده : أى فليس له من أحد يتولى هدايته ويقدر عليها .
هل إلى مرد من سبيل : أى هل إلى مرد إلى الحياة الدنيا من سبيل نسلكتها لنعود إلى الدنيا .
وتراهم يعرضون عليها : أى على النار خاشعين خائفين متواضعين .
ينظرون من طرف خفى : أى من عين ضعيفة النظر كما ينظر المقتول إلى السيف لا يملأ عينه منه .
يوم القيامة : أى لخلودهم فى النار، وعدم وصولهم إلى الحور العين فى دار السلام .
إلا إن الظالمين : أى المشركين .
فى عذاب مقيم : أى دائم لا يخرجون منه وهو عذاب الجحيم .
ومن يضل الله فما له من سبيل : أى طريق إلى الهداية فى الدنيا، وإلى الجنة يوم القيامة .

معنى الآيات :

لقد تقدم قوله تعالى فى الآية قبل هذه : ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾
فلما نفى عن المنتصرين السبيل إلى عقوبتهم أثبت هنا أن السبيل إلى العقوبة والمواخذة هو
على الذين^(١) يظلمون الناس بالاعتداء عليهم فى أبدانهم أو أعراضهم أو أموالهم ويغفون فى
الأرض بغير الحق أى ويطلبون الفساد فيها بالشرك والظلم والمعاصى ، وليس فى الشرك
والظلم والمعاصى من حق يبيحها، وقوله ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ أى للذين ييغفون فى الأرض
بغير الحق لهم عذاب أليم أى موجه وهو عذاب الدنيا بعقوبتهم الصارمة ويوم القيامة ان لم
يتوبوا من الظلم والفساد فى الأرض .
وقوله تعالى : ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾^(٢) يخبر تعالى مؤكداً الخير بلام
الابتداء ان من صبر فلم ينتصر لنفسه من أخيه المسلم وغفر لأخيه زلته فتجاوز له عنها فان ذلك
المذكور من الصبر والتجاوز من معزومات الأمور المطلوبة شرعاً .

(١) هذه الآية تقابل آية التوبة ﴿ ما على المحسنين من سبيل ﴾ حيث نفت السبيل على المحسنين وهو لوهمهم وعتابهم وهذه
أثبتته على المسيئين الظالمين .

(٢) قال العلماء هذا فيمن ظلمه مسلم فإنه مندوب إلى الصبر وعدم المواخذة وهو العفو روى أن رجلاً سب آخر في مجلس
الحسن البصري فكان السبوب يكظم ويعرق ويمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها إذ
ضيمها الجاهلون ، والعزم عقد النية على العمل والثبات عليه .

وقوله تعالى : ﴿ومن يضلل الله فماله من ولي من بعده﴾^(١) أي ومن يضلله الله تعالى حسب سنته فى الإضلال فليس له من أحد من بعد الله يهديه . وقوله تعالى : ﴿وترى الظالمين﴾ أى المشركين لما رأوا العذاب أى عذاب النار يقولون : متمنين الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا ويؤخّذوا حتى ينجوا من عذاب النار ويدخلوا الجنة مع الابرار: هل إلى مرد من سبيل؟ أى هل إلى مرد الى الدنيا من طريق؟ قال تعالى ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ أى على النار خاشعين خاضعين متواضعين من الدّل ينظرون من طرف خفى^(٢) يسترقون النظر لا يملأون أعينهم من النظر الى النار لشدة خوفهم منها . وهنا يقول الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وإهليهم يوم القيامة وذلك لخلودهم فى النار وحرمانهم من الوصول إلى الحور العين فى الجنة دار الابرار، ويعلمن معلن فيقول: ألا إن الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصى فى عذاب مقيم لا يبرح ولا يزول وقوله تعالى ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾ يخبر تعالى بأنه لم يكن لأولئك الظالمين من أهل النار من أولياء من دون الله ينصرونهم بتخليصهم من العذاب . وقوله : ﴿ومن يضلل الله فماله من سبيل﴾ أى فما له طريق إلى هدايته فى الدنيا وإلى الجنة يوم القيامة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - لاسبيل إلى معاقبة من انتصر لنفسه بعد ظلمه .
- ٢ - وجوب معاقبه الظالم والضرب على يديه .
- ٣ - فضيلة الصبر والتجاوز عن المسلم إذا أساء بقول أو عمل .
- ٤ - لا أعظم خسرانا ممن يخلد فى النار ويحرم الجنة وما فيها من نعيم مقيم .

أَسْتَجِيبُوا

لرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَّ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِّن مَّذْجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِن أَعْرَضُوا
فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا

(١) من ولي (من) زائدة للتوكيد إذ الكلام فماله ولسي من بعده وكذلك فى قوله الآتى ﴿وما كان لهم من أولياء﴾ فمن زائدة للتوكيد .

(٢) الطرف مصدر طرف طرفاً إذا حرك جفنه ولذا هو لا يشى ولا يجمع قال تعالى ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾ ويطلق الطرف على العين كما فى هذه الآية قال الشاعر:

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرَحَّبَهَا وَإِنْ تَصْبِهِمْ سَيِّئَةٌ
 بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا
 وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا
 وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَزِيزٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

شرح الكلمات :

- استجيبوا لربكم : أي أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والعبادة .
 من قبل أن يأتي يوم : أي يوم القيامة .
 لأمرده من الله : أي إذا أتى لا يرد بحال .
 مالكم من ملجأ يومئذ : أي تلجأون إليه وتتحصنون فيه .
 ومالكم من نكير : أي وليس لكم ماتنكرون به ذنوبكم لأنها في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .
 فإن أعرضوا : أي لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة .
 إن عليك إلا البلاغ : وقد بلغت فلا مسئولية تخشاها بعد البلاغ .
 وإنما إذا أذقنا الإنسان منارحمة : أي نعمة كالغنى والصحة والعافية .
 وإن تصبهم سيئة : أي بلاء كالمرض والفقر وغير ذلك .
 بما قدمت أيديهم : أي من الذنوب والخطايا .
 فإن الانسان كفور : أي للنعمة والمنعم والإنسان هو غير المؤمن التقى .
 لله ملك السموات والأرض : أي خلقا وملكا وتصرفا .
 يهب لمن يشاء إناثا : أي يرزق من يشاء من الناس بنات .
 ويهب لمن يشاء الذكور : أي ويعطى من يشاء الأولاد الذكور .
 أو يزوجهم ذكرا وإناثا : أي يجعلهم ذكورا وإناثا .
 ويجعل من يشاء عقيما : أي لا يولد ولا يولد له .

معنى الآيات :

بعد ذلك العرض الهائل لأحوال وأحوال الظالمين فى عرصات القيامة طلب الرب تعالى من عباده أن يجيبوه لما طلبه منهم إنقاداً لأنفسهم من النار فقال : ﴿استجيبوا لربكم﴾^(١) بمعنى أجيبوه لما دعاكم إليه من التوحيد والطاعات قبل فوات الفرصة وذلك قبل الموت وقبل يوم القيامة اليوم الذى إذا جاء لامرءه من الله ، إذ لا يقدر على رده إلا الله والله أخبر أنه لا يرد فممن يرد إذا؟ فبادروا بالتوبة الى ربكم قبل مجيئه حيث لا يكون لكم يومئذ ملجأ تلجأون إليه هارين من العذاب ولا يكون لكم نكير يمكنكم أن تنكروا به ذنوبكم إذ قد جمعت لكم فى كتاب واحد لم يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة الا أحصاها عدأ. هذا مادلت عليه الآية الأولى (٤٧) وهى قوله تعالى : ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير﴾^(٢) . وقوله تعالى فى الآية الثانية (٤٨) ﴿فإن أعرضوا﴾ أى لم يجيبوا ربهم لما دعاهم إليه من التوحيد والطاعة فما أرسلناك عليهم حفيظاً رقيباً تحصى أعمالهم وتحفظها لهم وتجازيهم بها. إن عليك إلا البلاغ أى ما عليك إلا البلاغ وقد بلغت ويرثت ذمتك فلا يهملك أمرهم ولا تحزن على اعراضهم . . . وقوله تعالى : ﴿وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة﴾ أى نعمة كسعة رزق وصحة بدن وكثرة مال وولد فرح بها فرح البطر والأشر ، وهذا الإنسان هو الكافر أو الجاهل الضعيف الإيمان . وإن تصبهم سيئة أى ضيق عيش ومرض وفقر بما قدمت ايديهم من الذنوب فإن الإنسان كفور سرعان ما ينسى النعمة والمنعم ويقع فى اليأس والقنوط هذا الإنسان قبل أن يؤمن ويسلم ويحسن فإذا آمن وأسلم وأحسن تغير طبعه وطهر نبعه وأصبح يشكر عند النعمة ويصبر عند النقمة . وقوله تعالى : ﴿الله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء﴾^(٣) إنه يحكم سلطانه على الأرض والسماء فانه يتصرف كيف يشاء يهب لمن يشاء إنائاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم له ذكوراً وإنائاً ، ويجعل من يشاء من الناس عقيماً لا يلد ولا يولد له ، وهذا ناتج عن علم أحاط بكل شىء ، وقدرة أخضعت لها كل شىء وهذا معنى قوله ﴿إنه عليم قدير﴾^(٤) . فالواجب أن يسلم العبد لربه فيما وهبه وأعطاه إذ الله يعطى لحكمة ويمنع لحكمة ، ومن السفه الاعتراض على حكم الله .

(١) السين والفاء للتوكيد واللام لربكم لتأكيد تعدية الفعل إلى المفعول نحو شكرت له وحمدت له وتسمى هذه اللام لام التبليغ ولام التبيين إذ الأصل أجا به واستجابه .

(٢) النكير: اسم مصدر أنكروا وإنكاراً والنكير اسم المصدر إذ نقصت حروفه والمعنى مالكم إنكار لما جوزيتم به إذ لا يسعكم إلا الاعتراف .

(٣) الإذاقة كناية عن الإصابة والمراد بالرحمة أثرها وهى النعمة والتقدير وإننا إذا رحمنا الانسان فأصنناه بنعمة .

(٤) الجملة مستأنفة بياناً إذ لسائل أن يقول لم لا يفطر الله الإنسان على خلق الشكر فكان الجواب لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء .

(٥) الجملة تعليلية ففصتا العلم والقدرة بهما يكون الولد ولا يكون فليسلم الأمر لله فى العقم والولادة .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - وجوب الاستجابة لله تعالى فى كل مادعا العبد إليه ، وذلك قبل أن يطلب الاستجابة ولا يمكن منها .
- ٢ - على الدعاة إلى الله تعالى إبلاغ مطلوب الله تعالى من عباده ، ولا يضرهم بعد ذلك شيء .
- ٣ - بيان طبع الانسان وحاله قبل أن يهذب بالإيمان واليقين والطاعات .
- ٤ - لله مطلق التصرف فى الملكوت كله فلا يصح الاعتراض عليه فى شيء فهو يهب ويمنع لحكم عالية لاتدركها عقول العباد .
- ٥ - وجود عقم فى الرجال وعقم فى النساء ، ولابأس بالعلاج الجائز المشروع عند الشعور بالعقم أو العقر . اماما ظهر الآن من بنوك المنى ، والإنجاب بطريق صب ماء فحل فى فرج امرأة عاقر وما إلى ذلك فهذه من أعمال الملاحدة الذين لا يدنون لله بالطاعة له والتسليم لقضائه ، وإن صاموا وصلوا وادعوا أنهم مؤمنون إذ لآحياء لهم ولا إيمان لمن لآحياء له ، وحسبهم قبحا فى سلوكهم هذا الكشف عن السوءات بدون انقاذ حياة ولاطلب رضا الله رب الأرض والسماوات .

وَمَا كَانَ

لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي جِبَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

إلا وحياً أو من وراء حجاب : أي إعلاماً خفياً سريعاً فى يقظة أو منام، أو يكلمه من وراء حجاب فيسمع الكلام ولا يرى الذات.

أو يرسلوا رسولا : أي أو يرسل ملكاً فى صورة إنسان فيكلمه مبلغاً عن الله تعالى .

إنه علي حكيم : أي الله تعالى ذوعلو على سائر خلقه حكيم فى تدبير خلقه .

وكذلك أوحينا إليك : أي كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن .

روحاً من أمرنا : أي وحياً ورحمة من أمرنا الذى نوحيه إليك .

ماكنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان : أي لم تكن قبل تدري أي شىء هو الكتاب، ولا

الإيمان الذى هو قول وعمل واعتقاد .

ولكن جعلناه نوراً نهدى به : أي جعلنا القرآن نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا الى صراطنا .

وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم : أي الإسلام .

ألا إلى الله تصير الأمور : أي ترجع أمور جميع العباد فى يوم القيامة إلى الله تعالى

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾^(١) يخبر تعالى أنه ليس من شأن البشر كائناً

من كان أن يكلمه الله تعالى إلا وحياً بأن يعلمه بطريق سريع خفى إلهاماً أو مناماً فيفهم عن الله

تعالى ما ألقاه فى روعه جازماً أنه كلام الله ألقاه اليه بهذه الطريقة وثانية أن يكلمه الله تعالى فيسمعه

كلامه بدون أن يرى ذاته كما كلم موسى عليه السلام غير مرة . وثالثة أن يرسل إليه رسولاً

كجبريل عليه السلام فيبلغه كلام ربه تعالى هذا معنى قوله تعالى ﴿ ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا

وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عليّ ﴾^(٢) أي ذوعلو على خلقه ﴿حكيم﴾

فى تدبيره لخلقه .

وقوله : وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا أى كما كنا نوحى إلى سائر رسلنا أوحينا إليك

يا محمد روحاً وهو القرآن وسمى روحاً لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأجسام بالأرواح، وقوله

(١) روى غير واحد أن الآية نزلت رداً على قوله من قال للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتظنر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإننا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك وجائز أن يكون اليهود الذين أشاروا بهذا على كفار قريش وجائز أن يكون اليهود هم القائلون له .

(٢) الروح بضم الراء القلب أو العقل، وبالفتح الفزع . وفى الحديث إن روح القدس نفثت فى روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب والحديث صحيح . وأدرج بعضهم خذوا ما حل ودعوا ما حرم .

(٣) اختلف الفقهاء فى من حلف ألا يكلم فلاناً فكتب إليه أو أرسل إليه رسولاً فهل يحنت؟ أوجه الأقوال أنه إذا اشترط المشافهة فى حلفه أنه لا يحنت وإن لم يشترطها يحنت ولا يحنت إن سلم عليه فى الصلاة أما فى خارجها فإنه يحنت .

(١) ﴿من أمرنا﴾ أي الذى نوحى إليك الشامل للأمر والنهى والوعد والوعيد وقوله تعالى : ﴿وماكنت تدري ما الكتاب﴾ أى القرآن ﴿ولا الإيمان﴾ الذى هو عقيدة وقول وعمل . وقوله : ﴿ولكن جعلناه نوراً﴾ أي جعلنا القرآن نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا إلى الإيمان بنا وتوحيدنا وطلب مرضاتنا بفعل محابنا وترك مساخطنا .

وقوله : وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم أى وانك يارسلنا لتهدى إلى صراط مستقيم الذى هو الدين الإسلامى وقوله ﴿صراط الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض﴾ أى خلقا وملكا وعبداً ﴿وإلى الله تصير الأمور﴾ أى وإليه تعالى مصير كل شيء ، ومرد كل شيء إذ هو المالك الحق والمدير لأمر المخلوقات كلها، ولذا وجب تفويض الأمر إليه والرضا بحكمه وقضائه ثقة فيه وفى كفايته .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - بيان طرق الوحي وهى ثلاثة الأولى الإلقاء فى الروح يقظة أو مناماً والثانية أن يكلم الله النبي بدون أن يرى ذاته عز وجل كما كلم موسى فى الطور وكلم محمداً ﷺ فى الملكوت الأعلى والثالث أن يرسل إليه الملك إما فى صورته الملائكية أو فى صورة رجل من بنى آدم فيوحى إليه ماشاء الله أن يوحىه من أمره .

٢ - القرآن الكريم روح تحيا به القلوب الميتة كما تحيا الأجسام بالارواح .

٣ - القرآن نور يستضاء به فى الحياة فتعرف به طرق السعادة وسبل النجاة .

(١) أى من شأننا العظيم المقتضى الإيحاء إليك بالقرآن الحاوي للشرائع والأحكام وأنواع الهدايات المكملة للإنسان الأخذ بها المسعدة له فى الحياتين .

(٢) المنفي من الإيمان هو التفصيلي أما الإجمالي فقد ولد ﷺ مؤمناً موحداً، ولذا لم يقل وماكنت مؤمناً فالمنفي شرائع الإيمان وتفصيله .

سُورَةُ الْخُرُوفِ

مَكِّيَّةٌ وَأَيَاتُهَا تِسْعٌ وَثَمَانُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّ فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مِثْلُ الْأَوَّلِينَ

شرح الكلمات :

حَم : هذا أحد الحروف المقطعة يكتب حم ويقرأ : حَامِيمٌ

والكتاب المبين : أي القرآن الموضح لطريق الهدى وسبيل السلام .

إنا جعلناه قرآنا عربيا : أي جعلناه قرآنا بلسان العرب يقرأ بلسانهم ويفهم به .

لعلكم تعقلون : أي رجاء أن تعقلوا أيها العرب ، ماتمرون به وماتنهنون عنه .

وإنه في أم الكتاب لدينا : أي في اللوح المحفوظ كتاب المقادير كلها عندنا .

لعلي حكيم : أي لذو علو وشأن على الكتب قبله لا يوصل إلى مستواه في

علوه ورفعته حكيم أي ذو حكمة بالغة عالية لا يرام مثلها .

أفنضرب عنكم الذكر صفحا : أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا أي لانزل القرآن بأمركم

ونهيكم ووعدكم ووعيدكم .

أن كنتم قوماً مسرفين : لأن كنتم قوماً مسرفين متجاوزين الحد في الشرك والكفر كلا لانفعل .

وكم أرسلنا من نبي في الأولين : أي وكثيراً من الأنبياء أرسلناهم في القرون الأولى من الأمم الماضية .

فأهلكنا أشد منهم بطشا : أي فانزلنا عذابنا بأشدهم قوة وبطشا من قومك فأهلكناهم .

ومضى مثل الأولين : أي ومضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين .

معنى الآيات :

حم الله أعلم بمراده به ، والكتاب المبين ^(١) أى والقرآن الموضح لكل ماينجى من عذاب الله ويكسب جنته ورضاه وهذا قسم أقسم الله به ، والمقسم عليه قوله : ﴿إنا جعلناه قرآنا عربياً﴾ أى جعلنا الكتاب المبين الذى هو القرآن عربياً أى بلسان العرب ولغتهم .

وقوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ بيان للحكمة فى جعل القرآن عربياً أى كى تعقلوا معانيه وتفهموا مراد الله منزله منه فيما يدعوكم إليه فىسهل عليكم العمل به فتكملوا وتسعدوا وقوله ﴿وإنه﴾ أى القرآن ﴿فى أم الكتاب﴾ أى اللوح المحفوظ لدينا عندنا ﴿لعلي﴾ أى ذو علو وشأن على سائر الكتب قبله حكيم ذو حكمة بالغة عالية لايرام مثلها .

وقوله تعالى : ﴿أنضرب^(٢) عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ أى أنمهلكم فنضرب عنكم الذكر صفحا فلا تنزل القرآن حتى لاتؤمنوا ولا تنهوا من أجل أنكم قوم مسرفون فى الشرك والكفر والتكذيب كلا لاتفعل إذا الاستفهام للانكار عليهم وقوله ﴿وكم أرسلنا من نبي فى الأولين﴾ أى وكثيرا من الأنبياء أرسلنا فى الأمم السابقة وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون أى ما أتى أمة من تلك الأمم رسول منا إلا سخروا منه واستهزأوا به ، وبما جاءهم به من الإيمان والتوحيد ودعاهم إليه من فعل الصالحات وترك المحرمات إذا فاصبر على قومك فإنهم سالكون سبيل من سبقهم فى الكفر والتكذيب والسخرية والاستهزاء . وقوله تعالى : ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا﴾ أى أهلكنا من هم أشد بطشا فى تلك الأمم الماضية لما كذبوا رسلنا واستهزأوا بهم فكيف بهؤلاء الذين هم أضعف منهم وأقل قوة وقدرة فأحرى بهم أن لايمتنعوا من عذابنا متى أردنا إنزاله بهم . وقوله ﴿ومضى مثل الأولين﴾ أى مضى فى الآيات القرآنية صفة هلاك الأولين كقوم عاد وثمود واصحاب مدين والمؤتفكات ألم يكن لقومك فى ذلك عبرة لو كانوا يعتبرون؟ .

(١) الكتاب هو القرآن أقسم به تعالى للإعلان عن مكانته وعلو شأنه وجعله قرآناً يقرأ بلسان العرب مكتوباً فى سطورهم ، ومحفوظاً فى صدورهم لليلة الحكمة التى تضمنها قوله ﴿لعلكم تعقلون﴾ .

(٢) الفاء للتفريع والاستفهام إنكارى أى أنحسبون أن إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يعثنا على أن نقطع عنكم تجدد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن؟ كما لا يجوز أن نضرب عنكم صفحا فلا تنزل القرآن من أجل إسرافكم فى الشرك والتكذيب ، والصفح: الإعراض بصفح الوجه أى جانبه وهو أشد الإعراض .

(٣) قرأ نافع ﴿إن كنتم﴾ بكسر الهمزة وقرأ حفص ﴿أن كنتم﴾ بأن المصدرية . وإقحام «وقمأ» إشارة إلى أن الإسراف صار طبعاً لهم لا يفارقهم .

(٤) كم أرسلنا إلى قوله إلى الأولين تضمن الكلام الإلهي أمرين الأول تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين والثاني تهديد المشركين المسرفين بأنهم يتعرضون للهلاك الذى تعرضت له أمم قبلهم أشد منهم بطشا وأكثر منهم قوة فأهلكوا ويقوا أثراً بعد عين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - مشروعية الإقسام بالله تعالى .
- ٢ - بيان شرف القرآن الكريم وعلو مكانته على سائر الكتب السابقة .
- ٣ - كون الناس مسرفين فى الشرك والفساد لا يمنع وعظهم ونصحهم وارشادهم .
- ٤ - بيان سنة بشرية وهى أنهم ما يأتىهم من رسول إلا استهزأوا به .
- ٥ - فى إهلاك الأقوى دليل على أن إهلاك من هو دونه أحرى وأولى لاسيما مع شدة كفره .

﴿٨﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ
 خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
 مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾
 وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا
 كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
 لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَوْأَعْلَىٰ ظُهُورِهِ
 ثُمَّ تَذْكُرُونَ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
 الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
 لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات :

ولئن سألتهم : أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من قومك يا رسولنا .
 من خلق السموات والأرض : أي من بدأ خلقهن وأوجدهن ليقولن خلقهن الله ذو العزة
 والعلم .

الذى جعل لكم الأرض مهاداً^(١) : أي الله الذى جعل لكم الأرض فراشا كالمهد للصبي .

(١) قرأ نافع مهاداً وقرأ عاصم مهاداً . والمهاد اسم للشيء يمهد أي يوطأ ويسهل لما يحل فيه . والمهد مراد به هنا المهاد .

وجعل لكم فيها سبلاً	: أي طرقاً .
لعلكم تهتدون	: أي إلى مقاصدكم في أسفاركم .
ماء بقدر	: أي على قدر الحاجة ولم يجعله طوفاناً مغرقاً ومهلكاً .
فأنشئنا به بلدة ميتا	: أي فأحيينا به بلدة ميتا أي لانبثاق فيها ولازراع
كذلك تخرجون	: أي مثل هذا الإحياء للأرض الميتة بالماء تحيون أنتم وتخرجون من قبوركم .
والذي خلق الأزواج كلها	: أي خلق كل شيء إذا الأشياء كلها زوج ولم يعرف فرد إلا الله .
وجعل لكم من الفلك والأنعام	: أي السفن، والإبل .
لتستوا على ظهوره	: أي تستقروا على ظهور ما تركبون .
وما كنا له مقرنين	: أي مطيقين ولاضابطين .
وإنا إلى ربنا لمنتقلون	: أي لصائرون إليه راجعون .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد بقوله تعالى : ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت يارسولنا هؤلاء المشركين من قومك قائلاً من خلق السموات والأرض أي من أنشأهن وأوجدهن بعد عدم لبادروك بالجواب قائلين الله ثم هم مع اعترافهم بربوبيته تعالى لكل شيء يشركون في عبادته أصناماً وأوثاناً . في آيات أخرى صرحوا باسم الجلالة الله وفي هذه الآية قالوا : العزيز العليم أي الله ذو العزة التي لا ترام والعلم الذي لا يحاط به . وقوله تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي فراشاً وبساطاً كمهد الطفل وهذا من كلام الله تعالى لا من كلام المشركين إذ انتهى كلامهم عند العزيز العليم فلما وصفوه تعالى بصفتي العزة والعلم ناسب ذلك ذكر صفات جليلة أخرى تعريفاً لهم بالله سبحانه وتعالى فقال تعالى : ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ أي بساطاً وفراشاً، وجعل لكم فيها سبلاً أي طرقاً لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم لنيل حاجاتكم في البلاد هنا وهناك، والذي نزل من السماء ماء بقدر وهو المطر بقدر أي بكميات موزونة على قدر الحاجة منها فلم تكن ضحلة قليلة لا تنفع ولا طوفاناً مغرقاً مهلكاً، وقوله

(١) من الجائز أن يكون العزيز العليم من قول المشركين إذ هم لا ينكرون عزة الله وعلمه وقدرته كما درجنا عليه في التفسير إذ هو الظاهر من اللفظ والسياق وجائز أن يكون من قول الله تعالى وهما صفتان لاسم الجلالة (الله) الذي أجابوا به في غير آية من القرآن ثم ذكر من صفاته الموجبة لعبادته وحده دون من سواه فذكر ست صفات من صفات الجلال والكمال وهي متضمنة إنعامه وإفضاله على عباده بخلقهم ورزقهم .

(٢) كون الأرض مهداً لا ينافي كون جسمها كروياً .

(١) ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾ أي أحيينا بذلك المطر بلدة ميتا أي أرضا يابسة لانبات فيها ولازرع . وقوله ﴿كذلك تخرجون﴾ (٢) أي مثل ذلك الأحياء للأرض الميتة يحييكم تعالى ويخرجكم من قبوركم أحياء . وقوله ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ هذا وصف آخر له تعالى بأنه خلق الأزواج كلها من الذكر والأنثى ، والخير والشر والصحة والمرض ، والعدل والجور ، إذ لا فرد إلا هو سبحانه وتعالى وفي الحديث الصحيح الله وتر يحب الوتر قل هو الله أحد وقوله ﴿جعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ هذا وصف آخر بصفاته الفعلية الدالة على وجوده وقدرته وعلمه والموجبة لألوهيته إذ جعل للناس من الفلك أي السفن ما يركبون ومن الأنعام كالإبل ومن البهائم كالخيل والبغال والحمير كذلك وقوله ﴿لتستوا على ظهوره﴾ أي تستقروا على ظهوره أي ظهور ما تركبون ، ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم إذا استويتم عليه وتقولوا بالستكم سبحانه الذي سخر لنا هذا أي الله لنا واقدرنا على التحكم فيه ، وما كنا له أي لذلك الحيوان المركوب بمقرنين أي بمطيقين ولاضابطين لعجزنا وقوته ، ﴿وانا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أي لصاترون إليه بعد موتنا راجعون .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير التوحيد يذكر صفات الربوبية المقتضية للألوهية .
- ٢ - تقرير عقيدة البعث والجزاء .
- ٣ - معجزة القرآن في الأخبار بالزوجية وقد قرر العلم الحديث نظام الزوجية وحتى في الذرة فهي زوج موجب وسالب .
- ٤ - مشروعية التسمية والذكر عند ركوب ما يركب فإن كان سفينة أو سيارة قال العبد بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ، وإن كان حيوانا قال عند الشروع باسم الله وإذا استوى قاعداً : سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإننا إلى ربنا لمنقلبون . (٣)

(١) أصل النثر البسط لما كان مطوياً وأريد به هنا إحياء الأرض بالنبات بعد محلها ويسها وحسن إطلاق لفظ النثر لانتشار الحياة فيها بالنباتات .

(٢) ﴿وكذلك تخرجون﴾ أي إن إحياءكم بعد موتكم وخروجكم من الأرض مستترين فيها كإحياء الأرض بالمطر وانتشار النباتات والزروع فيها فباي حق تنكرون البعث وتكذبون به؟ .

(٣) روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي أن علياً رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم حمد الله ثلاثاً وكبر الله ثلاثاً ثم قال سبحانه لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقيل له مما ضحكك؟ فقال رأيت رسول الله فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مما ضحكك يا رسول الله فقال ﷺ يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال ربي اغفر لي ويقول علم عبدي انه لا يغفر الذنوب غيري .

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ
يَا بَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي
الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَادُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيَسْتَأْذِنُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا الْوَسْءَاءُ الرَّحْمَنِ مَا عِبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَيْنَتْهُمْ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَاعِلٍ وَنَاعِلٍ عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾
وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَاعِلٍ وَنَاعِلٍ عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

- وجعلوا له من عباده جزءاً : أى وجعل أولئك المشركون المقرون بأن الله هو الذى خلق السموات والأرض من عباده جزءاً إذ قالوا الملائكة بنات الله .
- إن الإنسان لكفور مبين : أى إن الإنسان المعترف بان الله خلق السموات وجعل من عباده جزءاً هذا الإنسان لكفور مبين أى لكثير الكفر بينه .
- وأصفاكم بالبنين : أى خصكم بالبنين وأخلصهم لكم .
- بما ضرب للرحمن مثلاً (١) : أى بما جعل للرحمن شبهها وهو الولد .

(١) المراد من المثل : الأثنى بدليل قوله تعالى في سورة النحل ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ .

- ظل وجهه مسوداً وهو كظيم : أي أقام طوال نهاره مسود الوجه من الحزن وهو ممتلىء غيظاً .
 أو من يُنشأ في الحلية : أي أيجترثون على الله ويجعلون له جزءاً هو البنت التي تربي في الزينة .
 وهو في الخصام غير مبين : أي غير مظهر للحجة لضعفه بالأنوثة .
 عباد الرحمن إنانا : أي لأنهم قالوا بنات الله .
 أشهدوا خلقهم : أي أحضروا خلقهم عندما كان الرحمن يخلقهم .
 ستكتب شهادتهم : أي سيكتب قولهم إن الملائكة إناناً .
 ويسألون : أي يوم القيامة عن شهادتهم الباطلة ويعاقبون عليها .
 ما لهم بذلك من علم : أي دعواهم أن الله راض عنهم بعبادة الملائكة لا دليل لهم عليه ولا علم .
 إن هم إلا يخرصون : أي ما هم إلا يكذبون يتوارثون الجهل عن بعضهم بعضاً .
 أم آتيناهم كتاباً من قبله : أي أم انزلنا عليهم كتاباً قبل القرآن .
 فهم به مستمسكون : أي متمسكون بما جاء فيه ، والجواب لم يقع ذلك أبداً .
 بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة : أي إنهم لا حجة لهم إلا التقليد الأعمى لأبائهم .
 وإنا على آثارهم مهتدون : أي علي طريقتهم وملتهم ماشون وهي عبادة غير الله من الملائكة وغيرهم من الأصنام والأوثان .
 إلا قال مترفوها : أي متنعموها .
 إنا وجدنا آباءنا على أمة : أي ملّة ودين .
 وإنا على آثارهم مقتدون : أي على طريقهم متبعون لهم فيها .
 معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في دعوة المشركين إلى التوحيد، والمكذّبين إلى التصديق فقال تعالى مُنكراً عليهم باطلهم موبخاً لهم على اعتقاده والقول به، فقال ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ أي وجعل أولئك المشركون الجاهلون لله جزءاً أي نصيباً من خلقه حيث قالوا الملائكة بنات الله، وهذا من أكذب الكذب وأكفر الكفر إذ كيف عرفوا أن الملائكة إناناً، وأنهم بنات الله، وأنهم يستحقون العبادة مع الله فعبدوهم؟ حقاً إن الإنسان لكفور مبين أي كثير الكفر وكبيره وبينه لا يحتاج فيه إلى دليل وقوله تعالى : ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم﴾^(١) بالبنيين^(٢) أي أتقولون أيها المشركون المفترّون اتخذ الله مما يخلق من

(١) قال الحسن يعد المصائب وينسى النعم ومبين معناه مظهر للكفر .

(٢) أم اتخذ الميم صلة أي زائدة لتقوية الكلام والاستفهام للتوبيخ والتأنيب .

(٣) ﴿أصفاكم﴾ قال القرطبي : اختصكم وأخلصكم بالبنيين يقال أصفيته بكذا أي أثرته به وأصفيته الود أخلصته له .

المخلوقات بناتٍ، وخصمكم بالبنين،^(١) بمعنى أنه فضلكم على نفسه بالذكور الذين تحبون ورضي لنفسه بالإناث اللاتي تبغضون. عجباً منكم هذا الفهم السقيم. وقوله تعالى وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً أي بما جعل الله شبهاً وهو الولد ظلُّ وجهه مسوداً وهو كظيم، أي إن هؤلاء الذين يجعلون لله البنات كذباً وافتراءً، إذا ولد لأحدهم بنت فبشر بها أي أخبر بأن امرأته جاءت بينت ظل وجهه طوال النهار مسوداً من الكآبة والغم وهو كظيم أي ممتلىء غمماً وحزناً. وقوله تعالى: ﴿أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ ينكر تعالى عليهم ويوبخهم على كذبهم وسوء فهمهم فيقول: أيجترئون ويبلغون الغاية في سوء الأدب ويجعلون لله من يربى في الزينة لنقصانه وهو البنات، وهو في الخصام غير مبين لخفة عقله حتى قيل ما أدلت امرأة بحجة الا كانت عليها لالها. فقوله ﴿غير مبين﴾ أي غير مظهر للحجة لضعفه بالخِلقَة وهي الأنثى والضمير عائذ على من في قوله ﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ أي الزينة.

وقوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ أي حيث قالوا الملائكة بنات الله وعبدوهم لذلك طلباً لشفاعتهم والانتفاع بعبادتهم. قال تعالى: موبخالهم مقيماً الحججة على كذبهم أشهدوا خلقهم أي أحضروا خلقهم عندما كان الله يخلقهم، والجواب لا، ومن أين لهم ذلك وهم مازالوا لم يخلقوا بعد ولا آباؤهم بل ولا آدم أصلهم عليه السلام وقوله تعالى ﴿أي ستكتب شهادتهم﴾ هذه وهي قولهم إن الملائكة بنات الله ويسألون عنها ويحاسبون ويعاقبون عليها بأشد أنواع العقاب، لأنها الكذب والافتراء، وعلى؟ إنه على الله، والعياذ بالله وقوله تعالى: ﴿وقالوا لو شاء الرحمن^(٢) ما عبدناهم﴾. أي قال أولئك المشركون المفترون لمن أنكر عليهم عبادة الملائكة وغيرها من الأصنام قالوا: لو شاء الرحمن منا عدم عبادتهم ما عبدناهم. قال تعالى في الرد عليهم ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ أي ليس لهم أي علم برضا الله تعالى بعبادتهم لهم، ما هم في قولهم ذلك إلا يخرصون أي يقولون بالخرص والكذب إذ العلم يأتي من طريق الكتاب أو النبي ولا كتاب عندهم ولا نبي فيهم قال بقولتهم، ولذا قال تعالى منكرًا

(١) أي في المجادلة والإدلاء بالحجة قال قتادة ما تكلمت امرأة ولها حجة إلا جعلتها على نفسها.

(٢) في الآية دليل على جواز لبس الذهب والحري للنساء وهو إجماع إلا أن بعض السلف كان ينزهه عنه لقول أبي هريرة إياك يابنية والتحلي بالذهب فاني أخاف عليك اللهب، وقرأ نافع ﴿ينشأ﴾ وقرأ حفص ﴿ينشأ﴾ فالأول بتخفيف الشين والثاني بتشديدها الأول من: أنشأ والثاني من نشأ.

(٣) قرأ نافع عند الرحمن وقرأ حفص عباد الرحمن ولا منافاة والملائكة عند الرحمن في الملكوت الأعلى في حضرة القدس يتلقون خطاب الله مباشرة بلا واسطة وهم في واقع الأمر عباد الرحمن وجملة (الذين هم عند الرحمن إناثا) صفة للملائكة فهي في محل نصب.

(٤) قولهم منظور فيه إلى أن مشيئة الله وهي إرادته قسمان إرادة كونه وإرادة تكليفية شرعية فالإرادة الكونية القدرية هذه لا تتخلف أبداً فما شاء الله كان والإرادة الشرعية التكليفية هي التي قد تتخلف لأن الله تعالى وهب عبده إرادة واختياراً وبحسب ما يختاره يكون جزاءه والمشركون لا علم لهم بهذا فلذا نفى عنهم العلم راداً باطلهم بجعلهم.

عليهم قولتهم الفاجرة ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ بِهِ مَسْتَمْسِكُونَ﴾؟ لا لا، ما آتاهم الله من كتاب ولا جاءهم قبل محمد من نذير إذا فلا حجة لهم إلا التقليد الأعمى للأباء والأجداد الجهال الضلال وهو ما حكاه تعالى عنهم في قوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴿١﴾ وَأَنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مَهْتَدُونَ﴾ أي ماشون مقتفون آثارهم وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي رسول إلا قال مترفوها أي متنعموها بنضارة العيش وغضارته ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ أي ملة ودين ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ أي متبعون لهم فيها. فهذه سنة الأمم قبل أمك يارسلنا فلا تحزن عليهم ولاتك في ضيق بما يقولون ويعتقدون ويفعلون أيضا. وهو معنى قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ إلى آخر الآية.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - تقرير صفة من صفات الإنسان قبل شفائه بالإيمان والعبادة وهي الكفر الواضح المبين.
- ٢ - وجوب إنكار المنكر ومحاولة تغييره في حدود ما يسمح به الشرع وتتسع له طاقة الإنسان.
- ٣ - بيان حال المشركين العرب في الجاهلية من كراهيتهم البنات خوف العار وذلك لشدة غيرتهم.
- ٤ - بيان ضعف المرأة ونقصانها ولذا تكمل بالزينة، وإن النقص فيها فطري في البدن والعقل معاً.
- ٥ - بيان أن من قال قولاً وشهد شهادة باطلة سوف يسأل عنها يوم القيامة ويعاقب عليها.
- ٦ - حرمة القول على الله بدون علم فلا يحل أن يُنسب إلى الله تعالى شئ لم ينسبه هو تعالى لنفسه.
- ٧ - حرمة التقليد للأباء وأهل البلاد والمشايخ فلا يقبل قول إلا بدليل من الشرع.

﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٢٤) ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٢٥) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (٢٧) ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) ﴿بَلْ

(١) لفظ الأمة هنا يراد به الدين والملة والطريقة أيضاً ومن شواهد ذلك :

كنا على أمة آبائنا ويقتدي الآخر بالاول

وهل يستوي ذمة أمة وكفورها؟

مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
 وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا
 لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

شرح الكلمات :

قال أولو جنتكم بأهدى مما : قال لهم رسولهم : أتبعون آباءكم ولو جنتكم بأهدى أي بخير
 وجدتم عليه آباءكم مما وجدتم عليه آباءكم هداية إلى الحق والسعادة والكمال .
 قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون : أي قال المشركون لرسولهم رداً عليهم إنا بما أرسلتم به كافرون
 أي جاحدون منكرون غير معترفين به .
 فانظر كيف كان عاقبة المكذبين : أي كانت دماراً وهلاكاً إذاً فلا تكثر بتكذيب قومك يارسلنا .
 وإذ قال إبراهيم : أي وأذكر إذ قال إبراهيم أبو الأنبياء خليل الرحمن
 إني براء مما تعبدون : أي برىء مما تعبدون من أصنام لأعبدها
 ولا اعترف بها .
 إلا الذي فطرني فإنه سيهدين : أي لكن الذي خلقني فإني أعبد وأعترف به فإنه سيهديني أي
 يرشدني إلى ما يكملني ويسعدني في الحياة الدنيا وفي الآخرة .
 وجعلها كلمة باقية في عقبه ^(١) : أي وجعل إبراهيم كلمة التوحيد « لا إله إلا الله » باقية دائمة في
 ذريته إذ وصاهم بها كما قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه .
 لعلهم يرجعون : أي رجاء أن يتوبوا إلى الله ويرجعوا إلى توحيده كلما ذكروها
 وهي لا إله إلا الله .

(١) لفظ العقب الوارد في الآية وفي الحديث الصحيح من أعمر عمرى فهي له ولعقبه فإنها للذي أعطيها لا ترجع إلى الذي أعطها لأنه أعطى عطاء وقعت فيه الموارث قال ابن العربي ترد هذه اللفظة على أحد عشر لفظاً وهي الولد والبنون والذرية والعقب والنسل والأل والقرابة والعشيرة والقوم والموالي .

بل تمتعت هؤلاء وآباءكم : أي هؤلاء المشركين وآباءهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة .
حتى جاءهم الحق ورسول : أي إلى أن جاء القرآن يحمل الدين الحق، ورسول مبين
مبين لا شك في رسالته وهو محمد ﷺ يبين لهم طريق الهدى
والأحكام الشرعية .

وقالوا لولا نزل هذا القرآن على : أي وقال هؤلاء المشركون الذين متعناهم بالحياة فلم نعاقبهم،
رجل من القرينتين عظيم هلاً نزل هذا القرآن على أحد رجلين من قريتي مكة أو الطائف
أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف .
أهم يقسمون رحمة ربك؟ : أي ينكر تعالى عليهم هذا التحكم والاقتراح الفاسد فقال أهم
يقسمون رحمة ربك إذ النبوة رحمة من أعظم الرحمات . وليس
لهم حق في تنبئة أي أحد إذ هذا من حق الله وحده .

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في : أي إذا كنا نحن نقسم بينهم معيشتهم فنغني هذا ونفقر هذا
الحياة الدنيا ونملك هذا ونعزل هذا، فكيف بالنبوة وهي أجل وأغلى من
الطعام والشراب فنحن أحق بها منهم فنبىء من نشاء .
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا : أي جعلنا هذا غنياً وذاك فقيراً ليتخذ الغنى الفقير خادماً يسخره
في خدمته بأجرة مقابل عمله .
ورحمة ربك خير مما يجمعون : أي والجنة التي أعدها الله لك ولأتباعك خير من المال الذي
يجمع هؤلاء المشركون الكافرون .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى قول المشركين لرسولهم : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ «ملة» ﴿وإنا على أثارهم
مقتدون﴾ ، قال مخبراً عن قول الرسول لأمة المكذبة المقلدة للآباء الظالمين ﴿قال: أولو^(١)
جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ أي اتبعون آباءكم ولا تتبعوني ولو جنتكم بأهدى إلى
الخير والسعادة مما وجدتم عليه آباءكم، وهذا إنكار من الرسول عليهم في صورة استفهام وهو^(٢)
توبيخ أيضاً إذ العاقل يتبع الهدى جاء به من جاء قريباً كان أو بعيداً . وقوله تعالى ﴿قالوا إنا بما
أرسلتم^(٣) به كافرون﴾ هذا قول الأمم المكذبة المشركة لرسولهم أي كل أمة قالت هذا لرسولها:
إنما بما أرسلتم به من التوحيد وعقيدة البعث والجزاء والشرع وأحكامه كافرون أي منكرون

(١) قرأ نافع والجمهور قل بصيغة الأمر وقرأ حفص فال بصيغة الماضي فيعود الضمير إلى نذير الذين قالوا ﴿إنا وجدنا
آباءنا﴾ . الخ . وأما على قراءة نافع فهو أمر للرسول ﷺ ليقول للمشركين ما أمره أن يقوله لهم .

(٢) هذا الاستفهام تقريرى إلا أنه مشوب بالإنكار والتوبيخ .

(٣) في قولهم هذا معنى التهكم برسولهم إذ أنبتوا لهم الرسالة وهم مكذبون بها كقول قريش مال هذا الرسول يأكل الطعام .

مكذبون غير مصدقين، قال تعالى: ﴿فانتقمنا منهم﴾^(١) أي لتكذيبهم فأهلكناهم فانظر يارسولنا كيف كان عاقبتهم وهم المكذبون إنها دمار شامل وهلاك تام. وليذكر هذا قومك لعلمهم يذكرون.

وقوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون﴾ أي واذكر يارسولنا لقومك قول إبراهيم الذي ينتسبون إليه باطلا لأبيه وقومه: إنني براء مما تعبدون أي إنني براء من آلهتكم التي تعبدونها فلا أعبدها ولا اعترف بعبادتها. وقوله ﴿إلا الذي فطرني﴾ أي لكن اعبد الله الذي خلقني فهو أحق بعبادتي مما لم يخلقني ولم يخلق شيئا وهو مخلوق أيضا. وقوله فإنه سيهدين أي يرشدني دائما إلى مافيه سعادتى وكما لى. وقوله تعالى: ﴿وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون﴾ أي وجعل براءته من الشرك والمشركين، وعبادته خاصة بالله رب العالمين جعلها كلمة باقية فى ذريته حيث وصاهم بها كما جاء ذلك فى سورة البقرة إذ قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ أي بأن لا يعبدوا إلا الله وهى إذا كلمة لا إله إلا الله ورثها إبراهيم فى بنيه لعلهم يرجعون إليها كلما غفلوا ونسوا وتركوا عبادة الله تعالى والإناية إليه بعوامل الشر والفساد من شياطين الإنس والجن فيذكرون ويتوبون إلى الله تعالى فيوحدونه ويعبدونه فجزى الله إبراهيم عن المؤمنين خيرا. وقوله تعالى: ﴿بل تمتع هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ أي بل لم يتحقق ماترجاه إبراهيم كاملا إذا أشرك من بنيه من أشرك ومنهم هؤلاء المشركون المعاصرون لك أيها الرسول وآباءهم، ومتعمهم بالحياة حتى جاءهم الحق الذى هو هذا القرآن يتلوه هذا الرسول المبين أى الموضح لكل الأحكام والمبين لكل الشرائع. ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون هكذا قالت قريش لما جاءها الحق الذى هو القرآن الحامل للشرائع والأحكام والرسول المبين لذلك والموضح له قالوا هذا سحر يسحرنا به، وإنا به أى بالقرآن والرسول كافرون أى جاحدون منكرون مكذبون وقالوا أبعد من ذلك فى الشطط والغلط وهو ما حكاه تعالى عنهم فى قوله: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ أي هلا نزل هذا القرآن على رجل شريف ذى مكانه مثل الوليد بن المغيرة^(٤) فى مكة أو عروة بن مسعود فى الطائف

(١) الفاء للتفريع وفي الآية تهديد ووعيد لكفار قريش بأن يحل بهم ما حل بالمكذبين قبلهم.

(٢) لما ادعى المشركون أنهم مقلدون آباءهم فى الدين ذكر لهم ما ينبغي أن يقلدوه من آباءهم هو إبراهيم وإسماعيل والافليس الأمر كما يدعون وإنما هم متبعون أهواءهم.

(٣) بل للإضراب الإبطالي أى لم يحصل ما رجاه إبراهيم كاملا بل هناك من لم يرجع إلى التوحيد من ذرية إبراهيم إذ جاء عمرو بن لحي بالأصنام وعبداها آباء هؤلاء وهم لها عابدون حتى مجيء الحق ورسوله محمد ﷺ.

(٤) هذا المشهور من الأقوال فى الرجلين ومنهم من قال هما عمير بن عبدالمطلب الثقفي من الطائف وعتبة بن ربيعة من مكة وهو قول مجاهد، وقيل عظيم الطائف هو حبيب بن عمرو أما القريتان فلا خلاف فى أنهما مكة والطائف لكونهما أكبر مدن تهامة.

وهذه نظرة مادية بحتة إذ رأوا أن الشرف بالمال ، ولما كان محمد ﷺ لا مال له ولا ثراء رأوا أنه ليس أهلاً للرسالة ولا للمتابعة عليها ، فرد تعالى عليهم نظريتهم المادية الهابطة هذه بقوله : ﴿أهم^(١) يقسمون رحمة ربك﴾؟ أما يخجلون عندما قالوا أهم يقسمون رحمة ربك فيعطون منها من شاءوا ويمنعون من شاءوا أم نحن القاسمون؟ إنا قسمنا بينهم معيشتهم : طعامهم وشرابهم وكساهم وسكنهم ومركوبهم في الحياة الدنيا فالعاجز حتى عن إطعام نفسه وسقيها وكسوتها كيف لا يستحي أن يعترض على الله في اختياره من هو أهل لنبوته ورسالته؟ وقوله تعالى : ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ أي في الرزق فهذا غنى وذاك فقير من أجل أن يخدم الفقير الغنى وهو معنى قوله تعالى : ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ ، إذ لو كانوا كلهم اغنياء لما خدم أحد أحداً وتعطلت الحياة وقوله تعالى : ﴿ورحمة ربك﴾ أي الجنة دار السلام خير مما يجمعون من المال الذي فضلوا أهله وإن كانوا من أخط الناس قدراً وأدانهم شرفاً . ورأوا أنهم أولى بالنبوة منك لمرض نفوسهم بحب المال والشهوات .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - من الكمال العقلي ان يتبع المرء الهدى ولو خالفه قومه وأهل بلاده .

٢ - وجوب البراءة من الشرك والمشركين وهذا معنى لا إله إلا الله .

٣ - فضيلة من يورث أولاده هدى وصلاً .

٤ - لا يعترض على الله أحد في شرعه وتدبيره إلا كفر والعياذ بالله تعالى .

٥ - بيان الحكمة في الغنى والفقير ، والصحة والمرض والذكاء والغباء .

وَلَوْلَا

أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا مَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ

لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكَوَّنُ ﴿٣٤﴾ وَرُزُقُوا إِن

(١) الاستفهام انكاري متضمن التوبيخ لهؤلاء الزاعمين اختيار من شاءوا للاصطفاء والرسالة فلموا انه لا حق لهم في هذا الاختيار إذ هم لا خيار لهم حتى في طعامهم وشرابهم فضلاً عن اختيار من يرسل ومن لا يرسل .

(٢) الجملة تعليلية للتفاضل في الرزق أي فاضل بينهم في الغنى والفقير ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً أي يستخدم الغنى الفقير في قضاء حاجته وليأخذ الفقير منه ما يسد به حاجته والسخرى هنا بمعنى التسخير للعمل وليس بمعنى السخرية والاستهزاء إذ أجمع السبعة على قراءة ضم السين وعدم كسرها .

كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

شرح الكلمات :

أمة واحدة	: أي على الكفر.
ومعارج	: أي كالسلم والمصعد الحديث والمعارج جمع معرج وهو المصعد.
عليها يظهرون	: أي يعلنون عليها إلى السطوح.
وزخرفا	: أي ذهباً أي لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وذهب وكذلك الأبواب والمصاعد والسرر بعضها من فضة وبعضها من ذهب.
وان كل ذلك	: أي وما كل ذلك المذكور.
لما متاع الحياة الدنيا	: أي وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا يتمتع به فيها ثم يزول.
والآخرة	: أي الجنة ونعيمها خير لأهل الايمان والتقوى من متاع الدنيا.

معنى الآيات :

لما فضل تعالى الجنة على المال والمتاع الدنيوي في الآيات السابقة قال هنا: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ أي على الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن (يعنى نفسه عز وجل) لبيوتهم سقفاً من فضة، ومعارج^(١) عليها يظهرون أي مراقى ومصاعد عليها يعلنون الى الغرف والسطوح من فضة ولجعلنا كذلك لبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكثون من فضة أيضاً، وزخرفاً أي وذهباً أي بعض المذكور من فضة وبعضه من ذهب ليكون أجمل وأبهى من الفضة وحدها، وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا أي وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا يتمتع به الناس ثم يزول ويذهب بزوالهم وذهابهم . والآخرة عند ربك أي الجنة وما فيها من نعيم مقيم للمتقين الذين آمنوا واتقوا الشرك والمعاصي وما عند الله خير مما عند الناس، وما يبقى خير مما يفنى، ولذا قال الحكماء لو كانت الدنيا من ذهب والآخرة من خزف «طين» لاختار العاقل الآخرة على الدنيا، وهو اختيار ما يبقى على ما يفنى .

(١) المعارج السلم وجمع السلم سلايم وواحد المعارج معرج ومعرج بكسر الميم وفتحها وهي المرقاة والجمع مراقى .

(٢) روي ان نابغة بن جعدة أنشد رسول الله ﷺ قائلاً:

علونا السماء عزة ومهابة وإنما لنترجو فوق ذلك مظهرأ

فغضب الرسول ﷺ وقال: إلى أين؟ قال إلى الجنة قال «أجل ان شاء الله» وهنا قال الحسن: والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل!؟

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - الميل إلى الدنيا وطلب متاعها فطرى فى الإنسان فلذا لو أعطيها الكافر بكفره لمال إليها كل الناس وطلبوها بالكفر.

٢ - هوان الدنيا على الله وعدم الاكتراث بها إذ قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ماسقى كافراً منها شربة ماء رواه الترمذى وصححه وفى صحيح مسلم : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر^(١).

٣ - بيان أن الآخرة خير للمتقين .

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسَى الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ
إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَكْفُرُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ
الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾

شرح الكلمات :

ومن يعش عن ذكر الرحمن : أي يعرض متعامياً متغافلاً عن ذكر الرحمن الذى هو القرآن متجاهلاً له .

نقيض له شيطاناً : أي نجعل له شيطاناً يلازمه لإضلاله وإغوائه .

فهو له قرين : أي فهو أي من عشا عن ذكر الرحمن قرين للشيطان .

وإنهم ليصدونهم عن السبيل : أي وإن الشياطين المقارنين لهم ليصدونهم عن طريق الهدى .

ويحسبون أنهم مهتدون : أي ويحسب العاشون عن القرآن وحججه وعن ذكر الرحمن

(١) أنشد بعضهم فى ذم الدنيا فقال :

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن إذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة وقد شبت فيها بطون البهائم

وطاعته أنهم مهتدون أى انهم على الحق والصواب وذلك بتزيين
القرين لهم .

بعد المشرقين : أى كما بين المشرق والمغرب من البعد قال هذا تبرؤاً منه .

ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم : أى ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك
والمعاصى .

انكم فى العذاب مشتركون : اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم .

أفأنت تسمع الصم أو تهدي : أى إنك يارسولنا لاتسمع الصم ، ولا تهدي العمى والقوم قد
أصمهم الله وأعمى أبصارهم لأنهم عشوا عن ذكره .

ومن كان فى ضلال مبين : أى كما انك لاتقدر على هداية من كان فى ضلال مبين عن
الحق والهدى .

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم فى عرض الهداية على الضالين بالكشف عن أحوالهم وإضاءة الطريق
لهم قال تعالى : ﴿ومن يعش^(١) عن ذكر الرحمن﴾ أى يعرض متعامياً متغافلاً عن ذكر الرحمن
الذى هو القرآن وعبادة الرحمن متجاهلاً ذلك نقيض له شيطاناً أى نسب له نتيجة إعراضه شيطاناً
ونجعله له قريناً لا يفارقه فى الدنيا ولا فى الآخرة . فهو له قرين دائماً . وقوله تعالى : ﴿وانهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون﴾ أى وان القرناء الذين جعلهم تعالى حسب سنته
فى الأسباب والمسببات للعاشين عن ذكره يصدونهم بالتزيين والتحسين لكل المعاصى حتى
انغمسوا فى كل إثم وولغوا فى كل باطل وشر ، وضلوا عن سبيل الهدى والرشد ومع هذا يحسبون
أنهم مهتدون وغيرهم هم الظالمون^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءنا﴾ أى يوم القيامة قال العاشى عن ذكر الرحمن ياليت متمنياً
ببنى وبينك بعد المشرقين أى يتمنى لو أن بينه وبين قرينه من الشياطين من البعد كما بين
المشرق والمغرب . قال تعالى لأولئك العاشين ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك
والمعاصى فى الدنيا أنكم فى العذاب مشتركون أى إن اشتراككم فى العذاب غير نافع لكم ولا
مجد ابداً . وقوله تعالى لرسوله : ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان فى ضلال

(١) هذا مضارع عشا يعشوا عشواً كغزا (يغزوا) غزواً إذا نظر إلى الشيء نظراً غير ثابت يشبه نظر الأعشى والعشا بفتح العين
والشين اسم ضعف العين عن رؤية الأشياء . وعشى كرضى إذا كان فى بصره آفة العشا .

(٢) قيص يقيص تقييضاً فالتقييض : الإناحة وتهيئة شيء لملازمة شيء لعمل حتى يتمه وهو مشتق من اسم جامد وهو قيص البيضة أى
القشر المحيط بالحم ، وهو لا يفارقه حتى يخرج منها الفرخ فيتم ما أتبع له القيص .

(٣) قرأ نافع جاءنا أى من يعش عن ذكر الرحمن والشيطان المقيض له وقرأ حفص بالإفراد جاءنا أى العاشى عن ذكر
الرحمن .

(٤) الاستفهام إنكارى وفى الآية تسلية لرسول الله ﷺ وتسجيل ان الكافر أصم أعمى ومقابله المؤمن يسمع ويبصر .

مبين ﴿ ينكر تعالى على رسوله ظنه أنه يقدر على هدايتهم وحده بدون إرادة الله تعالى ذلك لهم إذ كان ﷺ يجتهد في دعائهم ، وهم لا يزدادون إلا تعامياً وتجاهلاً وكفراً فقال تعالى يخاطب رسوله ﴿ أفأنت ﴾ والاستفهام للانكار تسمع الصم الذين ذهب الله بأسماعهم ، أو تهدي العمى الذين ذهب الله بأبصارهم ، ومن كان في ضلال مبين عن الحق وسبيل الرشد والهدى إنك لا تقدر على ذلك فهون على نفسك وترفق في دعوتك فإنك لا تكلف غير البلاغ وقد بلغت .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان سنة الله تعالى فيمن يعرض عن ذكر الله فإنه يسبب له شيطاناً يضلّه ويحرمه الهداية أبداً فيقيم على الذنوب والآثام ضلّالاً الطريق المنجى المسعد وهو يحسب انه مهتدٍ ، وهذا يتعرض له المعرضون عن الكتاب والسنة كالمبتدعة واصحاب الأهواء والشهوات والعياذ بالله تعالى .
- ٢ - الاشتراك في العذاب يوم القيامة لا يخففه .
- ٣ - بيان أن من اعماه الله وأصمه حسب سنته في ذلك لا هادي له ولا مسمع له ولا مبصر .

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي
وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ نَسْأَلُكَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا
أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

شرح الكلمات :

فإما نذهب بك : أي فإن نذهب بك أي نمتك^(١) قبل تعذيبهم ، وما زائد ادغمت فيها إن الشرطية فصارت إمّا .

فإننا منهم منتقمون : أي معذبوهم في الدنيا وفي الآخرة .

وإما نرينك الذي وعدناهم : أي وإن نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب .

(١) أو بالخروج من مكة مكرهاً عليه من قبل أعدائك ، وهجرة الرسول ﷺ ما كانت إلا بإرادته الحرة ولم يكن فيها مكرهاً ولا ملجأً ولذا لم ينتقم الله من أهل مكة كما هو في التفسير .

فإننا عليهم مقتدرون : أي لا يعوقنا عائق لأنا عليهم قادرون .
 فاستمسك بالذى أوحى إليك : أي دم على استمسائك بالقرآن سواء عجلنا لك بالموعود به
 أو أخرناه .

إنك على صراط مستقيم : أي إنك على طريق الحق والهدى فواصل سيرك .
 وإنه لذكر لك ولقومك : أي وإن القرآن لشرف لك وشرف لقومك .
 وسوف تسألون : أي عن القرآن أى عن العمل به بتطبيق شرائعه وإبلاغه
 لغيركم

وأسأل من ارسلنا من قبلك من : أي أسأل مؤمنى أهل الكتابين التوراة والانجيل .
 رسلنا

اجعلنا من دون الرحمن آلهة: أي هل جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون والجواب لم
 يعبدون نجعل أبداً فليفهم هذا مشركو مكة .

معنى الآيات :

(١) مازال السياق الكريم فى دعوة كفار قريش إلى الإيمان والتوحيد فقوله تعالى ﴿فإنما نذهبنا
 بك﴾ أي إن نذهب بك أى نخرجك من بين أظهرهم فإنما منهم متقمون أى فنعذبهم كما عذبنا
 الأمم من قبلهم عندما يخرجون رسولهم أو نرينك الذى وعدناهم من نصرك عليهم وغلبتك لهم
 فإننا عليهم مقتدرون أى قادرين على أن نفعل بهم ذلك .

وقوله تعالى : ﴿فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم﴾ أي فتمسك
 يارسولنا بما يأمرك به هذا القرآن الذى أوحاه إليك ربك إنك على صراط مستقيم وهو الإسلام
 الذى لا يشقى من تمسك به فعاش عليه ومات عليه . وقوله تعالى : ﴿وإنه لذكر لك ولقومك
 وسوف تسألون﴾ أي وإن القرآن الذى أوحى إليك وأمرت بالتمسك به هو ذكر لك أي شرف وأي
 شرف ولقومك من قريش كذلك إذا آمنوا به وعملوا بما جاء فيه وسوف تسألون عن العمل به
 وتطبيق أحكامه والالتزام بشرائعه .

(١) الفاء تفرعية فالجملة متفرعة عما تقدم من قوله أفأنت تسمع الصم الخ والذهاب هنا قابل للموت والإخراج كرهاً بقرينة
 الوعيد المترتب عليه .

(٢) فاستمسك الفاء تفرعية عما قبلها والآية تحض على التمسك بالإسلام تشريعاً وعملاً .

(٣) هذه الآية كآية الأنبياء وهي : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ ومنشأ هذا الشرف هو أن قريشاً نزل القرآن بلغتها فكل
 الناس محتاجون إلى معرفة لغتهم ليعرفوا ما طلب منهم من عقائد وعبادات وآداب فهذا شرف قريش .

(٤) من فسر السؤال بالعمل هو حق وكذا من فسر بالشكر فهو حق لأن شكر العلم العمل به وتعليمه .

(١) وقوله ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾؟ أي وأسأل يارسولنا مؤمني أهل الكتابين التوراه والانجيل إذسؤالهما سؤال رسلهم الذين ماتوا من قبلك هل جعل الله تعالى من دونه آلهة يعبدون؟ وسوف يجيبونك بقولهم حاشا لله أن يأذن بعباده غيره من خلقه وهو الله لا إله إلا هو، وهذا من أجل تنبيه أذهان قريش إلى خطاها الفاحش في اصرارها على عبادة الأصنام إن القرآن نزل لهدايتهم وهداية غيرهم من بنى آدم على الإطلاق إلا أنهم هم أولاً وغيرهم ثانياً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - من سنة الله في الأمم إذا أخرج الرسول قومه مكرها انتقم الله تعالى له منهم فأهلكهم .
- ٢ - صدق وعد الله تعالى لرسوله فإنه ماتوفاه حتى أقر عينه بنصره على أعدائه .
- ٣ - وجوب التمسك بالكتاب والسنة اعتقاداً وعملاً .
- ٤ - شرف هذه الأمة بالقرآن فإن أضعفته أضعها الله وأذلها وقد فعل . .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ

بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الدَّاعِ لَنَا

رَبِّكَ بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾

(١) جائز أن يكون الكلام على ظاهره وأن النبي ﷺ قد جمع الله تعالى له العديد من الرسل والأنبياء في بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج وسألهم فأجابوا بالحق وهو أن الله تعالى لم يأذن أبداً في عبادة غيره وجائز أن يكون في الكلام حذف دل عليه واقع الحياة إذ لا يسأل الأموات وإنما يسأل الأحياء وتقدير المحذوف وأسأل أتباع من أرسلنا من قبلك وهم مؤمنو أهل الكتابين من أتباع موسى وعيسى كما هو في التفسير.

شرح الكلمات :

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا :	أي أرسلناه بالمعجزات الدالة على صدق رسالته .
إلى فرعون وملاه :	أي وقومه من القبط .
إذ هم منها يضحكون :	أي سخرية واستهزاء .
ومانريهم من آية :	أي من آيات العذاب كالطوفان .
إلا هي أكبر من أختها :	أي من قرينتها التي قبلها من الآيات .
وقالوا يا أيها الساحر :	أي أيها العالم بالسحر المتبحر فيه .
بما عهد عندك :	أي من كشف العذاب عنا إن آمنا .
إنا لمهنتون :	أي إن كشفت عنا العذاب إنا مؤمنون .
إذا هم ينكتون :	أي ينقضون عهدهم فلم يؤمنوا .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا﴾ إيراد هذا القصص هنا كان لمشابهة حال قريش بحال فرعون من جهة إذ قال رجال قريش لم لا يكون الرسول من ذوى المال والجاه كالوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود وقال فرعون : أم أنا خير من هذا الذى هو مهين أي حقير يعنى موسى عليه السلام . ومن جهة أخرى كان لتسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر كما صبر موسى وهو أحد أولى العزم الخمسة فقال تعالى : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بحججنا الدالة على صدق موسى فى رسالته إلى فرعون وقومه بأن يعبدوا الله ويتركوا عبادة غيره ، وان يرسلوا مع موسى بنى إسرائيل ليذهب بهم إلى أرض المعاد «فلسطين» فلما جاءهم قال إنى رسول رب العالمين جئتكم لأمركم بعبادة الله وحده وترك عبادة من سواه ، إذ لا يستحق العبادة إلا الله . فطالبوه بالآيات على صدق دعواه فلما جاءهم بالآيات العظام فاجأوه بالضحك منها والسخرية والاستهزاء بها وهو معنى قوله تعالى : ﴿فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾^(١)

وقوله تعالى : ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ أي ومانرى فرعون وملاه من آية إلا هي أكبر دلالة على صدق موسى من الآية التى سبقتها . قال تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم

(١) أي استهزاء وسخرية يوهمون أتباعهم أن تلك الآيات سحر وتخيل وأنهم قادرون على الإتيان بمثلها .
 (٢) الأتوة هنا بمعنى المشاكلة والمجانسة النوعية كما يقال هذه صاحبة تلك أي قريبة منها فى المعنى والكبير المراد به الكبير فى الدلالة على صدق موسى وصحة دعوته إذ المعجزات تتفاوت فى العظمة كما قال الشاعر:
 من تلق منهم نقل لاقت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها الساري

(١)

يرجعون الى الحق فيؤمنون ويوحدون . وقالوا لموسى يا أيها الساحر أى العليم بالسحر المتبحر فيه ظنا منهم أن المعجزات كانت عمل سَاحِرٍ . أدع لنا ربك بما عهد عندك إنا لمهتدون أى سل ربك يرفع عنا هذا العذاب كالطوفان والجراد والقمل والضفادع إنا مؤمنون وكانوا كلما نزل بهم العذاب سألوا موسى ووعده بالإيمان به إن رفع الله عنهم العذاب وفى كل مرة ينكثون عهدهم وهو قوله تعالى ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾ أى ينقضون العهد ولا يؤمنون كما واعدوا .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - الآيات دليل على صدق من جاء بها، ولكن لاستلزام الإيمان ممن شاهدها .
- ٢ - قد يؤاخذ الله الأفراد أو الجماعات بالذنب المرة بعد المرة لعلهم يتوبون إليه .
- ٣ - حرمه خلف الوعد ونكث العهد، وأنهما من آيات النفاق وعلاماته .

وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ

قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ

وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ

مَعَهُ الْمَلَكُ الْمُقْتَرِنُ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ

فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَاءَ اسْفُونَا

أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ

سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

(١) هذا النداء في هذا الموقف كان نداء تكريم وتعظيم كعادتهم في توقيير وتعظيم علمائهم السحرة لأنهم لما أصابهم من البلاء اعترفوا بمكانة موسى وسيادته وأية تكتب بدون ألف اتباعا للمصحف وحذفت الألف نظراً إلى سقوطها في النطق للوصل والهاء حرف تنبيه أتى بها للفصل بين أي وبين نعتها في النداء .

(٢) هذا جرياً على اعتقاد الأقباط وهو أن لكل أمة أو قبيلة رباً خاصاً بها لذا قالوا لموسى أدع لنا ربك .

شرح الكلمات :

ونادى فرعون فى قومه : أي نادى فيهم افتخاراً وتبجحاً بما عنده .
 وهذه الأنهار تجري من تحتى : أي من النيل تجري من تحت قصورى .
 أفلا تبصرون : أي عظمتى وما أنا عليه من الجلال والكمال .
 أم أنا خير : أي من موسى الذى هو مهين ولايكاد يبين أي يفصح للثغة التى فى لسانه .

فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب : أي هلاً ألقى عليه أسورة من ذهب من قبل الذى أرسله .
 أو جاء معه الملائكة مقترنين : أي أو جاءت الملائكة يتبع بعضها بعضها تشهد له بالرسالة .
 فاستخف فرعون قومه : أي استفز فرعون قومه أي قال لهم ماحركهم به فخفوا لطاعته .
 إنهم كانوا قوماً فاسقين : أي أطاعوه لكونهم قوماً فاسقين ففسقهم هو علة طاعتهم .
 فلما آسفونا انتقمنا منهم : أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم .
 فجعلناهم سلفاً : أي فرعون وقومه سلفاً أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم .
 ومثلاً للآخرين : أي يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل فعلهم .

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فى قصة موسى مع فرعون قال تعالى : ﴿ونادى فرعون فى قومه﴾ لأجل الافتخار والتطاول إرهاباً للناس قال ياقوم أليس لى ملك مصر، وهذه الأنهار أى أنهار النيل^(١) تجري من تحتى أى من تحت قصوره، أفلا تبصرون فإذا ابصرتم فقولوا أنا خير من هذا الذى هو مهين أى حقير يتولى الخدمة بنفسه، ولايكاد يبين أى يفصح بلسانه لعله به وهى اللثغة أم هو؟ . فلولا ألقى عليه أسورة^(٢) من ذهب أى هلاً ألقى عليه من أرسله أسورة من ذهب أوبعث معه الملائكة مقترنين يشهدون له بالرسالة . قال تعالى : ﴿فاستخف قومه﴾ أى استفزهم بقوله هذا وحركهم فاطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين، والفاسق جبان خواف يستجيب بسرعة للباطل ان كان ممن يخاف عادة كالحاكم الظالم .

(١) قيل لما كشف الله عنهم العذاب بدعوة موسى أضمر فرعون وملؤه نكت العهد الذى أعطاه لموسى وهو أنهم يهتدون فخاف فرعون أن يتبع قومه موسى فقام بهذه المناورة الرخيصة فنادى فى قومه فجمعهم وقال فيهم ما ذكر تعالى .

(٢) هذه الأنهار هي فروع النيل وهي أربعة هي نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تيس .

(٣) جائز أن تكون الأنهار له تسلط على مصابها فلذا هدد قومه بذلك .

(٤) أم أنا خير (أم) المنقطعة بمعنى بل للإضراب الانتقالي والتقدير بل أنا خير والاستفهام تقريرى أراد تفضيل نفسه على موسى عليه السلام والمهين: الذليل الذى لم يكن من بيوت الشرف والجاه .

(٥) قرأ نافع والجمهور أسورة جمع أسوار لغة فى سوار، وقرأ حفص أسورة جمع سوار والمراد من قوله ألقى عليه أسوره يريد إن كان ملكاً أو رسولا كما يزعم لم لا يلقى إليه من السماء أسورة كالثي يلبسها ملوك فارس ومصر، أو تأتي معه الملائكة يشهدون له بالرسالة بما يدعى وكل هذا من باب دفع معرفة الهزيمة التي لحقته .

وقوله تعالى : ﴿فلما آسفونا﴾ أي أغضبونا بنكثهم وكفرهم وكبرياتهم وظلمهم أغرقناهم أجمعين أي فلم نبق منهم أحداً والمراد فرعون وجنوده . وقوله تعالى فجعلناهم سلفاً ومثلاً^(١) للآخرين أي جعلنا فرعون ، ومن أغرقنا معه من ملائجه وجيوشيه سلفاً أي سابقين ليكونوا عبرة لمن بعدهم ، ومثلاً يتمثل به من بعدهم فلا يقدمون على ما أقدموا عليه من الكفر والظلم والعلو والفساد ، وأولى من يعتبر بهذا قریش التي نزل لِنَبِيَّهَا ويحرك كامن نفسها لتنبته من غفلتها فتؤمن وتوحد فتنجو وتكمل وتسعد .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - ذم الفخر والمباهاة إذ هما من صفات المتكبرين والظالمين . ٢ - الاحتقار للفقراء والازدراء بهم من صفات الجبارين الظلمة المتكبرين . ٣ - الفسق يجعل صاحبه مطية لكل ظالم أداة يسخره كما يشاء . ٤ - التحذير من غضب الرب تبارك وتعالى فإنه متى غضب انتقم فبطش .

﴿وَلَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ﴾

مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَلِهَتُنَا

خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ

﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرْتِ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾

شرح الكلمات :

ولما ضرب ابن مريم مثلاً : أي ولما جعل عيسى بن مريم مثلاً ، والضارب ابن الزبيرى .

إذا قومك منه يصدون : أي إذ المشركون من قومك يصدون أي يضحكون فرحاً بما

سمعوا .

(١) السلف : جمع سالف كخدم جمع خادم وحرس جمع لحارس والسالف : من يسبق غيره في الوجود .

- وقالوا ألّهتنا خير أم هو؟ : أي ألّهتنا التي نعبدها خير أم هو أي عيسى بن مريم فنرضى أن تكون ألّهتنا معه .
- ماضربوه لك إلا جدلاً : أي ماجعلوه أي المثل لك إلا خصومة بالباطل ليعلمهم أن الماغير العاقل فلا يتناول اللفظ عيسى عليه السلام .
- بل هم قوم خصمون : أي شديدو الخصومة .
- إن هو إلا عبد أنعمنا عليه : أي ما هو أي عيسى إلا عبد انعمنا عليه بالنبوة .
- وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل : أي لوجوده من غير أب كان مثلاً لبنى إسرائيل لغرابته يستدل به على قدرة الله على ما يشاء .
- ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة : أي ولو شاء لأهلكناكم وجعلنا بدلکم ملائكة .
- في الأرض يخلفون : أي يعمرّون الأرض ويعبدون الله فيها يخلفونكم فيها بعد إهلاككم .
- وإنه لعلم للساعة : أي وإن عيسى عليه السلام لعلم للساعة تعلم بنزوله إذا نزل .
- فلا تمترن بها : أي لاتشكن فيها أي في إثباتها ولا في قربها .
- واتبعون هذا صراط مستقيم : أي وقل لهم اتبعون على التوحيد هذا صراط مستقيم وهو الإسلام .
- ولا يصدنكم الشيطان : أي ولا يصرفنكم الشيطان عن الإسلام .
- إنه لكم عدو مبين : أي إن الشيطان لكم عدو بين العداوة فلا تتبعوه .

معنى الآيات :

قوله تعالى : ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾ روى أن ابن الزبيرى قال لرسول الله ﷺ : لما نزلت آية الأنبياء إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون قال : أهذا لنا ولألّهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله ﷺ هو لكم ولألّهتكم ولجميع الأمم ، فقال ابن الزبيرى خصمتك ورب الكعبة، أليست النصرارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون العزيز وبنو مليح يعبدون الملائكة فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وألّهتنا معهم ، ففرح بها المشركون وضحكوا وضجوا بالضحك مرتفعة أصواتهم بذلك ونزلت فى هذه الحادثة الآية : ﴿ولما ضرب بن مريم مثلاً﴾ أى ولما جعل ابن الزبيرى عيسى بن مريم مثلاً إذ جعله مشابهاً للأصنام من حيث أن النصرارى اتخذوه إلهاً وعبدوه من دون الله ، وقال فإذا كان عيسى والعزيز

(١) المراد بالمثل هنا الممثل به والمشبه به لأن ابن الزبيرى شبه ألّهتهم بعيسى فى أنها عبت من دون الله مثله فإذا كانوا فى النار فميسى كذلك .

والملائكة في النار فقد رضيينا أن نكون وآلهتنا معهم ففرح بها المشركون وصدوا وضجوا بالضحك . وقالوا آلهتنا خير ام هو أي المسيح؟ قال تعالى لرسوله : ما ضربوه لك إلا جدلا أي ما ضرب لك ابن الزبعرى هذا المثل طلبا للحق وبحثا عنه وانما ضربه لك لأجل الجدل والخصومة بل هم قوم خصمون مجبولون على الجدل والخصام .

وقوله إن هو أي عيسى إلا عبد أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة ، وجعلناه مثلا لبني إسرائيل يستدلون به على قدرة الله وانه عز وجل على كل ما يشاء قدير إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من تراب ثم قال له كن فكان .

وقوله تعالى : ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ أي ولو نشاء لأهلكناكم يا بني آدم ولم نبق منكم أحداً . وجعلنا بَدَلَكُمْ في الأرض ملائكة يخلفونكم فيها فيعمرونها ويعبدون الله تعالى فيها ويوحدهونه ولا يشركون به سواه .

وقوله ﴿وانه لعلم للساعة﴾ أي وإن عيسى عليه السلام لعلامة للساعة أي إن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان علامة على قرب الساعة . فلا تمترن بها أي فلا تشكن في إتيانها فانها آتية وقريبة . وقوله واتبعون أي وقل لهم يارسلونا واتبعون على التوحيد وما جئناكم به من الهدى هذا صراط مستقيم أي الإسلام القائم على التوحيد الذي نزل به القرآن وجاء به رسول الله ﷺ . ولا يصدنكم الشيطان عن الإسلام بوساوسه وإغوائه فيصرفكم عن التوحيد والإسلام إنه لكم عدو مبين وليس أدل على عداوته من أنه اخرج آدم بإغوائه من الجنة حسداً له وبغيا عليه . فمثل هذا العدو لا يصح أبداً الاستماع إليه والمشي وراءه واتباع خطواته . ومن يتبع خطواته يهلك .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان أن قريشا أوتيت الجدل والقوة في الخصومة .
- ٢ - ذم الجدل لغير إحقاق حق أو إبطال باطل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل .
- ٣ - شرف عيسى وعلو مكانته وأن نزوله إلى الأرض علامة كبرى من علامات قرب الساعة .
- ٤ - تقرير البعث والجزاء .
- ٥ - حرمة اتباع الشيطان لأنه يضل ولا يهدي .

(١) قرأ نافع يصدون من صد يصد عن كذا إذا عرض فيصدون بمعنى يعرضون عن القرآن ويقولون إن فيه تناقضاً من أجل فرية ابن الزبعرى ، وقرأ حفص يصدون بكسر الصاد من الصد بمعنى الصخب والضجيج .
(٢) وجائز أن يكون الضمير في (وانه) عائذ إلى القرآن أو إلى المنزل عليه محمد ﷺ إذ قال ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين السبابة والوسطى مشيراً إليهما . وما في التفسير مروى عن كبار التابعين مجاهد وقتادة وابن عباس الصاحب الجليل رضي الله عنهما ولذا قدمته في التفسير .

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ
 وَالْأَبِينِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
 ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ
 تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

ولما جاء عيسى بالبينات : أي ولما جاء عيسى بن مريم إلى بنى إسرائيل بالمعجزات والشرائع .

قال قد جئتكم بالحكمة : أي قال لبنى إسرائيل قد جئتكم بالنبوة وشرائع الإنجيل .
 ولأبين لكم بعض الذي : أي وجئتكم لأبين لكم ما اختلفتم فيه من أحكام التوراة من تختلفون فيه
 أمر الدين وغيره .

فاتقوا الله وأطيعوا : أي خافوا الله وأطيعوا فيما أبلغكموه عن الله من الأمر والنهي .

إن الله ربي وربكم فاعبدوه : أي إن الله الإلهي والهكم فاعبدوه بحبه وتعظيمه والذلة له .
 هذا صراط مستقيم : أي تقوى الله وطاعة الرسول وعبادة الله بما شرع هو الإسلام المعبر عنه بالصراط المستقيم .

فاختلف الأحزاب من بينهم : أي في شأن عيسى أهو الله : أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة .
 فويل للذين ظلموا من عذاب : أي فويل للذين كفروا بما قالوا في عيسى من الكذب والباطل .
 يوم اليم

هل ينظرون إلا الساعة أن : أي ما ينتظر هؤلاء الأحزاب مع إصرارهم على ما قالوه في تأتيمهم بغته وهم لا يشعرون عيسى إلا الساعة أن تأتيمهم بغته فجأة وهم لا يشعرون .

معنى الآيات :

بعد أن ذكر تعالى جدل المشركين في مكة وفرحهم بالباطل الذي قاله ابن الزبعرى في شأن

الملائكة والعزير وعيسى عليهم السلام من أنهم في النار مع من عبدوهم ، وبرأ تعالى الملائكة والعزير وعيسى لأنهم ما أمروا الناس بعبادتهم حتى يؤخذوا بها ، وإنما امر بعبادتهم الشيطان فالشيطان ومن عبدوهم هم الذين في النار . وذكر تعالى شرف عيسى ومكانته وأنه عبد أنعم عليه بالنبوة وجعله مثلاً لبني إسرائيل يستدلون به على قدرة الله تعالى إذ خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أب ولا أم وإنما خلقه من تراب ذكر رسالة عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل ليكون ذلك موعظة لكفار مكة فقال تعالى ولما جاء عيسى بالبينات أي جاء بني إسرائيل مصحوباً بالبينات هي الإنجيل والمعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وما إلى ذلك ، قال لهم قد جئكم بالحكمة أي النبوة من عند الله ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه من أحكام التوراة وأمور الدين إذا فاتقوا الله يابني إسرائيل أي خافوا عقابه المترتب على معاصيه وأطيعون فيما أبلغكموه من أمر ونهى عن الله تعالى ، إن الله ربي وربكم أي الإلهي وألهكم لا إله إلا هو فاعبدوه بفعل محابه وترك مساخطه حبا فيه وتعظيماً له ورهبة ورجبة . وقوله ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾ أي هذا الذي دعوتكم إليه من اتقاء الله ، وطاعة رسوله وعبادته وحده هو الطريق المستقيم الذي يفضي بسالكة إلى سعادة الدارين . قال تعالى : فاختلف الأحزاب من بينهم أي من بين بني إسرائيل من يهود ونصارى فقالت طائفة من اليهود إفتراء أن عيسى ابن مريم ابن زنا وأمه بغي وقالوا ساحر . وقال النصارى : هو الله ، أو ابن الله ، أو ثالث ثلاثة .

قال تعالى ﴿ فويل للذين ظلموا من عذاب أليم ﴾ أي مؤلم فتوعدهم الرب تعالى بالويل الذي هو وادٍ يسيل في جهنم بما يتجمع من صديد فروج أهل النار وأبدانهم من دماء وقروح وأوساخ وهو عذاب يوم القيامة الأليم توعد هؤلاء الظالمين بما قالوا في عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام وقال تعالى : ﴿ هل ينظرون إلا الساعة ﴾ أي ما ينظرون إلا الساعة لأنهم ماتابوا إلى الله ولا راجعوا الحق فيما قالوه في عيسى بل أصروا : اليهود يصفونه بأخس الصفات والنصارى يصفونه بالألوهية التي هي حق الله رب عيسى ورب العالمين أن تأتيهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون لأنهم مشغولون بالذرة والهدرجين والاستعمار والتجارة والانغماس في الشهوات كما هو واقع ومشاهد اليوم . وصدق الله العظيم .

(١) قال بن عباس يريد إحياء الموتى وإبراء الأقسام وخلق الطير والمائدة وغيرها والإخبار بكثير من الغيوب .

(٢) أي اتقوا الشرك ولا تعبدوا إلا الله وحده ومن قال هذا فكيف يكون لها يعبد وهو عبد يعبد ويوحى ؟ .

(٣) ومن اختلافاتهم التي نعت عليهم اختلاف فرق النصارى من النسطورية والملكية واليعقوبية اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله وقالت الملكية ثالث ثلاثة أحدهم الله قاله الكلبي وغيره .

(٤) الجملة مستأنفة بياناً لما تقدم مما يشير في النفس تساؤلاً فكان الجواب أن العذاب آت وأهله ما ينظرون إلا الساعة وأهل العذاب هم المختلفون من أهل الكتاب والمشركين إذ الجميع ظلموا بالشرك والكفر والتكذيب والآية تدعوهم إلى التوبة لينجوا من العذاب الأليم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان رسالة عيسى إلى بنى إسرائيل .
- ٢ - وجوب التقوى لله وطاعة الرسول ، وتوحيد الله فى عبادته .
- ٣ - بيان شؤم الخلاف ، ومايجره من التوغل فى الكفر والفساد .
- ٤ - وعيد الله لليهود والنصارى الذين لم يدخلوا فى الإسلام بالويل وهو عذاب يوم اليم .

الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَعْجَادٍ لَّا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
مُحَبَّرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

شرح الكلمات :

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو : أي الأحياء يوم إذ تأتيهم الساعة بغته .

إلا المتقين : فإن محبتهم تدوم لهم لأنها كانت فى الله وطاعته .

يعابد لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون : أي يتادون فيقال لهم لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون بل تحبرون أى تسرون وتكرمون .

يطاف عليهم بصحاف من ذهب : أي يطوف عليهم الملائكة بقصاع من ذهب وفيها الطعام وأكواب من ذهب فيها الشراب اللذيذ .

وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ : أي فى الجنة ما تشتهيه الأنفس تلذذاً به وتلذذه العين نظراً العين إليه .

وتلك الجنة التى أورثتموها بما : أي يقال لهم وهذه هى الجنة التى أورثتموها الله بأعمالكم

كنتم تعملون الصالحة التي هي ثمرة إيمانكم الصادق وإخلاصكم الكامل.

معنى الآيات :

ما زال السياق في ذكر أحداث الساعة قال تعالى : ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ أي إذا جاءت الساعة الأخلاء أي الأحباء في الدنيا يوم إذ تأتي الساعة بعضهم لبعض عدو فتنقطع تلك الخلة والمودة وتصبح عداً لأنها كانت على معصية الله تعالى وقوله إلا المتقين أي الله عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه فإن مودتهم وخلتهم لا تنقطع لأنها كانت محبة في الله وما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل يناديهم ربهم بقوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ، ويصفهم بقوله ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ أي بالقرآن وكانوا مسلمين أي منقادين لله ظاهراً وباطناً ، ويقول لهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون﴾ أي أنتم وزوجاتكم المؤمنات تفرحون وتسرون وقوله تعالى : ﴿يطاف عليهم﴾ بيان لتعظيم الجنة الذي ينعمون به وهو انه يطاف عليهم بصحاف من ذهب وهي قصاع ، فيها الذ الطعام وأشهاه ، وأكواب من ذهب أيضا فيها الذ الشراب والأكواب جمع كوب وهو إناء لاعروة له ولا خرطوم - حتى يمكن الشرب منه من أي جهة من جهاته وفيها أي في الجنة ماتشتهيه الأنفس من سائر المستلذات ، وتلد الأعين من سائر المرثيات ويقال لهم لكم ماتشتهون وانتم فيها خالدون لا تخرجون منها ولا تموتون فيها .

وقوله تعالى : ﴿وتلك الجنة﴾ أي وهذه هي الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون من الصالحات والخيرات ، ووجه الوراثة أن الله تعالى خلق لكل إنسان منزليين أحدهما في الجنة والثاني في النار فكل من دخل الجنة ورث منزل أحد دخل النار فهذا أوجه التوارث والباء في بما

(١) ذكر القرطبي رواية عن النقاش ان هذه الآية نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي ﷺ فقالت قريش قد صبا عقبة فقال أمية له وجهي من وجهك حرام إن لقيت محمداً ولم تنفل في وجهه ففعل عقبة عليهما لعائن الله ذلك فندر النبي ﷺ قتله فقتله يوم بدر صبراً وقتل أمية في المعركة ففهم نزلت هذه الآية والآية عامة في كل كافر وظالم .

(٢) قرأ نافع والجمهور ياعبادي بالياء بعد الدال وهي ياء المتكلم وقرأ حفص بحذفها تخفيفاً لدلالة اللفظ والسياق عليها .

(٣) روي ان المنادي لما يقول ياعبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون يرفع أهل العرصة رؤوسهم فيقول المنادي الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رؤوسهم إلا المسلمين .

(٤) في الصحيحين عن حذيفة انه سمع رسول الله ﷺ يقول ولا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة . وفي صحيح مسلم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبسلون ولا يتخوطون ولا يتمخطون . قالوا فما بال الطعام؟ قال جشأ ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير .

(٥) أشار إليها بلام البعد لملوها وعظيم منازلها وسمو درجاتها .

كنتم تعملون سبباً أي بسبب أعمالكم الصالحة التي زكت نفوسكم وطهرت أرواحكم فاستوجبتم دخول الجنة وارث منازلها.

وقوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١) أي يقال لهم هذا إكراماً لهم وإسعاداً.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - كل خلة يوم القيامة تنقطع إلا خلة كانت في الله والله سبحانه وتعالى ، ولذا ينبغي أن تكون المودة في الدنيا لله لا لغيره تعالى .
- ٢ - بيان فضل التقوى وشرف المتقين الذين يتقون الشرك والمعاصي .
- ٣ - بيان أن الرجل يجمع الله بينه وبين زوجته المسلمة في الجنة .
- ٤ - بيان نعيم أهل الجنة من طعام وشراب وسائر المستلذات .
- ٥ - الإيمان والعمل الصالح سبب في دخول الجنة كما أن الشرك والمعاصي سبب في دخول النار.

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْتُوبُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِحُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

شرح الكلمات :

إنَّ المجرمين في عذاب جهنم : أي أن الذين أجرموا على أنفسهم بالشرك والمعاصي في خالدون جهنم خالدون لا يخرجون ولا يموتون .
لا يفتتر عنهم وهم فيه مبلسون : أي لا يخفف عنهم العذاب وهم فيه ساكتون سكوت يأس .

(١) الفاكهة قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الثمار كلها رطبها وبابسها، وبانها يقال له الفاكهاني .

ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك : أي ونادوا مالكا خازن النار قائلين له ليمتنا ربك .
 قال إنكم ماكثون : أي أجابهم بعد ألف سنة مضت على دعوتهم بقوله إنكم
 ماكثون أي مقيمون في عذاب جهنم دائما .
 لقد جئناكم بالحق ولكن : أي علة بقائكم أنا جئناكم بالحق على لسان رسولنا والحق
 أكثركم للحق كارهون التوحيد وعبادة الله بما شرع فكره أكثركم الحق .
 أم أبرموا أمراً فإننا مبرمون : أي أحكموا في الكيد للنبي محمد ﷺ فإننا محكمون كيدنا في
 إهلاكهم .
 ورسلنا لديهم يكتبون : أي وملائكتنا من الحفظة يكتبون ما يسرون وما يعلنون .

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى الجنة ونعيمها ذكر في هذه الآيات النار وعذابها وهذا هو الترغيب والترهيب
 الذي امتاز به أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق إلى الإصلاح
 قال تعالى ﴿إن المجرمين﴾^(١) أي الذين أجزموا على أنفسهم فأنفسدوها بالشرك والمعاصي هؤلاء
 في عذاب جهنم خالدون، لا يفر عنهم العذاب أي لا يخفف وهم فيه أي في العذاب مبلسون أي
 ساكتون آيسون قانطون . وقال تعالى وما ظلمناهم في تعذيبنا لهم بهذا العذاب ولكن كانوا هم
 الظالمين، حيث دسوا أنفسهم بالشرك والمعاصي .
 وقوله تعالى : ﴿ونادوا يا مالك ليقض﴾^(٢) علينا ربك ﴿ يخبر تعالى ان أصحاب ذلك العذاب
 الدائم الذي لا يفر فيخفف نادوا مالكا خازن النار وقالوا له ليمتنا ربك فنستريح من العذاب .
 فأجابهم مالك بعد ألف سنة قائلاً قال أي ربي إنكم ماكثون أي في عذاب جهنم، وعلل لهذا
 الحكم بالمكث أبداً فقال : لقد جئناكم بالحق أي أرسلنا إليكم رسولنا بالحق يدعوكم إليه وهو
 الإيمان والعمل الصالح المزكى للنفوس فكره أكثركم ذلك فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحاً مؤثريين
 شهوات الدنيا على الآخرة فتمتم على الشرك والكفر فهذا جزاء الكافرين .

(١) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن سائلاً بعد أن علم بحال أهل الإيمان والتقوى يسأل عن حال أهل الإجمام فأجيب بأن
 المجرمين الخ .

(٢) قال ابن مسعود وأبو الدرداء قرأ النبي ﷺ : ونادوا يا مال أي رخم الاسم المنادى بحذف الحرف الأخير منه وهو شائع في
 كلام العرب فيقال في مالك يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يا فاطم قال الشاعر:
 يا حار لا أرتين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك

وقال آخر:

فاطم مهلا بعض هذا التمدل وان كنت قد أزمعت صرمني فأجملني

(٣) روى هذا الترمذي وهناك رواية أخرى في ذكر المدة التي يجابون بعدها .

(٤) الذين كرهوا الحق هم الرؤساء حفاظاً على مراكزهم وأما الاتباع فلم يكرهوا الحق ولكن اتبعوا الرؤساء فماتوا على الشرك
 والكفر فدخلوا النار معهم .

وقوله تعالى : ﴿أَمْ أَمْرًا مِّمَّا فُتِنُوا بِهِ﴾ أي بل أمر هؤلاء المشركون أمراً يكيدون فيه للرسول ودعوته فإن فعلوا ذلك فإننا مبرمون أي محكمون أمراً مضاف لهم بتعذيبهم وإبطال ما أحكموه من الكيد للرسول ودعوته . وقوله : ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ سُرْمَهُمْ وَنَجَوَاهُمْ بَلَى﴾ نسمع ذلك ورسلنا وهم الحفظة لديهم يكتبون ما يقولون سرّاً وجهاً . روى أن ثلاثة نفر قالوا وهم تحت أستار الكعبة فقال أحدهم أترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال أحدهم إذا جهرتم سمع ، وإذا أسررتم لم يسمع وقال الثاني ان كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتم فنزلت ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَنَسْمَعُ سُرْمَهُمْ وَنَجَوَاهُمْ بَلَى﴾ أي نسمع سرهم ونجواهم .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - بيان عقوبة الإجماع على النفس بالشرك والمعاصي .
- ٢ - عذاب الآخرة لا يطاق ولا يقادر قدره يدل عليه طلبهم الموت ليستريحوا منه وما هم بميتين .
- ٣ - أكبر عامل من عوامل كراهية الحق حب الدنيا والشهوات البهيمية في الأكل والشرب والنكاح هذه التي تُكْرَهُ إلى صاحبها الدين وشرائعه التي قد تقيد من الإسراف في ذلك .

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ

الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ

إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

﴿٨٥﴾

(١) أم المنقطعة تفسر ببيل للاضراب الانتقالي والاستفهام محذوف الأداة تخفيفاً أي أأمروا أمراً والاستفهام تقريرى والمراد بالأمر ما يبينونه من مكر بالرسول ﷺ وأجمعوا عليه وهو قتله ﷺ وذلك في دار الندوة فأبرم الله أمراً فأهلكهم في بدر .
(٢) السر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ وبالنجوى ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي .

شرح الكلمات :

قل ان كان للرحمن ولد	: أي قل يارسلنا لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الملائكة بنات الله إن كان للرحمن ولد فرضاً .
فأنا أول العابدين	: أي فأنا أول من يعبد تعظيماً لله واجلالاً ولكن لا ولد له فلا عبادة إذاً لغيره .
سبحان رب السموات	: أي تنزهه وتقدهس
عما يصفون	: أي عما يصفون به الله تعالى من ان له ولداً وشركاء .
فذرهم يخوضوا ويلعبوا	: أي اتركهم يارسلنا يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم .
وهو الذي في السماء إله	: أي معبود في السماء .
وفي الأرض إله	: أي ومعبود في الأرض .
وتبارك الذي له ملك السموات	: أي تعاضم وجل جلال الذي له ملك السموات .
وعنده علم الساعة	: أي عنده علم وقت مجيئها .

معنى الآيات :

سبق أن بكت تعالى المشركين في دعواهم أن الملائكة بنات الله وتوعدهم بالعذاب على قولهم الباطل وهنا قال لرسوله محمد ﷺ قل لهم إن كان للرحمن^(١) ولد كما تفترون فرضاً وتقديراً فأنا أول العابدين له^(٢) ولكن لم يكن للرحمن ولد . فلم أكن لأعبد غير الله تعالى ، هذا ما دل عليه قوله تعالى : ﴿ قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ﴾ . وقوله : ﴿ سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾ نزه تعالى نفسه وقدهسها وهو رب السموات والأرض ورب العرش أي مالك ذلك كله وسلطانه عليه جميعه عما يصفه المشركون به من أن له ولداً وشركاء . وهنا قال تعالى لرسوله إذا أصروا على باطلهم من الشرك والعذاب على الله والافتراء عليه فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم عذابهم المعد لهم وذلك يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ أي معبود في السماء ومعبود في الأرض أي معظم غاية التعظيم ، ومحجوب غاية الحب ومتذلل له غاية الذل في الأرض والسماء وهو الحكيم في صنعه وتدبيره العليم بأحوال خلقه فهل مثله تعالى يفتقر الى زوجة وولد تعالى

(١) يروى عن ابن عباس والحسن والسدي أن . إن ليست شرطية وهي نافية بمعنى ما وتقدير الكلام ما كان للرحمن ولد . وهنا تم الكلام ثم قال فأنا أول العابدين وهذا الرأي ضعيف ويتنافى مع السياق وما في التفسير هو الصواب .

(٢) له أي لذلك الولد لأن تعظيم الولد تعظيم للوالد إلا أنه لا ولد له ولا ينبغي له إبتناء المطلق .

(١) الله عن ذلك علواً كبيراً. وقوله ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون ﴿أى تعظم وجل جلاله وعظم سلطانه الذى له ﴿ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ والدنيا والآخرة، وعنده علم الساعة وإليه ترجعون أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة، وهو على كل شىء قدير.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ - مشروعية التلطف فى الخطاب والتنزل مع المخاطب لإقامة الحججة عليه كقوله تعالى : ﴿وانا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾ وكما هنا قل إن كان للرحمن ولد من باب الفرض والتقدير فانا أول العابدين له ولكن لا ولد له فلا أعبد غيره سبحانه وتعالى .

٢ - تهديد المشركين بعذاب يوم القيامة .

٣ - إقامة البراهين على بطلان نسبة الولد إلى الله تعالى .

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ

شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

شرح الكلمات :

ولا يملك الذين يدعون : أى يعبدونهم .

من دونه : أى من دون الله .

الشفاعة : أى لأحد .

إلا من شهد بالحق : أى لكن الذى شهد بالحق فوحد الله تعالى على علم هذا

الذى تناله شفاعة الملائكة والأنبياء .

فأنى يؤفكون : أى كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته .

وقيله : أى قول النبى يارب إن هؤلاء .

(١) تعظم وتسامى عما يصفه به المشركون من الشريك والصاحبة والولد وتبارك هو خير لفظاً وإنشاء معنى إذ هو لفظ أريد به المدح العظيم لذى الخير العظيم .

فاصفح عنهم : أي أعرض عنهم .
وقل سلام فسوف : أي امرى سلام منكم ، فسوف تعلمون عاقبة كفركم .

معنى الآيات :

لما أعلم تعالى في الآية السابقة أن رجوع الناس إليه يوم القيامة ، وكان المشركون يزعمون أن آلهتهم من الملائكة وغيرها تشفع لهم يوم القيامة واتخذوا هذا ذريعة لعبادتهم فأعلمهم تعالى في هذه الآية (٨٦) أن من يدعونهم بمعنى يعبدونهم من الأصنام والملائكة وغيرهم من دون الله لا يملكون الشفاعة لأحد ، فالله وحده هو الذي يملك الشفاعة ويُعطيها لمن يشاء هذا معنى قوله تعالى : ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ وقوله تعالى ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ أي استثنى الله تعالى أن من شهد بالحق أي بأنه لا إله إلا الله ، وهو يعلم ذلك علماء يقينا فهذا قد يشفع له الملائكة أو الأنبياء فقال عز وجل ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم فالموحدون تنالهم الشفاعة بإذن الله تعالى . وقوله تعالى ﴿ولئن سألتهم﴾ أي ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلفهم لأجابوك قائلين الله . فسبحان الله كيف يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد العبادة فلذا قال تعالى : ﴿فأنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته يعرفون أن الله هو الخالق لهم ويعبدون غيره ويتركون عبادته .

وقوله ﴿وقيله﴾ (٤) يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ أي ويعلم تعالى قيل رسوله وشكواه وهي يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون لما شاهد من عنادهم وتصلبهم شكاهم الى ربه تعالى فأمره ربه عز وجل أن يصفح^(١) عنهم أي يتجاوز عما يلقاه منهم من شدة وعنيت وأن يقول لهم سلام وهو سلام متاركة لاسلام تحية وتعظيم أي قل لهم أمرى سلام . فسوف تعلمون عاقبة : هذا الإصرار على الكفر والتكذيب فكان هذا منه تهديداً لهم بذكر ما ينتظرهم من أليم العذاب إن ماتوا على كفرهم .

(١) مثل عيسى والعزير.

(٢) وهم يعلمون الجملة الحالية وفي هذا دليل على أن من لم يفهم معنى لا إله إلا الله ويقولها لا تنفعه ولا ينال بها الشفاعة يوم القيامة إذ لا بد من فهمه ماذا نفى وماذا أثبت ولذا إيمان المقلد يختلف في صحته أهل العلم .

(٣) أنى اسم استفهام عن المكان فمحله نصب على الظرفية أي إلى أي مكان يصرفون؟ وماضي يؤفكون أفك يافك أفكاً على وزن ضرب يضرب ضرباً وأفك كضربه .

(٤) هذا على قراءة نافع وهي نصب قبيله أما على قراءة حفص فقبيله مجرور عطفاً على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيل رسوله كذا . وهو (قبيل) مصدر قال كالقول ، وأصله قول فعل بمعنى مذبوح والضمير في قبيله يعود إلى النبي ﷺ إذ هو القائل يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون لطول ما دعاهم وهو معرضون عن الحق مصرود على الكفر .

(٥) مثل هذا (فاصفح وقل سلام) منسوخ بآيات القتال التي نزلت بالمدينة النبوية بعد الهجرة .

(٦) قرأ نافع تعلمون بالتاء وقرأ حفص والجمهور يعلمون بالياء فالأول مما أمر الله تعالى رسوله أن يقوله للمشركين ، والثاني على أنه وعد من الله تعالى لرسوله ﷺ بأنه ينتقم من المكذبين .

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

- ١ - لا يملك الشفاعة يوم القيامة إلا الله تعالى فمن أذن له شفع ومن لم يأذن له لا يشفع ، ولا يُشَفَّعُ إلا لأهل التوحيد خاصة أما أهل الشرك والكفر فلا شفاعة لهم .
- ٢ - مشركو العرب على عهد النبوة موحدون في الربوبية مشركون في العبادة .
- ٣ - مشروعية الصفع والتجاوز عند العجز عن إقامة الحدود وإعلاء كلمة الله تعالى .

فهرس المجلد الرابع

٤	سورة النمل من الآية (١)
٣٢	الجزء العشرون
٣٢	سورة النمل من الآية (٥٦)
٥٠	سورة القصص من الآية (١)
١٠٨	سورة العنكبوت من الآية (١)
١٤٠	الجزء الحادي والعشرون
١٤٠	سورة العنكبوت من الآية (٤٦)
١٥٧	سورة الروم من الآية (١)
١٩٦	سورة لقمان من الآية (١)
٢٢١	سورة السجدة من الآية (١)
٢٣٨	سورة الأحزاب من الآية (١)
٢٦٥	الجزء الثاني والعشرون
٢٦٥	سورة الأحزاب من الآية (٣١)
٣٠٠	سورة سبأ من الآية (١)
٣٣٥	سورة فاطر من الآية (١)
٣٦٤	سورة يس من الآية (١)
٣٧٣	الجزء الثالث والعشرون
٣٧٣	سورة يس من الآية (٢٨)
٣٩٦	سورة الصافات من الآية (١)
٤٣٥	سورة ص
٤٦٥	سورة الزمر
٤٨٦	الجزء الرابع والعشرون
٤٨٦	سورة الزمر من الآية (١)

٥١٢ سورة غافر
٥٥٩ سورة فصلت
٥٨٧ الجزء الخامس والعشرون
٥٨٧ سورة فصلت من الآية (٤٧)
٥٩٢ سورة الشورى
٦٢٦ سورة الزخرف
٦٦٣ الفهرس